منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٦ـ اللاهـوت العقيـدى « الجزء الأول »
لاهـوت السـيد المسيح

للمتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عـام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موســـوعة الأنبا غريغوريوس

٦ - اللاهوت العقيدى

الجزء الأول

لاهـــوت السيد المسيح

فى الذكرى السنوية الثالثة :

للعالم القديس المتنيح الأنبا غريغوريوس

بقلم
المتنيح الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

٢٢ من اكتوبر ٢٠٠٤م

الكتاب : موسوعة الأنبا غريغوريوس ـ ٦ـ اللاهوت العقيدى ـ الجزء الأول.
المؤلف: المتنيح الأنبا غريغوريوس.
إعداد : الإكليريكى منير عطية.
الناشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.
دير الأنبا رويس بالعباسية مصر ت: ٦٨٢٤٩٦٢ـ ٤٨٨٢٥٢٢.
المطبعة : شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت: ٦١٠٠٥٨٩.
تصميم الغلاف : الفنان عادل لبيب .
الجمع : شركة فاين للطباعة والتوريدات وفصل الألوان ت: ٤٨٢٠٩٠٣.
رقم الإيداع بدار الكتب : ١٤١٣٤ / ٢٠٠٤

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

نيافة الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

هذا هو الجزء السادس من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وقد سبقه خمسة أجزاء، كان الجزء الأول فى اللاهوت المقارن والثانى فى اللاهوت الأدبى والثالث فى الرهبنة، والرابع فى الدراسات الفلسفية والخامس فى اللاهوت الطقسى.

أما هذا الجزء فيشمل لاهوت السيد المسيح وعقيدة الثالوث القدوس، وهو عبارة عن تجميع الأجزاء التسعة لكتب «أنت المسيح الله ابن الله الحى» وأيضا كتاب «موجز الإعتقاد فى وحدانية الله»، هذا إلى جانب كل ما كتبه نيافة الأنبا غريغوريوس حول هذه الموضوعات وإجابات الأسئلة التى قام نيافته بالرد عليها فى حينها ونشرت فى كثير من المجلات.

هذه هى الثمرة السادسة، وهى من نتاج العالم والمعلم الحبر الجليل المتنيح الأنبا غريغوريوس، الذى قال عنه قداسة البابا شنوده الثالث.

«حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين «التكريس والعلم» ... وكان العلم يشغل كل وقته.. بهذا التكريس للخدمة، وبهذا العلم كان بإستمرار معتكفا فى مسكنه، يقابله الناس وهو مشغول بين الكتب والكتابة....

«كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم... كان فى أساتذة الإكليريكية من هو متخصص بالكتاب المقدس، ومن هو مختص بالعقيدة، ومن هو مختص بالقانون. أو فى الطقس إلى آخره..، ولكنه كان يشمل كل هذه العلوم معا.. وفى الواقع كان معلما قديرا... له معلومات كثيرة... هو موسوعة من المعلومات... كان مثلا من الأمثلة التى لا تتكرر كثيرا فى العلم الكبير...»

وسنفرد أجزاء من هذه الموسوعة لتشمل كل ماكتبه فى اللاهوت العقيدى وسير من شخصيات الكتاب المقدس ومن القديسين، وستكون هناك أجزاء أخرى للموضوعات الكنسية والروحية والموضوعات العامة، بعد تبويبها، بحيث تشمل أجزاء هذه الموسوعة كل كتابات المتنيح الأنبا غريغوريوس التى لم تنشر أو نفذت بعد نشرها.

والرب وحده قادر أن يكمل مشروعنا هذا ويكلله بالنجاح، بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، أدام لنا الرب حياة قداسته، ومتعنا الرب برئاسته للكنيسة ولنا، أبا وراعيا، وحفظ الله قداسته بكل سلامة متمتعا بكامل الصحة والعافية، ونفعنا الرب ببركة صلوات غبطته.

الإكليركى

منير عطيه

إهـــــــداء

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر

البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية، لأنها من وحيك وإلهامك، وبفضل توجيهك وإرشادك، وثمرة لكفاحك وجهادك!

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً!

ومنك تعلمنا كيف يكون الوفاء للحق، والاستمساك بالتقوى، والحرص على وديعة الإيمان.

ولقد وهبك الرب عقلاً شاخصاً فى الإلهيات، فكان تعليمك سليماً كل السلامة، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة!

ولم يكن طريقك سهلاً ... كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين، وكان شخصك ثقيلاً على أنفاسهم الفاسدة، فكرهوك ولعنوك ... ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك!

أثاروا عليك حرباً شعواء وطاردوك ونفوك، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى!

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك، ونطأمن رأسنا أمام عظمة أبوتك، تقديراً لتاريخك، وإقتداء بسيرتك فى الإيمان، يا حامى الإيمان!

من ابنك

غريـــغوريـــوس

باخوم المحرقى - وهيب عطا الله

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

مقدمة ٧
إهداء ٨
المدخل فى علم اللاهوت العقيدى ٩
أقسام علم اللاهوت العقيدى ١٠
مصادر علم اللاهوت العقيدى ١٣
المصدر الأول: الطبيعة ١٣
المصدر الثانى: الضمير ١٥
المصدر الثالث: العقل ١٦
المصدر الرابع: الوحى ٢٣
أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية والرد على مذهب اللاطائفية.
أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية ٣٣
أولاً: لأن العقيدة الدينية هى الأساس الذى يقوم عليه بنيان الحياة الروحية ٣٤
ثانياً: إن التفريق بين العقيدة الدينية والحياة الروحية تفريق ظالم ٣٦
ثالثاً: إن الحياة الروحية فى المسيحية ليست هى العاطفة خلوا من العقيدة ٤٢
رابعاً: دراسة العقيدة واجبة للتفريق بين الأديان ٤٤
خامساً: إن الكتاب المقدس هو الذى نستقى منه عقائد الإيمان ٤٧
سادساً: تتضح أهمية العقيدة فى الكتاب المقدس من أنه ينهال بشده على المبتدعين ٤٩
سابعاً: أن المؤمنين وقادة المؤمنين مكلفون أن يبلغوا الإيمان إلى غير المؤمنين ٥٤
ضرورة العقيدة الدينية ٥٦
القيم الروحية المنطوية فى عقائد وطقوس الكنيسة: ٦٤
لاهوت السيد المسيح «أنت المسيح الله ابن الله الحى» ٦٧
القيم الروحية فى عقيدة لاهوت المسيح ٦٨
لماذا نحن مسيحيون ٧٠
لماذا هذا البحث ٧٢
ثلاث قضايا هامة أولية ٧٧
أولا: يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الألوهة: ٨٢
١ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأزلية ٨٩
٢ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأبدية ٩٥
٣ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه هو الحياة بعينها ٩٨

٤ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه حاضر فى كل مكان وزمان. ١٠٥
٥ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الغافر الخطايا ١١٤
٦ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الفاحص القلوب والكلى ١٢٢
٧ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الديان للأحياء والأموات. ١٢٥
٨ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه القدير، والقادر على كل شىء. ١٢٩
٩ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته العصمة من الخطأ والخطيئة. ١٣٠
١٠ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه بيده سلطان الحياة والموت. ١٣٢
١١ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه رب الشريعة. ١٣٩
١٢ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الثبات وعدم التغير. ١٤٦
١٣ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه نزل من السماء ١٤٨
١٤ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه خرج من لدن الآب. ١٥٥
١٥ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه مرسل من ذات الآب. ١٥٩
١٦ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه كائن فى الآب والآب كائن فيه ١٦٩
١٧ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه ابن الله ١٧٢
١٨ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه ابن الله الوحيد ١٩٥
١٩ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى المعرفة المباشرة للذات الإلهية. ٢١١
٢٠ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى القدرة على كل شىء. ٢١٧
٢١ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله فى العمل. ٢١٩
٢٢ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله فى الكرامة والمجد. ٢٢٢
٢٣ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى كل القدرات والصفات والكمالات. ٢٢٣
٢٤ ـ يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى الجوهر، أى وحدانية الجوهر الإلهى. ٢٢٥
ثانياً: الأنبياء والرسل نسبوا إلى يسوع المسيح الألوهية: ٢٣٣
١ ـ الأنبياء ورسل المسيح نسبوا إلى يسوع المسيح الأزلية. ٢٣٦
٢ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح الأبدية. ٢٤٩
٣ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه الحى الذى لا يموت، وأنه أصل الحياة. ٢٦١
٤ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه المخلص غافر الخطايا ٢٦٤
٥ ـ الأنبياء الرسل نسبوا إلى المسيح أنه الفاحص القلوب والأفكار. ٢٧١

صفحة

٦ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه وحده المعصوم من الخطأ ٢٨٥
٧ ـ الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح أنه وحده الديان ٢٨٧
المسيح كلمة الله يعلم كل شيء: ٢٩٩
المسيح كلي العلم ٣٠٠
علم الإنسان ومعرفته ٣٠٠
المسيح ابن الله يعلم كل شيء ٣١٣
المسيح ابن الله يعلم بما فى ذات الصدور ٣١٦
علم المسيح بالحاضر القريب ٣١٩
المسيح يعلم بالحاضر البعيد ٣٢٣
المسيح يعلم بالماضى القريب والبعيد ٣٢٥
علم المسيح بالمستقبل القريب والبعيد ٣٢٨
المسيح يعلم بالمستقبل البعيد ٣٣٦
المجيء الثانى للمسيح له المجد هو الله الديان ٣٦٠
المسيح القادر على كل شيء: ٣٦٨
سلطان المسيح الشامل ٣٧٧
سلطان المسيح على المادة الجامدة ٣٧٧
سلطان المسيح على المادة السائلة ٣٨٤
سلطان المسيح على الهواء ٣٨٨
سلطان المسيح على النبات ٣٨٩
سلطان المسيح على الحيوان ٣٩١
سلطان المسيح الشامل على الإنسان ٣٩٨
طرائق الشفاء ٤٠٥
المسيح ليس شافيا فقط بل خالقا أيضاً ٤١٥
سلطان المسيح فى إخراج الشياطين والأرواح النجسه من بعد ٤٤٧
سلطان المسيح على إقامة الموتى ٤٥٥
التجلي المجيد: ٤٦١
لمَ كان التجلى ٤٦١
كيف جرى التجلى ٤٧٠
ما الذى حدث فى التجلى ٤٧٤
عيد التجلى ٤٩٣
عقيدة الثالوث القدوس: ٥٠٣

صفحة

القيم الروحية فى عقيدة الثالوث القدوس ٥٠٤

التوحيد والتثليث فى المسيحية ـ المسيحية دين توحيد ٥٠٧

التثليث المسيحى ٥١٣

الواحد فى الثالوث ٥١٨

مقتبسات من كتب ومصادر كنسية ٥٢٣

عمل الروح القدس: ٥٣٣

من هو الروح القدس ٥٣٤

الفرق بين الروح القدس كأقنوم والروح القدس كمواهب ٥٣٥

ما الذى انحدر على المسيح فى نهر الأردن ٥٣٧

عمل الروح القدس فى العهد القديم ٥٣٨

عمل الروح القدس فى العهد الجديد ٥٣٩

اضرام المسحة المقدسة ٥٤١

شرح مبسط لقانون الإيمان: ٥٤٥

شرح قانون الإيمان ٥٤٦

نص قانون الإيمان ٥٤٨

أولاً: الله والخليقة ٥٤٨

ثانياً: وحدانية الله ٥٥٣

الله واحد فى الجوهر مثلث الأقانيم ٥٥٥

قانون إيمان الرسل ٥٦٤

قانون إيمان أورشليم ٥٦٥

قانون الإيمان الأثناسيوسى ٥٦٦

مجمع القسطنطينية المسكونى ٥٦٩

انبثاق الروح القدس من الآب ٥٧٤

موضوعات وإجابات على أسئلة: ٥٧٩

١ ـ حول الأقانيم الثلاثة ٥٨٠

٢ ـ الثالوث القدوس ٥٨٢

٣ ـ المسيح الكلمة صورة الله الغير منظور ٥٨٤

٤ ـ التثليث المسيحى ٥٨٧

٥ ـ من آيات التلاقى بين المسيحية والاسلام ٥٩٠

٦ ـ العلاقة بين الأقانيم الثلاثة ٥٩٨

٧ ـ خطاب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى ٥٩٩

صفحة

٨ ـ خطاب إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ٦٠٤
٩ ـ تعقيب على تعقيب. ٦٠٦
١٠ ـ إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ٦١٠
١١ ـ خطاب إلى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر. ٦١٧
١٢ ـ الله واحد والأقانيم خاصيات. ٦٢٠
١٣ ـ الله وأقانيمه وهى صفاته الذاتية. ٦٢١
١٤ ـ الثالوث القدوس والثالوث الأقدس. ٦٢٤
١٥ ـ الروح القدس لاهوتيا. ٦٢٦
١٦ ـ انبثاق الروح القدس من الآب. ٦٢٩
١٧ ـ موهبة من لدن الروح القدس. ٦٣٢
١٨ ـ التجديف على الروح القدس. ٦٣٤
١٩ ـ قد يحل الروح القدس للإقناع والإهتداء. ٦٣٨
٢٠ ـ عمل الروح القدس فى العهدين. ٦٤١
٢١ ـ عمل الروح القدس فى العهد الجديد ٦٤٦
٢٢ ـ التثليث فى المسيحية وعند الفراعنة. ٦٥٠
٢٣ ـ ولادة الابن وانبثاق الروح القدس. ٦٥١
٢٤ ـ هل للسيد المسيح روح؟. ٦٥٢
٢٥ ـ كيف ينمو المسيح فى الحكمة وهو الإله الكامل؟. ٦٥٣
٢٦ ـ هل كان مترددا؟. ٦٥٩
٢٧ ـ ألا يعرف المسيح اليوم والساعة؟. ٦٦١
٢٨ ـ حول لاهوت المسيح ٦٦٤
٢٩ ـ ابن الإنسان وابن الله. ٦٦٨
٣٠ ـ أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والأخر. ٦٧٢
٣١ ـ لمن يصلى؟. ٦٧٤
٣٢ ـ هل كان فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد؟. ٦٧٨
٣٣ ـ مسيحى زوجته من شهود يهوه. ٦٧٩
٣٤ ـ قدوس الحى الذى لا يموت. ٦٨٠
٣٥ ـ مولود غير مخلوق. ٦٨٢
٣٦ ـ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمها أحد. ٦٨٥
٣٧ ـ الله الغير منظور صار منظورا فى المسيح. ٦٨٦
٣٨ ـ أبعد عن هذه الكأس. ٦٨٧

صفحة

٣٩ ـ المسيح وهو أقنوم الرحمة هو الذى سيدين بالعدل. ٦٨٩
٤٠ ـ عن السنكسار: المسيح ابن الله، بنوة روحية أزلية. ٦٩١
٤١ ـ من التاريخ: المسيح روح الله وكلمته وليس نبياً فقط. ٦٩١
٤٢ ـ خطاب أرسلناه لرئيس حزب الأحرار. ٦٩٢
٤٣ ـ أين كان المسيح من سن ١٢ إلى ٣٠؟. ٦٩٤
٤٤ ـ أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟. ٦٩٩
٤٥ ـ المسيح صعد إلى السماء عينها واستوى على عرش العظمة فى الأعالى. ٧٠٥
٤٦ ـ هل صعد إلى السماء بجسده؟. ٧٠٩
٤٧ ـ واحد مع الآب فى الجوهر. ٧١٤
٤٨ ـ اتّخذ المسيح وهو الإله إنسانية كاملة من روح ومن جسد. ٧١٦
٤٩ ـ المسيح كلمة الله مبدىء كل خليقة. ٧٢١
٥٠ ـ سلطان المسيح الشامل لشفاء جميع الأمراض. ٧٢٣
٥١ ـ المسيح يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً. ٧٢٦
٥٢ ـ ما معنى كلمة «أبى أعظم منى»؟. ٧٢٩
٥٣ ـ جلوس المسيح عن يمين الله. ٧٣٠
٥٤ ـ سؤال له جواب. ٧٣٣
٥٥ ـ سؤال من أحد أبنائنا فى المهجر. ٧٣٤
٥٦ ـ عيد الغطاس المجيد ـ عيد الظهور الإلهى. ٧٤١
٥٧ ـ المسيح هو الله الكلمة. ٧٤٦
٥٨ ـ دراسة بعض معجزات المسيح. ٧٥١
٥٩ ـ المسيح حسب الجسد هو رب داود وهو الله بذاته وقد اتّخذ جسدا. ٧٦٤
٦٠ ـ جسد المسيح محدود أما بهاء اللاهوت المتحد به فيملأ السموات والأرض. ٧٦٦
٦١ ـ فى المسيح اتّحد اللاهوت بالناسوت وناسوته من جسد وروح إنسانية. ٧٦٩
٦٢ ـ للمسيح من حيث هو إنسان روح إنسانية. ٧٧١
٦٣ ـ لماذا نزل إلى الجحيم؟. ٧٧٣
٦٤ ـ نزل المسيح إلى العالم السفلى ونقل الأبرار إلى الفردوس. ٧٧٨
٦٥ ـ المسيح جالسا على العرش. ٧٨١
٦٦ ـ المسيح وجسده المجيد. ٧٨٢
٦٧ ـ المسيح هو ابن الإنسان وهو الله وابن الله. ٧٩٠
٦٨ ـ هل فارق اللاهوت الناسوت؟. ٧٩٣
٦٩ ـ هل اللاهوت انفصل عن الناسوت. ٧٩٩

صفحة

٧٠ ـ تفسير «صار جسداً» ٨٠٠
٧١ ـ صلاة السيد المسيح ٨٠١
٧٢ ـ كيف يسمح المسيح لتوما بأن يلمسه ويمنع مريم؟ ٨٠٢
٧٣ ـ هل يصدر الشر عن الله؟ ٨٠٣
٧٤ ـ معجزة تحويل الماء إلى خمر غير مسكرة ٨٠٩
٧٥ ـ طبيعته لا تمكنه أن يعاين ملكوت الله ٨١١
٧٦ ـ يا أبتاه اغفر لهم ٨١٣
٧٧ ـ علم الله السابق ٨١٥
٧٨ ـ تفسير «ومتى أخضع له الكل» ٨١٦
٧٩ ـ هل جسد السيد المسيح محدود؟ ٨١٩
٨٠ ـ نور من نور ٨٢٢
٨١ ـ الجسد الأثيرى ٨٢٤
٨٢ ـ تفسير قول يوحنا المعمدان «أنا لم أكُن أعرفه» ٨٢٦
٨٣ ـ لماذا لم تذكر الأناجيل طفولة السيد المسيح؟ ٨٢٨
٨٤ ـ من يقول الناس أنى أنا؟ ٨٣٣
٨٥ ـ الله يظهر لآدم وحواء فى الجنة ٨٣٦
٨٦ ـ ظهور الله لابراهيم ٨٣٨
٨٧ ـ ظهور الله ليعقوب أبى الأسباط فى المغارة ٨٤٢
٨٨ ـ ظهور الله لموسى النبى فى العليقة فى سينا ٨٤٥
٨٩ ـ الله يظهر فى صورة رئيس جند الرب ٨٤٧
٩٠ ـ الله يظهر لموسى النبى فى صورة مجسمة ٨٥٠

المدخـــل

فـــى

علـــم اللاهوت العقيـــدى

موضوع علم اللاهوت العقيدى وتعريفه

يبحث هذا العلم في الله تعالى وجوهره وطبيعته وصفاته الذاتية والنسبية وعنايته والمشاكل الخاصة بالعناية الإلهية كالفقر والشر والألم فى الحيوانات والإنسان، ويبحث فى الإنسان وحقيقته وجوهره المادى والروحى، وفى حريته وإرادته. وخلود النفس ومصيرها بعد الموت ويبحث كذلك فى العلاقة بين الله والإنسان كالديانة والوحى، وأعمال الله وتدبيراته الخاصة بالإنسان وسر الخلاص ونظرية الفداء واشتراك الأقانيم الثلاثة فى سّر التجسد الإلهى والثمار الخلاصية وبركات الفداء ومواهب الروح القدس ويبحث فى الملائكة الأطهار والأشرار.

ولمّا كانت هذه الحقائق التى يتخذ منها علم اللاهوت العقيدى موضوعا لمباحثه مبعثرة فى الوحى الإلهى، فإن من واجبات اللاهوتى أو عالم اللاهوت أن يجمع هذه الحقائق وينظمها ويبين نسبة بعضها إلى بعض وما بينها من الإتفاق التام.

وعلى هذا فيمكن تعريف علم اللاهوت العقيدى بأنه: العلم الباحث فى الله وصفاته والإنسان ومصيره وصلة الله بالإنسان، أما أنه علم فلأنه معرفة منظمة مرتبة مبّوبة ذات غاية معلومة، أما أنه علم للاهوت فلأن الموضوع الأكبر لهذا العلم هو البحث فى الله وصفاته وأفعاله التى منها الإنسان وعلاقة هذا الإله بخلائقه الجامدة والحيّة الناطقة وغير الناطقة.

أقسام علم اللاهوت العقيدى:

ومع أن علم اللاهوت العقيدى يبحث فى هذه الأمور جميعها، لكن هذه المباحث يمكن تصنيفها فى أقسام خاصة أو فروع تتفرع عليها، وهى بحسب تعريفنا السابق لهذا العلم يمكن إرجاعها إلى أربعة أقسام.

القسم الأول: ويسمى ثيولوجيا ⲑⲉⲟⲗⲟⲅⲓⲁ - أى علم الله - أو البحث فى الله، ويدخل فى هذا صفاته تعالى الذاتية والنسبية، ويدخل فيه كذلك البحث فى جوهر الله وطبيعته وتوحيد ذاته وتثليث أقانيمه وعمل كل أقنوم من الأقانيم وخواصه وصفاته ولاهوتيته ثم ببحث فى الملائكة.

القسم الثانى: ويسمى انثربولوجيا ⲁⲛⲑⲣⲱⲡⲟⲗⲟⲅⲓⲁ - أى علم الإنسان - ويشمل البحث فى النفس الإنسانية واثبات وجودها وحريتها وخلودها، وأجل الإنسان، والقضاء والقدر، وإلى أى مدى تلتقى إرادة الله بمصير الإنسان.

القسم الثالث: ويسمى السوتيريولوجيا ϲⲱⲧⲏⲣⲓⲟⲗⲟⲅⲓⲁ ـ أى علم الخلاص، وهو يبحث فى سرّ الفداء ونظرية التجسد الإلهى ويبحث تبعا لذلك فى لاهوت المسيح بوصفه الفادى والمخلص وأقنومه وطبيعته الواحدة وبركات الفداء وثمار الخلاص، كما يبحث فى الروح القدس وأعماله ومواهبه الخلاصية ومنها الأسرار السبعة فضلا عن سائر العطايا والمواهب الأخرى فى الكنيسة.

القسم الرابع: ويسمى الاسخاتولوجيا ⲉϲⲭⲁⲧⲟⲗⲟⲅⲓⲁ ـ ومعناه علم الآخرة، وهو يبحث فى مصير الإنسان بعد الموت، وفى الدينونة والجزاء الأخروى وفى سعادة الأبرار وشقاء الأشرار ومجد الأبدية وعذاب الجحيم، وطبيعة الأجساد وطبيعة الملكوت ونار جهنم، ثم يبحث أيضا فى قيامة الأجساد للدينونة، ومجئ المسيح الثانى وعلامات هذا المجئ.

على أن هذه الأقسام تندرج تحت علم اللاهوت المسمى بعلم اللاهوت العقيدى.

علم اللاهوت العقيدى وفائدته وقيمته وغايته:

إن الغاية النبيلة التى يريد أن يحققها علم اللاهوت العقيدى هى أن يستنير الإنسان بحقائق الدين: فيتعلم عن الله وصفاته وأعماله بما يملأ المرء إجلالا وإكبارا لخالقه وسيده، ويتعلم عن تركيب طبيعته فيعلم أنه مخلوق مؤلف من جسد فان ومن روح حية عاقلة مريدة، وبالتالى مسئولة عن تصرفاتها وأفعالها أمام هذا الإله، الذى سيكافئها ويثيبها إن أحسنت فعالها وسيعاقبها ويحاسبها إن أساءت أعمالها ونياتها، وهذه المعرفة تقود المرء بلاشك إلى تقدير نفسه والتدقيق فى تأملاته وتصرفاته التى تصدر عنه ـ ثم يتعلم عن علاقة الله بالإنسان وكيف دبّر له الخلاص وهو يعنى من وراء هذا إلى إيضاح عناية الله بالإنسان فيزداد حبا له وتقديرا لأعمال عنايته بما يسوقه طوعا إلى حياة الفضيلة والكمال.

والخلاصة أن الغرض الذى يتجه إليه علم اللاهوت العقيدى، إنما هو إيضاح الحقائق الإلهية للإنسان إشعارا له بقيمته ومدى مسئوليته، تحقيقا لخلاص نفسه ونموه فى الفضيلة والمعرفة، ومع أن هذه الحقائق مسطورة فى الوحى الإلهى لكن علم اللاهوت العقيدى له فضل ترتيبها وتصنيفها وتقديمها للإنسان بطريقة سهلة، يستطيع معها أن يعرف الحق الإلهى بلا عناء. كما أن هذه الطريقة تسهل العمل على المشتغلين بهذا العلم، فيستطيعون أن يعلموا البشر حقائق الديانة بأسلوب منظم، يتفق وتركيب العقل الإنسانى الذى يستسيغ الحقائق إن عرضت عليه بشكل منظم مرتب.

فإذا كانت غاية علم اللاهوت العقيدى إعلان حقائق الديانة تحقيقا لخلاص نفس الإنسان، فإنها بالحق غاية مقدسة وطاهرة ترفع من مرتبة هذا العلم، وتبين مدى فائدته وقيمته والحاجة الماسة إليه، وكيف أنه لازم لكل مسيحى، فضلا عن رجل الدين. وإذا كانت العلوم الأخرى تبحث فى الطبيعة أو الخليقة، وهى لازمة للإنسان فى مدة بقائه على الأرض فإن علم اللاهوت العقيدى هو الذى يتوقف عليه رأيه الصحيح وإيمانه المستقيم بالأمور التى تند عن قدرته الإنسانية والحقائق التى لا يراها بجواسه الظاهرة، كما أنه لازم له فى حياته الحاضرة والعتيدة، فإذا كان ذلك كذلك فإن علم اللاهوت يسمو فى غايته وقيمته وفائدته عن سائر العلوم والمعارف الإنسانية، وبالتالى فإن على المرء أن ينزل هذا العلم منزلة تليق بشرف مقصده ونبيل غرضه، وعليه أن يقبل على دراسة موضوعاته بعناية جزيلة شاعرا بأهميتها نحو خطورتها، وأن لا يتهاون فى حقيقة منها ولا فيما يترتب عليها من حقائق أو نتائج.

ثم على اللاهوتى الباحث فى حقائق هذا العلم الجليل الأثر، أن يتدبر فى فهم كل مسألة وأن لا يتسرع فى إبداء رأى عاجل، بل عليه أن يتريث ولا يقول بمبدأ إلا بعد بحث ملى واستقرار تام، مراعيا وحدة التعليم وعدم تناقض المبادىء الدينية فيما بينها، وهذا يستلزم فى الباحث سعة الإطلاع وقوة التمكن ودقة الفهم، ومعالجة المشاكل بروح صبورة جادة مخلصة أمينة محبة للحق معرضة عن الهوى والميل الذاتى، لها غرض النفع العام ومجد الله وخلاص النفوس.

مصادر علم اللاهوت العقيدى

مصادر علم اللاهوت العقيدى أربعة:

أولها: الطبيعة، ثانيها: الضمير، ثالثها: العقل، ورابعها: الوحى.

المصدر الأول: الطبيعة:

إن من يتأمل الطبيعة بفكر بعيد عن الهوى يمكنه أن يقر بوجود الخالق العظيم، الذى جمّل الطبيعة بكل بهاء وجلال، وطبع عليها عظمة فائقة تنطق بما له من حكمة عالية وقدرة سامية، فالتأمل فى الطبيعة مصدر من مصادر المعرفة اللاهوتية: فها هى الأفلاك فى سيرها تخضع لقوانين فى غاية الدقة والإحكام، وفى كل يوم يكشف الفلكيون عن حقائق جديدة تنطق باتساع هذا الفراغ الكونى واشتماله على نظام بديع جميل. الأمر الذى يدعو إلى الإيمان بوجود الله والشهادة بعظمته وجلال قدرته: ولذلك يقول النبى فى المزمور «السموات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه، يوم إلى يوم يبدى كلاما، وليل إلى ليل يظهر علما» (١) ومعناه أن السموات بما فيها من شموس ونجوم وأفلاك، وبما يستتبعه سير الأفلاك بنظام من حدوث الليل والنهار، يخبّر أن لهذه الطبيعة خالقا جبّارا.

وكذلك التأمل فى النبات والحيوان يقود إلى الإيمان بالخالق، فالنباتات الكثيرة التى لاتعد ولاتحصى والتى تخرج متنوع الثمار والفاكهة، وتركيب كل نبات منها بطريقة خاصة بكل نبات على حدة، تتفق مع طبيعته والغاية من وجوده والبيئة التى ينمو فيها ومناخها، حارا كان أو باردا أو معتدلا فضلا عن الرياح والأمطار، كل هذا يرشد الإنسان إلى معرفة الخالق الحكيم الذى خلق كل شىء بحكمة عالية فائقة الأمر الذى يستحيل أن تخلقه الصدفة المحضة.

وما نقوله عن النبات نقوله أيضا عن الحيوان، بفصائله وأجناسه وأنواعه وطبائعه وأمزجته المختلفة وتركيبه الحيوى وغذائه، وكيف يتلاءم مع طبيعته وبيئته والمناخ الذى يحيا فيه، وطريقة تناسله على نظام لا يعرف التخلف، وانقيادة بغريزة دافعة أو غرائز تمكنه من الحياة التى تحقق الغرض من وجوده، فالتأمل أيضا فى الحيوان وتشريح جسمه والوظائف التى تقوم بها أعضاؤه وأجهزته المختلفة، يقودنا أيضا إلى الدهشة والتعجب لسياسة الخالق فى خليقته وكيف أنه خلق كل شىء كاملا وليس فيه نقص، كما أنه لم يخلق شيئا بغير قصد أو غرض.

ولقد كان ولا يزال هذا التأمل فى الطبيعة مصدر من مصادر التقوى والتقرب إلى الله والإعتراف بجلاله الأقدس، ولذلك يقول أيوب الصديق «فاسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء فتخبرك أو كلم الأرض فتعلمك ويحدثك سمك البحر من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا» (٢).

---

(١) مزمور ١٩: ١.

(٢) أيوب ١٢: ٢٧.

ويقرر القديس اوغسطينوس أنه وصل إلى الله عن طريق الطبيعة فيقول: سألت الأرض فأجابت لست أنا هو.! سألت البحر وأعماقه وما فيه من زواحف وأحياء، فأجابتنى كلها: لست أنا الله.! سألت النسيم العليل، والعاصفة العاتية، والهواء وما فيه من عناصر، فقيل لى: أنت مخطىء، أنا لست الله.! سألت السماء والشمس والقمر والكواكب، فأجابتنى كلها: لست أنا مطلبك. ناجيت جميع الخلائق التى تحيط بمنافذ حواسى الجسدية، فقالت لى: أن الله ليس ههنا! إذن نبئينى أين هو!؟ فصرخت كلها بصوت واحد: هو الذى صنعنا.

ولمّا كان صوت الطبيعة برهانا كافيا يقودنا إلى الإيمان بالله ومعرفة لاهوته، فإننا نُعد ملومين إذا أظلمت قلوبنا ولم نستطع أن نجد فى الطبيعة الناطقة وغير الناطقة مصدرا لمعرفتنا عن الله: قال القديس بولس عن القوم الفجاّر فى رومية أن «غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم الذين يحجزون الحق بالإثم. إذ معرفة الله ظاهرة فيهم لأن الله أظهرها لهم: لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات، قدرته السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر»(١) . وقال الرسولان برنابا وبولس لأهل لسترة عن الله «أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيرا، يعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا» (٢) .

جاء فى سفر الحكمة:

«أن جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم، لم يقدروا أن يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة، ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها. لكنهم حسبوا النار أو الريح أو الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو لجة المياه أو نيرى السماء آلهة تسود العالم. فإن كانوا اعتقدوا هذه آلهة لأنهم خلبوا بجمالها، فليعترفوا كم ربها أحسن منها، إذ الذى خلقها هو مبدأ كل جمال، أو لأنهم دهشوا من قوتها وفعلها، فليتفهموا بها كم منشئها أقوى منها. فإنه بعظم جمال المبروءات يبصر فاطرها على طريق المقايسة، غير أن لهؤلاء وجها من العذر لعلهم ضلوا فى طلبهم لله، ورغبتهم فى وجدانه. إذ هم يبحثون عنه مترددين بين مصنوعاته، فيغرهم منظرها لأن المنظورات ذات جمال، مع ذلك ليس لهم من مغفرة. لأنهم إن كانوا قد بلغوا من العلم أن استطاعوا إدراك كنه الدهر، فكيف لم يكونوا أسرع إدراكا لرب الدهر» (٣) .

---

(١) رو ١: ١٨ – ٢٠.   (٢) أع ١٤: ١٧.   (٣) الحكمة ١٣: ١– ٩.

المصدر الثانى: الضمير

الضمير أيضا مصدر ثان لمعرفتنا عن الله وصفاته، وعن كثير من الحقائق اللاهوتية الأخرى، كوجود النفس وحريتها وخلودها والثواب والعقاب.. الخ، فالضمير فينا حكم باطنى وصوت طبيعى يكلم الإنسان شاهدا عن الله وشريعته، وهو قائد أمين يقرب النفس من الله ويقودها لمعرفة الحق والواجب والتمييز بين الخير والشر. وعلى قدر ما يكون الضمير حيا ومرهفا على قدر ما يكون مصدرا خيرا يقودنا إلى معرفة لاهوتية دقيقة. ونحن إن لم نتلق وحيا من السماء يكون الضمير السليم هو المرشد لنا إلى الحق، وإن كان إرشاده محدودا ببعض الحقائق العامة لأن الضمير هو شريعة إلهية مكتوبة أو مطبوعة فى القلب أو بعبارة أخرى هو شريعة طبيعية مفطورة فينا، وهو نور طبيعى يوجد عند جميع الخلق فى جميع المسكونة مهما اختلفت البيئات والجنسيات والديانات واللغات، كما يوجد فى جميع العصور والأزمنة، ولا يخلو منه إنسان طفلا كان أو شابا أو شيخا متحضرا كان أو متأخرا. ولذلك يمكن أن يكون هاديا كافيا للنفس الإنسانية حيث يقودها إلى معرفة الحقائق الهامة، وعلى هديه سار كثيرون من رجال الأمة الإسرائيلية وغيرهم من الفلاسفة والأمم: فابراهيم ونوح وأخنوخ ويوسف وإن كانوا يتلقون فى بعض الأحايين إرشادا مباشرا من الله، لكنهم فى أكثر أحوالهم كانوا يعتمدون على هذا الصوت الباطنى وهو الضمير، ومهما قيل من جهة الأمة الإسرائيلية قبل الشريعة الموسوية فإن الأمر أوضح بالنسبة لرجال وثنيين لم يتلقوا شريعة من السماء ومع ذلك قد اهتدوا إلى بعض حقائق لاهوتية خطيرة كوجود الله، ووحدانيته، ووجود النفس وحريتها، وخلودها، والثواب والعقاب والدينونة وهى كلها مسائل تلقوها من صوت باطنى كان يهتف فيهم ويرشدهم إلى الحق الذى تاقت إليه نفوسهم. وكما كان يهديهم إلى حقائق لاهوتية كذلك هداهم إلى المبادىء الأدبية، فبه حكموا بفساد الديانة الوثنية التى كانت تبيح إراقة الدماء وهتك الشرف والطهر والعفاف فنادوا بالفضيلة التى انتهكت حرمتها الآلهة، فكانوا خيرا من آلهتهم وهذا لا يفسره إلا صوت معلّم آخر كان فيهم، وأقوى من ميولهم ومن ميول الهتهم وأرهب سطوة منهم ومن ألهتهم، ولمّا لم يكن هذا الصوت صوت الوحى الخارجى فقد كان صوت الوحى الباطنى وهو صوت الضمير، ومنهم من عاش بالزهد والقناعة والتقشف فى عصر كان يترنح الناس فيه بالمجون والخلاعة والدعارة تحت اسم الآلهة، فكيف نفسّر هذا إلاّ بصوت الضمير، فالضمير مصدر خطير من مصادر المعرفة اللاهوتية. بل ونحن لا نستطيع أن نصدّق بالوحى ولا أن نُقنع الغير بحقيقة الوحى أو حقيقة أخرى إلهية إن لم نهب أولا بصوت الضمير.

المصدر الثالث: العقل:

أولا: لزوم العقل للإنسان

(أ) العقل يميز الإنسان عن الحيوان:

العقل قوة فى الإنسان يتميز بها تميزا جوهريا عن الحيوان، ولذلك يقولون عن الإنسان أنه حيوان ناطق أو عاقل، فإذا كان العقل هو الذى يمنح الإنسان وجوده الحقيقى كإنسان ويجعله مستحقا للقب الإنسانية، فوجب على الإنسان أن يستخدم هذا العقل ويستثمر هذه العطية التى منحت له منذ نشأته. وشأن العقل فى هذا شأن كل عضو فى الجسم قد خلق لغرض خاص ولابد أن يستخدم فى الغرض الذى وجد من أجله، بحيث إذا استخدم نما وازدهر وأثمر نفعا جزيلا للإنسان، أما إذا بطل استعماله فإنه يكسد ويظلّم ويدركه التدهور والركود.

أما أن العقل عطية من الله انفرد بها عن الحيوان فيؤيده قول الكتاب: «ولكن فى الناس روحا، ونسمة القدير تعقلهم» (١). إذا عدم العقل والفهم كان شبيها بالحيوان «إنسان فى كرامة ولايفهم يشبه البهائم التى تباد» (٢). وليس أدل على وجود العقل عند الإنسان من أنه ذو ميل غريزى إلى المعرفة والعلم، وفيه شوق دائب إلى البحث والكشف والتنقيب والإطلاع، فضلا عن أنه له استعدادا طبيعيا للاكتساب والتعلم، الأمور التى لانظير لها عند الحيوان الذى يخضع لفعل الأليات والدوافع الغريزية البحتة ولا يحركه شوق إلى معرفة أو علم. والدليل المحسوس على قوة العقل وأثرها فى الإنسان، أنه بها يُحرز تقدما مستمرا فى المعرفة بحيث يكتشف كل يوم حقيقة جديدة لم يكن يعرفها من قبل، وهكذا يرتقى فى معارفه وعلومه وأفكاره وأعماله، أما الحيوان فليس له نصيب من ذلك، فالنمل منذ أيام فرجيل وهو باق على الصورة التى قدمه فيها إلينا فرجيل، ولم يحرز رقيا أو تطورا ولا أقدم على عمل أو إكتشاف جديد لمصلحة نوعه أو جنسه. يقول القديس بولس «لما كنت طفلا، كطفل كنت أتكلم، وكطفل كنت أفطن، وكطفل كنت افتكر، ولكن لما صرت رجلا أبطلت ما للطفل» (٣). وهذا معناه أن فهم الطفل محدود وعقله لم يكتمل نضوجه بعد، ولكنه. بتقدم الأيام وبصقل العقل والملكات الذهنية، يتم النضوج الفكرى، فالعقل إذن قابل للنمو والازدهار، ويشير الرسول نفسه إلى هذه الحقيقة فى رسالته إلى العبرانيين حيث يقول «صرتم متباطئى المسامع، لأنكم إذ كان ينبغى أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان،

---

(١) أى ٣٢: ٨. (٢) مز ٤٩: ٢٠. (٣) ١ـ كو ١٣: ١١.

تحتاجون أن يعلمكم أحد، ما هى أركان بداءة أقوال الله، وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوى، لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل وأما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمّرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر» (١) . وهذا، دون شك، تطبيق لقواعد العقل الطبيعى على الذهن الروحى، ومنه نتبين على كل حال أن العقل قابل ومستعد للاكتساب والتعلم والنمو فى المعرفة وأن هذا نتيجة لاستثماره وتمرينه وصقله، وأن الإنسان الجدير بلقب الإنسانية هو من يستخدم عقله ويصقل ملكاته الذهنية، وأنه بهذا كله يحقق إرادة الله من منحه العقل التى تميزه عن الحيوان.

أليس من الحق أن يقال عن الإنسان الفاقد العقل أنه شبيه بالحيوان؟ ها هو إنسان قد سلبه الشيطان عقله فجعله يسكن فى القبور يصيح ويجرح نفسه بالحجارة، وقد ربطوه بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكّسر القيود، وهكذا استحال إلى حيوان ولم يقدر أحد أن يذلله، فلّما شفاه الرب من مرضه عاد إليه عقله. وتغّير تبعا لذلك مسلكه، فرآه الناس بعد ذلك «جالسا ولابسا وعاقلا» (٢) وفرق بعيد بين حالته وهو مجنون فاقد العقل. وبين حالته وقد عاد إليه عقله كالفرق بين الوحش والإنسان، والأمر كذلك بالنسبة إلى نبوخذ نصر ملك بابل إذ أنه لمّا فقد عقله، طرد من بين الناس، وأكل العشب كالثيران وابتل جسمه بندى السماء حتى طال شعره مثل النسور وأظفاره مثل الطيور. ولكنه حين عاد عقله إليه رجعت إليه خصائصه الإنسانية التى كان قد فقدها بفقده عقله، فها هو يقول: «وعند إنتهاء الأيام أنا نبوخذ رفعت عينّى إلى السماء فرجع إلىّ عقلى، وباركت العلىّ وسبحت وحمدت الحىّ إلى الأبد.. (إلى أن يقول) فى ذلك الوقت رجع إلىّ عقلى وعاد إلى جلال مملكتى ومجدى وبهائى، وطلبنى مشيرىّ وعظمائى، وتثبّت على مملكتى، وازدادت لى عظمة كثيرة» (٣) .

وهذا كله يكفى للتدليل على أن الخاصية الأولى التى يتميز بها الإنسان عن الحيوان هى العقل فإذا خسرها أو فقدها استحال إلى حيوان. قال الحكيم سليمان «خزامة ذهب فى فنطيسة خنزيرة، المرأة الجميلة العديمة العقل» (٤) .

---

(١) عب ٥: ١٢- ١٤. (٢) مر ٥: ١٥. (٣) دا ٤: ٣٣- ٣٦. (٤) أم ١١: ٢٢.

(ب) الرذيلة تفسد العقل:

كل عَطية إذا لم تستغل فى الغرض الذى من أجله وهبت تفسد وتضر وقد تنقلب إلى أداة لهدم المرء وهلاكه، وكذلك العقل تفسده الرذيلة وتطفىء من نوره، وضيائه وهذا سر غباوة الأشرار فى سلوك سبل معوجة يأباها العقل السليم الذى يبّصر العقلاء بعواقب الأمور، ولذلك يقول النبى عن الشرير «كلام فمه اثم وغش. كفّ عن التعقل، عن عمل الخير» (١). ويؤيده النبى إشعياء فى حديثه عن الأشرار فيصفهم بأنهم: «لا يعرفون ولا يفهمون: لأنه قد طمست عيونهم عن الإبصار، وقلوبهم عن التعقل» (٢). فالرذيلة تطمس البصيرة وتطفىء نور العقل ولذلك يشاء الله أن يسلّمهم إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق، ومن هنا فقد يسلب الله عقل الخطاة منهم غضبا عليهم ونقمة منهم نظرا لفساد قلوبهم وعدم خلوص نيتهم، وفى هذا يقول أيوب الصديق واصفا موقف الله من الأشرار: «ينزع عقول رؤساء شعب الأرض، ويضلهم فى تيه بلا طريق، يتلمسون فى الظلام وليس نور» (٣). فإذا نزع من المرء عقله تخبط فى ظلام دامس، وجلب على نفسه الهوان والشقاء. قال الحكيم سليمان «الحكيم عيناه فى رأسه. أما الجاهل فيسلك فى الظلام» (٤) وقال النبى هوشع: «وشعب لا يعقل يصرع» (٥). ذلك أن حرمانه من نور العقل وإرشاده يجعله غير مكترث لعواقب الشر ونتائج الخطيئة ولذلك يحسب الخاطىء فى نظر الفضلاء عديم العقل، وفى هذا يقول الحكيم: «أما الزانى بإمرأة فعديم العقل» (٦).

(جـ) الفضيلة تنير العقل:

وبينما الرذيلة تفسد العقل نجد الفضيلة تزيد العقل نورا واشراقا وضياء لأنها وحدها التى ترشد العقل إلى الطريق النافع الذى يجب عليه أن يسلكه، وفى هذا الطريق غناؤه واشراقه وقد كشف لنا الكتاب المقدس عن حقيقتين هامتين فى هذا الصدد. أما الحقيقة الأولى فهى أن شريعة العلى هى نور للعقل تبصره بالحق واليقين والسلوك الأمين، والحقيقة الثانية هى أن الله تعالى هو الذى يمنح هذه الإستنارة لأنه أودعها نتيجة مباشرة فى الفضيلة واتباع وصاياه. وعن الحقيقة الأولى قال النبى داؤد: «أكثر من كل معلّمى تعقلت لأن شهاداتك هى لهجى» (٧). وقال أيضا مناجيا الرب: «فتح كلامك ينير، يعقل الجهّال» (٨). وعن الحقيقة الثانية قال الكتاب عن دانيال

---

(١) مز ٣٦: ٣. (٢) إش ٤٤: ١٨. (٣) أى ١٢: ٣٢.
(٤) جا ٢: ١٤. (٥) هو ٤: ١٤. (٦) أم ٦: ٣٢.
(٧) مز ١١٩: ٩٩. (٨) مز ١١٩: ١٣٠.

والفتية الثلاثة «أما هؤلاء الفتيان الأربعة، فأعطاهم الله معرفة وعقلا فى كل كتابة وحكمة، وكان دانيال فهيما بكل الرؤى والأحلام» (١).

(د) الله يمدح العقلاء ويحبهم:

وقد أعلن الرب رضاه وأظهر حبّه من نحو العقلاء، ذلك لأنهم يستخدمون عقولهم فى الغرض السامى الذى من أجله أودعت فيهم وهى أن تكون نورا لهم يرشدهم إلى حسن التصرف فى الحياة، وإلى الفهم الحقيقى لأسرار الوجود ومستلزمات الحياة الكاملة، وإلى التعبير الحكيم عن مكنونات الحياة المتزنة العاقلة ولذا يقول الحكيم سليمان «فى شفتى العاقل توجد حكمة» (٢). ويقول أيضا «البيت والثروة ميراث من الآباء، أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب» (٣). وهذا معناه أن العاقل يفيض فمه بالحكمة ويمتاز تصرفه بالاتزان، وأراؤه بالسداد وهذا كله يتوفر فى حياة القديسين الذين تحكموا بشريعة السماء وتعقلوا بتعليم العلى، ولذلك قيل عن دانيال النبى: «أنه كان يجيب بحكمة وعقل» (٤)، ولا شك أن هذه كلها فضائل سماوية يجب أن يشهدها الرب فى عبيده الذين خلقهم على صورته ومثاله، فالشاب الذى فهم مقصود رب المجد قال عنه الكتاب «فلما رآه يسوع أنه أجاب بعقل قال له: لست بعيدا عن ملكوت الله» (٥). ولقد توفرت تمام التوفر فى المثل الأعلى للإنسانية الكاملة حيث وصفه النبى إشعياء بقوله: «هوذا عبدى يعقل، يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا» (٦).

(هـ) العقل زينة القديسين:

وليس يمدح الله العقلاء فحسب وإنما يبين أيضا أن العقل هو الذى يزين حياة القداسة، ذلك لأن القديسين يحتاجون إلى العقل الذى يحكم تصرفهم ويهدى أفكارهم المتزنة، وتصرفاتهم الحكيمة تزين التعاليم والمبادىء التى يعيشون وفقا لها، فيبدو جمال هذه التعاليم ورصانة هذه المبادىء بسبب ما يبدو منهم من تعقل فى الفكر والقول والعمل. ومن أجل هذا يشترط الوحى فى النساء المسيحيات القديسات «أن يزّين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع **وتعقل**» وأنهن سيتمتعن بالخلاص الأبدى «إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع **التعقل**» (٧). ويطالب الأشياخ أن يكونوا صاحين ذوى وقار متعقلين «والحدثات أن يكن «متعقلات عفيفات» وكذلك الأحداث «أن يكونوا متعقلين» (٨) بل ويطالبنا جميعا رجالا وسيدات، شيوخا وأحداث «أن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش **بالتعقل** والبر والتقوى» (٩).

---

(١) دا ١: ١٧. (٢) أم ١٠: ١٣. (٣) أم ١٩: ١٤.
(٤) دا ٢: ١٤. (٥) مر ١٢: ٣٤. (٦) إش ٥٢: ١٣.
(٧) ١. تى ٢: ٩، ١٥. (٨) تى ٢: ٢، ٥، ٦. (٩) تى ٢: ١٢.

(و) لزوم التعقل لرجال الديـن:

وإذا كان التعقل لازما لكل إنسان، وهو ما يتميز به المسيحى، الفاضل، عن غيره من الأشرار والخاطئين، فإنه ألزم لرجل الدين أسقفا كان أو قسا أو شماسا. هو لازم له بوصفه تقيا يصدر فى أعماله عن عقل راجح وفكر متزن، ثم بوصفه قائدا للمؤمنين والقيادة تستلزم أول ما تستلزم صفة التعقل والحكمة لتكون قيادته وقورة رشيدة، فموسى النبى عندما أراد أن يقيم على الشعب رؤساء، اشترط فى هؤلاء الرؤساء أن يكونوا عقلاء «هاتوا من أسباطكم رجالا حكماء **وعقلاء** ومعروفين، فأجعلهم رؤوسكم» (١)، وهذا عينه ما اشترطه الكتاب المقدس فى الأسقف، فقال يجب «أن يكون الأسقف بلا لوم، بعل امرأة واحدة، صاحيا، عاقلا، محتشما، مضيفا للغرباء، صالحا للتعليم» وقال أيضا «يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل لله.. متعقلا» (٢).

وإذن فالعقل لازم لرجل الدين أولا، من حيث هو إنسان، وثانيا من حيث هو مسيحّى، وثالثا من حيث هو وكيل الله وقائد للمؤمنين.

ثانيا: فوائد التعقل للمرء فى الحياة

(أ) ينقذ المرء من الشرور:

فالعقل هو الذى يرشد الإنسان إلى إلتزام الصمت تخلّصا من الشرور التى تنجم عن الكلام، وعن هذا يقول الحكيم «كثرة الكلام لا تخلو من معصية، أما الضابط شفتيه فعاقل» (٣)، ويقول عاموص النبى «لذلك يصمت العاقل فى ذلك الزمان لأنه زمان ردىء» (٤). وهو الذى يصدّ الناس عن ارتكاب الخطيئة والشر ولذلك يخاطبهم الوحى قائلا «افهموا أيها البلداء فى الشعب، وياجهلاء متى تعقلون» (٥)، فيعلم الغضوب أن يأتى ويتريث قبل أن يشتعل بالغضب إذ أن «تعقل الإنسان يبطىء غضبه» (٦)، ويعلم المتكبر أن يتوقف عن كبريائه وغطرسته «فالآن أيها الملوك تعقلوا، تأدبوا يا قضاة الأرض» (٧) ويقود الإنسان إلى التصرف الحكيم الذى يخلصه من بلايا الناس وشرورهم، وبهذا اعترف داود إلى أبيجايل قائلا: مبارك عقلك ومباركة أنت لأنك منعتِنى اليوم من إتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى(٨) لأنها تصرفت بما أنقذ زوجها وكل بيتها من مصيبة دماء تهلكهم جميعا، ولعلّ النبى سليمان كان يفتكر فى فوائد التعقل للإنسان بصفة مجملة حين قال: «فالعقل يحفظك والفهم ينصرك، لإنقاذك من طريق الشرير ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب» (٩).

---

(١) تث ١: ١٣.
(٢) ١. تى ٣: ٢، تى ١: ٨.
(٣) أم ١٠: ١٩.
(٤) عا ٥: ١٣.
(٥) مز ٩٤: ٨.
(٦) أم ١٩: ١١.
(٧) مز ٢: ١٠.
(٨) ١. صم ٢٥: ٣٣.
(٩) أم ٢: ١١.

(ب) ويبصره بعواقب الأمور:

فالعقل يحكم الإنسان ويجعله بعيد النظر، فلا يكتفى بالحاضر بل يمتد ببصره إلى الأمام مقدرا العواقب والنتائج، «من يجمع فى الصيف فهو ابن **عاقل**، ومن ينام فى الحصاد فهو ابن مخز» (١)، فالعقل هو المنظار المقرب يستعين به المرء على معرفه النتائج المحتمة الناجمة عن مقدماتها، ولذلك يتنبأ النبى موسى عن نهاية الشعب الإسرائيلى الذى يخالف شريعة الله ويصفهم بأنهم «أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم»، لأنهم «لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم» (٢) أما الذى يتحكم بالشريعة ويعمل بوصية الله، فهو حكيم عاقل بصير بالعواقب يشبهه الرب «برجل **عاقل** بنى بيته على الصخر» (٣).

ثالثا: مدخل العقل فى شئون الدين

على أن العقل لازم لا لشئون الحياة فحسب، بل هو لازم كذلك فى شئون الدين ومن ذلك أن:

(أ) العقل يقود إلى الإيمان:

فيمكن للباحث ارتكانا على العقل والعقل وحده، أن يتوصل إلى حقائق إيمانية هامة كوجود الله ووحدانيته ووجود النفس الإنسانية وروحانيتها وخلودها وحريتها ومسئوليتها، ووجوب وجود رابطة الديانة بين الإنسان وبين الله. فكثير من الفلاسفة ممن ينكرون الوحى أو على الأقل لا يرتكنون إلى الوحى فى إثبات الحقيقة، صدقوا بهذه العقائد الإيمانية أو بالحرى توصلوا إليها عن طريق الإستدلالات العقلية والبراهين المنطقية الصرفة، ولذلك نعتبر العقل مصدرا من مصادر علم اللاهوت العقيدى من حيث أنه يقودنا إلى كثير من الحقائق المتعلقة بالله والإنسان.

(ب) العقل يرشد إلى الدين الحقيقى:

ففى العالم أديان مختلفة تنادى بمبادىء مختلفة والإنسان لا يستطيع أن يؤمن بها جميعا لأن الحق واحد غير متعدد، فلا بد من مقياس نقيس به الحق فى كل دين، ولا بّد من حكم نحتكم إليه فى الاهتداء إلى الدين الحقيقى من بين هذه الأديان. وهذا المقياس أو الحكم هو العقل الذى يقارن ويميز بين الحق والباطل ويفصل بين الخير والشر، فلما ينتهى العقل من مهمته يقوم الضمير حينئذ بمهمة الدعوى إلى الدين الحقيقى ورفض الديانة الباطلة فيعتنق الحق وينكر الباطل.

---

(١) أم ١٠: ٥.
(٢) تث ٣٢: ٢٩.
(٣) مت ٧: ٢٤.

(جـ) العقل يتفهم حقائق الإيمان:

فإذا آمن المرء بالدين الحقيقى وصدق مبادئه أنها حقة وصادقة، فإن العقل لا يقف بعد ذلك عمله بل يقوم بمهمة أخرى، هى تفهم هذه الحقائق الإيمانية حتى تنضج وتتميز ويزول منها الغموض والابهام وتتميز عن غيرها من المعارف بل وتتميز فيما بينها أيضا. وفى هذا يقول الآب مونسابريه Monsabre «أن العقل يبدد غياهب الإلتباسات اللفظية التى نعالج بها الحقيقة، ويفحص ما هو حسن فى كل عقيدة، ويقابل الطبيعة بما فوق الطبيعة، ويجلو مابينها من النسب العجيبة»، وبعبارة أخرى أن العقل يقوم بمهمة تفسير الديانة وشرح غوامضها وإيضاح حقائقها بما لا يتناقض مع قوانين الفكر الأساسية وقوانين المنطق (١).

(د) العقل يحاج ويناضل عن الإيمان:

إن للديانة خصوما أشداء وهم على أنواع مختلفة: فإما أن يكونوا قوما كافرين بحقائقها كلية ولا يؤمنون بغير عقولهم، فهؤلاء لا يمكن أن نؤيد لهم حقائق الدين بنصوص من الوحى، بل لابد أن نجيبهم بالأدلة العقلية. والعقل هو الذى يقوم بهذه المهمة حيث يبرهن على حقائق الدين دون استعانة منه بالوحى. وأما أن يكونوا قوما مؤمنين بالديانة ولكنهم يفهمونها على صورة خاطئة، وفى هذه الحالة نضطر إلى اظهار فساد رأيهم بإثبات معارضته لنصوص أخرى من الديانة، أو بإظهار فساد النتائج التى تنتهى إليها آراؤهم مما يتعارض وروح الديانة الحقة، ونحن فى هذا وذلك نستعين بالمقايسة والمقارنة العقلية، ونرفض الفكرة على أساس مبدأ عدم التناقض، وهو مبدأ عقلى بحت من قوانين الفكر الأساسية .فعلم الجدل فى الواقع، علم عقلى لأنه يقوم بتفنيد الاعتراضات محتكما فى ذلك إلى العقل.

وعلى ذلك فالعقل هو الصلة أو الرباط الذى يربط خارج النفس بداخلها، فالحقائق الدينية لكى تثبت فى النفس أو تنتقل إلى النفس لابد أولا أن تمر بالعقل، فإذا حكم بأنها موافقة لروحه وغير مناقضة لمبادئه سمح لها بالمرور إلى أعماق النفس، ثم هو الذى يقوم بترتيب هذه الحقائق وتنظيمها وتنسيقها حتى تكتسب بذلك قوة وجمالا، ثم يخرجها عند الحاجة على نسق موافق للموقف الخارجى: وبهذا يتمكن المرء من أن ينقل الحقيقة الدينية منه إلى غيره من الناس أى أن تعليم الآخرين يقوم على استخدام العقل من جهتين: من جهة المعلّم أو المتكلم الذى يرتب المعلومات والحقائق وفقا لحاجة السائل أو المتعلم، ثم من جهة المتعلم نفسه الذى يقبل هذه الحقائق إذا رآها مناسبة لعقله موافقة لمنطقه.

---

(١) يقول النبى «من كان حكيما يحفظ هذا ويتعقل مراحم الرب» (مز ١٠٧: ٤٣).

(هـ) العقل يجعل الإيمان خصبا:

فالإيمان يقود إلى الديانة، والديانة تستلزم العبادة، والعقل يتدخل فى العبادة فيجعلها عبادة صادقة بحيث أنها لو خلت من العقل أو شرد العقل منها، استحالت إلى عبادة نافلة لا غناء فيها ولا قوة، ولهذا يحتم الوحى أن تكون العبادة عقلية فيقول: «فاطلب إليكم أيها الإخوة، برأفة الله، أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله، عبادتكم **العقلية**» (١) ويقول يشوع بن سيراخ: «فى ذخائر الحكمة العقل والعبادة عن معرفة» (٢).

(و) العقل يميز بين الخير والشر فى السلوك الدينى:

والمرء إذن يحتاج إلى العقل حتى يسلك فى وصايا الديانة لأنه هو الذى يعرفه بجمال الفضيلة وقبح الرذيلة وقوة الخير وضعف الشر، وحكمة الاستقامة وجهالة الخطيئة. يقول الحكيم «درت أنا وقلبى لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا، ولأعرف الشر أنه جهالة والحماقة أنها جنون» (٣).

المصدر الرابع: الوحـــى:

إذا كان العقل والطبيعة والضمير مصادر للمعرفة الدينية والعقائد اللاهوتية، فإن الوحى مصدر رابع لهذه المعارف والعقائد الإيمانية، بل هو أهم هذه المصادر الأربعة جميعا لأن تلك المصادر الثلاثة الأولى ناقصة وغير كاملة ولا تصلح وحدها بدون الوحى لأن تكون منبعا أمينا لعلم اللاهوت العقيدى وحقائقه، ولذا فإن الوحى بمفرده يؤلف علم اللاهوت الفائق الطبيعة، بينما المصادر الأخرى من الضمير والعقل والطبيعة تؤلف علم اللاهوت الطبيعى، وتسمى هذه المصادر باسم عام يدل عليها معا وهو «الطبيعة» ذلك أن الضمير والعقل ومخلوقات الله جميعا كلها تؤلف مدلول كلمة «الطبيعة» لأنها مصادر موجودة فى الطبيعة ناطقة كانت أو غير ناطقة. وقد تسمى المعارف النابعة من هذه المصادر بالمعارف الطبيعية، ويسمّى الارشاد النابع منها «بالنور الطبيعى»، لكن الوحى يسمى بما هو فوق الطبيعة وبنور الوحى الإلهى.

(١) معنى الوحـــى:

الوحى بالعربية الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفّى، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك، ويقال أوحى إليه بمعنى كلّمه بكلام يخفيه، وهو بالإنجليزية «النفث الإلهى» divine inspiration ويقال على وجه الخصوص عن التأثير الإلهى فى كتبة التوراة. والوحى باللغة الفرنسية يسمّى revelation وهو «الإعلان» أو التنزيل الإلهى divine inspiration

---

(١) رو ١٢: ١.   (٢) يش ابن سيرا ١: ٢٥.   (٣) جا ٧: ٢٥.

والمرادف لفعل reveler بالفرنسية بمعنى أوحى أو أظهر، هو الفعل devoiler بمعنى كشف النقاب أو أزاح القناع Oter le voile فإذا قيل أن الله أوحى إلينا بحقيقة ما فمعناه أنه تعالى كشف القناع أو أزاح الستار الذى كان يخفى هذه الحقيقة.

(٢) الوحى والإلهام:

الإلهام فى اللغة «ما يلقى فى الروح»، وهو بهذا المعنى قريب من الوحى، غير أن من العلماء من يفرق بين الوحى وبين الالهام على أساس أن الوحى هو اعلان من الله على يد وسيط، أما الإلهام فهو اتصال الله بروح عبده اتصالا مباشرا بغير وسيط فهو نفث فى الروح، وهذا هو الفرق بين الأنبياء وبين الأولياء عند المسلمين، أن الأنبياء يتلقون وحيا من الله عن طريق ملك من السماء، بينما الأولياء يقذف الله فى قلوبهم نوره قذفا باتصال سرّى مباشر. ولكن آباء الكنيسة يصطلحون على أن كلمة الوحى للإشارة بها إلى إعلانات العلّى إذا كانت مجهولة أو تتناول أمور مستقبلة، ويخصون بالإلهام هذا الإرشاد الإلهى الذى يحرّك قلوب البعض لتبليغ غيرهم حقائق معروفة.

(٣) الوحى وقسماه: الإعلان والإلهام:

فالوحى عند علماء الدين وأئمة الكنيسة ينقسم إلى قسمين:

أولهما، الإعلان وثانيهما، الإلهام، والوحى يشملهما معا. أما الإعلان فهو الإخبار بأمور مجهولة، وبهذا المعنى يكون الإعلان والنبوءة بمعنى واحد. فيخبر الله نبيّه أو من يسّر بإعلان إرادته له، بأمور لا سبيل إلى معرفتها عن طريق طبيعى أو عن غير طريق الله. أما الإلهام فهو الإخبار أو التبليغ بأمور كانت سابقا معروفة، ولكن قد تكون بمضىّ الزمان قد نسيت أو أهملت أو زيد عليها أو شوهت حقيقتها، فيشاء الله أن يعلن حقيقة هذه الأمور بغير إضافة أو تحوير، تذكرة للبشر وتعليما لهم، فكأن الإلهام هو بيان لحقائق معروفة قديما أو إيرادها على حقيقتها بلا زيادة أو نقصان ودون خطأ أو زلل، وهو يجرى إذن على الأمور التاريخية التى سبق معرفتها والعلم بها بغير إعلان إلهى.

وثمة فرق بين الإعلان والإلهام من حيث أن الإلهام اتصال إلهى مباشر بقلب النبى وروحه أى أنه اتصال داخلى أو تلقين باطنى، بينما الإعلان لا يقتصر على هذا الإتصال السرّى وحده بل قد يشمل الإتصال الجهارى بصوت مسموع أو الإتصال عن طريق وسطاء هم الملائكة: فحديث الله إلى آدم وقايين وابراهيم وموسى كان أحيانا بصوت جهارىّ، وهكذا حديث الله على الجبل إلى جميع بنى إسرائيل، وحديث الآب وشهادته عن ابنه وكلمته فى نهر الأردن، وبهذا

المعنى يصح أن يقال عن جمهور بنى إسرائيل أو جمهور الواقفين على الأردن أنهم جميعا تلقوا من الله إعلانا إلهيا، ولا يقال أنهم تلقوا إلهاما أو أنهم ملهمون، فالإعلان قد يكون لأكثر من واحد، بينما الإلهام لواحد، والإعلان قد يكون بصوت مسموع أو بواسطة ملائكة كما كان الشأن مع يشوع بن نون، وزكريا، وبعض قضاة بنى إسرائيل، بينما الإلهام يكون بطريق سرّى وبغير وسيط.

وأخيرا يختلف الإلهام عن الإعلان فى أن الإعلان إخبار إلهى، صادق كله صدقا داخليا وخارجيا، بينما الإلهام قد يشتمل على أمور صادقة وأمور غير صادقة، لكنه مع ذلك إخبار صادق غير أنه صدق خارجى بالنسبة لبعض الأمور، وصدق داخلى وخارجى بالنسبة لبعضها الآخر: فقد نجد فى الكتاب المقدس بعض أقوال لقوم أشرار أو على الأقل غير ملهمين، أو بعض شهادات ومزاعم لعلماء أو لشياطين، وهذه جميعا أقوال باطلة أحيانا وكاذبة أحيانا أخرى وخبيثة أحيانا ثالثة، ومع ذلك فالوحى أو الإلهام كان صادقا فى إيرادها على حقيقتها كما صدرت من أفواه قائليها، فصدقها صدق خارجى وإن لم يكن داخليا، وبعبارة أخرى يكون الإخبار بهذه الأقوال والنصوص إخبارا صحيحا وإن كانت هى فى ذاتها كاذبة أو باطلة.

(٤) الوحى والإرشاد الروحى:

إن للروح القدس فى قلوب المؤمنين تأثيرا إلهيا فهو يقوم بعمل الإرشاد والتنبيه والإنارة والتعليم والتذكير. بيد أن هذا الإرشاد الروحى يختلف اختلافا ويتميز تميزا عن الوحى: فالإرشاد الروحى يرافق المؤمنين المستنيرين بنعمة الروح القدس فى سر الميرون، ويظل هاديا لهم طالما كانوا فى روح الطاعة والقداسة والطهارة وطالما كانوا منقادين فى تصرفاتهم بروح الله، أما الوحى فهو عبارة عن عمل الروح القدس فى عقل الملهم أو النبى فى وقت النبوءة أو الإلهام بحيث أنه يجوز أن يكون لقوم أشرار وعصاة، ولكن الروح القدس يعصمهم من الوقوع فى الخطأ فيما يوحى إليهم به: فشاول الملك وقد كان شريرا فارقه روح الرب وبغته روح ردئ ومع ذلك كان يتنبأ. (١) وقيافا رئيس الكهنة كان عنيدا ضد الحق ولكن الكتاب المقدس شهد عنه أنه تنبأ فقال «خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولاتهلك الأمة كلها، ولم يقل هذا من نفسه، بل إذ كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة» (٢).

---

(١) ١ صم ١٩: ٢٤.

(٢) يو ١١: ٥٠.

على أن الوحى والإرشاد الروحى، كلاهما من فعل الروح القدس، والفرق بينهما كالفرق بين الروح القدس فى العهد القديم وعمل الروح القدس فى العهد الجديد، فحلول الروح القدس فى القديم كان حلولا مؤقتا ولغرض خاص وعلى إناس مخصوصين (الأنبياء والملوك والكهنة) فهو موقوت بزمان تبليغ النبوءة أو الوحى، ولقصد إبلاغ أو إعلان إرادة الله، التى كانت تعلن لفرد يختاره الله ويكلفه بمهمة التبليغ للشعب بأكمله. أما حلول الروح القدس فى العهد الجديد فحلول دائم فى قلوب القابلين لسر الميرون، وعمله فيهم ارشاد وتذكير وإخبار بأمور آتية وتقديس وتطهير وليس وحيا وإعلانا فقط، كما أنه لجميع المتمتعين بنعمة الميرون أو المسحة وليس للأنبياء أو الملوك أو الكهنة فحسب كما كان فى العهد القديم.

(٥) تعريف الوحــى:

وعلى ذلك يمكن أن نعرّف الوحى بأنه إعلان من الله للبشر جميعا أو لمن ينوب عنهم، بما يريد كشفه لهم من أمور يجهلونها لكنها ضرورية لسعادتهم، بطريقة فائقة الطبيعة أو خارجة عن العقل أو الطبيعة، وخالية من كل زلل ونقص وخطأ.

(٦) لزوم الوحــى:

إذا كان الله يتدخل ليعلم البشر مالا يستطيعون أن يتوصلوا إلى معرفته بالنور الطبيعى، فما ذلك إلاّ لأن الحقائق التى يشاء كشفها لهم ضرورية ولازمة لقيادة نفوسهم إلى طريق الكمال، الذى بدونه يحرم الإنسان من ميراث ملكوت السموات، ولذلك لا يهتم الوحى أن يبلغنا حقائق العلوم من حساب وهندسة وطبيعة وكيمياء لأن جهل الإنسان بهذه الحقائق لا يفقده السماء، بينما جهله بحقائق الوحى يحرمه من امتيازات أبدية وسعادة مقيمة.

(٧) إمكان الوحــى:

ينكر العقليون إمكان الوحى ويزعمون أنه يناقض العقل ويحتوى على أمور مستحيلة، ويرى المؤمنون أن الوحى لا يناقض العــقل وأن العــقل لا ينكر الوحى، وأن ليس فى الوحى من مستحيل على العقل أن يقبله ذلك لأن الوحى إعلان إلهى، معلنه هو الله، والمعلن له هو الإنسان، وعدم إمكان الوحى معناه إستحالة الإعلان الإلهى إما من جانب الله الذى يعلنه، أو من جانب الإنسان الذى يعلن له، أو من جانب الحقيقة التى يشاء الله إعلانها للإنسان. فإذا لم يكن ثمة مانع من هذه الجوانب الثلاثة كان الوحى ممكنا.

(أ) الوحى ممكن من جانب الله: ولم لا؟ أليس الوحى إعلانا للحق وتبليغا للحقيقة؟ ومن أولى بتبليغ الحق من الحق نفسه ومن أعرف بالحقيقة من الحقيقة ذاتها؟ وإذا كان هو الحق أو هو الحقيقة فهل يعجز عن إيصالها للبشر؟ فإن سألت عن وسيلة التبليغ قلت ليس لك أن تبحث عن هذا إذ يكفيك أن تؤمن أنه «القدير على كل شيء» وهو يستطيع أن يبلغ الأناس إرادته سواء بالكلام والإعلان الشفاهى، فخالق النطق لا يعجز عن الكلام، أو بكشف الحقيقة لعين القلب بلا وساطة من حس أو عقل أو تفكير أو تصور.

فإن قلت أنى لا أشك فى قدرة الله، ومع ذلك لا أؤمن بالوحى قلت، إذا كان الله كلى القدرة فلا يمنعه من إعلان ارادته للبشر مانع، مادام يحب البشر ويريد خيرهم ويرغب فى معونتهم، إذ الله كلّى الصلاح أيضا، والصالح يحب خير غيره، ولا يرضى بضلاله وشقائه، وهو كلى المحبة بل كله محبة أو هو محبة، والمحبة تقتضى الإقتراب إلى المحبوب كما تقتضى النجوى والكشف أو الوحى.

ولكن منكرى الوحى يعودون فيقولون: يستحيل القول بالوحى إذا كنا نؤمن بإله جليل عظيم القدر لا حدّ ولا نهاية لعظمته وجلاله، فأنىّ للإنسان هذا الكائن الحقير، أن يتلقى وحيا من الله العظيم إنه لتنازل من الله غير معقول، بل أنها لحطة لمقامه السامى أن يكلم الإنسان. وما أصاب العقليون فى إنكار الوحى وإستحالته وان كانوا أصابوا فى تعظيم الله وإجلاله. ومن يقول أن عظمة الله غير المتناهية تحول دون إعلان مشيئته للبشر؟ إن المسيحية تشعر أن مما يزيدها إعتبارا وإجلالا لله، ليس هو إيمانها بإله جامد متباعد عن خليقته، بل إيمانها بإله محب عطوف شفوق قريب من خلقه، يعينهم كلّما شعروا بحاجتهم إلى غوثه ومعونته، وليست حقارة البشر وضآلة قدرهم إلا سببا موجبا لظهور عنايته بهم ومساعدته لهم.

فلعل فى هذه الردود مقنعا للعقليين الذين يقيمون من صفات الله أسبابا لإنكار الوحى، ولكن لله صفات أخرى تبدو لهم مناقضة لعقيدة الوحى: ذلك أنهم لا يرون للوحى فائدة فنسبة الوحى إلى الله كنسبة الجهالة إليه تعالى وهذا يتنافى مع الإيمان بحكمة الله: أما أن الوحى عبث لا طائل تحته فهذه قضية يرفضها المؤمنون بحماس شديد، لأنهم يعتقدون أن الوحى أعلن لهم حقائق ضرورية لسعادتهم وما كان لهم أن يتوصلوا إليها بغير معونته، فالوحى مفيد وضرورى، وحكمة الله تقتضى أن يعلن للبشر كل ما هو مفيد وضرورى لهم.

هذا، والوحى عند العقليين يطعن فى ثبات الله وعدم تغيره، لأنه أعلن للبشر بعد عمل الخليقة وفى زمان متأخر، وهذا وهم ومحض افتراض لأن الله حين يوحى بالحق إلى الإنسان لا يعتوره تغيير أو تبديل، لأنه فعل ذلك بإرادة واحدة أزلية غير متغيرة، وشأنه فى ذلك شأن القائد الذى يضع خطة معينه أنه يغزو هذه المدينة قبل تلك. فتتميم الخطة وإن كان ينجز فى أزمنة مختلفة لكن خطة القائد مع ذلك لم تتغير ولا يعد القائد لذلك متغيرا، إذا فالله لا يتغير، وإنما الإنسان هو الذى يتغير علمه بعد الوحى عنه قبل الوحى، وهذا كله بغرض أن الوحى لم يعلن للإنسان إلاّ متأخرا، والحق أن الله أعلن إرادته للإنسان منذ اللحظة التى خلقه فيها حين أوصاه أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، حقا إنه لم يكن وحيا كتابيا ولكنه كان وحيا شفاهيا.

وللعقليين اعتراض أيضا على الوحى من حيث أنه يتنافى وكمال الخليقة التى خلقها الله، لأن الله خلق الخليقة كاملة فلا تحتاج منه إلى تدخلٌ جديد عن طريق الوحى، فالوحى إذن يستلزم أن يفترض النقص وعدم الكمال فى خليقة الله. لكن العقليين قد فاتهم أن الطبيعة الإنسانية قد فسدت ولم يعد العقل ولا الضمير أو النور الطبيعى بكاف للإرشاد إلى الحق، فلزم تدخل الله عن طريق الوحى، فالوحى إذن لا يفترض النقص فى خليقة الله، ولكنه يسلّم أن طبيعة الإنسان كاملة فى خلقها لكّن الشر قد أفسدها، وما الوحى إلاّ يد الله يقدمها لإقالة الإنسان من عثرته وتطهيره من خطيته.

وأخيرا إذا كان العقليون يرون أن فكرة الوحى تتهم عدالة الله، من حيث أن الوحى إعلان لقوم دون آخرين، فإن المؤمنين ينكرون هذا الإتهام ويرون أن الله غير ملتزم بإعلان إرادته رأسا لكل إنسان، ويكفية أن يعلنها لفرد أو أفراد ويكلف هؤلاء بتبليغ إرادته إلى الباقين، وبهذا يكون الوحى معلنا للجميع، غير أنه قد أعلن لفريق الأنبياء بدون واسطة، وللشعب بواسطة وذلك لأن الوحى يستلزم فى الموحى إليه به شروطا لا تتوفر فى جميع الناس، فليس من المناسب أن يعلن الله إرادته رأسا لكل بشر، فليس من عدم العدالة أن يعلن الله وحيه على الطريقة التى إختارها لأنها مناسبة وموافقة من جميع الوجوه.

وإذن فصفات الله تقتضى الوحى لأنه محب جواد كلى الصلاح والقدرة وليست قداسة الله أو عظمته أو ثباته أو عدالته بمانعة له من إعلان مشيئته للبشر، بل هى على العكس تقتضيها وبعبارة أخرى، أن الوحى ممكن من جانب الله.

(ب) الوحى ممكن من جانب الإنسان: نعم إن الإنسان حيوان قابل للعلم والإكتساب، وهو يتعلم بما تصل إليه خبرته وإستطاعته ولكنه يتعلم من الآخرين بأكثر جدا مما يتعلمه بنفسه، فكثير من الحقائق التى نؤمن بها ونستخدمها فى شتى المرافق العلمية والعملية والحيوية والإجتماعية قد وصلت إلينا عن طريق الغير، فها هى الحقائق الجغرافية والتاريخية وكثير من حقائق العلوم الأخرى نتلقاها بوحى من الآخرين دون أن نصل إليها بأنفسنا بل ولا يمكننا أيضا أن نتحقق من صحتها، وإنما نحن نعتمد فى التصديق بها على رواية الآخرين بعد أن نتحقق من «صدق» هؤلاء الرواة. فلماذا يعد عجيبا أن يتلقى البشر علما من لدن الله، وإذا كان صدق الرواة هو محك تصديقنا بكثير من حقائق العلوم، أفليس من العدالة فى الحكم أن نتقبل أيضا شهادة الملهمين كما قبلنا شهادة الرواة والمؤرخين والعلماء؟؟ وكل ما يلزمنا هو أن نتثبت من صدق هؤلاء الملهمين بأن نتحقق من تأييد أقوالهم بالمعجزات والخوارق، فهى محك صدقهم ومقياس إنتسابهم إلى الله. ومن عجب أن يتلقى المرء حقائق المعارف الأرضية ولا يرفض أن يتعلمها من آخرين، مع أنها معارف ليست فى أهمية المعارف الدينية وليست فى ضرورتها؟ أفليس من الضرورى أو على الأقل مما لا يرفضه العقل البشرى، أن يتعلم المرء حقائق الديانة من الله أو من أنبياء الله؟.

وأى غضاضة فى هذا؟ أن العقليين يحسبون أن الوحى إهانة للإنسان، فهو تحقير من شأن العقل الذى منح للإنسان ليفتش به عن الحق ويصل إليه. ولكن هل غفل العقليون عن أن الوحى لا يعلنه الله لحيوانات بكم بل لكائنات عاقلة، ومعنى ذلك أن فكرة الوحى لا تهين العقل بل تقدره وتثق فيه، لأن الوحى لا يعلن عن نفسه ولا يتعرض إلاّ لمن يفهمه، فهو إذا يتقدم إلى عقل الإنسان فلأنه يشعر بوجوده ويؤمن بأنه وحده دون المخلوقات جميعا الذى يمكنه أن يتقبله، فضلا عن أن العقل يطالب الوحى بتقديم أوراق اعتماده قبل أن يؤمن به وبحقائقه، كما أنه يحاول أن يتفهم الحقائق ويعقلها، فالعقل إذن لا يقف بالنسبة للوحى موقفا سلبيا، كما أن الوحى لا يشل حركة التفكير أو يوقف عمل العقل أو يحقر من شأنه، بل هو الذى يقدم للعقل مادة للبحث بعد أن يكون العقل عجز عن الوصول إليها وفرغت جعبته من حيز الحقيقة، وإذن، فالوحى عون للعقل وليس ضد له، ومن يقول أن من يعين الضعيف ويشد من أذره يحقر من شأنه؟ إن المعونة دليل الإهتمام لا دليل التحقير، وهى أولى بالشكر والتقدير لا بالإنكار والجحود.

ومجمل القول أن ليس فى جانب الإنسان ما يمنع من قبول وحى من الله، وطبيعتنا الداخلية تشهد فينا بذلك، ووجدان البشر العام يؤيد هذه الحقيقة حتى أن جميع البشر مهما اختلفت أمكنتهم وأزمنتهم توقعوا على الدوام وحيًا من السماء وإعلانا من الله، فليس المسيحيون وحدهم يؤمنون بالوحى، بل جميع أصحاب الديانات سماوية كانت أو بشرية قالوا بالوحى، ونادوا بكتب اعتقدوا أنها منزلة وموحى بها من الله، كما فعل الرومان واليونان والفرس والعرب والهنود والصينيون وغيرهم. ولولا إعتقاد البشر فى إمكان الوحى لما وقعوا فى تضليل المضلين والأنبياء الكذبة الذين ادعوا النبوءة والوحى من الله.

(جـ) الوحى ممكن من جانب الإنسان...

اعتراض... فى وسع الإنسان أن يتعلم من إنسان نظيره ويستطيع أن يتحقق من صحة تعليمه، بينما أن الوحى أو التعليم من جانب الله لا يستطاع التحقق من صحته.

الرد... ليس صحيحا أن الإنسان يستطيع دائما أن يتحقق من صحة تعليم معلمه ـ الحقائق التاريخية...ـ الحقائق الجغرافية... وكثير من الحقائق العلمية الأخرى...

أنه دائما يعنينا أن نتحقق من صدق المعلم... وهذا ممكن فى موضوع الوحى... أى إثبات صدق الأنبياء.

اعتراض آخر... قبول تعليم عن طريق الوحى يحط من قدرة العقل...

الرد... الوحى لا يحط من قدر العقل، لأنه للكائنات العاقلة وحدها... الوحى لا يمنع استخدام العقل، لكنه يعينه على بلوغ ما لاقدرة له على بلوغه... هناك أمور تدخل فى ميدان العقل، وأخرى لابد فيها من الوحى.

... إثبات وجود الله ممكن للعقل... إثبات وحدانية الله ممكن للعقل. إثبات سمو الديانة المسيحية على غيرها ممكن للعقل... التحقق من صدق الأنبياء ممكن للعقل.

وأمور أخرى لابدّ فيها من الوحى:.. طبيعة الله وصفاته.. حقائق الديانة الجزئية، كالتثليث والتجسد، والفداء والأسرار ومسائل الآخرة: كالقيامة، والدينونة والجزاء الأخروى وما إلى ذلك.

... مثل الوحى مثل المعلم الذى يتقدم لحلّ مسألة رياضية عجز التلميذ عن حلها.

... مثله مثل الوسائل العلمية المعينة للحواس البشرية الضعيفة...

العدسات بالنسبة لضعاف البصر، السماعات بالنسبة لضعاف السمع، التليسكوبات والميكروسكوبات للأشياء البعيدة أو التى لا ترى بالعين المجردة... ركوب القطارات والبواخر والطائرات للتغلب على عوائق الطبيعة، ولسرعة الوصول...

(د) الوحى ممكن من جانب الحقيقة نفسها... إذا الحقيقة إما أن يكون العقل قادرا على إدراكها وفى متناوله، وإما أن تكون عالية عن إدراكه وفى غير مقدوره أن يصل إليها أو يتحقق بها، والوحى الإلهى يجمع بين هذين النوعين: ففيه حقائق يستطيع العقل أن يُحَصِّلها بمحض قدرته من غير حاجة إلى إستخدام قوة أخرى غير قوته الطبيعية المودعة فيه، وهناك حقائق سامية عالية يعجز عن الوصول إليها بنفسه بل وقد لا يستطيع أن يسبر غورها أو يغوص إلى أعماقها وهى ما تعرف بأسرار الديانة ودفائنها. أما الحقائق التى من الطراز الأول فقد أثبتها الوحى ضمن مشتملاته، لا لأنه يستحيل التوصل إليها باستخدام العقل البشرى، بل لأن العقل قد يضل فى البحث عنها أو قد يدركها بعد زمان طويل، فضلا عن أنه ليست جميع العقول هى التى تتمكن من الوصول إليها والبحث عنها. وذلك أعلنها الوحى ليبلغها للبشر على نحو أضمن وأسرع من المحاولات العقلية والبشرية التى قد تخطىء وقد تصيب وإن أصابت فبعد زمان طويل.

ولما كان البعض ينكرون على العقل إمكانية الوصول إلى الحقيقة، ويبالغون فى وصفه بالعجز والقصور، وكان البعض الآخر ينسبون إليه قدرة كاملة على إدراك كل شىء، حتى باتوا لا يسلمون بغير العقل مرجعا فى معرفة الحقائق الدينية فضلا عن العلمية أو الإجتماعية، وينكرون تبعا لذلك أسرار الديانة ومعلنات الوحى من حيث أن العقل لا يصل إليها، فقد وجب علينا أن نفرد لكل من هذين الموضوعين - بحثا خاصا لنعرف مدى حقيقة هذين الزعمين تمهيدا لإعلان الحقيقة النهائية.

* * *

أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية والرّد على مذهب اللاطائفية

أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية

ما أعظم الخطأ الذى يقع فيه بعض المسيحيين الذين يهملون شأن العقيدة الدينية، زعما منهم أن الحياة المسيحية فى جوهرها تقوى وعاطفة روحية،وأن الله لا تعنيه العقيدة وإنما تعنيه الحياة التقوية الخالصة. ومما يؤسف له أن هذا الاتجاه نجده أحيانا عند بعض الناس المشتغلين بالدين، ممن كسلت عقولهم ونفوسهم عن البحث والدرس، وظنوا فى الناس جميعا أنهم يستثقلون هذا البحث ويعدونه أمرا عسيرا يمكن للإنسان أن يخلص بدونه. وقد يتورطون أحيانا فيضطرون إلى المناداة بقصر هذه المباحث على المتعمقين دون المبتدئين، بحجة أن الطعام القوى يكون للبالغين، أما اللبن فيكون للأطفال أى المبتدئين.

ومما لا شك فيه أن الهدف الأسمى من الديانة هو التقوى وأن غاية الإيمان هو خلاص النفس وأن هدف الحياة الدينية بأسرها هو التشبه بالله، ومعاينته معاينة دائمة، والشخوص فيه والإتحاد به، ففى السير مع الله والتعلق بمحبته، سعادة لا تستقصى تبدأ فى الحياة الدنيا، وتتصل بالحياة الأخرى، فى أبدية لا نهاية لها.

ولكن من قال أن هذه الحياة الروحية يمكن أن تقوم بغير عقيدة دينية؟!

هذا غير ممكن وذلك:

أولا - لأن العقيدة الدينية هى الأساس الذى يقوم عليه بنيان الحياة الروحية:

فإذا كانت العقيدة الدينية سليمة كانت الحياة الدينية القائمة عليها سليمة. وإذا كانت العقيدة الدينية سقيمة كانت الحياة الروحية مريضة. وهذا يفسر لنا أنواع الشطط والإنحراف الروحى التى يتردى فيها بعض من أنصاف المتدينين الذين لم يفهموا العقائد الدينية فهما صحيحا تبنى عليه حياة روحية صحيحة. فالفهم الصحيح يزيد العاطفة الروحية قوة، وعمقا وحرارة، ويثبت أركانها، ويوطد دعاماتها، فلا تعصف بها أنواع الشكوك، من أن تقع فريسة للأوهام والخيالات والخرافات.

يقول مار بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس: «أنا بحسب نعمة الله التى أوتيتها كمهندس (١) حكيم قد وضعت الأساس، وآخر يبنى عليه. ولكن فلينظر كل واحد كيف يبنى عليه. إذ لا يستطيع أحد أن يضع أساسا غير هذا الموضوع، يسوع المسيح. فإن كان أحد

---

(١) طبقا للنص القبطى ⲁⲣⲭⲏⲧⲉⲕⲧⲱⲛ ، والنص اليونانى ἀρχιτέκτων ، ومنها اشتقت architect بالإنجليزية، architecte بالفرنسية... بمعنى «مهندس» أو حرفيا «رئيس البنائين».

يبنى على هذا الأساس ذهبا أو فضة أو حجارة كريمة، أو خشبا، أو عشبا أو قشا، فإن عمل كل واحد سيصير ظاهراً، لأن اليوم سيظهره، لأنه بنار يستعلن. وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو. فمن بقى عمله الذى بناه على الأساس، فسينال أجره (١)».

ومعنى هذا أن للديانة المسيحية أساسا، وهو يسوع المسيح. ولا شك أن المقصود بالإيمان بيسوع المسيح هو الإيمان المسلم (٢) لنا من الكنيسة عن يسوع المسيح باعتباره كلمة الله، وابن الله والله الظاهر فى الجسد، الذى جاء من السماء لأجل خلاصنا، وأخذ صورتنا وصلب ومات وقبر وصعد إلى السماء، وسيأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والموتى. وقد أرسل الروح القدس فى اليوم الخمسين لقيامته المجيدة، ليقدس كنيسته الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية، وهو كائن معها وفيها إلى الأبد، «وبوابات الجحيم، لذلك، لن تقوى عليها (٣)».

وإلا ،فإذا كان الإيمان المقصود هو الإيمان بيسوع المسيح دون تحديد حقيقة هذا الإيمان ومفهومه، فيمكن أن يوصف بأنهم مسيحيون بعض أتباع الديانات الأخرى ممن يؤمنون بالمسيح ويتغنون بعظمة فضائله، أو أتباع بعض الهراطقة من أمثال الأريوسيين فى العصور القديمة أو شهود يهوه فى العصور الحديثة!! بينما أن إيمان هؤلاء وأولئك بيسوع المسيح إيمان لا نقره نحن المسيحيين الأرثوذكسيين، وتشجبه وتحرمه كنيستنا المقدسة، وتعتبره أساسا خاطئا لمذاهب هرطقية وديانات مختلفة عن ديانتنا المسيحية.

فإذا كان ربنا يسوع المسيح يقول «إن كنتم تحبونى، فاحفظوا وصاياى.. من كانت عنده وصاياى وحفظها فهو الذى يحبنى.. إن حفظتم وصاياى ثبتم فى محبتى.. أنتم أحبائى إن صنعتم ما أنا موصيكم به (٤)، ومار يوحنا الرسول يقول «وأما من حفظ كلمته فذلك قد كملت فيه محبة الله بالحقيقة، وبهذا نعلم أننا فيه (٥)». فقد ترتب عليه أن يكون الإيمان بربنا يسوع المسيح مشروطا بأن يكون مصحوبا بحفظ وصاياه وتعاليمه وتنفيذها. ولما كانت كل تعاليم الكنيسة المقدسة من وصايا يسوع المسيح وتعاليمه التى سلمها لرسله الأطهار الذين سلموها بدورهم للكنيسة، سواء فى تعاليمهم المكتوبة فى الأناجيل والرسائل، أو غير المكتوبة وهى التى عرفت بالتقاليد الرسولية (٦)، فيتضح من هذا كله أن الأساس الذى تبنى عليه الحياة المسيحية هو الإيمان بيسوع المسيح وكل تعاليمه ووصاياه كما سلمها إلى الكنيسة عن طريق رسله الأطهار، وهو الإيمان بيسوع المسيح حسب المفهوم الأرثوذكسى للإيمان المسيحى.

---

(١) ١. كورنثوس ٣: ١٠- ١٤.
(٢) أو الإيمان الذى قد سلم مرة للقديسين (رسالة يهوذا : ٣).
(٣) متى ١٦: ١٨.
(٤) (يوحنا ١٤: ١٥، ٢١، ٢٣) (١٥: ١٠، ١٤).
(٥) (١. يوحنا ٢: ٥) أنظر أيضا (١. يوحنا ٣: ٥)، (٢. يوحنا : ٦).
(٦) (١. كورنثوس ١١: ٢)، (٢. تسالونيكى ٢: ١٥).

يقول القديس يوحنا الذهبى فمه، تعليقا على ما كتبه القديس بولس الرسول فى الأصحاح السادس من رسالته إلى العبرانيين، عندما تكلم عن الأسس الأولية والضرورية للكمال المسيحى وهى «التوبة عن الأعمال الميتة، والإيمان بالله، وتعليم المعموديات، وقيامة الأموات، والدينونة الأبدية (١)»، «إن الإيمان أساس، وما سواه عمارة وبناء. فاسمع ما يقول ليصح لك الدليل. «أنا قد وضعت الأساس، وآخر يبنى عليه..» ولكن لا نطرح أيضا أسس التوبة من أعمال ميتة. فإن قال قائل: ما معنى قوله: «لنأت إلى الكمال» أجيبه أنه خليق بنا أن نتوجه ونرتفع إلى نفس الذروة، أى نقتنى سيرة فاضلة. فإنه كما أن الألف متصلة بكل الحروف كذلك الأساس متصل بسائر البناء. هكذا الإيمان الصريح المستقيم ضابط لطهارة السيرة، وبدونه لا يمكن أن يكون المسيحى مسيحيا كما أن العمارة لا يمكن أن تكون لها وجود من غير أساس. وكما أن الكاتب لا يمكن أن يصبح خبيرا بالكتابة من دون معرفة بالحروف، بل إن أصر على النظر فيها وأكثر من التردد فى تصفح معانيها فلا يحصل منها بطائل، هكذا البانى أيضا. فأنت ياهذا، لايصغر عند نفسك وفى عينيك قدر الإيمان لأنه لقب بحرف، فإنه هو القوة كلها... وأما الذى نصفه نحن بالكمال فهو الذى أضاف إلى إستقامة الإيمان إستقامة السيرة (٢)».

ثانيا - أن التفريق بين العقيدةالدينية والحياة الروحية تفريق ظالم لا يتفق وطبيعة النفس البشرية التى لا يمكن أن تحيا أو تتصرف من غير عقيدة تنعقد عليها النفس.

فنحن لا نستطيع أن نتصور إنسانا يحيا بغير عقيدة! قد تختلف العقائد، ولكن هناك دائما توافق وتواز بين عقيدة الفرد وسلوكه فى الحياة. وحتى الذين ينادون بفصل العقيدة الدينية عن الحياة الروحية يبنون هذا الفصل على اعتقاد منهم بذلك!.

والحق أن الحياة الروحية مبنية على العقيدة الدينية. وأن الفرق بين حياة شخصين هو الفرق بين عقيدتيهما. ولو نظرنا إلى المرائى لوجدنا أيضا أن حياته مزعزعة، وتصرفاته مضطربة، لأنه لا يشاء أن يتصرف تصرفا طبيعيا يطابق عقيدة نفسه الداخلية. يقول الحكيم «من يخفى البغضة، فشفتاه كاذبتان (٣)». ذلك أن كل فكرة تقتنع بها النفس، مصيرها أن

---

(١) العبرانيين ٦: ١، ٢.
(٢) تفسير القديس يوحنا ذهبى الفم لرسالة العبرانيين، المقالة التاسعة، فى تفسير أصحاح ٦: ١- ٦.
(٣) أمثال ١٠: ١٨.

تتحول إلى عمل. وكل ما يقوم به الكائن العاقل، يصدر حتما عن فكرة تشبعت بها النفس على درجة ما. وحتى فلتات اللسان تنفيس عما يختمر فى العقل الباطن أو النفس الداخلية.

وثمة رابطة طبيعية بين النفس والبدن، بين العقيدة والسلوك، بحيث أن ما تنفعل به النفس يظهر على الجسم، وما تنعقد عليه النفس يبدو فى مظاهر السلوك.

فإذا إلتقيت أنت بإنسان تحبه، ظهر الحب فى بريق عينيك وقسمات وجهك ومحياك، والطريقة التى تتحرك بها نحوه، والكلمات التى تخرج من فمك لتحيته، كما يظهر فى سائر حركات يديك وكل جسمك.

وإذا إلتقيت بعدو أو شخص بينك وبينه سبب من أسباب الكدر أو الغضب، فمهما تكلفت ضبط نفسك، وكظمت غيظك فإن شعورك بالضيق منه لابد أن يظهر منك فى نظرتك إليه، وسلامك عليه، وحديثك معه.

قال الشاعر العربى التعاويذى:

والعين تعلم من عينى محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها
عيناك دلتا عينى منك على
أشياء لولاها ما كنت تبديها

وقال الشاعر صرور:

إن العيون لتبدى فى نواظرها
ما فى القلوب من البغضاء والمحن

وقال حيص بيص الشاعر العراقى:

العين تبدى الذى فى قلب صاحبها
من الشناءة أو حب إذا كانا
إن البغيض له عين يصدقها
لا يستطيع لما فى القلب كتمانا
فالعين تنطق والأفواه صامتة
حتى ترى من صميم القلب تبيانا

ويقول شاعر آخر:

لا تسأل المرء عن خلائقه

في وجهه شاهد من الخبر

وإذا فاجأك خبر مفرح، سرى الفرح فى كل أعضائك داخلا وخارجا، فالغدد الصماء تفرز فى جسمك إفرازات مناسبة وبانية لصحتك. ثم وكأن كهرباء قد سرت فى كل منطقة من جسمك، فيعلو الفرح وجهك، وتظهر علاماته على عينيك وعلى لون وجهك وعلى حركات يديك، وربما رجليك، فتقفز فى خفة وتتكلم فى انطلاق وسرور. وكما يقول الكتاب المقدس «القلب الفرحان يجعل الوجه طلقا (١)» وكما يقول النبى فى المزمور «قلبى وجسمى قد ابتهجا بالإله الحى (٢)». ويقول يشوع بن سيراخ «المرأة الصالحة نصيب صالح تمنح حظا لمن يتقى الرب، فيكون قلبه جذلا ووجهه بهجا كل حين، غنيا كان أم فقيرا» (٣) ولو حللت دمك لتبين لك أن هناك تغيرات فسيولوجية فى تركيب الدم قد حدثت، ونشاطا خاصا فى خلايا الجسم أحدثه إنفعال الفرح. وقد يزيد وزنك بعد قليل.

يقول الحكيم سليمان «الخبر الطيب يسمن العظام (٤)» ويقول أيضا «الكلام الحسن شهد عسل، حلو للنفس وشفاء للعظام (٥)». ويقول يشوع بن سيراخ: «لطف المرأة ينعم رجلها، وأدبها يسمن عظامه (٦)».

أما إذا دهمك خبر أليم أحزنك، ففى الحال يمتقع لونك، ويكمد وجهك، ويسود محياك، بل ويجمد الدم فى عروقك، ويجف حلقك، وتقف فى مكانك، لا تقوى على الحراك. فإذا اضطررت إلى الحركة، تحركت فى جمود وحركة ثقيلة. يقول النبى داود فى المزمور «اشفنى يارب، فإن عظامى قد رجفت... تعبت فى تنهدى...ساخت من الغم عينى.شاخت من كل مضايقى (٧)» ويقول أيضا «ارحمنى يارب لأنى فى ضيق. خسفت من الغم عينى، نفسى وبطنى، لأن حياتى قد فنيت بالحزن وسنينى بالتنهد. ضعفت بشقاوتى قوتى، وبليت عظامى... صرت مثل إناء متلف (٨)». ويقول كذلك «لما سكت بليت عظامى، من زفيرى، اليوم كله، لأن يدك ثقلت على، نهارا وليلا. تحولت رطوبتى إلى يبوسة القيظ (٩)». وأيضا

---

(١) أمثال ١٥: ١٣. (٢) مزمور ٨٣: ٢. (٣) ابن سيراخ ٢٦: ٣، ٤.
(٤) أمثال ١٥: ٣٠. (٥) أمثال ١٦: ٢٤. (٦) يشوع بن سيراخ ٢٦: ١٧.
(٧) مزمور ٦: ٣-٧. (٨) مزمور ٣٠: ٩-١٢. (٩) مزمور ٣١: ٣، ٤.

يقول «ليست فى جسدى صحة من جهة غضبك. ليست فى عظامى سلامة من جهة خطيئتى... قد انتنت، قاحت حبر ضربى من جهة حماقتى. لويت انحنيت إلى الغاية. اليوم كله ذهبت حزينا. لأن خاصرتيَّ قد امتلأت احتراقا، وليست فى جسدى صحة. خَدِرْتُ وانسحقت إلى الغاية. كنت أئن من زفير قلبى. يارب أمامك كل تأوهى، وتنهدى ليس بمستور عنك. قلبى خافق، قوتى فارقتنى، ونور عينى أيضا ليس معى..» (١).

ويقول المزمور أيضا «لأن أيامى قد فنيت فى دخان، وعظامى مثل وقيد قد يبست. ملفوح كالعشب، ويابس قلبى حتى سهوت عن أكل خبزى. من صوت تنهدى لصق عظمى بلحمى. أشبهت قوق البرية. صرت مثل بومة الخرب. سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطح... أنى قد أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابى بدموع... وأنا مثل العشب يبست...» (٢) ويقول «قد ذبلت نفسى من الغم (٣)» وجاء فى سفر الأمثال قوله: «الغم فى قلب الرجل يحنيه (٤)» وقوله «كالعث فى الثوب، والسوس فى الخشب، هكذا الكآبة فى قلب الرجل (٥)». ويقول يشوع بن سيراخ «فرج عن قلبك، وأنف الحزن عنك بعيدا، فإن الحزن قتل كثيرين، وليس فيه ثمرة. الغيرة والغضب يقللان الأيام، والغمة تأتى بالشيخوخة قبل الأوان (٦)». ويقول أيضا «تعز عن الحزن، فإن الحزن يجلب الموت، وغمة القلب تحنى القوة (٧)».

فإذا غضبت أيضا جحظت عيناك، وغلى الدم فى عروقك، وتصلبت شرايينك، وتقلصت كل عضلاتك، واندفعت فى حركات تعبيرية ناطقة بانفعالك. وإذا حللت دمك تبين لك أن إفرازات ضارة قد انصبت فى دمك. هذه الإفرازات قد عكرت دمك، وأفسدته، وصبت فيه سموما، حتى أنه لو أخذ جزء من دمك، وحقن به حيوان صغير، كالقط أو الفأر، فإنه يموت فى الحال. وهذا هو سر الضرر الذى يدرك صحة من غضب أو حزن أو انفعلت نفسه بانفعالات الشر كالحقد والضغينة والكراهية وما إليها. فقد يصاب صاحبها بأمراض فى الكبد أو المرارة أو يبتلى بمرض السكر أو ضغط الدم العالى، وقد يصاب بالشلل أو بالسكتة القلبية أو الذبحة الصدرية. وقد لا يصاب بشىء من هذا كله، ولكنه حتما يدركه نوع من الضرر يؤدى إلى ضموره وضعفه.

* * *

---

(١) مزمور ٣٧: ٣- ١٠. (٢) مزمور ١٠١: ٣- ١١. (٣) مزمور ١١٨: ٢٨.
(٤) أمثال ١٢: ٢٥. (٥) أمثال ٢٥: ٢٠. (٦) يشوع بن سيراخ ٣٠: ٢٤- ٢٦.
(٧) يشوع بن سيراخ ٣٨: ١٨، ١٩.

وإذا انفعل المؤمن القديس بمحبة الله، وقوى هذا الإنفعال فأصبح وجدا وهياما وعشقا روحانيا، صار اسم الله مثيرا للمؤمن العاشق، يحرك قلبه ومشاعره بإنفعالات الوجد المقدس، وهذه تثير بالتالى إفرازات الإنفعالات السارة، فيشعر بالحلاوة فى حلقه وبالعذوبة فى فمه. فيقول صاحب المزامير فى نفس المعنى «ما أحلى قولك لحنكى. أحلى فى فمى من العسل (١)». ويقول فى موضع آخر «وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب... هى أشهى من الذهب والإبريز الكثير، وأحلى من العسل وقطر الشهاد (٢)». ويقول الحكيم سليمان فى حالة من الوجد الصوفى «يا بنى كُلْ عسلا لأنه طيب. كُلْ الشهد فإنه حلو فى حلقك. كذلك معرفة الحكمة لنفسك (٣)»، ثم يقول بلسان النفس الهائمة بمحبة عريسها السمائى «حبيبى أبيض وأحمر، معلم بين ربوة... حلقه حلاوة، وكله مشتهيات هذا حبيبى، وهذا خليلى، يا بنات أورشليم (٤)»، كما يقول عن فعل المحبة الإلهية وعملها فى بواطن القديسين «فإن المحبة قوية كالموت... لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لاتستطيع أن تطفىء المحبة، والسيول لا تغمرها (٥)».

وفى مقابل ذلك إنفعال الخوف والفزع من رهبة الله، والتوقى من مخالفة وصاياه وأوامره المقدسة، فإنه يفعل فى الجسم فعلا شديدا ويجعل الفرائس ترتعد واللحم يقشعر.

يقول النبى فى صلاته تعبيرا عن توقيره لشريعة الله «قد اقشعر لحمى من رعبك، ومن أحكامك جزعت (٦)». ويقول مار بولس الرسول يصف أثر مهابة الرب فى نفس موسى النبى يوم أن نزل على جبل سيناء «وكان المنظر هكذا مخيفا حتى قال موسى أنا مرتعب ومرتعد (٧)». ويقول الحكيم سليمان «الروح المنسحقة تجفف العظم (٨)».

وعلى وجه العموم فهناك علاقة طبيعية بين ما يبطنه القلب وما يظهر على الوجه.

يقول الجامعة «حكمة الإنسان تنير وجهه، وتلين صلابة وجهه» (٩)، ويقول يشوع بن سيراخ فى سفره «قلب الإنسان يغير وجهه إما إلى الخير وإما إلى الشر. طلاقة الوجه من طيب القلب» (١٠). ويقول أيضا «من منظره يعرف الرجل، ومن استقبال الوجه يعرف العاقل.

---

(١) مزمور ١١٨: ١٠٣ أنظر كذلك مزمور ١١٨: ٧٢، ١٢٧. (٢) مزمور ١٨: ٨، ١٠.

(٣) أمثال ٢٤: ١٣، ١٤. (٤) نشيد الأناشيد ٥: ١٠، ١٦. (٥) نشيد الأناشيد ٨: ٦، ٧.

(٦) مزمور ١١٨: ١٢٠. ثم انظر عدد ١٦١ من نفس المزمور، (أيوب ٤: ١٤)، (حبقوق ٣: ١٦).

(٧) العبرانيين ١٢: ٢١. (٨) (الأمثال ١٧: ٢٢)، (مزمور ٢١: ١٥).

(٩) الجامعة ٨: ١. (١٠) ابن سيراخ ١٣: ٣١، ٣٢.

لبسة الرجل وضحكة الأسنان ومشية الإنسان تخبر بما هو عليه، (١)، ويقول كذلك «خبث المرأة يغير منظرها ويرد وجهها اسود كالمسح (٢)»، ويقول «زنى المرأة فى طموح البصر، ويعرف من جفنيها (٣)»، كذلك يقول «الوجه يدل على تغير القلب (٤)». وجاء فى سفر أخبار الأيام الأول يصف رجال الحرب «جبابرة بأس، رجال حرب، حاملو تروس ورماح، وجوههم كوجوه الأسود وهم كأوعال الجبال خفة (٥)».

ويقول دارون DARWIN

«إذا طالت مدة الحزن فى القلب وأدرك الدورة الدموية الكسل فتبطىء حركتها، وصار الوجه أصفر، والعضلات رخوة مترهلة، وانخفض الجفنان، وسقط الرأس فوق الصدر المنقبض وغارت الشفتان والخدان والفك الأسفل، وتغيرت عن وضعها الأول. **وبالاجمال فإن تعبير الإنسان كله عندما يكون سعيدا ينقلب إلى العكس تماما عندما يعانى الحزن والأسى**».

* * *

فمن ذا الذى يزعم أنه يمكنه أن تنفعل نفسه بانفعال ما ولا تظهر آثارة على البدن؟ إن من يزعم هذا لا يفهم طبيعة الإنسان، أو لعله يتغابى عنها فى سبيل الدفاع عن قضية خاسرة.

وإذا كان ما قلناه حقا، فهل يمكن أن تنعقد النفس على فكرة ما، فتصبح فيها عقيدة، ولا تظهر هذه العقيدة فى سلوك صاحبها وطريقة تصرفه فى الحياة؟!

هذه التفرقة إذن بين العقيدة وبين الحياة تفرقة ظالمة وغير طبيعية. قطعا إذا كانت هناك عقيدة فحتما لابد من أن يعبر عنها فى الواقع الحى بسلوك ظاهر. ومهما تكلف صاحبها الكتمان أو اصطنع التظاهر بغير ما يعتقد، فالتعبير عن العقيدة الباطنية لابد أن يظهر على حقيقته بطريقة أو بأخرى، طال الزمان أو قصر، ومهما كان الشخص على جانب كبير من الحذق والمهارة وضبط النفس، والتحكم فى أعصابه.

* * *

(١) ابن سيراخ ١٩: ٢٦، ٢٧. (٢) ابن سيراخ ٢٥: ٢٤. (٣) ابن سيراخ ٢٦: ١٢.

(٤) ابن سيراخ ٣٧: ٢١. (٥) أخبار الأيام الأول ١٢: ٨.

واعتمادا على هذا الربط بين العقيدة والحياة تقوم كل جهود المربين والمعلمين والمصلحين الإجتماعيين. فإذا أراد أحد منهم أن يوجه سلوك الأفراد أو الجماعات فإنه يبدأ أولا بالمناداة بفكرته، والتدليل عليها، وحمل الغير على الإيمان بها والإعتقاد فيها، فإذا اقتنع هذا الغير بالفكرة وتشبع بها اطمأن الداعى أن الاقتناع لابد أن يتحول إلى عقيدة، والعقيدة من تلقاء نفسها تتحول إلى سلوك وإلى عمل.

وفى مجال الدين، يدافع رجل الدين عن فكرة الدين مقدما الدليل والبرهان، وهو مطمئن إلى أن التصرف العملى لكل فرد من أفراد المؤمنين يتوقف على مدى اقتناع هذا الفرد بالفكرة الدينية. فإذا استحالت الفكرة إلى عقيدة، فلن يستطيع صاحبها أن يفلت من إلحاحها عليه، والتعبير عنها فى كلامه وسلوكه، بل وإنها تلون نظرته للحياة كلها، وتوجه جميع تصرفاته الأخرى. حتى لو بدا أنها لا ترتبط بالعقيدة التى يعتقد بها.

* * *

ومن هذا كله يتبين لنا أن العقيدة أساس السلوك، وأن الحياة مرتبطة بالعقيدة، وأنه لا يمكن الفصل بينهما إلا إذا خرجنا على معنى الحياة، وطبيعة النفس البشرية ذاتها.

وإذن فالدعوة إلى فصل الحياة المسيحية عن العقيدة المسيحية دعوة آثمة خبيثة تؤدى إلى انهيار المسيحية كلها لأنها ترمى إلى فصل البناء عن أساسه الذى يقوم عليه.

وعلى ذلك فإن دراسة العقيدة المسيحية ترمى إلى تدعيم الأساس وتقويمه، فيزداد البناء قوة. والبناء هو الحياة المسيحية.

ثالثا - إن الحياة الروحية فى الديانة المسيحية ليست هى العاطفة الروحية خلوا من العقيدة الدينية.

إن ديانتنا تقوم على العقيدة الدينية كما تقوم على العاطفة الروحية، أى أنها لا تقوم على العاطفة الروحية وحدها. وما أخطر أن تقوم الديانة على العاطفة الروحية خلوا من العقيدة الدينية، لأنها بهذا تمسى مجموعة من المشاعر الغامضة والإحساسات العمياء التى يمكن أن تندفع فى كل اتجاه بغيربصيرة نيرة وبدون معرفة رشيدة. والمشاعر والعواطف والإحساسات على ما نعلم تكون أحيانا قوية وتكون أحيانا ضعيفة. فما مصير الحياة الروحية لو كانت قائمة على العواطف والإحساسات ثم فترت هذه العواطف والإحساسات إذ العاطفة قابلة للضعف والفتور؟.

هذا إلى أن الإنسان كثيرا ما تثور فى نفسه الشكوك فى حقائق الديانة ومسلماتها، سواء كانت هذه الشكوك أسئلة تصرخ فى عقله وفى نفسه تطلب لها إجابة مقنعة، أو كانت شكوكا أثارها فى طريقه خصوم الديانة وأعداء الروحية من أصحاب المذاهب الفلسفية أو التيارات المادية أو دعاة الديانات الأخرى، أو كانت شكوكا ألقاها إلى ذهنه الشيطان أو جنوده فى اليقظة أو فى المنام، فى ظروف الحياة العادية أو فى مفاجآت الدهر وصروف الأيام. وهو فى هذا كله حائر عن الجواب، عاجز عن الصمود أمام تجارب الشكوك التى تهدد حياته الروحية كلها بالبوار والإنهيار.

أما إذا كانت حياة المسيحى قائمة على معرفة دقيقة بحقائق ديانته، مستندة إلى اقتناع عميق بالأسس، اقتناع بالعقل والقلب معا، عندئذ لا تنهار بانهيار العاطفة الروحية، ولا تنزعج أو تضطرب أمام عواصف الشكوك المختلفة. وإنما تجد أمامها عند فتور العاطفة أو ثورة الشكوك، عقيدة غائرة فى أعماق النفس، اقتنع بها العقل وتشبع بها القلب، صامدة فى مكانها، واقفة على قدم ثابتة، وقائمة فى الذهن والعقل على أدلة وبراهين، وبذلك تستند إليها فى ساعة التجربة الروحية.

فالحياة الروحية أشبه بالقطار الذى يجرى على قضيبين متوازيين: هما العقيدة الدينية والعاطفة الروحية التقوية، لا غنى له عنهما أو بالواحد عن الآخر. إذ لابد لهما أن يسيرا فى الحياة متوازيين ومتعاونين ومتوافقين، وإلا انقلب قطار الحياة المسيحية، وأصابه وأصاب راكبه ضرر جسيم.

وإذن فالحياة المسيحية إيمان مستقيم وسلوك مستقيم. وهى تقوم على أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معا. وكل مسيحى يكتفى بالتقوى والفضيلة دون أن يكون مع تقواه عقيدة قويمة فليس مسيحيا على الحقيقة. إن ضلاله فى أية حقيقة إيمانية أو انحرافه عن الإيمان القويم، يكفى لحرمانه من ملكوت السماوات مهما كانت حياته الروحية عميقة، ومهما كانت تصرفاته تبدو مستقيمة وفاضلة، وإلا جاز لنا أن نعتبر من يكفرون بالله وبالحياة الآخرة مسيحيين، إذا كانوا شرفاء نزهاء منصفين ومتصفين بالعدل والأدب وحسن السلوك. والحق أنه ليس كل الكافرين بالله وحقائق الديانة فجارا ماجنين فهناك من بينهم أناس تميزوا بالنبل والفضل والصدق والوفاء واحترام الوعود. أفهل تكفى هذه الصفات لأن تجعل صاحبها بين أحباء الله القديسين؟ وهل من مسيحى يمكن أن يزعم لهؤلاء بأنهم سيخلصون، وإلى ملكوت الله يدخلون؟!

ربما يقال إن الدعوة إلى إهمال العقائد دعوة قصد منها إلى إقصاء المبادىء أو العقائد التى يختلف عليها حتى لا تؤدى هذه الإختلافات إلى إخفاء الدعوة الروحية التى تنادى بها المسيحية. ولكن إذا تمشينا مع منطق هذه الفكرة، تعين علينا أن نطرح جانبا كل عقيدة اختلفت فيها المذاهب المسيحية ونستبقى المتفق عليه منها. وعلى ذلك فسنطرح من المسيحية أسرار الكنيسة وطقوسها وممارساتها، ونستبقى بعض العقائد الأساسية كالتثليث ولاهوت المسيح والتجسد والفداء والقيامة العامة والدينونة والجزاء الأخروى. ولكن ماذا يكون الحكم بازاء مبادئ من هذه الأخيرة ينكرها بعض الذين يدعون أنهم مسيحيون كشهود يهوه الذين ينكرون لاهوت المسيح والتثليث والقيامة العامة والجزاء الأخروى؟

هل نطرح أيضا هذه العقائد لنستبقى المتفق عليه منها؟ إن منطق هذه النظرية المتساهلة، أو النظرية الروحية التى يروج لها قوم يسمون أنفسهم «باللاطائفيين»، يسلمنا حتما إلى إهمال جميع العقائد المسيحية كبيرها وصغيرها، فلا تبقى عقيدة مسيحية واحدة إلا ويلزم استبعادها، تمشيا مع منطق هؤلاء «اللاطائفيين!!».

رابعا - دراسة العقيدة واجبة للتفريق بين الأديان والمذاهب المختلفة والتمييز بينها لمعرفة الصحيح من الخطأ، والحق من الباطل.

ففى كل إنسان مهما اختلفت ديانته عاطفة روحية. وكل دين مهما اختلفت عقائده ومبادئه ينادى بالتقوى والأخلاق الكريمة، ويذكى العاطفة الروحية.

فلو اقتصرنا فى ديانتنا المسيحية على إلهاب العاطفة الروحية دون تدعيم العقيدة الدينية، لصارت دعوتنا دعوة أخلاقية صرفة لا تختلف كثيرا أو قليلا عن الدعوة التى تنادى بها سائر الأديان الأخرى، ولفقدت المسيحية تدريجيا ما يميزها عن غيرها من الأديان السماوية والبشرية. إذ الفرق بين الأديان يقوم أصلا على المعتقدات وما ينبنى على المعتقدات من ضروب الرياضات الروحية وفنون الآداب التقوية والتعبيرات الطقسية.

ومَنْ مِنَ المسيحيين يرتضى للمسيحية أن تصبح دعوتها روحية صرفة، أخلاقية بحتة، غاضا النظر عن خصائصها العقائدية ومميزاتها الإيمانية؟

إن للمسيحية عقيدة خاصة تتميز بها فيما يتصل بالله وطبيعته وصلته بالناس. إنها تنادى بوحدة الذات الإلهية وتثليث الأقانيم، وتؤمن بالتجسد والفداء،وبلاهوت السيد المسيح له المجد.

وفيما يتصل بالإنسان تنادى المسيحية بوجود النفس الناطقة التى خلقت على صورة الله ومثاله، ومن ثم فهى روحانية، خالدة، عاقلة، مسئولة. وتقول بسقوط الإنسان فى عصيان وصية الله، وأن فى آدم سقط الجنس البشرى كله، وحكم عليه بالموت وبالطرد من الجنة، وبالهلاك فى جهنم، لولا أن الله تنازل فتجسد آخذا صورة الناس، وقبل فى جسده الموت الذى حكم به على أبى الجنس البشرى وكل ذريته وجنسه، وبهذا ارتفع الحكم بالموت عن آدم وعن جميع أولاده الذين يثبتون استحقاقهم لبركات الفداء وذلك بإيمانهم بالفادى واعتمادهم باسم الثالوث القدوس، وبجهادهم مع الله بفعاليات الروح القدس فى حياتهم التى كانت قد فسدت، ولم يكن ثمة سبيل إلى تقديسها من جديد إلا بفضل نعمة الله التى أعلنت فى المسيح يسوع ربنا، والتى تعين منالها بالروح القدس عن طريق مواهبه التى تنبع من الصليب. هذه المواهب النابعة من استحقاقات الفداء وبركات الخلاص، والتى يأخذها الروح القدس من استحقاقات الفادى ويسكبها على المؤمنين مواهب خفية باطنية مستورة عن الحواس الجسدانية. ولذلك تسمى فى الإصطلاح الكنسى بأسرار الكنيسة السبعة. والمؤمن الذى يستحق هذه المواهب السرية، ويحسن استغلالها لنمو حياته الباطنة، ويضرم بها حياته الروحية، ويشعلها ويزكيها بالعبادات من صلوات وأصوام وقراءات وتأملات وأعمال صالحة، ينال فى القيامة العامة، والدينونة العامة، ملكوت السماوات. وعلى العكس من ذلك الأشرار الكافرون بنعمة الله، وغير المؤمنين، والمخالفون والمستهينون يرسلون فى الدينونة العامة إلى العذاب الأبدى فى جهنم النار حيث يتعذبون فى نفوسهم وأجسادهم إلى أبد الآبدين. بينما يحظى الأبرار فى ملكوت أبيهم بالنعيم والكرامة والمجد فى أبدية سعيدة وسعادة لا نهاية لها فى نفوسهم وأجسادهم.

تلك عقائد المسيحية الأساسية، تتبعها طقوس وممارسات روحية، تطابقها وتعبر عنها. ولم تدع الكنيسة هذه الممارسات وتلك الطقوس أن تجرى كيفما اتفق، وإنما حددتها ورسمتها فى صورة واضحة تلائم عقائدها، وتطابق إحتياجات النفس البشرية فى حياتها المسيحية، ومن ثم فإنها تناسب جميع الناس فى كل زمان ومكان.

وما دام للمسيحية عقائد معينة، وطقوس معينة، تتميز بها عن غيرها، فمعرفة هذه الطقوس وتلك العقائد مسألة أساسية. ولا يمكن إغفالها أو إلغاؤها من الديانة، أو قصر الديانة على بيان الواجبات الروحية الأخلاقية. لأن هذه الواجبات نفسها لا يمكن عزلها عن عقائد الديانة وطقوسها، لأنها تنبع منها وتستند إليها، وإلا فقدت الأخلاق المسيحية خصائصها التى تتميز بها

عن غيرها من أخلاقيات الديانات أو المدارس الأخلاقية العامة. إن الذى يميز المسيحية هى أولا عقائدها، وبعد ذلك أخلاقياتها وروحياتها القائمة على أساس معتقداتها. إن إهمال العقائد من شأنه أن يفقد المسيحية رسالتها وطبيعتها، ويحولها إلى نوع من البهائية أو الدعوة الأخلاقية العامة التى تشترك فيها ديانات أخرى، ومذاهب إنسانية أخرى.

ونحن حين نريد أن نقارن بين الأديان لنعرف الصحيح من الخطأ والحق من الباطل، نقارن أولا عقائدها ثم أخلاقياتها القائمة على معتقداتها. وحتى عندما نقارن أخلاقياتها نحكم بينها على أساس عقائدى فى الأخلاق.

وكذلك حين نريد أن نقارن بين المذاهب المختلفة التى تدعو إلى معتقدات مختلفة فى ديانتنا المسيحية، لا نملك إلا أن نقارن أولا وقبل كل شىء بين مبادئها وعقائدها. ومَنْ مِن المسيحيين وغير المسيحيين يمكنه أن يُهمل دائما النظر إلى الإختلافات العقائدية بين المذاهب المسيحية؟ قد يهملها حينا ولقصد ما، ولكنه لا بد أن تمر به أوقات يضطر فيها إلى النظر فى أمر هذه الإختلافات. لأنه إذا كانت هذه المذاهب واحدة فى المسيح، فلماذا اختلفت فيما بينها، ولماذا تميزت بأسماء مختلفة ولماذا لا يجتمع أصحابها أو اتباعها فى كنيسة واحدة؟ ولماذا اختلفوا فى طقوس صلواتهم واحتفالاتهم وتقاليدهم وعاداتهم؟

ولماذا يدعون إلى مبادئهم ويبرهنون عليها، ويندّدون بمبادىء غيرهم فى مجتمعاتهم العامة والخاصة؟

إن من الناس من يتجاهل أمر هذه الإختلافات لسبب أو لآخر، ولكن لا يمكن لعاقل أن يصدق إدعاء القائلين أن هذه المذاهب واحدة أو متفقة!! أو أن الإختلاف بينها هين، ولا يستحق النظر.

لابد لكل مسيحى أن يثور فى نفسه السؤال يوما ما، لماذا أنا أرثوذكسى، ولماذا لا أكون كاثوليكيا أو بروتستانتيا؟ والعكس أيضا صحيح بالنسبة للكاثوليكى أو البروتستانتى. ولا بد أن يجد لنفسه الجواب مهما كان هذا الجواب فى درجة اقناعه. وإذا لم يسأل المرء نفسه سأله غيره، وحينئذ يجد نفسه أيضا مضطرا إلى بحث الموضوع ليعرف أن يجيب. وليس من السهل أن يقنع غيره بعدم وجود اختلاف حتى لو أمكن له أن يخدع هو نفسه أو يغالط ضميره.

خامسا - إن الكتاب المقدس هو الذى نستقى منه عقائد الإيمان وضرورتها، كما نستقى منه مبادىء التقوى وأهميتها.

هذا الكتاب الإلهى يحرص على شرح العقائد الإيمانية بعناية فائقة، كما يحرص على بيان أهمية التقوى والفضائل المسيحية، فكيف نؤمن بكتاب الله إذا كنا نقتطع منه ما يعنينا ونهمل ما لا يعنينا؟! إن إيماننا به ككتاب مقدس موحى به من الله يقتضينا أن نحترم كل ما جاء به على أنه تعليم مقدس، سواء كان تعليما يتصل بالعقيدة والإيمان أو يتصل بالتقوى والفضيلة، هذا والكتاب المقدس لم يفصل بين العقيدة والتقوى، وإنما جمع بينهما فى وحدة متسقة، وألف بينهما، وتكلم عن الواحدة فيما يتكلم عن الأخرى، دون فصل أو شبه فصل.

ودليلك على عناية الكتاب المقدس بالعقيدة، أنه كرس فصولا بتمامها، وأحيانا أسفارا بأكملها، لإثبات حقيقة إيمانية.وهذا يدل على مبلغ خطر العقيدة فى حياة المؤمنين.

فالإنجيل كما كتبه القديس يوحنا مثلا كُتب كله من أجل إثبات حقيقة لاهوت المسيح التى بلبل الهراطقة أذهان المؤمنين فيها. ويبدو شأن هذه الحقيقة فى العبارة الأولى التى افتتح بها الرسول إنجيله «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله وكان الكلمة هو الله (١)»، كما يتضح شأنها أيضا من عبارته فى ختام إنجيله «وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع أمام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب. وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم، الحياة باسمه (٢)». فهذه العبارة الأخيرة تصرح بأن كل ما كتب فى الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا، كان يستهدف إثبات حقيقة لاهوتية عقائدية، هى أن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى.(٣)». كما تصرح فى الوقت ذاته بأن هذه الحقيقة العقائدية هى الأساس فى نيل الحياة الأبدية «ولكى تكون لكم إذا آمنتم، الحياة باسمه».

أين إذن الفصل بين العقيدة وبين الحياة؟!

كذلك كتبت رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة الله التى فى رومية، ورسالته إلى كنيسة الله التى فى غلاطية، من أجل إثبات قيمة الفداء الذى تم بالمسيح، وفى المسيح. فليست أعمال الشريعة القديمة (الناموس) ولا فلسفة اليونان هى التى تم بها تبرير الناس، وإنما

---

(١) يوحنا ١ : ١.   (٢) يوحنا ٢٠ : ٣٠، ٣١.

(٣) (يوحنا ٢٠ : ٣١)، (متى ١٦ : ١٦).

الخلاص قد تم مجانا بعمل المسيح الكفارى فى الصليب «ليس الختان ينفع شيئا، ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة (١)». أى أن هدف كل من رسالتى رومية وغلاطية كان هدفا عقائديا هو حقيقة الفداء الذى تم فى المسيح وبالمسيح، وأنه به تم الخلاص، لا بأعمال الشريعة القديمة (الناموس)، ولا بفلسفة اليونان والوثنيين.

كذلك أيضا رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين، هدفها ابراز حقيقة إيمانية عقائدية، وهى بيان جلال الكهنوت المسيحى، وسموه على الكهنوت اللاوى بقدر ما يسمو المسيح عن موسى وهرون، وأن كهنوت المسيح كهنوت دائم وباق إلى الأبد. وهى الحقيقة الأرثوذكسية المهمة التى تستند إليها قيمة جميع الأسرار الكنسية، والممارسات الروحية التى تباشرها الكنيسة للمؤمنين. ومما جاء فى هذه الرسالة قوله «فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال، إذ الشعب أخذ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق، ولا يقال على رتبة هرون... لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة، وأما هذا فبقسم من القائل له: أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق. على قدر ذلك قد صار يسوع ضامنا لعهد أفضل... يبقى إلى الأبد، له كهنوت لا يزول (٢)».

ورسالة القديس يعقوب الرسول هى أيضا تستهدف ابراز قيمة الأعمال الصالحة فى المسيح، وأنه «بالأعمال يتبرر الإنسان، لا بالإيمان وحده... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت، هكذا الإيمان أيضا بدون أعمال ميت (٣)».

وقل مثل ذلك فى سائر الأناجيل والرسائل، أنها كتبت من أجل إثبات عقيدة، أو قل أنك واجد فيها جميعا مبادىء العقيدة إلى جانب مبادىء الفضيلة من دون تفريق. ففى موضع منها يتكلم الوحى عن لاهوت المسيح، وفى موضع آخر يتكلم عن تجسده أو كفارته أو عن الثالوث القدوس أو عن سر المعمودية، أو سر المسحة، أو سر القربان، أو سر التوبة والإعتراف، أو سر الكهنوت، أو سر الزيجة، أو سر مسحة المرضى، أو عن القيامة العامة أو عن الدينونة العامة وما إلى ذلك من شئون العقيدة. كلها تجدها مبثوثة ومنتشرة هنا وهناك فى أثناء الكلام عن الحقائق الروحية التقوية الخالصة التى يترتب عليها صدق الإيمان، واستحقاق الحياة الأبدية.

---

(١) غلاطية ٥: ٦.
(٢) العبرانيين ٧: ١١– ٢٤.
(٣) يعقوب ٢: ٢٤، ٢٥.

سادسا - وتتضح أهمية العقيدة فى الكتاب المقدس من أنه ينهال بشدة على المبتدعين والهراطقة الذين يعوجون التعليم الصحيح ويبلبلون أفكار المؤمنين، ويضيفون على التعليم الإلهى أو ينقصون منه كما يشاءون، الأمر الذى ينهى الرب عنه بقوة ويتوعد فاعليه بالعذاب المقيم.

فإذا أعلن الرب حقيقة إيمانية، تطلب من الناس أن يقبلوها بعمق الإتضاع، وعلى الرغم من روح الوداعة وروح السلام المتجليتين فى كل أحاديثه، نجده صارما على الذين لا يقتبلون تعليمه كما يريد هو أن يعلنه للناس. من ذلك تعليمه عن سر التناول من جسده ودمه الأقدسين كما سجله الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا البشير. فأنه أثار اعتراض اليهود الذين سمعوه يقول «أنا هو خبز الحياة ... أما هذا فهو الخبز النازل من السماء ليأكل منه الإنسان فلا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم (١)». وجأروا بالإعتراض قائلين: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله (٢) ؟» فأصر السيد الرب على قوله بمعناه الحرفى، وزاد عليه قائلا: «الحق الحق أقول لكم: ما لم تأكلوا جسد ابن الإنسان، وتشربوا دمه، لا تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير، لأن جسدى هو الطعام الحق، ودمى هو الشراب الحق. من يأكل جسدى ويشرب دمى يستقر فى وأنا أيضا أستقر فيه. كما أن الآب الحى قد أرسلنى، وأنا كذلك أحيا بالآب، هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى، هذا هو الخبز الذى نزل من السماء (٣)». وكان نتيجة لهذا أن كثيرين من تلاميذه لما سمعوا تعليمه عن أكل جسده ودمه «قالوا أن هذا الكلام عسير. من يستطيع أن يستمع إليه (٤)». «لذلك نكص كثير من تلاميذه على أعقابهم، فلم يعودوا يمشون معه (٥)». فلم ينثن الرب عن مقاله، ولم يضحِ بالمبدأ المحيى فى سبيل أن يرضيهم، ولم يخفف من صراحة دعواه، بل أبدى استعداده لأن يضحى بالبقية الباقية من أخص تلاميذه، إذا لم يقبلوا تعليمه كما أراده هو «فقال يسوع للإثنى عشر: «ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا (٦)»، وهو سؤال ينطوى على اهتمام السيد المسيح بضرورة قبول أقواله كما هى، وأنه لا سبيل إلى التضحية بالعقائد الإيمانية، مهما كان موقف الناس منها.

(١) يوحنا ٦: ٤٨- ٥١.
(٢) يوحنا ٦: ٥٢.
(٣) يوحنا ٦: ٥٣- ٥٨.
(٤) يوحنا ٦: ٦٠.
(٥) يوحنا ٦: ٦٦.
(٦) يوحنا ٦: ٦٧.

وفى سفر الرؤيا يتكلم الرب إلى أسقف كنيسة الله التى فى أفسس يمدحه على موقفه من بدعة النيقولاويين ويقول له «أنك تمقت أعمال النيقولاويين التى أمقتها أنا أيضا (١)»، بينما يوبخ أسقف مدينة برغامس على تهاونه مع النيقولاويين بقوله «عندك أنت أيضا قوم متمسكون بتعليم النيقولاويين الذى أبغضه (٢)». ومن هذين النصين الإلهيين نتعلم أن الرب يمقت أعمال النيقولاويين وتعليمهم، وأنه يمدح الراعى الساهر على رعيته، ويدفع عنهم غائلة الهراطقة الذين يفسدون أذهانهم، ويتلفون إيمانهم، وأنه يغضب على الراعى الغافل الذى يهادن الهراطقة ولا يقاومهم، فيتفاقم شر تعليمهم، ويسرى سمه إلى سائر المؤمنين.

وفى نفس الأصحاح الثانى من سفر الرؤيا أيضا يكلم الرب أسقف مدينة ثياتيرا ويوبخه هو أيضا على تهاونه مع المرأة ايزابل التى زعمت أنها نبية، وأضلت كثيرين من المؤمنين بتعليمها الفاسد، وبعد أن توعدها واتباعها بالويل والثبور وعظائم الأمور، عاد يشدد الأمناء المخلصين الذين رفضوا أعمال تلك المرأة وتعليمها المهلك فقال له المجد «وأقول لكم ولسائر الذين فى ثياتيرا، من جميع الذين ليس لهم هذا التعليم... إنى لا ألقى عليكم ثقلا آخر. وإنما تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجىء (٣)». ومنه نفهم أيضا أن مهادنة الهراطقة شر عظيم، وأن التهاون فى التعليم المقدس يؤذى الرعية، ويدل على تقصير الراعى فى واجباته الروحية، كما نفهم منه أيضا أن الرب يتطلب من المؤمنين أن يتمسكوا بتعليمه الإلهى كما هو، بغير انحراف أو إلتواء إلى يوم مجيئه الثانى للدينونة. وبهذا أغلق الرب الطريق أمام كل من يسعى إلى زيادة أو نقص فى تعليم المسيح. ولا يفوتنا هنا أن ننوه إلى نصيب من يزيد على تعليم الكتب المقدسة أو يحذف منه «إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة فى هذا الكتاب. وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبه من سفر الحياة، ومن المدينة المقدسة ومن المكتوب فى هذا الكتاب (٤)». ولعل فى هذا التحذير الإلهى خير جواب على من يسأل عن نصيب الهراطقة والمبتدعين فى الحياة الأخرى!!

ودليك على اهتمام الكتاب المقدس بكل ما يتصل بالعقيدة، بسبب تحذير مخلصنا الواضح فى الإنجيل من تعليم الهراطقة أو المعلمين الكذبة (٥)، وتحذير الآباء الرسل أيضا

(١) الرؤيا ٢: ٦.

(٢) الرؤيا ٢: ١٥.

(٣)الرؤيا ٢: ١٨ – ٢٥.

(٤) الرؤيا ٢٢: ١٨، ١٩.

(٥) (متى ١٦: ١٢)، (٧: ١٥).

الواضح فى رسائلهم، من المعلمين الكذبة أو الإخوة الكذبة الذين يعلمون بتعليم آخر لا يوافق التعليم المسيحى الصحيح.

فالرسول القديس بولس يكتب فى رسالته إلى تلميذه تيموثيئوس يقول «إن كان أحد يعلم تعليما آخر، ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة، والتعليم الذى هو حسب التقوى، فقد تصلف، وهو لا يفهم شيئا (١)». كما يكتب إلى الغلاطيين يوبخهم على انحرافهم عن التعليم الصحيح المسلم إليهم من الرسل فيقول «إنى متعجب كيف تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. وإن لم يكن إنجيل آخر، لكن قوما يبلبلونكم ويريدون أن يقلبوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بخلاف ما بشرناكم به، فليكن أناثيما. كما قلنا سابقا أقول الآن أيضا إن بشركم أحد بخلاف ما تلقيتم، فليكن أناثيما (٢)». وفى موضع آخر من نفس الرسالة يقول منبئا عن مصير المعلمين الكذبة «ولكن الذى يزعجكم سيحمل الدينونة، أى من كان (٣)»، كما يقول متمنيا «ياليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضا (٤)». وفى رسالته إلى كنيسة الله التى فى رومية، يحذر أهل رومية ممن يعلمون بتعاليم مغايرة للتعليم الصحيح الذى عرفوه وتسلموه من قبل «وأطلب إليكم أيها الأخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاقات والعثرات، خلافا للتعليم الذى تعلمتموه، وأعرضوا عنهم. فإن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم. وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء (٥)». وفى رسائله الأخرى أيضا يوجه مثل هذا التحذير إلى المؤمنين. من ذلك قوله «لا تنقادوا لتعاليم متنوعة وغريبة (٦)»، وقوله «لا يغركم أحد بالكلام الباطل (٧)»، وقوله «وإنما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق (٨)»، وقوله «انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب سنة الناس (٩)». وقوله «فإنه يوجد كثيرون متمردين، يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول،.. الذين يجب سد أفواههم، فإنهم يقلبون بيوتا بجملتها معلمين مالا يجب (١٠)»، وقوله «الرجل المبتدع بعد الإنذار مرة ومرتين أعرض عنه. عالما أن مثل هذا قد انحرف، وهو يخطىء محكوما عليه من نفسه (١١)».

---

(١)١. تيموثيئوس ٦: ٣.
(٢) غلاطية ١: ٦– ٩.
(٣) غلاطية ٥: ١٠.
(٤)غلاطية ٥: ١٢.
(٥) رومية ١٦: ١٧، ١٨.
(٦) العبرانيين ١٣: ٩.
(٧)أفسس ٥: ٦.
(٨) كولوسى ٢: ٤.
(٩) كولوسى ٢: ٨.
(١٠)تيطس ١: ١٠، ١١.
(١١) تيطس ٣: ١٠، ١١.

ويمتد تحذير الرسول القديس بولس إلى مستقبل الكنيسة، فينبىء عن الهرطقات والبدع والشقاقات التى ستزعج الكنيسة من بعده فى مستقبل الأيام، فيكلم الأساقفة والقسيسين فى أفسس وميليتس قائلا: «فإنى أعلم هذا أنه بعد فراقى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية. ومنكم أنتم أنفسكم سيقوم رجال يتكلمون بأقوال ملتوية، ليجتذبوا التلاميذ وراءهم (١)». ويقول مرة أخرى لتلميذه تيموثيئوس «فإنه سيأتى زمان لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصة، يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم فيصرفون مسامعهم عن الحق (٢)».

وحتى الرسول القديس يوحنا الحبيب الذى سبى قلبه بمحبة المسيح، وشغل فى حياته كلها بالحديث عن المحبة، وامتلأت رسائله بنداءات المحبة، ينزعج هو أيضا بسبب أعمال الهراطقة، ويأخذ فى تحذير المؤمنين من المبتدعين، والمعلمين الكذبة الذين يعلمون ضدا للتعليم الرسولى القديم، فيقول فى أولى رسائله «أيها الأحباء، لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هى من الله، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم (٣)». وفى رسالته الثانية يقول متوعدا «أنظروا إلى أنفسكم لئلا نضيع ما عملناه، بل ننال أجرا تاما. كل من تعدى ولم يثبت فى تعليم المسيح، فليس له الله. ومن يثبت فى تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعا. إن كان أحد يأتيكم ولا يجىء بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة (٤)». ومرة أخرى يقول «أيها الأولاد هذه هى الساعة الأخيرة. وكما أنكم سمعتم أن ضد المسيح يأتى، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. فمن هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة. منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا (٥)». ومن هذه النصوص المقدسة يظهر بوضوح تحذير الرسول القديس يوحنا للمؤمنين من أولئك المعلمين الكذبة أو الهراطقة، وقد كانوا أصلا من بين المؤمنين بالمسيح، ثم خرجوا على التعليم الرسولى المستقر فى كنيسة الله الأرثوذكسية، وصاروا بخروجهم على هذا التعليم، أضدادا للمسيح، وأعداء له، ولكنيسته المقدسة، وما داموا كذلك، فقد تعين على

---

(١) أعمال الرسل ٢٠: ٢٩، ٣٠.

(٢) (٢. تيموثيئوس ٤: ٣، ٤)– أنظر (أعمال ١٥: ١، ٥، ٢٤).

(٣) ١. يوحنا ٤: ١.

(٤) ٢. يوحنا: ٨– ١١.

(٥) ١. يوحنا ٢: ١٨، ١٩.

المسيحيين الأرثوذكسيين، مقاطعتهم، وعدم مخالطتهم، وعدم قبولهم فى بيوتهم، بل وعدم السلام عليهم، وإلا كانوا شركاء لهم فى عداوتهم للمسيح، ومعاملتهم معاملة الخوارج.

وأما الرسول القديس بطرس، فلا يقنع بتحذير المؤمنين من المعلمين الكذبة، الذين يدسون بدع الضلال فى تعليمهم، بل ويضيف إلى هذا، كشفه عن المصير الأليم الذى ينتظرهم فى يوم الدينونة الرهيب، فيقول «وقد كان فى الشعب أنبياء كذبة، كما أنه سيكون فيكم معلمون كذبة يدسون بدع هلاك... جالبين على أنفسهم هلاكا سريعا. وسيقتفى كثيرون تهلكاتهم... وهم فى الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة، الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى، وهلاكهم لا ينعس (١)».

وبقدر ما نبه الآباء الرسل إلى خطأ وخطر الإنحراف عن التعليم الصحيح، والإنقياد إلى المعلمين الكذبة والهراطقة، بقدر ما حرصوا أشد الحرص على توجيه تلاميذهم من الأساقفة والكهنة والمؤمنين، إلى وجوب التمسك بصورة التعليم الصحيح الذى تسلموه من الرسل أنفسهم، والمحافظة على وديعة الإيمان من ذلك قول الرسول بولس إلى تلميذه الأسقف تيموثيئوس، «تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع. احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا (٢)»، وقوله أيضاً «وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت (٣)»، وقوله لتلميذه الأسقف تيطس «لكى يكون قادرا أن يعظ بالتعليم الصحيح، ويوبخ المناقضين (٤)».

والتعليم الصحيح المقصود هنا هو تعليم الرسل الذى سلمه الآباء الرسل بأنفسهم إلى تلاميذهم وإلى المؤمنين، وصار تقليدا معروفا ومستقرا فى كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية كما يتضح من قول الرسول بولس «ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى تسلمه منا (٥)».

---

(١) ٢. بطرس ٢: ١-٣.

(٢) ٢. تيموثيئوس ١: ١٣، ١٤.

(٣) ٢. تيموثيئوس ٣: ١٤.

(٤) (تيطس ١: ٩). أنظر أيضا (رومية ٦: ١٧)، (١. تيموثيئوس ١: ١٠).

(٥) (٢. تسالونيكى ٣: ٦). أنظر أيضا (١. كورنثوس ١١: ٢)، (٢. تسالونيكى ٢: ١٥).

سابعا - أن المؤمنين عموما وقادة المؤمنين خصوصا، مكلفون من قبل الله أن يبلغوا الإيمان إلى غير المؤمنين وأن يجيبوهم على أسئلتهم.

لقد صارت الكرازة لغير المؤمنين واجبا على رجال الدين «لأني إذا بشرت فليس لي فخر، لأن ذلك ضرورة موضوعة عليَّ، والويل لي إن لم أبشر (١)»، فكيف يبشرون ما لم يكونوا مقتنعين أعظم اقتناع بحقائق الديانة وتعاليمها؟ وما لم يكونوا قادرين على إيضاح قواعد الإيمان والبرهنة عليها ومناقشة ما يُعترض به عليها؟؟!

وحتى عامة المؤمنين يجب أن يكونوا راسخين في إيمانهم متشبعين بعقائد ديانتهم، مقتنعين بحقائقها، قادرين على أن يجتذبوا غير المؤمنين ويؤثروا فيهم، وعلى الأقل أن يكونوا مستعدين للإجابة على أسئلة غير المؤمنين وتساؤلاتهم. يقول القديس بطرس في رسالته الأولى للمؤمنين المتغربين من شتات بنطس وغلاطية وكبادوكية وأسيا وبيثينيا «قدسوا الرب الإله في قلوبكم مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسألكم (٢)»، ويقول القديس بولس في رسالته إلى الكنيسة في كولوسي «اسلكوا بحكمة من جهة الذين في الخارج (= غير المؤمنين) مفتدين الوقت، وليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا بملح حتى تعلموا كيف ينبغي لكم أن تجاوبوا كل واحد (٣)».

على أولئك وهؤلاء من رجال الدين بخاصة والمؤمنين بعامة، أن يكونوا على معرفة تامة بحقائق الديانة وتعاليمها، والأسس القائمة عليها، حتى يبقوا على إيمانهم بها ورسوخهم فيها، ولكي يقدروا أن يقنعوا غير المؤمنين ويلزموهم الحجة فيها، وأن يجيبوا على كل سؤال يوجه إليهم عنها.

وليس غير المؤمنين بحقائق الديانة هم أهل الديانات والمذاهب الأخرى فحسب، ولكن هناك أيضا غير المؤمنين ببعض الحقائق المسيحية من بين الهراطقة والخوارج على كنيسة الله الرسولية. هؤلاء أيضا يجب أن يجدوا في الكنيسة من يقنعهم أو يسكتهم، ويرد على اعتراضاتهم، موضحا خطأ مذاهبهم، بالأدلة والبراهين العقلية والكتابية، حتى لا يعثر كافة المؤمنين بأفكارهم، بل ولكي يزدادوا إيمانا في سلامة عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية.

---

(١) (١ . كورنثوس ٩ : ١٦). أنظر (أعمال ١٦ : ١٠)، (رومية ١ : ١٤)، (٢. تيموثيئوس ٤ : ٥).

(٢) ١ . بطرس ٣ : ١٥.

(٣) كولوسي ٤ : ٥، ٦.

وهنا ننبه إلى الخطأ الذى يقع فيه بعض رجال الدين من قادة الكنيسة الذين يكتفون بمواعظهم التقوية الخالصة، مهملين مراجعة عقائد الكنيسة وشرحها وإثبات قيمتها الروحية واللاهوتية، ولا يتنبهون إلى شرح العقائد للشعب إلا عندما يسمعون عن معلم غير أرثوذكسى يجتذب بمواعظه بعضا من المؤمنين الأرثوذكسيين. وينسون أن درهم وقاية خير من قنطار علاج، وأن واجبهم الروحى كان يقتضيهم رعاية شعبهم رعاية أرثوذكسية كاملة، وأن يملأوا أذهان هذا الشعب بتعاليم الكنيسة وعقائدها، وأن يشبعوا قلوبهم بقوة هذه العقائد وسلامتها. فبهذا وحده يمكن للمؤمنين أن يصمدوا أمام الشكوك والعثرات التى يثيرها غير الأرثوذكسيين فى طريقهم، وأن يكونوا قادرين على أن يقضوا أولا بأول على كل الحركات الأثيمة التى يقوم بها قادة الخارجين على الكنيسة لتشتيت المؤمنين وفصلهم عن كنيستهم الأرثوذكسية.

ضرورة العقيدة الدينية (١)

ضرورة العقيدة:

يقول إرمياء النبى فى الأصحاح السادس من سفره: «قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم» (أر ٦ : ١٦).

يبدو لبعض المسيحيين أن المسيحية ينبغى أن تتجه أولا إلى الحياة الروحية فى التأمل والتعبد وهذه الرياضات التقوية التى ترفع أشواق النفس إلى الله. وأما هذه البحوث التعليمية وأما هذه العقائد فهى أمور ثقيلة ينبغى أن تطرح جانباً.

هذا الاتجاه نلاقيه عند كثير من الناس ولقد كنت أجده أيضا فى مدارس الأحد فكان دائما الشباب الموجهون لها يشعرون منذ زمن أن الحديث عن العقائد والطقوس للبالغين فقط، وينبغى أن يخلص الحديث إلى الشباب من العناصر القوية، ونقدم لهم اللبن! ولا شك أن هذا الاتجاه فيه وجاهة فما أجمل وما أحسن أن تنصرف النفس عن أخطائها، وتتجه إلى الله وتتعبد له وأن تنتعش الحياة الروحية بالوسائل التقوية التى تصفو بها النفس ويقرب بها الإنسان إلى الله.

ولكن من قال إن هناك فرقا وفاصلا بين الحياة الروحية الصرفة المعتمدة على العاطفة، وبين العقائد الدينية التى هى الأساس لقيام الحياة الروحية؟!

إن هذه التفرقة بين الحياة والعقيدة تفرقة ظالمة لا تتفق وطبيعة النفس الإنسانية التى لا تحيا إلا بالعقيدة. وحتى الذين يرفضون الحديث عن عقيدة معينة يبنون هذا الرفض على عقيدة وبناء عليها يفضلون الانفصال عن العقيدة.

وأنا لا أستطيع أن أتصور أن هناك إنساناً يحيا بلا عقيدة!!.

العقيدة والحياة:

قد تختلف العقائد ولكن هناك إنسجاما وتوافقا وتوازن بين عقيدة الفرد وحياته فى العالم. وإذا كان حقاً ما قيل فى علم النفس بأن الفكرة تستحيل إلى عمل فإذن لا يمكن أن نتصور عملا إلا وتسبقه عقيدة. ثم هذه العقيدة بدورها لا يمكن أن تظل منفصلة عن حياة الإنسان بل تتحول من فكره إلى أن تستقر فى مداخل النفس وعند استقرارها فى الإنسان تستحيل إلى حياة عملية ذلك أنها تصل للعقل وتمتزج بالدم، فأين الفصل إذن بين العقيدة والحياة؟

---

(١) محاضرة ألقيت فى المؤتمر السنوى الأول لمدارس الأحد بمديريات القليوبية والشرقية والمنوفية سنة ١٩٥٠م ونشرت بمجلة مدارس الأحد السنه ٩ العدد ٤ – أبريل ١٩٥٥م.

والحق إن الحياة مبنية على العقيدة وإن الفرق بين حياة إثنين هو الفرق بين عقيدتهما. ولو نظرنا للمرائى لوجدنا أيضا أن حياته مزعزعة مثل تصرفاته لأن ليس له عقيدة. فحركات الأشخاص تتفق مع هذه الأفكار الظاهرية لأنه إذا وجدت عقيدة حقيقية فهى تظهر فى التصرفات.

إذاً فالعقيدة هى الأساس والحياة الروحية هى البناء.

المسيحية عقيدة:

فإذا أردت أن توجه شاباً أو تكلم طفلا لإقناعه بالسير على سيرة خاصة تحاول أولا أن تثبت له أن هذا النوع من الحياة هو الحياة المطلوبة. وبعد اقتناع الطفل يتصرف الولد بحسب العقيدة الموجودة بذهنه دون تكلف أو دون تصنع. وقد يتكلف فى أول الأمر لمقاومة عادة ما، ثم ينطلق فى الحياة انطلاقا طبيعياً. ثم هذا الفريق من الناس تراه قد فهم المسيحية. وما هى المسيحية؟ هل هى عاطفة روحية؟ إذا كانت المسيحية مجرد عاطفة روحية فما الفرق بينها وبين الوثنية أو البوذية أو أى دين آخر يؤمن بالأخلاق!

فما الفرق بين المسيحية كديانة وما بين هذه الاتجاهات لو كانت مسألة عاطفية فقط؟ وإنه لو كانت المسيحية ديانة مشاعر لقربت من البهائية التى ترفض التفريق بين الأديان.

أترضون للمسيحية أن تفقد خصائصها الذاتية وتستحيل إلى ديانات أخرى. إذن هذه الدعوة للتفرقة ما بين الحياة والعقيدة هى فكرة بعيدة كل البعد وتدخل بنا إلى دين آخر وإلى عقيدة أخرى.

المسيحية مبنية على مبادىء معينة أن نؤمن بها فيما يتصل بالمسيح وبالروح القدس وبالله وبالممارسات والعبادات التى نتقرب بها إلى الله ومصير النفس فى العالم الآخر. فإذا انحرفنا عن هذه العقائد والتعاليم أصبحنا فى ديانة أخرى وعقيدة أخرى.

فمنطق الديانة المسيحية وكوننا مسيحيين يعنى أننا لا نتكلم بالفضائل بل أيضا أن نراعى المبادىء والتقاليد.

إذا كان حقاً أن هناك تفرقة ما بين حياة الفضيلة وما بين الإيمان والعقيدة، فما هو السر بين الأديان المختلفة؟

وإن الواقع يبين أن هناك ديانات مختلفة، حتى أن داخل المسيحية ذاتها شيع وآراء، فكيف نحكم وكيف نكون منطقيين مع أنفسنا ونحن نرى هذه المبادىء. وكيف نحكم بين هذه الديانات والملل إن لم تكن هناك عقيدة، بناء عليها تناقش الآراء والأفكار المختلفة.

فلا بد للإنسان الجاد الذى يريد أن يكون أميناً للتعليم المسيحى ألا يفصل ما بين العقيدة والحياة، لأن هذه التفرقة مؤداها أن تطرح هذه المبادىء السامية التى تقوم عليها المسيحية.

هبوا أننا انتزعنا هذه المبادىء الخاصة التى تحير الكنيسة الأرثوذكسية وغيرها، إذ قال أصحاب هذا الفكر أن تترك هذه المسائل لأنها إشكالات ولكن أقول فلنتمش مع هؤلاء لنرى النتيجة: اطرح التناول والمعمودية والصوم والاعتراف والكهنوت ونحوها لأن فيها إشكالات. وسيبقى فى المسيحية مبادىء هامة رئيسية هى: الله والآخرة والمسيح.

لكن ما رأيك أن هناك إختلافا فى المسيح - إذن فالمنطق السابق يريدنا أن نطرح المسيح جانبا لأن عليه إشكالا. ولماذا لا تكون ديانة واحدة تعترف بإله واحد.

وهناك مبادىء ترفض الآخرة تزعم أنها مسيحية. ترفض فكرة الخلود وتنادى بأن الإنسان سيموت مثل الحيوان.

إذاً ماذا يبقى فى الديانة كلها لكى نعترف به، ولنجاهد نحوه.

على هذا الأساس.. لا يبقى هناك شىء. إذن هى فكرة هدامة مؤداها أن نتساهل فى قضايا الدين واحدة بعد الأخرى حتى نرفض الدين كلية وحتى تعود الإباحية بعد طرح العقيدة لأن الحياة الروحية إن لم تكن على أساس عقيدة تهدم.

لابد للإنسان فى كثير من الأحيان أن تعترضه شكوك إذا كانت الحياة الروحية مبنية على وعظ تأثيرى للعاطفة والمشاعر الروحية دون وجود عقيدة ورأى. فتعال معى إلى فرص أخرى تفتر فيها العاطفة والشعور وما أكثر هذه الفرص - تعال نفتش عن العقيدة فلن نجدها.

ثم تعال إلى فرصةأخرى تهدد فيها العقيدة بالزوال أمام أفكار يثيرها أعداء العقيدة وأنت لم تكن قد تحصنت كيف تقاوم الشكوك؟ فلا تجد العقيدة وتقوى الشكوك وتفتر العاطفة ثم تولى بعد ذلك ظهرك للدين ثم تفتش عن العاطفة التى كانت تثيرك للناحية الدينية فتجدها تدفعك إلى ناحية عكسية. هذه هى الأفكار الهدامة التى يعتمد عليها البعض لإبعاد فكرة العقيدة والدراسة لكى يعتمد على عاطفة هوجاء. ولكن إن كان الاعتماد على الاقتناع والعاطفة، فإنه إذا ثارت العاطفة وجدت من العقيدة بقية ترجعك إلى صوابك.

الكتاب المقدس والعقيدة:

وهؤلاء القوم الذين يدعون إلى هذه التفرقة بين الحياة والعقيدة هل حقاً يؤمنون بالكتاب المقدس؟ لو كانوا حقاً يؤمنون به، ولو كانوا يعرفونه لكانوا يعرفون أنه ليست هناك تفرقة. فالعقيدة هى الحياة والحياة هى العقيدة، وكلاهما يبنى الآخر ويكمله. لأن هذه المبادىء العقائدية أخذوها عن الكتاب المقدس فهو الذى فيه الكلام عن التقوى والفضيلة والعقيدة واللاهوت من الله إلى الحياة الأخرى، وطقوس العبادة. والكتاب المقدس فيه مبادىء الفضيلة وفيه الحديث عن كل الأفكار اللاهوتية المتصلة بالله والمسيح ولاهوته ومواهب الروح القدس فى الكنيسةوطقوس العبادة. فإذا كان الكتاب فيه مبادىء الفضيلة وفيه أيضاً مبادىء العقيدة فإن أخذنا هذه فلنأخذ تلك لأنه مصدر الإثنين ولا نرى فيه أى تفرقة. فإنجيل يوحنا كتب من أجل إثبات عقيدة واحدة فقط كما يتضح من نهايته: «وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم باسمه حياة» (يو ٢٠ : ٣٠) فكأن الإنجيل كتب لكى نؤمن بأن المسيح هو الله فهى عقيدة لاهوتية.

لو رجعنا إلى الرسائل جميعها لوجدنا أن كلا منها تدافع عن عقيدة من عقائد الإيمان. فرسالة رومية وغلاطية كتبت لكى تثبت أنه لا يتبرر الإنسان بأعمال الناموس وأن الإيمان هو الذى يخلصنا وأن الفلسفة والأعمال الفكرية لا تستطيع خلاصنا وذلك لأن اليهود كانوا يتعصبون لناموسهم واليونان لفلسفتهم.

ثم رسالة العبرانيين من أولها إلى آخرها تثبت أن المسيح هو الكاهن الأعظم الذى حل محل الكهنوت القديم.

أما رسالة يعقوب فتبحث فى أن الإيمان بمفرده لا يكفى لكن لا بد له من الأعمال. بمعنى أن الرسل خصصوا رسائل وأناجيل بتمامها للدفاع عن عقيدة من عقائد الإيمان. فمن التعدى على الكتاب المقدس والمسيحية أن نظن أن المسيحية مبنية على إثارة الفضائل الخاصة دون العقائد إذ أن الحياة الروحية الغير مبنية على العقائد لا يمكن أن تكون مستقيمة تماماً إذا بنيت على عواطف دون العقيدة التى هى الأساس.

المذاهب والعقيدة:

ثم نجد أن الكتاب المقدس عينه قاعدة الإيمان والحياة، عنى عناية كبيرة أكثر مما نتصور بأن يحارب وينازل الأفكار الضارة والعقائد المنحرفة فى الحياة المسيحية، ومن يقرأ الكتاب يجد فيه نزاعاً ومخاصمة فى هذه الناحية وأن الرسول بولس يحدث أهل غلاطية قائلاً: «أيها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم حتى لا تذعنوا للحق» بسبب إنحرافهم إلى إنجيل آخر ولكن ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونهم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح «ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن محروماً كما سبقنا فقلنا أقول الآن أيضا إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن محروما» «ياليت الذين يقلقونكم يقطعون أيضا» «احذروا الذين يصنعون إنشقاقات خلافاً للتعليم الذى قبلتموه».

والرسول يوحنا يقول أتت الساعة لأنه صار للمسيح أضداد كثيرون منا خرجوا ولكنهم ليسوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا. يهمنى قبل أن أترك هذه الآية أن أسائل الأشخاص الذين لهم أفكار أخرى وعندما نتكلم عن موضوع العقيدة يزعجهم هذا الموضوع، أريد أن أسائل هؤلاء القوم لماذا تركوا هذا المكان (الكنيسة) وعقدوا إجتماعات أخرى فى أماكن أخرى لها طقوس فلماذا يتغير المكان ولماذا تتغير الطقوس إذا كان المهم الحياة الروحية؟ أفلا يكون هذا نوع من الألاعيب التى يلعبون بها على عقول الأقباط بقولهم نحن لا طائفيون أى بلا عقيدة مع أن هذا إتهام للشخص من نفسه، ثم هو كذب لأنه يؤمن بعقيدة أخرى سماها هو لا طائفية فى مغالطة لاجتذاب البسطاء والجهلاء...

ومبدأ أن كلنا واحد فى المسيح وهذا ما يقول الرسول: لم يكونوا منا لأنهم منا خرجوا ولو كانوا منا لبقوا معنا لأنه لو كنا واحداً لما خرجوا منا. إذن لسنا جميعا فى المسيح واحداً لأن لاهوت المسيح لا ينظر إليه فى جميع هذه العقائد نظرة واحدة والبعض لا يعرفون المسيح بوصفه إلها ممجداً إلى الأبد ولكن بوصفه إنساناً ممجدا فى الضعف. وإمتداداً لهذه المبادىء ظهرت مبادىء بروتستانتية تنكر لاهوت المسيح، والمعتقدون أنه سيكولوجى أو عالم نفسانى وبذور إنكار لاهوت المسيح موجودة فى المذهب البروتستانتى. وذلك إبرازاً للناحية الجسدية دون اللاهوتية وحولوا الحديث إلى الناحية الناسوتية الصرفة كما قال أكليمنضس الأسكندرى.

وهكذا قال الرسول: تجنب كل أخ لا يسلك حسب التقليد الذى أخذته منا.. وتسمى الكنيسة بالكنيسة الأرثوذكسية لأنها حريصة. إذ أن المسائل اللاهوتية صعبة جداً كما يتحدث القديس

اغريغريوس عن التثليث قائلا: إن هذا الموضوع من الموضوعات التى لا تتناولها العقول البشرية من أى جانب إلا وجرحته. فمثلا بداءة إنجيل يوحنا بقوله: «الكلمة» لا بد لها أن تعرف استخدام كلمة «الكلمة» (اللوغس) فى وقت الرسول. أى لا بد من دراسة عصر كتابة الكتب الإلهية حتى تكون المبادىء صحيحة.

الفضائل والعقيدة:

وهكذا فإن العقيدة لا يمكن أن نتساهل فيها ولكن إن بحثنا عن الفضيلة نجد أن العقيدة تؤثر عليها لأن إختلاف العقيدة حتما يؤثر على الفضيلة، فمثلا ليس كل الناس يفهمون المحبة والاتضاع مثل بعضهم، حتى أن الحديث عن الفضائل المسيحية يجب أن يأخذ صورة تعليمية لأن كثيرا من المرشدين والوعاظ يقولون كلاما غير مفهوم عن هذه الفضائل. فالبعض يسىء فهم التواضع ويخرج منها إلى الكبرياء أو إلى الخنوع والذل لأن الأرثوذكسية فى السيرة فى حاجة إلى جهاد لفهم الفضائل التقوية، فإذن أنت محتاج إلى فضائل يجب أن تبنى على أساس من الفهم المضبوط حتى لا تنحرف الفضيلة إلى شىء آخر فى ذهنك. وفى رأيى أن نفس الحديث عن الفضائل يجب أن يأخذ صورة تعليمية، فالعقائد التى تؤمن بها، هل ليس لها تأثير فى الحياة الروحية؟ وإن كان ذلك فلماذا وجدت؟ هل لمجرد إتعاب الفكر؟ فلنفرض عدم وجود حياة أخرى فتنقرض الفضيلة لأنه إن لم تكن قيامة أموات فلنأكل ونشرب لأننا غدا نموت. فعند التكلم عن الفضائل المختلفة من قهر النفس والذل نجد بين العقائد طقس الصوم، لم يوجد لنمارسه كفرض ثقيل ولكن المقصود به فضيلة تولد فينا الصبر والجلد ومكافحة النفس وانتصار الإنسان وتقوية الإرادة والشجاعة، فكأن الصوم له قيمة روحية زيادة على آثاره الصحية المفيدة.

إذا أثبتنا المعمودية أنها ليست مجرد طقس ولكن هى الطريقة الوحيدة التى لا يوجد بأى طريق آخر سواها أن نأخذ استحقاقات المسيح على الصليب، ولكن بها عن طريق الروح القدس نأخذ هذه الاستحقاقات، فتحصل فيها عملية تغيير حقيقية للطبيعة القديمة إلى الطبيعة الجديدة (أى خلع جسم الإنسان العتيق) ونحن فى حاجة لمواهب الروح القدس لأنه يقوى ويذكّر ويشدد ويحركنا للخير والغيرة والقداسة، وكل هذا يعمله الميرون ليس مثل الخمسينيين الذين يصلون لطلب الروح القدس. وهنا طبعاً الفرق بين الكنيسة التى تجعل مواهب الروح القدس مبنية على استحقاقات المسيح رأسا، وبين من يعتقد أنه يأخذ مايريد بقصر الصلاة وطولها والوسائل العملية البحتة. هذه الموهبة عند إضرامها تعمل عمل الروح القدس «أضرموا الموهبة التى فيكم».

وهناك تعب نفسانى فنحن إذ ذاك فى حاجة لمن نشكو إليه آلامنا مثل رسل المسيح الذين كانوا يحدثونه بما صنعوا، فالإنسان محتاج إلى من يشكو إليه وهذا هو سر الاعتراف، فيه شكوى لنفسك وعلاج وغفران فالحياة الروحية احتاجت لسر الاعتراف.

وهكذا يحتاج الإنسان بين فترة وأخرى بأن يقطع عهداً مع الله فى التناول، إذ تثبت الأغصان فى الكرمة فلا بد أيضاً من التناول. والخلاصة أن هذه العقائد لازمة للحياة الروحية.

واجبات ونصائح:

أخيراً لكى نكون أرثوذكسيين مدققين فى حياة العقيدة والسيرة يلزمنا:

١- أن نقاطع مقاطعة كلية فكرة التفرقة بين الحياة الروحية والعقيدة لأنها فكرة غير طبيعية أو إنسانية، وعلينا بمقاومتها لأنها هدامة ولنجمع بين العقيدة والدين كما فعل الكتاب.

٢- ينبغى أن نمارس هذه العقائد فى حياتنا وأن لا نكتفى بمناقشتها والاطلاع عليها، فإيمانك بالله لا بد أن يظهر فى إقبالك على الكنيسة وتعبدك وصدقاتك فى الخفاء وهكذا إيمانك بالحياة الأخرى لا بد أن يظهر فى حياتك اليومية، لأنه إذا انعدمت هذه الفكرة وفكرة العقائد الأخرى كالصوم انعدم كثير من الفضائل. ولكن عند ممارستها نربح الغرض الذى من أجله وضعت هذه العقائد إذ نزداد إحساساً بقيم هذه العقائد من الناحية الروحية.

٣- فى خدمتنا لمدارس الأحد لا بد من ممارسة العقائد ولا بد من أن نشعر مدارس الأحد أن أول اختصاصاتها جلب الأولاد للكنيسة لأن الصغير عندما يدخل الكنيسة تغذيه الكنيسة بمفردها بدون وعظ لأنه يفهم وليس كما يقول البعض إن الطفل لا يفهم شيئاً فى الكنيسة، بل يخرج متحمساً وينشط فى الحياة الروحية، لأن للكنيسة وسائل أخرى تصل بها إلى نفس الطفل أكثر من الوعظ، وذلك بتعاليم فى الطقوس كالبخور الذى يجذب حاسة الشم ويؤثر فيها وما يجذب النظر من صور الكنيسة وما يجذب الذوق فى التناول فكل هذه يتلقاها الطفل الذى ليس له من المشاغل ما يقصيه عن الدين، لأنه ليست المعرفة بمجرد العقل بل أيضا بواسطة الحواس.

٤- اجعل أيضاً تعليمك عمليا وبممارسات أمام الأولاد، مثلا يدخل المدرس أمام الأطفال فى الكنيسة ليس بحركات تمثيلية ولكن بالروح الخشوعية وآداب الحضور فى الكنيسة فيتعود الطفل هذه العادات ثم يشب عليها كما نرى فى حياة الكبار المتدينين، أنهم غالباً تعلموا الدين منذ الصغر على التعاليم المسيحية الحقيقية.

٥- لا تنسوا المزامير مع الأطفال لأن الطفل من سن الثامنة إلى الثانية عشرة يكون فى أحسن فترة يحفظ فيها حتى ولو لم يفهم، فهذه إذا ركزت فى ذهنه تكون منهجاً لحياته لأن وجود المزمور فى اللاشعور قد يخرج فى لحظة من لحظات السقوط فيرجع الإنسان إلى الله.

٦- علينا أن ننتهز كل فرصة لإقناع الطفل بسلطان الصليب على الشياطين والظلمة ونقنعهم برسم الصليب على أيديهم، حتى إذ كبر الطفل تذكره علامة الصليب بمسيحيته فيردعه عن عمل الشر ولا ينسى مسيحيته وتسد أمامه الفرص من أن ينكر المسيح. وفى وقت الاضطهاد كان الآباء والأمهات يستشهدون ويتركون الأطفال رضعا فخوفا من وقوعهم فى أيدى الوثنيين، كانوا يرسمون الصليب على الطفل، فإما أن يستشهد أو يعرف دينه ليتحمس بهذا الدين فإن كان الأسم واضحا أو الصليب واضحا نضطر لأن نظهر المسيح.

نمّجد اسم الله ونسأل منه تعالى قوة وافرة لنسلك فى سبيل رضاه وفى وصاياه لنحيا كما يحق لإنجيل المسيح.

القيم الروحية المنطوية
فى عقائد الكنيسة الأرثوذكسية

لم تمنح الديانة المسيحية للإنسان إلا لنفعه وخيره، وليصير بها أفضل مما يكون بدونها.

وإذا كان للمسيحية عقائدها، فهذه العقائد هى مجموعة الحقائق التى يدين بها المسيحى وتنعقد عليها نفسه، من أجل أن يحيا بها حياة مثمرة سعيدة، فى الحياة الحاضرة والحياة الآخرة.

وقد أوضح السيد المسيح الهدف من رسالة المسيحية بالنسبة إلى من يدين بها، عندما حدد الغرض من مجيئه الأول فى قوله «وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة ولتكون لهم (هذه الحياة) أفضل» (١) . وهو بعينه المعنى الذى عبر عنه الرسول القديس يوحنا فى خاتمة إنجيله «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب، وإنما كتبت هذه لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه (٢)».

وفحوى هذا كله أن المسيح قد أتى ليمنحنا بمجيئه حياة أبدية بعد أن كان محكوما علينا بالموت الأبدى، ولكى يجعل حياتنا أفضل مما كانت، ولكى يصيرها حياة موفورة الكرامة، حياة سامية نبيلة مثمرة نافعة صالحة، ذات قيمة وذات معنى. بل والهدف من رسالة المسيحية والهدف من الكرازة والتعليم المسيحى، ومن التبشير بأعمال المسيح ومعجزاته وأقواله، أن يؤمن الإنسان بالمسيح الرب فيتحقق له بهذا الإيمان وكل متعلقاته الحياة الأبدية السعيدة، هذه الحياة الفضلى التى تبدأ منذ عمل التجديد الذى يتم فى المعمودية وتتصل بالحياة الأخرى بعد الموت، التى لا تضمحل ولا تفنى، لأنها حياة الأبد فى ملكوت السماوات.

وعلى هذا الأساس يظهر أن الهدف من كل عقيدة من عقائد ديانتنا هو الخير لنفوسنا فى الحياتين الحاضرة والعتيدة. ولن تجد عقيدة فى الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة تشذ عن هذه القاعدة، وإلا كانت هذه العقيدة عبثا لا طائل تحته ولا غناء فيه وحاشا لله أن يجعل فى ديانته حقيقة من غير فائدة.

---

(١) يوحنا ١٠ : ١٠.

(٢) يوحنا ٢٠ : ٣٠، ٣١.

لكل عقيدة فى ديانتنا، إذن، فائدة روحية. وإذا تناولت العقائد فى عمق تبين لك نفعها وخيرها للنفس الباطنية، وهو ما تؤيده النصوص الكتابية من جهة والخبرات الروحية العملية من جهة أخرى. فإذا وجدت عقيدة فى الكنيسة من غير فائدة روحية، فإما أن لا تكون هذه عقيدة حقيقية من عقائد الإيمان، أو تكون أنت جاهلاً بأثر هذه العقيدة فى الحياة الروحية وهو ما يقتضيك الفحص والبحث والامتحان، والتأمل الملي، والتمعن العميق الدقيق.

ليست إذن عقيدة من عقائد الإيمان بلا عمل للإيمان. إنها لم تصبح عقيدة لتؤلف بنداً من بنود الدين، ولم تصبح عقيدة لتصير موضوعاً من موضوعات الجدل بين أصحاب العقائد المتفرقين. ولم تصبح عقيدة لكى تصير نظرية ذهنية نناقشها بعقولنا وأذهاننا. كلا ليست العقائد فى ديانتنا المسيحية لشئ من هذا كله. إنها وجدت فى ديانتنا من أجل أن تصبح أساسا لسلوكنا فى الحياة. فهى تلهم السلوك وتبعث على التصرف الملائم لها. إنها تبصر العقل، وتلهب القلب، وتثيرنا على العمل. إنها دائماً تتحول إلى نشاط وإلى تعبير فى الواقع الخارجى. إنها لا تكمن فى الذهن، وإنما تتحول إلى تعبيرات وإلى ممارسات ومباشرات عملية.

نعم إن العقائد لم تنشأ للنقاش الفكرى والجدل النظرى، بل لتكون باعثا على النشاط والعمل. وقبل أن يخرج الهراطقة على الكنيسة ويتشيعوا إلى مذاهب كان لديانتنا عقائدها وطقوسها.

لاهوت السيد المسيح
أنت المسيح ابن الله الحَّي

القيم الروحية فى عقيدة لاهوت المسيح

والمسيح فى عقيدتنا المسيحية هو «الله الظاهر فى الجسد» (١) كائن بلاهوته قبل الأكوان، وإن كان قد تجسد فى ملء الزمان، وولد من امرأة تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس.

والمسيح هو الكلمة المتجسد، وهو من حيث لاهوته قائم مع الآب والروح القدس فى الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد. وهو يتصف بأنه لا متناه وغير محدود، وحاضر فى كل مكان، وقادر على كل شئ، وهو كلى الصلاح كلى العدالة وكلى القداسة «به كان كل شئ وبغيره لم يكن شئ مما كان» (٢). وبالإجمال هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، وهو صورة الله غير المنظور (٣)، وهو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل شئ بكلمة قدرته (٤) وبه أيضاً عمل العالمين (٥).

١ ـ هذه العقيدة هى التى تميز المسيحيين عن غيرهم من غير المؤمنين. إذ المسيح فى نظر المسيحيين ليس مجرد نبى أو رئيس للأنبياء، وليس عبداً لله أو رسولا منه. إنه الله نفسه، وفيه «كل ملء اللاهوت» (٦) وهو «الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد» (٧).

٢ ـ وإذا كان هذا هو اعتقادنا فى المسيح، فنحن نفتخر باسمه أن يدعى علينا، ونثق أنه قادر على كل شئ، وهو الكفيل أن يصنع معنا كل خير. وأن يجيبنا ويسمع لنا إذا صلينا إليه. كما صلى إليه الشهيد استفانوس رئيس الشمامسة «أيها الرب يسوع، اقبل روحى» (٨).

٣ ـ وإذا كان السيد المسيح هو الوسيط الوحيد بيننا وبين الآب (٩)، فلأنه الفادى الذى صار كفارة عن خطايانا بل وعن خطايا كل العالم أيضاً (١٠). فوساطته أو شفاعته هى الشفاعة الكفارية لأن المسيح ليس كأحد القديسين يتوسل عنا أو يصلى من أجلنا، لأنه ليس أقل من الآب فى الجوهر حتى يصلى عنا كما يصلى القديسون، وهو نفسه قال «ولست أقول لكم إنى أسأل الآب من أجلكم» (١١). ومن هنا يظهر خطأ أتباع المذاهب البروتستانتية التى تصور المسيح له

---

(١) تيموثيئوس الأولى ٣: ١٦.
(٢) يوحنا ١: ٣.
(٣) كولوسى ١: ١٥.
(٤) عبرانيين ١: ٣.
(٥) عبرانيين ١: ٢.
(٦) كولوسى ٢: ٩.
(٧) رومية ٩: ٥.
(٨) أعمال ٧: ٥٩.
(٩) تيموثيئوس الأولى ٢: ٥.
(١٠) يوحنا الأولى ٢: ٢.
(١١) يوحنا ١٦: ٢٦.

المجد يصلى عن المؤمنين وكأنه أحد القديسين !! وهذا إنقاص من قدر المسيح، وإنكار للاهوته وإنكار لوحدانيته الجوهرية مع الآب. فلو كان البروتستانت يؤمنون إيمانا كاملاً بلاهوت المسيح، ولو كانوا يعتقدون اعتقادا تاما بأنه كائن مع الآب والروح القدس فى جوهر واحد، لما تجاسروا أن يتخذوا من المسيح شفيعا يتوسل ويتضرع ويصلى إلى الآب كما لو كان واحداً من القديسين، وكأن المسيح فى نظرهم كائن آخر غير الله نفسه وليس من طبعه وجوهره. فالمسيح فى نظر الأرثوذكسيين هو الله المتجسد وهو لا يتوسل عنا، لكنه يقبل صلواتنا وضراعاتنا.

* * *

فعقيدة لاهوت المسيح تثير فينا عواطف الإجلال والتعبد لربنا يسوع المسيح والخضوع والطاعة لوصاياه، كما تثير فينا الشكر لفضل الإله الذى تنازل ليقترب إلينا فى صورة البشر، وتجعلنا نحس بقربنا إليه وتشجعنا على الإلتجاء إليه والإستعانة به. ونحن نؤمن بحبه كما نؤمن بقدرته على أن يسمع لنا ويجيب طلباتنا. فلم يعد الإله بعيدا عنا، مجهولا منا، بل قريبا إلى تصورنا وقريبا إلى مشاعرنا، وعارفا بأحوالنا وهو ما يزيد رجاءنا فيه ودالتنا عنده.

لماذا نحن مسيحيون؟ (١)

هذا سؤال يمكن أن نجيب عليه من زوايا كثيرة. لكننا على جميع الأحوال مسيحيون لأننا ننتسب إلى المسيح، ولأننا نؤمن بالمسيح، وقد صرنا من تلاميذه وأتباعه. قال الكتاب المقدس «ودعى التلاميذ مسيحيين» (٢) تماما كما نسمى نصارى (٣) لأننا من أتباع «يسوع الناصرى» (٤)، «يسوع المسيح الناصرى» (٥)، «يسوع الذى من ناصرة الجليل» (٦) حيث نشأ (٧).

على أن آخرين غيرنا يؤمنون بالمسيح ومع ذلك لا يدعون مسيحيين. ذلك أن المسيح عندهم غيره عندنا.

المسيح عندنا نحن المسيحيين ليس مجرد نبى من أمثال موسى وإشعياء وإرميا وغيرهم من الأنبياء ...

بل ولا حتى رئيس الأنبياء ...

إنه أسمى من الأنبياء جميعا...

وإن كان قد أخذ فى ناسوته أى إنسانيته من بين ما أخذ من وظائف، وظيفة نبى، حيث أنه خبرنا عن الآب السماوى «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (٨)، كما أنبأ عن أمور كثيرة لتحدث فى المستقبل القريب والبعيد (٩) ...

إنه بالأحرى هو «الكلمة» الذى تكلم على أفواه الأنبياء القديسين جميعا...

لكنه ليس مجرد نبى مثلهم...

---

(١) ألقيت هذه المحاضرة بالقاعة المرقسية الكبرى بمبنى الأنبا رويس بالعباسية مساء الأربعاء ١٢ من أكتوبر - تشرين أول ١٩٦٦م - ٢ بابه ١٦٨٣ش.

(٢) (أعمال الرسل ١١ : ٢٨). انظر أيضا (أعمال ٢٦ : ٢٨)، (رسالة القديس بطرس الأولى ٤ : ١٦).

(٣) أو ناصريين (أعمال ٢٤ : ٥).

(٤) (متى ٢ : ٢٣)، (٢٦ : ٧١)، (مرقس ١ : ٢٤)، (١٠ : ٤٧)، (١٤ : ٦٧)، (لوقا ٤ : ٣٤)، (١٨ : ٣٧)، (٢٤ : ١٩)، (يوحنا ١٨ : ٥، ٧)، (١٩ : ١٩)، (أعمال ٢ : ٢٢)، (٦ : ١٤)، (٢٢ : ٨)، (٢٦ : ٩).

(٥) (أعمال ٣ : ٦)، (٤ : ١٠).

(٦) (متى ٢١ : ١١)، (مرقس ١ : ٩)، (لوقا ١ : ٢٦)، (٢ : ٤، ٣٩، ٥١)، (يوحنا ١ : ٤٥)، (أعمال ١٠ : ٣٨).

(٧) (لوقا ٤ : ١٦).

(٨) (يوحنا ١ : ١٨).

(٩) كما سنرى ذلك فى حينه.

إنه معلمهم ومربيهم كما يقول أكليمنضس الأسكندرى (١٥٠م - ٢١٦م) فى كتابه «المربى» (١).

وليس المسيح عندنا نحن المسيحيين عبد الله.

وإن كان قد أخذ فى انسانيته صورة عبد... حجب صورة الرب ولبس صورة العبد «الذى إذ هو فى صورة الله، لم يحسب مساواته لله اختلاسا، لكنه أخلى ذاته متخذا صورة العبد، وصار فى شبه البشر» (٢).

وليس المسيح عندنا نحن المسيحيين رسول الله كما كان إيليا وأليشع ويوحنا المعمدان وغيرهم من عبيد الله الذين أرسلهم إلى الناس رحمة وهدى...

وليس كما أرسل المسيح تلاميذه ورسله بطرس ويعقوب ويوحنا وبولس ومرقس وغيرهم من الإثنى عشر أو من السبعين...

حقا أن المسيح صاحب رسالة جاء ليبلغها ويحققها، لكنه مع ذلك ليس رسولا كما كانت الرسل من قبله أو من بعده.

وحقا كثيرا ما قال المسيح أن «الآب... أرسلنى» (٣).

ولكن ما أبعد الفرق بين الإرسالية بهذا المعنى، والإرسال بالمفهوم السائد بالنسبة للأنبياء والرسل من بين الناس...

تلك الأولى إرسالية باطنية فى داخل الوحدة الثالوثية (الآب والابن والروح القدس) وأما الأخرى فإرسالية خارجية، إرسالية من الخالق للمخلوق.

ولقد قال المسيح عن نفسه «الآب... أرسلنى» ليؤكد الوحدانية وينفى وجود جوهرين أو إلهين، وليطمئن اليهود من بنى إسرائيل - وهم أهل توحيد - أنه لا يدعى الألوهة لنفسه مفترقا عن الآب السماوى، كأنه إله جديد ذو كيان مستقل عن كيان الآب وجوهره... **فالمسيح كان دائما يؤكد على مبدأ الوحدانية، وأنه ليس يوجد غير إله واحد، والمسيح ليس إلها آخر... أنه والآب جوهر واحد، كيان واحد، ذات إلهية واحدة... فالآب والابن والروح القدس جوهر واحد غير منقسم، وذات واحدة غير متجزئة،.. لأنه ليس فى الوجود غير إله واحد.**

إذن لقد قال المسيح عن نفسه أن «الآب... أرسلنى» ليؤكد على حقيقة الوحدانية، وأن فى السماء جوهرا واحدا، وأصلا واحدا، وذاتا إلهية واحدة.

---

(١) كتاب من أهم كتب أكليمنضس الأسكندرى وهو فى ثلاثة أجزاء.
(٢) (فيلبى ٢ : ٦، ٧). انظر أيضا (إشعياء ٤٢ : ١)، (زكريا ٣ : ٨).
(٣) (يوحنا ٥ : ٢٣، ٣٠)، (٦ : ٣٩، ٤٤، ٥٧)، (٨ : ١٦، ١٨)، (١٢ : ٤٩).

لماذا هذا البحث ؟

كان منطقيا أن نبدأ السؤال «لماذا هذا البحث؟» قبل أن نبدأ السؤال: «لماذا نحن مسيحيون؟».

ولكننا أرجأناه لنبين أن هذا الموضوع أهم للمسيحيين قبل أى موضوع آخر، لأن كيان مسيحيتهم يقوم عليه، **ولأن المسيحيين بغير إيمانهم بلاهوت المسيح لا يكونون مسيحيين...**

فإذا كان إيمان المسيحيين فى المسيح أنه نبى، وعبد الله ورسوله، فهم بذلك لا يفترقون عن غير المسيحيين ممن يحترمون المسيح ودعوته.. لكن الذى يميز المسيحيين عن غيرهم ويجعلهم مسيحيين... هو إيمانهم الخاص بالمسيح، الذى يتميزون به عن غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى. قال الإنجيل :

«وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلا: «من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الانسان؟» فقالوا : «إن قوما يقولون انك يوحنا المعمدان، وآخرين انك إيليا، وآخرين انك أرميا أو أحد الأنبياء». فقال لهم: «وأنتم من تقولون إنى هو؟». فأجاب سمعان بطرس وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحى»، فأجاب يسوع وقال له: «مبارك أنت يا سمعان بن يونا. لأنه ليس لحما ودما الذى كشف لك هذا. وإنما أبى الذى فى السماوات. وأيضا أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى. وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (١).

لقد أبان الإنجيل بهذا أن هناك حيرة بين الناس فى زمان المسيح فى من هو المسيح، وقد اختلفوا بين قائل أنه يوحنا المعمدان قد قام من بين الأموات فى شخص يسوع المسيح، ومن قائل أنه إيليا الذى اختطفته فى القديم مركبة نارية من السماء قد عاد إلى الأرض فى شخص المسيح، ومن قائل إنه إرميا النبى الذى قتله اليهود رميا بالحجارة قد عاد إلى الحياة فى شخص المسيح...

تلك كانت أقوال تتردد بين الناس فى زمن المسيح حتى ذلك الوقت من تاريخ حياته على الأرض، ولكنها كانت جميعها أقوالا خاطئة تعبر عن حيرة وتردد... وعندما سأل المسيح تلاميذه عن رأيهم فيه من يكون؟ أجاب القديس بطرس وهو أكبر تلاميذه سنا وكان لذلك

---

(١) (متى ١٦ : ١٣ - ١٨)، (مرقس ٨: ٢٧ - ٢٩)، (لوقا ٩ : ١٨ - ٢٠).

يتقدمهم فى الكلام، معبرا عن ألسنة الباقين من سائر التلاميذ «أنت هو المسيح ابن الله الحى» فكانت إجابة بطرس هى جواب جميع التلاميذ الذين عرفوا المعلم عن قرب.. وكانت هى الإيمان الخاص الذى يتميز عن إيمان كثيرين من مواطنيهم ومعاصريهم... الإيمان الذى توصلوا إليه ككشف ثمين بعد طول عهدهم بمعرفة سيدهم ولم يعرفوه لأول وهلة ولكنه نما فيهم متطورا من مرحلة إلى مرحلة.. ولذلك غبطهم المسيح فى شخص بطرس بقوله : «مبارك أنت ياسمعان بن يونا، لأنه ليس لحما ودما الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات» مبينا بذلك أن حقيقة لاهوت المسيح يخفيها ناسوته، ويحجبها شكل إنسانيته، فلا يرى المتطلع إليه إلا إنسانا ابن إنسان من لحم ومن دم، مشابه للناس جميعا، لأنه فى صورة الناس.. أما الإيمان بأن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى» على الرغم من اللحم والدم، فهذا إيمان روحانى بأمر غير ملموس يجئ نتيجة كشف إلهى وإعلان سماوى.

على أن المسيح بجوابه على بطرس والتلاميذ معه، قد أثنى على إيمانهم بأنه «ابن الله الحى» واعترافهم بهذه الحقيقة التى صارت هى ركيزة الإيمان المسيحى التى يقوم عليها إيمان المسيحيين جميعا فى المسيح ومن دونها لا يكونون مسيحيين.

بل أن المسيح صرح بعبارة خالدة هى حقيقة أزلية أبدية: «وأيضا أقول لك أنت بطرس، وانى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» **أى أن الإيمان بأن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى» هو الصخرة التى يبنى المسيح كنيسته عليها**، وبعبارة أخرى أن بناء الكنيسة المسيحية قائم على صخرة، وهذه الصخرة هى الإيمان «بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى»، والإعتراف الذى نطق به القديس بطرس معبراً عن زملائه الرسل الآخرين وكل من آمن بالمسيح بعدهم...

ولما كان القديس بطرس هو أكبر الرسل سنا، وهو المتقدم عنهم فى الكلام، والناطق بلسانهم، وكان إيمانه كإيمانهم صحيحا، وإعترافه بالنيابة عنهم سليما فقد صار ـ وصار الرسل معه ـ أول حجر وضعه المسيح على صخرة الإيمان بلاهوته. ولهذا غير المسيح اسم الناطق بلاهوته من سمعان إلى «**بطرس**» حيث أن بطرس معناه «**حجر**»، وكذلك ـ بالسريانية كيفا أو صفا.. أى «حجر» وليس صخرة (١).

(١) انظر كتاب الحقائق الجلية فى الأبحاث التاريخية، الأدبية والفلسفية تأليف قداسة البطريرك مار اغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك انطاكية وسائر المشرق، دمشق ١٩٧٢ صفحة ١١٦ .

بطرس إذن ليس هو الصخرة، «لأنه من هو صخرة غير إلهنا» (١) ولأن «الصخرة هى المسيح» (٢) وإنما بطرس بسبب إعترافه صار أول «حجر» أقيم على هذه الصخرة.. والرسل الآخرون كانوا مع بطرس فى إيمانه واعترافه ضمنا فكانوا ضمنا معه حجارة مبنية على الصخرة - «صخر الدهور» (٣) - «مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا لكهنوت مقدس لتقديم ذبائح روحية مقبولة لدى الله بيسوع المسيح» (٤) وكان كل منهم حجرا.. وكان كل منهم «بطرس آخر» له الطوبى التى نالها القديس بطرس.. وله نفس المفاتيح التى نالها القديس بطرس بإيمانه وإعترافه المماثل لإيمان سائر التلاميذ وإعترافهم: «وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يربط فى السماوات. وكل ما تحله على الأرض يحل فى السماوات» (٥) حتى أن المسيح له المجد أعاد الكلام عن هذا السلطان مرة أخرى، ولكن فى صيغة الجمع، موجها الكلام فى هذه المرة للتلاميذ والرسل جميعا «الحق أقول لكم أن كل ما تربطونه على الأرض يربط فى السماوات، وكل ما تحلونه على الأرض يحل فى السماوات» (٦).

يقول العلامة أوريجينوس (١٨٥ - ٢٥٤)م: «إذا قلنا نحن أيضا ما قاله بطرس «أنت هو المسيح ابن الله الحى».. نصير نحن بطرس. ومن ثم يقال لنا من قبل الكلمة (المسيح): (أنت بطرس).. وسائر القول..

«لكن إذا ظننت أنه على بطرس وحده يبنى الله الكنيسة، فماذا نقول عن يوحنا «ابن الرعد» أو عن كل واحد من الرسل؟ ثم هل تجرؤ على القول أنه على بطرس «أبواب الجحيم لن تقوى» وأنها تقوى على سائر الرسل والكاملين من الناس؟ أليس قوله «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» وكذلك قوله الآخر «على هذه الصخرة أبنى كنيستى» هو قول للجميع ولكل واحد منهم؟ ثم هل مفاتيح ملكوت السماوات أعطاها الرب لبطرس وحده، وهلا أخذها أحد آخر من المطوبين؟ أما

---

(١) (٢ - صموئيل ٢٢ : ٣٢)، (مزمور ١٧ (١٨) : ٣١)، (١ - صموئيل ٢ : ٢).
(٢) الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١٠ : ٤.
(٣) إشعياء ٢٦ : ٤.
(٤) رسالة القديس بطرس الأولى ٢ : ٥.
(٥) متى ١٦ : ١٩.
(٦) متى ١٨ : ١٨.

إذا كان قوله «أعطيك مفاتيح ملكوت السماوات» من نصيب الآخرين أيضا، فكيف لا تكون كذلك الأقوال الأخرى التى قيلت قبل ذلك والتى قيلت بعد ذلك كأنها موجهة لبطرس» (١) ومعنى كلام أوريجينوس إن ما قاله السيد المسيح لبطرس إنما قاله إلى جميع الرسل فى شخص بطرس.

ويقول القديس أوغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠م):

«فالصخرة كانت المسيح، وعلى أساسها قد بنى بطرس نفسه (لأنه لا يستطيع أحد أن يضع أساسا آخر غير الذى وضع، الذى هو يسوع المسيح) (٢)، (٣).

ويقول القديس أوغسطينوس أيضا «إنى أعلم أننى قد شرحت مرارا كثيرة ما قاله الرب أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة سأبنى كنيستى، إنها يجب أن تفهم على هذا النحو أنه عليه هو (أى المسيح) الذى اعترف به بطرس (أنت هو المسيح ابن الله الحى). وعلى ذلك فإن بطرس بالاسم الذى سمى به يمثل شخص الكنيسة التى بنيت على هذه الصخرة والذى أخذ مفاتيح ملكوت السماوات. لأنه ما قيل له أنت الصخرة PETRA بل بطرس PETRUS. أما الصخرة فهى المسيح الذى اعترف به بطرس والذى تعترف به الكنيسة كلها (٤).

إذن المسيح والإيمان بلاهوت المسيح والإعتراف بأن يسوع المسيح ابن الله الحى، هو الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها.

فالكنيسة المسيحية إذن، قيامها هو بإيمانها بالمسيح إنه ابن الله الحى... «**طالما أن الإيمان بلاهوت المسيح قائم فالكنيسة قائمة.. فإذا زال الإيمان بلاهوت المسيح زالت الكنيسة..**

لكن الإيمان بأن المسيح ابن الله الحى لن يزول لأنه حقيقة أزلية أبدية.. فالكنيسة إذن ستظل باقية ببقاء هذه الحقيقة فيها، وهى الصخرة التى يقوم عليها بنيانها وهذا هو وعد المسيح لها «**وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**».. وعد لن يسقط أبدا.. لأن المسيح

---

(١) أوريجينوس: تفسيره لإنجيل متى، الجزء ١٢: ٩، ١٠، ١١.

(٢) ١ - كورنثوس ٣: ١١.

(٣) AUGUSTINUS, Tract, 124 in Joann. n. 5.

(٤) العظة رقم ٢٩٥ فى Nat. Apost. Petr. et Pauli, n. 1 - 4.

ضامنه.. إن الكنيسة لن تضل أبدا.. **لن يزول منها الإيمان بلاهوت المسيح.. لا حاضرا.. ولا مستقبلا..** لن يتزعزع يقينها فى إعترافها بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى... قد يظهر هراطقة من حين إلى آخر يشككون فى هذه القضية الإيمانية وهذه الحقيقة الأزلية الأبدية.. وقد ظهر فعلا هراطقة فى التاريخ المسيحى وأهاجوا بفعل الشيطان عاصفة على سفينة المسيح.. وضربت العاصفة على جوانب الكنيسة وكانت العاصفة شديدة حتى لكادت السفينة أن تغرق.. ولكنها لم تغرق.. ولن تغرق.. فقد أرسل حاميها وضامنها فى الوقت المناسب القديس أثناسيوس رسولا أمسك بدفتها.. وبمعونة علوية ومسحة سماوية قاد السفينة بأمانة وحكمة.. فنجت الكنيسة ولم تغرق.. وتبددت العواصف.. وهدأت الأمواج.. وسارت السفينة فى طريقها بأمان.. وخرجت من العاصفة أكثر قوة وأوفر كرامة..

وقامت وتقوم عواصف مثل تلك الأولى.. ولكن المسيح حاميها وضامنها لن يسمح أبدا للكنيسة أن تزول.. فسيبقى فيها دائما الإيمان بلاهوت المسيح.. إلى يوم مجئ المسيح الثانى.. وإلى أن تدخل الكنيسة يوم الراحة الأبدية فى ملكوت الله..

* * *

هذه إذن هى أهمية القضية اللاهوتية التى نكتب فيها هذا الكتاب.. ولسنا أول من كتب فيها.. ولن نكون آخر من يكتب فيها.. لأنها قضية الحق الأزلى.. الحق الذى أشرق من العلى بمجئ المسيح إلى العالم.. جاء لا ليزول بل ليبقى إلى الأبد.. ولابد أن يجد مقاومة من الشيطان وجنوده.. ولكنه سيظل هو حق الله.. وسيبقى قائما ما بقيت الحياة وما بقى الخلود.. لأنه حق.. والحق لا يعلى عليه.

هذه هى أهمية الحقيقة الأزلية الأبدية أن «يسوع هو المسيح ابن الله الحى».. الحقيقة المسيحية رقم ١.. والتى بها نكون مسيحيين وبغيرها لا ولن نكون مسيحيين.

ثلاث قضايا هامة أولية

بعد أن شرحنا أهمية الكلام عن لاهوت المسيح، نرى أن نثبت هنا ثلاث قضايا هامة أولية قبل أن نمضى فى البرهنة على ألوهة مخلصنا وفادينا يسوع المسيح.

القضية الأولى - عقيدة المسيحيين فى المسيح.

قلنا فى مقدمة الكتاب أن المسيح عندنا نحن المسيحيين ليس مجرد نبى، ولا رئيسا للأنبياء.. إنه أسمى من الأنبياء جميعا.. **إنه بالأحرى «الكلمة» الذى تكلم على أفواه جميع الأنبياء القديسين.. إنه معلمهم ومربيهم وملهمهم..**

وقلنا أيضا أن المسيح عندنا نحن المسيحيين ليس عبد الله ورسوله.. **إنه الرب الذى لبس صورة العبد..**

إنه الكائن الذى كان والدائم إلى الأبد (١) .. وفى الزمان جاء إلى العالم، محتجبا فى إنسانية من طبيعة إنسانيتنا.. فهو الرسول.. وهو المرسل.. وهو الرسالة. هو لنا كل شئ.

كان فى السماء (٢) .. ونزل (٣) إلينا على الأرض.. وحل بيننا (٤)، ومعنا (٥) وفينا.. ولم يُخلِ السماء من وجوده..

وبعد أن تمم الفداء والخلاص صعد بناسوته إلى السماء ولم يُخلِ الأرض من وجوده.. «ولم يصعد أحد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الكائن فى السماء» (٦) ففى الوقت الذى كان على الأرض، كان فى نفس الوقت، فى السماء.

هو «الكلمة». وكان الكلمة الله (٧) .. وفيه كلمنا الله (٨) ..

هو الكلمة.. **أى هو اللوغوس.. هو العقل الإلهى.. والعقل الأول** ومن بعده كل العقول.. فهو خالقها جميعا.. هو العقل الكائن فى الذات الإلهية منذ الأزل، ولم تمر لحظة من

---

(١) من القداس الغريغورى - عن سفر الرؤيا ١: ٨.
(٢) يوحنا ١: ١، ٢.
(٣) يوحنا ٦: ٣٨، ٤١، ٤٢.
(٤) (يوحنا ١: ١٤).
(٥) متى ١: ٢٣.
(٦) (يوحنا ٣: ١٣).
(٧) يوحنا ١: ١.
(٨) العبرانيين ١: ٢.

الزمان كانت الذات الإلهية ولم يكن العقل فى الذات، وإلا فكيف يكون هو الله من غير أن يكون له عقل أو فيه عقل.. وليس العقل فى الله جزءا من الله، لأن الله لا يتجزأ.. إنه كله عقل.. ولا مادة فيه.. إنه **العقل الأول**.. والمطلق.. وهو **العاقل** لذاته وللوجود.. **والمعقول** من ذاته أيضا..

هو الله الكلمة.. **والكلمة الفاعلة**.. لأنه هو **الخالق** (١)..

كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان.. كان فى العالم، والعالم به كان» (٢).

فهو **العقل**.. وهو **الفعل**

هو الله الكلمة.. لأنه تجسد (٣) أو اتخذ جسدا.. والعقل يتجسد فى الكلمة.. والكلمة هى العقل متجسدا..

هو النور الحقيقى (٤) الأزلى وقد صار محتجبا فى الناسوت.. لكن من دون أن يبطل الناسوت وجود اللاهوت، وعمل اللاهوت.. إنه بإرادته شاء أن يحتجب فى الناسوت ويستتر فيه، حتى يستطيع الإنسان أن يراه ويعيش فقد قال الله فى القديم «لأنه لا يرانى إنسان ويعيش» (٥).

وقال الوحى أيضا «فإن إلهنا نار آكله» (٦)، وقال الوحى أيضا «له وحده الخلود، ساكنا فى نور لا يدنى منه، وهو الذى لم يره إنسان، ولا يقدر أن يراه» (٧).

يقترب الله من الإنسان، وتنشأ بينه وبينه علاقة قرب فحب، شاء أن يتخذ جسدا من طبيعة جسدنا، يحتجب فيه حتى لا يحترق الناس بنار لاهوته.

وهو ابن الله الوحيد (٨).. الابن بالطبيعة والجوهر.. لأنه من طبيعة الآب ومن جوهره.. وهو واحد معه فى الجوهر (٩).

---

(١) (كولوسى ١: ١٦)، (العبرانيين ١: ٢).
(٢) يوحنا ١: ٣، ١٠.
(٣) يوحنا ١: ١٤.
(٤) يوحنا ١: ٩.
(٥) الخروج ٣٣: ٢٠.
(٦) العبرانيين ١٢: ٢٩.
(٧) الرسالة الأول إلى تيموثيئوس ٦: ١٦.
(٨) (يوحنا ١: ١٤، ١٨)، (رسالة القديس يوحنا الأولى ٤: ٩).
(٩) يوحنا ١٠: ٣٠.

وهو ابن الله لأننا فيه قد رأينا الله غير المنظور (١) .. «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (٧).

فقد قال المسيح أيضا «من رآنى فقد رأى الآب» (٢).

وهو الله الظاهر فى الجسد (٣) .. هو الله ذاته لابسا صورة إنسان.. الله نفسه مختفيا فى شكل إنسان.. هو الله وقد صار له بالتجسد كيان جسدى معروف وملموس فى المكان من دون أن يحده مكان.. فقد كان على الأرض وفى السماء فى وقت واحد «ولم يصعد أحد إلى السماء، إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الكائن فى السماء» (٢٩).

أى أنه حين نزل من السماء وإتخذ له جسدا وصار بين الناس ابن إنسان، كان بلاهوته يملأ السماوات، وحين صعد إلى السماء بعد الصليب والقيامة كان ولا يزال يملأ الأرض والسماوات بلاهوته.

المسيح إذن هو الله «وفيه يحل كل كمال اللاهوت جسديا» (٤).

القضية الثانية - إن إيمان مسيحي اليوم فى المسيح هو بعينه إيمان المسيحيين الأوائل.

إن إيماننا بلاهوت المسيح لم يتطور ولم يتغير.

ليست عقيدتنا اليوم فى المسيح هى فلسفة المحدثين منا. فنحن لا نقول اليوم شيئا جديدا لم يقل به الرسل الأطهار، وآباء الكنيسة الأوائل.

إن إيماننا هو بعينه الإيمان الرسولى الذى علم به الرسل ودافعوا عنه ونشروه بين الناس فى كل البلاد، وماتوا فى سبيله شهداء، ورووا بدمائهم شجرة الإيمان، وأسسوا عليه الكنيسة الجامعة الرسولية.

---

(١) يوحنا (١ : ١٨)، (كولوسى ١ : ١٥).

(٢) يوحنا ١٤ : ٩.

(٣) الرسالة الأولى إلى تيموثيئوس ٣ : ١٦.

(٤) كولوسى ٢ : ٩.

نقول هذا ردا على كل من زعموا ويزعمون بهتانا، أن عقيدتنا فى المسيح قد تطورت. إن فى إمكاننا أن نورد ما لا حصر له من النصوص الواردة فى الكتب المقدسة، وفى كتب الآباء الرسوليين وجميع آباء الكنيسة منذ أقدم الأزمنة، إيضاحا وتبيانا لهذه الحقيقة، إن إيماننا اليوم فى المسيح هو الإيمان الذى كرز به الأقدمون، وبشروا به، وماتوا فى سبيل الذود عنه. ولسوف يجئ ذلك فى حينه.

أما الذين قالوا ويقولون بغير ما علم آباؤنا الأوائل، وبغير ما نعلم به اليوم، فهم الهراطقة الذين خرجوا على إيمان الكنيسة المسيحية وتعليمها من أمثال الأريوسيين فى القديم، وشهود يهوه فى الأزمنة الحديثة. ولكن هؤلاء خوارج لا يمثلون الإيمان الأرثوذكسى فى المسيح: «منا خرجوا ولكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لظلوا معنا، ولكن ليتبين أنهم كلهم ليسوا منا» (١).

القضية الثالثة: إن جميع المسيحيين اليوم وما قبل اليوم مجمعون على حقيقة لاهوت المسيح.

ليس هناك خلاف بين المسيحيين فى هذه القضية. إن المسيحيين جميعا على إتفاق فى لاهوت المسيح. **كلهم يؤمنون بألوهته، وأنه ابن الله الحى، وأنه الله الظاهر فى الجسد، وأنه الإله المتأنس.** الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت، جميعهم يعلّمون بهذا التعليم فى كتبهم وعلى منابرهم، ويعلمون به أولادهم.

أما شهود يهوه فهم غير مسيحيين. وعلى هذا يجمع الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت. إن مذهب شهود يهوه مذهب يهودى متطرف، وصهيونى أيضا، يبرأ منه جميع المسيحيين ويعتبرونه هرطقة، وأضلولة، وكفرا.

نقول هذا ردا على بعض المؤلفين الذين نشروا فى السنوات الأخيرة كتبا زعموا فيها بأن المسيحيين على إختلاف فى شخص المسيح. وليس هذا الزعم صحيحا.

هناك إختلاف لا ينكر فى بعض المسائل الفرعية، لكن ليس هناك إختلاف بين المسيحيين فى عقائد المسيحية العظمى. فجميع المسيحيين من الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت يؤمنون

---

(١) رسالة القديس يوحنا الأولى ٢ : ١٩.

بالله الواحد المثلث الأقانيم، وبلاهوت المسيح، وبسر التجسد، وبسر الفداء، وبالخلود والقيامة وبالحساب وبالثواب والعقاب.

هناك إختلاف فى التعبير عن الإتحاد القائم بين لاهوت المسيح وناسوته أى إنسانيته. فالكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة ومنها كنيستنا، كنيسة الأسكندرية، تقول : إن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحاد تام لكن بغير اختلاط وبغير امتزاج وبغير تغيير، وأن اللاهوت والناسوت قد صارا باتحادهما طبيعة واحدة هى طبيعة الإله المتأنس، لها صفات الطبيعتين. فالمسيح ذو طبيعة واحدة من طبيعتين. والكنائس الخلقيدونية الشرقية والغربية تقول أيضا بأن الاتحاد بين لاهوت المسيح وناسوته اتحاد تام، لكنها تخشى القول بأن المسيح ذو طبيعة واحدة خوفا من أن ينطوى هذا التعبير على امتصاص اللاهوت للناسوت وضياع الناسوت فى اللاهوت كما زعم يوطيخا، فتقول: «أن المسيح شخص واحد فى طبيعتين متحدتين إلهية وإنسانية». ومن هذا يتبين أن هذا **الخلاف بين الفريقين ليس خلافا على شخص المسيح، وليس خلافا على أنه الإله المتأنس والمتجسد، وليس خلافا على الاتحاد التام بين لاهوته وناسوته، وإنما كل الخلاف هو فى «الصيغة» وفى «التعبير» الذى يعبر بدقة تامة عن هذا الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت.**

وإذن فالخلاف القائم هو خلاف على التعبير الأكثر سلامة والأكثر دقة الذى يصف كيفية الاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى المسيح الواحد. أما أن المسيح هو الإله المتأنس، فلا خلاف بين المسيحيين فيه.

أولا : يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الألوهة

إن التعليم بلاهوت المسيح لم يخترعه المسيحيون ولا ابتكروه من عندياتهم، ولكنهم أخذوه أول ما أخذوه عن المسيح رأسا، ثم عن تلاميذه ورسله من بعده ممن أخذوا عنه وتتلمذوا عليه وكانوا امتدادا له في تعليمه.

لقد علم المسيح بألوهته على الرغم من أنه أخفى لاهوته عن الشيطان وعملائه من اليهود.

ففي أكثر من موضع يوصي تلاميذه ويأمرهم بأن لا يظهروه على حقيقته اللاهوتية للناس إلا بعد أن يقوم من بين الأموات حتى لا يتعطل عمل الفداء.

من ذلك أنه بعد أن تجلى على الجبل بمجد لاهوته أمام تلاميذه «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا: «لا تخبروا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من بين الأموات» (١). ويقول الإنجيل «فلزموا الصمت، ولم يخبروا أحدا في تلك الأيام بشئ مما رأوا» (٢).

بل إنه بعد أن سأل تلاميذه: «وأنتم من تقولون إني هو» وأجابه تلميذه الأكبر سنا سمعان بطرس بلسان جميع التلاميذ وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» يقول الإنجيل في نهاية الحوار «ثم أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه هو يسوع المسيح» (٣) بل «فنهاهم بشدة عن أن يقولوا لأحد عنه» (٤).

هذا إلى أنه كان يزجر بعض الشياطين وينتهرهم إذا صرخوا وأعلنوا أنه ابن الله (٥)، أو أنه قدوس الله (٦)، على الرغم من أنه مدح إيمان تلاميذه واعتراف القديس بطرس (٧) وإعتراف من سبقه إلى ذلك من أمثال يوحنا المعمدان (٨)، ونثنائيل (٩) وهو برثولماوس الرسول

---

(١) (متى ١٧ : ٩)، (مرقس ٩، ٩).
(٢) (لوقا ٩ : ٣٦).
(٣) (متى ١٧ : ٢٠).
(٤) (مرقس ٨ : ٣٠)، (لوقا ٩ : ٢١).
(٥) (مرقس ٣ : ١١)، (٥ : ٧)، (متى ٨ : ٢٩)، (لوقا ٤ : ٤١)، (٨ : ٢٨).
(٦) (مرقس ١ : ٢٤)، (لوقا ٤ : ٣٤).
(٧) (متى ١٦ : ١٦)، (يوحنا ٦ : ٦٩).
(٨) قال يوحنا المعمدان «وأنا قد عاينت وأشهد أن هذا هو ابن الله» (يوحنا ١ : ٣٤)، (يوحنا ٣ : ٣٥، ٣٦).
(٩) (يوحنا ١ : ٤٩).

وآخرين (١)، وعلى الرغم من أنه أعلنه صراحة للمولود الأعمى الذى شفاه (٢)، وأعلنه لرئيس الكهنة عندما استحلفه أثناء المحاكمة أمام مجمع السنهدريم وقال له: «استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله؟» فقال له يسوع «نعم أنا هو كقولك» (٣) بل سبق الملاك جبرائيل وأعلنه للعذراء مريم «القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله» (٤).

من ذلك عندما طرد الرب يسوع الروح النجس من الرجل المصروع، وصرخ الروح النجس قائلا: «ما شأنك بنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا أننا نعرف من أنت، أنت قدوس الله»، فانتهره يسوع قائلا: «أخرس وأخرج منه» (٥).

ويروى الإنجيل أنه «طرد كثيرا من الشياطين، ولم يسمح للشياطين بالكلام، إذ عرفوه أنه هو المسيح» (٦).

كما يقول الإنجيل أيضا «أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: «أنك أنت هو ابن الله، فكان ينتهرها بشدة كى لا تكشف عن حقيقة شخصيته» (٧).

وكان لابد للرب يسوع أن يخفى لاهوته عن الشيطان وعملائه من الناس الأشرار حتى لا يفشل تدبير الفداء للإنسان، إذ لو كشف الرب يسوع لاهوته كاملا كيف كان يمكن للشيطان الذى يريد هلاك الناس، لا خلاصهم، أن يساعد على خلاص الناس بتحقيق صلب المسيح وموته؟.. يقينا لو عرف الشيطان ذلك لما هيج قادة اليهود ليطلبوا صلب المسيح، ولكان على العكس سعى لتعطيل الصلب، وهذا ما يقوله الوحى عن الشيطان وعملائه: «بل نتكلم بحكمة الله فى سر، بالحكمة المكتومة التى سبق الله فقضى بها قبل الدهور لمجدنا، التى لم يَعْلَمها أحد من رؤساء هذا الدهر لأنهم لو علِموها لما صلبوا رب المجد» (٨).

---

(١) (متى١٤: ٣٣)، (يوحنا ١١: ٢٧)، (أعمال الرسل ٨: ٣٧)، (٩: ٢٠)، (رومية ١: ٤)، (١. يوحنا ٤: ١٥)، (٥: ٥، ١٣).

(٢) (يوحنا ٩: ٣٥ – ٣٨).

(٣) (متى ٢٦: ٦٣، ٦٤)، (مرقس ١٤: ٦١، ٦٢)، (لوقا ٢٢: ٧٠).

(٤) (لوقا ١: ٣٥)، (١: ٣٢).

(٥) (مرقس ١: ٢٤، ٢٥)، (لوقا ٤: ٣٤، ٣٥).

(٦) (مرقس ١: ٣٤).

(٧) (مرقس ٣: ١١، ١٢).

(٨) الرسالة الأولى إلى كورنثوس (٢: ٧، ٨) انظر (متى ١١: ٢٥)، (لوقا ٢٣: ٣٤)، (يوحنا ١٦: ٣)، (أعمال الرسل ٣: ١٧)، الرسالة الثانية إلى كورنثوس (٣: ١٤، ١٥).

ذاك هو السبب الأول لإخفاء الرب يسوع لاهوته عن الشيطان وعملائه، أعنى لتحقيق تدبير الفداء.

أما السبب الثانى لهذا الإخفاء فهو تحقيق تدبير التجسد، لأنه لو نزل الله بكمال لاهوته على الأرض فمن كان يقوى على إحتمال نوره؟ ومن كان من البشر يمكنه أن يعيش؟

لقد قال الرب لموسى: «لأنه لا يرانى إنسان ويعيش (١)»، وقال الرسول بولس إن الله «لم يره إنسان، ولا يقدر أن يراه (٢)»، فلكى يجعل الله ذاته منظورا كان لابد أن يحجب لاهوته فى جسد يتخذه سترا له وحجابا يخفى به لاهوته حتى لا يحترقوا به ويموتوا «فإن إلهنا نار آكلة (٣)».

ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه الحقيقة الواضحة فى الكتاب المقدس، والتى علم بها آباء الكنيسة (٤) فإن الرب يسوع، أعلن لنا لاهوته وكشف عنه من وقت إلى آخر بلمحات وومضات واضحة أحيانا، ومغلفة أحيانا أخرى، لكنها كانت فى مجموعها كافية لأن تجعل حقيقة لاهوته حقيقة مؤكدة بتعليمه هو له المجد. ولسوف نرى بيان ذلك بشئ من التفصيل بالدليل تلو الدليل، والبرهان فى أثر البرهان.

إن الرب يسوع إذن هو الذى نسب إلى ذاته الألوهة قبل أن ينسبها إليه تلاميذه ورسله من بعده.

فإذا لم يكن الرب يسوع صادقا فيما نسبه إلى ذاته، كان مجدفا على الله الواحد، لأنه نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله وحده!

ولكن معاذ الله أن ننسب إلى المسيح أنه لم يكن صادقا فى تعليمه، وحاشا لنا أن نقبل أنه كان يدعى الألوهة لذاته من غير حق، وأنه - وهو المخلص - كان مضلا ومدعيا، وأنه جاء ليصرف الناس عن عبادة الله الواحد إلى شخصه هو، الأمر الذى يأبى أن يرتضيه لنفسه أى تقى يخاف الله.

---

(١) خروج ٣٣: ٢٠. (٢) ١. تيموثيلوس ٦: ١٦. (٣) عبرانيين ١٢: ٢٩.

(٤) انظر كتاب «الشفا فى كشف ما استتر من لاهوت سيدنا المسيح واختفى». تأليف أبو شاكر بن الراهب أبو الكرم بطرس بن المهذب شماس كنيسة المعلقة.

إن أحد قادة اليهود وواحدا من كبار علمائهم جاء إلى السيد المسيح يناقشه ولم يستطع أن ينكر إيمانه الكامل بصدقه المطلق: «قال له يا معلم، نحن نعلم أنك جئت من الله معلما، لأنه ما من أحد يقدر أن يصنع هذه المعجزات التى تصنع أنت، ما لم يكن الله معه» (١).

واعترف الفريسيون بل والهيرودوسيون بذلك ولم ينكروا على المسيح صدقه فى تعليمه على الرغم من حقدهم عليه. وأرسلوا إليه تلاميذهم قائلين: «يا معلم، نحن نعلم أنك صادق وتُعلّم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تحابى وجه إنسان» (٢).

لذلك فإن المسيح يسوع إذا نسب إلى ذاته الألوهة، فهذا تعليم حق، وتعليم السماء، لأنه لم يطلب بهذا التعليم مجد ذاته.

ولقد قال الرب يسوع: «إنى لهذا ولدت ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحق» (٣) وقال: «إنى وإن كنت أشهد لنفسى لكن شهادتى حق» (٤) وقال أيضا: «أنا أشهد لنفسى، وأبى الذى أرسلنى يشهد لى أيضا» (٥) ويصفه الوحى الإلهى فى سفر الرؤيا بأنه «الأمين، الشاهد الأمين الصادق، رأس خليقة الله» (٦) كما يصفه بأنه «القدوس الحق» (٧).

---

(١) (يوحنا ٣ : ٢).
(٢) (متى ٢٢ : ١٦)، (مرقس ١٢ : ١٤)، (لوقا ٢٠ : ٢٠).
(٣) (يوحنا ١٨ : ٣٧).
(٤) (يوحنا ٨ : ١٤).
(٥) (يوحنا ٨ : ١٨).
(٦) (الرؤيا ٣ : ١٤)، (١ : ٥)، (١٩ : ١١)، (٢٢ : ٦)، (الرسالة الأولى إلى تيموثيئوس ٦ : ١٣).
(٧) (الرؤيا ٣ : ٧)، (٦ : ١٠).

- ١ -

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأزلية

من هو الأزلى الذى لا بداية له إلا الله وحده؟

يقول النبى فى المزمور: «منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (١). «عرشك ثابت منذ البدء، وأنت هو منذ الأزل» (٢).

ويقول حبقوق النبى: «ألست أنت منذ الأزل، أيها الرب إلهى» (٣)، ويقول أيضا «لله... مسالك الأزل له» (٤).

ويقول إشعياء النبى: «أنت يارب أبونا وفادينا منذ الأبد اسمك» (٥)، والأبد هنا هو الأزل، والأزل ما ليس له بداية.

على أن السيد المسيح نسب إلى ذاته الأزلية.

من ذلك:

١ ـ قوله لليهود:

«ابراهيم أبوكم كان يتهلل مشتهيا أن يرى يومى فرأى وفرح».

قال له اليهود: «أرأيت ابراهيم وما بلغت الخمسين سنة بعد؟». قال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم **قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن**» (٦).

والذى يعنينا هنا هو قول الرب يسوع «الحق الحق أقول لكم **قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن**».

(١) (مزمور ٨٩ (٩٠): ٢).
(٢) (مزمور ٩٢ (٩٣): ٢).
(٣) (حبقوق ١: ١٢).
(٤) (حبقوق ٣: ٦).
(٥) (إشعياء ٦٣: ١٦).
(٦) (يوحنا ٨: ٥٦ – ٥٨).

إذن المسيح كائن قبل أن يوجد ابراهيم. فهو إذن أسبق عليه فى الزمان على الرغم من أن ابراهيم سبق تجسد الكلمة بآلاف السنين، الأمر الذى دهش له اليهود وقالوا له معترضين: «أرأيت ابراهيم وما بلغت الخمسين سنة بعد؟».

على أن الأعجب من ذلك هو توكيد الرب يسوع باصرار : الحق الحق أقول لكم: «قبل أن يكون ابراهيم **أنا كائن**، وكلمة «كائن» هنا لها رنين **الكينونة الدائمة**، الذى لا يتصف به غير الله وحده. ففعل الكينونة هنا فى جميع اللغات أى بالعبرانية واليونانية والقبطية وغيرها معناه «**أنا الموجود دائما**»، فى الماضى والحاضر والمستقبل... أنا الكائن فى الحاضر، والكائن فى الماضى منذ الأزل، والكائن دائما فى المستقبل إلى الأبد.. **أنا الكائن دائما منذ الأزل وإلى الأبد**.. أنا الأزلى الأبدى.. أنا السرمد.. والسرمدى.. **أنا الدائم**..

وهذا هو التعبير المستعمل فى سفر الرؤيا كثيرا «**النعمة لكم والسلام من لدن الكائن والذى كان والذى سيأتى**» (١).

«أنا هو الألف والياء البداءة والنهاية يقول الرب الإله **الكائن والذى كان والذى سيأتى**، القادر على كل شئ» (٢).

«ولكل من الحيوانات الأربعة ستة أجنحة... ولا تزال ليلا ونهارا تقول: «قدوس قدوس قدوس، الرب الإله القادر على كل شئ، **الذى كائن والكائن والذى سيأتى**» (٣).

«فخر الأربعة والعشرون شيخا الجالسون أمام الله على عروشهم وسجدوا على وجوههم لله قائلين: «نشكرك أيها الرب الإله القادر على كل شئ، **الكائن والذى كان والذى سيأتى**» (٤).

«وسمعت ملاك المياه يقول: «عادل أنت أيها الرب **الكائن الذى كان والذى يكون**» (٥) (الذى يكون دائما إلى الأبد) أى كما يقول المزمور «**من الأزل إلى الأبد أنت الله**» (٦).

ويقول سفر الحكمة عن الذين لا يعرفون الله «هم حمقى من طبعهم لم يقدروا أن يعلموا **الكائن** من الخيرات المنظورة ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها» (٧)، ولا شك أن المقصود بالكائن إنما هو الله.

---

(١) (الرؤيا ١ : ٤).
(٢) (الرؤيا ١ : ٨).
(٣) (الرؤيا ٤ : ٨).
(٤) (الرؤيا ١١ : ١٦، ١٧).
(٥) (الرؤيا ١٦ : ٥).
(٦) (مزمور ٨٩ (٩٠) : ٢)، (مزمور ١٣٤ (١٣٥) : ١٣).
(٧) (الحكمة ١٣ : ١).

وحرى بالذكر أن الإسم الذى أعطاه الرب لذاته حين سأله موسى عن إسمه ليبلغه إلى بنى إسرائيل تعريفا لهم بشخص مرسله هو **يهوه** ومعناه بالعبرانية: **الكائن دائما - أو الدائم**: فقال الله لموسى: أهيه الذى أهيه. وقال: «هكذا تقول لبنى إسرائيل: أهيه أرسلنى إليكم». وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبنى اسرائيل: «**يهوه** إله آبائكم إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم.. هذا اسمى إلى الأبد» (١) والمعروف أن يهوه יְהוָה JEHOVAH-YHWH الإسم من الفعل (أهيا) أى (يكون) فى المضارع دائما، للدلالة على الوجود الدائم فى الماضى والحاضر والمستقبل، الوجود منذ الأزل إلى الأبد... ويقول الكتاب المقدس «**الحى الدائم** خلق جميع الأشياء عامة. الرب وحده» (٢)... وهو الوجود الذى نسبه الرب يسوع إلى ذاته عندما قال «قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن» (٧٦).

يقول القديس أوغسطينوس فى شرحه لقول القديس يوحنا فى الأصحاح الثانى من رسالته الأولى، عدد ١٣ «أكتب إليكم أيها الآباء لأنكم عرفتم الذى من البدء».

«والرب يسوع قد قال: «**قبل ابراهيم أنا كائن**» إننا نقول قبل ابراهيم؟ السماء والأرض كونتا قبل الإنسان. والرب كائن قبلها وقبلها بزمن طويل. وبدون منازع يقول: «قبل ابراهيم أنا كائن... أما هو فلا يعرف سوى **الوجود (الدائم)** وليس لديه ماض ولا مستقبل. يومه، **واحد إنما أزلى**،.. وحيد هو ذلك اليوم لا ظلام فيه ولا ليل ولا قياس ولا ساعات ولا هنيهات. سمه ما شئت. إنه نهار إذا شئت.. إذ عنه قد قيل: «وسنوك لن تنتهى»، ومتى سمى هذا اليوم؟ حين قيل للرب: «اليوم ولدتك». **ولده الآب الأزلى ولادة أزلية فى الأزل أى لا بداية له ولا نهاية** حتى ولا هنيهة زمنية لأنه **هو الذى هو**، وهذا هو الاسم الذى أعطاه لموسى قائلا له: وأنت تقول لهم «**الكائن** أرسلنى إليكم» ما معنى قبل ابراهيم؟ وقبل نوح؟ وقبل آدم. اصغ إلى الكتاب «قبل الفجر ولدتك» أى قبل السماء والأرض. ولماذا؟ لأن **به كل شئ كون، وبدونه لم يكن شئ**» (٣).

---

(١) (الخروج ٣: ١٤، ١٥). انظر أيضا (الخروج ٦: ٣) ثم كلم الله موسى وقال له: «أنا يهوه» ثم مزمور ٦٧ (٦٨): ٤، (مزمور ٨٢ (٨٣): ١٨)، (إشعياء ٤٣: ١٣)، (هوشع ١٢: ٥).

(٢) (يشوع بن سيراخ ١٨: ١).

(٣) انظر «شرح رسالة القديس يوحنا الأولى» للقديس أوغسطينوس نقله إلى العربية الخورى يوحنا الحلو، بيروت.

٢ ـ ومن ذلك أيضا قوله فى مناجاته للآب:

«والآن مجدنى أنت يا أبت عندك **بالمجد الذى كان لى عندك قبل أن يكون العالم»** (١).

هنا لمحة ينسب فيها الرب يسوع إلى ذاته أنه كائن قبل إنشاء العالم، أى أن وجوده لم يبدأ من مريم، منذ ظهوره بالجسد، بل **إن وجوده كائن قبل خلق الكون، أى منذ الأزل.**

ثم أنه ينسب إلى ذاته **المجد الأزلى عند الآب** قبل الدهور، والذى أخلى ذاته منه عندما إتخذ صورة عبد وصار فى شبه البشر (٢).

٣ ـ ومن ذلك أيضا قوله فى مناجاته للآب:

«يا أبت إن الذين وهبتهم لى أريد أن يكونوا معى حيث أكون ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم»** (٣).

وهذه لمحة أخرى من لمحات الرب يسوع التى يلمح فيها إلى وجوده السابق لا على تجسده فقط، بل على الزمان وإنشاء الأكوان، بل يلمح أيضا إلى المحبة الأزلية الكائنة بين أقنومه وأقنوم الآب فى الأزل وقبل الزمان.

٤ ـ ومن ذلك قوله فى سفر الرؤيا:

«**أنا هو الألف والياء البداءة والنهاية** يقول الرب الإله الكائن والذى كان والذى سيأتى القادر على كل شئ» (٤).

والمتكلم الذى ينسب إلى ذاته أنه الألف والياء والبداءة والنهاية هو الرب يسوع، لأن مطلع الفصل الأول من سفر الرؤيا يبدأ بقوله: «كشف يسوع المسيح» (٥) ثم إنه بعد ذلك يهدى السلام من لدن «يسوع المسيح، الشاهد الأمين، والبكر من بين الأموات، ورئيس ملوك الأرض، الذى

---

(١) يوحنا ١٧ : ٥.

(٢) فيلبى ٢ : ٧.

(٣) يوحنا ١٧ : ٢٤.

(٤) الرؤيا ١ : ٨.

(٥) الرؤيا ١ : ١.

أحبنا، وقد غسلنا من خطايانا بدمه، وجعل منا مملكة من الكهنة لله أبيه، فله المجد والعزة إلى أبد الآباد، أمين. هوذا يأتى مع السحاب، وستنظره كل عين، وكذلك الذين طعنوه، وتنوح عليه جميع قبائل الأرض. نعم أمين. **أنا الألف والياء البداءة والنهاية..»** (١).

فالمتكلم والذى ينسب إلى ذاته الأزلية والأبدية، وأنه الألف والياء أى أنه الأول والآخر، وأنه بالتالى لم يكن قبله إله ولا يكون بعده إله إنما هو الرب يسوع المسيح نفسه، لأنه هو بكر من قام من بين الأموات (٢)، وهو الذى أحبنا (٣) وغسلنا من خطايانا بدمه (٤).. وهو الذى سيأتى فى مجيئه الثانى على السحاب (٥) وستنظره كل عين وتنوح عليه جميع قبائل الأرض (٦) كما سبق أن وصف ذلك وتحدث عنه مرارا فى الإنجيل.

فإذا تأملنا هذه الصفات التى ينسبها الرب يسوع إلى ذاته نجد أنها بعينها الصفات التى نسبها الله الآب إلى ذاته :

«أنا الرب. **أنا الأول والآخر»** (٧).

«إنى أنا هو، **قبلى لم يصور إله**. وبعدى لا يكون» (٨).

«أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيرى» (٩).

« أنا هو. **أنا الأول وأنا الآخر»** (١٠).

---

(١) الرؤيا ١ : ٥ – ٨.

(٢) (كولوسى ١ : ١٨)، (أعمال الرسل ٢٦ : ٢٣)، (كورنثوس الأولى ١٥ : ٢٠، ٢٣).

(٣) (أفسس ٥ : ٢، ٢٥)، (غلاطية ٢ : ٢٠).

(٤) (أعمال ٢٢ : ١٦)، (أفسس ٥ : ٢٦)، (تيطس ٣ : ٥).

(٥) (متى ٢٤ : ٣٠)، (٢٦ : ٦٤)، (مرقس ١٣ : ٢٦)، (١٤ : ٦٢)، (لوقا ٢١ : ٢٧).

(٦) (متى ٢٤ : ٣٠).

(٧) إشعياء ٤١ : ٤.

(٨) إشعياء ٤٣ : ١٠.

(٩) إشعياء ٤٤ : ٦.

(١٠) إشعياء ٤٨ : ١٢.

٥ ـ ومن ذلك قوله أيضا للقديس يوحنا الرائى. مرة ثانية، وهو يعرف ذاته لعبده وتلميذه يوحنا:

«أنا هو الألف والياء، الأول والآخر» (١).

وهذه هى رواية القديس يوحنا فى رؤياه يروى مقابلته للرب يسوع:

«أنا أخاكم يوحنا وشريككم فى الضيقة وفى الملكوت والثبات بيسوع المسيح كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس لأجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح. وصرت فى الروح فى يوم الرب، فسمعت خلفى صوتا عظيما كصوت بوق قائلا: **أنا هو الألف والياء الأول والآخر**، اكتب ما تراه فى سفر وابعث به إلى الكنائس السبع التى فى آسيا» (٢).

ولسوف يتضح بالأكثر أن هذا الصوت العظيم الذى سمعه القديس يوحنا خلفه كان صوت الرب يسوع ذاته. فهنا الرب يسوع مرة أخرى ينسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله وحده: إنه الألف والياء الأول والآخر، **أى أنه الأزلى الأبدى، الأزلى الذى لا بداية له الأبدى الذى لا نهاية له.. أى الدائم**.. الكائن دائما والحاضر دائما، أو هو يهوه أى السرمدى أو السرمد.

٦ ـ ومرة أخرى وفى نفس الأصحاح الأول من سفر الرؤيا، وفى ذات الرؤيا التى رآها القديس يوحنا، رأى الرب يسوع بذاته يكلمه قائلا: «لا تخف **أنا هو الأول والآخر**».

يقول القديس يوحنا بعد أن روى خبر سماعه للصوت العظيم الذى سمعه من ورائه، وكان كصوت بوق، يقول:

«فالتفت لأنظر ما الصوت الذى كان يكلمنى، ولما التفت رأيت سبع منائر من ذهب. وفى وسط المنائر السبع شبه ابن انسان متسربلا بثوب إلى الرجلين ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص قد أحمى فى أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة. وفى يده اليمنى سبعة كواكب، ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين، ووجهه يضئ كالشمس عند اشتدادها. فلما رأيته

---

(١) الرؤيا ١: ١١.

(٢) الرؤيا ١: ٩ – ١١.

سقطت عند قدميه وصرت كالميت، فوضع يده اليمنى على قائلا: لا تخف، **أنا هو الأول والآخر**. والحى وقد كنت ميتا وهاءنذا حى إلى أبد الآباد، ولى مفاتيح الموت والجحيم» (١).

وواضح من رواية سفر الرؤيا، أن الذى ظهر للقديس يوحنا وقد سمع صوته أولا من خلفه وبعد ذلك التفت يوحنا ورآه، كان هو السيد المسيح بنفسه فى صورة الإله المتأنس، ولذلك قال إنه شبه ابن إنسان.. إذن هو المسيح فى ناسوته وقال شبه ابن إنسان، لأن يوحنا رآه فى بهاء عظيم وجلال أعظم من الجلال الذى رآه فيه على جبل التجلى (٢) .. رآه منيرا ووجهه يضئ كالشمس عند اشتدادها، لذلك كان أبهى وأبرع جمالا من بنى البشر (٣) فقال عنه «أنه شبه ابن إنسان».

ثم أنه وصفه بأوصاف الناسوت جميعها كما رآه، فرأى له رجلين ورأسا وشعرا يغطى الرأس، ورأى له عينين، ويدين ووجها، وكلها أوصاف الجسد الذى اتخذه الكلمة الأقنوم الثانى وظهر به بين الناس... ثم يقول إن يوحنا عندما رآه خاف جدا من هيبته أكثر مما خافه على جبل التجلى، لأنه هنا يقول أنه من شدة الخوف سقط عند قدميه وصار كالميت. ويضيف إن صاحب الصوت العظيم المهوب وضع يده اليمنى على رأس يوحنا وقال له: «أنا هو الأول والآخر. والحى وقد كنت ميتا، وهاءنذا حى إلى أبد الآباد». إذن المتكلم هو الرب يسوع نفسه لأنه بيده اليمنى التى له فى الجسد ـ وقد وضعها على رأس يوحنا ـ طمأنه ثم عرفه بنفسه. وفى تعريفه بنفسه نسب إلى ذاته أنه الأول والآخر، وهو ما يتصف به الله وحده ولا أحد سواه، وأضاف بأنه الحى وقد كان ميتا، وهذا يشير إلى أنه ذاق الموت بالجسد فى الصليب، مما لا ينطبق إلا على الرب يسوع.

إن رواية القديس يوحنا فى رؤياه تدل فى تفصيلاتها دلالة قاطعة وحاسمة على أن من تكلم معه، هو الرب يسوع فى الناسوت، وأنه نسب إلى ذاته صفة الأزلية والأبدية، وهى الصفة التى ينفرد بها الله، ولا أحد سواه.

٧ ـ وفى الأصحاح التالى من سفر الرؤيا نص آخر نطق به الرب يسوع، ونسب فيه إلى ذاته الأزلية حيث يقول: «وأكتب إلى ملاك كنيسة أزمير هذا ما يقوله **الأول والآخر** الذى كان ميتا

---

(١) الرؤيا ١: ١٢ – ١٨.
(٢) (متى ١٧: ١، ٢)، (مرقس ٩: ١ – ٣)، (لوقا ٩: ٢٨ – ٣٢).
(٣) مزمور ٤٤ (٤٥): ٢.

وعاد إلى الحياة، (١) ومن هو الذى كان ميتا فعاد إلى الحياة إلا الرب يسوع (٢) الذى ذاق الموت على الصليب، ثم دفن وفى اليوم الثالث قام من بين الأموات، ناقضا أوجاع الموت؟ هذا الذى كان ميتا وعاد إلى الحياة بالقيامة من الموت، هو بعينه الذى يقول عن نفسه أنه الأول والآخر.. الأزلى الذى لا بداية له الأبدى الذى لا نهاية له.. فالمتكلم إذن هو الرب يسوع.. والرب يسوع إذن هو الأزلى الذى لا بداية له.

٨ ـ من ذلك أيضا قوله:

«**أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية**. أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا» (٣). والمتكلم هو الرب يسوع، إذ يقول القديس يوحنا إن صاحب هذا القول هو «الجالس على العرش» (٤) ثم لأن الرب يسوع يصف ذاته دائما بأن لديه ينبوع الحياة الذى يروى العطاش. فهو الذى قال للمرأة السامرية: «وأما من يشرب من الماء الذى أنا أعطيه له فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه له يكون فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية» (٥).

وقال: «من يؤمن بى فلن يعطش إلى الأبد» (٦).

وقال: «من يعطش فليقبل إلى ويشرب. من يؤمن بى فكما قال الكتاب، تجرى من بطنه أنهار ماء الحياة» (٧).

أقول إن فى هذا النص كذلك من سفر الرؤيا، ينسب الرب يسوع الجالس على العرش فى السماء إلى نفسه أنه الألف والياء والبداءة والنهاية، أى أنه ينسب لذاته صفة الأزلية والأبدية التى لا تنسب لغير الله وحده.

---

(١) الرؤيا ٢: ٨.

(٢) رومية ٦: ٩.

(٣) الرؤيا ٢١: ٦.

(٤) (الرؤيا ٢١: ٥)، (٤: ٢، ٩)، (٥: ١)، (٢٠: ١١).

(٥) يوحنا ٤: ١٤.

(٦) يوحنا ٦: ٣٥.

(٧) يوحنا ٧: ٣٧، ٣٨.

٩ ـ ومن ذلك قوله أيضا:

«هاءنذا آت سريعا وجزائى معى لأجازى كل واحد على حسب أعماله. أنا الألف والياء. **البداءة والنهاية الأول والآخر»** (١) ولما كان الرب يسوع هو الذى وعد بالمجئ الثانى، وأنه سيجازى كل واحد على حسب أعماله، كما فى قوله «لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، عندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (٢).

فالرب يسوع إذن هو المتكلم بهذا النص القدسى، وهو القائل: «أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر»، مؤكدا فى كل مرة على أنه الأزلى الأبدى، وأنه ليس غيره إله، لأنه لا يتصف بالأزلية غير الله، ولا يجرؤ أحد غير الله أن يقول عن ذاته: «أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر».

---

(١) الرؤيا ٢٢: ١٢، ١٣.

(٢) (متى ١٦: ٢٧، ٢٨). انظر أيضا (متى ٢٤: ٣، ٣٠، ٣٧، ٣٩)، (متى ٢٥: ٣١، ٣٢)، (٢٦: ٦٤)، (مرقس ٨: ٣٨)، (١٣: ٢٦)، (١٤: ٦٢)، (لوقا ٢١: ٢٧)، (يوحنا ٥: ٢٢، ٢٧)، (١٤: ٣، ١٨، ٢٨)، (٢١: ٢٢)، (أعمال الرسل ١٠: ٤٢)، (١٧: ٣١)، (رومية ٢: ١٦)، (١٤: ١٠، ١٢)، (الرسالة الأولى إلى كورنثوس ١١: ٢٦)، (الرسالة الثانية إلى كورنثوس ٥: ١٠)، (الرسالة الأولى إلى تسالونيكى ٢: ١٩)، (٣: ١٣)، (الرسالة الثانية إلى تسالونيكى ١: ٧، ١٠)، (٢: ١، ٨)، (الرسالة الثانية إلى تيموثيئوس ٤: ١)، (رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢٨)، (الرؤيا ١: ٧)، (٢: ٢٥)، (٣: ١١)، (٢٢: ٧، ٢٠).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته الأبدية

وكما يتصف الله وحده بالأزلية، كذلك يتصف وحده بالأبدية. فالله وحده هو الأزلى لأنه البدء والبداءة والمبدئ لكل شئ، ولا بداية له، وهو وحده الأبدى لأنه لا نهاية له.

يقول الوحى «منذ **الأزل** إلى **الأبد** أنت الله» (١).

«مبارك الرب إله إسرائيل من **الأزل** إلى **الأبد**» (٢).

«هكذا قال العلى المرتفع ساكن **الأبد**، القدوس اسمه» (٣).

«أما الرب الإله فحق. هو إله حى وملك **أبدى**» (٤).

فإذا وصفت الحياة بالأبدية، فلأن الله هو الحياة.

وأما ما هو مخلوق فلا يوصف بأنه أبدى، لأن الأزلى هو وحده الأبدى.

نعم يوصف الإنسان بالخلود، وتوصف الملائكة بالخلود. لكن الخلود هو غير الأبدية. الخلود منحة الله للكائنات العاقلة، لأنها ما دامت مخلوقة فهى قابلة للفناء. والخلود إذن منحة ونعمة مفاضة عليها ليست من طبيعتها هى.

على أن السيد المسيح وصف نفسه لا بالخلود فقط بل **بالأبدية** التى لا يتصف بها غير الله وحده.

١ - قال يسوع المسيح لعبده ورسوله يوحنا «أنا هو **الألف والياء البداءة والنهاية**، يقول الرب الإله الكائن والذى كان **والذى سيأتى** القادر على كل شئ» (٥).

---

(١) مزمور ٨٩ (٩٠): ٢.
(٢) (مزمور ٤٠ (٤١): ١٣)، (١٠٥ (١٠٦): ٤٨)، (أخبار الأيام الأول ١٦: ٣٦)، (٢٩: ١٠)، (نحميا ٩: ٥)، (دانيال ٢: ٢٠).
(٣) إشعياء ٥٧: ١٥.
(٤) (إرميا ١٠: ١٠) انظر أيضا (التثنية ٣٣: ٢٧).
(٥) الرؤيا ١: ٨.

٢ ـ ويقول القديس يوحنا فى رؤياه أنه كان فى الروح فى يوم الرب، وسمع خلفه صوتا عظيما كصوت بوق قائلا: «أنا هو **الألف والياء**، الأول **والآخر**» (١). وكان هذا الصوت العظيم هو صوت الرب يسوع بعينه، لأن القديس يوحنا التفت لينظر الصوت العظيم الذى تكلم معه، ولما التفت رآه فى صورة ابن إنسان متسربلا بثوب إلى القدمين، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج، وعيناه كلهيب نار «ورجلاه شبه النحاس النقى.. وصوته كصوت مياه كثيرة، وفى يده اليمنى سبعة كواكب، ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين، ووجه يضئ كالشمس عند إشتدادها» فلما رآه القديس يوحنا بهذا البهاء والجمال سقط عند قدميه وصار كالميت. أما الرب يسوع فأشفق عليه «فوضع يده اليمنى عليه قائلا له: لا تخف أنا هو **الأول والآخر**، والحى وقد كنت ميتا **وهاءنذا حى إلى أبد الآباد**» (٢). ولقد شرحنا هذا النص من قبل وبينا أن المتكلم هو الرب يسوع بنفسه، لأن القديس يوحنا رآه فى الجسد، ووصف قامته وثوبه الأبيض ومنطقة الذهب عند ثدييه، كما وصف وجهه وبهاء النور الساطع منه بهاء نور الشمس وهى عند إشتدادها، ووصف كذلك شعره ورأسه وعينيه وفمه وقدميه ورجليه، وأنه عندما سقط يوحنا عند قدميه وضع يده اليمنى على رأسه، ثم طمأنه وعرفه بنفسه، وفى تعريفه بنفسه وصف الرب يسوع ذاته بأنه «**الأول والآخر، والحى إلى أبد الآباد**» أى أنه نسب إلى ذاته الأبدية التى لا يتصف بها غير الله وحده، **وأنه سيظل حيا إلى أبد الآباد**.

٣ ـ وقد ألح ربنا يسوع المسيح على نفس الحقيقة فى موضع آخر، فى قوله لعبده ورسوله القديس يوحنا «واكتب إلى ملاك كنيسة أزمير هذا ما يقوله: الأول **والآخر**، الذى كان ميتا وعاد إلى الحياة» (٣). وواضح أن الذى ينسب إلى ذاته الأبدية فى هذا النص، هو الرب يسوع لأنه هو الذى مات ثم عاد إلى الحياة بقيامته من بين الأموات.

٤ ـ وهو بذاته القائل «**أنا هو الألف والياء البداءة والنهاية**. أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا» (٤) وكما قلنا سابقا نقول هنا أن الذى وعد كثيرا وفى مواضع متفرقة أن عنده ماء الحياة، الماء الحى، الذى ينبع إلى الحياة الأبدية هو الرب يسوع، وهو الذى يصف ذاته بأنه الأبدى الذى لا نهاية له.

---

(١) الرؤيا ١ : ١٠، ١١.
(٢) الرؤيا ١ : ١٢ – ١٨.
(٣) الرؤيا ٢ : ٨.
(٤) الرؤيا ٢١ : ٦.

٥ ـ ويكرر نفس المعنى، وذات الحقيقة، وهو فى مجال الوعد بمجيئه الثانى، والحساب بالثواب والعقاب الذى سيجرى أمام عرشه الأبيض، ومنبره، لأنه هو وحده الديان: «هاءنذا آت سريعا وجزائى معى، لأجازى كل واحد على حسب أعماله: **أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر** (١).

* * *

هاتان الصفتان الإلهيتان: الأزلية والأبدية، ينسبهما الرب يسوع إلى ذاته بنفس القوة التى تنسبان بها إلى الله. فإذا لم يكن المسيح هو الله، فكيف يجرؤ يسوع المسيح أن يصف ذاته بالأزلية والأبدية، ويقول بغير تحفظ: «**أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر**» ؟. لو أن إنسانا نسب ذلك إلى ذاته لكان مجدفا. فنحن الآن أمام قضية جادة: إما أن يكون المسيح مجدفا، وإما أن يكون صادقا. فإذا كان صادقا ـ ولا شك فى ذلك ـ فلا مفر من أن يكون هو الله متجسدا.

---

(١) الرؤيا ٢٢: ١٣.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه هو الحياة بعينها وأنه واهب الحياة ومانحها لمن يشاء

إن الله وحده هو **الحى بذاته**، وهو **مبدئ الحياة** فى كل الكائنات. **هو الحى الأول**، والذى أحيا ويحيى غيره من الأحياء **وهو ذاته الحياة، وبه يحيا كل حى آخر**، والله **هو الحى دائما**.. كان هو الحى منذ الأزل، ولازال حيا، وسيظل هو الحى إلى الأبد. وكان هو **باعث الحياة، وأصل الحياة** ومبدئ الحياة، ولازال يبعث الحياة، وسيظل دائما باعث الحياة ومنشئ الحياة، إلى الأبد.

يقول الرب الإله «انظروا الآن. أننى أنا هو، ولا إله معى، أنا أميت وأحيى.. إنى أرفع يدى إلى السماء وأقول «**حى أنا إلى الأبد**» (١).

«**حى أنا** يقول السيد الرب» (٢).

«**حى أنا** يقول رب الجنود» (٣).

«**حى أنا** يقول الرب» (٤).

هذه الصفة التى ينفرد بها الله، ولا يتصف بها غيره، نسبها **الرب يسوع المسيح إلى ذاته** بنفس الدرجة، وبنفس القوة، كما يتصف بها الله تعالى.

١ - فالرب يسوع نسب إلى ذاته أنه هو الحياة ذاتها.

فقد قال الرب يسوع لمرثا اخت لعازر، وأمام جميع من شهدوا معجزة إقامته للعازر بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام: «**أنا القيامة والحياة**» (٥).

---

(١) التثنية ٣٢: ٣٩، ٤٠.

(٢) (حزقيال ٥: ١١)، (١٤: ١٦، ١٨، ٢٠)، (١٦: ٤٨)، (١٧: ١٦)، (١٨: ٣)، (٣٣: ١١)، (٣٤: ٨)، (٣٥: ٦، ١١).

(٣) صفنيا ٢: ٩.

(٤) (إشعياء ٤٩: ١٨)، (إرميا ٢٢: ٢٤).

(٥) يوحنا ١١: ٢٥.

وقال لتلميذه توما وللباقين «**أنا هو الطريق والحق والحياة**» (١).

هل يجرؤ أحد غير المسيح على أن يقول بذاته عن ذاته «**أنا الحياة**؟» .

يسوع المسيح يقول «**أنا الحياة**» **ذاتها**.. فليس هو الحى فقط، بل هو الحياة عينها.. ذاتها.. الحياة التى هى أصل كل حياة.. ونبع كل حياة.. هو الحياة بالألف واللام.. ليس هو جزءا من الحياة.. لكنه الحياة ذاتها.. كلها.. الحياة فى جوهرها وحقيقتها وذاتها.. أنا الحياة!

مَنْ مِنَ الناس، بل مَنْ مِنَ الملائكة يجرؤ على أن يقول «أنا الحياة» ؟.. من غير المسيح؟!

٢ - والرب يسوع ينسب إلى ذاته أن له الحياة فى ذاته:

يقول الرب يسوع «لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له **الحياة فى ذاته**» (٢).

ليس الابن إذن مخلوقا، وليست الحياة فيه مرسلة إليه من خارج ذاته، ولكن **الحياة فيه هى من ذاته**، تماما كما أن الآب السماوى له الحياة فى ذاته. الابن إذن حى، والحياة كائنة فيه من ذاته لأنه هو الحياة، وأصل الحياة، تماما كما أن الآب السماوى حياته قائمة فيه من ذاته، وليست مبعوثه إليه من خارج ذاته.

وهذا يشكل فارقا فاصلا بين المخلوق والخالق. فالمخلوق صار حيا بالحياة التى بعثها فيه الخالق، ولم يكن قبل البعث والخلق، حيا. أما الخالق فحى منذ الأزل وهو الحى الأول، والحياة فيه من ذاته، وإلا كان مخلوقا. والحياة فيه كائنة منذ الأزل، لأنه هو نفسه الحياة. ولو لم تكن الحياة فيه من ذاته لكان شأنه شأن كل مخلوق، ولم يكن بالتالى خالقا، ولن يكون أبدا لأن فاقد الشئ لا يعطيه.. فالخالق وحده هو باعث الحياة وأصلها ومنشئها، وهو الحى بذاته، وفى ذاته، وهو الحياة، وكل الحياة.

---

(١) يوحنا ١٤: ٦.

(٢) يوحنا ٥: ٢٦.

٣ ـ والرب يسوع نسب إلى ذاته أنه هو معطى الحياة ومانحها :

قال له المجد لليهود «الحق الحق أقول لكم: إن موسى لم يعطكم الخبز من السماء لكن أبى هو **يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء**. لأن خبز الله هو النازل من السماء **والواهب حياة للعالم**. قالوا له يا سيد: «أعطنا هذا الخبز فى كل حين».

فقال لهم يسوع: « **أنا خبز الحياة** من يقبل إلى فلن يجوع ومن يؤمن بى فلن يعطش أبدا» (١) المسيح إذن هو **الخبز الحقيقى** الذى نزل من السماء **ليعطى العالم الحياة**. ولأنه «**خبز الحياة الحق**» ، الذى تقوم عليه الحياة، ومنه تستمد قوتها، لذلك ففيه الشبع وفيه الإرتواء، ومن يعرفه ويغتذى به «فلن يجوع أبدا، ولن يعطش أبدا».. والحياة هنا ليست الحياة المادية بمعناها الحسى الظاهر، **بل الحياة الحقيقية بمفهومها السرى الباطن**، باعتبارها الوجود الحى المشبع بالسعادة والرضى والسلام العميق، أى الإحساس العارم بالحياة الهنيئة الغنية بالإشباع التام للروح والنفس والقلب والفكر، والتى ينمو شبعها وارتواؤها نموا مطردا، يكفل لها الإستمرار فى هذا **النعيم** الروحى إلى الأبد.

والمسيح بقوله هذا أبان أنه **معطى الحياة** بكل معانيها: **فهو معطى الحياة** بمعنى «**الوجود**» **من العدم**، أى أنه الخالق والموجد والمبدع والبارئ والفاطر وأصل الوجود، فهو أصل الحياة ومنشئها ومبدئها، وهو لذلك علة الكون الأولى، وهو الأول الذى لا أول له، والبدء الذى لا بداية له، وواجب الوجود.. والحى الأول الذى منه نبعت الحياة...

ثم هو معطى الحياة بمعنى أنه «**غذاء الحياة**» الذى يكفل للحياة بقاءها واستمرارها ودوامها.. وبهذا المعنى يصير هو «**الحافظ**» للحياة وليس الخالق لها فقط، والضامن لوجودها والحامى لها، والنافخ فيها لتبقى شعلتها مضيئة دائما، وأوارها حاميا، ولهيبها مضيئا ومشعا بالنور والحرارة. يقول الرب يسوع لتلاميذه «أنى أنا حى، فأنتم أيضا ستحيون» (٢) سأبعث فيكم الحياة دائما.

---

(١) (يوحنا ٦: ٣٢ – ٣٥)، (٦: ٤٨ – ٥١، ٥٣، ٥٧، ٥٨).

(٢) يوحنا ١٤: ١٩.

وبهذا المعنى الأخير للحياة قال الرب يسوع: «أما أنا فإنما أتيت لكيما **تكون لهم الحياة وتكون لهم أوفر»** (١)، بمعنى أنه جاء من السماء ليمنح الخراف الناطقة الحياة، فلا تحيا به فقط، بل تكون لها الحياة بغنى يكفل لها البقاء السعيد، وتستمتع بالحياة الرغدة التي تفيض عن حاجة تلك الخراف إلى غيرها من الكائنات، فتحيا الكائنات الأخرى بقوة حياتها ومن وفرة غنى الحياة فيها، أي كما قال الرب نفسه عمن يحيا به أنه «**تجرى من جوفه أنهار من الماء الحى**» (٢).

ولذلك يبدى ربنا يسوع المسيح أسفه على الذين لم ينتفعوا من الفرصة المتاحة لهم ليغترفوا من الحياة التي يعطيها هو بغنى للذين يطلبونها بإيمان ويسعون إليها، فيقول لليهود: «وأنتم لا تريدون أن تقبلوا إلى، **لتكون لكم الحياة**» (٣) أى هذه الحياة السعيدة المشبعة بالهناءة والرضى والسلام، الحياة التي لها قوة ولها معنى ومغزى، وتستحق أن تسمى حياة حقيقية كاملة غامرة.

٤ ـ والرب يسوع نسب إلى ذاته أنه يعطى حياة أبدية.

(أ) فهو ليس يمنح الحياة فقط بل أن الحياة التي يمنحها هي أيضا **الحياة الأبدية**، الحياة الممتدة إلى ما لا نهاية.

قال الرب يسوع للمرأة السامرية عندما اعتذرت عن إعطائه ماء ليشرب «لو كنت تعرفين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطيني لأشرب لكنت أنت تسألينه، فيعطيك **ماء حيا**. قالت له المرأة: «يا سيدى لا دلو لك، والبئر عميقة، فمن أين لك الماء الحى؟ هل أنت أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا هذه البئر..؟ فأجاب يسوع وقال لها. كل من يشرب من هذا الماء يعطش من جديد. وأما الذى يشرب من الماء الذى أعطيه إياه، **فلن يعطش إلى الأبد**، بل الماء الذى أعطيه إياه يصير فيه **ينبوع ماء يتفجر حياة أبدية**» (٤).

---

(١) يوحنا ١٠: ١٠.
(٢) (يوحنا ٧: ٣٨).
(٣) (يوحنا ٥: ٤٠).
(٤) يوحنا ٤: ١٠ – ١٤.

وقال أيضا لليهود «**أنا هو خبز الحياة**.. هذا هو الخبز النازل من السماء **لكى لا يموت من يأكل منه. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء**. من يأكل من هذا الخبز **يحيا إلى الأبد**.. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء.. من يأكل هذا الخبز **يحيا إلى الأبد**» (١). وقال يناجى الآب على مسمع من تلاميذه: «يا أبت.. مجد ابنك لكى يمجدك ابنك، إذ أعطيته السلطان على كل جسد **ليهب الحياة الأبدية** لكل من أعطيتهم له» (٢).

وفى هذه العبارة من فم الرب يسوع يكشف عن سلطانه المطلق على كل ما له جسد، وعلى أن يهب الحياة الأبدية لكل البشر الذين صاروا له بإيمانهم به. وإذا كان الرب يسوع ينسب هذا السلطان إلى الآب أولا، ويقول أن الآب هو الذى أعطاه هذا السلطان، والآب هو الذى أعطاه المخلصين باسمه، فإنه بهذا يشرح العلاقة بين الآب والابن، وإنه ليس هناك تعارض بينهما، فى الإرادة والمشيئة، وأنهما واحد فى الجوهر. وليست هذه هى المرة الوحيدة التى ينسب فيها الرب يسوع الفضل فى كل شئ للآب. إنه دائما يقول أنه مرسل من الآب، وأنه لا يصنع مشيئته بل مشيئة الآب الذى أرسله، مؤكدا بذلك على وحدانية الذات الإلهية، وعلى وحدة المشيئة بينه وبين الآب. وفى هذا ما يطمئن التلاميذ واليهود إلى أن المسيح ليس إلها آخر غير الآب السماوى، فليس ثمة إلا إله واحد. وليس الابن على الأرض إلا الله غير المنظور وقد صار منظورا فى المسيح.

وقال كذلك: «إن خرافى تسمع صوتى.. **وأنا أعطيها الحياة الأبدية** (٣).

المسيح إذن لا يهب الحياة فقط بمعنى الخلق والإيجاد، ولا يهب للحياة ما يغذيها ليكفل له البقاء فترة ما، بل أيضا **يهب الحياة الأبدية**، أى الحياة الممتدة إلى ما لا نهاية له.. وهى التى تشارك الله وجوده إلى أبد الآباد.

فإذا كان الرب يسوع يهب الحياة فهو **الخالق**، وهو أيضا **الحافظ**. أما أنه يهب الحياة الأبدية، فهذا معناه أيضا أنه **يملك الأبدية**، لأن فاقد الشئ لا يعطيه، فهو إذن مبدئ الحياة، وضامن الحياة، ومالكها إلى الأبد. **من يكون إذن المسيح إلا أن يكون هو الله بذاته ؟!**.

---

(١) يوحنا ٦: ٤٨ – ٥٨.

(٢) يوحنا ١٧: ١، ٢.

(٣) (يوحنا ١٠: ٢٧، ٢٨).

(ب) والرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته أنه يمنح الحياة الأبدية لمن يؤمن به.

قال له المجد «الحق الحق أقول لكم: **إن من يؤمن بى فله الحياة الأبدية**» (١).

وقال أيضا «**إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية**» (٢) وقال «**من يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة**» (٣).

وقال «**من يؤمن بى** كما قال الكتاب تجرى من جوفه **أنهار ماء الحياة**» (٤) فالمؤمن بالرب يسوع سوف لا يمنحه الحياة الأبدية لشخصه فقط، بل يصير كذلك نبعا فياضا بالحياة لغيره من الناس.

وقال «أنا هو القيامة والحياة. **من آمن بى** يحيا، وإن مات. وكل من يحيا **مؤمنا بى فلن يموت إلى الأبد**» (٥).

(ج) والرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته أنه يمنح الحياة الأبدية لمن يحفظ كلامه.

قال له المجد «الحق الحق أقول لكم: **إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد**» (٦).

(د) ويمنح الحياة الأبدية لمن يعرفه.

قال له المجد «وهذه هى الحياة الأبدية: **أن يعرفوك** أنت الإله الواحد الحق وحدك، والذى أرسلته يسوع المسيح» (٧).

٥ - والرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته أنه يمنح الحياة الجديدة بالقيامة الثانية.

لقد نسب الرب يسوع إلى ذاته أنه هو بذاته **سيقيم الموتى فى اليوم الآخر**، وأنه سيتولى

---

(١) يوحنا ٦: ٤٧.
(٢) يوحنا ٦: ٤٠.
(٣) (يوحنا ٣: ٣٦)، انظر أيضا (يوحنا ٣: ١٥، ١٦).
(٤) يوحنا ٧: ٣٨.
(٥) يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦.
(٦) يوحنا ٨: ٥١، ٥٢.
(٧) يوحنا ١٧: ٣.

المؤمنين به، والعاملين مسرته بأن يقيمهم بنفسه إلى حياة أبدية سعيدة، ليحيوا معه إلى الأبد فى سعادة كاملة لانهائية.

قال له المجد «وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل من أعطانى لا أهلك أحدا منهم بل أقيمه فى اليوم الآخر. لأن هذه هى مشيئة أبى أن كل من يرى الابن ويؤمن به، تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الآخر**(١).

وقال أيضا: «ما من أحد يستطيع أن يقبل إلى، إلا إذا اجتذبه إليّ الآب.. **وأنا أقيمه فى اليوم الآخر**(٢).

وقال كذلك: «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الآخر**(٣).

وقال «أنا **القيامة** والحياة» (٤).

وقال: «لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم كذلك **الابن يحيى من يشاء**(٥).

* * *

يسوع المسيح إذن هو مانح الحياة بالخلق، ومانح الحياة الثانية بإقامته الموتى من الموت، ومانح الحياة الأبدية إلى ما لا نهاية ولقد برهن على سلطانه على الإقامة من الموت بإقامته إبنة يايرس (٦)، وابن أرملة نايين (٧)، ولعازر (٨) بعد أربعة أيام من دفنه. فهو الحياة ذاتها وباعث الحياة على الإطلاق بلا قيد لسلطانه، تماما كالآب لأنه واحد معه فى جوهر اللاهوت، والذات الإلهية الواحدة.

---

(١) يوحنا ٦: ٣٩، ٤٠.
(٢) يوحنا ٦: ٤٤.
(٣) يوحنا ٦: ٥٤.
(٤) يوحنا ١١: ٢٥.
(٥) يوحنا ٥: ٢١.
(٦) (متى ٩: ١٨، ١٩، ٢٣ – ٢٦)، (مرقس ٥: ٢٢ – ٢٤، ٣٥ – ٤٣)، (لوقا ٨: ٤١، ٤٢، ٤٩ – ٥٦).
(٧) (لوقا ٧: ١١ – ١٦).
(٨) (يوحنا ١١: ١٤ – ٤٤).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه حاضر فى كل مكان وزمان

الله وحده هو الذى يوجد فى كل مكان ولا يحده مكان، لأنه روح (١) غير محدود، وليس مادة. أما الإنسان فلأنه محدود فلا يمكنه أن يوجد فى أكثر من مكان فى وقت واحد. فلا يستطيع أن يكون، مثلا، فى الغرفة وخارج الغرفة فى وقت واحد. وتعتبر هذه الحقيقة فى عالم الإنسان من البديهيات ومن قوانين الفكر الضرورية.

يقول الرب «ألعلى إله أنا عن قرب، يقول الرب، ولست إلها عن بعد؟ إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفما أراه أنا يقول الرب؟ ألست مالئ السماوات والأرض، يقول الرب» (٢).

ويقول أيضا «فاعلم اليوم وردد فى قلبك، أن الرب هو الإله فى السماء من فوق، وفى الأرض من أسفل، ليس سواه» (٣)

ويقول «لأن الرب إلهكم هو الله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل» (٤).

ويقول النبى فى المزمور: «أين أذهب من روحك، وأين أفر من وجهك. إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن اتخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر، فهناك أيضا يدك تهدينى، ويمينك تمسكنى. وإن قلت إن الظلمة تغشانى كان الليل حولى نورا. لديك لا تظلم الظلمة. والليل يضئ كالنهار. سيان عندك الظلام والنور» (٥).

أما يسوع المسيح فعلى الرغم من أنه اتخذ إنسانيتنا وصار فى شبه الناس، لكنه نسب إلى ذاته الوجود فى كل مكان، والحضور فى غير مكان فى وقت واحد، وفى غير زمان.

١ ـ قال له المجد لنيقوديموس أحد رؤساء اليهود وعلمائهم: «**ولم يصعد أحد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الكائن فى السماء**» (٦).

---

(١) يوحنا ٤: ٢٤.
(٢) إرميا ٢٣: ٢٣، ٢٤
(٣) التثنية ٤: ٩.
(٤) يشوع ٢: ١١.
(٥) (مزمور ١٣٨ (١٣٩): ٧ – ١٢). انظر أيضا (أيوب ٢٣: ٨، ٩)، (إشعياء ٦٦: ١)
(٦) يوحنا ٣: ١٣.

في هذا التصريح القدسي، إعلان واضح أن السماء التي بها العرش الإلهي، لم يصعد بعد إليها أحد من الناس (١) لكن ابن الإنسان، أي المسيح، هو وحده الذي نزل منها (٢). ومع نزوله منها إلا أنه كائن وقائم فيها وموجود بها بلاهرته الذي يملأ السماوات والأرض. أما أرواح الأبرار والقديسين فتصعد إلى الفردوس (٣) مقر راحة الصديقين، وهو ما يعرف بـ «السماء الثالثة» (٤)، وهو غير السماء (٥) التي بها العرش والملائكة، والتي تعرف «بالملكوت» (٦) أو «سماء السماوات» (٧)، والتي أعدها الله (٨) للأبرار أن يرثوها، ولن يدخلوها إلا بعد يوم القيامة والحساب. وأما أرواح الأشرار فتمضي إلى الجحيم (٩)، مقرها المؤقت إلى يوم الدينونة العظيم، حيث ترسل إلى جهنم (١٠) المعدة لابليس وملائكته الأشرار، وهي النار الأبدية (١١).

يقول القديس أوغسطينوس «أو ليس هو ذاك الذي جاء إلى أرضنا دون أن يبتعد عن السماء؟ أو ليس هو ذاك الذي صعد إلى السماء دون أن يتخلى عنا؟» (١٢).

وإذن ابن الإنسان، وهو يسوع المسيح، مع أنه نزل من السماء، لكنه هو على الأرض لم يخل السماء من وجوده، بل ظل قائما فيها. فعندما كان على الأرض كان لا يزال في السماء.. عندما كان جالسا على حجر العذراء كان في نفس الوقت جالسا على عرشه في السماء.. وعندما كان يكلم نيقوديموس أحد رؤساء اليهود وعلمائهم كان يصغي إلى تسبيح الملائكة أمام عرشه في

---

(١) (الأمثال ٣٠ : ٤)، (أعمال ٢ : ٣٤).
(٢) (يوحنا ٦ : ٣٣، ٣٨، ٥١، ٦٢)، (كورنثوس الأولى ١٥ : ٤٧)، (أفسس ٤ : ١٠)، (يوحنا ١ : ١٨)، (٣ : ٣١).
(٣) (لوقا ٢٣ : ٤٣)، (كورنثوس الثانية ١٢ : ٤)، (الرؤيا ٢ : ٧).
(٤) كورنثوس الثانية ١٢ : ٢.
(٥) (لوقا ٣ : ٢١)، (أعمال ٣ : ٢١)، (٧ : ٤٩).
(٦) (متى ٢٥ : ٣٤)، (لوقا ١٢ : ٣٣)، (٢٢ : ٣٠)، (٢. تيموثيئوس ٤ : ١٨)، (يعقوب ٢ : ٥).
(٧) (الملوك الأول ٨ : ٢٧)، (يشوع بن سيراخ ١٦ : ١٨).
(٨) (متى ٢٥ : ٣٤)، (٢٠ : ٢٣)، (مرقس ١٠ : ٤٠)، (كورنثوس الأولى ٢ : ٩).
(٩) (لوقا ١٦ : ٢٣)، (متى ١٦ : ١٨)، (مزمور ٩ : ١٧).
(١٠) (متى ٥ : ٢٢، ٢٩، ٣٠)، (١٠ : ٢٨)، (١٨ : ٩)، (مرقس ٩ : ٤٣، ٤٥، ٤٧)، (٢. بطرس ٢ : ٤).
(١١) (متى ٢٥ : ٤١)، (مرقس ٩ : ٤٣ – ٤٨).
(١٢) القديس أوغسطينوس: «شرح رسالة القديس يوحنا الأولى» المقالة السادسة، المحبة الصادقة، فقرة ١٣.

السماء، ويستمع إلى صلوات جميع مخلوقاته الناطقة.. حقيقة لا يمكن أن نفهمها بالنسبة للإنسان ذلك الكائن المحدود، لكنها لا تعرف إلا عن الله وحده. فكيف ساغ ليسوع المسيح أن ينسب إلى ذاته مالا ينسب إلا إلى الله وحده: الوجود فى كل مكان فى وقت واحد، ما لم يكن بهذا يعلن عن وحدانيته مع الآب فى جوهر اللاهوت؟!

على أن نزول الابن من السماء (١) ليس كما ينزل الإنسان من الطابق العلوى إلى طابق أسفل، فإن النزول بهذا المعنى الأخير يقتضى إخلاء الطابق العلوى والحلول فى الطابق الأسفل. وهذا لم يحدث بالنسبة للمسيح، فهو قال أنه «نزل من السماء وهو كائن فى السماء»، أى كان على الأرض وفى السماء فى وقت واحد.

وإذن فنزول الرب يسوع لا بمعنى إخلائه السماء من وجوده، ولا بمعنى الحلول المادى المحصور فى المكان، بل نزوله بمعنى تنازله أن يكون له - وهو مالئ السماوات وكل الوجود - كيان منظور، تلبس به، وصار للاهوته حجابا وسترا حتى يصير منظورا للناس. ولما كان الله عاليا ساميا وأعلى من السماوات، فإذا صار له على الأرض وجود منظور ملموس، فقد نزل فى نظر الناس - بهذا المفهوم - من السماء إلى الأرض.

٢ - ولقد روى الإنجيل المقدس **قصة إيمان نثنائيل** الذى من ناصرة الجليل، والذى صار فيما بعد برثولماوس الرسول أحد الإثنى عشر تلميذا ورسولا.. هذه القصة بينة أخرى على حضور الرب يسوع فى كل مكان.

إن نثنائيل إلتقى به فيلبس الذى كان قد صار حديثا من أتباع المسيح «ووجد فيلبس نثنائيل فقال له:، وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة والأنبياء، وهو يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة. فقال له نثنائيل،: «أو يخرج من الناصرة شئ صالح؟» فقال له فيلبس: «هلم فانظر!» ورأى يسوع نثنائيل مقبلا إليه فقال عنه: «ها هوذا إسرائيلى حقيقى لا غش فيه. فقال له نثنائيل: من أين تعرفنى؟» أجاب يسوع وقال له: «**قبل أن يدعوك فيلبس، وأنت تحت التينة رأيتك**» . أجابه نثنائيل: وقال يا معلم، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل، فأجاب يسوع وقال له: **ألأنى قلت لك إنى رأيتك تحت التينة آمنت؟** سترى أعظم من هذا» (٢) .

(١) يوحنا ٦: ٣٨، ٤٢.

(٢) يوحنا ١: ٤٥ - ٥٠.

والمتأمل فى هذه القصة يعجب من سرعة إيمان نثنائيل، ويذهل من تحوله المفاجئ من رجل لم يكن يتوقع أن يكون فى يسوع المسيح شئ من الخير أو الصلاح ـ نظرا لأنه ناصرى، وأهل الناصرة لم يكونوا ذوى صلاح بل كان رأى اليهود فيهم أنهم أشرار بما اختلط لديهم من أفكار وعادات وثنية أفسدت عقيدتهم وديانتهم ـ إلى رجل آخر زاد إيمانه أضعافا على إيمان فيلبس الذى دعاه وألح عليه فى دعوته، كان نثنائيل متلكئا فى قبول الدعوة رافضا لها معترضا عليها حتى لقد قال له فيلبس: تعال وانظر! وهى عبارة لا يقولها إنسان إلا عندما تعييه الحيلة فى إقناع رفيقه.

وبينما كان فيلبس الذى دعا نثنائيل يقول عن يسوع المسيح «يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة» قال نثنائيل موجها الخطاب للمسيح «رابى: (أى يا معلم ويارب ـ وهو تعبير إجلال يوجه عند مخاطبة كبار المعلمين المرموقين) ـ أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل».

وهنا لابد للمرء أن يتساءل: كيف تحولت نظرة نثنائيل هذا التحول المفاجئ؟ إنه عندما قال له الرب يسوع: «ها هوذا إسرائيلى حقيقى لا غش فيه» أجاب نثنائيل بأسلوب خلا من التوقير الذى استعمله بعد ذلك بقليل.. قال له: من أين تعرفنى؟ ولم يزد بتلقيبه حتى بلقب «سيد» وهو تعبير يقتضيه الأدب فى مخاطبة الآخرين كما فعل اليونانيون الذين تقدموا إلى فيلبس وسألوه قائلين «يا سيد نريد أن نرى يسوع» (١) ـ مما يدل على أن شيئا واحدا هو الذى صنع فى نثنائيل صنيعا عظيما ونقله مباشرة من الإحتقار إلى الإعجاب والذهول والإجلال، والإعتراف بأن المسيح ابن الله وأنه ملك إسرائيل؟ فما هو هذا؟

إنه قول المسيح له «**قبل أن يدعوك فيلبس، وأنت تحت التينة رأيتك**»!

يؤكد هذا قول الرب يسوع نفسه لنثنائيل بعد أن اعترف به أنه ابن الله وأنت ملك إسرائيل.. «ألأنى قلت لك أنى رأيتك تحت التينة آمنت. سترى أعظم من هذا».

إذن قصة التينة هى بيت القصيد.. هى سر إيمان نثنائيل بأن الرب يسوع ابن الله، وأنه ملك إسرائيل... وهى سر تلقيبه له بكل الإحترام: «رابى» بعد أنه لم يكن جديرا عنده بلقب «سيد».

فما قصة التينة؟

---

(١) يوحنا ١٢ : ٢١.

يروى التقليد والتاريخ أن نثنائيل كان فى طفولته من بين الأطفال الذين انطبق عليهم قرار هيرودس الذى أصدره بقتل «كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها من ابن سنتين فأقل، وفقا للزمان الذى تحققه من المجوس» (١) . ولما علمت أمه بذلك احتالت على نجاته بأن وضعته فى سفط ثم صعدت إلى أعلى شجرة التينة التى فى بيتها وجعلت السفط وفيه طفلها نثنائيل فى تعريشة التينة، فكانت تعريشة التينة بأغصانها المتشابكة والملتفة مخبأ أمينا حيث أحاطت به الأغصان والأوراق من كل جهة. فلما دخل جند هيرودس وفتشوا البيت ولم يجدوا فيه طفلا خرجوا ، ولم يمسوا الطفل نثنائيل بشر. وبهذه الوسيلة نجا نثنائيل من سيف جند هيرودس.

هذه القصة المثيرة، قصة نجاة نثنائيل من الموت لم يكن يعلم بها أحد إلا أم نثنائيل، ونثنائيل نفسه فيما بعد، وظل الأمر حبيسا فى صدر أمه وفى صدره إلى أن واجهه الرب يسوع بمعرفته له «**قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتك**» فذهل نثنائيل لأنه سمع قصة نجاته التى لا يعرفها أحد غيره وغير أمه، من الرجل الذى يلتقى به لأول مرة، وعرفه بشخصه أنه إسرائيلى حقيقى لا غش فيه، وأن فيلبس دعاه للمجئ إليه، ولكنه عرفه بما قبل دعوة فيلبس له: عرفه بسر عظيم، سر نجاته..

ومما هو جدير بالتأمل قول الرب يسوع لنثنائيل: **رأيتك تحت التينة**، أى أنه لم يعرفه فقط، بل رآه **أيضا رأى العيان**.. رآه وهو طفل رضيع.. رآه وهو فى تعريشة التينة وقد غطته وسترته الأوراق والأغصان من كل جهة...

حينما لم يره أحد من الناس قط، رآه الرب يسوع؟

وأين كان الرب يسوع فى هذا الوقت؟

ألم يكن هو أيضا طفلا حملته أمه وهربت به إلى مصر تنفيذا لأمر الملاك الذى ظهر ليوسف فى الحلم، وكان هناك فى مصر إلى أن مات هيرودس الذى كان يسعى فى طلب الطفل الإلهى ليميته؟ (٢) .

---

(١) متى ٢ : ١٦ .
(٢) متى ٢ : ١٣ - ٢٠ .

إذن كيف رأى الرب يسوع الطفل نثنائيل وهو تحت التينة؟ إنه لم يذهب إليه بقدميه لأنه كان بعيدا عنه، فى بلد بعيد، بعيد.. لكنه قد رآه فعلا **«رأيتك تحت التينة»** إذن الرب يسوع وهو فى مصر قد رأى الطفل نثنائيل تحت التينة وهو فى بيته فى إحدى القرى القريبة من بيت لحم فى مقاطعة اليهودية من أرض فلسطين؟

كيف نفسر ذلك إلا بأن المسيح حاضر بلاهوته فى كل مكان. فهو وان كان فى مصر، لكن بلاهوته حاضر فى فلسطين وفى كل بقعة من الأرض، وعيناه تخترقان أستار الظلام وتريان على بعد المكان، لأنه لا يحده مكان «وما من خليقة مستترة أمامه، بل كل شئ عار مكشوف الباطن لعينيه» (١). فهل من شك فى أنه هو الله؟ هل يمكن لغير الله أن يقول لنثنائيل «رأيتك تحت التينة»!

لهذا لم يلبث نثنائيل أن سمع قول الرب يسوع له «قبل أن دعاك فيلبس، وأنت تحت التينة رأيتك» حتى انطلق لسانه مترجما عن إيمان قلبه «رابى، أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» فكان باعترافه هذا أسبق من القديس بطرس فى إقراره المشهور «أنت هو المسيح ابن الله الحى» (٢).

٣ - وقال الرب يسوع له المجد **«لأنه حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون أنا فى وسطهم»** (٣).

إذن يكون يسوع المسيح موجودا فى كل مكان يجتمع فيه إثنان أو ثلاثة بإسمه. وما أكثر ما يمكن أن تتوافر هذه الإجتماعات فى أماكن متعددة، لا حصر لها!

أفهل يمكن لإنسان أن يزعم لنفسه هذا؟

لو كان يسوع المسيح مجرد إنسان لكان وجوده، فى أكثر من مكان أمرا محالا لا يقبله عقل، ولا يسيغه منطق.

فلو لم يكن المسيح إلها كيف يكون وجوده فى أكثر من مكان مقبولا؟

---

(١) العبرانيين ٤ : ١٣.

(٢) متى ١٦ : ١٦.

(٣) متى ١٨ : ٢٠.

ثم أن مثل هذه الإجتماعات يمكن أن تكون فى أى عصر، وفى أى زمان. وبموجب هذا الوعد المقدس يكون يسوع المسيح حاضرا فيها.

وإذن يسوع المسيح ينسب إلى نفسه أن يكون حاضرا دائما لا فى كل مكان فقط، بل وفى كل زمان أيضا. هل يمكن أن يكون يسوع المسيح مجرد إنسان؟

٤ ـ ويقول الرب يسوع: «**من يحبنى يحفظ كلامى فيحبه أبى، وإليه نأتى، وعنده نجعل مقامنا**» (١).

وهذا وعد لمن يحب المسيح ويحفظ كلامه برهانا على صدق حبه وعمقه، فإن الآب يحبه لأن الآب يحب الابن وليس بينهما تعارض لأنهما جوهر واحد، ونتيجة لهذا الحب من الآب والابن معا يتخذان من قلب ذلك الإنسان ومن روحه وجسده مقرا ومقاما ومسكنا، ويجدان فيه راحتهما.

وإذا كان هذا الوعد مطلقا، وعدا لكل من أحب المسيح، فالمسيح مع الآب يتخذان من قلب كل إنسان أحب المسيح مقرا ومقاما. فالمسيح ومعه الآب يقيم فى قلوب المحبين له إقامة دائمة فى وقت واحد. هو إذن فى قلوب كثيرة وأماكن كثيرة فى وقت واحد، ولا يحده منها مكان أو قلب. وكما أن الآب لا يحده مكان، كذلك الابن أيضا لا يحده مكان، لأنهما معا دائما بغير افتراق.

وهذا دليل وحدانية الابن والآب فى الجوهر، كما أنه دليل على حضورهما فى غير مكان فى وقت واحد.

على أن هذا الوعد لا ينحصر تحقيقه فى زمان دون زمان. ففى كل زمان طالما وجد من يحب المسيح، فإن المسيح مع الآب يتخذان من قلب هذا الإنسان وقلب كل إنسان آخر فى أى زمان، مقرا لهما ومسكنا ومقاما. وهذا يقتضى بالتبعية حضور المسيح فى كل زمان، كما يقتضى حضوره فى كل مكان.

٥ ـ وفى سفر الرؤيا يعلن الرب يسوع عن معنى آخر قريب من المعنى السابق، ويؤكد الحقيقة نفسها. يقول «**هاءنذا واقف على الباب أقرعه، فإن سمع أحد صوتى وفتح الباب**

---

(١) يوحنا ١٤: ٢٣.

أدخل إليه واتعشى معه وهو معى» (١) وهذا وعد مطلق، يمكن أن يكون من نصيب كثيرين فى أماكن متفرقة يفتحون للرب قلوبهم، بالرغبة الصادقة والإرادة الخيرة، فيدخل الرب يسوع إليهم ويغذيهم من دسم نعمته، ويطعمهم بطعامه الباقى (٢) إلى الحياة الأبدية، ولن يترك الواحد منهم ليذهب إلى الآخر، لأنه يستطيع أن يقيم فى قلوبهم جميعا فى آن واحد ويشبعهم من طعامه فى وقت واحد.

وكما ينطبق هذا الوعد على كثيرين فى المكان، ينطبق على آخرين كثيرين فى الزمان، ففى كل زمان وإلى نهاية الأيام يظل وعد المسيح قائما لكل من يفتح له باب قلبه، يدخل فيه ويتعشى معه.

هل يمكن لإنسان أن يَعِدْ وعدا كهذا، وعدا يشمل المكان كما يشمل الزمان؟ هل يمكن لغير الله وحده أن يكون حضوره عبر الزمان وعبر المكان، فى كل زمان وفى كل مكان؟

فمن يكون المسيح إذن غير الله بذاته؟

٦ ـ ويقول الرب يسوع كذلك وهو يودع تلاميذه قبيل صعوده إلى السماء: **«وهاءنذا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهور»** (٣). وهذا وعد بأنه هو بذاته سيكون معهم، على الرغم من مغادرته الأرض بالجسد وصعوده إلى السماء (٤). والمقصود بالمعية هنا، المصاحبة للتلاميذ بحضوره معهم دائما ووجوده فى وسطهم كما سبق فقال (٥)، بما شرحناه من قبل. وهو يؤكد ـ مع النصوص السابقة ـ إنه ينسب إلى ذاته الوجود والحضور فى كل مكان فى السماء وفى كل مكان فى الأرض.

غير أن هذا الوعد لا ينحصر فى الوجود المكانى بل ويتعداه إلى الوجود دائما فى الزمان. فإن قوله «هاءنذا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهور» ينطوى صراحة على حضوره فى كل زمان إلى مجيئه الثانى وبالتالى إلى الأبد.

---

(١) الرؤيا ٣: ٢٠.
(٢) يوحنا ٦: ٢٧.
(٣) متى ٢٨: ٢٠.
(٤) (مرقس ١٦: ١٩)، (لوقا ٢٤: ٥١)، (أعمال ١: ٩ – ١١).
(٥) (متى ١٨: ٢٠).

إن هذا النص، بالإضافة إلى النصوص السابقة بينة واضحة على أن الرب يسوع ينسب إلى ذاته صفة ينفرد بها الله وحده، إنه موجود وحاضر فى كل مكان، بل وفى كل زمان.

* * *

فإذا كان المسيح ينسب إلى ذاته **إنه حاضر وموجود فى كل زمان ومكان**، فهذه دعوى الألوهة. فإما أن تكون دعواه صحيحة - وهى كذلك دعوى صريحة - وإلا كان المسيح مجدفاً لأنه نسب إلى ذاته مالا ينسب إلا إلى الله وحده.

* * *

إذن ليس المسيحيون هم الذين نسبوا إلى المسيح الألوهة إدعاءً وافتئاتا، وإنما المسيح الذى آمنوا به هو الذى نسب إلى ذاته بأقواله وأفعاله ما أقنعهم بأنه هو لم يكن غير الله متجسدا، **أو هو الله فى صورة إنسان**.. هو الله، ولم يكن الجسد الذى ظهر به غير حجاب احتجب به لاهوته عن الناس، وستار استتر به عن عيونهم ليحل بوجوده فى وسطهم دون أن تعمى عيونهم بنوره أو يحترقوا بنار لاهوته.

المسيح إذن هو الله متأنسا.. وبكيانه المنظور ابن الله، له المجد والسجود وبه تليق العبادة والإكرام، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور، آمين.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الغافر الخطايا

إن الكتاب المقدس يقرر أن الله، والله وحده، هو غافر الخطايا.

والخطايا المقصودة هنا ليست خطايا الناس ضد الناس... ففى مقدوركل إنسان أن يغفر لأخيه الإنسان إساءته إليه، وأن يغسل بالصفح ما ترسب فى قلبه نحوه.

إنما الخطايا المقصودة هنا عندما نقول إن الله وحده هو الغافر الخطايا، هى خطايا الإنسان ضد الله ذاته. هذه الخطايا لا يملك أحد أن يغفرها غير الله، متى قدم الإنسان عنها ترضية لله يقبلها عدله، وترتضيها قداسته.

قال الله «الرب... غافر الإثم والمعصية والخطيئة» (الخروج ٣٤: ٧)، «يغفر الذنب والسيئة» (العدد ١٤: ١٨).

ويقول المزمور «لأنَّ عندك المغفرة» (١٢٩ : ٤).

ويقول الرب على فم إشعياء النبى «أنا أنا هو الماحى ذنوبك» (إشعياء ٤٣: ٢٥).

وجاء فى سفر دانيال «للرب إلهنا المراحم والمغفرة» (٩: ٩).

وجاء فى سفر ميخا «من هو إله مثلك غافر الإثم» (٧: ١٨).

انظر أيضاً (التثنية ٢١: ٨)، (١ . الملوك ٨: ٣٠، ٣٤، ٣٦)، (مزمور ٢٤: ١١، ١٨)، (٥٠: ١، ٩)، (٧٨: ٩)، (١٠٢: ٣)، (متى ٦: ١٢)، (لوقا ١١: ٤)، (العبرانيين ٨: ١٢)، (١ . يوحنا ١: ٩).

وجاء فى الإنجيل كذلك «**فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده**» (مرقس ٢: ٧)، (لوقا ٥: ٢١)، (٧: ٤٩).

انظر أيضاً (متى ٦: ١٤، ١٥)، (مرقس ١١: ٢٥، ٢٦).

تلك حقيقة مقررة لا يُمارى فيها أحد، أن الله وحده هو الغافر الخطايا، وليس لأحد غيره هذا الحق وهذا السلطان.

على أن الرب يسوع المسيح كان يمارس هذا الحق وهذا السلطان باعتباره صاحب سلطان أصيل.

من ذلك ما ورد عنه فى الإنجيل أنه كان فى بيت بكفر ناحوم «فتجمع فى الحال كثيرون حتى لم يعد ثمة موضع لقدم فى البيت ولا حتى عند الباب، فطفق يبشرهم بالكلمة. وقد جاءوا إليه بمفلوج مطروحاً على فراش يحمله أربعة رجال. وإذ لم يستطيعوا أن يصلوا به إليه بسبب الزحام صعدوا إلى السطح، وكشفوا سقف المكان الذى كان به وثقبوه، ثم أنزلوا الفراش الذى كان المفلوج راقداً عليه، إلى الوسط أمام يسوع، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: «**اطمئن يا بنى مغفورة لك خطاياك**». وكان قوم من الكتبة جالسين هناك، يفكرون فى قلوبهم قائلين: «ما باله يجدف هكذا؟ **فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده؟**» **وفى الحال علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم، فقال لهم**: «لماذا **تفكرون بالشر فى قلوبكم؟ أيهما أيسر: أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك**، أم أن يقال قم أحمل فراشك وامش؟ **ولكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا**». ثم قال للمفلوج: «لك أقول قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك». فقام فى الحال وحمل الفراش وخرج أمام الجميع، وذهب إلى بيته، وهو يمجد الله. فلما رأت الجموع ذلك تعجبوا ومجدوا الله قائلين «ما رأينا مثل هذا قط» (مرقس ٢ :١-١٢)، (متى ٩ :١-٨)، (لوقا ٥ :١٧-٢٦).

هنا، فى هذه المعجزة التى وردت فى ثلاثة الأناجيل كما كتبها الرسل القديسون متى ومرقس ولوقا، **نرى الرب يسوع يكشف عن سلطانه المطلق غير المقيد، على مغفرة الخطايا التى صنعها إنسان ضد الله تعالى** عندما علم بلاهوته بصدق توبة هذا الإنسان المفلوج، ولم يسأله الإعتراف بها أمام الناس، لأنه يعلم بها كإله، ويعلم أيضاً بندمه عليها، وبعزمه الصادق على تغيير مسار حياته، لذلك شاء برحمته أن يغفر له، وأن يطمئنه على غفران خطاياه حقيقة فقال له: «**اطمئن يا بنى مغفورة لك خطاياك**».

ونحن نلاحظ هنا أن مخلصنا قال قولته بلهجة صاحب السلطان المطلق على مغفرة الخطايا، فقد أصدر حكم البراءة بغير تحفظ، ومن دون أن يقيد حكمه بتوبة المفلوج وإعترافه بخطاياه لكنه كعالم بما احتواه قلبه من ندم وعزم على تجديد السيرة **أصدر قراره بالغفران قراراً غير مشروط...**

هذا إلى أننا نلاحظ أن قرار الغفران صدر من فم الرب يسوع من غير حاجة إلى تحفظ أو تشدد أو استيفاء لشرط ما، وذلك باعتباره صاحب سلطان مطلق وأصيل وليس كما يفعل الكهنة

الذين لا يمنحون الحل لأحد إلا بعد أن يتثبتوا من صدق توبة الخاطىء بعلامات معينة ظاهرة، بموجبها يمنحون الحل الكهنوتى بالغفران، مثلهم فى ذلك مثل صيارفة البنوك. فإن هؤلاء لا يصرفون من أموال المصرف إلا بعد التثبت من صحة الوثيقة التى يبرزها الطالب واستحقاقه للمبلغ، وإلا فإن الصراف يكون قد وقع فى خطأ كبير، فيصير مسؤولاً عن المبلغ الذى صرفه من غير حق، ولابد من أن يُعاقب عن إهماله فى تحرى الدقة فى عمله وصرف المبالغ المالية لمستحقيها. فالكاهن مثله مثل الصراف لا يمنح الحل الكهنوتى من الخطيئة، من عنده، كصاحب حق أصيل، إذ أنه مجرد وكيل يصرف لا من ماله هو، وإنما من مال عام ليس له فيه إلا ما للوكيل المؤتمن على خزانة ليس له فيها شىء.

وجدير بالذكر أن السيد المسيح، إذ نطق بالقرار «**اطمئن يا بنى، مغفورة لك خطاياك**، **كان نطقه قراراً بمحو خطايا المفلوج بناء على قبوله لتوبة الرجل**، وصدق إيمانه، إذ المسيح بوصفه إلهاً عرف ماضى الرجل، وأن خطاياه كانت سبباً لمرضه وعرف أيضاً كفاحص للقلوب، وعالم بالأفكار وما فى ذات الصدور أن الرجل نادم ندامة حقيقية، وأنه يطلب من المسيح قبول توبته. ولما كان الرب يسوع هو صاحب الإختصاص فى القضية أولاً وآخراً **فقد أصدر قراره بالعفو عن خطايا المفلوج لأنه أب ورحيم، والمفلوج ابنه يطلب رحمته ومغفرته**. وهذا يتضح من خطاب المسيح له: «**اطمئن يا بنى**» على الرغم من أن المسيح من حيث هو إنسان كان فى هذا الوقت شاباً يزيد قليلاً عن الثلاثين، فالبنوة فى كلام المسيح لا تفهم على مستوى السن أو العمر، ولكنها البنوة الروحية. وهى تعبير عن مشاعر الحب والحنان من جانب الرب باعتباره الآب السماوى، وهى فى نفس الوقت **نداء له دلالته فى إجازة الرجل المفلوج للدخول فى حظيرة ملكوت الله**.

وهذا كله بيِّنَةَ على أن يسوع المسيح فى قراره بالغفران للرجل كان صاحب سلطان مطلق وأصيل.

ولم يصنع المسيح ذلك إلا نادراً، فما أقل ما نقرأ عن المسيح أنه استخدم سلطانه فى مغفرة الخطايا.

فالمفلوج الآخر، **مفلوج بركة بيت حسدا** كان مريضاً منذ ثمان وثلاثين سنة «فلما رآه يسوع مضطجعاً، وإذ كان يعلم أن له زماناً طويلاً هكذا، قال له: «أتريد أن تبرأ؟ فأجابه العليل قائلاً: يا سيد ليس لى من يلقى بى فى البركة متى تحرك الماء... فقال له يسوع: قم أحمل

فراشك وامش. ففى الحال برىء الرجل، وحمل فراشه ومشى» (يوحنا ٥:١-٩) . هذا المفلوج لم يقل له الرب يسوع ما قاله للفلوج الآخر المدلى من السقف «اطمئن يا بنى: **مغفورة لك خطاياك»** وإنما اكتفى بأن سأله: «أتريد أن تبرأ؟ وذلك ليأخذ منه إقراره بلسانه بحاجته إلى الشفاء احتراماً لإرادته ومشيئته، وحتى لا يفرض عليه الشفاء، ثم قال له بعد ذلك «قم احمل فراشك، وامش» - هذا على الرغم من أنه يعلم أن مرض هذا الرجل الطويل كان بسبب خطاياه، بدليل أن المسيح له المجد إلتقى به بعد ذلك وقال له: **«ها أنت قد برئت، فلا تعد إلى الخطيئة لئلا يصيبك ما هو أسوأ»** (يوحنا ١٤:٥).

وهذا يدل على أن المسيح لم يكن يمنح الغفران لأحد ما لم يكن يعلم بصدق توبته واستحقاقه للغفران.

إننا لا نكاد نجد فى الإنجيل أن المسيح قد نطق بقرار الغفران إلا للمفلوج المدلى من السقف ثم للمرأة الخاطئة (لوقا ٣٦:٧-٥٠).

والمرأة الخاطئة: منحها الغفران عن خطاياها السابقة المعروفة لجميع الناس فى المدينة (لوقا ٣٧:٧)، لأنه رأى ندمها على ماضيها وحياتها الدنسة، واعترافها. أما ندمها فقد عبرت عنه بدموعها التى ذرفتها. ساخنة على قدمى الرب يسوع ووقفت من ورائه عند قدميه باكية، وأخذت تبلل قدميه بدموعها، وتمسحهما بشعر رأسها، وتقبل قدميه وتضمخهما بالطيب. وأما اعترافها فكان ظاهراً فى أنها وهى المشهورة فى المدينة بخطيئتها وسوء سيرتها إذ علمت أن الرب يسوع قبل دعوة سمعان الفريسى ليجلس معه إلى المائدة جاءت إليه هناك، ودخلت بيت الفريسى، وشرعت أمامه وأمام جميع المدعوين تبكى خطاياها، وتستغفره باكية وتبلل قدميه بدموعها... فقبل توبتها وهو عالم بماضيها وحاضرها، وعرف أن دموعها لم تكن دموع التماسيح الكاذبة لكنها كانت دموع التوبة الصادقة، حتى إنه دافع عنها ووبخ سمعان الفريسى صاحب الدعوة وصاحب البيت على فكره الذى انتواه فى قلبه ولم يصرح به إذ «قال فى نفسه: «لو كان هذا نبياً لعلم من هى هذه المرأة التى تلمسه، وما هو حالها، وأنها خاطئة» (لوقا ٣٩:٧) وقال له المجد لمضيفه معلناً أن المرأة نادمة على خطاياها، وأنها تابت عنها، وأنه قبل توبتها الصادقة ولذلك غفر لها لأنها بقدر ما أخطأت كثيراً أقبلت إلى التوبة عن محبة لله صادقة، رآها له المجد أعظم من محبة الفريسى الذى دعاه ليأكل على مائدته، «وقال لسمعان: «أترى هذه المرأة؟ لقد دخلت بيتك فلم تعطينى ماء لقدمى، وأما هى فبللتهما بدموعها، ومسحتهما بشعر

رأسها. أنت لم تقبلني، وأما هي فمنذ أن دخلت بيتك لم تكف عن تقبيل قدمي. أنت لم تدهن بالزيت شعري. وأما هي فقد ضمخت بالطيب قدمي. لذلك أقول لك إن خطاياها الكثيرة مغفورة لها، لأنها أحبت كثيراً. وأما الذي يغفر له قليل فإنه يحب قليلاً. ثم قال لها: «**مغفورة لك خطاياك**». فأخذ الجالسون معه إلى المائدة يقولون في أنفسهم: «من هذا أيضاً الذي يغفر الخطايا؟ أما هو فقال للمرأة: «إن إيمانك قد خلصك. فاذهبي بسلام» (لوقا ٧:٤٤-٥٠).

في هاتين الحادثتين، حادثة المفلوج المدلى من السقف، وحادثة المرأة الخاطئة التي تابت، أصدر المسيح له المجد قراراً بالغفران عن الخطايا التي ارتكبها كل منهما ضد الله، **وكان القرار بالغفران قراراً من صاحب سلطان أصيل، قراراً حاسماً واضحاً، حكماً نافذاً غير مؤجل وغير مقيد وغير مشروط، نفاذه تم تواً، وفوراً وفي الحال**. فقال للمفلوج **«اطمئن يا بني، مغفورة لك خطاياك»، وقال لسمعان عن الخاطئة التائبة: «أقول لك: إن خطاياها الكثيرة مغفورة لها...»** وقال للمرأة نفسها: «**مغفورة لك خطاياك**. إن إيمانك قد خلصك. فاذهبي بسلام». **وكلها عبارات قاطعة جازمة، بلهجة حاسمة، تفيد أن فعل الغفران قد وقع، وصار حكماً نافذاً، بل إن نفاذه صار جزءاً من الحاضر الذي وقع، بل جزءاً من الماضي القريب.**

وهذا أمر لا يمكن أن يصدر من إنسان، نبياً كان أو كاهناً أو قديساً حتى إن الكتبة والفريسيين علماء الشريعة قالوا: «**من هذا أيضاً الذي يغفر الخطايا؟** (لوقا ٧:٤٩) أي من هذا الآخر غير الله وحده الذي له أن يغفر الخطايا بسلطان أصيل. ولقد رأوا في هذا الأمر تجديفاً على الله، **لأن المسيح غفر بسلطانه هو، لا بسلطان الآب**، وقالوا «ما باله يجدف هكذا؟ فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده» (مرقس ٢:٧)، (متى ٩:٣)، وقالوا «من هذا الذي يجدف؟ فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده» (لوقا ٥:٢١).

والغريب أن الرب يسوع، وقد علم باعتراض علماء الشريعة عليه واتهامهم له بالتجديف، مع ذلك لم يتراجع عن قراره، ولم يتخاذل أمام إتهامه بالتجديف ولم ينكر مقالته، ولا أعطى تفسيراً مريحاً لعلماء الشريعة، بل زاد على ذلك بأن حكم على أفكار الكتبة والفريسيين بأنها أفكار شريرة فقال: «**لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم؟**» (متى ٩:٤) أي أنهم بإنكارهم على المسيح سلطانه على غفران الخطايا، قد سقطوا في فكر شرير فيما ظنوا أنفسهم أنهم حماة الشريعة، والمحامون عن الله، والمدافعون عن وحدانيته وسلطانه المطلق دون غيره على مغفرة الخطايا.

وأضاف إلى هذا كله. **بأن واجه تحديهم له، بتحد أكبر من جانبه. قال لهم**: «أيهما أيسر: **أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك**، أم أن يقال: قم احمل فراشك وامش؟» (مرقس ٢ :٩)، (متى ٩ :٦)، (لوقا ٥ :٢٣). واضح من هذا أنه يسألهم لكى يقارنوا بين أمرين: أحدهما أيسر من الآخر، والأيسر هو أن يقال للمفلوج: «مغفورة لك خطاياك». أما الأصعب فهو أن يقال له: «قم احمل فراشك. وامش» لأن سلطان الغفران هو بالنطق، أما سلطان شفاء المريض ومنحه القوة لأن يحمل أيضاً فراشه ويمشى وهو المفلوج، ويسير حاملاً فراشه الثقيل إلى بيته، فهو سلطان أكبر... **ومن يقدر على الأصعب، يقدر بالأحرى على الأيسر.**

وبعد ذلك يقول الرب يسوع بإصرار «**ولكن لكى تعلموا أن لإبن الإنسان السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا**»... أى أنه على الرغم من أنه من البين أن يحكم الإنسان أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك أيسر من أن يقال له: قم احمل فراشك وامش، لكنى سوف لا أكتفى بهذا التخيير النظرى بل إنى أثبت لكم سلطانى على أن أمنح الشفاء للمفلوج والقدرة أيضاً على أن يحمل فراشه ويمشى أمام الجميع ويذهب إلى بيته، حتى تتبينوا بعد هذا **سلطانى بالتالى على مغفرة الخطايا. وعندئذ قال للمفلوج بسلطان الآمر الناهى أى من دون تضرع وابتهال، ومن دون صلاة، ومن غير أن يستمد للشفاء قوة خارجة عن ذاته من كائن آخر كما يفعل الأنبياء حينما يُصلون لله مستمدين منه القدرة على الشفاء، قال للمفلوج: «قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك**. وحدثت المعجزة دون إبطاء. فتحركت الحياة فى المفلوج المخلع المحمول على فراشه بأربعة رجال، فنهض على الفور معافى، وتشددت أعصابه وعضلاته فقام فى التو واللحظة، ولم تعوزه مدة نقاهة ليقوى على المشى والحركة، بل صار بالأحرى قادراً على أن لا يحمل نفسه فقط وإنما يحمل فراشه أيضاً لمسافة طويلة بين بيت وبيت ولم تخر قواه فى الطريق ولم يضعف... وإنما سار بثبات وصحة وقدرة طوال الطريق، ولم يتقدم لمساعدته أحد إلى أن وصل إلى بيته وهو يمجد الله، والناس من أمامه ومن خلفه ومن حوله مبهورين مبهوتين متعجبين متحيرين منذهلين يمجدون الله الذى أعطى المخلع المفلوج هذه القدرة، وقالوا بهتاف قلوبهم وألسنتهم «قد رأينا اليوم عجائب»... بل «ما رأينا مثل هذا قط» (لوقا ٥ :٢٦)، (مرقس ٢ :١٢).

ويهذا برهن يسوع المسيح على سلطانه المطلق والأصيل على مغفرة الخطايا «لكى تعلموا أن لإبن الإنسان السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا».

كما برهن على أنه إذ قال للمفلوج «**مغفورة لك خطاياك**» لم يجدف كما ظنه الكتبة والفريسيون علماء الشريعة، وإنما مارس حقه وسلطانه ولم **يَعْتَدِ بهذه الممارسة على سلطان الله الآب فإن «جميع ما للآب فهو لى»** (يوحنا ١٦:١٥)، (١٧:١٠)، ولأن «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠:٣٠)، ولأن «**الابن هو فى الآب والآب هو فى الابن**» (يوحنا ١٤:١٠، ١١، ٢٠)، (يوحنا ١٠:٣٨)، (١٧:٢١).

ولأن «**الآب كائن فى الابن**» (يوحنا ١٤:١٠).

ولم يكن المسيح يسوع فى حاجة إلى أن يبرهن للكتبة وعلماء الشريعة من الفريسيين أنه لم يجدف، ولم يهتم بأن يدفع تهمة التجديف عن ذاته، بل ربما جعلها أكثر حدة ووضوحاً، وكأنه وضعهم أمام تحد عظيم، إذ برهن على سلطانه على مغفرة الخطايا الذى لا يتصف به إلا الله الواحد وحده، فكأنه بالأحرى يلزمهم الحجة بأنه **إذ يمارس سلطاناً ليس لأحد من البشر أن يمارسه، فلا مفر من أن يكون قد برهن بهذا على أنه هو الكلمة المتجسد، الله الذى ظهر فى الجسد، ولذلك فإنه بهذه الصفة يمارس سلطان الله ذاته فى مغفرة الخطايا.**

وهكذا انقلب الاتهام للمسيح بأنه مُجدف على الله إلى برهان على حقيقته الإلهية وأنه هو والآب معاً واحد (يوحنا ١٠:٣٠).

وأن «جميع ما للآب هو للابن» (يوحنا ١٦:١٥)، (١٧:١٠)، وأن للإبن كل سلطان الآب فى القضاء (يوحنا ٥: ٢١، ٢٧).

إلى هذا كله نُضيف بأن المسيح له المجد إذ غفر للفلوج وللمرأة الخاطئة، **فقد أصدر حكماً من غير ضراعة أو ابتهال، ومن غير إحالة على أحد آخر، وفى هذا يختلف عن الأنبياء. فإن هؤلاء لا يملكون سلطان الغفران، ولكن قد يطلبون الغفران، أو قد ينطقون بالغفران ولكن بتفويض واضح من الله.**

ومثال الحالة الأولى قول القديس بولس الرسول «**ليرحم الرب بيت أونيسيفوروس... ولينعم عليه الرب أن يجد رحمة من لدن الرب فى ذلك اليوم**» (٢. تيموثيئوس ١:١٦، ١٧).

ومثال الحالة الثانية قول ناثان لداود الملك بعد أن اعترف داود بخطيئته على يديه وقال: قد أخطأت إلى الرب، قال ناثان لداود: **إن الرب قد نقل خطيئتك عنك**، فلا تموت أنت» (٢ . صموئيل ١٢ :١٣) .

ومن ذلك يتضح أن القديس بولس الرسول لم يجرؤ على أن يمنح الغفران لأونيسفوروس، وإنما صلى وطلب من أجله لعل الله يمنحه الغفران. كما أن ناثان النبى لم يجرؤ على أن يمنح الغفران من عنده للملك داود، إنما نسب ذلك إلى الله (الرب أيضاً قد نقل خطيئتك عنك، فلا تموت أنت) .

وكذلك يصنع الكاهن بعد أن يسمع إعتراف التائب المعترف، ويلتمس منه الحل الكهنوتى، فيصلى الكاهن عنه، ويقول فى صوت واضح «اللهم أنعم علينا بغفران خطايانا. باركنا، طهرنا، حاللنا، وحالل عبدك (فلان)، وقومنا إلى إرادتك المقدسة الطوباوية...» ثم يقول التائب المعترف: أخطأت، حاللنى يا أبى، فيجيبه الكاهن قائلاً: «الرب يحاللك» أى «فليغفر لك الرب»!.

بهذا المفهوم نفسر سلطان الحل والعقد الذى منحه المسيح له المجد لتلاميذه ورسله عندما «نفخ فى وجوههم، وقال لهم: «اقبلوا روح القدس، من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم، ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم» (يوحنا ٢٠ :٢٢، ٢٣) .

فالرسل والكهنة من بعدهم لا يغفرون خطايا المؤمنين بسلطان أصيل، ولكنهم ينطقون بالحل الكهنوتى كوكلاء أسرار الله (١ . كورنثوس ٤ :١)، (٩ :١٧)، (تيطس ١ :٧) .

أما المسيح له المجد فهو صاحب السلطان الأصيل فى غفران الخطايا، فإذا منح الغفران، منحه بصفته كائناً مع الآب، وفى الآب، ومالكاً لكل ما للآب، وفيه يحل الملء كله (كولوسى ١ :١٩) . «أى أن الله كان فى المسيح» (٢ . كورنثوس ٥ :١٩) «فإنه فيه يحل كل كمال (ملء) اللاهوت جسدياً» (كولوسى ٢ :٩) .

يسوع المسيح ينَسب إلى ذاته أنه الفاحِصُ القُلوبِ والكُلَى

ليس غير واحد هو الذى يمكن أن يوصف بأنه فاحص القلوب والكلى، وهذا الواحد هو الله الأحد، ولا أحد غيره. فعلم الإنسان بنفسه ومعرفته بما يدور فى أعماقه من بواعث ودوافع وأفكار ونيات ومقاصد وأغراض، محدود وقاصر. وهو يحاول أن يفهم ذاته، ويسبر أغوار نفسه، ولكنه لا يعرف من نفسه إلا أقل القليل، حتى إن معرفة النفس للنفس تعد أنشودة ومطلباً غالياً، وفضيلة أولى تُبنى عليها جميع الفضائل، وقد اعتبرها سقراط الفيلسوف اليونانى أساساً لفلسفته عندما اكتشف هذه الحكمة منقوشة على معبد (أبولون)Apollon فى (دلفى) Delphi بهذه الصياغة «أعرف نفسك بنفسك». وفى الأمثال عند العرب «من عرف نفسه عرف ربه».

وعند الصوفية والرهبان، تُعتبر معرفة النفس للنفس هدفاً غالياً يسعى لبلوغه والتحقق به العباد والنساك، ويكرسون له كل الحياة، ومع ذلك يُقر جبابرة الروح منهم، أن ما بلغوه من ذلك هو بعض من كل، ويبقى بينهم وبين المعرفة الكاملة للنفس بون واسع يجاهدون فى مسيرتهم لعلهم يبلغونه كله أو بعضه.

وإذن ، فالله، والله وحده، هو القادر على المعرفة الشاملة الكاملة الفاحصة لأعماق الإنسان. وفى هذا يقول النبى داود فى المزمور:

«يارب قد فحصتنى فعرفتنى. أنت عرفت جلوسى وقيامى. فهمت فكرى من بعيد. مسلكى ومربضى ذريت وكل طرقى عرفت. لأنه ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يارب عرفتها كلها. من خلف ومن قدام حاصرتنى، وجعلت على يدك. علم عجيب فوق طاقتى. أرفع من أن أدركه... أنت الذى جبل كليتى، ونسجتنى فى جوف أمى. أعترف لك لأنك أعجزت فأدهشت. عجيبة هى أعمالك، ونفسى تعرف ذلك يقيناً. لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ورقمت فى أسافل الأرض. رأتنى عيناك جنيناً وفى سفرك كتبت جميع الأكوان، وصورت أيامها قبل أن يكون منها شىء... اللهم افحصنى واعرف قلبى... امتحنى واعرف أفكارى» (مزمور ١٣٨ :١-٢٤) .

ويقول النبى داود أيضاً فى مزاميره «إنك فاحص القلوب والكُلى، أيها الإله العادل» (مزمور ٧:٩).

وجاء فى صلاة الحكيم سليمان «لأنك أنت وحدك تعرف قلوب جميع بنى البشر» (١ . الملوك ٨:٣٩).

وجاء فى وصية النبى داود لابنه سليمان قوله: «الرب يفحص جميع القلوب ويفهم جميع خواطر الأفكار» (١ . أخبار الأيام ٢٨:٩).

وجاء فى سفر نبوءة إرميا النبى «فيارب الجنود الحاكم بالعدل، الفاحص الكُلى والقلوب» (إرميا ١١:٢٠) «فيارب الجنود فاحص الصديق، ناظر الكُلى والقلوب» (إرميا ٢٠:١٢).

وقوله بفم الرب «أنا الرب أفحص القلوب وأمتحن الكُلى، فأجزى الإنسان بحسب طرقه وثمر أعماله» (إرميا ١٧:١٠).

ويقول السيد المسيح له المجد «ولكن الله يعرف قلوبكم» (لوقا ١٦:١٥).

وجاء فى سفر أعمال الرسل: «أيها الرب العارف قلوب الجميع» (أعمال ١:٢٤)، وقوله «الله العارف بالقلوب» (أعمال ١٥:٨).

وجاء فى رسالة القديس بولس إلى أهل رومية «والذى يفحص القلوب (الله) يعلم ما هو اهتمام الروح» (رومية ٨:٢٧).

انظر أيضاً (١ . صموئيل ٢:٣)، (١٦:٧)، (مزمور ٢٥:٢)، (الأمثال ٢١:٢).

فهل من شك، بعد هذا كله، فى أن الله، والله وحده، هو فاحص القلوب والكُلى، العليم بما فى ذات الصدور؟.

إن من يزعم لنفسه أنه فاحص القلوب والكُلى لابد أن يكون مجدفاً على الله وكافراً، لأنه ينسب إلى نفسه ما لا يوصف به إلا الله وحده.

ومع ذلك فإن السيد المسيح له المجد ينسب لذاته صراحة أنه هو الفاحص القلوب والكُلى.

من ذلك قوله:

«وأكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا. **هذا ما يقوله ابن الله الذى عيناه كلهيب**

نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص. إنى عالم بأعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك، وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى. ولكن عندى عليك شيئاً أنك تدع المرأة إيزابل الزاعمة أنها نبية تعلم وتغوى عبادى حتى يزنوا ويأكلوا من ذبائح الأوثان، وقد أمهلتها مدة لتتوب من زناها... فهآءنذا أطرحها فى فراش والذين يزنون معها فى ضيقة عظيمة، إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم. وسأقتل أبناءها بالموت. **فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب...**» (سفر الرؤيا ٢ :١٨-٢٣).

انظر أيضاً (متى ٩ :٤)، (١٢ :٢٥)، (لوقا ٦ :٨)، (يوحنا ٢ :٢٥)، (٦ :٦١، ٦٤)، (١٣ :١، ٣، ١١)، (١٦ :٣٠)، (١٨ :٤).

وواضح فى هذا النص المقدس، أن المتكلم إلى القديس يوحنا فى الرؤيا هو السيد المسيح ذاته، **ابن الله**، وأنه وهو ابن الله، لكنه المتأنس (الذى عيناه كلهيب نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص)، ويتحدث إلى يوحنا معلناً معرفته الكاملة بأعمال ملاك كنيسة ثياتيرا وأسقفها، ومحبته وخدمته وإيمانه وصبره، كما يعلم ضعفه وتقصيره بالنسبة إلى إيزابل ثم ينذره بما سيقضى به على إيزابل وأصحابها إذا لم يتوبوا عن أعمالهم ويتوعدهم بالموت، ويختم حديثه عنها بقوله **«فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب»**.

أفهل كان يمكن للمسيح، لو كان بشراً كأحد الأنبياء أو الرسل، أن ينسب إلى ذاته أنه هو الفاحص القلوب والكُلى، الأمر الذى لا يتصف به غير الله وحده؟.

لو كان المسيح مجرد إنسان، لكان قوله إنه هو الفاحص القلوب والكُلى، تجديفاً سافراً على الله، لأنه يزعم لنفسه صفة يتفرد الله وحده بها.

فليس إذن من أن نقبل قول المسيح أنه الفاحص القلوب والكُلى، بينة على أنه هو **والله واحد، هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً، هو الله الكلمة، هو الله المتأنس، هو ابن الله لأنه صورة الله الغير المنظور (كولوسى ١ :١٥).**

- ٧ -

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه الديان للأحياء والأموات

المعروف والمقرر أن الله هو وحده الديان للأحياء والموتى، وأنه عين يوماً (أعمال الرسل ١٧ :٣١)، (١ . كورنثوس ٣ :١٣)، (٢ . تيموثيئوس ٤ :٨) يدين فيه سرائر الناس وأعمالهم ويجازى كل واحد على حسب أعماله.

قال إبراهيم الخليل «أديان كل الأرض لا يدين بالعدل» (التكوين ١٨ :٢٥).

وقال النبى داود «لأن الله هو الديان» (مزمور ٤٩ :٦) «إن الرب يدين الشعوب» (مزمور ٧ :٨) «إن فى الأرض إلهاً دياناً» (مزمور ٥٧ :١١).

«الله هو الديان» (مزمور ٧٤ :٧) «ارتفع يا ديان الأرض» (مزمور ٩٣ :٢).

وقال الحكيم الجامعة «إن الصديق والمنافق كليهما يدينهما الله» (الجامعة ٣ :١٧).

وقال الرسول القديس بولس:

«يدين الله العالم» (رومية ٣ :٦).

«كل واحد منا سيؤدى حساباً لله عن نفسه» (رومية ١٤ :١٢).

«الله ديان الجميع» (العبرانيين ١٢ :٢٣).

«وأما العاهرون والزناة، فسيدينهم الله» (العبرانيين ١٣ :٤).

انظر (التكوين ٦ :٣)، (١٥ :١٤) (التثنية ٣٢ :٣٦)، (١ . صموئيل ٢ :٢٥)، (٢٤ :١٥)، (١ . أخبار الأيام ١٦ :٣٣)، (أيوب ٩ :١٥)، (مزمور ٩ :٨)، (٦١ :١٢)، (٦٦ :٤)، (٨١ :٨)، (٩٥ :١٠، ١٣)، (٩٧ :٩)، (١٠٩ :٦)، (١٣٤ :١٤)، (الجامعة ١١ :٩)، (١٢ :١٤)، (إشعياء ٣ :١٣)، (يوئيل ٣ :١٢)، (أعمال الرسل ٧ :٧)، (رومية ٢ :٥، ٦)، (١ . كورنثوس ٥ :١٣)، (العبرانيين ١٠ :٣٠)، (يعقوب ٥ :٩)، (١ . بطرس ٤ :٥)، (الرؤيا ١٨ :٨، ٢٠)، (١٩ :٢)، (٢٠ :١٢).

على أن الرب يسوع المسيح قد أوضح مراراً فى مواضع متفرقة، وفى مجالات مختلفة، أنه هو بعينه الديان، وأنه سيأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات، وأنه هو الذى سيحاسب الجميع أخياراً وأشراراً، وأنه سيجازى كل واحد

على حسب أعماله، وسيعطى الأبرار أكاليل المجد وينعم عليهم بالدخول فى الملكوت الأبدى وسيحكم على الأشرار بالبحيرة المتقدة بالنار والكبريت المعدة لإبليس وملائكته.

قال المسيح له المجد:

«فكما أن الزؤان يجمع أولاً ثم يحرق فى النار، هكذا يكون فى نهاية هذا الدهر. **يُرسل ابن الإنسان ملائكته، فيجمعون من مملكته كل من كانوا عثرة وكل فاعلى الإثم، ويطرحونهم فى أتون النار.** هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان. حينئذ يضىء الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم» (متى ١٣: ٤٠-٤٣).

«لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته **وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله** (متى ١٦: ٢٧).

«ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، **يجلس عندئذ على عرش مجده، وتجتمع أمامه كل الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء. ثم يُقيم الخراف عن يمينه، وأما الجداء فعن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا أيها المباركون من أبى، لترثوا الملكوت المعد لكم منذ إنشاء العالم** لأنى كنت جائعاً فأطعمتمونى... فيجيبه الأبرار عندئذ قائلين: يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك» ... فيجيب الملك ويقول لهم: «الحق أقول لكم مادمتم قد فعلتم ذلك بأى من أصغر إخوتى هؤلاء فبى فعلتم».

«ثم يقول أيضاً للأشرار الذين عن يساره: **اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته.** لأنى كنت جائعاً فلم تطعمونى...»

«عندئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين: يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً... ولم نخدمك. فيجيبهم حينئذ قائلاً: الحق أقول لكم مادمتم لم تفعلوا ذلك بأى من أصغر هؤلاء فبى لم تفعلوا. **فيمضى هؤلاء إلى العذاب الأبدى. وأما الأبرار فإلى الحياة الأبدية».** (متى ٢٥: ٣١-٤٦).

«وحينئذ سيرون ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد. **ثم يرسل ملائكته فيجمع مختاريه من الرياح الأربع من أقاصى الأرض إلى أقاصى السماء»** (مرقس ١٣: ٢٦، ٢٧)، (لوقا ٢١: ٢٧)، (مرقس ١٤: ٦٢).

«فإن من خزى منى ومن كلامى ، سيخزى منه ابن الإنسان، متى جاء فى مجده ، ومجد أبيه وملائكته القديسين» (لوقا ٩ :٢٦) .

«فاسهروا إذن، مواظبين على الصلاة فى كل حين، كى تصيروا أهلاً للنجاة من كل هذا المزمع أن يكون، ولأن تقفوا بين يدى ابن الإنسان» (لوقا ٢١ :٣٦) .

«كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم: «يارب يارب، ألم نكن نتنبأ باسمك، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا معجزات كثيرة. فعند ذاك **أعلن لهم: إنى ما عرفتكم قط. اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم»** (متى ٧:٢٢، ٢٣) .

«فإن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلم القضاء كله للابن» (يوحنا ٥:٢٢) .

«وقد أعطاه السلطان لأن يدين، لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥:٢٧-٢٩) .

وجاء فى سفر الرؤيا قول المسيح له المجد: «واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا. **هذا ما يقوله ابن الله الذى عيناه كلهيب نار ورجلاه كأنهما من نحاس خالص.** إنى عالم بأعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك، وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى. ولكن عندى عليك شيئاً إنك تدع المرأة إيزابل الزاعمة أنها نبية تُعلّم وتغوى عبادى حتى يزنوا ويأكلوا من ذبائح الأوثان. وقد أمهلتها مدة لتتوب من زناها... **فهآءنذا أطرحها فى فراش والذين يزنون معها فى ضيقة عظيمة، إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم وسأقتل أبناءها بالموت،** فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكُلى والقلوب. **وسأعطى كل واحد منكم على حسب أعماله** (سفر الرؤيا ٢ :١٨-٢٣) .

وقال المسيح له المجد أيضاً فى ختام رؤيا القديس يوحنا اللاهوتى:

«هاءنذا أنا آت سريعاً، وأجرتى معى لأجازى كل واحد على حسب أعماله. أنا الألف والياء، والبداءة والنهاية، الأول والآخر... أنا يسوع أرسلت ملاكى لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس. أنا أصل داود وذريته، وكوكب الصبح المنير» (الرؤيا ٢٢ :١٢- ١٦) .

انظر أيضاً (متى ١٩ :٢٨)، (يوحنا ٥ :٣٠)، (٨:١٦)، (أعمال الرسل ١٠ :٤٢)، (الرؤيا ٢٠ :١١، ١٢).

فإذا كان ذلك كذلك، وكان يسوع المسيح هو وحده الديان، وليس آخر، وأن الدينونة بما فيها من ثواب وعقاب يقوم بها ابن الله يسوع المسيح وحده، وأنه لا شريك له فى هذا السلطان، وأن الله الآب ذاته سوف لا يقوم بمجازاة الناس وإنما الله الابن هو الذى سيقوم بالدينونة، فقد ترتب عليه أن يكون يسوع المسيح قد نسب إلى ذاته صفة أخرى من صفات الله.

وعلى ذلك فإن يسوع المسيح ليس إنساناً وإن كان قد أخذ شكل إنسان، وليس عبداً وإن كان قد اتخذ صورة عبد، لأنه نسب إلى ذاته صفة من صفات الألوهة التى يتفرد الله بها، فيحكم على كل بشر حكماً يتوقف عليه مصيره الأبدى، إما فى نعيم دائم أو فى شقاء مقيم.

فإذا لم يكن يسوع المسيح هو الله ذاته متجسداً، فإنه سيكون مجدفاً ومفترياً ومدعياً لأنه نسب إلى ذاته ما لا ينسب لغير الله وحده.

فنحن الآن أمام تحد واضح صارخ، وليس مفر من أحد أمرين إما أن يكون المسيح مجدفاً ومفترياً ومدعياً، وإما أن يكون صادقاً.

فإذا كان صادقاً، وعلى قول اليهود له: «يا معلم، نحن نعلم أنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تُبالى بأحد لا تُحابى وجه إنسان» (متى ٢٢ :١٦)، (مرقس ١٢ :١٤).

فليس مفر من أن نقبل الأمر الذى ليس منه بد، أن **يسوع المسيح هو ابن الله المتأنس، هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً، أو هو صورة الله الغير المنظور** «عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ ـ تيموثيئوس ٣ :١٦).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه
القدير، والقادر على كل شىء

من هذا الذى يتصف بالقدرة على كل شىء إلا الله القدير وحده، الذى يُعرف ذاته لموسى النبى قائلاً: «وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء» (الخروج ٦:٣)، (التكوين ٤٨:٣)، (٤٩:٢٥)، (إشعياء ١٣:٦)، (يوئيل ١:١٥)، (٢. كورنثوس ٦:١٨).

لكن يسوع المسيح يصف ذاته أيضاً بأنه (القادر على كل شىء).

جاء فى سفر الرؤيا:

«**اعلان يسوع المسيح**... أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية. يقول الرب الإله، الكائن، والذى كان، والذى سيأتى، **القادر على كل شىء**» (الرؤيا ١:٨)، (١٥:٣)، (١٩:٦، ١٥).

إن المتكلم هو يسوع المسيح، وهو ينسب إلى ذاته أنه الأزلى الأبدى، والسرمد، والسرمدى، إذ يقول «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية... الرب الإله، الكائن فى الحاضر، والكائن فى الماضى، والكائن إلى الأبد»، أى أنه الكائن منذ الأزل، والدائم إلى الأبد، وأنه الواحد الأحد، لم يكن قبله إله، ولا يكون بعده إله (إشعياء ٤٣:١٠)، هو الواحد الأحد وليس ثمة إله آخر سواه (إشعياء ٤٤:٨)، (٤٥:٥، ١٨, ٢٢).

وهو الإله القدير والقادر على كل شىء، يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر (أيوب ٤٢:٢).

يسوع المسيح ينسب إلى ذته
العصمة من الخطأ والخطيئة

العصمة لله وحده. فما من بشر معصوم من الخطأ والخطيئة. وحتى الأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ والخطيئة. إن الروح القدس يعصمهم فيما ينطق به على أفواههم فتكون نبوءاتهم وأقوالهم معصومة من الخطأ بفعل الروح القدس الذى يهيمن عليهم فلا يخطأون فيما يقولون، ولا يخطأون فيما يكتبون. لهذا جاءت الكتب المقدسة معصومة من كل خطأ. وقد شهد الوحى الإلهى قائلاً: «عالمين هذا أولاً أن كل نبوة فى الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنها لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل إنما تكلم أناس الله القديسون محمولين بالروح القدس» (٢. بطرس ١ :٢٠، ٢١) وقال أيضاً «فإن الكتاب كله قد أوحى به من الله» (٢. تيموثيئوس ٣:١٦).

وفيما عدا ذلك، فيما عدا الوحى إلى الأنبياء الذى عصم الأنبياء فيما قالوا وفيما كتبوا، فإن الأنبياء فى ذواتهم غير معصومين من الخطأ أو الخطيئة، فآدم وهو نبى وأول الأنبياء قد أخطأ، وعصى ربه، وورث الجنس البشرى كله حالة الخطيئة التى تعدى بها آدم على سيده وخالقه بمخالفة أمره ووصيته، ونوح أخطأ إذ سكر من الخمر وتعرى، ولوط أخطأ أيضاً، وكذلك إبراهيم كذب على فرعون ملك مصر (التكوين ١٢ :١٠-١٢) وعلى أبيمالك ملك جرار (التكوين ٢٠ :١-١٨)، وكذب إسحق على أبيمالك وأهل جرار (التكوين ٢٦ :١-١١)، وكذب يعقوب على أبيه إسحق وأخذ بركة عيسو (التكوين ٢٧ :١-٤٦) وكذب إخوة يوسف على أبيهم يعقوب، وأخطأ الأنبياء الآخرون، فموسى أخطأ فقتل المصرى، وداود أخطأ أيضاً. وهكذا أخطأ الجميع...

ولذلك قال الكتاب المقدس «ليس إنسان لا يخطأ» (١. الملوك ٨:٤٦)، (٢. أخبار الأيام ٦:٣٦).

وجاء أيضاً فى سفر أيوب «الإنسان لا يبر تجاه الله» (أيوب ٩ :٢) وقوله «ما الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرر. ها إن قديسيه لا يأتمنهم والسماوات غير زكية فى عينيه. فبالحرى مكروه وفاسد الإنسان الشارب الإثم كالماء» (أيوب ١٥ :١٤-١٦)، (٢٥ :٤، ٥)، (١٤ :٤).

وجاء فى سفر المزامير «فسدوا ورجسوا بأعمالهم وليس من يصنع الصلاح. اطلع الرب من السماء على بنى البشر لينظر هل من فاهم ملتمس لله. قد زاغوا جميعهم وتدنسوا وليس من يصنع الصلاح ولا واحد» (مزمور ١٣ :١-٣)، (٥٢ :١-٣)، (رومية ٣ :٩-١٢، ٢٣). وأيضاً قوله «إن

كنت للآثام راصداً يارب، يا سيد، فمن يقف» (مزمور ١٢٩ :٣) «ولا تدخل فى المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتبرر أمامك حى» (مزمور ١٤٢ :٢). انظر (مزمور ٥٠ :٥)، (٥٧ :٣)، (إشعياء ٤٨ :٨).

وجاء فى سفر الأمثال: «من يقول إنى زكيت قلبى، تطهرت من خطيئتى» (٢٠ :٩).

وجاء فى سفر الجامعة «ليس من صديق على الأرض يصنع صلاحاً بغير أن يخطأ» (٢٠:٧).

وجاء فى رسالة يعقوب «لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا» (٣ :٢).

وجاء فى رسالة يوحنا الأولى: «إن قلنا أن ليس فينا خطيئة فإنما نُضِلُّ أنفسنا وليس الحق فينا... وإن قلنا إننا لم نخطأ نجعله كاذباً، ولا تكون كلمته فينا» (١ :٨-١٠)، (أفسس ٢ :٣).

على أن يسوع المسيح وهو فى صورة الإنسان، هو وحده الذى لم يخطأ (٢. كورنثوس ٥ :٢١)، (العبرانيين ٤ :١٥)، (٧ :٢٦)، (١. بطرس ٢ :٢٢)، (١. يوحنا ٣ :٥)، بل قد تحدى اليهود إذا كان أحد يثبت عليه خطيئة واحدة.

قال: «من منكم يستطيع أن يُثبت على خطيئة؟» (يوحنا ٨ :٤٦).

هل يجرؤ على هذا التحدى نبى من الأنبياء؟.

هل يجرؤ على القول به آدم أو نوح أو إبراهيم أو موسى أو داود أو صموئيل؟.

هل يجرؤ على القول به إسحق أو يعقوب أو إشعياء أو إرميا أو دانيال؟.

إن جميعهم اعترفوا بخطاياهم وأقروا بأنهم خطاة وأثمة. وليس واحد منهم زعم لنفسه العصمة من كل خطأ.

إنما المسيح هو وحده المعصوم من كل خطيئة، وهو وحده الذى نسب إلى نفسه العصمة متحدياً أن يثبت عليه أحد من اليهود خطيئة واحدة.

وعندما تكلم عن موته، قال «إن رئيس هذا العالم يأتى، ولا يملك فِىَّ شيئاً» (يوحنا ١٤ :٣٠).

ورئيس هذا العالم ـ وهو إبليس (يوحنا ١٢ :٣١)، (١٦ :١١)، (٢. كورنثوس ٤ :٤)، (أفسس ٢ :٢) ـ ليس له فى المسيح يسوع شىء، ولا سلطان له عليه، ولا نصيب له فيه.

وهذا تحد آخر يقف فيه المسيح وحيداً. فما من أحد آخر يزعم أنه لا نصيب للشيطان فيه، ولا سلطان له عليه.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أن بيده سلطان الحياة والموت

من غير الله تعالى يمكن أن يقال عنه أن بيده سلطان الحياة والموت، ذلك أن الله، والله وحده، هو الخالق الذى يملك أن يهب الحياة لغير الموجود، فيوجد ويحيى، وهو بعينه القدير والقادر على كل شيء، الذى يستطيع أن يقضى بالموت والفناء والعدم على أى موجود، فيمسى عدماً وغير موجود. وليس من يمنع يده (دانيال ٤ :٣٥) أو يرده عن قضائه (إشعياء ٤٣ :١٣). إذا شاء أمر، وإذا أمر قدر (أيوب ٤٢ :٢).

يقول الله تعالى: «إننى أنا هو ولا إله معى. أنا أميت وأحيى» (التثنية ٣٢ :٣٩).

وجاء فى سفر صموئيل الأول «الرب يميت ويحيى» (٢ :٦).

وجاء فى الرسالة إلى رومية «هو الله الذى يحيى الأموات، ويدعو ما هو غير كائن كأنه كائن» (٤ :١٧).

انظر أيضاً (التكوين ٨ :٢١)، (٥٠ :٢٠)، (التثنية ٩ :٢٨)، (القضاة ١٣ :٢٣)، (٢ . الملوك ٥ :٧)، (نحميا ٩ :٦)، (مزمور ٤٠ :٢)، (٧٠ :٢٠)، (٧٩ :١٨)، (٨٤ :٦)، (١١٨ :٢٥، ٣٧، ٤٠، ٨٨، ١٠٧، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩)، (١٣٧ :٧)، (١٤٢ :١١)، (إشعياء ٥٧ :١٥)، (إرميا ٤٩ :١١)، (هوشع ٢ :٣)، (٦ :٢)، (٩ :١٦)، (رومية ٨ :١١)، (١ . تيموثيئوس ٦ :١٣).

على أن يسوع المسيح، مع ذلك نسب إلى ذاته أن له سلطان الحياة والموت بنفس الدرجة كما لله الآب. وليس من فارق فى هذا السلطان بينه وبين الله الآب، مبيناً بكل الوضوح والصراحة أن له ذات السلطان الذى لله الآب فى الحياة والموت. وكان يقول ذلك بغير تحفظ، وبدون استدراك. وهو أمر ما كان يمكن للمسيح أن يجرؤ عليه لو كان مجرد إنسان بشرى، فإنه بذلك يصير مجدفاً على الله.

يقول المسيح له المجد «لأنه كما أن الآب يُقيم الموتى ويحييهم، هكذا الابن يُحيى من يشاء» (يوحنا ٥ :٢١).

هل يقدر نبى أو رسول أن ينسب إلى ذاته سلطان الإقامة من بين الأموات، وسلطان الحياة، والإحياء من الموت، بنفس الدرجة التى لسلطان الله الآب؟ إن هذا مستحيل. ولو افترضنا جدلاً أن بشراً ما نسب إلى ذاته سلطان الله الآب فى الحياة والموت، لم يكن هذا نبياً لله، وإنما يكون

فى الحقيقة عدواً لله، ولابد أن يكون شراً من الشيطان، فإن الشيطان لا يدّعى ذلك، لأنه وجنوده يؤمنون بالله ويرتعدون (يعقوب ٢ :١٩).

بيد أن مخلصنا يسوع المسيح يعلن صراحة وبكلمات واضحة قاطعة لا لبس فيها ولا غموض «كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، هكذا الابن يحيى من يشاء». ثم إنه لا ينسب إلى ذاته القدرة على أحياء الموتى فقط، وإنما ينسب إلى ذاته أيضاً القدرة المطلقة غير المعلقة بشىء غير إرادته هو ومشيئته هو. وذلك يتبين من قوله «هكذا الابن يحيى من يشاء»، بمعنى أن قدرته كاملة، وسلطانه مطلق، وهو لا يمارس تلك القدرة وهذا السلطان بمشيئة أحد آخر غير مشيئته هو، وأنه كما يملك القدرة يملك المشيئة والإرادة، وأن مشيئته لا تخضع لمشيئة كائن آخر غيره. وهذا معناه أن الابن والآب معاً واحد (يوحنا ١٠ :٣٠)، أى أنهما قدرة واحدة، ومشيئة واحدة. وليس هناك افتراق أو إنقسام أو إختلاف بين الآب والابن فى ذلك، وأن للابن ذات الصفات والقدرات التى لله الآب.

ثم أن المسيح له المجد يقول مراراً وتكراراً إن **له سلطان الإقامة من الموت، دائماً وأبداً، حاضراً ومستقبلاً، الآن وفى اليوم الأخير.**

يقول «إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير»** (يوحنا ٦ :٤٠)، «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير»** (يوحنا ٦ :٥٤). انظر أيضاً (يوحنا ٦ :٣٩، ٤٤) وبهذا أبان بوضوح سلطانه على الإقامة من بين الأموات، وأنه بالتالى لا يقيم الموتى الآن فحسب ولكن سلطانه يمتد إلى اليوم الأخير فى القيامة العامة. وفى ذلك يقول أيضاً «**أنا هو القيامة والحياة**» (يوحنا ١١ :٢٥).

ويقول المسيح أيضاً «الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية. ولن يأتى إلى دينونة، وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة» (يوحنا ٥ :٢٤).

وهذا قول جرىء آخر لا يمكن أن يصدر من نبى أو رسول: «إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية». **إن المسيح يعد بمنح الحياة، والحياة الأبدية التى لا نهاية لها** لأنها الحياة الدائمة، ولا دوام إلا لله. والله هو وحده الأبدى، والمالك للأبد. فكيف يعد المسيح بالحياة والحياة الأبدية التى لا نهاية لها لمن يسمع كلامه ويطيعه ويعمل مؤمناً به وبالذى أرسله وهو الله الآب؟».

والإرسال هنا ليس كإرسال الله للأنبياء، حاشا! إنما **هو الإرسال من باطن لا من خارج كما ترسل الشمس أشعتها، فهى معها وفيها، ولا تنفصل عنها لأنها أيضاً منها.**

فإذا كـان له المجد يتكلم كثيراً عن إرسـاله من الآب، ويصف ذاته بأن الآب أرسله فلكى يؤكد لليهود ـ وهم أهل توحيد ـ أن المسيح لا يدعى الألوهة لنفسه منفصلاً عن الله الآب، **وهو ليس إلهاً آخر جديداً غير الذى عرفوه فى الماضى وآمنوا به، ولكنه واحد معه، وهو منه، إذ هو (نور من نور)، لأنه من طبيعة الآب ومن جوهره**، وليس دخيلاً أو مدعياً، ولم يأت من نفسه وحده بديلاً عن الله الآب، ولا جاء ليلغى أو يبطل أو ينفى وجود الله الآب، وإنما مجيئه بمعرفة الآب وتدبيره، **وهو كائن معه فى ذاته، ومتحد به ومعه فى جوهر واحد** وقد قال صراحة «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠:٣٠).

ثم يضيف قائلاً «ولن يأتى إلى دينونة وإنما ينتقل من الموت إلى الحياة». وإذن فهو يمنح لمن يسمع ويطيعه ويؤمن به وبالله الآب، العفو والغفران من الدينونة الأبدية والعقوبة اللانهائية، ويعده بالحياة الأبدية، والإنتقال من الموت الأبدى إلى الحياة الأبدية. **وكل هذا يؤكد سلطانه المطلق غير المقيد بمنح الحياة لمن يطيعه ويؤمن به. وهو أمر لا يجرؤ على التصريح به، وبإمكانية منحه، غير مانح الحياة وهو الله وحده بغير منازع، لأنه وحده المتفرد بالسلطان على الحياة، ليمنحها لمن يشاء، حسبما يرى ويريد.**

ويؤكد المسيح له المجد مراراً على هذه الحقيقة، ويصر عليها وهى **أنه مالك الحياة الأبدية، وأنه قادر أن يمنحها لمن يستحقها من المؤمنين به والعاملين بوصاياه، وأن يمنح الطعام الذى به تحيا النفوس الحياة الأبدية، إذ هو شجرة الحياة الحقيقية.**

يقول «اعملوا لا من أجل الطعام الفانى، وإنما من أجل الطعام **الباقى للحياة الأبدية، الذى يعطيكم ابن الإنسان**» (يوحنا ٦:٢٧). فالمسيح إذن هو المانح للطعام الباقى للحياة الأبدية. ولما كان فاقد الشيء لا يعطيه، فمانحه هو المالك له. **فمن يهب الطعام الباقى للحياة الأبدية هو مالك الأبد والأبدية، وهو الله وحده.**

ثم يضيف قائلاً: «لأن خبز الله هو الذى ينزل من السماء، ويهب الحياة للعالم» فقالوا له «يارب: أعطنا هذا الخبز فى كل حين». **قال لهم يسوع: «أنا هو خبز الحياة.** من يقبل إلى فلن يجوع. ومن يؤمن بى، فلن يعطش أبداً... أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية... الحق الحق أقول لكم إن من يؤمن بى فله الحياة الأبدية. **أنا هو خبز الحياة...** أما هذا فهو الخبز النازل من السماء، ليأكل منه الإنسان فلا يموت. **أنا هو الخبز الحى الذى نزل**

من السماء. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم». فأخذ اليهود يجادلون بعضهم بعضاً قائلين: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله؟» فقال لهم يسوع: «الحق الحق أقول لكم: ما لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فلن تكون لكم حياة فى أنفسكم. من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية... وأنا كذلك أحيا بالآب، هكذا فإن الذى يأكلنى يحيا بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء... **من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد**» . (يوحنا ٦: ٣٣-٥٨).

وقال مرة أخرى «فمن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (يوحنا ٣: ٣٦، ١٦).

وقال أيضاً «**أنا هو القيامة والحياة**. من آمن بى وإن مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا ١١: ٢٥، ٢٦).

وقال «إن خرافى أنا تسمع صوتى... **وأنا أيضاً أعطيها الحياة الأبدية**، فلا تهلك إلى الأبد، ولا يقدر أحد أن يختطفها من يدى» (يوحنا ١٠: ٢٧، ٢٨).

وقال كذلك: «الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يرى الموت أبداً» (يوحنا ٨: ٥١).

والموت فى هذه النصوص هو الموت الأبدى، والهلاك فى جهنم النار الأبدية. فمن آمن بالمسيح، فلن يموت الموت الأبدى، وإنما تكون له الحياة الأبدية.

* * *

من كل ذلك يتبين ما للمسيح من سلطان على الحياة، وأنه **القادر على أن يمنح الحياة، والحياة الأبدية الدائمة إلى الأبد. وهذا لن يكون إلا لمن هو أبدى، ويملك الأبد والأبدية، وهو الله وحده، ولا غير سواه.**

هذا إلى أنه نسب إلى ذاته أنه هو الحياة ذاتها بقوله (**أنا هو القيامة والحياة**) وأنه الخبز الحقيقى النازل من السماء الذى يهب الحياة والحياة الأبدية للعالم، وأن من يأكله يحيا به، **فهو «المائدة الروحانية» التى منها الحياة وبها وفيها الحياة. ومن يأكل منها يحيا به... ويحيا إلى الأبد... ومن لا يأكل فلن تكون له الحياة الأبدية.**

وجميعها كلمات قاطعة صريحة فى أن **المسيح له سلطان الحياة، لأنه هو الحياة** (يوحنا ١١: ٢٥) **ومانح الحياة، وباعث الحياة، لأن فيه الحياة»** (يوحنا ١: ٤)، **وهو رئيس الحياة، ومبدىء الحياة، وأصل الحياة** (أعمال الرسل ٣: ١٥).

ويقول المسيح أيضاً «الحق الحق أقول لكم إن ثمة ساعة تأتى، وقد أتت الآن، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله، والذين يسمعون يحيون» (يوحنا ٥ : ٢٥).

وإذن فلصوت المسيح ابن الله قوة تحيى من يسمعه ويطيعه ويعمل بأوامره. وهذا يؤكد على **أن المسيح من ذاته وبذاته ومن غير أحد آخر، له القدرة على أن يُحيى من يشاء**، وهؤلاء هم الذين يسمعون كلامه ويحفظونه ويعملون به.

ثم يقول كذلك «لا تعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥ : ٢٨، ٢٩).

إذن المسيح هو وحده الديان، وصوته القوى القدير هو الذى سيوقظ الموتى ويحييهم، ويقدر على أن يقيمهم من الموت. ثم إنه هو الذى يدينهم، ويوزع عليهم الثواب والعقاب على حسب أعمالهم. وليس من يرد قضاءه وحكمه. فإن الله الآب سوف لا يدين أحداً وإنما سلم سلطان الدينونة والقضاء كله للابن (يوحنا ٥ : ٢٢)، (أعمال ١٠ : ٤١) من حيث أنه هو الذى قام بالخلاص والفداء (يوحنا ٥ : ٢٧)، فمن العدل أن يقوم أيضاً بالقضاء والحكم والجزاء الأخروى (٢. تيموثيئوس ٤ : ١)، (١. بطرس ٤ : ٥). وكل هذه سلطات ينسبها المسيح له المجد لذاته، ويقول أنه تفرد بها، وهى من اختصاصه وحده. وحتى لا يظن أحد أن هناك عدم مساواة بين صفات وقدرات أقنومى الآب والابن، لذلك حرص على أن يوضح أن سلطان الحياة هو للآب كما هو للابن (يوحنا ٥ : ٢٦) ولكن بما أن كل ما هو للآب هو للابن أيضاً (يوحنا ١٦ : ١٥)، وما للابن هو للآب (يوحنا ١٧ : ١٠) لأن الابن كائن فى الآب، والآب كائن فى الابن (يوحنا ١٤ : ١٠، ١١، ٢٠)، (١٧ : ٢١) والآب كائن فى الابن (يوحنا ١٤ : ١٠)، لذلك قال «فإن الآب لا يدين أحداً، **وإنما سلم القضاء كله للابن**، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب. ومن لا يمجد الابن لا يمجد الآب الذى أرسله... لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته، هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته، وقد أعطاه السلطان لأن يدين لأنه ابن الإنسان» (يوحنا ٥ : ٢٢، ٢٦، ٢٧).

وليس معنى قوله «الآب... سلم القضاء كله للابن» وقوله «الآب... أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته» (يوحنا ٥ : ٢٢، ٢٦) أن الابن أقل من الآب فى المكانة أو الكرامة أو السلطان، ولكنه بهذا يؤكد على التعاون والتضامن بين أقنومى الآب، والابن، فالابن مختص بالدينونة

وذلك برضى الله الآب وتدبيره، حتى لا يظن أحداً أن بينهما إنقساماً أو أن الابن اغتصب ما هو للآب. لذلك فإن قوله «أعطى» هو تعبير عن رضى الآب بما للابن من سلطان فى الدينونة والحكم والقضاء.

ومما تجب ملاحظته باهتمام، قول المسيح له المجد «**جميع ما للآب فهو لى**» (**يوحنا ١٦ : ١٥**) **وقوله فى مناجاته للآب «وجميع ما هو لى هو لك»** (يوحنا ١٧ : ١٠). لاحظ على الخصوص قوله «**جميع ما للآب فهو لى**» فليس للابن بعض ما للآب من صفات وقدرات وإمكانات، وإنما له «جميع ما للآب. وهذا تصريح فى غاية الأهمية، وفى قمة الحقائق اللاهوتية الخاصة بالطبيعة الإلهية ذاتها، وفى بيان كمال **المساواة بين الآب والابن فى الجوهر، وفى جميع الصفات والقدرات والكمالات الإلهية**. لهذا قال الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول عن المسيح ابن الله «الذى إذ هو فى صورة الله لم يحسب مساواته لله غنيمة له، لكنه تخلى عن مجده واتخذ صورة العبد وصار فى شبه البشر» (فيلبى ٢ : ٦، ٧). وهو بعينه المعنى الذى فهمه اليهود من حوار المسيح معهم. قال الإنجيل: «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضاً: الله أبى، **مساوياً نفسه بالله**» (يوحنا ٥: ١٨). وعندما قال لهم: «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ : ٣٠) «التقط اليهود عندئذ حجارة مرة أخرى ليرجموه. فأجابهم يسوع قائلاً: إن أعمالاً كثيرة حسنة قد أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجموننى؟» أجابه اليهود قائلين: «إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، لأنك وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهاً» (يوحنا ١٠ : ٣٠-٣٣)، وعندما طالب رؤساء كهنة اليهود بيلاطس البنطى بصلبه، قالوا للحاكم الرومانى «إن لنا شريعة، وإنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت، لأنه جعل نفسه ابن الله» فلما سمع بيلاطس هذا الكلام إزداد خوفاً» (يوحنا ١٩ : ٧، ٨).

ومن آيات سلطان المسيح له المجد على الحياة والموت قوله للقديس يوحنا الرائى فى الرؤيا: «لا تخف أنا الأول والآخر. والحى وكنت ميتاً، وهاءنذا حى إلى أبد الأبدين، **وبيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الرؤيا ١ : ١٧، ١٨). ولا شك أن المتكلم هو المسيح له المجد، لأنه هو الحى وقد كان ميتاً، والإشارة هنا إلى أنه ذاق الموت بالجسد لإتمام الخلاص للإنسان، وإن كان بلاهوته حى لا يموت، وحى إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين. على أنه ينسب إلى ذاته أن بيده مفاتيح الموت والجحيم، أى أن له السلطان بالقضاء بالموت بمعنييه القريب والبعيد، الزمنى والأبدى.

والمفاتيح هنا ترمز إلى السلطان والقدرة على الحياة والموت، وهو السلطان الذى لا يملكه إلا الله وحده، لأنه هو الذى يميت ويُحيى (التثنية ٣٢: ٣٩)، (١. صموئيل ٢: ٦).

ويزيد المسيح على ذلك بقوله «واكتب إلى ملاك كنيسة إزمير (سميرنا): هذا ما يقوله الأول والآخر، الذى كان ميتاً، وعاد حياً: إنى أعرف أعمالك وضيقتك... لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به... كن أميناً حتى الموت، **فسأعطيك إكليل الحياة**» (الرؤيا ٢: ٨- ١٠).

والواضح أن المتكلم هو المسيح له المجد لأنه هو الذى كان ميتاً ثم عاد إلى الحياة، وذلك بقيامته من بين الأموات. وهو هنا كما فى مواضع متفرقة ينسب إلى ذاته الأزلية والأبدية بقوله (أنا الأول والآخر) وينسب إلى ذاته العلم بما هو آت، لأنه هنا يُطمئن أسقف أزمير بأنه عالم بأعماله، وعالم بالمتاعب والضيقات التى يسببها له اليهود «وتجديف القائلين إنهم يهود. وليسوا بيهود وإنما هم مجمع الشيطان. لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به. فهوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضاً منكم فى السجن لتمتحنوا. وسيصيبكم ضيق عشرة أيام». وبعد ذلك يشجعه على الصبر والثبات والصمود حتى الموت، فإذا ثبت وصمد، «**فسيعطيه إكليل الحياة**» مؤكداً بذلك سلطانه على منح الجزاء المبارك السمائى، «**إكليل الحياة**» (يعقوب ١: ١٢)، «**إكليل البر**» (٢. تيموثيلوس ٤: ٨)، «**الإكليل الذى لا يفنى**» (١. كورنثوس ٩: ٢٥)، «**إكليل المجد الذى لا يبلى**» (١. بطرس ٥: ٤)، **ولا يفسد ولا يضمحل** (١. بطرس ١: ٤).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته
أنه رب الشريعة

إن الشـريعـة هـى «شريعـة رب الجنود» (إشـعيـاء ٥ : ٢٤)، (٥١ : ٤، ٧)، (إرمـيـا ٦ : ١٩)، (٩:١٣)، (١٦ : ١١)، (٢٦:٤)، (٣١:٣٣)، (٣٢:٢٣)، (٤٤ : ١٠، ٢٣)، (حـزقـيـال ٢٢ : ٢٦)، (دانيال ٩ : ١١)، (هوشع ٨ : ١)، (زكريا ٧ : ١٢)، (ميخا ٢ : ٧).

وحقاً إن الشريعة الإلهية سميت أحياناً «شريعة موسى» (١ . الملوك ٢ : ٣)، (نحميا ٨ : ١)، (دانيال ٩ : ١١)، (ملاخى ٤ : ٤)، (لوقا ٢ : ٢٢).

لكن الشريعة فى حقيقتها هى شريعة الله تعالى، وما نسبت أحياناً إلى موسى النبى إلا من قبيل أن موسى النبى هو الذى تلقاها من الله ثم أبلغها إلى شعب بنى إسرائيل. فموسى النبى ليس هو صاحب الشريعة، لكنه النبى الوسيط الذى أوحى الله إليه بالشريعة، وأمره بأن يحملها من قبله إلى الناس. وما على الرسول إلا البلاغ.

على أن الرب يسوع المسيح نسب إلى ذاته ما لم ينسب فى الكتاب المقدس لغير الله تعالى، فقال «إن ابن الإنسان هو رب **السبت**» (متى ١٢ : ٨)، (مرقس ٢ : ٢٨)،، (لوقا ٦ : ٥).

والمعنى من أن يسوع المسيح رب السبت»، أنه واضع شريعة السبت. وإذن فيسوع المسيح كان بوجوده الأزلى سابقاً على زمن ميلاده من مريم العذراء واتخاذه منها جسداً، فإنه من المعروف والمقرر قديماً أن الله تعالى هو الذى أمر بحفظ السبت، اليوم الذى استراح فيه من عمل الخليقة الأولى. جاء فى سفر التكوين: «فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً» (التكوين ٢ : ١-٣). وجاء فى سفر الخروج منطوق الوصية الرابعة من الوصايا العشر: «اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع فيه عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذى فى داخل أبوابك. لأن الرب فى ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وكل ما فيها. وفى اليوم السابع استراح. ولذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه» (الخروج ٢٠ : ٨-١١)، (التثنية ٥ : ١٢-١٤). أنظر أيضاً (الخروج

(٢٦:١٦)، (٣١:١٣، ١٤، ١٥، ١٧)، (٣٤:٢١)، (اللاويين ١٩:٣، ٣٠)، (٢٣:٣)، (٢٦:٢)
(نحميا ٩:١٤)، (إشعياء ٥٨:١٣)، (حزقيال ٢٠:١٢)، (العبرانيين ٤:٤).

قلنا معنى أن يكون يسوع المسيح «**رب السبت**» أنه (واضع شريعة السبت). ثم إنه رب السبت بمعنى أنه «سيد السبت»، «وإله السبت» والمهيمن على السبت، ومن ثم فهو المالك أن يصنع بالسبت ما يشاء. وهو وحده الذى يستطيع أن يفسر شريعة السبت، والذى يملك أن يوضح حكمته فى تشريع يوم السبت والكيفية التى يحفظ بها السبت، وما هو نطاق المفهوم الأصيل والأساسى للسبت.

فقد علم كهنة اليهود ورؤساؤهم بأن يحفظ الإنسان السبت حفظاً يقتضيه أن يتوقف فيه عن كل أنواع العمل بما فيها عمل الخير، بل وحتى الأعمال التى تتطلبها ضرورات الحياة، فحرموا على الأعمى أن يحمل عكازه ليتوكأ عليه فى الطريق. وقد ورد **فى الإنجيل أن اليهود اعترضوا على مفلوج بركة بيت حسدا لأنه حمل فراشه بعد أن شفاه الرب يسوع وقال له**: قم احمل فراشك وامش. «فقال اليهود للذى برىء: إن اليوم سبت فلا يحل لك أن تحمل فراشك» (يوحنا ٥:١٠). قارن (نحميا ١٣:١٥، ١٧، ١٩)، (إرميا ١٧:٢١). وأكثر من هذا أنهم اعترضوا على المولود أعمى لأنه بعد أن وضع المسيح له المجد طيناً على عينيه، ذهب وغسل وجهه فى بركة سلوام كقول المسيح له، فى يوم السبت. واعترضوا على تلاميذ المسيح عندما جاءوا وكانوا يسيرون فى يوم السبت بين الحقول «فراحوا يقطفون سنابل القمح ويفركونها فى أيديهم ويأكلون وهم سائرون. فلما رأى الفريسيون ذلك قالوا له: ها هم أولاء تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت» (متى ١٢:١، ٢)، (مرقس ٢:٢٣، ٢٤)، (لوقا ٦:١، ٢).

وانتهز الرب يسوع الفرصة، باعتباره رب الشريعة وواضعها، والعالم بحكمتها، فجعل يشرح للكتبة والفريسين وعلماء الشريعة من اليهود أن الأعمال الضرورية لحياة الإنسان جائزة فى يوم السبت، ولا يعتبر القيام بها نقضاً للسبت أو مخالفة للشريعة. قال الإنجيل «فقال لهم: «أما قرأتم قط ما فعل داود حين احتاج وجاع هو والذين كانوا معه، كيف دخل بيت الله فى عهد أبياثار رئيس الكهنة، وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل له أكله ولا للذين معه، وإنما للكهنة وحدهم وأعطى كذلك للذين كانوا معه، أو ما قرأتم فى الشريعة أن الكهنة فى السبوت كانوا لا يحفظون السبت فى الهيكل ولا لوم عليهم؟ وأنا أقول لكم إن هنا من هو أعظم من الهيكل. فلو كنتم تعلمون ما معنى: إنى أريد رحمة لا ذبيحة، لما أدنتم الأبرياء. ثم قال لهم: إنما جعل السبت لأجل

الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت. فابن الإنسان إذن هو رب السبت» (مرقس ٢ : ٢٥-٢٨)، (متى ١٢ : ٣-٨)، (لوقا ٦ : ٣-٥).

وفى هذا الحوار كشف الرب يسوع، رب الشريعة وصاحبها، أن زعماء اليهود قد حجّروا الشريعة وأتلفوا حكمتها، وحولوها إلى قيد يعوق حركة الإنسان، وكاتماً لأنفاس الحياة، بينما أن الشريعة لم توضع أساساً إلا لخير الإنسان، ولتكون عوناً له على أن يحيا بها أفضل مما يكون من دونها، كما شرح لهم أنهم فى هذا الفهم السقيم للشريعة قد تجاوزوا كثيراً المفهوم المسجل عندهم فى الكتاب المقدس، مما مارسه عظماء الأنبياء ورؤساء الكهنة من رجالهم. فإن داود النبى وهو نبى عظيم أكل هو والذين معه ما لا يحل أكله لغير الكهنة وحدهم وذلك لأنه «احتاج وجاع» وقد سمح له الكاهن أخيمالك فى عهد أبياثار رئيس الكهنة بأن يأكل هو والذين معه من خبز التقدمة شريطة أن يكونوا أطهاراً محترسين من العلاقات الزواجية (١. صموئيل ٢١ : ١-٦). وبهذا الشرح دافع الرب يسوع عن تصرف تلاميذه وأبان أنه تصرف مشروع، وحكم لصالحهم بأنهم «أبرياء» أى غير مدانين. كما أنه حكم على الكتبة والفريسيين الذين لاموا التلاميذ بأنه ارتكبوا فى إدانتهم للتلاميذ قسوة يحاسبون عليها لأن الله يطلب رحمة لا ذبيحة، أى أن جوهر الشريعة هو الرحمة، لأن الله لم يضع الشريعة بقصد التحكم فى الناس وإنما وضعها لخيرهم ورحمة بهم. ثم أضاف له المجد هذا التصريح القدسى «إنما جعل السبت لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل السبت».

وقال لهم مرة أخرى: «وأنتم تختتنون الإنسان فى السبت، فإن كان الإنسان يُختن فى السبت لئلا تنقض شريعة موسى، أفتسخطون علىّ لأننى شفيت إنساناً بأكمله فى السبت؟ لا تحكموا حسب الظاهر، وإنما احكموا بالحق» (يوحنا ٧ : ٢٢-٢٤).

على أنه، بالإضافة إلى كل ذلك، كشف المسيح بكل جلاء أنه واضع الشريعة وصاحبها، وهو خير من يفسرها ويشرحها. وتفسيره للشريعة هو بيان لحكمتها وإظهار لجوهرها، وبه ينحل التعارض والتناقض بين المنطوق اللفظى للشريعة والمفهوم الواضح فى تصرفات العظماء من الأنبياء والكهنة المشهود بتقواهم وأمانتهم وسلامة تعليمهم وقداسة حياتهم. وفيما يقول المسيح هذا صرح لهم قائلاً: «وأنا أقول لكم: **إن هنا من هو أعظم من الهيكل**» والمعنى واضح: إن من يقول لكم «إنما جعل السبت لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» هو أعظم من الهيكل. **وليس أعظم من الهيكل إلا رب الهيكل**. وفى هذا بيان لحقيقته الإلهية المستورة فى

إنسانيته الظاهرة لعيونهم، وبيان بالتالى لسلطانه المطلق فى وضع الشريعة وفى تفسيرها وفى وضع الحدود بين الحلال والحرام. «فإن هذا (يسوع المسيح) قد حسب أهلاً لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت» (العبرانيين ٣ : ٣)، (٢. أخبار الأيام ٦ : ١٨)، (ملاخى ٣ : ١).

يتضح إذن من هذا الحوار بين المسيح له المجد وبين زعماء اليهود من الكهنة والفريسيين وعلماء الشريعة، **أن المسيح ينسب إلى ذاته أنه هو رب الشريعة ومن ثم فهو واضعها وهو خير من يفسرها ويشرحها، وهو المهيمن عليها، وواضع حدودها، وهو الذى يحكمها ويحكم على من يخالفها طبقاً لمفهومها الأصيل كما شرعه هو بحكمته له المجد.**

* * *

ولقد زاد زعماء اليهود ومعلموها تحجيراً لوصية السبت، بأن منعوا أن يصنع الإنسان عمل الخير فى يوم السبت.

ولذلك اعتبروا شفاء المسيح للرجل ذى اليد اليابسة فى يوم السبت نقضاً وهدماً لوصية حفظ السبت. قال الإنجيل «ودخل مجمعهم، وإذا هناك رجل ذو يد يابسة، فسألوه عساهم أن يمسكوا عليه تهمة قائلين: أيحل الإبراء فى السبوت؟... وراحوا يراقبونه ليروا هل سيشفيه فى السبت حتى يجدوا شكاية ضده. فقال للرجل ذى اليد اليابسة «قف هناك فى الوسط» ثم قال لهم «أيحل فى أيام السبت فعل الخير أم فعل الشر؟ تخليص نفس أم إهلاكها؟ إن كان لأى منكم شاة واحدة وسقطت فى حفرة فى السبت، أفلا يمسك بها ويخرجها؟ فكم هو الإنسان أفضل من الشاة؟ إذن يحل فعل الخير فى السبوت. فسكتوا، فأدار نظره فيهم غاضباً، وقد أحزنته غلظة قلوبهم. ثم قال للرجل: «أمدد يدك»، فمدها. فعادت سليمة كالأخرى. فخرج الفريسيون على الفور وتآمروا ضده مع الهيرودسيين كى يهلكوه. فعلم يسوع بذلك، وانصرف من هناك» (متى ١٢ : ٩–١٥)، (مرقس ٣ : ١–٧)، (لوقا ٦ : ٦–١١).

وبالمثل اعتبروا شفاءه للمرأة المنحنية الظهر مخالفاً للشريعة، لأنه شفاها فى يوم سبت، وعندهم أن الشفاء إذ تم فى يوم السبت، كان عملاً حراماً فيه تجاوز للشريعة. قال الإنجيل: «وكان يعلم فى أحد المجامع يوم السبت. وإذا امرأة كان قد استولى عليها روح أصابها بمرض

منذ ثمانية عشر عاماً. فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البته. فلما رآها يسوع دعاها إليه، وقال لها: أيتها المرأة إنك محلولة الوثاق من مرضك، ووضع يديه عليها. ففى الحال انتصبت قائمة ومجدت الله. فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لأن يسوع شفاها فى السبت، وقال للجمع: إن لكم ستة أيام يحل فيها العمل. ففيها تعالوا واطلبوا الشفاء، وليس فى يوم السبت. فأجابه الرب وقال: أيها المراءون، ألا يحل كل منك فى يوم السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به فيسقيه؟ وهذه ابنة إبراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة. أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت؟، فلما قال هذا خزى كل الذين كانوا يقاومونه. وأما الشعب فكان يفرح كله بجميع الأعمال التى كانت تجرى على يديه، (لوقا ١٣ : ١٠-١٧) .

كذلك نظروا إليه كهادم لوصية السبت يوم أن شفى إنساناً مريضاً بالاستسقاء فى يوم السبت. قال الإنجيل ،ودخل بيت أحد رؤساء الفريسيين فى يوم السبت لتناول الطعام وكانوا يراقبونه. فإذا أمامه رجل مصاب بداء الاستسقاء. فخاطب يسوع علماء الشريعة والفريسيين قائلاً: ،أيحل الإبراء فى يوم السبت أم لا يحل؟ فصمتوا. فأمسكه وأبرأه وصرفه. ثم قال لهم: من منكم يسقط حماره أو ثوره فى بئر فلا يسارع إلى إنتشاله فى يوم السبت؟ فلم يستطيعوا أن يجيبوه عن هذا، (لوقا ١٤ : ١-٦) .

كما اعتبروه ناقضاً للسبت لأنه شفى مفلوج بيت حسدا يوم السبت، وقال له: قم احمل فراشك، وامش. قال الإنجيل: ،ومن ثم أخذ اليهود يطاردون يسوع ويسعون إلى قتله، لأنه صنع هذا فى السبت، (يوحنا ٥ : ٨-١٨) .

وبنفس الاتهام والغضب قابلوا شفاءه للمولود أعمى لأنه تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى المولود أعمى، وكان ذلك فى يوم سبت ،فقال قوم من الفريسيين: ،إن هذا الإنسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت، (يوحنا ٩ : ١٤-١٦) .

وعلى الإجمال لقد شفى المسيح له المجد كثيرين فى يوم السبت، ودخل فى حوار مقصود مع الكتبة والفريسيين وعلماء الشريعة، ليبرهن لهم على أن أعمال الشفاء ـ وهى أعمال خير تسدى للمرضى والمعوقين ـ يحل صنعها فى السبت: لأنها هى أعمال رحمة بالناس، والله يطلب رحمة لا ذبيحة، وأثبت لهم تناقضهم وغباوتهم وقساوة قلوبهم وإتلافهم لمقاصد الشريعة، فإن الشريعة أوصت بالرفق بالحيوان ،إذا لقيت ثور عدوك أو حماره شارداً فأردده إليه. إذا رأيت حمار

مبغضك ساقطاً تحت حمله وعدلت عن حله، فلابد أن تحل معه» (الخروج ٢٣ : ٤، ٥).

«وإذا رأيت حمار أخيك أو ثوره واقعاً فى الطريق فلا تتغاض عنه بل أنهضه معه» (التثنية ٢٢ : ٤) وهو بذلك يذكرهم بما أمرت به الشريعة بالنسبة إلى الحيوان، فكم يكون أولى بهم أن لا يمنعوا الخير عن الإنسان وهو أفضل وأهم وأعظم شأناً من الحيوان عند الله والناس «إن كان لأى منكم شاة واحدة وسقطت فى حفرة فى السبت، أفلا يمسك بها ويخرجها؟ فكم هو الإنسان أفضل من الشاة...» «ألا يحل كل منكم فى يوم السبت ثوره أو حماره من المذود ويمضى به فيسقه. وهذه إبنة إبراهيم وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة. أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت؟...» «من منكم يسقط حماره أو ثوره فى بئر فلايسارع إلى انتشاله فى يوم السبت؟». (متى ١٢ : ١١، ١٢)، (لوقا ١٣ : ١٥، ١٦)، (لوقا ١٤ : ٥).

ومن كل ذلك يتبين أن المسيح له المجد كان قد صحح المفهوم الحرفى المتزمت الذى كان زعماء اليهود يتمسكون به، ورد الشريعة إلى مفهومها الأصيل على أنها وضعت لأجل خير الإنسان ورحمة به، مبيناً بذلك أنه رب **الشريعة** وصاحبها وواضعها، وأنه لذلك لا يتناقض مع ذاته، فإذا كانت وضعت رحمة بالإنسان، ففعل الرحمة ينبغى أن يعمل فى يوم السبت ولا يتخلف الإنسان عنه. وإذا كانت جُعلت لخير الإنسان، فأعمال الخير جائزة بل واجبة فى السبت.

* * *

هذا ومنطق المسيح له المجد فى الموعظة على الجبل يكشف كذلك عن حقيقته باعتباره **رب الشريعة** : فهو يقول:

«قد سمعتم أنه قيل للأولين لا تقتل، ومن قتل يستوجب حُكم القضاء. **أما أنا فأقول لكم** إن كل من غضب على أخيه من غير سبب يستوجب حُكم القضاء. ومن قال لأخيه رقا، يستوجب حُكم المجلس. أما من قال يا أحمق فيستوجب نارجهنم... سمعتم أنه قيل للأولين لا تزن. **أما أنا فأقول لكم** إن كل من نظر إلى امرأة فاشتهاها فقد زنى بها فعلاً فى قلبه... قيل من طلق زوجته فليعطيها وثيقة طلاق. **أما أنا فأقول لكم** إن من طلق زوجته إلا لعلة الزنى فقد جعلها تزنى ومن تزوج بمطلقة فقد زنى».

«سمعتم كذلك أنه قيل للأولين لا تحنث بل أوف للرب بأقسامك. **أما أنا فأقول لكم** لا تحلفوا البتة، لا بالسماء فإنها عرش الله، ولا بالأرض فإنها موطىء قدميه، ولا بأورشليم فإنها

مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة فيه بيضاء أو سوداء. ولكن ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. أما ما زاد على ذلك فهو من الشرير».

«سمعتم أنه قيل عين بعين والسن بالسن. **أما أنا فأقول لكم** لا تقاوموا الإنسان الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر. ومن أراد أن ينازعك ويأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً...

«سمعتم أنه قيل أحب قريبك وأبغض عدوك. **أما أنا فأقول لكم**: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم...» (متى ٥: ٢١-٤٨)، (لوقا ٦: ٢٠-٤٩).

فى الموعظة على الجبل كما يتضح من النصوص الواردة فى الإنجيل يبدو واضحاً سلطان المسيح له المجد فى التشريع **«سمعتم أنه قيل للأولين... أما أنا فأقول لكم»** وهو يعقد مقارنة بين المفهومات اليهودية القديمة للوصايا العشر، وبين المفهوم العميق والتخريج الجديد الذى يعلم به المسيح فى العهد الجديد، بصورة لا يجرؤ على التصريح بها نبى أو بشر ما، وإلا كان مجدفاً، ومتمرداً وعاقاً على الشريعة القديمة: **«أما أنا فأقول لكم»**.

وعن سلطان المسيح فى التعليم والتشريع قال الإنجيل فى نهاية الموعظة على الجبل «فلما أتم يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلمهم بوصفه صاحب سلطان وليس كالكتبة» (متى ٧: ٢٨، ٢٩)، (مرقس ١: ٢٢)، (لوقا ٤: ٣٢). انظر أيضاً (متى ١٣: ٥٤)، (مرقس ٦: ٢).

ويذكر الإنجيل فى موضع آخر أن الفريسيين ورؤساء الكهنة أرسلوا خدماً ليقبضوا عليه... وبعد أن أصغى الخدم المرسلون من قبل الفريسيين ورؤساء الكهنة إلى تعليمه بهتوا بسلطان تعليمه ثم رجعوا إلى من أرسلوهم بانطباع عظيم. يقول الإنجيل: «ثم جاء الجند إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم: «لماذا لم تأتوا به؟» فأجاب الجند: **«ما تكلم إنسان قط بمثل ما يتكلم به هذا الإنسان»**. فقال الفريسيون لهم: ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم» (يوحنا ٧: ٣٢، ٤٥-٤٧).

- ١٢ -

المسيح ينسب إلى ذاته
الثبات وعدم التغير

الإنسان متغير، «وجميع الأشياء والموجودات فى تغير متصل» كما يقول الفيلسوف اليونانى هيراقليطس. لكن الله هو وحده غير المتغير.

إن التغير من صفات النقص والضعف وهى من صفات المخلوق، ولا يمكن أن تكون من صفات الخالق، لأن الله وحده هو الكامل غير الناقص. وهو الكامل منذ الأزل وإلى الأبد، فلا يتغير، ولم ولن يتغير. فالتغير إما أن يكون إلى أفضل أو إلى أقل. وليس الله ناقصاً فيقبل التكميل، ولا هو ضعيف فيقبل عدم الثبات فى الكمال. إن الثبات على الكمال صفة للكمال الإلهى، كما أنها تفسير لأزلية الله وأبديته، ومن دون الثبات فلا أبدية وبالتالى فلا أزلية.

يقول النبى فى المزامير «أيها الرب، أنت أسست الأرض، منذ البدء، والسماوات من صنع يديك. هى تزول وأنت باق، وكلها كالثوب تبلى. وكالرداء تطويها فتتغير. وأنت أنت هو، وسنوك لن تنتهى» (مزمور ١٠١: ٢٥-٢٧)، (العبرانيين ١: ١٠-١٢). ويقول الرب الإله على فم النبى ملاخى: «إنى أنا الرب لا أتغير» (٣: ٦). وجاء على فم يعقوب الرسول قول الوحى الإلهى «كل عطية صالحة، وكل موهبة كاملة، هى من فوق نازلة، من عند أبى الأنوار، الذى ليس عنده تغيير، ولا ظل دوران (يعقوب ١: ١٧).

نعم، إن الله ثابت لا يتغير. وكلامه أيضاً ثابت لا يزول ولا يتغير ولا يسقط أبداً.

جاء فى سفر العدد قوله «ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم. هل يقول ولا يفعل، أو يتكلم ولا يفى» (٢٣: ١٩).

وجاء فى سفر صموئيل الأول قوله: «فصيح إسرائيل لا يكذب ولا يندم، لأنه ليس إنساناً فيندم» (١٥: ٢٩). وفى المزامير قوله تعالى: «لا أنقض عهدى، ولا أغير ما خرج من شفتى» (٨٨: ٣٤). وفى سفر نبوءة حزقيال: «أنا الرب تكلمت... ولا أندم» (٢٤: ١٤). وفى رسالة القديس بطرس الأولى قوله «وأما كلمة الرب فتثبت إلى الأبد» (١: ٢٥).

انظر أيضاً (إشعياء ٤٠: ٨)، (رومية ١١: ٢٩)، (٢. تيموثيئوس ٢: ١٣)، (تيطس ١: ٢).

مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة فيه بيضاء أو سوداء. ولكن ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. أما ما زاد على ذلك فهو من الشرير».

«سمعتم أنه قيل عين بعين والسن بالسن. **أما أنا فأقول لكم** لا تقاوموا الإنسان الشرير، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر. ومن أراد أن ينازعك ويأخذ ثوبك فاترك له رداءك أيضاً...

«سمعتم أنه قيل أحب قريبك وأبغض عدوك. **أما أنا فأقول لكم**: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم...» (متى ٥: ٢١–٤٨)، (لوقا ٦: ٢٠–٤٩).

فى الموعظة على الجبل كما يتضح من النصوص الواردة فى الإنجيل يبدو واضحاً سلطان المسيح له المجد فى التشريع «**سمعتم أنه قيل للأولين... أما أنا فأقول لكم**» وهو يعقد مقارنة بين المفهومات اليهودية القديمة للوصايا العشر، وبين المفهوم العميق والتخريج الجديد الذى يعلم به المسيح فى العهد الجديد، بصورة لا يجرؤ على التصريح بها نبى أو بشر ما، وإلا كان مجدفاً، ومتمرداً وعاقاً على الشريعة القديمة: «**أما أنا فأقول لكم**».

وعن سلطان المسيح فى التعليم والتشريع قال الإنجيل فى نهاية الموعظة على الجبل «فلما أتم يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلمهم بوصفه صاحب سلطان وليس كالكتبة» (متى ٧: ٢٨، ٢٩)، (مرقس ١: ٢٢)، (لوقا ٤: ٣٢). انظر أيضاً (متى ١٣: ٥٤)، (مرقس ٦: ٢).

ويذكر الإنجيل فى موضع آخر أن الفريسين ورؤساء الكهنة أرسلوا خدماً ليقبضوا عليه... وبعد أن أصغى الخدم المرسلون من قبل الفريسيين ورؤساء الكهنة إلى تعليمه بهتوا بسلطان تعليمه ثم رجعوا إلى من أرسلوهم بانطباع عظيم. يقول الإنجيل: «ثم جاء الجند إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم: «لماذا لم تأتوا به؟» فأجاب الجند: «**ما تكلم إنسان قط بمثل ما يتكلم به هذا الإنسان**». فقال الفريسيون لهم: ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم» (يوحنا ٧: ٣٢، ٤٥–٤٧).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه نزل من السماء

قديماً اشتهى أحد الأنبياء أن ينزل الرب بذاته من السماء فقال متمنياً على الله: «ليتك تَشُقُّ السماوات (وتنزل)»! (إشعياء ٦٤: ١).

وصلى نبى آخر قائلاً: «يارب طأطىء سماواتك (وانزل)... أمسس الجبال فتدخن» (مز ١٤٣: ٥).

ولعله استجابة لهذه الرغبة، وتحقيقاً لهذه الأمنية التى اشتهاها لا نبى واحد وإنما اشتهاها وتمناها آخرون غيره من شعب الله، من بنى إسرائيل ومن غيرهم من شعوب العالم القديم، ومن بينهم سقراط وأفلاطون وزرادشت زعيم المجوسية... من الفلاسفة والمصلحين الإجتماعيين...نزل الله فى المسيح.

فسقراط قال ومعه أفلاطون لا سبيل إلى معرفة الحقيقة إلا إذا ظهر رب الحقيقة بنفسه وأعلن ذاته للبشر...

وزرادشت زعيم المجوسية أعلن أنه فى ملء الزمان ينزل إلى الأرض الكلمة مقيم السماء، وله ملك السموات والأرض، وأنكم يا أولادى ستعرفون بميلاده على الأرض قبل شعوب أخرى. وتكون علامة نزوله على الأرض، ظهور نجم له فى السماء ترون فيه صورة بكر تحمل جنيناً، فمتى رأيتم نجمه اذهبوا واسجدوا له وقدموا له هداياكم، فإنه الكلمة مقيم السماء.

لذلك كان ظهور الله الكلمة على الأرض أمنية منشودة ورغبة ملحة ليتحقق بها الخير العميم للبشرية كلها.

فلم يكن عبثاً ولا افتئاتاً أن ينسب يسوع المسيح إلى ذاته أنه نزل من السماء.

أولاً: قال مرة لنيقوديموس اليهودى الفريسى، وهو من بين رؤساء اليهود وقادتهم الروحيين، وكان نيقوديموس قد ذهب إلى المسيح ليلاً يسأله عن شخصه وعن تعليمه:

«ما من أحد صعد إلى السماء **إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء**» (يوحنا ٣: ١٣).

نعم، إن السماء (معرفة بالألف واللام)، أى «السماء عينها» (العبرانيين ٩: ٢٤) حيث العرش الإلهى (الرؤيا ١: ٤)... هذه السماء، وهى «سماء السماوات» (١. الملوك ٨: ٢٧) لم يصعد إليها أحد من الناس، إلا واحد فقط، وهو بعينه الذى نزل منها، وهو ذاته المسيح ابن الإنسان، لأنه ابن مريم بحسب الجسد، وهو فيما كائن على الأرض هو كائن فى الوقت نفسه فى السماء، لأنه غير محدود ولا متناه. فهو فى السماء وعلى الأرض وفى كل الوجود، لأنه لا يحده مكان، ولا يخلو منه مكان، وهذا هو الله، فالله وحده الذى يمكنه أن يكون فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد.

١- ومثله نزوله على الأرض فى أيام النبى موسى، وكلامه تعالى مع نبيه الكليم، وتجليه له فى لهيب نار من وسط العليقة، وكانت العليقة تتوقد بالنار وهى لا تحترق. فلما مال موسى لينظر هذا المنظر العظيم «ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى، موسى! قال: هأءنذا. قال: لا تدن إلى ههنا. اخلع نعليك من رجليك فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة. وقال: أنا إله أبيك وإله إسحق وإله يعقوب. فستر موسى وجهه إذ خاف أن ينظر إلى الله. فقال الرب: إنى قد نظرت إلى مذلة شعبى الذين بمصر وسمعت صراخهم... فنزلت لأنقذهم... وأخرجهم... إلى أرض طيبة واسعة، أرض تدر لبناً وعسلاً» (الخروج ٣: ٢-٨).

وليس (ينزل) الله كما (ينزل) الإنسان. فالإنسان إذا نزل، أخلى المكان الذى نزل منه، من وجوده، بحلوله فى المكان الجديد... أما الله فليس كذلك لأنه بوجوده يملأ كل مكان ولا يخلو من وجوده مكان. فإذا قيل أنه (نزل) فالمعنى من نزوله على الأرض هو **تجليه على الأرض بصورة منظورة للإنسان لم تكن منظورة لعينيه من قبل.** ومع ذلك فإذا نزل الله على الأرض بهذا المعنى فهو لا يخلى السماء من وجوده، بل يظل وجوده حاضراً فى السماء وفى كل الكون والوجود... **وإذن فالحق أن الله لا ينزل كما ينزل الإنسان بحلوله فى المكان، لأن الله حال بطبيعة لاهوته غير المحدود، فى كل مكان. وليس نزوله على الأرض إلا تجليه لعينى الإنسان، ولكن من دون حلول جديد...** وبلغة أخرى، أن الله **فى الحقيقة لا ينزل** (بمفهوم النزول فى لغة البشر) **لكنه يتجلى ويظهر ويتراءى للناس على الأرض... إذن فهو (ينزل) بالنسبة للإنسان، أما الله فى ذاته وجوهره وطبيعته (فلا ينزل) ولكنه يتجلى ويظهر ويتراءى...**

بهذا المعنى نفهم كلام الرب يسوع المسيح عن ذاته «ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء».

ومما له دلالته هنا هو قول المسيح عن ذاته أنه «**نزل من السماء**»، وعلى الرغم من أنه وصف ذاته بأنه (ابن الإنسان) من حيث هو (ابن مريم) حسب الجسد، لكنه أراد ان يلفت النظر إلى حقيقة وجوده السابق قبل ميلاده من مريم. ولهذا لم يهتم المسيح بإبراز ميلاده من العذراء القديسة مريم حتى يوجه كل النظر إلى أنه كان ومازال كائناً فى السماء قبل ميلاده من مريم **وليس ميلاده فى الحقيقة غير تجسده**. إن كل طفل من بنى الناس، إذا ولد فقد وجد، وميلاده هو ابتداء وجوده. أما المسيح فميلاده من مريم ليس هو ابتداء وجوده، إذ هو (كائن قبل الدهور)، وبالتالى فهو كائن قبل مريم التى ولد منها، **أى أن المسيح له وجود قبل الزمان وقبل الميلاد من مريم، فلما ولد من مريم صار وجوده ظاهراً فى شكل إنسان «وحقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد»** (١. تيموثيئوس ٣: ١٦) «**فإن الحياة تجلت فرأيناها، ونشهد ونبشركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا**» (١. يوحنا ١: ٢).

ولهذا السبب فإن القديس يوحنا الحبيب كاتب الإنجيل المنسوب إليه لم يورد شيئاً عن ميلاد المسيح من العذراء مريم، ليس فقط لأن الإنجيل حسب ما كتبه القديس متى، والإنجيل حسب ما كتبه القديس لوقا ورد فيهما ذلك بتفصيل أقل أو أكثر، ولكن لأن يوحنا الإنجيلى كتب الإنجيل المنسوب إليه فى وقت كان معروفاً عن المسيح أنه ولد من مريم بحسب الجسد، ولكن الحاجة كانت إلى توكيد **حقيقة لاهوته الذى احتجب فى ناسوته ليتمم عمل الفداء. من أجل هذا أغفل الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا اللاهوتى، ميلاد المسيح من العذراء مريم - وإن كان يشير إليه ضمناً فى تلقيبه بابن الإنسان - واهتم على الخصوص بإبراز حقيقة ألوهته وأنه فى ذاته وقبل التجسد كائن فى السماء، وأنه بتجسده قد** «نزل من السماء».

ولهذا لم يبدأ الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا بقصة بشارة الملاك للعذراء، وهى مخطوبة ليوسف، ولا بقصة الميلاد فى بيت لحم، وظهور الملاك للرعاة، ولا حتى بظهور النجم للمجوس، ولا بقصة الهرب إلى مصر ليلاً... إنه أغفل ذلك كله مهتماً على الخصوص **بالوجود الأزلى للمسيح قبل الأكوان**، وبدأ الإنجيل فى مطلعه قائلاً: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة

كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة» (يوحنا ١ : ١-٤).

وليس نزول الله بهذا المعنى غريباً، فقد سبقه نزوله في العليقة ليكلم موسى قائلاً عن بني إسرائيل «**فنزلت لأنقذهم**» (الخروج ٣ : ٨).

٢- وسبقه أيضاً نزول الله على جبل سيناء حيث أعطى الشريعة لموسى.

قال الكتاب المقدس: «قال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً. وليغسلوا ثيابهم... لأنه في اليوم الثالث (ينزل) الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء (**ونزل**) **الرب** على جبل سيناء إلى رأس الجبل. ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى» (الخروج ١٩ : ١٠، ١١، ٢٠) «وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن **الرب** (**نزل**) عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً. فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت» (الخروج ١٩ : ١٨، ١٩) «وكان المنظر رهيباً حتى إن موسى قال: أنا مرعوب ومرتعد» (العبرانيين ١٢ : ٢١). وتوكيداً لحقيقة هذا النزول قال النبي موسى لبني إسرائيل: «وجهاً إلى وجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار. وأنا كنت واقفاً بين الرب وبينكم في ذلك الوقت» (التثنية ٥ : ٤، ٥) وقال النبي موسى يخاطب الرب الإله: «إنك يارب في وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم وجهاً إلى وجه» (العدد ١٤ : ١٤) وبهذا النزول على جبل سيناء تغنى بنو إسرائيل وعلى رأسهم اللاويون بعد رجوعهم من السبي قائلين مرددين أعمال الرب مع آبائهم «... (**ونزلت**) على طور سيناء، وخاطبتهم من السماء، وأعطيتهم أحكاماً مستقيمة وشرائع صادقة ورسوماً ووصايا صالحة» (نحميا ٩ : ١٣).

٣- وسبقه نزول الله بعد الطوفان ليبلبل ألسنة بني آدم الذين بنوا برج بابل ليحموا أنفسهم من طوفان أو خطر مقبل. جاء في سفر التكوين: «وقالوا: تعالوا نبن لنا مدينة وبرجاً رأسه إلى السماء... كي لا نتبدد على وجه الأرض كلها. **فنزل الرب** لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما. وقال الرب... هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض كلها» (التكوين ١١ : ٤-٨).

٤- ومن فيض محبة الرب ليعقوب أبي الأسباط ورعايته له وعنايته به قال له يشجعه في ذهابه إلى مصر ليلتقي بابنه يوسف الصديق: «أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر... **أنا (أنزل) معك إلى مصر**» (التكوين ٤٦ : ٣، ٤).

٥ ـ وفى مواضع أخرى من الكتاب المقدس نقرأ عن الله أنه نزل.

من ذلك قوله فى سفر المزامير: «طأطأ السماوات (**ونزل**) والضباب تحت قدميه» (مزمور ١٧ : ٩).

وقوله: «هوذا الرب يخرج من مكانه، (**وينزل**) ويمشى على شوامخ الأرض. فتذوب الجبال تحته وتنشق الوديان كالشمع أمام النار» (ميخا ١ : ٣، ٤). انظر أيضاً (حبقوق ٣ : ٣، ١٣).

وقال الكتاب المقدس: «وقال الرب: إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيئتهم قد عظمت جداً. (**أنزل**) وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلى. وإلا فأعلم» (التكوين ١٨ : ٢٠، ٢١).

أفهل يُعد غريباً أن ينسب المسيح إلى ذاته أنه نزل من السماء؟ على أن نزوله من السماء ليس معناه أنه أخلى السماء من وجوده، وإنما مع وجوده فى السماء صار له بالتجسد كيان منظور على الأرض، وبهذا الكيان المنظور تجلى وظهر وتراءى للبشر: «ذاك الذى كان منذ البدء... ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، ذاك الذى لمسته أيدينا» (١ . يوحنا ١ : ١).

جاء فى سفر الأمثال قوله: «من صعد إلى السماء (**ونزل**). من قبض الريح فى راحتيه. من حصر المياه فى ثوب. من أقام جميع أقاصى الأرض. ما اسمه؟، وما اسم ابنه إن علمت؟» (الأمثال ٣٠ : ٤).

وجاء فى نبوءة باروخ: «من صعد إلى السماء فتناولها، **ونزل** بها من الغيوم من اجتاز إلى عبر البحر...؟ الذى ثبت الأرض إلى الأبد» (باروخ ٣ : ٢٩–٣٢).

هو الله بعينه الذى صعد بالجسد (مرقس ١٦ : ١٩)، (لوقا ٢٤ :٥١) وهو ذاته الذى نزل من السماء واتخذ جسداً وحل بيننا وفينا (يوحنا ١ : ١٤) «وما المعنى من قوله صعد سوى أنه **نزل** أولاً إلى أسافل الأرض. فهذا الذى **نزل** هو نفسه الذى صعد إلى ما فوق السماوات كلها ليملأ كل شىء» (أفسس ٤ : ٩).

ثانياً: ولقد ألح المسيح كثيراً فى أكثر من مجال على أنه «**نزل من السماء**» ليؤكد على **حقيقة أزليته مع الآب، ووجوده السابق فى السماء قبل التجسد من مريم.**

١ـ من ذلك قوله «أبى هو الذى يُعطيكم الخبز الحقيقى من السماء» **لأن خبز الله هو الذى (ينزل) من السماء، ويهب الحياة للعالم.** فقالوا له: «يارب أعطنا هذا الخبز فى كل

حين. قال لهم يسوع: أنا هو خبز الحياة» (يوحنا ٦: ٣٢-٣٥). وبذلك يقرر المسيح له المجد أنه هو «**الخبز الحقيقى**» ، و «**خبز الحياة**» (الذى يهب الحياة، لأنه هو «الحياة» (يوحنا ١٤: ٦) ورئيس الحياة (أعمال ٣: ١٥) «وفيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ٤)، (٥: ٢٦) ثم إنه «**نزل من السماء**» لكى يهب الحياة لمن يأخذ منه فيحيا به.

٢ـ ويقول أيضاً: «لأنى قد نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى» (يوحنا ٦: ٣٨).

٣ـ ويقول الإنجيل: «فتذمر اليهود عليه لأنه قال: «أنا هو **الخبز الذى نزل من السماء**». وقالوا: «أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه، فكيف يقول الآن: إنى نزلت من السماء»؟ (يوحنا ٦: ٤١, ٤٢). لقد ظنه بعض اليهود أنه ثمرة طبيعيه لزواج شرعى بين رجل هو يوسف النجار وامرأة هى مريم. ومن هنا كان تساؤل هذا البعض فى دهشة... «فكيف يقول الآن **إنى نزلت من السماء**»؟ لقد ظنوه ينكر ميلاده حسب الجسد من مريم، بينما كان هو له المجد يوجه نظرهم بالأحرى إلى وجوده السابق فى السماء قبل أن ينزل إلى الأرض متجسداً من مريم العذراء، مؤكداً على حقيقة ألوهيته، وأزليته مع الآب، وأنه هو لذلك المن السماوى فمن يأكله يحيا به إلى الأبد.

٤ـ ويضيف رب المجد إلى ما سبق عاقداً المقارنة بينه وبين المن الذى أكله بنو إسرائيل فى البرية مما اعتبره اليهود عطية صالحة لآبائهم، ودليلاً على محبة الله لهم وعنايته بهم، الأمر الذى يرفعهم ويميزهم عن سائر الشعوب، باعتبارهم «الشعب المختار». قال لهم: «أنا هو خبز الحياة. آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. أما هذا **فهو الخبز النازل من السماء**، ليأكل منه الإنسان فلا يموت. **أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء**. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦: ٤٨-٥١) فعلى الرغم من اعتراض اليهود ودهشتهم، من أن يقول عن نفسه إنه نزل من السماء لم يتنازل عن دعواه، ولم يتراجع عن منطوق كلماته، وإنما أصر عليها مؤكداً على أنه يقصد ما يقول،ويقول ما يقصد، ولم يكن تعبيره مجازاً، ولا كان قوله رمزاً، وإنما كان قوله صادقاً ودقيقاً وحقاً صراحاً، لا مجاز فيه ولا تورية. إذن هو خبز الحياة الحقيقى، **الذى نزل من السماء**، من يأكل منه يحيا به إلى الأبد. وتوكيداً لمعنى هذا الخبز المحيى وأنه خبز حقيقى، وليس مجرد رمز شرح حقيقة هذا الخبز بأنه جسده «والخبز الذى سأعطيه أنا هو جسدى» أى، أنه هو الخبز

الحقيقى، والخبز هو جسده على الحقيقة، وإذن فهو «شجرة الحياة الحقيقية» من يمد يده «ويأخذ ويأكل منها يحيا إلى الأبد» (التكوين ٣ : ٢٢).

٥ـ واعترض اليهود مرة أخرى وقالوا: «كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله؟» ولكن الرب يسوع عاد يكرر فى إصرار ما قاله أولاً: «**هذا هو الخبز الذى نزل من السماء**. وهو ليس كالمن الذى أكله آباؤكم ثم ماتوا. من يأكل من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يوحنا ٦ : ٥٢، ٥٨).

٦ـ وفى نفس المناسبة يقول المسيح له المجد «أهذا يجعلكم ترتابون؟ فماذا لو رأيتم ابن الإنسان صاعداً إلى **حيث كان من قبل**؟» (يوحنا ٦ : ٦٢) وهنا يقرر بالإضافة إلى كل ما سبق، أنه سيصعد إلى السماء التى كان فيها من قبل أن ينزل إلى الأرض. فإذا رأوه صاعداً إلى السماء عندئذ يصدقون أنه كان فعلاً فى السماء من قبل أن ينزل منها إلى الأرض.

انظر: (يوحنا ٧ : ٣٣)، (يوحنا ١٤ : ٢، ٣، ١٢) (١٦ : ٥، ١٠، ١٧).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه خرج من لدن الآب

وكما قال الرب يسوع عن نفسه أنه نزل من السماء، قال أيضاً أنه «خرج من لدن الآب». والخروج هنا لا بمعنى الصُدور، ولا بمعنى الإنفصال، وإنما هو الخروج الذى لا يوجد له شبيه ولا مثال فى عالم المادة الكثيفة. ولكن يمكن تقريبه إلى الذهن البشرى، **بخروج ضوء الشمس من الشمس**. فالشمس منذ كانت ووجدت، يخرج منها الضوء. ولم تمر لحظة كانت فيها الشمس ولم يكن يخرج منها ضوؤها وأشعتها. هذا الخروج لا يقتضى أسبقية فى الزمن للشمس على ضوئها. كما أنه لا يقتضى أسبقية فى الزمن للآب على الابن، ولا يقتضى تخلفاً فى الزمن للضوء عن الشمس منذ وجدت.

كذلك المسيح (أو الابن) **خرج من لدن الآب، كخروج الضوء** من الشمس. لكن هذا الخروج لا يقتضى أسبقية فى الزمن للآب على الابن، ولا يقتضى تخلفاً فى الزمن للابن عن الآب... **إذ الابن والآب والروح القدس معاً فى الجوهر الإلهى والذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد.** ولا يمكن تصور لحظة من الزمن - على ما يقول القديس أثناسيوس الرسولى - كان فيها الآب ولم يكن الابن معه، وإلا كان الآب كائناً ولم يكن عاقلاً، بينما أن الله هو العقل الأعظم منذ الأزل وإلى الأبد. **فالابن من الآب وكائن فيه ومعه دائماً، أزلياً وأبدياً.**

وإذن فبنوة الابن فى الثالوث القدوس ليست بمفهوم الولادة فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان، إذ الولادة فى عالم الإنسان والحيوان ولادة حسية مادية تقتضى الذكر والأنثى، كما تقتضى الأسبقية فى الزمن، أسبقية الوالد على المولود منه، أما الله فليس كذلك. إن بنوة الابن فى الثالوث القدوس بنوة روحية ليست مادية، وعقلية ليست جسدية، كما أنها لا تقتضى أسبقية فى الزمان، لكنها كما قلنا **كولادة النور من الشمس**، ولذلك جاء فى قانون الإيمان عن يسوع المسيح (الابن) أنه «المولود من الآب... **نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر**».

وعلى ذلك فترتيب الابن بعد الآب فى قوله له المجد: «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩) ليس ترتيباً زمانياً، وإنما هو ترتيب منطقى تقتضيه لغة البشر.

قال المسيح له المجد لليهود فى حواره معهم، وهو حديث طويل سجله الإنجيل بحسب ما كتبه القديس يوحنا، جاء فيه «قال لهم يسوع: لو كان الله أباكم لأحببتمونى **لأنى من الله خرجت** «وأتيت» (يوحنا ٨ : ٤٢).

هذا الخروج من الله معناه أن المسيح قبل أن يولد فى العالم وقبل أن يظهر فى الأرض مولوداً حسب الجسد من مريم، **كان كائناً فى السماء قبل أن يأتى إلى الأرض، وكان مع الله الآب وقد خرج منه ليأتى إلى العالم، تماماً كما تخرج أشعة الشمس من الشمس لتصل إلينا على الأرض**. وهذا يتضح من قوله: «**من الله خرجت، وأتيت**».

٢- ويكرر المسيح له المجد نفس المعنى بنفس التعبير، فيقول لتلاميذه فى ليلة آلامه: «**فإن الآب نفسه يحبكم، لأنكم أحببتمونى وآمنتم بأننى من الله الآب خرجت. خرجت من الآب، وجئت إلى العالم، ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب... فقال له تلاميذه: نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شىء، ولا تحتاج إلى أن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت**» (يوحنا ١٦ : ٢٧-٣٠).

يؤكد المسيح له المجد فى هذا الحديث الوداعى لتلاميذه على قوله «**أننى من الله الآب خرجت**» مشيراً بهذا إلى **وجوده الأزلى مع الآب فى جوهر الألوهية**، وأنه منه (نور من نور). ثم يكرر نفس العبارة مرة أخرى فى نفس المقام «**خرجت من الآب وجئت إلى العالم**». وإذن هذا الخروج ليس معناه أنه إنفصل عن الآب، وإنما هو الخروج الذى يستهدف خير البشرية. هو إذن خروج يعين إتجاهه الرأسى فى الخروج وهو بين السماء والأرض، هو خروج من أجل مجيئه إلينا على الأرض. وفى الوقت نفسه، إن هذا الخروج هو خروج يعين ويؤكد أزليته: إن المسيح مخارجه ليست من الأرض، ولا من مريم، ولكن **مخارجه من الآب** «منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥:٢)، (أمثال ٨ : ٢٢، ٢٣). ولقد قال صراحة: «الحق الحق أقول لكم: **قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن**» (يوحنا ٨ : ٥٨). وقال للقديس يوحنا اللاهوتى فى الرؤيا: «أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخر... هو كائن وكان ويأتى، القادر على كل شىء» (الرؤيا ١ : ٨)، (٢١ : ٦)، (٢٢ : ١٣) وقال يناجى الآب: «فالآن مجدنى يا أبتاه عند

ذاتك **بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم،** (يوحنا ١٧ : ٥)، وقال أيضاً يناجي الآب: «يا أبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى، **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم،** (يوحنا ١٧ : ٢٤)، وقال: **«أنا وأبى نحن معاً واحد،** (يوحنا ١٠ : ٣٠) وقال: **«من رآنى فقد رأى الآب،** (يوحنا١٤ :٩).

٣ـ ويؤكد المسيح على نفس الحقيقة الإلهية فى مناجاته مع الآب السماوى بقوله عن تلاميذه الأخصاء: «وقد علموا الآن أن كل ما أعطيتنى هو من لدنك...» «وأيقنوا **أننى منك خرجت،** (يوحنا ١٧ : ٧ ، ٨) ... أيقن تلاميذ المسيح أنه من لدن الآب خرج، على الرغم من أنهم يعلمون أنه ولد حسب الجسد من مريم. أما منابعه الأصلية، فليست من مريم... **إنها قبل مريم، وقبل إبراهيم، وقبل آدم، «وقبل كل الدهور» ... إنه أزلى مع الآب، ومن الآب خرج، خروجاً أزلياً بغير انفصال أو إفتراق.**

٤ـ وبهذا المعنى للخروج الأزلى من الآب قال المسيح له المجد لتلاميذه: «لنذهب إلى مكان آخر من المدن المجاورة كى أبشر هناك أيضاً، **لأنى لهذا خرجت،** (مرقس ١ : ٣٨).

نعم إنه **خرج من الآب،** ليأتى إلى العالم، ليكرز ويبشر ويعلم ثم يتمم عمل الفداء، وبعد ذلك يعود إلى السماء، إلى الآب، على حد قوله: **«خرجت من الآب وجئت إلى العالم، ثم أترك العالم وأنطلق إلى الآب،** (يوحنا ١٦ : ٢٨) أنظر (يوحنا ١٣ : ٣).

* * *

والملاحظ أنه إذ يقول خرجت يُضيف قوله (وأتيت) أو (وجئت) إلى العالم مما يتبين معه **أنه قبل أن يولد من مريم، كان كائناً فى السماء مع الآب والروح القدس ثم أتى أو جاء إلى العالم.**

«أنا قد جئت للعالم نوراً، (يوحنا ١٢ :٤٦).

«أنى وإن كنت أشهد لنفسى فشهاداتى حق، **لأنى أعلم من أين جئت،** (يوحنا٨ :١٤).

«لأنى من الله خرجت وأتيت، (يوحنا ٨ : ٤٢).

«خرجت من الآب وجئت إلى العالم» (يوحنا ١٦ :٢٨).

«ولأجل هذا ولدت أنا، **ولأجل هذا جئت إلى العالم كى أشهد للحق**»(يوحنا ١٨ :٣٧).

انظر أيضاً (متى ٥: ١٧)، (يوحنا ٣: ١٩)، (١٢: ٤٧)، (١٥: ٢٢)، (يوحنا ١: ١١، ١٥).

وهنا سؤال: هل يجرؤ نبى أو رسول أيا كان أن يقول عن ذاته: «من الآب خرجت وأتيت إلى العالم»؟ إنه لا يجرؤ على هذا القول إلا من كان واحداً مع الآب فى الجوهر. (يوحنا ١٠: ٣٠) من قال مراراً «**إنى أنا فى أبى وإن أبى فى**» (يوحنا ١٠: ٣٨)، (١٤: ١٠، ١١، ٢٠)، (١٧: ٢١).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه مرسل من ذات الآب

إرسال النور من الشمس

قال الرب يسوع مراراً إنه نزل من السماء، وقال تكراراً إنه «**خرج من لدن الآب ونزل إلى العالم**» وقال بهذا المعنى وبهذا المفهوم إنه «**مرسل من الآب**» وأن الآب أرسله إلى **العالم ليخلص به العالم**.

ولكن بأى معنى نفهم أن المسيح، مرسل من الآب، وأن الآب أرسله إلى العالم، ما هو المفهوم من هذه الإرسالية، وهل هى كإرسالية الأنبياء، أم أن معنى الإرسالية بالنسبة للمسيح شيء خاص يختلف عن معنى الإرسالية بالنسبة للأنبياء والرسل من بين البشر؟.

قطعاً لابد أن المعنى مختلف تماماً. ولكن ضيق اللغة الإنسانية هو الذى يضطر من يستعمل هذه اللغة أن يستخدم اللفظ الواحد بأكثر من معنى، وأحياناً تكون هذه المعانى متقاربة المفاهيم، ولكن قد يستخدم اللفظ بمعنى بعيد كثيراً عن المعانى الأخرى. وهذا ما نجده فى المصطلحات الفلسفية والمجردات اللغوية التى تختلف فيها المفاهيم اختلافاً قليلاً أو كثيراً. ومن هنا يعمد الفلاسفة إلى (**تحديد**) وعرض المشكلة الفلسفية قبل الدخول فيها. وتحديد (المقولات) والمصطلحات فى إطارها الدقيق هو منهج البدء فى عرض أى مسألة أو مشكلة علمية أو فلسفية قبل الخوض فيها، حتى لا تتشابك الكلمات فى مفاهيمها المتقاربة أو المتباعدة، وينجلى المفهوم الصريح للكلمة أو اللفظ أو المصطلح موضوع البحث أو الدراسة.

وليس هذا المنهج عند العلماء والفلاسفة بعيداً عن التعليم المسيحى فنحن نلتقى بهذه الصعوبة فى مفهوماتنا الدينية التى استخدمها كتبة الكتاب المقدس وآباء الكنيسة من بعدهم.

وعلى سبيل المثال استخدم الإنجيل على حسب ما كتبه القديس يوحنا اللاهوتى تعبير (**اللوغوس - الكلمة**) فى قوله: «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله» (يوحنا ١ : ١). ولفظ (**الكلمة**) هنا ليس هو مفهوم لفظ الكلمة كما يلفظها الإنسان. إنما (الكلمة) هنا لفظ استخدمه الإنجيل بمعنى جليل خاص يسمو عن مفهوم الكلمة بمعناها المتداول بين الناس. (**الكلمة**) فى الإنجيل هو (**الله الكلمة**) ذاته. وقد دعى الله (**الكلمة**) لأنه

تجسد، وظهر فى الجسد. ولولا التجسد لما تسمى الله (بالكلمة). وتوكيداً لهذا المعنى الخاص الذى استخدم فيه لفظ (الكلمة) بالنسبة إلى الله، لجأت بعض ترجمات الكتاب المقدس من اليونانية إلى اللغات الأخرى إلى تمييز لفظ (الكلمة) أى (الله الكلمة) بشىء تنفرد به (الكلمة) فلا يختلط بمعناها العادى المألوف: ففى الإنجيلزية والألمانية **يكتب الحرف الأول كبيراً** Word **وأما فى الفرنسية، فترجم لفظ اللوغوس إلى** verbe **فصارت العبارة «فى البدء كان الفعل» أى «الكلمة الفاعلة أو الخالقة»**، وذلك كله بينة على ضيق اللغة البشرية عن أن تعطى لفظاً مناسباً للمعنى اللاهوتى اللائق بـ (الله المتجسد).

وزيادة فى الإيضاح، استخدمت الترجمة العربية الفعل (**كان**) فى المذكر بدلاً من (كانت) على الرغم من أن (الكلمة) فى العربية مؤنثة.

ثم إن لفظ (البدء) فى قول الإنجيل «**فى البدء كان الكلمة**» ليس هو البدء فى قول سفر التكوين «فى البدء خلق الله السماوات والأرض» (التكوين ١ : ١). فالبدء فى الإنجيل هو (**الأزل**)، بينما أن البدء فى التكوين هو ابتداء عمل الخلق.

والأمثلة على ضيق اللغات البشرية كثيرة...

كذلك (**الإرسال**) فى الثالوث القدوس غير (الإرسال) فى عالم الملائكة والناس. ففى عالم الناس يتكلم الوحى الإلهى عن (إرسال) الملائكة والأنبياء من قبل الله. والإرسال فى هذه الحالة إرسال (**من الخارج**) أى إرسال بالأمر الإلهى الصادر إلى الملاك أو النبى ليقوم بمهمة تبليغ إرادة الله إلى الناس.

إرسال الملائكة

بهذا المعنى فى إرسال الملائكة:

قال النبى دانيال: «إن إلهى أرسل (**ملاكه**) فسد أفواه الأسود فلم تضرنى» (دانيال ٦ :٢٢).

وقال القديس بطرس الرسول: «إن الرب أرسل ملاكه فأنقذنى من يد هيرودس» (أعمال١٢ :١١).

وقال الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن: «أنا جبرائيل الواقف أمام الله. وقد أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا» (لوقا ١ : ١٩).

انظر أيضاً (العدد ٢٠ : ١٦)، (دانيال ٣ : ٢٨)، (إشعياء ٦٣ : ٩)، (متى ٢٤ : ٣١).

إرسال الأنبياء من البشر

وبهذا المعنى فى إرسال الأنبياء:

قال الله للنبى موسى: «هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر» (الخروج ٣: ١٠).

وجاء فى سفر المزامير: «أرسل موسى عبده وهرون الذى اختاره» (مزمور ١٠٤: ٢٦).

وقال الإنجيل عن يوحنا المعمدان: «كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا» (يوحنا ١: ٦).

وقال يوحنا المعمدان: «الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو الذى قال لى...» (يوحنا ١: ٣٣).

انظر (يوحنا ٣: ٢٨)، (إشعياء ٦: ٨)، (إرميا ١: ٧)، (لوقا ٤: ٢٦).

إرسال المسيح لتلاميذه

قال الإنجيل: «ودعا الإثنى عشر، وجعل يرسلهم اثنين اثنين» (مرقس ٦: ٧).

وقال الإنجيل أيضاً: «فلما طلع النهار دعا إليه تلاميذه واختار منهم إثنى عشر سماهم رسلاً» (لوقا ٦: ١٣).

وقال أيضاً: «وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين وأرسلهم اثنين اثنين أمامه إلى كل مدينة وموضع كان مزمعاً أن يذهب إليه قائلاً لهم:... اذهبوا ها أنا ذا أرسلكم كحملان بين ذئاب» (لوقا ١٠: ١-٣).

وقال المسيح له المجد لتلاميذه: «قد أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه» (يوحنا ٤: ٣٨).
انظر (لوقا ٩: ٥٢)، (١١: ٤٩)، (يوحنا ١٧: ١٨)، (٢٠: ٢١)، (أعمال ٩: ١٧)، (٢٢: ٢١)، (رومية ١٠: ١٥)، (١. كورنثوس ١: ١٧).

أما الإرسال فى الثالوث القدوس من الآب للابن، وكذلك الإرسال من الآب للروح القدس فهو إرسال من باطن، تمييزاً له عن الإرسال من الخارج على نحو ما رأينا من إرسال الله للملائكة الأنبياء، أو إرسال المسيح لتلاميذه. ذلك أن الملاك كائن مخلوق، وكذلك النبى مخلوق، وكل من الملاك والنبى كائن له كيانه المستقل ووجوده متميزاً عن كيان الله الخالق ووجوده. **أما فى الثالوث القدوس فهو الله الواحد الأحد، وليس فى الثالوث القدوس وهو الله الواحد الأحد تقسيم أو تجزئة.**

من هنا يمكن أن نفهم **الإرسال فى الثالوث القدوس على نحو ما ترسل الشمس أشعتها**، إذ الإرسال فى هذه الحال إرسال يختلف عن إرسال الله للملائكة والأنبياء. فالشمس ترسل ضوءها وأشعتها من غير أن تنفصل عنها أشعتها أو تخرج عنها خارجاً عن ذاتها. فأشعة الشمس فيها خارجة عن الشمس متولدة عنها لكنها مع ذلك متصلة بها إتصالاً دائماً، فضلاً عن أن أشعة الشمس هى من الشمس أى من نوعها وجنسها ومن جوهرها وطبيعتها. وليس كذلك الملائكة فإنهم وإن كانوا من نور لكن طبيعتهم غير طبيعة الله الذى خلقهم. وهكذا الأنبياء الذين يرسلهم الله، وإن كانوا قد خلقوا على صورة الله، ولكنهم ليسوا من طبيعة الله وليسوا من جوهره.

بهذا المعنى الواضح وبهذا المفهوم المحدد نفهم **الإرسال فى الثالوث القدوس، إرسال الآب للابن أى الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، أو إرسال الآب للروح القدس أى الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس.**

إرسال الله الآب للابن

على هذا النحو يصف المسيح وهو الله الظاهر فى الجسد، الكلمة المتجسد، الله الغير المنظور وقد صار منظوراً ـ علاقته بالله الآب، **أنه مرسل منه، بمعنى أنه من ذات طبيعته، ومن ذات جوهره، وهو كائن فيه، لكنه نزل إلى الأرض بغير إنفصال عن الآب على نحو ما تصلنا أشعة الشمس من الشمس، وهى هى الشمس نفسها لأنها منها وتحمل نورها وحرارتها وتفعل فعلها، ومن ذات طبيعتها وكيانها واصلة إلى الأرض وإلينا تملأ السماء والأرض، وهى امتداد الشمس فى وجودها وفعلها، ومع ذلك فهى متحدة معها متصلة بها إتصالاً دائماً ومباشراً نافذة منها وفيها وإليها فى كل إتجاه.**

المسيح إذن الذى نزل من السماء نزول الضوء من الشمس هو الذى وصل بيننا وبين الله فى السماء «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١: ١٨).

الآب أرسلنى

يقول المسيح له المجد:

«من قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى» (متى ١٠: ٤٠).

«من قبلنى، فقد قبل لا إياى وإنما الذى أرسلنى» (مرقس ٩ : ٣٧) .

«ومن قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى» (لوقا ٩ : ٤٨) .

«ومن ازدرانى فقد ازدرى الذى أرسلنى» (لوقا ١٠ : ١٦) .

«طعامى هو أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى» (يوحنا ٤ : ٣٤) .

«إن من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى له الحياة الأبدية» (يوحنا ٥ : ٢٤) .

«لأننى لا أبتغى مشيئتى، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (يوحنا ٥ : ٣٠) .

«الأعمال التى أنا أعملها، هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى» (يوحنا ٥ : ٣٦) .

«الآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد لى» (يوحنا ٥ : ٣٧) .

«لأنى قد نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى» (يوحنا ٦ : ٣٨) .

«وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى: أن كل الذين أعطانى لا أهلك منهم أحداً» (يوحنا٦ :٣٩) .

«لأن هذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٤٠) .

«ما من أحد يستطيع أن يقبل نحوى ما لم يجتذبه إلىّ الآب الذى أرسلنى، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ :٤٤) .

«كما أن الآب الحى قد أرسلنى» (يوحنا ٦ : ٥٧) .

«إن تعليمى ليس لى من عندى، بل من عند الذى أرسلنى» (يوحنا ٧ : ١٦) .

«وأنا لم آت من نفسى وحدى، وإنما أرسلنى ذلك بالذى هو حق» (يوحنا ٧ : ٢٨) .

«وأنتم لا تعرفونه. أما أنا فأعرفه، لأنى منه، وهو الذى أرسلنى» . (يوحنا ٧ : ٢٨ ، ٢٩) .

«أنا باق معكم زماناً يسيراً ثم أمضى إلى الذى أرسلنى» (يوحنا ٧ : ٣٣) .

«وإنى وإن دِنتُ فديدونتى حق، لأننى لست وحدى، بل أنا والآب الذى أرسلنى» (يوحنا ٨ : ١٦) ، (٢٠ : ٢١) .

«فأنا أشهد لنفسى. ويشهد لى أبى الذى أرسلنى» (يوحنا ٨ : ١٨) .

«إن الذى أرسلنى هو حق» (يوحنا ٨ : ٢٦) .

«إن الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى وحدى» (يوحنا ٨: ٢٩).

«فأنا لم آت من نفسى وحدى، وإنما هو الذى أرسلنى» (يوحنا ٨: ٤٢).

«ينبغى مادام النهار أن نعمل أعمال الذى أرسلنا» (يوحنا ٩: ٤).

«إن الذى يؤمن بى، ليس بى يؤمن، وإنما آمن بالذى أرسلنى» (يوحنا ١٢: ٤٤).

«ومن رآنى فقد رأى الذى أرسلنى» (يوحنا ١٢: ٤٥).

«لأننى لم أتكلم من نفسى وحدى، وإنما الآب الذى أرسلنى هو الذى أوصانى بما أقول وبما أتكلم» (يوحنا ١٢: ٤٩).

«ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى» (يوحنا ١٣: ٢٠).

«إن الكلام الذى تسمعونه ليس كلامى، وإنما كلام الآب الذى أرسلنى» (يوحنا ١٤: ٢٤).

«ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله بسبب اسمى، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى» (يوحنا١٥: ٢١).

«أما الآن فإننى ماض إلى الذى أرسلنى» (يوحنا ١٦: ٥).

الآب أرسله

«ومن لا يمجد الابن، لا يمجد الآب الذى أرسله» (يوحنا ٥: ٢٣).

انظر أيضاً (يوحنا ٣: ١٧، ٣٤)، (٥: ٣٨)، (٦: ٢٩)، (٧: ١٨)، (١٠: ٣٦)، (متى ٢١: ٣٧).

أرسلتنى

وكثيراً ما كان يُعبر المسيح له المجد عن هذه الإرسالية فى مناجاته مع الآب على مسمع من تلاميذه.

من ذلك قوله:

«وأنا عالم أنك تسمع لى فى كل حين. وإنما قلت ذلك من أجل هذا الجمع الواقف حولى، ليؤمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا١١: ٤٢).

«وآمنوا بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٨).

«كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٢١).

«وليعلم العالم أنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٢٣).

«وأما أنا فعرفتك، وهؤلاء أيضاً عرفوا أنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧: ٢٥).

انظر أيضاً (يوحنا ١٧: ١٨).

أرسلته

«وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته» (يوحنا ١٧ : ٣).

انظر (متى ١٥ : ٢٤)، (لوقا ٤ : ٤٣).

* * *

المسيح إذن «مرسل من الآب» لا على نحو إرسال الملائكة والأنبياء والرسل، إرسالاً من خارج، ولكنه (مرسل من الآب) على نحو إرسال الشمس لأشعتها، فإرساله من باطن، فى داخل الثالوث القدوس، وعلى نحو إرسال العقل للفكر، وإرسال الفكر للكلمة...

لذلك، وإن نزل على الأرض لكنه فيما كان على الأرض كان فى الوقت نفسه جالساً على عرشه فى السماء ملكاً وإلهاً إلى الأبد:

ولذلك أيضاً كان الإنجيل يؤكد على أن المسيح جاء من فوق، وجاء من السماء:

قال يوحنا المعمدان عن المسيح: «إنه ينبغى أن يزداد هو. أما أنا فأنقص. **إن الذى يأتى من فوق**، هو فوق الجميع. والذى من الأرض هو أرضى، ومن الأرض يتكلم. **أما الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع**» (يوحنا ٢ : ٣٠، ٣١).

والمعنى هو أن يسوع المسيح لم يأت من الأرض، بل **أتى من السماء**، ولذلك فهو قد **أتى من فوق**، ومن ثم **فهو فوق الجميع**. أما يوحنا المعمدان فيقول عن نفسه أنه أرضى لأنه أتى من الأرض، أى أتى بحسب الطبيعة من أب ترابى وأم ترابية، ومن ثم فهو بشرى، محض إنسان. **أما المسيح فهو وإن ظهر على الأرض، لكنه ليس من الأرض، بل من السماء.**

وجاء فى الإنجيل قول المسيح عن نفسه فى حواره مع اليهود «قال لهم يسوع أيضاً: «إننى سأمضى وستأخذون تبحثون عنى وتموتون فى خطاياكم، فحيث أمضى أنا، لا تستطيعون أنتم أن تأتوا. فقال اليهود: لعله سيقتل نفسه إذ يقول: حيث أمضى أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا. فقال لهم: «أنتم من أسفل. **وأما أنا فمن فوق**. أنتم من هذا العالم، **وأما أنا فلست من هذا العالم... قالوا له: «من أنت؟» فقال لهم يسوع: «أنا ذاك الذى منذ البدء كلمتكم عنه»** (يوحنا ٨ : ٢١-٢٥).

وقد أعاد أكثر من مرة قوله: «**أنا لست من العالم**» (يوحنا ١٧: ١٤، ١٦).

انظر أيضاً (متى ٢٨: ١٨)، (يوحنا ٧: ٣٤)، (٣٣:١٣) (١. كورنثوس ١٥: ٤٧).

حقاً إنه قال لتلاميذه «لستم من العالم» (يوحنا ١٥: ١٩) وقال فى مناجاته مع الآب على مسمع من تلاميذه «فأبغضهم العالم، لأنهم ليسوا من العالم» (يوحنا ١٧: ١٤) ولكن المعنى أن تلاميذه بإنضمامهم إليه وإلى تعليمه انفصلوا عن روح العالم، ولذلك صار العالم يبغضهم لأنهم أمسوا على خلاف معه. ولذلك، وبياناً لهذا المعنى الخاص استدرك له المجد قائلاً: «لأنكم لستم من العالم، وإنما أنا اخترتكم من العالم، لذلك يبغضكم العالم». أى أنهم من العالم بحسب طبيعتهم، ولكن باختيار المسيح لهم وانضمامهم إليه أصبحوا أتباعه. ومن ثم ينالهم من العالم ما نال سيدهم ومعلمهم من بغضة واضطهاد.

وإذن فالتلاميذ ينتمون أصلاً إلى العالم. أما المسيح فليس من العالم أصلاً، لأنه خرج من الآب. وتوكيداً لهذا المعنى قال له المجد لليهود: «أنتم من أسفل. **وأما أنا فمن فوق**. أنتم من هذا العالم، **وأما أنا فلست من هذا العالم...أنا ذاك الذى منذ البدء**» (يوحنا ٨: ٢١-٢٥).

* * *

كذلك إرسال الروح القدس من الآب، إرسال من باطن لا من خارج... إرسال من الذات الإلهية لا كإرسال الأنبياء والرسل، بل على نحو ما ترسل الشمس حرارتها وتبعث دفئها. فحرارة الشمس تتولد منها وتنبثق عنها لكنها لا تنفصل عنها، وهى من الشمس وفى الشمس منذ كانت الشمس. ولا نستطيع أن نتصور لحظة كانت فيها الشمس ولم يكن ينبثق عن الشمس حرارتها وينبثق منها دفئها.

هكذا الروح القدس ينبثق من الآب منذ الأزل، وإلى الأبد إنبثاقاً من غير انفصال.

يقول المسيح له المجد عن الروح القدس. إنه «**روح الحق المنبثق من الآب**» (يوحنا١٥: ٢٦).

يبقى هنا سؤال: لماذا حرص المسيح على أن يبين بوضوح أنه مرسل من الآب. وأن الآب هو الذى أرسله، على الرغم من أن هذا الإرسال لا يمكن أن يكون من قبيل إرسال الملائكة والرسل والأنبياء؟.

والجواب على السؤال يتضح إذا وضعنا فى اعتبارنا أن اليهود كانوا فى حيرة من أمر يسوع المسيح، من يكون؟.

لقد صنع من المعجزات ما جعلهم يتبينون أنه لا يمكن أن يكون مجرد نبى أو واحد من بنى البشر... لأنه كان يصنع كل شيء بسلطانه، ودون أن يلتمس ذلك من إله أو من قوة خارجة عن ذاته...

فعندما انتهر الريح، وقال للبحر: «اصمت. اسكت.فسكنت الريح وساد هدوء عظيم... خافوا خوفاً عظيماً، وقال بعضهم لبعض: «**من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه؟**» (مرقس ٤: ٣٩-٤١) «فتعجب الناس قائلين: «أى إنسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه؟» (متى ٨: ٢٧) «فخافوا وذهلوا وقال بعضهم لبعض: «من هو هذا يا ترى؟ فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه» (لوقا ٨: ٢٥).

وعندما كان يطرد الأرواح النجسة بسلطان، فتخرج على التو وهى صارخة تقول: مالك ولنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا؟ إننا نعرف من أنت. أنت قدوس الله... ذهل الناس جميعاً، حتى **لقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم قائلين: «ما هذا؟ إنه لتعليم جديد! فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه»** (مرقس ١: ٢٣- ٢٧) «**فارتعب الجميع، وراحوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين: «ما هذا؟ إنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج» (لوقا ٤: ٣٦).**

ورأوه يغفر الخطايا بسلطان، وعلى الرغم من أنه من المعروف أنه **لا يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده**، لكن يسوع المسيح أثبت للناس أن له السلطان على الأرض أن يغفر الخطايا «**فبهتوا كلهم**، ومجدوا الله قائلين: «**ما رأينا مثل هذا قط**» (مرقس ٢: ١٢)، (متى ٩: ٨)، «**فذهلوا كلهم ومجدوا الله وهم يقولون وقد ملأهم الخوف: «قد رأينا اليوم عجائب**» (لوقا ٥: ٢٦).

أمام هذا السلطان المطلق للمسيح على الأرض، وفى السماء (متى ٢٨: ١٨) كان لابد لفادينا يسوع المسيح أن يريح الناس مبيناً لهم علاقته بالآب السماوى الذى يعرفون عنه أنه ملك السماء والأرض. فهل يسوع المسيح إله آخر، مادام يعمل أعمالاً بسلطان مطلق لا يمكن أن يملكه نبى أو بشر أياً كان؟ وإذا كان يسوع المسيح إلهاً؟ فما مركزه بالنسبة للإله الذى يعبدونه هم؟ هل هو إله ثان، وفى هذه الحالة سيكون للوجود إلهان، ويكون التعليم بالتوحيد قد سقط وانتقض... إذن كان

لا مفر من أن تحل هذه المشكلة فى أذهان الناس عن حقيقة يسوع المسيح... من هو؟ فما داموا قد تبينوا أنه ليس مجرد إنسان، لأنه يمارس سلطاناً على الطبيعة وعلى الأرواح النجسة وعلى شفاء المرضى وإقامة الموتى، وعلى أن يخلق من الطين عينين للمولود أعمى الذى لم تكن له عينان فى موضع العينين. إذن فهو إله. وإذا كان إلهاً، فهل هو إله آخر. وحينئذ يكون ثمة فى الوجود إلهان مما يتعارض مع مبدأ التوحيد الذى قرره الله مراراً وأيده بنصوص كثيرة ـ فكان لابد، أن يزيل الرب يسوع هذه الحيرة ويريح نفوس الناس بأن يبين لهم أنه **ليس إلهاً آخر غير الإله الواحد الذى هم يعبدونه، ولأنه ليس ثمت غير إله واحد.** ثم إنه لم يأت ليلغى عقيدة الناس فى الإله الذى يعبدونه وهو الآب، ليحل هو محله ويحتل مكانته فى اعتقاد الناس، معاذ الله!

لهذا أبان المسيح بوضوح كاف توكيداً لمبدأ الوحدانية، وتثبيتاً لعقيدة التوحيد، أنه مرسل من الآب، وأن الآب أرسله. وفى هذا البيان تثبيت للاعتقاد فى إله واحد، وأن يسوع المسيح ليس إلهاً جديداً غير الله الآب أو ضد الله الآب، لكنه «هو بهاء مجده، وصورة جوهره، وضابط الكون بكلمة قدرته» (العبرانيين ١: ٣) **هو منه وفيه، هو مرسل من الآب على نحو ما ترسل الشمس أشعتها ونورها وضياءها وبهاءها. وليس نورها وبهاؤها وضياؤها غير الشمس نفسها ممتده منتشرة، وواصلة إلينا على الأرض، وليس إلا شمس واحدة.**

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه كائن فى الآب والآب كائن فيه

وإذا كان يسوع المسيح ينسب إلى ذاته أنه: «نزل من السماء»، وأنه «خرج من عند الآب»، وأنه مرسل من ذات الآب»، فإنه توكيداً وبياناً لحقيقة إرساليته وأنها إرسالية (من باطن)، لا من خارج، على غرار إرسال الشمس لأشعتها ونورها، أوضح بصراحة **أنه كائن فى ذات الآب، مبيناً بذلك أنه بنزوله من السماء لم ينفصل عن ذات الآب وجوهره، وإنما هو مع وجوده على الأرض كائن مع الآب فى ذات الجوهر بغير إنفصال أو إفتراق، وأنه لذلك يحيا فى الآب وبالآب من غير إفتراق.**

قال فى صدد أنه الخبز الحى الذى نزل من السماء (يوحنا ٦: ٥٠، ٥١) «**وأنا كذلك أحيا بالآب**» (يوحنا ٦: ٥٧) مبيناً بذلك أن وجوده وكيانه ليس منفصلاً عن وجود الآب وكيانه، وأن حياته ليست مفترقة عن حياة الآب. **فحياتهما واحدة لأنهما فى جوهر الألوهية معاً إله واحد. وعلى ذلك فالآب حياته فى الابن وبالابن، والابن حياته فى الآب وبالآب، وبالتالى لا حياة للآب بغير الابن، ولا حياة للابن بغير الآب. الحياة فيهما واحدة لأن الله واحد**، ولا تجزئة فى الله.

ويؤكد على نفس المعنى بقوله: «فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال، لتعلموا وتعرفوا **أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٠: ٣٨). والمعنى أن أعمـــاله هى أعمـــال الآب لأن **جوهرهما واحد، ففعلهما واحد**. ولما كان الله غير منظور، فإنه إذا أخذ صورة منظورة، صارت أعمال المنظور، وهو المسيح، دليلاً إلى أعمال الغير المنظور وهو الله الآب.

وزيادة فى الإيضاح وإصراراً على نفس الحقيقة، **أنه فى الآب والآب فيه، وأن من رآه فقد رأى الآب، وأن فيه يعرفون الله الآب الغير المنظور، وفيه يرونه وينظرونه.**

قال: «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**. فقال له فيلبس: «يارب، أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع: **أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس. من رآنى فقد رأى الآب**. فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟ **ألا تؤمن بأنى أنا**

فى أبى، وأن أبى فىّ. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله. **صدقونى أنى فى أبى، وأن أبى فىّ**، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤: ٧-١١).

وهذا بيان فى منتهى الروعة والوضوح فى وحدانية الجوهر الإلهى بين الآب والابن. **فالآب فى الابن، والابن فى الآب: أى أن الذات الإلهية واحدة، وليس هناك إثنينية فى الثالوث القدوس. والآب كائن فى الابن، والابن كائن فى الآب. والأعمال التى يعملها الابن هى بعينيها أعمال الآب. والآب يعمل أعماله بالابن. وليس ثمة عمل يعمله الابن من دون الآب، ولا عمل يعمله الآب من دون الابن. والأعمال التى يعملها الابن لا ينفرد بها ولا تختص به وحده، وإنما العمل واحد للآب والابن معاً**. لاحظ قوله: «إن الكلام الذى أكلمكم به **لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله**». ولذلك **فإن من رأى الابن فقد رأى الآب لأن الآب كائن فى الابن. ومن عرف الابن فقد عرف الآب. ومن دون معرفة الابن لا يعرف الناس الآب المعرفة الحقيقية**. ومما له دلالة بالغة الأهمية قوله لتلاميذه: «ومنذ الآن تعرفونه. **وقد رأيتموه**» فكيف رأى التلاميذ الآب؟! إن الآب غير منظور ولكنهم إذ رأوا الابن متجسداً فقد رأوا الآب فيه. وهذا إلحاح على الحقيقة التى قررها مراراً «**إنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**».

مرة أخرى يقول المسيح له المجد لتلاميذه: «لن أترككم يتامى وإنما سأجى إليكم. بعد قليل لن يرانى العالم بعد، وأما أنتم فسوف تروننى. لأننى أنا حى... وفى ذلك اليوم ستعلمون **أنى فى أبى**» (يوحنا ١٤: ١٨-٢٠) إنه يعد تلاميذه بالقيامة من بين الأموات والعودة إليهم بعد قيامته وظهوره لهم بعد موته. إنه قد ذاق الموت بالجسد، **أما هو بلاهوته فحى لا يموت**. فإذا رأوه حياً بعد موته فسيتحققون أن «الموت لم يكن ممكناً له أن يستبقيه أسيراً له» (أعمال ٢: ٢٤) أو يضبطه عن الحياة، **لأنه حى بذاته، وحى بالآب الكائن فيه** (يوحنا ٦: ٥٧). أنه قام من دون أن يقف على قبره أحد ليقيمه، إنما قام بسلطان لاهوته الكائن فيه، **ولاهوته هو لاهوت الآب الكائن معه فى جوهر الألوهة، وفى الذات الإلهية**... عندئذ يعلم التلاميذ ويوقنون بصدق الحقيقة التى أعلنها مراراً وتكراراً: «**أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**».

ثم إنه فى مناجاته مع الآب يوجه الخطاب إلى الآب قائلاً: «**أنك أنت أيها الآب فىّ، وأنا أيضاً فيك... وأنت فىّ**» (يوحنا ١٧: ٢١، ٢٣) ... ويريد أن يكون تلاميذه «جميعهم فى وحدة فى الآب والابن والروح القدس على غرار الوحدة الكائنة فى الأقانيم الثلاثة، مع فارق أساسى عميق أن **الوحدة فى الثالوث القدوس هى وحدة الجوهر والذات الإلهية** بينما أن الوحدة بين التلاميذ جميعهم فى الله هى وحدة أدبية روحية أخلاقية، وحدة مشيئة وإرادة وليست وحدة طبيعة، بمعنى أن التلاميذ تندمج مشيئتهم الإنسانية فى المشيئة الإلهية وتتحد بها فتصير مشيئة واحدة هى مشيئة الله التى اندمجوا فيها، فصارت مشيئتهم، ولم تعد لهم مشيئة خاصة بهم غير مشيئة الله. وهذا معناه قمة الروحانية فى حياة الإنسان الروحانى حين تفنى إرادته فى إرادة الله، وهو ما عبر عنه الرسول بولس «مع المسيح صُلبت، فما أنا أحيا بعد، بل إنما المسيح يحيا فىّ» (غلاطية ٢: ٢٠)، (رومية ٦: ١٠) وهو ما يعرف عند الروحانيين والمتصوفة بمقام (**الفناء والبقاء بعد الفناء**).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته
أنه ابن الله

كما نسب يسوع المسيح إلى ذاته أنه ابن الإنسان نسب أيضاً إلى ذاته أنه ابن الله.

هو ابن الإنسان لأنه «ابن مريم».

وهو ابن الإنسان من حيث أنه أخذ صورة الإنسان، وظهر في الهيئة في شكل إنسان (فيلبي ٢ :٧، ٨)، إنسان من لحم ودم وعظام (العبرانيين ٢ : ١٤، ١٧)، (متى ١٦ : ١٧)، (لوقا ٢٤ : ٣٩).

إنه حبل به في البطن كإنسان (متى ١ : ١٨، ٢٠)، (لوقا ١ : ٣١) (٢ : ٥، ٢١).

وحملته العذراء في بطنها تسعة أشهر كإنسان (لوقا ٢ : ٦).

وولدته كإنسان (متى ١ : ١، ١٨، ٢٥)، (٢ : ١، ٢، ٤)، (لوقا ١ : ٣١)، (٢ : ٦، ٧، ١١)، (غلاطية ٤ : ٤).

ورضع من لبن ثدييها كإنسان (لوقا ١١ : ٢٧).

وحملته على ركبتيها كإنسان، وكان ينمو قليلاً قليلاً كإنسان (لوقا ٢ : ٢١، ٤٠، ٤٢، ٥١، ٥٢)، (٤ : ١٦)، إلى أن بلغ سن الإنسان الكامل (لوقا ٣ : ٢٣).

ثم إنه كإنسان أكل (لوقا ٢٤ : ٤٣)، (أعمال ١٠ : ٤١).

وشرب (متى ١١ : ١٩)، (مرقس ٢ : ١٦).

وجاع (متى ٤ : ٢)، (لوقا ٤ : ٢)، (متى ٢١ : ١٨)، (مرقس ١١ : ١٢).

وعطش (يوحنا ١٩ : ٢٨)، (٤ : ٧).

وتعب (يوحنا ٤ : ٦).

ونام (متى ٨ : ٢٤)، (مرقس ٤ : ٣٨)، (لوقا ٨ : ٢٣).

وكإنسان بكى (لوقا ١٩ : ٤١)، (يوحنا ١١ : ٣٥).

وكإنسان اضطرب (يوحنا ١١ : ٣٣)، (١٢ : ٢٧)، (١٣ : ٢١).

وكإنسان حزن (مرقس ٣ : ٥)، (متى ٢٦ : ٣٧، ٣٨) (مرقس ١٤ : ٣٤).

وكإنسان اكتأب (متى ٢٦ : ٣٧)، (مرقس ١٤ : ٣٣)، **وكإنسان تألم** (متى ١٦ : ٢١)، (مرقس ٨ : ٣١)، (لوقا ٩ : ٢٢)، (٢٤ : ٢٦، ٤٦).

وصُلب كإنسان، وضرب، وجلد... ومات كإنسان... وشفع في البشرية كإنسان (١. تيموثيئوس ٢ : ٥)، (العبرانيين ٧ : ٢٥)، (١. يوحنا ٢ : ١).

لكنه في كل ذلك **كان هو الإنسان الكامل، الإنسان بغير خطيئة** (رومية ٨ : ٣)، (العبرانيين ٤ :١٥)، (٢. كورنثوس ٥: ٢١)، **الإنسان بغير فساد** (أعمال ٢ : ٢٧، ٣١)، (١٣ : ٣٥).

الإنسان في قامة الكمال الإنساني (أفسس ٤ : ١٣) **والنموذج الأعلى للإنسان** (كولوسي ١ : ٢٨).

كان هو آدم الثاني (١ .كورنثوس ١٥ : ٤٥، ٤٧) في مقابل آدم الأول.

هو في ذلك **ابن الإنسان** (متى ١٦ : ١٣).

على أنه إلى ذلك، ومع ذلك **هو ابن الله**.

هو **ابن الله** لأنه عندما ولد كإنسان **لم يكن له أب من بني الإنسان** (متى ١ : ١٨).

فمريم التي ولد منها كانت عند الحبل به عذراء لم تعرف رجلاً (لوقا ١ :٣٤).

فيسوع المسيح ليس له أب من بشر كما لسائر الناس من بني آدم. **أنه ولد وليس من زرع رجل** (متى ١ : ٢٠).

إنما ناسوته أو إنسانيته أو جسده تكون له قبل نزوله من السماء وحلوله في بطن العذراء مريم... تكون من دم العذراء مريم بعد أن حل الروح القدس عليها، (لوقا ١ : ٣٥) فصاغ من دمها الجسد الذي حل فيه (الكلمة الإلهي) كقول الوحي الإلهي «عند دخوله إلى العالم... **هيأت لي جسداً**» (العبرانيين ١٠ : ٥)، (١ : ٦) واتحد به اللاهوت في أقنوم واحد وطبيعة واحدة، لها خصائص الطبيعتين، من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. وهكذا «**اتخذ الكلمة جسداً**» (يوحنا ١ : ١٤).

ويلاحظ أن العبارة «(هيأت) لى جسداً» و هى باليونانية σῶμα δὲ κατηρτίσω μοι

وبالقبطية ⲟⲩⲥⲱⲙⲁ ⲇⲉ ⲁⲕⲥⲉⲃⲧⲱⲧϥ ⲛⲏⲓ تفيد **(الإعداد) الكامل والتام، و(التشكل) الكامل والتام للجسد، و(الحياكة) الكاملة والتامة للجسد، والنسج الكامل والتام للجسد، و (التكوين) الكامل والتام للجسد.**

فيسوع المسيح إذن هو ابن الله لأنه ليس له أب من بشر، أى «أن الله أبوه» (يوحنا ٥ : ١٨).

وهو ابن الله لأنه من طبيعة الله الآب ومن جوهره «إذ هو ضياء مجده وصورة جوهره وضابط الكل بكلمة قدرته» (العبرانيين ١ : ٣).

وفيه رأينا الله، ذلك «أن» الله لم يره أحد قط. **الابن الوحيد** الذى فى حضن الآب «**هو الذى أخبر عنه**» (يوحنا ١ : ١٨) وقد قال صراحة «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ :٩) وقال لتلاميذه «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. **ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤ : ٧) وإذا كان الله الآب «لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه» (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦)، (الخروج ٣٣ : ٢٠). فيسوع المسيح «**هو صورة الله الغير المنظور**» (كولوسى ١ : ١٥)، (٢ . كورنثوس ٤ : ٤).

بهذا المعنى هو ابن الله (لوقا ٣ : ٣٨).

فليس هو ابن الله على نحو ما يصير المؤمنون بالمسيح أولاد الله أى بالإيمان والمعمودية التى تعطيهم امتياز البنوة الروحية (يوحنا ١ : ١٢)، (٣ : ٥)، (يعقوب ١ : ١٨)، (١ . بطرس ١ : ٣، ٢٣)، (١ . يوحنا ٢ : ٢٩)، (٣ : ٩)، (٤ : ٧).

المسيح إذن هو وحده ابن الله بالطبع لا بالوضع، ابن الله بالحقيقة لا بالتبنى، لأنه على قوله «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا١٠ : ٣٠) أى أنه والله الآب معاً واحد فى الجوهر الإلهى الواحد والذات الإلهية الواحدة كقوله فى مناجاته للآب «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك **أنت الإله الحق الواحد وحده مع يسوع المسيح الذى أرسلته**» (يوحنا ١٧ : ٣).

يسوع المسيح ابن الله الحى

«وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً: من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: إن قوماً يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرين إنك إيليا، وآخرين إنك إرميا أو أحد الأنبياء فقال لهم «وأنتم من تقولون إنى هو؟ فأجاب سمعان بطرس وقال **أنت هو المسيح ابن الله الحى**. فأجاب يسوع وقال له: مبارك أنت يا سمعان بن يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات. وأيضاً أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، وبوابات الجحيم لن تقوى عليها... ثم أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه هو يسوع المسيح» (متى ١٦: ١٣-٢٠)، (مرقس ٨: ٢٧-٣٠). وقال الإنجيل بحسب ما كتب القديس لوقا «فأجاب بطرس قائلاً: **أنت هو المسيح الله**. فنهاهم منتهراً عن أن يقولوا ذلك لأحد» (لوقا ٩: ١٨-٢١).

كان لابد أن يكشف يسوع المسيح عن حقيقة ذاته: من هو على الحقيقة، فقد كان الناس، ومن بينهم تلاميذه، يرونه فى شكل إنسان، وقد أخفى لاهوته فى ناسوته. لذلك، وقبل أن يتمم عمل الفداء ويصعد إلى السماء «ويدخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤: ٢٦) سأل تلاميذه هذا السؤال ليثيرهم على الجواب الصحيح «من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: إن قوماً يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرين يقولون إنك إيليا وآخرين إنك إرميا وغيرهم يقولون إنك أحد الأنبياء الأولين قد قام» ولاشك أن الرب يسوع كان يعلم بما كان يقوله الناس عنه. ولكنه بسؤاله لتلاميذه أراد أن يستدرجهم للسؤال الأهم باعتبارهم تلاميذه الذين سيحملون دعوته وسينادون برسالته، فينبغى أن يكون رأيهم فيه الرأى الصحيح الذى سينقلونه إلى العالم بالكرازة والتعليم: والسؤال الأهم هو: «**وأنتم من تقولون إنى أنا هو؟**».

على هذا السؤال الجوهرى والأساسى أجاب سمعان بطرس بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن سائر التلاميذ، إذ كان هو أكبرهم سناً، قائلاً: «**أنت هو المسيح الله، ابن الله الحى**».

ولقد عاد سمعان بطرس فكرر هذا الإيمان وهذا الاعتراف بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن رفقائه التلاميذ عندما قال المسيح عن ذاته «أنه الخبز الحقيقى الذى نزل من السماء» قال سمعان بطرس: يارب، إلى من نذهب؟ إن كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد آمنا وعرفنا بيقين **أنك أنت هو قدوس الله، المسيح ابن الله الحى**» (يوحنا ٦: ٦٨، ٦٩).

وقد دون هذا الإيمان والإعتراف، القديس يوحنا الرسول فى ختام الإنجيل بقوله «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا **بأن يسوع هو المسيح ابن الله»** (يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١) انظر أيضاً (١. يوحنا ٣: ٨، ٢٣)، (٤: ١٠، ١٥)، (٥: ٥، ١٠، ١١، ١٣)، (الجليان الرؤيا ٢: ١٨).

لم ينفرد إذن سمعان بطرس بهذا الإيمان السليم، وبهذا الإعتراف العظيم.

١- فقد سبقه إليه يوحنا المعمدان، إذ قال: «وأنا قد أبصرت وشهدت **بأن هذا هو ابن الله»** (يوحنا ١: ٣٤).

فقد رأى يوحنا فى نهر الأردن، السماوات تنشق وقد انفتحت ليسوع المسيح تواً بعد صعوده من الماء «ونزل عليه الروح القدس فى صورة جسم يشبه الحمامة، ومقبلا عليه. وإذا صوت يجيء من السماء قائلاً: **أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (متى ٣: ١٦، ١٧)، (مرقس ١: ١١)، (لوقا ٣: ٢١، ٢٢).**

وشهد يوحنا المعمدان قائلاً: «إن الآب يحب الابن، وقد جعل فى يده كل شيء. فمن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية. ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (يوحنا ٣:٣٥، ٣٦).

انظر أيضاً شهادة الآب السماوى على جبل التجلى «**هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت، فله اسمعوا**» (متى ١٧: ٥)، (مرقس ٩: ٦)، (لوقا ٩: ٣٥)، (٢. بطرس ١: ١٧).

وقد شهد به رئيس الملائكة جبرائيل فى بشارته للعذراء مريم «**القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله**» (لوقا ١: ٣٥).

٢- وسبقه إليه **برثولماوس الرسول** أحد الإثنى عشر، وهو بعينه نثنائيل الذى عندما أخبره يسوع المسيح بأنه يعرفه من قبل، وأنه رآه حين كان تحت شجرة التين، اعترف بألوهيته وقال له: «**يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل**» (يوحنا ١: ٤٩).

٣- وهو الاعتراف الذى صرخ به التلاميذ مجتمعين، هم ومن كان معهم، عندما رأوه فى الهزيع الرابع من الليل ماشياً على البحر، فاضطربوا قائلين إنه شبح، وصرخوا من الخوف «فكلمهم يسوع فى الحال قائلاً: اطمئنوا. أنا هو لا تخافوا». وبينما كانت السفينة تتقاذفها

الأمواج، إذ كانت الريح مضادة لهم «حتى إذا ركب السفينة سكنت الريح فجاء الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له قائلين : **حقاً أنت ابن الله**» (متى ١٤ : ٢٢-٣٣)، (مرقس ٦ : ٤٥-٥١).

٤ـ واعترفت بهذه الحقيقة وهذا الإيمان مرثا أخت لعازر وقالت له: «**أننى أؤمن بأنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم**» (يوحنا ١١ : ٢٧).

٥ـ واعترف بهذا الإيمان **المولود أعمى** بعد أن خلق المسيح له عينين من الطين الذى طمس به مقلتيه، عندما سأله الرب يسوع قائلاً: **أتؤمن بابن الله ؟** فقال: «**أؤمن يا سيدى، ثم سجد له**» (يوحنا ٩ : ٣٥-٣٨).

٦ـ واعترف به **لونجينوس قائد المائة** عند الصليب عندما رأى الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت «فحين رأوا الزلزال وما حدث خافوا خوفاً عظيماً قائلين «**حقاً كان هذا هو ابن الله**» (متى ٢٧ : ٥٤). «وحين رأى قائد المائة الذى كان واقفاً تجاهه أنه صرخ هكذا وأسلم الروح قال: **حقاً كان هذا الإنسان هو ابن الله**» (مرقس ١٥ : ٣٩).

٧ـ وآمن بهذا الإيمان واعترف به **شاول الذى هو بولس الرسول** بعد أن أنار الله بصيرته إذ ظهر له الرب يسوع فى رائعة النهار وهو فى طريقه إلى دمشق «وللوقت أخذ يكرز فى المجامع بيسوع **أن هذا هو المسيح ابن الله**» (أعمال ٩ :٢٠، ٢٢)، (رومية ١ : ٤)، (٢. كورنثوس ١ : ١٩)، (غلاطية ٢ : ٢٠)، (كولوسى ١ : ١٣)، (العبرانيين ٤ : ١٤)، (١ : ٢)، (٥ : ٨)، (٦ : ٦)، (العبرانيين ٧ : ٣، ٢٨)، (١٠ : ٢٩).

٨ـ وآمن بهذا الإيمان واعترف به **الخصى وزير كنداكة ملكة الحبشة**، فقال لفيلبس «**أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله**» (أعمال الرسل ٨ : ٣٧).

٩ـ بل لقد اعترف بهذه الحقيقة الشيطان نفسه. يقول الإنجيل: «ولما جاء (يسوع) إلى الضفة الأخرى، إلى أرض الجرجسيين لاقاه رجلان بهما شياطين، خارجان من القبور، وكانا شرسين جداً حتى لم يكن أحد ليستطيع أن يمر من ذلك الطريق، وإذا بهما يصرخان قائلين: «ماشأنك بنا يا **يسوع ابن الله العلى** ؟ أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان؟» (متى ٨ : ٢٨، ٢٩)، (مرقس ٥ : ١ – ٧)، (لوقا ٨ : ٢٦ – ٢٨) قال الإنجيل أيضاً «أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: **إنك أنت هو ابن الله**» (مرقس ٣ : ١١). انظر أيضاً (متى ٤ : ٣، ٦).

إذن لم يكن اعتراف سمعان بطرس بأن يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى هو التعبير عن إيمان سمعان بطرس بمفرده. ولذلك فإن تعقيب الرب يسوع عن اعتراف سمعان بطرس يعتبر موجهاً لا إلى سمعان بطرس فقط، وإنما إلى كافة المؤمنين بلاهوت المسيح **وأنه المسيح الله ابن الله الحى.**

قال الرب يسوع: «مبارك أنت يا سمعان ين يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات». هذه البركة وهذا التغبيط لسمعان بطرس يشمله ويشمل من يؤمن إيمانه ويعترف باعترافه.

يقول العلامة أوريجينوس الأسكندرى «إذا قلنا نحن أيضاً ما قاله بطرس «أنت هو المسيح ابن الله الحى»، نصبح نحن أيضاً بطرس، وينطبق علينا ما قيل لبطرس» «أنت بطرس وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (١) (تفسير متى مجلد ١٢: ٩، ١٠، ١١) أما قوله له المجد «ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا وإنما أبى الذى فى السماوات»، فيشير إلى أن هذا الإعتراف على فم سمعان بطرس هو من قبيل الكشف الإلهى والإعلان السماوى من لدن الله الآب، لأنه بحسب الظاهر المحسوس والملموس يسوع هو ابن مريم فهو ابن الإنسان، من حيث أن له مظهر إنسان وشكل إنسان، وقامة إنسان. ولقد ولد كإنسان، ونما قليلاً فى قامته كإنسان، وأكل وشرب وصام وجاع وعطش وتعب، وصلب ومات كإنسان «فى كل شيء مثلنا ما خلا الخطيئة» (العبرانيين ٤ : ١٥) إذن «إذ قد اشترك الأبناء فى الدم واللحم اشترك هو كذلك فيهما لكى يبطل بموته من كان له سلطان الموت أى إبليس » (العبرانيين ٢ : ١٤).

وبعبارة أخرى ليس إنساناً من دم ولحم الذى كشف لك يا سمعان، ويا كل سمعان، هذا الإيمان وهذا الاعتراف... إنما هذا الكشف هو من لدن الآب السماوى لعينى القلب وللبصيرة الداخلية لكل من يؤمن... ولقد قال المسيح له المجد «ما من أحد يستطيع أن يقبل نحوى ما لم يجتذبه إلىّ الآب الذى أرسلنى... أنه مكتوب فى أسفار الأنبياء، أن الجميع سيكونون متعلمين من الله. **فكل من استمع إلى أبى وتعلم منه يقبل نحوى**... لذلك قلت لكم إنه ما من أحد يستطيع أن يقبل إلىّ مالم يوهب من أبى» (يوحنا ٦: ٤٤، ٤٥، ٦٥).

وليس لحماً ولا دماً الذى كشف لك يا سمعان، وياكل سمعان، هذا الحق وهذه الحقيقة، وإنما الآب السماوى، بمعنى أنك إذ ترانى فى الجسد من لحم ودم، لا ينتظر منك أن تنفذ إلى ما وراء

(١) تفسير متى ـ مجلد ١٢ :٩، ١٠، ١١

اللحم والدم لتعرفنى على حقيقتى الإلهية المستترة فى جسدى المنظور، ولذلك فإن ما نطقت به من إعتراف لم يوح به إليك مظهرى من لحم ودم، فإننى بحسب الجسد ابن الإنسان، لأنى ابن مريم، ولأنى أخذت صورة إنسان، وشكل إنسان، وهيئة إنسان. إنما الذى أوحى إليك بأننى المسيح الله ابن الله الحى، هو الآب السماوى. فهو الذى أنار بصيرتك وكشف لعينيك الباطنيتين حقيقة لاهوتى المستترة فى ناسوتى. (متى ١١ : ٢٥)، (١٣ : ١١)، (١. كورنثوس ٢ : ١٠)، (غلاطية ١ : ١٢)، (أفسس ٢ : ٨)، (٣ : ٣، ٥)، (العبرانيين ٦ : ٤).

وقال الرب موجهاً الخطاب لسمعان بطرس، وفيه إلى كل سمعان بطرس فى إيمانه بلاهوت المسيح واعترافه بأن **يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى**، وأيضاً أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، وبوابات الجحيم لن تقوى عليها».

لقد قلت لك يا سمعان، ويا كل سمعان، «ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات». وأضيف إلى هذا الذى قلته لك إنك «أنت بطرس» بعينك، هو ذاتك بطرس وليس آخر، الذى نطق لسانك بهذا الاعتراف بإلهام وليس منك بل من الآب السماوى.

وأقول لك «أنت بطرس» بالذات، مقالى، لأنك سوف تنكرنى ثلاث مرات أنك تعرفنى، ولسوف تنكرنى أمام الجميع ولسوف تلعن وتحلف (مرقس ١٤ : ٧١) وتقول عنى «أنى لا أعرف هذا الرجل» (متى ٢٦ : ٧٤)، (لوقا ٢٢ :٥٦ـ ٦٠). اذكر يا بطرس ما نطق به لسانك حتى لا تتردد فيما بعد وتتنكب عن الحق بل تثبت على إعترافك ومنطق لسانك، وتشجع إخوتك إذا تزعزع إيمانهم (لوقا ٢٢ : ٣٢).

اذكر يا بطرس أنك أنت الذى اعترفت بلسانك **بأننى المسيح الله وابن الله الحى**، فلا تحد عن هذا الإيمان، ولا تنكر هذا الإعتراف أو تتنكر له فيما بعد. فما من أحد أجبرك على هذا الإيمان، وما من أحد ألزمك بهذا الإعتراف. فأنت بعينك بطرس الذى إعترفت به وجهرت به من دون أن يقهرك أحد عليه. أقول لك هذا لتثبت على ما آمنت وعلى ما إعترفت، ولا تتردد، ولا تتنكر لإيمانك ومنطق لسانك.

على هذه الصخرة
سأبنى كنيستى

«وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» ... على هذه الصخرة والصخرة هنا هى **الإيمان بلاهوت المسيح والإعتراف به أنه المسيح الله ابن الله الحى.**

وهل يمكن أن يكون أحد غير المسيح هو الصخرة التى يبنى عليها كنيسته ؟.

إن بشراً أيا كان لا يمكن أن يكون هو الصخرة!

قال الكتاب المقدس:

«وليس صخرة مثل إلهنا» (١. صموئيل ٢: ٢).

«لأنه من هو إله غير الرب، **ومن هو صخرة سوى إلهنا»** (٢. صموئيل ٢٢: ٣٢)، (مزمور ١٧: ٣١).

«الرب صخرتى وحصنى» (٢. صموئيل ٢٢: ٢)، (مزمور ١٧: ٢).

«إليك يارب أصرخ. **يا صخرتى** لا تتصامم عنى» (مزمور ٢٧: ١).

«عليك يارب توكلت... **لأن صخرتى ومعقلى أنت»** (مزمور ٣٠: ١، ٢، ٣).

«أقول لله أنت صخرتى» (مزمور ٤١: ٩).

«إنما لله انتظرت نفسى... **إنما هو صخرتى وخلاصى»** (مزمور ٦١: ٢، ٦، ٧).

«بك يارب اعتصمت... **لأنك صخرتى وملجأى»** (مزمور ٧٠: ٣).

«الله هو صخرة قلبى» (مزمور ٧٢: ٢٦).

«الرب مستقيم، **هو صخرتى**، ولا ظلم فيه» (مزمور ٩١: ١٥).

«هلموا نرنم للرب، **نهتف لصخرة خلاصنا»** (مزمور ٩٤: ١).

«مبارك الرب صخرتى» (مزمور ١٤٣: ١).

«والصخرة كانت المسيح» (١. كورنثوس ١٠: ٤).

انظر أيضاً (التثنية ٣٢: ١٥، ٣١)، (٢. صموئيل ٢٢: ٤٧)، (مزمور ١٧: ٤٦)، (٣٩: ٢)، (٧٧: ٣٥)، (٨٨: ٢٦)، (٩٣: ٢٢)، (١. بطرس ٢: ٨).

نعم إن المسيح هو الصخرة والصخرة هى المسيح والإيمان بلاهوته وأنه ابن الله وصورة الله الغير المنظور (كولوسى ١: ١٥) «فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً غير الموضوع وهو يسوع المسيح» (١ . كورنثوس ٣: ١١)، (أفسس ٢: ٢٠)، (١ . بطرس ٢: ٤، ٦، ٧، ٨)، (إشعياء ٢٨: ١٦)، (٨: ١٤)، (مزمور ١١٧: ٢٢)، (متى ٢١: ٤٢)، (مرقس ١٢: ١٠)، (لوقا ٢٠: ١٧)، (أعمال ٤: ١١)، (رومية ٩: ٣٣).

ويقول **القديس أثناسيوس الرسولى** (٢٩٥ - ٣٧٣م) فى تفسيره للمزمور ١١٨: «حقاً إن إيمانك هو فى قديسيك الذين هم فى كل جيل أرضوك، **فإنك قد بنيت كنيستك على إيمانك** وبوابات الجحيم لن تقوى عليها» (١).

ويقول حامى الإيمان نفسه فى رسالته الأولى إلى سرابيون «فضلاً عن ذلك فإنه من الضرورى أن نفحص باهتمام وتدقيق فى الاعتقاد القديم وتقليد الكنيسة الجامعة الذى أعلنه الرب، وبشر به الرسل، وحفظه الآباء، **فإن الكنيسة قد تأسست على هذا الاعتقاد وهذا التقليد. فإذا توقف الإنسان عن هذا الاعتقاد فلم يعد ممكناً له أن يسمى مسيحياً ولم يعد مسيحياً على الاطلاق**» (٢).

ويقول **القديس يوحنا الذهبى فمه** (٣٤٧ - ٤٠٧) فى تفسيره على إنجيل القديس متى ١٦ «فماذا قال المسيح: مبارك أنت يا سمعان ابن يونا، لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا... وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى... **أى على الإيمان بهذا الاعتراف**». (٣).

ويقول **القديس كيرلس الإسكندرى الملقب بعمود الإيمان** (٤١٢: ٤٤٤م)، فى خطبته الثانية على سفر إشعياء «قال المسيح» أنت بطرس. وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، **والصخرة فيما أعتقد هى إيمان التلميذ الذى لا يتزعزع**. لقد قيل فى موضع اخر على فم المرتل «أساساته فى الجبال المقدسة»، «وجميل جداً أن يشبه الرسل القديسون والإنجيليون بالجبال، ذلك أن معرفتهم أقيمت أساساً لمن هم بعدهم...».

(١) مجموعة من MIGNE للآباء الذين كتبوا باليونانية صفحة ١١٩١.

(٢) رسالة القديس أثناسيوس الرسولى الأولى إلى سرابيون.

(٣) القديس يوحنا ذهبى الفم فى تفسيره على إنجيل متى ١٦.

«فالمسيح بقوله: مبارك أنت يا سمعان بن يونا... أظهر فيما أعتقد أن **الصخرة ليست غير الإيمان المتين الذى لا يتزعزع للتلميذ. وعلى هذا الإيمان الذى لا يزول أقيمت كنيسة الله وتأسست**، وستبقى صامدة إلى الأبد لا تستطيع بوابات الجحيم أن تهدمها» (١).

ويقول **القديس أوغسطينوس** (٣٥٤- ٤٣٠م) فى كتابه عن التثليث «قال الرب: إنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى... **على هذه الصخرة، إذن يقول أى على ما اعترفت به**، سأبنى كنيستى. **والصخرة كانت هى المسيح وعلى أساسها بنى بطرس هو نفسه**. «لأنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الموضوع وهو يسوع المسيح».

ويقول **القديس أوغسطينوس** أيضاً «... إننى أعلم أننى كثيراً ما فسرت ما قاله الرب «أنت بطرس وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى...» أنه يجب أن **يفهم من الصخرة أنها الرب الذى اعترف به بطرس** قائلاً أنت هو المسيح ابن الله الحى»... إنه لم يقل له «أنت الصخرة πέτρα PETRA وإنما بطرس πέτρος PETRUS **أما الصخرة** PETRA **فهى المسيح والذى اعترف به بطرس، والذى تعترف به الكنيسة بأسرها»**.

---

(١) مجموعة من MIGNE للآباء الذين كتبوا باليونانية مجلد ٨

«وبوابات الجحيم لن تقوى عليها»

فطالما أن الكنيسة مبنية على الإيمان بأن يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى فستظل قائمة ولن تفنى ولن تزول. فإذا زال هذا الإيمان بلاهوت المسيح زالت الكنيسة وضاعت.

على أن المسيح له المجد وعد وعداً هو كفيل بأن يحفظه وأن يحققه بأن **بوابات الجحيم لن تقوى عليها**. ومعنى هذا الوعد أن الإيمان بأن **يسوع هو المسيح الله ابن الله الحى** سيظل قائماً ولن يزول. إن بوابات الجحيم ستظل ترسل دائماً عملاء للشيطان يضطهدون المسيح والمؤمنين به ولكن هؤلاء العملاء سيفشلون جميعاً فى أن يستأصلوا الإيمان بالمسيح أنه ابن الله... وآخرهم هو الدجال الذى «سيبيده الرب يسوع بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه» (٢. تسالونيكى ٢ : ٨)، (إشعياء ١١ : ٤).

يقول الرب بفم إشعياء النبى:

«ها أنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندى. من اجتمع عليك، فإليك يسقط. ها إنى خلقت الحداد الذى ينفخ الجمر فى النار ويخرج أداة لعمله، وأنا خلقت المفسد للتدمير. كل آلة صورت ضدك لا تنجح. وكل لسان يقوم عليك، فى القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرهم من عندى، يقول الرب» (إشعياء ٥٤:١٥– ١٧).

* * *

ومع أن الرب يسوع كان يريد أن يعرفه تلاميذه على حقيقته، **أنه المسيح الله ابن الله الحى**، ومن أجل هذا استدرجهم للسؤال المهم والخطير «وأنتم من تقولون إنى هو؟» ولقد أثنى على الاعتراف الحسن الذى نطق به تلميذه سمعان بطرس بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن التلاميذ رفقائه، بل أنه أضاف إليه أن هذا الاعتراف وهذا الإيمان بحقيقته الإلهية هو الصخرة التى سيبنى عليها كنيسته، وبها تتميز عن كل جماعة أخرى تؤمن به وتحترمه كأى نبى ورسول حتى لو قالوا إنه نبى عظيم... إلا أنه بعد ذلك كله «**أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه هو يسوع المسيح**» (متى ١٦ :٢٠) ويقول الإنجيل أيضاً «**فنهاهم منتهراً عن أن يقولوا ذلك لأحد**» (لوقا ٩ :٢١)، ويقول الإنجيل حسب ما كتبه القديس مرقس «**فنهاهم بشدة عن أن يقولوا لأحد عنه**» (مرقس ٨ :٣٠).

والسؤال المهم التالى: إذا كانت قضية الإيمان بالرب يسوع أنه المسيح الله ابن الله الحى، قضية بهذة الدرجة من الأهمية القصوى، وأنها الصخرة التى يبنى المسيح عليها كنيسته، فلماذا

إذن يوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح بل أنه ينهاهم عن ذلك بشدة، وينتهرهم عن أن يقولوا ذلك لأحد؟.

الواضح من هذا أنه **لقصد إتمام عمل الفداء جاء الله الكلمة مستتراً فى الناسوت محتجباً فيه**. فلو أنه ظهر على حقيقته الإلهية، فمن هذا الذى كان يجرؤ على أن يقترب منه ليصلبه ويقتله ويميته؟ **بل إن الشيطان عدو خلاصنا لو انكشفت له حقيقة المسيح اللاهوتية، لكان يعمل جاهداً على تعطيل مهمة الفداء، وبدلاً من أن يهيج اليهود على أن يبتغوا صلبه وقتله، يصرفهم عن ذلك حتى يتعطل الخلاص.** لذلك قال الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول «**لأنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد**» (١. كورنثوس ٢ : ٨).

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يوصى المسيح فيها تلاميذه بأن لا يقولوا لأحد أنه يسوع المسيح وينهاهم بشدة عن أن يظهروه على حقيقته حتى لا يتعطل عمل الفداء.

فعندما تجلى على حقيقته أمام تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا على جبل تابور، وتغيرت هيأته أمامهم فأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور، متألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، حتى ليعجز أى قصار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها... وإذا سحابة من نور ظهرت وظللتهم، فخافوا وهم يدخلون فى السحابة وإذا صوت من السحابة يقول: «هذا هو ابنى حبيبى، الذى به سررت، فله اسمعوا. فسقط التلاميذ على وجوههم، وخافوا جداً، فجاء يسوع المسيح قائلاً: قوموا لا تخافوا...» وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: **لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. فكتموا هذا الأمر فى أنفسهم** متسائلين فيما بينهم: ما القيامة من بين الأموات، **ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشىء مما رأوا**» (متى ١٧ :١ – ٩)، (مرقس ٩ :٢ – ١٠)، (لوقا ٩ :٢٨ – ٣٦).

ولم يخف المسيح له المجد لاهوته عن الناس فقط، **بل أخفاه عن الشيطان أيضاً** حتى إنه إذا بهرت الشياطين بأعماله وقدراته ومعجزاته الإلهية، وصرخ بعض الشياطين أنهم عرفوه أنه ابن الله، وأنه قدوس الله، كان ينتهرهم ويخرسهم ويأمرهم أن لا يظهروه.

من ذلك ما يقوله الإنجيل «وفى المساء بعد غروب الشمس شرعوا يحضرون إليه كل المرضى والذين بهم شياطين، وقد اجتمعت المدينة كلها عند الباب، فشفى كثيرين من المصابين بأمراض

مختلفة، وأخرج كثيراً من الشياطين، **ولم يسمح للشياطين بالكلام، إذ عرفوه أنه هو المسيح»** (مرقس ١:٣٢-٣٤) «أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: إنك أنت هو ابن الله، **فكان ينتهرها بشدة كى لا تكشف عن حقيقة شخصيته»** (مرقس ٣:١١، ١٢) . «وكان فى المجمع رجل به روح شيطان نجس، فصرخ بصوت عظيم قائلاً: «مالك ولنا يا يسوع الناصرى؟ أجئت لتهلكنا؟ أنا أعرف من أنت. أنت قدوس الله» **فانتهره يسوع قائلاً: اخرس واخرج منه**. فصرعه الشيطان فى وسطهم وخرج منه» (لوقا ٤:٣٣-٣٥) «وكانت الشياطين أيضاً تخرج من كثيرين، وهى تصرخ قائلة: «أنت هو المسيح ابن الله» **فكان ينتهرها، ولا يسمح لها بأن تتكلم**، لأنها عرفت أنه هو المسيح» (لوقا ٤:٤١) .

وإذن لقد كانت سياسة الرب يسوع المسيح على الإجمال أن يخفى لاهوته عن الشيطان، حتى لا يعمل الشيطان على تعطيل عمل الفداء، فيتعطل عمل الخلاص، ويبطل الغرض الذى من أجله جاء المسيح إلى العالم. لذلك، فلكى يفوت المسيح له المجد على الشيطان خطته فى تعطيل الخلاص، ويفسد حكمته، كان إذا قام المسيح بعمل من أعمال القوة والقدرة لإثبات لاهوته كان يتبعه بعمل من أعمال الضعف، أى بعد أن يكشف عن ومضة من ومضات ألوهته كان يلحقها بفعل من أفعال إنسانيته، فيظهر أنه جائع أو عطشان أو متعب، أو ينام على وسادة ... وما إليها من أفعال إنسانية بشرية ليؤكد بها حقيقة الإنسانية التى اتخذها واتحد بها، ومن جهة أخرى لكى يربك حكمة الشيطان فيظن فى المسيح أنه بشر، مجرد إنسان، فيتحول إلى مقاومته وإثارة اليهود ضده حتى يبتغوا قتله وموته.

انظر توكيداً لذلك ما كان يقوله المسيح له المجد لمن يشفيه من برصه «**انظر لا تقل لأحد**» (متى ٨:٤) «**إياك أن تقول لأحد شيئاً**» (مرقس ١:٤٤) وللأعميين بعد أن فتح أعينهما «**إياكما أن تخبرا أحداً بذلك**» (متى ٩ : ٣٠) ولجميع من شفاهم، «**أوصاهم ألا يذيعوا خبره**» (متى ١٢:١٦) ولأهل ابنة يايرس التى أقامها من الموت «**أوصاهم مشدداً عليهم بألا يدعوا أحداً يعلم بالأمر**» (مرقس ٥:٤٣)، (لوقا ٨:٥٦) ولمن قدموا إليه الأصم الأخرس بعد أن شفاه فانفتحت أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة «**أوصاهم ألا يقولوا لأحد**» (مرقس ٧:٣٦) .

٢- وحدث أن شفى المسيح له المجد المولود أعمى ورد إليه البصر بأن تفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى المولود أعمى، أى طمس بالطين مقلتيه الفارغتين،

وبذلك خلق له عينين على نحو ما خلق الله آدم تراباً من الأرض (التكوين ٢ :٧)، الأمر الذى أثار الفريسيين إثارة شديدة حتى أخذوا يسائلون المولود أعمى وأبويه لا مرة بل مرات بغية أن يجدوا سبيلاً إلى إنكار المعجزة. فلما أصر الرجل على أنه هو الذى كان أعمى ثم أبصر بعد أن طمس المسيح بالطين عينيه، واعترف بالمسيح أنه نبىٌّ، وأنه من الله أتى، وشهد قائلاً: «ما سمعنا منذ بدء الزمان أن إنساناً فتح عينى مولود أعمى»... طرده اليهود من شركة المجمع اليهودى، وإذ علم الرب يسوع بذلك «فحين لقيه قال له: «**أتؤمن بابن الله**؟ أجاب وقال: من هو يا سيدى فأومن به؟ فقال له يسوع: «**إنك تراه وهو الذى يكلمك**». فقال: أؤمن يا سيدى، ثم سجد له» (يوحنا ٩ :١-٣٨).

فى هذه القصة الواقعة والمعجزة الباهرة التى دونها الإنجيل على يد القديس يوحنا اللاهوتى نسب المسيح إلى ذاته صراحة أنه (ابن الله) فى قوله للمولود أعمى بعد أن خلق له من الطين عينين فأبصر: «**أتؤمن بابن الله**؟» فلما سأله الأعمى الذى أبصر قائلاً: من هو يا سيدى فأؤمن به؟ أجابه علانية: **إنك تراه وهو هو الذى يكلمك**» (يوحنا ٩ :٣٨). وإذن ففى هذا الحوار بين المسيح والمولود أعمى يقول المسيح بوضوح. إنه بذاته «**ابن الله**» وهو بعينه المتكلم مع المولود أعمى، والذى رد إلى الرجل بصره بالمعجزة، فصار الرجل يراه بعينيه متحققاً من أنه **هو بذاته ابن الله**.

والمعنى من هذا الحوار ومن سؤال المسيح للمولود أعمى أن **المسيح يتطلب ممن ينضم تحت لوائه ويدخل فى رعويته ويصير عضواً فى مملكته أن يؤمن به ليس فقط كما كان يقول عنه الأعمى فى أولى مراحل الإيمان «إنه نبى» بل ينبغى أن يرتقى إيمانه به إلى مرتبة أنه «ابن الله»**.

على أن المفهوم الحقيقى من أن المسيح «**ابن الله**» كما وصل إلى المولود أعمى ليس من قبيل البنوة بالتبنى التى يدعى بها كل المؤمنين بالله أولاد الله (يوحنا ١ : ١٢) ولكنها البنوة بالطبع، أى **فى ذاته هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره أو هو صورة الله الغير المنظور**، بدليل أن المولود أعمى لم يكتف بقوله «أؤمن يا سيدى» وإنما أضاف إلى إيمانه واعترافه، شيئاً له دلالته وهو أنه «**سجد له**» (يوحنا ٩ :٣٨).

٣- والدليل الدامغ على أن هذا المفهوم هو الذى قصده المسيح إذ نسب إلى ذاته أنه «ابن الله» أى أنه ابن الله بالطبيعة والجوهر، وصورة الله الغير المنظور، هو أنه أصر عليه دائماً وكرره، وقد وصل على هذا النحو الذى قصده إلى أذهان اليهود.

قال الإنجيل «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضاً: «الله أبى، **مساوياً نفسه بالله**» (يوحنا ٥ :١٨). وإذن فاليهود قد فهموا من أنه نسب إلى ذاته أنه ابن الله، أن هذه البنوة **هى بنوة بالطبع لا بالوضع، بنوة حقيقية وليست نسبية، أى أنه ابن الله بالطبيعة والجوهر وأنه من ذات الله ومن جوهره، وهو الصورة المنظورة لله الغير المنظور، ولهذا السبب فإنه بذلك يكون مساوياً لله فى الجوهر وجميع الصفات والكمالات الإلهية، وأنه معه ومع الروح القدس واحد فى الجوهر.**

٤- وقال المسيح فى حواره الطويل مع اليهود «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ :٣٠) فعقب الإنجيل على ذلك بقوله مباشرة «فالتقط اليهود عندئذ حجارة مرة أخرى ليرجموه. فأجابهم يسوع قائلاً: إن أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجموننى؟ أجابه اليهود قائلين: أننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، **«لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً»** (يوحنا ١٠ :٣٠-٣٣).

وإذن لقد فهم اليهود من قول المسيح له المجد **«أنا وأبى نحن معاً واحد»** أنه ينسب إلى ذاته أنه واحد مع الآب فى الجوهر، **أى أنه كائن مع الآب فى الذات الإلهية الواحدة، ولذلك فهو والآب معاً ذات إلهية واحدة وجوهر إلهى واحد**. وهذه دعوى إن لم تكن صحيحة، فهى دعوى جريئة تعد تجديفاً على الله **لأنه بها ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب فى الجوهر وسائر الصفات والكمالات الإلهية. لهذا التقط اليهود حجارة ليرجموه بصفته مجدفاً على الله. وقال الكتاب المقدس: «ومن جدف على اسم الرب فليقتل قتلاً. ترجمه كل الجماعة رجماً. الغريب كالوطنى إذا جدف على الاسم يقتل» (اللاويين ٢٤ :١٦)، (١. الملوك ٢١ :١٠)، ولما سألهم الرب يسوع قائلاً: «إن أعمالاً كثيرة حسنة قد أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجموننى؟ أجابه اليهود صراحة قائلين: «إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، «لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً»** معنى ذلك أن اليهود قد فهموا من قول المسيح أنه **ابن الله وأنه هو وأبوه هما معاً واحد** أن هذه الدعوى هى ادعاء بالألوهة، **وأنه إله مع الله مساو له فى جميع الصفات والكمالات الإلهية، وأنهما معاً إله واحد.**

٥- قال المسيح له المجد لليهود: «أتقولون أنتم للذى قدسه الآب وأرسله إلى العالم أنك تجدف **لأنى قلت إننى أنا ابن الله**» (يوحنا ١٠:٣٦). فى هذا النص القدسى يصرح المسيح بوضوح أنه قال عن نفسه «**أنا ابن الله**» وقد كان هذا القول مثار نزاع وصراع وحوار بينه وبين اليهود. وبسببه إتهمه اليهود بأنه يجدف على الله، لأنه ينسب إلى ذاته صفة الألوهة بقوله «**أنا ابن الله**» الأمر الذى يستحق عليه القتل والرجم كما تأمر الشريعة (اللاويين ٢٤:١٦)، (١. الملوك ٢١:١٠)، وفعلاً لقد التقط اليهود حجارة ليرجموه تنفيذاً لما أمر الله به.

٦- وقال المسيح بصدد مرض لعازر عندما أرسلت إليه أختا لعازر مرثا ومريم تقولان: «يارب، هوذا الذى تحبه مريض» قال له المجد: «إن هذا المرض ليس مرضاً للموت، بل لأجل مجد الله، كى **يتمجد ابن الله به**» (يوحنا ١١:٤).

هنا أيضاً ينسب المسيح إلى ذاته صراحة أنه ابن الله بل إنه أيضاً **جعل مجده ومجد الله واحداً، مما يدل على حقيقة المساواة بينه وبين الله الآب**. وإذا كان الله قال صراحة «**أنا الرب وهذا اسمى، ومجدى لا أعطيه لآخر**» (إشعياء ٤٢:٨)، (٤٨:١١) فإن المسيح قد جعل ذاته مع الله واحداً حتى إنه يصرخ **بأن مجده ومجد الله واحد**.

٧- وعندما قبض العسكر وجند الهيكل على الرب يسوع المسيح فى ليلة آلامه مضوا به «إلى قيافا رئيس الكهنة، وكان قد اجتمع عنده كل رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة... وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله يبتغون شهادة زور ضد يسوع ليقتلوه، ولكنهم لم يجدوا، مع أن كثيرين شهدوا ضده زوراً، غير أن شهاداتهم لم تكن متطابقة... فوقف رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلاً: أما تجيب بشىء؟ ما هذا الذى يشهد به أولئك عليك؟ ولكنه ظل صامتاً ولم يجب بشىء. فعاد رئيس الكهنة وسأله قائلاً له: **استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله المبارك**؟ قل لنا. فقال له يسوع: **نعم أنا هو كقولك**. وإنى لأقول لكم كذلك إنكم منذ الآن سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء. فقالوا جميعاً: **أفأنت إذن ابن الله**؟ قال: **نعم أنا هو كقولكم**. وعندئذ مزق رئيس الكهنة ثيابه قائلاً: لقد جدف، فما حاجتنا بعد إلى شهادة شهود؟ ها أنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه. فماذا ترون؟ فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة شهود: فإننا بأنفسنا قد سمعنا من فمه هو. فحكموا عليه جميعاً بأنه يستوجب الموت» (مرقس ١٤:٥٣-٦٤)، (متى ٢٦:٥٧-٦٦)، (لوقا ٢٢:٦٦-٧١).

ومما تجدر ملاحظته أن الرب يسوع المسيح كان ملتزماً الصمت وهو واقف يحاكم أمام رئيس الكهنة القائم وأمام مجمع السنهدريم (لوقا٢٢-٦٦) ولم يجب بشيء على الإتهامات التى إتهمه بها عدد من شهود الزور الذين أتى بهم الرؤساء ليشهدوا ضده حتى تعجب رئيس الكهنة من صمته ووقف قيافا رئيس الكهنة فى وسط المجمع «وقال له: أما تجيب بشيء على ما يشهد به أولئك عليك؟ أما يسوع فظل صامتاً، عندئذ عمد رئيس الكهنة إلى استحلافه بالله الحى لكى يتكلم قائلاً: أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا: **هل أنت المسيح ابن الله المبارك؟** هنا قطع المسيح له المجد صمته، وفتح فاه ونطق بحقيقة شخصه «فقال له يسوع: **نعم أنا هو كقولك**» فعلى الرغم من أنه أخفى لاهوته عن الشيطان حتى لا يتعطل الصليب، وعلى الرغم من أنه «أوصى تلاميذه ألا يقولوا لأحد إنه هو يسوع المسيح» (متى ١٦ :٢٠) «ونهاهم بشدة منتهراً عن أن يقولوا لأحد عنه» (مرقس ٨ :٣٠)، (لوقا ٩ :٢١) مع ذلك لم يلزم الصمت عندما استحلفه قيافا رئيس الكهنة وسأله سؤالاً مباشراً قائلاً: «**استحلفك بالله الحى أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله المبارك؟** قل لنا. «بل أجاب على الفور بكمال الوضوح وبدون مواربة «**نعم، أنا هو كقولك**». أى **نعم أنا هو ابن الله الحى المبارك**. ثم أضاف بياناً لحقيقة هذه البنوة، وإيضاحاً لمعناها، وأنها ليست بنوة نسبية بل هى **بنوة حقيقية وطبيعية، أى أن المسيح هو من طبيعة الله** «**وهو ضياء مجده وصورة جوهره**» (العبرانيين ١ :٣) قائلاً: «وإنى أقول لكم كذلك إنكم منذ الآن **سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء**، ولما كان المقصود بالقدرة، الله العلى بذاته، لأنه هو ذو القدرة (أيوب ١٢ :١٣)، **والقدير** (التكوين ١٧ :١)، «**والقادر على كل شيء**» (الخروج ٦ :٣)، ولما كان الله ذاته فى لاهوته غير المحصور وغير المحدود لا يمين له ولا شمال، فيمين القدرة تعبير يكنى عن الله ذاته الذى له «كمال القدرة» (الحكمة ١٢ :١٧) «يمينك يارب معتزة بالقدرة». (الخروج ١٥ :٦).
والجلوس عن يمين القدرة هو الجلوس على عرش الله. فالمسيح بعد أن قام صعد «ودخل إلى السماء عينها» (العبرانيين ٩ :٢٤) «وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦ : ١٩)... «جلس عن يمين العظمة فى الأعالى» (العبرانيين ١ : ٣). «جلس عن يمين العظمة فى السماوات» (العبرانيين ٨: ١)... «جلس عن يمين الله إلى الأبد» (العبرانيين ١٠ :١٢)، «وجلس عن يمين عرش الله» (العبرانيين ١٢ :٢).

وأما أن المسيح **سيأتى على سحب السماء**، فذلك فى مجيئه الثانى عندما يأتى ليدين الأحياء والأموات إذ هو الديان. قال المسيح له المجد عن مجيئه الثانى للدينونة: «وفى تلك الأيام على أثر تلك المحنة ستظلم الشمس ولا يعطى القمر ضوءه، وتتساقط نجوم السماء، وتتزعزع القوات التى فى السماء. وحينئذ سيرون **ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد**» (مرقس ١٣ :٢٤-٢٦)، (متى ٢٤ :٢٩، ٣٠)، (لوقا ٢١ :٢٧)، (أعمال ١ :١١)، (الرؤيا ١ :٧)، (دانيال ٧ :١٣).

ولما كان يسوع المسيح قد نسب إلى ذاته صراحة أنه «**المسيح ابن الله المبارك**» **وأنه الجالس عن يمين القدرة، وأنه سوف يأتى على سحب السماء فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والموتى، فقد نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله العلى وحده، فهو وحده الجالس على العرش** (متى ٢٣ :٢٢). لذلك، فإن رئيس الكهنة قيافا عندما سمع هذه التصريحات الخطيرة لم يطق أن يسمعها فمزق ثيابه كما هى عادة اليهود إذا ما سمعوا أو رأوا شيئاً يتضمن إهانة الله (إشعياء ٣٦ :٢٢)، (٣٧ :١) وقال: «لقد جدف فما حاجتنا بعد إلى شهود؟ وقال يوجه الخطاب إلى أعضاء مجمع السنهدريم من رؤساء الكهنة والشيوخ: ها أنتم أولاء قد سمعتم الآن تجديفه، فماذا ترون؟ فقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة شهود؟ فإننا بأنفسنا قد سمعنا من فمه هو. فحكموا عليه جميعاً بأنه يستوجب الموت».

وإذن فالمسيح إذ نسب إلى ذاته أنه ابن الله، **فهو ينسب إلى ذاته الألوهة، والمساواة مع الله الآب فى الجوهر، وأنه صورة الله الغير المنظور، وهو ضياء مجده، وصورة جوهره.**

٨- وعندما ذهبوا بالرب يسوع إلى بيلاطس البنطى الحاكم الرومانى، يشكونه إليه ليستصدروا عليه الحكم بالموت، لم يجد بيلاطس فيه شيئاً يستوجب الموت وقال لهم صراحة «ها أنذا سأخرجه إليكم لتعلموا أنى لا أجد فيه خطيئة» فلما خرج الرب يسوع إليهم ورآه رؤساء الكهنة والخدام صاحوا نحو الحاكم «قائلين: اصلبه، اصلبه. فقال لهم بيلاطس: خذوه أنتم واصلبوه، فإننى لا أجد فيه خطيئة يدان عليها. فأجابه اليهود قائلين: إن لنا شريعة، وأنه على مقتضى شريعتنا يستحق الموت. **لأنه جعل نفسه ابن الله**» (يوحنا ١٩ :٣-٧).

وإذن فيسوع المسيح نسب إلى ذاته **أنه ابن الله**، واليهود علموا بذلك، ولاموه عليه، واعتبروا قوله تجديفاً على الله، ولولا أنهم فهموا مقولته على حقيقتها، وأنه **ابن الله حقاً فى**

الطبيعة والجوهر، وأنه صورة الله الغير المنظور لما اعتبروا قوله تجديفاً وذلك لأن يسوع المسيح لم يغفل أن يبين حقيقة شخصيته، وأنه ابن الله بالحقيقة وبالطبيعة والجوهر.

قال الإنجيل: «ثم صلبوه... وكان المارة يسبونه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: ياهادم الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلِّص نفسك. إن كنت أنت **ابن الله** فانزل عن الصليب وكذلك رؤساء الكهنة كانوا يهزأون به مع الكتبة والشيوخ قائلين: خلص آخرين ولا يستطيع أن يخلص نفسه، **إن كان هو ابن الله المختار**، إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. لقد اتكل على الله فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه، **لأنه قال أنا ابن الله**» (متى ٢٧:٣٥-٤٣)، (لوقا ٢٣:٣٥).

* * *

وبعد ذلك ما أكثر النصوص المقدسة التى نطق بها رب المجد يسوع المسيح، وفيها نسب المسيح إلى ذاته صراحة أنه **ابن الله**. من ذلك قوله:

«كذلك أقول لكم إنه إذا اتفق إثنان منكم على الأرض فى طلب أى شيء يُقضَى لهما **من أبى الذى فى السماوات**» (متى ١٨:١٩).

فهكذا يفعل **أبى السماوى** أيضاً بكم أنتم إن لم يغفر كل منكم لأخيه زلاته من كل قلبه» (متى ١٨:٣٥).

قال المسيح له المجد لأمه العذراء مريم وللقديس يوسف النجار «ولماذا تبحثان عنى؟ ألا تعلمان أننى **لابد أن أكون فيما هو لأبى؟**» (لوقا ٢:٤٩).

وقال الرب يسوع فى الهيكل لباعة الحمام «ارفعوا هذه من هنا، **ولا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة**» (يوحنا ٢:١٦).

وقال المسيح أيضاً «**لأن الله لم يرسل ابنه** إلى العالم ليدين العالم وإنما ليخلص به العالم» (يوحنا ٣:١٧).

«**إن أبى حتى الآن يعمل** وأنا أيضاً أعمل» (يوحنا ٥:١٧).

«وقال لهم: الحق الحق أقول لكم إن **الابن** لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئاً، إلا ما يرى الآب يعمله. لأن كل ما يعمله الآب **يعمله الابن أيضاً. فإن الآب يحب الابن**... لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، هكذا **الابن** يحيى من يشاء. فإن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلم

القضاء كله للابن ليمجّد الجميع الابن كما يمجدون الآب. ومن لا يمجد الابن لا يمجد الآب الذى أرسله... الحق الحق أقول لكم إن ثمت ساعة تأتى، وقد أتت الآن يسمع فيها الموتى صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون. لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته» (يوحنا ٥:١٩-٢٦).

«الأعمال التى أعطانى أبى لأنجزها، تلك الأعمال التى أنا أعملها، هى نفسها التى تشهد لى بأن الآب قد أرسلنى» (يوحنا ٥:٣٦).

«لقد جئت باسم أبى ولكنكم لا تقبلوننى» (يوحنا ٥:٤٣).

«إن موسى لم يعطيكم الخبز من السماء، وإنما أبى هو الذى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء» (يوحنا ٦:٣٢).

«لأن هذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٦:٤٠).

«فكل من استمع إلى أبى وتعلم منه يقبل نحوى» (يوحنا ٦:٤٥).

«فأنا أشهد لنفسى، ويشهد لى أبى الذى أرسلنى. قالوا له: أين أبوك؟ فأجاب يسوع قائلاً: إنكم لا تعرفوننى أنا ولا تعرفون أبى لو كنتم تعرفوننى لكنتم تعرفون أبى أيضاً» (يوحنا ٨:١٨، ١٩).

«حينما ترفعون ابن الإنسان تدركون عندئذ إنى أنا هو، وأنى لا أعمل شيئاً من نفسى وحدى، وإنما أتكلم بما علمنى أبى» (يوحنا ٨:٢٨).

«أنا أتكلم بما رأيت لدى أبى» (يوحنا ٨:٣٨).

«أكرم أبى وأنتم تهينوننى»)يوحنا ٨:٤٩).

«إن كنت أنا وحدى أمجد نفسى فليس مجدى شيئاً، وإنما هنالك أيضاً أبى هو الذى يمجدنى» (يوحنا ٨:٥٤).

«إن أبى يعرفنى وأنا أعرف الآب» (يوحنا ١٠:١٥).

«وسأبذل نفسى عن خرافى... لذلك يحبنى أبى إذ أبذل نفسى كى أستردها» (يوحنا ١٠:١٥-١٧).

«هذه هى الوصية التى قبلتها من أبى» (يوحنا ١٠ :١٨).

«إن الأعمال التى أعملها باسم أبى، هى تشهد لى» (يوحنا ١٠ :٢٥).

«إن خرافى أنا تسمع صوتى وأنا أعرفها، فهى تتبعنى... إن أبى الذى أعطانيها هو أعظم من الجميع، فلا يقدر أحد من أن يختطفها من يد أبى، **أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ :٢٧–٣٠).

«إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال، لتعلموا وتعرفوا أنى **أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٠ :٣٧، ٣٨).

«ورفع يسوع عينيه إلى فوق، وقال: **يا أبتاه أشكرك**» (يوحنا ١١ :٤١)، (متى ١١ :٢٥)، (٢٦ :٣٩، ٤٢)، (مرقس ١٤ :٣٦)، (لوقا ٢٢ :٤٢)، (٢٣ :٣٤)، (يوحنا ١٢ :٢٧، ٢٨)، (١٧ :١).

«ومن يخدمنى يكرمه أبى» (يوحنا ١٤ :١٢).

«**أنا فى أبى وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٤ :١٠).

«صدقونى أنى فى أبى **وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٤ :١١، ٢٠).

لأننى ماض إلى أبى» (يوحنا ١٤ :١٢).

«الذى يحبنى يحبه أبى» (يوحنا ١٤ :٢١).

«من يحبنى يحفظ كلامى ويحبه أبى، وإليه نأتى وعنده نقيم» (يوحنا ١٤ :٢٣).

«لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى أبى لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ :٢٨).

«إنى أحب أبى، وإنى أعمل ما أوصانى به أبى» (يوحنا ١٤ :٣١).

«أنا هو الكرمة الحقيقية وأبى هو الكرام» (يوحنا ١٥ :١).

«بهذا يتمجد أبى: أن تأتوا بثمر كثير» (يوحنا ١٥ :٨).

«كما أحبنى أبى هكذا أحببتكم أنا» (يوحنا ١٥ :٩).

«إن حفظتم وصاياى ثَبتُّم فى محبتى، كما إنى أنا حفظت وصايا أبى وثبت فى محبته» (يوحنا ١٥ :١٠).

«وأما أنتم فقد دعوتكم أحباء لأننى عرفتكم بكل ما سمعته من **أبى**» (يوحنا ١٥:١٥).

«إن الذى يبغضنى يبغض **أبى** أيضاً» (يوحنا ١٥ :٢٣).

«وأما الآن فقد رأونى وأبغضونى أنا **وأبى**» (يوحنا ١٥ :٢٤).

«ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند **أبى** ، روح الحق المنبثق من الآب فهو يشهد لى» (يوحنا ١٥ :٢٦).

«إننى منطلق إلى **أبى** فلا تروننى بعد» (يوحنا ١٦ :١٠ ، ١٦ ، ١٧).

«لست وحدى، لأن **أبى معى**» (يوحنا ١٦ :٣٢).

«**يا أبتاه** قد أتت الساعة. مجد **ابنك** ليمجدك **ابنك**» (يوحنا ١٧ :١).

«فالآن مجدنى **يا أبتاه** عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك من قبل كون العالم» (يوحنا ١٧ :٥).

«**يا أبتاه** القدوس احفظهم فى اسمك» (يوحنا ١٧ :١١).

«**يا أبتاه** أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى» (يوحنا ١٧ :٢٤).

«**يا أبتاه** الحق إن العالم لم يعرفك، وأما أنا فعرفتك» (يوحنا ١٧ :٢٥).

«فقال لها يسوع: لا تمسكى بى هكذا، فإنى لم أصعد بعد إلى **أبى**» (يوحنا ٢٠ :١٧).

«من يغلب فإنه سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف بإسمه أمام **أبى** وأمام ملائكته» (الرؤيا ٣ :٥).

«من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى على عرشى كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع **أبى** على عرشه» (الرؤيا ٣ :٢١).

انظر أيضاً (متى ٢١ :٣٧ ، ٣٨)، (٢٨ :١٩)، (مرقس ١ :١)، (١٢ :٦)، (لوقا ٢٠ :١٣)، (يوحنا ٨ :٣٦)، (١٤ :١٣)، (١٦ :٣)، (أعمال الرسل ١٣ :٣٣).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته
أنه ابن الله الوحيد

لقد نسب المسيح إلى ذاته أنه **ابن الله** بمعنى أنه **صورة الله الغير المنظور**، (كولوسى ١: ١٥) وأنه «**من رآه فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤: ٩) وأنه «**ضياء مجده وصورة جوهره**» (العبرانيين ١: ٣).

بيد أن يسوع المسيح لم يكتف بأن ينسب إلى ذاته أنه ابن الله، وإنما أضاف بياناً لحقيقة هذه البنوة، أنها بنوة فريدة لا يشرك ولا يشترك معه فيها آخر، فهى بنوة متميزة عن أى بنوة أخرى تنسب إلى الإنسان.

قال الرب يسوع المسيح «إنه إلى هذا المدى أحب الله العالم حتى إنه بذل **ابنه الوحيد** لكى لا يهلك كل من يؤمن به، وإنما ينال الحياة الأبدية. لأن الله لم يرسل **ابنه** إلى العالم ليدين العالم، وإنما ليخلّص به العالم. فالذى يؤمن به لا يدان. وأما الذى لا يؤمن به فقد أدين لأنه لم يؤمن باسم **ابن الله الوحيد**» (يوحنا ٣: ١٦، ١٧، ١٨).

فى هذا النص ينسب الرب يسوع إلى ذاته أنه **ابن الله الوحيد** بمعنى أنه الواحد الوحيد وحده، وليس آخر، يشترك معه فى هذه البنوة. انظر أيضاً (يوحنا ١: ١٤، ١٨)، (١. يوحنا ٤: ٩).

والجميل أن تعبير «ابن الله الوحيد» يقابله باللغة اليونانية μονογενής ى الوحيد الجنس أو الوحيد من جنسه. والمعنى أنه متفرد، وليس له نظير من نوعه أو من جنسه. فلا يقال إذن أنه ابن الله على نحو ما أن الله أعطى المؤمنين باسمه أن يصيروا أولاد الله (يوحنا ١: ١٢، ١٣) فإن هذه البنوة الممنوحة بالنعمة لم تجعل المؤمنين أبناء الله بالطبيعة، ولن تصيرهم من جنس الله ومن نوعه، فسيظل الله فى طبيعته متميزاً عن الإنسان فى طبيعته، **أما المسيح فهو من طبيعة الله الآب ومن جوهره، ومن نوعه ومن جنسه**، وليس غريباً عنه، فهو «**نور من نور، إله حق من إله حق، مولود منه غير مخلوق**»، **مولود منه ولادة الضوء والنور من الشمس، ولادة أزلية أبدية، بمعنى أنه لم تمر لحظة فى الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن معه**، مثله مثل ضياء الشمس كان فيها ومنها منذ كانت الشمس شمساً، فلم تمر لحظة من الزمن كانت الشمس ولم يكن لها ضياء أو نور.

بأى معنى نفهم أن المسيح ابن الله

لقد نسب المسيح إلى ذاته أنه **ابن الله الحى**.

وقال إن هذه الحقيقة **هى الصخرة التى يبنى كنيسته عليها**، وأن بوابات الجحيم لن تقوى عليها (متى ١٦: ١٨).

فما معنى هذه البنوة؟ وبأى معنى نفهم أن المسيح ابن الله؟.

هنا يجب أن نقرر بكل اليقين وبكل الوضوح أن هذه البنوة تختلف اختلافاً جذرياً وأساسياً عن مفهوم البنوة كما هى فى عالم الإنسان وعالم الحيوانات العجماوات.

والحق أن ضيق اللغة البشرية هو المسئول عن اللبس الذى قد تعثر به بعض الناس فأساءوا الفهم.

فمن الناس من غلب على تصوراتهم تفكيرهم المادى والحسى، فنزلوا فى فهم البنوة إلى مفهوم ترابى جسدانى لحمى، فسقطوا فى هرطقات وتعاليم فاسدة، ومنهم الأريوسيون والنساطرة وشهود يهوه ومن إليهم...

ولقد نسوا أو غاب عنهم أن اللفظ الواحد فى كل لغة قد يتخذ أكثر من معنى. وأحياناً ينصرف إلى عدد من المعانى، حتى إن بعض قواميس اللغات يسجل للكلمة الواحدة استعمالات كثيرة متقاربة طوراً، ومتباعدة طوراً آخر. ولما كانت اللغة الإنسانية بطبيعتها مادية فى أصولها ونشأتها، وهى فى منابعها واشتقاقها محاكاة للطبيعة الكونية والحية فى أصواتها... فلا غرو أن يكون للفظ أصلاً معناه المادى والحسى، ومنه تنشعب معانى أخرى تقترب قليلاً أو كثيراً من المعنى الحسى. وبتقدم الإنسان وازدياد احتياجه، تتعقد حاجاته فى التعبير عن المعانى المجردة التى تأخذ شيئاً فشيئاً فى الابتعاد عن المعنى الحسى فى قالبه اللفظى... إلى أن بلغ الإنسان أحياناً مرحلة يعطى فيها اللفظ معنى تضاد أحياناً المعنى الاشتقاقى للكلمة...

كل هذا مرده إلى ضيق اللغة البشرية من جهة، وإلى ماديتها من جهة أخرى. ثم إلى نمو حاجة الإنسان إلى التعبير عن نفسه روحياً ونفسياً وذهنياً ومادياً. لهذا ظهر فى اللغات البشرية ما يعرف بالمعنى (الاشتقاقى) للفظ ثم المعنى (الاصطلاحى) ودخل فى كل لغة ما يعرف بالرمز والاستعارة والتورية وما إليها.

ومهما يكن من أمر ففى قول الإنجيل عن المسيح أنه ابن الله معنى يختلف إختلافاً بيناً عن استخدام كلمة (ابن) كما هو مفهوماً فى عالم الإنسان أو فى عالم الحيوانات العجماوات.

لذلك لزم التنويه، والبيان، والاستدراك.

ونحن هنا نفرد فصلاً فى إبراز المعنى (الاصطلاحى) الذى يتفرد به مفهوم (البنوة) فى الحقيقة الإلهية المعلنة فى الإنجيل المقدس أن **المسيح ابن الله**، واستبعاد كل لبس ينشأ من استخدام لفظ (ابن) فى لغة الناس يستعملونه بمعناه الحسى المادى فى عالم الإنسان وعالم الحيوانات العجماوات.

هذا البيان والايضاح نسطره فى نقاط متميزة، فنقول:

أولاً. أن بنوة المسيح للآب بنوة روحية عقلية، لا مادية أو حسية أو جسدانية

إن هذه البنوة روحية وليست مادية، عقلية وليست حسية جسدانية.

ولقد أخطأ بعض الهراطقة إذ فهموا بنوة المسيح لله الآب على أنها على غرار بنوة الإنسان للإنسان، فقالوا: إذا كان المسيح ابن الله، فمعناه أن الله ولد على نحو ما ولد إبراهيم إسحاق، ومعناه بالتالى أن تكون لله صاحبة وهذا يقتضى الزواج، ويتطلب الذكر والأنثى وشهوة الجنس، وحاشا لله من ذلك!.

أما المسيحيون فلا يقولون بشىء من هذا، فعندهم أن **الله لم يلد ولم يولد كما يلد** الإنسان، ولا ينسبون إلى الله صاحبة، إنما هم إذ يقولون ما قال الإنجيل إن المسيح ابن الله، لا يأخذون هذه البنوة على مفهوم حسى مادى جنسى كما ظن الهراطقة خطأ، لأن الولادة أو البنوة بالنسبة للمسيح **بُنُوة روحية عقلية، لا مادية ولا جسمية، وهى كولادة النور من النور، وكولادة الفكر من العقل.**

فالشمس تضىء وتنير، والضوء أو النور يصدر عنها ويتولد منها من غير حاجة إلى زواج بين ذكر وأنثى. وكذلك الفكر يتولد من العقل ولادة روحية ذاتية من غير ذلك المفهوم الجنسى الذى يتبادر إلى الذهن عندما يتكلمون فى مجال ولادة الإنسان من الإنسان والحيوان الأعجم من الحيوان الأعجم.

ثانيا. أن بنوة المسيح للآب بنوة حقيقية، لا نسبية

ليس معنى أن بنوة المسيح لله الآب بنوة روحية عقلية أنها بنوة نسبية من قبيل قول الكتاب المقدس عن أبناء شيث إنهم «أبناء الله» (التكوين ٦ :٢) وعن الملائكة إنهم «بنوا الله» (أيوب ١ :٦) أو من قبيل القول عن المصريين إنهم (أبناء النيل) أو (أبناء مصر) أى المنتسبين إلى النيل وإلى مصر.

نعم، إن بنوة المسيح لله الآب ليست بنوة نسبية، **وإنما هى بنوة حقيقية**، أى أن المسيح من حيث لاهوته **هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره**، وهذا هو المعنى من قولنا فى قانون الإيمان إنه «**واحد مع الآب فى الجوهر**» أى أنه كائن مع الآب فى جوهر واحد، والجوهر الواحد هو الله، لأن الله واحد، وليس غيره إله.

ثالثا. أن بنوة المسيح لله الآب بنوة أزلية لا زمنية

إن المسيح ابن الله بمعنى أنه من طبيعته ومن جوهره، وهو «نور من نور» وهو «ضياء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١ :٣). **أى لم تمر لحظة من الزمن كان فيها الآب ولم يكن الابن معه. فهو كائن معه وفيه منذ الأزل.**

ليست إذن بنوة المسيح لله الآب على نحو بنوة إسحاق لإبراهيم لأن إبراهيم بصفته الوالد والأب أسبق فى الزمن على إسحاق ابنه، ذلك أن إبراهيم كان موجوداً فترة طويلة نحو مائة عام قبل أن يوجد إسحاق ويولد. فإسحاق متأخر فى الزمن على إبراهيم والده. وهكذا نقول عن كل نوع من البنوة فى عالم الإنسان... الابن هو الأصغر فى الزمن، وأبوه أقدم منه وأكبر... ولكن ليس الأمر كذلك فيما يتصل بالمسيح. **إن المسيح من حيث لاهوته كائن مع الآب منذ الأزل ولم يحدث وقت فى الزمن إلا وكان الابن مع الآب بغير افتراق فى الزمن**، قال الكتاب المقدس عن المسيح «**فى البدء كان الكلمة** والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله» (يوحنا ١ :١، ٢) والبدء هنا هو الأزل. وقال أيضاً «مخارجه منذ القديم، **منذ أيام الأزل**» (ميخا ٥ :٢).

ويقول القديس **أثناسيوس الرسولى**: «كما أن الماء ينبع من النبع، وكما أن أشعة الشمس متصلة بالشمس نفسها، ولا يمكن أن نتصور النور دون أن تكون أشعته معه منذ أن كان نوراً.

هكذا أيضاً **لا يمكن أن نتصور لحظة من الزمان كان الله فيها كائناً ولم يكن الكلمة كائناً معه**، إذ يكون هذا معناه أن الله كان فى لحظة من اللحظات بغير عقل، وهو ما لا يمكن تصوره إذ أن الله هو العقل الأعظم منذ الأزل.

لقد أنكر أريوس أزلية الابن مع الآب، لأنه فهم البنوة على نحو البنوة فى عالم الإنسان إذ الوالد يسبق ولده فى الزمان، والولد يتأخر فى وجوده عن والده... لهذا وجب التحذير من أن تفهم بنوة المسيح لله الآب على نحو البنوة فى عالم الناس... إن بنوة المسيح لله إذن **بنوة أزلية وليست زمانية، أى أن المسيح كائن مع الله الآب منذ الأزل**، «نور من نور».

«إن الله نور» (١. يوحنا ١:٥)، و «أبو الأنوار» (يعقوب ١:١٧)، والمسيح له المجد هو «نور» الله الآب (يوحنا ١:٧)، (٣:١٩)، (٨:١٢)، (١٢:٣٥)، (الرؤيا ٢١:٢٣) و «النور الحقيقى» (يوحنا ١:٩)، (١. يوحنا ٢:٨) وهو «ضياء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١:٣). وعلى ذلك **فالمسيح من حيث لاهوته أزلى مع الآب**، وليس هناك أسبقية فى الزمن للآب على الابن، ولا تأخر فى الزمن للابن عن الآب... **إنما الابن كائن مع الآب منذ الازل**، لأن الله الآب نور، والابن هو نور الله الآب... وهذا معنى ما جاء فى قانون الإيمان عن المسيح، وهو الله الابن، أنه «**نور من نور**».

والله هو العقل الأعظم... وهو العقل فى ذاته... وهو العاقل لذاته ولكل الوجود... وهو أيضاً **المعقول لذاته**. والمسيح من حيث لاهوته هو عقل الله الذى به خلق العالمين (العبرانيين ١:٢)، «كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان» (يوحنا ١:٣). لذلك أيضاً سمى **بالكلمة أو اللوغوس «فى البدء كان الكلمة...، وكان الكلمة هو الله»** (يوحنا ١:١) والكلمة أو اللوغوس هو العقل ظاهراً أو متجسداً. «عظيم هو سر التقوى الله **ظهر فى الجسد**» (١. تيموثيئوس ٣:١٦). **فليس هناك فارق فى الزمان بين الله الآب، والله الابن، لأن الله الابن هو الكلمة أو العقل الإلهى فى ذاته، متجلياً، ومتجسداً، وظاهراً.**

رابعاً. أن بنوة المسيح لله الآب بنوة متصلة لا منفصلة

فى عالم الإنسان، نرى المولود له كيان منفصل ومستقل عن أبيه وعن أمه. فبمجرد ميلاده يصير الولد كائناً غير الأب وغير الأم، له وجوده وحياته وكيانه الخاص به، وقد صار بالميلاد جوهراً ثالثاً حياً بذاته، بحيث قد تموت الأم بعد ميلاده وقد يموت الوالد ومع ذلك يحيا الولد ولا يموت بموت أبويه أو أحدهما. وليس كذلك الأمر بالنسبة للمسيح **فهو من حيث لاهوته غير منفصل عن الآب. لأن لاهوته هو لاهوت الآب. والابن يحيا بالآب** (يوحنا ٦ :٥٧)، والآب يحيا بالابن. قال المسيح «أنا هو الحياة» (يوحنا ١٤ :٦) وقال الإنجيل «فيه كانت الحياة» (يوحنا١ :٤). وإذن فالابن، **أى المسيح من حيث لاهوته، لم ينفصل عن الآب، بل هو كائن مع الآب** (يوحنا ١٦ :٣٢)، و (**فى حضن الآب**) (يوحنا ١ :١٨)، «**وفى الآب**» (يوحنا ١٤ :١٠، ١١، ٢٠)، (١٧ : ٢١، ٢٣)، والآب أيضاً كائن مع الابن «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ :٣٠) وكائن فى الابن (يوحنا ١٠ :٣٨)، (١٤ :١٠، ١١).

فالآب والابن معاً فى الجوهر الإلهى الواحد والذات الإلهية الواحدة بغير افتراق، منذ الأزل وإلى الأبد.

وإذ أن الله نور (١. يوحنا ١ :٥)، والمسيح هو النور (يوحنا ١ :٧)، والنور الحقيقى (يوحنا ١ :٩) وهو لله الآب «ضياء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١ :٣) والنور الحقيقى لا ينطفىء، **فالابن لا يفارق الآب ولا ينفصل منه أو عنه. وإذا كان نور الشمس يشع منها ومع ذلك لا يفارقها، فالابن كائن مع الآب، منذ الأزل وإلى الأبد، ولا يفارقه.**

وإذ أن الله هو العقل الأعظم والابن هو اللوغوس أو الكلمة أو العقل الإلهى **فالابن لا يفارق الآب، وإنما هو كائن معه إلى الأبد.** لأنه إذا كان الفكر يتولد من العقل ومع ذلك لا ينفصل عنه، فبالأحرى الابن لا ينفصل عن الآب ولا يفارقه، وإنما هو كائن معه منذ الأزل وإلى الأبد.

خامساً. إن بنوة المسيح لله بنوة بالطبع لا بالوضع

إن يسوع المسيح من حيث لاهوته هو ابن الله، بمعنى أنه **من طبيعة الله ومن جوهره** فهو ليس شبيهاً به وإنما من طبيعة ذاته. فالآب والابن في ذات إلهية واحدة. وليس ثمت اختلاف بين الآب والابن في الطبيعة والجوهر والذات.

هنا ينبغي أن نفرق تفريقاً حاسماً واضحاً بين أن يكون المسيح ابن الله وبين أن يكون الأبرار من بين الناس (أولاد الله) كمل قيل مثلا عن أبناء شيث وذريته إنهم «أبناء الله» (التكوين ٦:٢) بمعنى أنهم من عائلة الله الذين ينتمون إلى الله ويعبدونه ويتقونه، فهم أبناؤه بالانتماء إليه، ولكنهم ليسوا مع ذلك من طبيعته ومن جوهره. فالإنسان الأول وهو آدم خلقه الله على صورته ومثاله (التكوين ١:٢٦، ٢٧)، (٥:١)، (١. كورنثوس ١١:٧) فهو على مثال الله وصورته بمثابة ظله، يشبهه ولكنه لا يساويه. والروح التي صار بها آدم إنسانا هي نفخة الله في أنف آدم (التكوين ٢: ٧) **والنفخة** ليست قطعة من جوهر الله ذاته وطبيعته لكنها (نفخة) منه (قوة) من روحه تحمل بعض سماته وشيئاً من صفاته، لكنها ليست جزءاً من ذاته الإلهية.

وبهذا المعنى قال اليهود للمسيح «إننا لم نولد من زنى، وإنما لنا أب هو الله وحده» (يوحنا ٨:٤١) والمقصود من أن الله أبوهم أي أنه خالقهم وسيدهم وهم عبيده المنتمون إليه، الذين دعي اسمه عليهم، وصاروا به معروفين ومتميزين أنهم شعب الله (مزمور ٤٦:٩)، (إرميا ٧:٢٣)، (١١:٤)، (حزقيال ١١:٢٠)، (١٤:١١).

انظر أيضاً (متى ٦:١، ٦، ٨، ١٤، ١٥، ١٨، ٢٦، ٣٢)، (٧:١١).

كذلك منح الله المؤمنين باسمه، ممن ولدوا الميلاد الثاني بالماء والروح أي المعمودية أن يصيروا أولاد الله «أما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا (أبناء الله)، أولئك هم المؤمنون باسمه، الذين ولدوا، لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله ولدوا» (يوحنا ١:١٢، ١٣)، (يوحنا ٣:٣، ٥)، (تيطس ٣:٥) وبناء عليه أمكن للذين آمنوا واعتمدوا أن يصلوا لله قائلين «أبانا الذي في السماوات» (متى ٦:٩)، (لوقا ١١:٢).

انظر أيضاً (رومية ١:٧)، (١. كورنثوس ١:٣)، (٢. كورنثوس ١:٢)، (غلاطية ١:٤)، (أفسس ١:٢)، (فيلبي ١:٢)، (كولوسي ١:٢)، (١. تسالونيكي ١:١، ٢)، (٣:١١، ١٣)، (٢. تسالونيكي ١:٢)، (٢:١٦)، (١. تيموثيئوس ١:٢)، (فليمون:٣).

على أن الذين صاروا أولاد الله بالإيمان والمعمودية لم يصيروا أولاد الله بالطبيعة والجوهر، ولكنهم صاروا ينعمون بهذا الحق، من قبيل التبنى بالفضل والإنعام. فمازالوا بشراً ولم يتحولوا إلى آلهة، لكنهم صاروا بشراً مغفورة خطاياهم مبررين بدم المسيح، أعضاء فى مملكته الجديدة، وصاروا قادرين على أن يدخلوا فردوس النعيم وملكوت الله... ومثلهم فى ذلك مثل ولد يتيم تبناه إنسان غنى ليس له ولد من صلبه، فتبنى الولد اليتيم وصار اسمه يدعى عليه... فقد صار اليتيم ابناً لذاك الغنى، بحق التبنى. وصار اليتيم بالتبنى غنياً ينعم بنعيم لم يكن له من قبل وهو فى الفقر واليتم، ولكنه صارت له البنوة بفضل الغنى الذى رق له وأحسن إليه وأنعم عليه... ومع ذلك فاليتيم ليس ابناً للغنى بالطبيعة، أى ليس من صلبه ولا من دمه، فبنوة اليتيم لذاك الغنى بنوة لا بالطبع **بل بالوضع** أى أن الغنى صار لليتيم فى وضع الأب وإن لم يكن أباه على الحقيقة، وصار اليتيم للغنى فى وضع الابن. وإن لم يكن ابنه بالطبيعة.

هكذا يبدو الفرق واضحاً بين بنوة الإنسان لله فى قول المسيحيين لله «أبانا الذى فى السماوات» وبين بنوة المسيح لله... **إن بنوة المسيحيين لله هى بنوة ممنوحة ومكتسبة وليست بنوة أصيلة بالطبيعة... إنها ممنوحة إنعاماً من الله وتفضلاً منه تعالى فهى بنوة مفتعلة ومصطنعة بالتبنى.**

أما بنوة المسيح لله فهى طبيعية لا مفتعلة... بنوة أصيلة بحق المساواة والهوية فى الطبيعة والجوهر والذات... فهى إذن بنوة بالطبع، لأن الابن أى المسيح من حيث لاهوته من طبيعة الله الآب ومن جوهره. وفى ذلك يقول المسيح **«أنا وأبى نحن معاً واحد»** (يوحنا ١٠:٣٠) **أى جوهر واحد، وطبيعة واحدة، وذات إلهية واحدة.** وقال لتلاميذه **«إن من رآنى فقد رأى الآب»** (يوحنا ١٤:٩) وقال كذلك «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه»** (يوحنا ١٤:٧)، (١٩:٨) فمن رأى الابن فقد رأى الآب. وقد رأى التلاميذ الآب فعلا فى المسيح. وهذا لا يكون إلا لأن المسيح من حيث لاهوته هو من طبيعة الله الآب ومن جوهره.

وهذا هو المعنى من قولنا فى قانون الإيمان عن الرب يسوع المسيح إنه **«مولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر» فهو مولود من الآب منذ الأزل، قبل كل الدهور، ولادة النور من الشمس، ولادة أزلية، منذ الأزل، فمنذ أن كان الله فنوره منه، يضىء**

ويشع ويسطع ويبهر، وهو فى ذاته نور والآب أيضاً نور، فالابن من طبيعة الآب ومن جوهره لأن طبيعة الآب نور وطبيعة الابن هى النور بعينه، والابن إله من طبيعة لاهوت الآب. **فليس ثمـة إلهـان، ولكن إله واحـد، لأن اللاهوت الذى فى الابن هو من طبيـعـة اللاهوت الذى فى الآب، أى أن لاهوت الابن من لاهوت الآب، فـالابن والآب لاهوت واحد وذات إلهية واحدة.**

وهو «مولود» لأنه نور يضىء ويشع من نور الآب، والولادة هنا بمعنى الإضاءة والإشعاع بالنور من النور، ولكن لا بمعنى الخلق، ولذلك فهو **«مولود، غير مخلوق»**.

وإذ أن الابن نور من نور فهو من طبيعة الآب ومن جوهره فهو واحد معه فى الجوهر، أى من ذات جوهر الآب ومن ذات طبيعته.

هذا هو المعنى من قولنا إن المسيح من حيث لاهوته هو ابن الله **بالطبع لا بالوضع.**

سادساً. أن بنوة المسيح لله بنوة متفردة وليس لها نظير

إذا كانت بنوة المسيح لله فى قول المسيح عن ذاته إنه ابن الله الحى، وقول الإنجيل عنه إنه ابن الله، وابن الله الوحيد، **بنوة روحـيـة عـقليـة لا حـسيـة ولا مـادية ولا جسدانية.**

ثم هى بنوة حقيقية لا نسبية.

وهى بنوة أزلية لا زمنية.

وبنوة متصلة لا منفصلة.

وبنوة بالطبع لا بالوضع.

فهى إذن بنوة من نوع خاص لا نظير لها فى عالم الإنسان بخاصة، ولا فى عالم المادة والحواس بعامة.

إن بنوة المسيح لله بنوة متميزة متفردة.

ولذلك ينبغى أن نستبعد فى فهمها كل مفهوم ينطوى عليه أو يشير إليه لفظ البنوة أو الابن فى عالم الإنسان، مما يقتضى الحسية والمادية أو يتطلب النقص فى الأزلية، أو الانفصال والافتراق عن الآب، إلا مفهوم واحد أحد هو **وحدة الطبيعة والجوهر والمساواة فى جميع الصفات والكمالات الإلهية.**

ولعله لذلك وصف المسيح ذاته، كما وصفه الإنجيل بأنه «ابن الله الوحيد» (يوحنا ١:١٤، ١٨)، (٣:١٦، ١٨)، (١. يوحنا ٤:٩).

والمعنى واضح أنه ليس لله ابن من طبيعته ومن جوهره إلا واحد ووحيد، وهو يسوع المسيح، **فهو المتفرد بذاته بأنه ابن الله بالطبيعة**، وليس ثمت كائن آخر، ملاك أو إنسان، يمكن أن يتصف بأنه ابن الله بالمعنى الحقيقى والكامل للبنوة الإلهية التى تعيّن المساواة المطلقة للآب فى جميع الصفات والكمالات الإلهية إلا **يسوع المسيح وحده.**

لماذا سمى يسوع المسيح ابن الله ؟

هنا نأتى إلى سؤال مهم يثار عادة من غير المسيحيين، وقد يثار أيضاً من المسيحيين.

والسؤال هو: **لماذا يسمى المسيح ابن الله ؟**

إذا كانت بنوة المسيح لله بنوة لا نظير لها فى عالم الناس، ولا شبيه لها فى عالم المادة والحواس وعالم الشهادة بعامة، فلماذا إذن يسمى المسيح فى الكتاب المقدس «**ابن الله**» ؟.

١ - الجواب على ذلك أنه وإن كان المفهوم المعلن فى الحق الإلهى والذى كشفه المسيح عن ذاته، وكشفه الإنجيل وأسفار الوحى المقدس، يختلف إختلافاً واضحاً وجذرياً عن المفهوم المتداول فى لغة البشر عن البنوة المادية والحسية، مع ذلك فالتعبير عن المسيح أنه ابن الله هو التعبير المناسب لعقل الإنسان وتصوره، من حيث **هو أصلح تعبير فى لغة البشر يشرح نسبة الكيان الإلهى الذى ظهر فى شخص يسوع المسيح وتمثل فيه، إلى الكيان الإلهى المعروف سابقاً قبل التجسد والذى وصفه الوحى الإلهى** بأنه الله، والرب، والآب السماوى، وإله السماوات، والديان، والعلى، وأبو الأرواح، وخالق السماوات والأرض والبحار، ويهوه، والكائن الذى كان والدائم إلى الأبد، والقادر على كل شىء.

وبلسان آخر إن تعبير «الابن» هو أوفق تعبير يفهمه الناس بلغة الناس **لبيان الصلة بين الله الغير المنظور، وبين الله وقد صار منظوراً فى يسوع المسيح «الله ظهر فى الجسد»**.

بين الله الذى فى لاهوته نور ويسكن السماء فى نور لا يدنى منه، «الذى لم يره أحد من الناس قط ولا يقدر أن يراه» (١. تيموثيئوس ٦:١٦)، (الخروج ٣٣:٢٠)، (يوحنا ١:١٨) **وبين الله وقد احتجب فى إنسانيتنا، ومتخذاً صورة عبد، وصائراً فى شبه الناس** (فيلبى ٢:٧). ومع أنه هو الله الكلمة الذى كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان (يوحنا ١:٣) لكن الكلمة اتخذ جسداً وحل بيننا وفينا (يوحنا ١:١٤) أى فى طبيعتنا، وصرنا فيه شركاء الطبيعة الإلهية (٢. بطرس ١:٤).

٢ - ثم إن تعبير (الابن) **هو أنسب تعبير فى لغة الناس لبيان الصلة الطبيعية، صلة الطبيعة الجوهرية فى ذاتها التى هى واحدة فى الله والمسيح**. فليس هناك

كائن آخر أقرب إلى طبيعة الوالد من ولده الذى من صلبه ومن دمه، بحيث أنه إذا ثار شك لسبب ما فى حقيقة نسبة ولد إلى أبيه، أو زعم رجل أن زوجته خانته وأن ولده منها ليس من صلبه، استعانوا لقطع الشك باليقين، بتحليل دم الطفل فإذا اتضح أن دمه من دم والده، قام الدليل على صحة نسبة هذا الطفل إلى أبيه.

فتعبير (الابن) فى لغة الناس **هو أفضل تعبير لبيان العلاقة الوثيقة، علاقة الطبيعة بين الله الغير المنظور وبين المسيح الذى هو صورة الله الغير المنظور** (كولوسى ١ :١٥). ولذلك قال المسيح صراحة «**إن من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤ :٩) إذ سأله بعض تلاميذه «أرنا الآب» ثم قال: «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً، ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤ :٧). وليس أعظم من هذا بيان على **وحدة الطبيعة والجوهر بين الآب والابن** حتى إن من رأى الابن فقد رأى الآب. وعلى الرغم من أن الآب غير منظور، ولم يره أحد قط ولا يقدر أن يراه» (يوحنا ١ :١٨)، (١. تيموثيئوس ٦ :١٦) لكن لأن الله قد تجسد فى المسيح، لذلك فمن رأى المسيح فقد رأى الآب، لأنهما واحد فى الطبيعة والجوهر **«أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ :٣٠) ولأن الآب كائن فى الابن، والابن كائن فى الآب (يوحنا ١ :١٨)، (١٠ :٣٨)، (١٤ : ١٠، ١١، ٢٠)، (١٦ :٣٢).**

وكمثال للإيضاح نسوقه: إذا كان أحد الناس يعرف شاباً جيد المعرفة، ولم يكن قد رأى والده رؤيا العين... ثم حدث يوماً أن إلتقى بالوالد فى الطريق أو فى مكان ما، فعلى الرغم من أنه لم يكن قد رآه من قبل يتقدم نحوه ويقول له: ألست أنت والد الشاب صديقى فلان؟ فيجيب الرجل قائلاً: هذا صحيح، ولكن كيف عرفتنى وأنت لم ترنى من قبل؟ فيقول له: حقاً إننى لم أرك من قبل، لكننى من شدة التشابه بينك وبين صديقى حكمت بأنك لابد أن تكون أباه...

نعم، إن بين الابن وأبيه وجوه شبه وتقارب شديدة ولذلك قالوا فى الأمثال: «إن من شابه أباه فما ظلم»، وقالوا «هذا الشبل من ذاك الأسد»...

لذلك فإن لفظ (الابن) فى لغة الناس هو **أنسب تعبير لبيان الصلة ووحدة الطبيعة والجوهر بين الله الغير المنظور وبين الله المنظور فى المسيح.**

حقيقة إن هناك فروقاً بين البنوة فى عالم الإنسان وبين المفهوم الحقيقى لتعبير الإنجيل أن المسيح ابن الله... إذ أن الابن فى عالم الإنسان نتيجة تزاوج بين رجل وإمرأة، وليس كذلك المسيح، كما أن الابن فى عالم الإنسان متأخر فى الزمان عن أبيه الذى أنجبه، وليس كذلك المسيح. ثم إن الابن فى عالم الإنسان يصير بعد ولادته كائناً مستقلاً بكيانه عن أبيه وأمه، وليس كذلك المسيح الذى لا يفترق عن الآب والروح القدس ولا ينفصل عنه، مثله مثل الضوء أو النور بالنسبة إلى الشمس، والماء بالنسبة إلى النبع، والفكر بالنسبة للعقل. مولود منه بغير انفصال أو افتراق.

على الرغم من ذلك كله فليس تعبير فى لغة الناس أصلح من تعبير (الابن) لبيان العلاقة الطبيعية ووحدة الجوهر والطبيعة بين الله الآب الغير المنظور وبين الله الابن المنظور فى المسيح.

وقد كان من الضرورى أن يعرف اليهود بخاصة وجميع الناس بعامة: من هو هذا الكائن الإلهى الذى سمى يسوع المسيح، من هو فى حقيقته؟ وما هى نسبته إلى الله الواحد الأحد الذى عرفه اليهود بأنه يهوه الأزلى الأبدى وهو خالق السماوات والأرض...؟

ذلك أن يسوع المسيح وإن كان فى صورة الناس، وفى شبه إنسان، لكنه بأقواله وأعماله أثبت أن له سلطاناً على الأرض أن يشفى جميع الأمراض بكلمة منه أو بلمسة من يده أو بلمسة لهدب ثوبه «لأن قوة كانت تخرج منه وتبرئهم جميعاً» (لوقا ٦:١٩)، (٨:٤٦)، وسلطاناً على إقامة الموتى بأمره، وسلطاناً على النبات والحيوان وعلى البحر والهواء وعلى الشياطين والأرواح النجسة، وسلطاناً على مغفرة الخطايا وسلطاناً على كل شىء فى السماء وعلى الأرض (متى ٢٨:١٨) حتى قال اليهود عنه «من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه» (مرقس ٤:٤١)، (متى ٨:٢٧) (لوقا ٨:٢٥) وقالوا أيضاً «ما هذا؟ إنه لتعليم جديد! فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه» (مرقس ١:٢٧) فكان لابد للناس من أن يقعوا فى حيرة من أمره: من عساه أن يكون؟ هل هو نبى؟ إنه أعظم من نبى، لأنه صنع أموراً لم يصنعها إنسان منذ البدء (يوحنا ٩:٣٢)، ونسب إلى ذاته مالا ينسب إلا إلى الله وحده (يوحنا ٧:٤٦) أفهل يكون إلهاً؟ وإذا كان إلهاً، فما هى نسبته إلى الإله يهوه إله بنى إسرائيل خالق السماوات

والأرض؟ هل هو إله مثله؟ وإذا كان كذلك فهل يوجد إلهان بينما أن الله إله واحد، هو الأول والآخر، لم يكن قبله ولا يكون بعده إله (إشعياء ٤٣ : ١٠)، (٤٤ :٦)، (٤٥ :٥) ؟

إذن كان لابد لكى تزول الحيرة من قلوب الناس أن يكشف المسيح عن حقيقته، وحقيقة نسبته إلى يهوه، الله الواحد ساكن السماء، مبيناً أن العلاقة بينه وبين يهوه ليست علاقة إله بإله آخر كما أنه لم يأت ليعلن أنه وحده الإله من دون يهوه إله إسرائيل.

لذلك أعلن يسوع المسيح عن ذاته أنه (ابن الله) ... وإذن ليس هو إلهاً آخر من دون يهوه، وليس هو مضاداً أو معارضاً أو خصماً للإله الواحد الذى هم يعرفونه باسم يهوه إله إسرائيل، ولكن هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور، فهو الابن للآب السماوى، وهما معاً فى جوهر واحد، وواحد فى الجوهر «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ :٣٠) وقال المسيح يناجى الآب على مسمع من جميع الناس «وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحق الواحد وحده، مع يسوع المسيح الذى أرسلته» (يوحنا ١٧ :٣).

إن حقيقة الثالوث القدوس أبعد من منالنا، ولا نستطيع نحن أن نحيط بها أو ندركها، فإن طبيعة الله هى فوق تصورنا وليس فى مقدورنا أو مقدورعقولنا أن تدخل إلى أعماقها حتى تستوعبها تماماً، ولولا أن الوحى الإلهى هو الذى أعلنها لنا لما كان يجوز لنا الخوض فيها أو حتى الاقتراب منها. وقد صدق القديس غريغوريوس الثيئولوغوس الناطق بالإلهيات إذ قال: إن هذا الموضوع لم تتناوله اللغة البشرية من أى جانب من الجوانب إلا وجرحته. ولكننا كبشر أعلن الله طبيعته لنا فى نصوص إلهية، فنحن نحاول بالإيمان أن نرفع عقولنا لفهمها لأنها أعلى من إدراكنا وأرفع من منالنا، وقد نستطيع بالإيمان وبالتمثيل والتشبيه أن نفهم بعض الفهم، ولكننا موعودون أننا بعد أن نخلع هذا الجسد سنفهم أكثر مما نفهم الآن: قال الرسول القديس بولس «فإننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز، لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت» (١ . كورنثوس ١٣ :١٢) وقال الرسول القديس يوحنا «أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله، ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١ . يوحنا ٣ :٢) والمعنى أننا موعودون بإزدياد المعرفة، وبالتالى بإزدياد الفهم حتى ندرك «مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو «ونعرف» محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى نمتلىء إلى كل ملء الله» (أفسس ٣ :١٨، ١٩).

ليس المسيحيون إذن هم الذين اكتشفوا حقيقة الثالوث القدوس، وليسوا هم الذين نادوا بها من ذواتهم. أنها أُعلِنت لهم بالوحى، فأخذوها عن الوحى وقبلوها بالإيمان. إن المسيح هو الذى قال لتلاميذه «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩).

فحقيقة الثالوث القدوس، الآب والابن والروح القدس، حقيقة تتصل بطبيعة الله ذاته التى يعسر علينا كبشر أن نتوصل إلى فهمها وإدراكها، لكننا نقبلها بالإيمان، والإيمان يعيننا على فهمها. وقد قال القديس أوغسطينوس عبارته الشهيرة «العقل يسبق الإيمان، والإيمان يسبق العقل، وإنى أؤمن لكى أفهم» فالإيمان يعيننا على أن نفهم ما لا قدرة لعقولنا على فهمه والتوصل إليه لأنه أبعد من منالنا وأعمق من أن نستطيع أن نسبر غوره.

* * *

والخلاصة أن علاقة الآب بالابن، وعلاقة الابن بالآب، فى الثالوث القدوس، علاقة أسمى وأعمق من أن تستطيع اللغة البشرية المادية والقاصرة أن تشرحها. لكن كان لابد أن يكلمنا الله بلغتنا البشرية المادية المحدودة والقاصرة عن أن تعبر عن الطبيعة الإلهية. فإن مثلنا فى فهم طبيعة الله مثل نملة واقفة تحت قدم إنسان تريد أن تفهمه وتعرفه وهو بحجم يكبرها بملايين المرات، فكم يكون مبلغ عجزها لو أنها حاولت أن تعرف ما يجول بفكره وما ينطوى عليه وجدانه وشعوره؟ وبالتالى كم يكون عجز الإنسان وقصوره عن إدراك طبيعة الله التى تعلو على منال الإنسان أكثر مما يعلو فكر الإنسان عن إدراك النملة، بما يفوق كل قياس فى عالم الإنسان؟

نقول هذا لبيان أن تعبير الآب والابن فى الثالوث القدوس تعبير نطق به الوحى الإلهى، وأعلنه المسيح بذاته، ولكنه فى الآن نفسه تعبير مأخوذ من لغة الناس لأنه كان لابد أن يكلمنا الله بلغتنا، فليس ثمة سبيل آخر ليكلمنا به الله عن نفسه وعن طبيعته. ومع ذلك، ولذلك ينبغى أن نجعل فى اعتبارنا أن الحقيقة فى ذاتها لابد أنها تسمو عن التعبير، لأن الحقيقة هى حقيقة الله ذاته، وطبيعة ذاته، التى تعلو على إدراك البشر، فكيف يمكن للغة الناس المادية المحدودة أن تضع الحقيقة الإلهية فى قالب الألفاظ البشرية المحدودة والمادية والقاصرة؟!

من هنا كان ينبغى التنويه إلى أن التعبير عن علاقة الله الغير المنظور، بالله المنظور فى

المسيح ـ بكلمتى (الآب) ، و (الابن) ، يجب أن ننأى به عن مفهوم هذين اللفظين فى لغة الناس، أياً كانوا، وأياً كانت لغتهم... فلا نخلط الروح بالمادة، ولا ننزل بالسمائيات إلى الأرضيات. وقد قال المسيح له المجد لنيقوديموس «إن كنت قد كلمتكم عن الأرضيات ولم تؤمنوا، فكيف تؤمنون إن كلمتكم عن السمائيات؟» (يوحنا ٣:١٢) .

إن حقيقة الآب والابن فى الله الواحد الثالوث القدوس أعمق غوراً من أن يسبرها الإنسان بفكره، وأشد عمقاً مما تستطيع اللغة البشرية أن تصوغها فى قوالب لفظية. ومع ذلك شاء الله بنا خيراً حتى يكلمنا، بلغتنا. ولكنه لواسع علمه بقصورنا وضعفنا، وقصور لغتنا البشرية وضعفها، لم يكتف بأن يكلمنا بلغتنا بل كلمنا بنفسه، وذلك بظهوره، فنزل إلينا محتجباً فى جسد. وليس «الله الظاهر فى الجسد» إلا بعينه «الله الغير المنظور» . قال الكتاب المقدس «الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه... الذى به أيضاً عمل العالمين الذى هو ضياء مجده وصورة جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (العبرانيين ١:١-٣) .

إن الابن والآب جوهر واحد وذات إلهية واحدة: الله الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب في المعرفة المباشرة للذات الإلهية

إن السيد المسيح له المجد يختص ذاته بمعرفة الذات الإلهية، وينفى عن أى كائن آخر غيره هذه المعرفة، فهو إذن **متفرد وحده بهذه المعرفة ولا يشاركه فيها آخر، وذلك لأنه وحده من طبيعة الله الآب ومن جوهره، وكائن فى ذات الله الآب، وفى عمق جوهره، وكائن معه وفيه منذ الأزل وإلى الأبد**. ولا يمكن تصور لحظة من الزمن كان فيها الله الآب، ولم يكن (الابن) كائناً معه وفيه. وإذا كان الله (الكلمة) هو العقل الإلهى، والله تعالى هو العقل والعاقل والمعقول لذاته فلا يمكن أن نتصور لحظة من الزمن كان فيها الله الآب ولم يكن (الكلمة) معه، وإلا كان الله خالياً من قوة وجوده من حيث هو العقل الأعظم.

قال السيد المسيح له المجد : «**لا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن**» (متى ١١ : ٢٧)، (لوقا ١٠ : ٢٢). هنا فى هذا النص القدسى والنطق الإلهى ينفى المسيح له المجد عن أى بشر أنه يعرفه على حقيقته من هو فى ذاته، لكنه يقول إن واحداً فقط هو الذى يعرف (الابن) على حقيقته، ولا أحد غيره، وهو الآب.

لقد قال يوحنا المعمدان لليهود عن المسيح له المجد : «بينكم قائم ذلك **الذى لستم تعرفونه**» (يوحنا ١ : ٢٦). وقال عنه الإنجيل للقديس يوحنا «كان فى العالم، وكان العالم به. **والعالم لم يعرفه**» (يوحنا ١ : ١٠). وقال عنه أيضاً يوحنا المعمدان «**وأنا لم أكن أعرفه**» (يوحنا١ :٣١، ٣٣).

وقال السيد المسيح لليهود «**إنكم لا تعرفوننى أنا ولا تعرفون أبى**» (يوحنا ٨ : ١٩) وقال المسيح لتلاميذه عن اليهود وقياداتهم الدينية «**إنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى**» (يوحنا١٦ : ٣)، بل قال لتلاميذه صراحة فى ليلة آلامه «**لو كنتم قد عرفتمونى** لعرفتم أبى أيضاً» (يوحنا ١٤ : ٧) أى أن تلاميذه الأخصاء الإثنى عشر حتى ليلة آلامه لم يكونوا قد عرفوه على حقيقته تماماً، وإنما كانت معرفتهم له مشوبة بالغموض والنقص وعدم الوضوح. لقد عرفوا **عنه، ولكن لم يعرفوه هو على حقيقته**. وإذا كان تلاميذ المسيح الإثنا عشر الذين قبلوا دعوته وتبعوه ولازموه ملازمة تامة لم يعرفوه على حقيقته فبالأحرى اليهود من غير تلاميذه

كانوا أيضاً لا يعرفونه على حقيقته... أنظر أيضاً (لوقا ٢٣ : ٣٤)، (١. كورنثوس ٢ : ٨)، (١ .تيموثيئوس ١ : ١٣).

لهذا قال المسيح له المجد، وقوله حق وصدق «**لا أحد يعرف (الابن) إلا الآب**» (متى١١ : ٢٧) «**لا أحد يعرف من هو (الابن) إلا الآب**» (لوقا ١٠ : ٢٢).

والمعرفة المعنية هنا ليست هى مجرد المعرفة العامة وإنما هى **المعرفة الخاصة اليقينية الكاملة المباشرة من غير واسطة**. فليس أحد من الناس يمكنه أن يعرف من هو (الابن) فى حقيقته وجوهره وطبيعته وذاته، لكن **الآب** وحده هو الذى يعرف (الابن) فى حقيقته وجوهره وطبيعته، وذلك لسبب واضح وبسيط، هو أن (الابن)، وهو الله الكلمة، هو من جوهر الآب وطبيعته وكائن معه فى ذاته، لأنه فى الآب والآب فيه. قال المسيح «أنا فى أبى وأبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ١٠، ١١، ٢٠)، (١٠ : ٣٨)، (١٧ : ٢١، ٢٣).

وقد يمكن أن يقال إن واحداً من البشر لم يعرف (الله الابن) على حقيقته نظراً لأنه له المجد، قد «اتخذ جسداً» (يوحنا ١ : ١٤) استتر فيه، وتلبس به، محتجباً عن عيون الناس، لأنه لا يقدر إنسان أن يراه ويعيش (الخروج ٣٣ : ٢٠)، فقد أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس، وظهر فى هيئة إنسان (فيلبى ٢ : ٧، ٨) ولذلك سمى «(ابن الإنسان)» (متى ١٦ :١٣)... وأنه لهذا السبب عندما نطق القديس بطرس الرسول باعترافه المشهور وأجاب السيد المسيح قائلاً : «أنت المسيح الله، ابن الله الحى» (لوقا ٩ : ٢٠)، (متى ١٦ : ١٦)، (مرقس ٨ : ٢٩) صارحه المسيح له المجد بقوله «ليس لحماً ودماً الذى **كشف** لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات» (متى ١٦ : ١٧). وهذا تثبيت وتوكيد لمقولته له المجد «**لا أحد يعرف (الابن) إلا الآب**» (متى١١ : ٢٧) أى أن هذا الاعتراف الذى نطق به سمعان بطرس لم يكن عن معرفة بحقيقة الله الكلمة المتجسد، فإن هذه المعرفة أعلى من منسوبه وأرفع من مناله، لكن ذلك النطق كان بإلهام الروح القدس الناطق فى الأنبياء، وبناء على كشف من الآب السماوى لعقل القديس بطرس. والكشف رؤيا وإلهام للروح يسمو ويعلو على معرفة الحواس.

ليس إذن أحد من البشر، ولا حتى تلاميذ المسيح يعرفون (الابن) على حقيقته، هذه المعرفة الكاملة المباشرة وبغير واسطة. إنما **الله الآب وحده هو الذى يعرف (الابن)**، لأن (الابن) كائن معه وفيه، وهو واحد معه فى الجوهر الإلهى، والذات الإلهية الواحدة.

ويضيف المسيح له المجد توكيداً لخاصية هذه المعرفة بقوله «**ولا أحد يعرف الآب إلا (الابن)**» (متى ١١ : ٢٧). «**ولا أحد يعرف من هو الآب إلا (الابن)**» ، (لوقا١٠:٢٢) ذلك أن الآب السماوى «لم يره أحد قط» (يوحنا ١ : ١٨) «ولا يقدر أن يراه» (١ .تيموثيئوس٦:١٦) وبالتالى لا يعرفه. قد يعرف الإنسان عن الله الآب بما يسمعه عنه، ومع ذلك لا يعرفه هو فى ذاته ولا يعرفه كما هو فى طبيعته وجوهره... قد نعرف عنه أنه كائن، ونعرف عنه بعض صفاته بما تصفه الكتب المقدسة، أو بما نستدل على وجوده بالتأمل فى مصنوعاته وخلائقه، فنعرف أنه هو الموجد للوجود والخالق للكائنات، وقد نعرف عنه بما نراه فى الطبيعة من دلائل حكمته، وحضوره فى كل مكان، ونعرف بعض صفاته فنستدل منها على أنه الأزلى الأبدى، وأنه غير متناه وغير محدود وأنه القدير والقادر على كل شئ، وأنه العليم كلىّ العلم، وكلىّ القدرة، وكلىّ التدبير،... إلى آخر تلك الصفات، صفات الخيرية والجودة والجمال والكمال... وهو ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان بالتأمل فى الكون وبإعمال العقل، وهو منهج الفلاسفة والعلماء فى إثبات وجود الله وكمال صفاته.

ويقول القديس أكلمينضس الأسكندرى. «**نحن لا نعرف ما هو الله، ولكننا نعرف ما ليس هو**» ... فنحن نعرف المحدود لأننا نحيا فى عالم المحدود، ثم ننفى عن الله أن يكون محدوداً لأن المحدودية من صفات النقص، والله ليس كذلك. فنقول عن الله إنه (غير محدود) و (غير متناه) دون أن نفهم تماماً طبيعة غير المحدود وغير المتناهى، وحتى الصفات الإيجابية من صفات الكمال الإلهى هى فى تصورنا تضخيم وتكبير لصفات الخير والجمال بما لا يقاس. فنقول عن الله إنه كلىّ الحكمة، وكلىّ القداسة وكلىّ العدل، وكلىّ الجودة والخير... وما إلى ذلك من صفات هى فى الواقع تكبير لصفات الخير والجمال إلى ما لا نهاية...

على أنه سواء صفات النقص التى ننفيها عن الله، أو صفات الكمال التى ننسبها إلى الله... هذه وتلك مما ينسب إلى الله الآب، هى أعلى من قدرة الإنسان على فهمها واستيعابها وإدراكها وتصورها.

والخلاصة أنه حقاً ما يقوله القديس أكليمنضس الأسكندرى عن عجز العقل البشرى عن أن يعرف الله الآب ذاته، المعرفة الحقيقية الكاملة المباشرة.

وعلى ذلك فليس لبشر، أياً كان، ولا لغير بشر من سائر الكائنات أن يعرف الله على حقيقته، وفى طبيعته وجوهره. وذاته. أما (الكلمة) الإلهى أى (الابن) **فهو وحده الذى يعرف الله الآب فى طبيعته** معرفة كاملة يقينية مباشرة ومن غير واسطة، وذلك لأنه من ذات طبيعته، ولأنه كائن معه وفيه دائماً منذ الأزل وإلى الأبد، إذ هو كائن معه فى الجوهر الواحد والذات الإلهية الواحدة.

يقول المسيح له المجد لليهود فى حواره معهم «وإنما أرسلنى ذلك الذى هو حق، **وأنتم لا تعرفونه**» (يوحنا ٧ : ٢٨). ويقول لهم أيضاً «أبى هو الذى يمجدنى، ذلك الذى تقولون أنتم إنه إلهنا، **وأنتم لا تعرفونه. أما أنا فأعرفه**. وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً، ولكننى **أعرفه**» (يوحنا ٨ : ٥٤، ٥٥). وفى هذا كله ينفى المسيح له المجد عن اليهود أنهم يعرفون الآب السماوى، ولكنه فى نفس الوقت يثبت هذه المعرفة لذاته وحده بقوله صراحة «أما أنا **فأعرفه**. وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً، ولكننى **أعرفه**» (يوحنا ٨:٥٥).

وقال المسيح لتلاميذه عن اليهود وقياداتهم الدينية : «ولكنهم سيفعلون بكم هذا كله بسبب اسمى. لأنهم **لا يعرفون الذى أرسلنى**» (يوحنا ١٥ : ٢١)، أى أنه له المجد ينفى عن اليهود ورئاستهم الدينية أنهم يعرفون الله الآب...

ويقول المخلص مرة أخرى لتلاميذه عن اليهود ورؤسائهم «وهم سيفعلون هذا بكم لأنهم لم **يعرفوا الآب** ولا عرفونى» (يوحنا ١٦ : ٣).

ثم يقول أيضاً لتلاميذه «لو كنتم قد عرفتمونى، **لعرفتم أبى أيضا**. ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه» (يوحنا ١٤ : ٧). وهذا معناه أن تلاميذ المسيح لم يعرفوا الله الآب. ومع ذلك فقد عرفوه فى المسيح، وعن طريقه، ومن دون المسيح لا يعرفونه... **إذن المسيح وحده وهو (الابن) هو الذى يعرف الله الآب معرفة ذاتية مباشرة ومن غير واسطة. أما التلاميذ وسائر المؤمنين فلا يعرفون الله الآب فى ذاته، إلا من خلال (الابن) وعن طريقه**، وهذا هو معنى قوله : «ولا أحد يعرف (من هو) الآب إلا (الابن) **ومن أراد (الابن) أن يكشف له**» (متى ١١ : ٢٧) ، (لوقا ١٠ : ٢٢). فإذا لم يرد (الابن) أن يكشف للإنسان عن معرفة الله الآب، فسيظل الإنسان فى جهله لا يعرف الله الآب. وفى ذلك يقول

المسيح له المجد أيضاً «**أنا هو الطريق... لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى**» (يوحنا١٤:٦) وقال أيضاً «**أنا هو باب الخراف، فإن دخل بى أحد يخلص**» (يوحنا ١٠ : ٩) وقال الرسول بولس «لأن به لنا... **سبيل الوصول إلى الآب** فى روح واحد» (أفسس ٢ : ١٨)، (العبرانيين ١٠ : ١٩) ، (١. بطرس ٣ : ١٨).

وفيما يؤكد المسيح له المجد **أن لا أحد آخر غيره يعرف الآب**، يجعل هذه المعرفة الحقيقية **وقفاً عليه وحده دون سواه**.

فيقول «وإنما أرسلنى ذلك الذى هو حق، وأنتم لا تعرفونه. **أما أنا فأعرفه لأنى منه**» (يوحنا ٧ : ٢٨، ٢٩) فالمسيح ينفى عن الناس معرفتهم بالله الآب، ولكنه يثبت فى إيجابية واضحة هذه المعرفة بالنسبه له، فى غير تردد بقوله : «**أما أنا فأعرفه**» ثم يقدم التعليل لهذه المعرفة فيقول «**أما أنا فأعرفه لأنى منه**». مبيناً بهذا أنه من ذات طبيعة الآب ومن جوهره : «**لأنى منه**».

ويقول مرة أخرى «أبى هو الذى يمجدنى، ذلك الذى تقولون أنتم إنه إلهكم، وأنتم لا تعرفونه. **أما أنا فأعرفه**. وإن قلت إننى لا أعرفه أكون مثلكم كاذباً، **ولكننى أعرفه**» (يوحنا ٨ : ٥٤، ٥٥) وهو هنا يميز تمييزاً فاصلاً حاسماً بين ما يعرفه اليهود عن الله الآب، وبين معرفته هو لله الآب. فعلى الرغم من أن اليهود عرفوا الكثير عن الآب، من حيث هو إلههم، وخالقهم، وهم شعبه المنتسبون إليه من بين جميع الشعوب، وعلى الرغم من إيمانهم به وبوجوده، وبعبادتهم إياه وسجودهم له وإعترافهم به، مع ذلك فهذه المعرفة لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة للمعرفة الحقيقية الكاملة التى ينسبها المسيح لذاته بالنسبة للآب السماوى. فهو لا يعرف عن الآب فقط ما لا يعرفه اليهود وغير اليهود، وإنما يعرف الآب فى ذاته معرفه عيانية مباشرة، الأمر الذى لا نظير له عند اليهود وغير اليهود. يقول له المجد «**لا أحد قد رأى الآب إلاَّ الذى هو من الله. فهذا هو الذى قد رأى الآب**» (يوحنا ٦ : ٤٦). والمسيح وحده هو الذى رأى الآب لأنه كائن معه منذ الأزل، وعندما تجسد نزل من السماء «وما من أحد صعد إلى السماء إلاَّ ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣ : ١٣) «الله لم يره أحد قط، (الابن الوحيد) الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

وفى موضع آخر يقول المسيح له المجد «إن أبى يعرفنى، **وأنا أعرف الآب**» (يوحنا ١٠: ١٥). وهذا هو تعبير آخر عن نفس الحقيقة ولكن فى إيجابية لا تحتاج إلى توكيد. **فهو وحده الذى يعرف (الآب) المعرفة الحقيقية، ولا أحد غيره يعرف الآب هذه المعرفة المباشرة، بغير واسطة**. وبالمثل فإن **الآب يعرف (الابن) المعرفة التى لا يعرفها أحد آخر غير الآب**، ذلك **لأنها المعرفة الكاملة الحقيقية المباشرة والذاتية والعيانية، لأن الآب يرى (الابن) و (الابن) يرى الآب**. ومن هنا فإن معرفة (الابن) للآب **معرفة رؤيا عينية**، وكذلك معرفة الآب (للابن) هى **معرفة رؤيا عينية، أى رؤيا ذاتية**، لا من طريق غير مباشر.

ويقول المسيح أيضاً فى مناجاته للآب السماوى على مسمع من تلاميذه: «يا أبتاه الحق، إن العالم لم يعرفك. **وأما أنا فعرفتك**» (يوحنا ١٧ : ٢٥). وهنا أيضاً يقارن بين جهل العالم بالآب السماوى وبين علم (الابن) بالآب ومعرفته به لأنه منه، ولأنه كائن معه دائماً فى وحدة واحدة كاملة، وكيان واحد، وجوهر واحد، وذات واحدة. فهذه تفرقة واضحة حاسمة يؤكد فيها المسيح له المجد جهل العالم كله بالآب السماوى، ولكنه يؤكد مع ذلك أنه أى (الابن) يعرف الآب «**وأما أنا فعرفتك**». على أن هذه المعرفة ليست جديدة أو طارئة أو مستحدثة. إنها معرفة قديمة وأزلية لأن الابن كائن مع الآب منذ الأزل.

* * *

وإذا كان المسيح له المجد ينسب إلى ذاته أنه وحده الذى يعرف الآب ولا أحد غيره يعرف الآب المعرفة الذاتية العيانية المباشرة، المعرفة الخاصة الفاحصة العميقة، الكاملة، معرفة الآب فى طبيعته وحقيقته وجوهره.

وإذا كان المسيح له المجد يقرر أن ليس أحد غير الآب يعرف (الابن) هذه المعرفة الكاملة العيانية المباشرة، معرفة الابن فى حقيقته وطبيعته وجوهره، فقد نسب المسيح لذاته ما ينسب إلى الله الآب سواء بسواء. وبالتالى يكون (الابن) مساوياً للآب، لأنه يتصف بما يتصف به الآب.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب في القدرة على كل شئ

ينسب المسيح له المجد لذاته ذات القدرة التى لله الآب بلا فارق. فيقول فى حواره مع اليهود «**لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم هكذا (الابن) يحيى من يشاء**» (يوحنا٥:٢١).

وفعلاً أثبت ذلك عملياً، فقد أقام ابنة يايرس رئيس المجمع اليهودى بأمره، ولم يكن فى حاجة لأن يصلى ليطلب قوة خارجاً عن ذاته كما يفعل الأنبياء. لقد دخل بيت الرئيس إلى حيث كانت الصبية مسجاة، وأمسك بيد الصبية، وقال لها «**طليثا قومى**» أى يا صبية **قومى**. فعادت روحها إليها وقامت على الفور ومشت، إذ كانت فى الثانية عشرة من عمرها». (مرقس٥:٤٠ - ٤٢)، (لوقا ٨ : ٥٤، ٥٥)، (متى ٩ : ٢٥).

وكذلك صنع مع الشاب ابن أرملة نايين «**تقدم ولمس النعش**، فوقف الذين كانوا يحملونه، فقال : أيها الشاب لك أقول قم. فجلس الميت وبدأ يتكلم» (لوقا ٧ : ١٤، ١٥) وفى هذه الواقعة أيضاً لم يتضرع المسيح إلى الله الآب كما كان يفعل الأنبياء ليطلبوا قوة الله فإن المسيح «له القوة» (لوقا ٢٢ : ٤٣)، (الرؤيا ٤ : ١١)، (٥ : ١٢)، «**ومنه القوة**» (مرقس ٥ : ٣٠)، (لوقا ٦ : ١٩)، (٨ : ٤٦).

وهكذا أقام المسيح له المجد لعازر من الموت، وأمره بالخروج من القبر «**لعازر هلمّ خارجاً**» (يوحنا ١١ : ٤٣) فخرج بأمر المسيح وسلطانه وحده، بعد أن عادت بالأمر روحه إلى جسده، وعادت الصحة إلى جسده الذى لابد أنه كان قد أنتن لأنه كان قد صار له فى القبر أربعة أيام (يوحنا ١١ : ٣٩). حقاً إن المسيح صلى فى هذه المرة، لكن صلاته كانت مناجاة بينه وبين الآب على مسمع من الناس، لكنها **لم تكن صلاة الطلب**. أى لم يطلب المسيح من الله الآب أن يمنحه القدرة على إقامة لعازر، ولا سأل الآب أن يقيم لعازر كما فعل إيليا من قبل إذ صلى من أجل ابن أرملة صرفة صيدون وصرخ إلى الرب وقال «أيها الرب إلهى لتعد روح الغلام إلى جوفه، فسمع الرب لصوت إيليا، وعادت روح الغلام إلى جوفه، وعاد حياً» (١ . الملوك ١٧ : ٢١، ٢٢) أو كما فعل أليشع النبى بالنسبة لإبن المرأة الشونمية إذ «صلى إلى

الرب» (٢. الملوك ٤ : ٣٣) ، (العبرانيين ١١ : ٣٥) . وكذلك صنع القديس بطرس الرسول فى إقامة طابيثا «جثا على ركبتيه وصلى» (أعمال ٩ : ٤٠) . فصلاة المسيح على قبر لعازر **كانت مناجاة ولم تكن طلباً لقوة أو قدرة**، وذلك لبيان وإعلان الوحدة التامة بين (الابن والآب) وأن (الابن) ليس إلهـاً من دون الآب، والآب ليس إلهـاً من دون (الابن)، وأنهـمـا واحـد فى الجوهر، وأن (الابن) لم يأت ليعلن عن نفسه بديلاً عن الآب، فهما ألوهة واحدة وجوهر واحد، وذات إلهية واحدة.

فى تلك المعجزات السالفة أبرز المسيح سلطانه المطلق على إقامة الموتى، وأنه يملك بسلطانه أن يقيم الموتى، وفى هذا يعلن مساواته للآب فى قدرته على إقامة الموتى (رومية ٤ : ١٧) «لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم هكذا (الابن) يحيى من يشاء» (يوحنا ٥ : ٢١) .

وفى مواضع أخرى ينسب المسيح له المجد إلى ذاته السلطان المطلق على إقامة الموتى فى اليوم الأخير فيقول «إن كل من يرى (الابن) ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٤٠) . ويقول «إن كل الذين أعطانى لا أهلك منهم أحداً، بل **أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٣٩) «ما من أحد يستطيع أن يقبل نحوى ما لم يجتذبه إلىّ الآب.. **وأنا أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٤٤) . ويقول «من يأكل جسدى ويشرب دمى فله الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه** فى اليوم الأخير» (يوحنا ٦ : ٥٤) .

بل قال أيضاً «**أنا هو القيامة والحياة**. من آمن بى وإن مات فسيحيا. وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد» (يوحنا ١١ : ٢٥ ، ٢٦) . وقال : «تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذى عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة» (يوحنا ٥ : ٢٨ ، ٢٩) ، (متى ٢٤ : ٣١) ، (٢٥ : ٣٢) ، (يوحنا ١٤ : ٦) ، (١:٤) ، (١. يوحنا ١ : ١ ، ٢) ، (٥ : ١٠ ، ١١) .

ومما له دلالة مباشرة فى إعلان قدرة المسيح المساوية لقدرة الله الآب قوله «هكذا (الابن) يحيى من يشاء» (يوحنا ٥ : ٢١) ، أى أن قدرته على القيامة والحياة وسلطانه على الإقامة والإحياء قدرة مطلقة غير محدودة، وسلطانه سلطان مطلق غير مقيد. فهو يقيم **من يشاء**، ويحيى **من يشاء**، أى أنه يفعل حسب مشيئته. وهذا دليل حريته المطلقة فى أن يفعل طبقاً لإرادته ووفقاً لمشيئته، دون أن يكون لأحد آخر قيد على هذه المشيئة.

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب في العمل

كما أن الله الآب منذ الأزل يعمل ولم يتوقف عن العمل إلى اليوم ولن يتوقف إلى الأبد، فهو الخالق للموجودات، وهو الحافظ لها، وهو مبدع القوانين التى تسير عليها كل الخليقة، وهو الحافظ للقوانين استمرارها. كذلك الله (الابن) لأنه هو العقل الإلهى وهو الخالق للعالمين ولكل الوجود، وهو كائن مع الآب منذ الأزل، بحيث لا نتصور الله الآب كائناً ولا يكون (الابن) معه، وإلاَّ يكون الله لا وجود له، لأنه كيف يكون لله وجود من غير أن يكون عاقلاً وحكيماً وخالقاً، وهى صفات الله (الابن) ؟

يقول المسيح له المجد «**إن أبى حتى الآن يعمل، وأنا أيضاً أعمل**» (يوحنا ٥ : ١٧) وهذا معناه أن (الابن) أى المسيح ينسب إلى ذاته المساواة لله الآب فى العمل. وقد فهم اليهود ذلك حتى إن الإنجيل يقول بعد هذا التصريح مباشرة «فاشتددت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضاً : «**الله أبى، مساوياً نفسه بالله**» (يوحنا ٥ : ١٨).

لقد قال الإنجيل عن المسيح وهو الكلمة المتجسد أنه هو الخالق ومن دونه فلا خلق «فى البدء كان الكلمة، وكان الكلمة هو الله... **كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان، كان فى العالم، وكان العالم به**... والكلمة اتّخذ جسداً» (يوحنا ١ : ١ - ١٤) «الذى هو صورة الله الغير المنظور، البكر قبل كل خليقة، فإنه به **خلق كل شئ**، ما فى السماوات وما على الأرض، ما يرى وما لا يرى... **كل شئ خلق به وله**، هو كائن قبل كل شئ، وفيه يقوم كل شئ» (كولوسى ١ : ١٥ - ١٧) «**به خلق الدهور**، الذى هو بهاء مجده وصورة جوهره، وحامل الكون بكلمة قدرته» (العبرانيين ١ : ١ - ٣)، ولكى يثبت المسيح له المجد أنه الخالق وله القدرة على الخلق، **حول الماء إلى خمر حقيقى فى عُرس قانا الجليل**، وشهد رئيس المتكأ بأنها خمر جيدة (يوحنا ٢ : ٧ - ١١).

وكذلك **خلق للمولود أعمى عينين** بأن تفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عينى المولود أعمى (يوحنا ٩ : ٥، ٦). ولماذا صنع المسيح هذه المعجزة بهذا الأسلوب بينما أنه شفى كثيرين من العميان إما بلمس العينين (متى ٩ : ٢٧)، (٢٠ : ٣٤)، وإما بالتفل

فى العينين مع وضع يديه عليهما(مرقس ٨ : ٢٢ – ٢٥)، وإما بأن يصدر إلى الأعمى الأمر بأن يبصر فيبصر (مرقس ١٠ : ٥١) ، (لوقا ١٨ : ٣٥)؟ أما المولود أعمى فلم تكن له عينان فى مقلتيه، أى أن مقلتيه كانتا فارغتين، فطمسهما المسيح له المجد بالطين ليخلق له من الطين عينين لم يكن لهما وجود، وكما صنع الرب فى خلق آدم «وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض» (التكوين ٢ : ٧) ، (٣ : ١٩، ٢٣) ، (مزمور ١٠٢ : ١٤) ، (الجامعة ١٢ : ٧) ، (١ كورنثوس ١٥ : ٤٧) . وجاء فى سفر أيوب قوله «أنا أيضاً **من الطين تقرّصت**» (أيوب٣٣:٦) . وجاء فى نبوءة إشعياء «والآن يارب، **نحن الطين وأنت جابلنا**» (إشعياء٦٤:٨) ، (أيوب١٠:٩)، (إشعياء ٢٩ : ١٦) ، (٤٥ : ٩) ، (إرميا ١٨ : ٦)، (رومية٩:٢١) .

لقد أثبت المسيح له المجد فى معجزة شفاء المولود أعمى أنه **الخالق**، وأن بقدرته أن يخلق من الطين عينين لم يكن لهما قبلاً وجود، بنفس الطريقة التى خلق بها الله آدم الإنسان الأول بل وأن فى قدرته أن يخلق دوماً وأبداً، فهو لم يخلق فى الماضى فقط، بل مازال يخلق فى الحاضر، وسوف يظل الخالق فى المستقبل أيضاً.

وقد يبدو لنا أن الطريقة التى خلق الله بها آدم من تراب الأرض أو من الطين لم تتكرر، ذلك لأن كل طفل يخلق بالتوالد من الرجل والمرأة، لكننا لا ننسى أن أبوى أى طفل هما من بنى آدم الذى خلق فى الأصل من تراب الأرض، فهما أيضاً من التراب، وبالموت يعودان إلى التراب (التكوين ٣ : ١٩) ، (أيوب ٢١ : ٢٦) ، (٢٠ : ١١) ، (٣٤ : ١٥) ، (مزمور ١٠٣ : ٢٩) ، (١٤٥ : ٤) ، (الجامعة ١٢ : ٧) .

ثم إن استمرارية قانون التوالد بالزواج دليل استمرارية الخلق. فالله (الابن) مازال يخلق، لأنه هو الذى خلق، وهو الذى يحفظ لقوانين الخلق ثباتها ودوامها واستمراريتها. وهذا هو معنى قوله له المجد «إن أبى حتى الآن يعمل، وأنا **أيضاً أعمل**» (يوحنا ٥ : ١٧) .

وإذا كان الله الآب هو الخالق «الرب خالق أقاصى الأرض» (إشعياء ٤٠ : ٢٨) «الله الرب خالق السماوات وناشرها، وباسط الأرض» (إشعياء ٤٢ : ٥)، والله (الابن) أو (الكلمة) **هو الخالق** «**لأن به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان**» (يوحنا ١ : ٣)، فالمسيح

إذن بقوله «إن أبى حتى الآن يعمل، **وأنا أيضاً أعمل**» قد نسب إلى ذاته المساواة مع الآب فى العمل والخلق.

ويقول المسيح له المجد أيضاً مؤكداً على نفس المعنى ناسباً إلى ذاته المساواة مع الآب فى العمل «**لأن كل ما يعمله الآب، يعمله (الابن) أيضاً**» (يوحنا ٥ : ١٩). أنظر أيضاً (يوحنا ٤:٣٤) ، (٥ : ٣٦) ، (٩ : ٤) ، (١٤ : ١٠) ، (١٧ : ٤).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب في الكرامة والمجد

إذا كان المسيح له المجد ينسب إلى ذاته الكرامة التى لله الآب، فهو إذن ينسب إلى ذاته المساواة مع الله الآب، بل إنه يطالب الناس بأن يعطوه الكرامة التى يعطونها لله الآب. وأكثر من ذلك يقول إن الله الآب هو الذى يطالب الناس ويأمرهم أن يعطوا الكرامة (للابن)، التى يعطونها لله الآب سواء بسواء.

يقول المسيح له المجد : «الآب لا يدين أحداً، وإنما قد سلم القضاء كله (للابن)، **ليمجد الجميع (الابن) كما يمجدون الآب. من لا يمجد (الابن) لا يمجد الآب** الذى أرسله» (يوحنا ٥ : ٢٢، ٢٣).

هذا معناه أن الآب يريد أن يعطى الناس الكرامة والمجد لله (الابن) كما يعطونها للآب، ولكى يتحقق ذلك فإن الآب سوف لا يقوم بعمل الدينونة، وإنما لكى يمجد الناس (الابن) كما يمجدون الآب، سلم القضاء كله (للابن)، لكى يدين الناس، فيعرف الناس مكانته ويعطوه الكرامة والمجد اللذين يليقان به كديان الأرض كلها (التكوين ١٨ : ٢٥) ، (مزمور ٥٧ : ١١) ، (٦٦ : ٤) ، (٩٥ : ١٠، ١٣) ، (٩٧ : ٩).

ومما له دلالة وأهمية فى القضية أن المسيح له المجد يصرح قائلاً : «من لا يمجد (الابن) لا يمجد الآب»، ومعناه أن من لا يعطى (الابن) المجد الذى يليق به كديان الأرض كلها، فإن الآب حرصاً منه على أن ينال (الابن) ذات المجد الذى لله الآب، يحتسب هذا الإهمال فى هذا الواجب المقدس إهانة لله الآب. وهذا تعبير بالغ القوة فى تأكيد وتوكيد اهتمام الآب وحرصه على أن ينال (الابن) ذات المجد الذى يعطى للآب، سواء بسواء.

وعلى ذلك فإن المسيح له المجد ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب، الأمر الذى لا يجرؤ عليه نبى أو رسول، وإلاّ عُدّ مجدّفاً على الله. فلو لم يكن المسيح له المجد صادقاً فى دعواه فى مساواته مع الآب فى المجد والكرامة لكان يُعَدُّ مجدِّفاً على الله لأنه قد نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلاّ إلى الله وحده. وهذه بيِّنة على ألوهية المسيح له المجد. وأنه واحد مع الآب فى الجوهر، وأنه قائم وكائن مع الآب فى ذات جوهر الألوهية منذ الأزل وإلى الأبد. أنظر (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦) ، (٢ . بطرس ١ : ١٧) ، (الرؤيا ٤ : ٩) ، (٧ : ١٢).

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب في كل القدرات والصفات والكمالات

لم يكتف المسيح له المجد بأن ينسب إلى ذاته ذات المعرفة المباشرة التى لله الآب، والقدرة على كل شئ التى لله الآب، والمساواة مع الله الآب فى العمل ثم فى المجد والكرامة، وإنما أضاف إلى كل ذلك، **المساواة** بالإجمال **فى كل شئ**، بحيث أبان بكل الوضوح أن **(الابن) يملك كل ما يملكه الآب من صفات وكمالات، وقدرات**، أو بالأحرى ليس صفة أو قدرة للآب، إلاّ وهى (للابن) أيضاً بغير فارق أو امتياز.

يقول المسيح له المجد فى مناجاته للآب على مسمع من تلاميذه «**وجميع ما هو لى فهو لك، وجميع ما هو لك فهو لى**» (يوحنا ١٧ : ١٠).

ويقول مرة أخرى لتلاميذه «**جميع ما هو للآب فهو لى**» (يوحنا ١٦ : ١٥).

فى هذا التصريح الخطير لا يستثنى المسيح شيئاً للآب، يختص به الآب دون (الابن)، أو ينقص فيه (الابن) عن الآب، إنما ينسب إلى ذاته (جميع) ما هو للآب. و (جميع) تفيد الشمول والإطلاق والكمال. وتبعاً لهذا يكون (للابن) كمال وتمام المساواة مع الآب فى جميع الصفات والكمالات الإلهية. وتعبير «**كل شئ**» استخدمه المسيح له المجد مراراً فى بيان أنه **يملك كل شئ، ويقدر على كل شئ، ويسود على كل شئ.**

من ذلك قوله «**كل شئ** قد سلِّمَ لى من أبى» (متى ١١ : ٢٧)، (لوقا ١٠ : ٢٢).

«إنى قد أعطيت **كل سلطان** فى السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨ : ١٨).

«الآب يحب (الابن)، وقد جعل فى يده **كل شئ**» (يوحنا ٣ : ٣٥).

«الآب لا يدين أحدا وإنما سلّم **القضاء كله** (للابن)» (يوحنا ٥ : ٢٢).

«يسوع... إن الآب قد دفع **كل شئ** إلى يديه» (يوحنا ١٣ : ٣).

«لأنه أخضع **كل شئ** تحت قدميه» (١. كورنثوس ١٥ : ٢٧)، (أفسس ١ : ٢٢)، (العبرانيين ٢ : ٨).

«الذى جعله وارثاً لكل شئ» (العبرانيين ١ : ٢).

أنظر أيضاً (يوحنا ١٧ : ٢) ، (أعمال ١٧ : ٣١) ، (أفسس ١ : ١٠، ١١) ، (فيلبى ٢ : ١٠) ، (الرؤيا ١٧ : ١٤).

ولا يقلل من حقيقة المساواة بين الآب و (الابن) فى كل شئ، ما جاء فى بعض النصوص أن «الآب سلّم..» أو «الآب دفع...» أو «الآب أخضع» أو «الآب جعله...» فهذه تعبيرات للدلالة على «المحبة» المتبادلة بين الآب و (الابن) ، وعلى «الرضا» ، و «التوافق» حتى يستبعد من فكر الناس أن (الابن) «اغتصب» من الآب تلك الصفات أوالقدرات أو حصل عليها عنوة من دون رضى الآب، وخصوصاً وأن المستقر فى أذهان الناس منذ بدء الخليقة أن كل شئ هو لله الآب.

والخلاصة أنه طالما أن (الابن) - وهو الله الظاهر فى الجسد (١ - تيموثيئوس ٣ : ١٦) - **مالك كل شئ، ووارث كل شئ، ويسود على كل شئ ويخضع له كل شئ، وليس ثمت شئ لا يملكه (الابن) ، وليس ثمت شئ للآب دون (الابن) ، (فالابن) إذن والآب واحد فى كل شئ. والآب لا يفوق (الابن) فى شئ، و (الابن) لا يقل عن الآب فى شئ. الآب (والابن) إذن جوهر واحد، ألوهة واحدة، ذات إلهية واحدة.**

يسوع المسيح ينسب إلى ذاته المساواة مع الآب في الجوهر، أى وحدانية الجوهر الإلهى

وهنا يثور السؤال من جديد، وهو سؤال يقف أمام جميع الناس فى كل العصور متحدياً الجواب الصحيح والأمين والحق :

والسؤال هو : هل يجرؤ نبى أو رسول أن ينسب إلى ذاته ما نسبه يسوع المسيح إلى ذاته ؟!

لو كان يسوع المسيح نبياً أو رسولاً من طراز موسى أو إبراهيم أو إيليا أو إرميا... هل كان يحق له أن ينسب إلى ذاته من الصفات والخصائص والقدرات التى لا تنسب إلاّ إلى الله الواحد وحده ؟

قطعاً لا.

إذن إما أن يكون المسيح صادقاً فى دعواه بأنه هو بذاته الله وقد اتّخذ جسداً، احتجب فيه - أو أن يكون المسيح مجدّفاً.

ومن هنا كان اليهود على حق فى أنهم اتّهموه بالتجديف، لأنهم فهموا دعواه على حقيقتها، وأنه إذ نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلاّ إلى الله وحده، لم يكن حديثه عن ذاته من قبيل المجاز أو الرمز أو الاستعارة... ولا كان حديثه مستورا أو غامضاً أو ملبّساً بالتشبيهات المتاحة فى آداب اللغة البشرية... وإنما كان كلامه واضحاً وجلياً... وكان يكرره من وقت إلى آخر مُصِراً عليه متحدياً به سوء الفهم والقصد... كان إذن يقول ما يقصد ويقصد ما يقول.

واعترضه اليهود وراجعوه فى أقواله لعله يعدل عنها، أو يعدل منها أو يوضحها، فأصر عليها...

قال : «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ : ٣٠) مؤكداً على أنهما **جوهر واحد، وألوهة واحدة**. وهنا قمة ما يمكن أن يعبّر عنه بلغة الناس عن كمال وتمام المساواة بين الابن والآب... هل هناك تعبير بلغة الانسان أقوى من هذا التعبير فى بيان المساواة بين (الابن) والآب فى جميع الصفات والكمالات الإلهية ؟

لذلك كان اليهود على حق فى صدق فهمهم لتصريح المسيح البالغ الخطورة والذى نزل عليهم نزول الصاعقة، فزلزل كيانهم وهزّ إلى أعمق الأعماق صلابة عقيدتهم فى وحدانية الله وتفرده بالوحدانية، وهم شعب الله المختار الذين لا يعرفون غير الله إلهاً واحداً أحداً «أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامى» ... «الرب هو الإله فى السماء من فوق وفى الأرض من أسفل، ليس سواه ...» «الرب إلهك تتقى، وإياه تعبد، وبه تلتصق، وبإسمه تحلف...» (الخروج٢٠ : ٢، ٣) ، (التثنية ٤ : ٣٩) ، (١٠ : ٢٠) ، (٦ : ١٣) ...

يقول الإنجيل عن اليهود عندما سمعوا تصريح المسيح بأنه واحد مع الآب فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) «فالتقط اليهود عندئذ حجارة مرة أخرى ليرجموه» ... وكانت هذه محاولة أخرى لرجمه، فقد رفعوا من قبل حجارة ليرجموه عندما سمعوه يقول لهم : «الحق الحق أقول لكم : قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن». ففهموا دعواه ولم يحتملوا سماعها «فرفعوا حجارة ليرجموه» (يوحنا ٨ : ٥٨، ٥٩) ، وكان الرجم عقوبة التجديف، فقد قال الرب للنبى موسى «كلم بنى إسرائيل قائلاً : كل من سب إلهه يحمل خطيئته. ومن جدف على اسم الرب فليقتل قتلاً، ترجمه كل الجماعة رجماً. الغريب كالوطنى إذا جدّف على الاسم يقتل» (اللاويين٢٤ :١١-١٦) .

هنا وبينما اليهود قد إلتقطوا الحجارة ليرجموا الرب يسوع، دخل الرب معهم فى حوار «فأجابهم يسوع قائلاً : إن أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من لدن أبى، فبسبب أى عمل منها ترجمونني؟ أجابه اليهود قائلين : إننا نرجمك لا بسبب عمل حسن، وإنما بسبب التجديف، لأنك وأنت إنسان **تجعل نفسك إلهاً**» (يوحنا ١٠ : ٣١ - ٣٣) .

إذن لقد فهم اليهود من قول المسيح «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) **أن هذه الوحدة هى وحدانية الجوهر**، وليست مجرد وحدة روحية أو أدبية أو معنوية أو أخلاقية، ولذلك إلتقطوا حجارة ليرجموه، لأنه فى نظرهم نسب إلى ذاته ما لا ينسب إلاّ إلى الله وحده، وقالوا له صراحة : «إننا نرجمك بسبب **التجديف**، لأنك وأنت إنسان **تجعل نفسك إلهاً**».

فماذا كان جواب المسيح على هذا الإتهام بالتجديف؟.

هل تراجع فى دعواه ؟

هل عدل من أقواله أو عدل عنها؟

هل أنكر عليهم ما فهموه ؟

هل اعتذر لهم بأن فى قوله مجازاً أو تورية ؟

كلا!

إنه أعاد القول، وكرره، شارحاً أنه ليس فى القول مجاز أو تورية أو استعارة أو رمز أو لفظ أوسع من قصده...

قال «أتقولون أنتم للذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم إنك تجدّف لأنى قلت إننى **أنا ابن الله**. إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى، آمنوا بالأعمال لتعلموا وتعرفوا **أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٠ : ٣٦ – ٣٨).

إذن لم يعدل المسيح عن تصريحه بسبب اعتراض اليهود عليه، ولا عدل عنه تهدئة لثورتهم وترضية لهم، ولا تراجع عن مقولته تكذيباً لإتهامهم له بالتجديف.

إنما عاد يكرر من جديد أنه (**ابن الله**) وأنه **قدوس الله**، وأنه **آت من السماء، وأنه من لدن الآب**، فكيف يجدف عليه، ومادام مرسلاً من السماء وآتياً من لدن الآب السماوى، فليس هو إذن عدوا لله كما ظنوا وكما تطاولوا عليه ليرجموه بالأحجار. إنه على العكس مما صَوّروه أو تصوّروه، فالآب يحبه وهو راضٍ عنه ومؤيد له، إذ الأعمال التى صنعها - وهى كلها أعمال قوة واقتدار - دليل ليس فقط على أن الله الآب معه مؤيداً ومسانداً، وإنما فضلاً عن هذا كله **فإن أعماله التى قام ويقوم بها هى نفس أعمال الآب، وهو يقوم بها باسمه وبتأييده**، فليس بين الله الآب، وكلمته خلاف أو عداء أو جفاء، **وهى ذاتها برهان معيته مع الآب ووجوده الدائم معه، إذ هو كائن فى الآب، والآب كائن فيه**. «إن لم أكن أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى، ولكن إن كنت أعمل أعماله فإن لم تؤمنوا بى آمنوا بالأعمال لتعلموا وتعرفوا أنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ». وإذن (فالكلمة) قد مارس أعمال القدرة والمعجزات والآيات **لا باسمه وحده بل باسم الآب لأنه كائن معه وكائن فيه، ولا خلاف بينهما ، بل إنّ بينهما وحدة ومحبة ووحدانية**. وفى موضع آخر يقول «إنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، **وإنما الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل أعماله» (يوحنا ١٤ : ١٠).

هذه الأعمال، أعمال القدرة التى عملها المسيح له المجد، هى برهان ألوهته لأنها **أعمال لا يستطيع نبى أن يقوم بها، فقد صنعها دون أن يبتهل إلى الله الآب أى ليس كما كان يفعل الأنبياء. إنه صنعها بسلطانه المطلق الذى لم يستمده من كائن آخر خارج عن ذاته**، لأن هذا السلطان المطلق قائم معه وكائن فيه، فلا يستمده من آخر، وهذا برهان على أنه **كائن فى الآب والآب كائن فيه**، لذلك لم يكن فى حاجة أن يطلبه بالصلاة فيمنح له كما يمنح للأنبياء. قال المسيح له المجد فى بيان سلطانه المطلق على صنع أعمال القدرة متميزاً فى ذلك عن الأنبياء والرسل «**صنعت بينهم أعمالاً لم يصنعها أحد غيرى**» (يوحنا ١٥ : ٢٤) . وحتى نيقوديموس نفسه وهو من علماء اليهود وكبار قياداتهم الدينية شهد للمسيح وأعماله قائلاً : «يا معلم نحن نعلم أنك جئت من الله معلما، لأنه **ما من أحد يقدر أن يصنع هذه الآيات التى أنت تصنع ما لم يكن الله معه**» (يوحنا ٣ : ٢) وشهد المولود أعمى قائلاً : «**ما سمعنا منذ بدء الزمان أن إنساناً فتح عينى مولود أعمى فلو لم يكن هذا من الله ما استطاع أن يصنع شيئاً**» (يوحنا ٩ : ٣٢، ٣٣)، ويروى الإنجيل «وقد آمن به كثيرون من الجمع، قائلين : ألعل المسيح متى جاء يصنع معجزات أكثر من تلك التى صنعها هذا؟» (يوحنا ٧ : ٣١) .

وإذن فأعمال القدرة التى قام بها المسيح له المجد ليست فقط هى برهان لاهوته من حيث أنه «صنع أعمالاً لم يصنعها أحد غيره» كما قال هو نفسه له المجد (يوحنا ١٥ : ٢٤)، إنما هى فى نفس الوقت **برهان وحدته مع الآب الكائن فيه** (يوحنا ١٤ : ١٠)، وهى الدليل على أنه **كائن فى الآب والآب كائن فيه**. وقد ردد هذا المعنى كثيراً. يقول لفيلبس أحد تلاميذه «ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ... صدقونى **أنى فى أبى، وأن أبى فىّ**، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤ : ١٠، ١١) ويكرر الحقيقة نفسها فى نفس المناسبة «**إنى أنا فى أبى**» (يوحنا ١٤ : ٢٠) ويقول مناجياً الآب على مسمع من تلاميذه «**إنك أنت أيها الآب فىّ، وأنا أيضاً فيك**» (يوحنا ١٧ : ٢١، ٢٣) .

وإذا كان ذلك كذلك **فالابن فى الجسد هو الظهور الإلهى، هو الله نفسه وقد تجلى**، وهذا هو معنى أنه ابن الله، لا بمعنى الولادة كما هى فى عالم الإنسان ولكن من حيث

أن الله وهو بطبيعته الغير المنظور صار له كيان منظور فى المسيح. وقد أوضح المسيح له المجد فى حديثه إلى فيلبس وإلى تلاميذه كيف أنه «صورة الله الغير منظور» (كولوسى ١ : ١٥) فى جوابه على فيلبس. قال له فيلبس ليلة آلامه : «يارب أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع : أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب. ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ؟» (يوحنا ١٤ : ٨ - ١٠) وهذا بيان، ما أوضحه فى الدلالة على أن الله وهو الغير المنظور، والذى لا يُرى، قد صار منظوراً فى المسيح «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨). ويقول فى مناسبة أخرى مؤكداً على نفس الحقيقة «إن الذى يؤمن بى ليس بى يؤمن وإنما آمن بالذى أرسلنى. والذى يرانى فقد رأى الذى أرسلنى» (يوحنا ١٢ : ٤٤، ٤٥) وهذا بينة على كمال الوحدة بينه وبين الآب. ويضيف فى حديثه إلى تلاميذه ليلة آلامه «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه» (يوحنا ١٤ : ٧) فكيف يصرح لتلاميذه، وهم لم يروا الآب السماوى، أنهم قد رأوا الآب فعلاً؟ إذ يقول لهم : «وقد رأيتموه». لابد أن يكون المعنى أنهم قد رأوا الآب فى المسيح. وإذن فالمسيح هو صورة الله الغير المنظور.

فبينما يقول لتلاميذه : «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً، ومنذ الآن تعرفونه وقد رأيتموه» يقول عن اليهود «أنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى» (يوحنا ١٦ : ٣)، (١٥ :٢١)، (٨ : ٥٥)، (٧ : ٢٨) بل قال لليهود صراحة «لأنكم لا تعرفوننى أنا ولا تعرفون أبى. لو كنتم تعرفوننى لكنتم تعرفون أبى أيضاً» (يوحنا ٨ : ١٩) مما يدل على أنه لا يقصد المعرفة الجسدية، فهم يعرفونه لأنهم كانوا يرونه بعيونهم، فى الشوارع وفى الهيكل بل كانوا يقولون «نحن نعرف أباه وأمه» (يوحنا ٦ : ٤٢) وإنما المقصود هو المعرفة الذاتية التى عرفها التلاميذ عن الآب إذ رأوه فى الابن «ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه».

وملاك القول أن (الابن) واحد مع الآب فى الجوهر، و (الابن) كائن فى الآب. والآب كائن فى (الابن)، وأعمال القدرة التى عملها (الابن)، عملها مع الآب

وبالآب. فالآب و (الابن) ألوهة واحدة، وكيان واحد، وذات إلهية واحدة، وجوهر واحد. الآب هو الله الغير المنظور، و (الابن) هو الله المنظور. والله واحد، هو فى لاهوته لم يره أحد قط، ولكنه عندما أراد أن يكون له على الأرض كيان منظور من أجل خلاص الإنسان، اتّخذ له جسداً، فصار الغير المنظور منظوراً. وإذن فالمسيح هو الله، وهو ابن الله. هو الله فى ذاته وهو ابن الله لأنه تجلى ظاهراً فى الجسد. «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (١ تيموثيلوس ٣ : ١٦).

من قانون الإيمان للقديس أثناسيوس الرسولى

١ ـ كل من يروم أن يخلص يجب عليه أولاً وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان الجامع الشامل ويتمسك به.

٢ ـ ومن لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله ومن غير إفساد أو تعديل فيه يهلك هلاكاً أبدياً.

٣ ـ والإيمان الجامع الشامل هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث، ونعبد الثالوث فى وحدانية.

٤ ـ ويجب ألا نخلط بين الأقانيم، ولا أن نفصل فى الجوهر أو نقسم الذات.

٥ ـ فإن للآب أقنوماً، وللابن أقنوماً آخر، وللروح القدس أقنوماً آخر.

٦ ـ ولكن الآب والابن والروح القدس، ليسوا إلا إلها واحداً ومجداً واحداً وعظمة أبدية واحدة.

٧ ـ وكما هو الآب كذلك الابن وكذلك الروح القدس.

٨ ـ فالآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.

٩ ـ الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.

١٠ ـ الآب سرمدى، والابن سرمدى، والروح القدس سرمدى.

١١ ـ ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمدى واحد.

١٢ ـ وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولا ثلاثة غير مخلوقين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

١٣ ـ كذلك الآب قادر على كل شئ، والابن قادر على كل شئ، والروح القدس قادر على كل شئ.

١٤ ـ ومع ذلك ليسوا ثلاثة قادرين على كل شئ بل واحد قادر على كل شئ.

١٥ ـ فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله.

١٦ ـ ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

١٧ ـ كذلك الآب هو الرب، والابن هو الرب، والروح القدس هو الرب.

١٨ ـ ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد...

١٩ ـ وليس فى هذا الثالوث من هو أسبق من الآخر فى الزمن أومتخلف عنه أو أكبر منه، أو أصغر منه، وإنما الأقانيم الثلاثة جميعاً سرمدية ومتساوية.

٢٠ ـ ولهذا فى جميع الأمور كما ذكرنا ينبغى أن يعبد الثالوث فى وحدانية، والوحدانية فى ثالوث.

ثانياً : الأنبياء والرسل
نسبوا إلى يسوع المسيح الألوهية

فى الجزء الأول شرحنا أن يسوع المسيح نسب إلى ذاته الألوهية، صراحة، وكشف عن صفات وخصائص لا يمكن أن يتصف بها إلا الله الواحد وحده.

على أن الأنبياء أيضا أنبأوا عن يسوع المسيح ووصفوه بالروح القدس الذى نطق على أفواههم وتكلم بألسنتهم، بالألوهة، ونسبوا إليه صفات لا يتصف بها إلا الله الواحد وحده، فوصفوه بالأزلية والأبدية وغيرها من صفات الكمال الإلهى. ولو لم يكونوا صادقين لكانوا مجدفين لأنهم خلعوا على المسيح صفات الله ذاته. فلم يكن المسيح، بما نسبوه إليه من صفات الألوهة، عبدا أو رسولا أو نبيا كسائر الأنبياء والخدام والرسل، وإن كان أخذ صورة العبد والرسل، وإن كان قد حمل مع صفاته الإلهية صفات الأنبياء والملوك والكهنة، وذلك مرده إلى التجسد الإلهى الذى به جمع المسيح بين صفات الإله وصفات الإنسان فى طبيعة واحدة وأقنوم واحد، وكيان واحد، وشخص واحد.

ولقد أشار الرسل فى العهد الجديد إلى أهمية دور الأنبياء فى العهد القديم فى التنبيه إلى المسيح الآتى، وما يتصف به من صفات الألوهة.

فجاء فى رسالة القديس بطرس الرسول :

«لذلك لا أهمل أن أذكركم دائما بهذه الأمور، وإن كنتم عالمين ومثبتين فى الحق الحاضر. ولكنى أحسبه حقا ما دمت فى هذا المسكن أن أنهضكم بالتذكرة... لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجدا، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى : هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلا من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس. وعندنا الكلمة النبوية، وهى أثبت، التى تفعلون حسنا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم. عالمين هذا أولا أن كل نبوّة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون محمولين بالروح القدس» (٢. بطرس ١ : ١٢ - ٢١).

ففي هذا النص المقدس يربط الرسول القديس بين ما عاينه القديس بطرس بنفسه ومعه زميلاه الرسولان القديسان يعقوب ويوحنا عندما كانوا جميعا مع الرب يسوع المسيح على جبل التجلي، الجبل المقدس تابور، ورأوا وشاهدوا عظمته وجلالته إذ كشف بعض القناع عن مجد لاهوته فنظروا وجهه يضئ كالشمس في قوتها وثيابه متألقة بالنور. وبين ما أنبأ به الأنبياء القديسون عنه من قبل مجيئه (لوقا ١ : ٧٠)، وهم في كل ما أنبأوا به لم يكونوا يتحدثون من تلقاء أنفسهم أو من وحي عقولهم، ولكن كان كل ذلك بإلهام الروح القدس (٢ .تيموثيؤس٣:١٦). ومع ذلك لم يكن للأنبياء قدر من النور يقاس بشئ إلى جانب النور القوى الوضاح الذي انكشف في العهد الجديد بمجئ الرب يسوع فهو وحده النور الحقيقي (يوحنا ١ : ٩) المضئ باعتباره كوكب الصبح المنير. نعم، لم يكن لأنبياء العهد القديم إلا قبس من نور رأوا به شيئا من مجد المسيح الآتي ولكن لم يروا النور الكامل الذي ظهر جليا في العهد الجديد، ومع ذلك فذلك القبس من النور لم يكن منهم، إنما كان بفضل «الروح القدس الناطق في الأنبياء»، وكان بمثابة «سراج منير» في موضع مظلم (٢ . كورنثوس ٤ : ٧) بالقياس إلى كوكب الصبح المنير (الرؤيا ٢٢ :١٦) الذي انبلج وتفجر بالنور الحقيقي في مجئ المسيح (لوقا ١ : ٧٨، ٧٩)، (٢ . كورنثوس ٤ : ٦).

وعلى الرغم من أن النور الذي تكلم في ضوئه أنبياء العهد القديم لم يكن إلا بمثابة «سراج منير» بالنسبة إلى نور «كوكب الصبح المنير» الذي تجلى في المسيح، لكنه مع ذلك مهم وضروري، فهو الذي ربط بين العهد القديم قبل أن يأتي المسيح وبين العهد الجديد الذي جاء فيه المسيح، وهو مركز العهدين.

وتوكيدا لقيمة العهد القديم وشهادة الأنبياء عن المسيح، قال له المجد لليهود «ابحثوا في الأسفار المقدسة لأنكم تعتقدون أن لكم فيها الحياة الأبدية، وتلك هي التي تشهد لي» (يوحنا٥:٣٩) وقال أيضا «لا تظنوا أنني أشكوكم إلى الآب. فإن هناك من يشكوكم وهو موسى الذي جعلتم فيه رجاءكم، فإنكم لو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بي أيضاً لأنه كتب عني. فإن كنتم لا تؤمنون بما كتبه، فكيف تؤمنون بكلامي» (يوحنا ٥ : ٤٥ – ٤٧).

انظر أيضا (لوقا ٢٤ : ٢٥، ٢٧) ، (أعمال ١٣ : ٢٧) ، (٣ : ١٨).

وقارن (إشعياء ٧ : ١٤) ، (متى ١ : ٢٣) ، (إشعياء ٩ : ١ – ٧) ، (متى ٤ : ١٤ – ١٦) ، (إشعياء ٤٢ : ١ – ٧) ، (متى ١٢ : ١٨ – ٢١) ، (إشعياء ٥٣ : ١ – ١٣) ، (متى ٨ : ١٧) ، (لوقا ٢٢ : ٣٧) ، (دانيال ٧ : ١٣، ١٤)، (متى ٢٤ : ٣ – إلخ) ، (ميخا ٥ : ٢) ، (متى ٢ : ٦)، (زكريا ٩ : ٩) ، (متى ٢١ : ٥).

وقال الرسول بولس «السر الذى كان مكتوما فى الأزمنة الأزلية ولكن ظهر الآن، وأعلم به جميع الأمم بالكتب النبوية حسب أمر الله الأزلى لإطاعة الإيمان» (رومية ١٦ : ٢٥، ٢٦).

* * *

تلك أهمية العهد القديم، وأقوال الأنبياء فيه التى يشيرون فيها بإلهام الروح القدس إلى المسيح الآتى ومجد لاهوته.

أما تلاميذ المسيح ورسله فهم الذين استناروا بنوره وسقط عليهم ضياء جلاله وبهاء لاهوته (العبرانيين ١ : ٣) فتحدثوا عن مجده ووصفوه كما تحققوه وتبينوه على حقيقته، خصوصا بعد قيامته المجيدة من بين الأموات، (يوحنا ٢٠ : ٩) ، (٢ : ٢٢) وبعد أن تثبتوا من ذلك بما كشفه سيدهم لعيونهم وتلقنوه منه بأقواله وأعماله، فكانوا شهوده (لوقا ٢٤ : ٤٨) ، (أعمال ١ : ٨) ، (يوحنا ١٥ : ٢٧) الذين حملوا رسالته من بعده، ونقلوها إلى كل الخليقة (مرقس ١٦ : ١٥) بكرازتهم وتعليمهم. ولم يكونوا فيما تحدثوا وكرزوا به إلا ناقلين عن معلمهم آخذين منه، ولم يكن التعليم الذى علموه عنه تعليمهم هم، وإنما كان تعليمه هو، إذ هو وحده المعلم فقد قال لهم : «إن معلمكم واحد» (متى ٢٣ : ٨) «هو المسيح» (٢٣ : ١٠).

ويقول القديس يوحنا الرسول والحبيب والإنجيلى : «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة تجلت، وقد رأيناها ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا. ذاك الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح.. وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ونخبركم به..» (١ .يوحنا١ :١-٥).

فبحق إذن قال الرسول القديس بطرس «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته» (٢. بطرس ١ : ١٦).

الأنبياء ورسل المسيح
نسبوا إلى يسوع المسيح الأزلية

أولاً - الأنبياء :

١ - جاء فى سفر المزامير قوله :

«قال لى : **أنت ابنى. وأنا اليوم ولدتك.. قبّلوا الابن** لئلا يغضب، فتبيدوا من الطريق. لأنه عن قليل يتقدم غضبه. طوبى لجميع المتكلين عليه» (مزمور ٢ : ٧ – ١٢).

فمن هو الابن ؟ أو من هو المقصود **بالابن ؟**

لا يمكن أن يكون المقصود بالابن هو داود النبى أو غيره من بنى البشر، إذ لا يعقل أن من لا يُقبّل داود أو غيره من الناس يبيد من الطريق أو يهلك، كما لا يعقل أن الله يطوب ويغبط من يتكل على داود أو على بشر أيا كان. «هكذا قال الرب : ملعون الرجل الذى يتكل على الإنسان، ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه» (إرميا ١٧ : ٥). وقال الكتاب «لا تتكلوا على الرؤساء ولا على ابن آدم الذى ليس عنده خلاص... طوبى لمن إله يعقوب معينه، ورجاؤه فى الرب إلهه» (مزمور ١٤٥ : ٣ – ٥).

(الابن) إذن ليس هو داود وليس هو ابن آدم إنما الابن هو المسيح، «المولود من الآب قبل الدهور» ميلاد الماء من النبع، والفكر من العقل، الميلاد الأزلى غير الزمنى.. هو ابن الله لا كبنوة الإنسان للإنسان، إنما هو ابن الله بمعنى أنه من طبع الله ومن جوهره، هو صورة الله الغير المنظور (كولوسى ١ : ١٥) أو هو «بهاء مجده وصورة جوهره» (العبرانيين ١ : ٣).

وأما (اليوم) فى قوله «وأنا اليوم ولدتك» فهو الزمن الذى لا بداءة له ولا نهاية.. أو هو الزمن الذى ليس له زمان، لأنه دائم أبداً، حاضر دائماً، أو هو الأزل الذى لا بداءة له ولا نهاية له، لأنه دائم إلى الأبد.

(أ) والدليل من الكتاب المقدس نفسه على أن المقصود بـ **(الابن) هو المسيح**، الله الكلمة، الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس هو قول القديس بولس الرسول فى عظته التى ألقاها فى مجمع

اليهود فى انطاكية بيسيدية يوم السبت «أيها الرجال الإسرائيليون.. نحن نبشركم بأن ما وعد به آباؤنا قد أتمه الله لنا نحن أبناءهم، إذ أقام **يسوع كما هو مكتوب أيضا فى المزمور الثانى: أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك..»** (اعمال الرسل ١٣ : ١٦ - ٣٣).

(ب) ويؤكد الرسول بولس على نفس الحقيقة فى موضع آخر، وذلك فى رسالته إلى العبرانيين بقوله عن المسيح يسوع ابن الله أنه هو المقصود بـ (الابن) فى نص المزمور الثانى، يقول «إن الله، بعد ما كلم آباءنا قديما بالأنبياء، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة بابنه الذى جعله وارثا لكل شئ، وبه خلق الدهور. **وهو بهاء مجده وصورة جوهره، وحامل الكون بكلمة قدرته**، بعد ما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى **فكان أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أعظم من أسمائهم. لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك»** (العبرانيين ١ : ١ - ٥) مبينا بهذا أن (الابن) فى عبارة المزمور الثانى لا تنطبق على أحد آخر من البشر أو من الملائكة، وإنما على يسوع المسيح وحده، لا غيره.

(ج) ومرة ثالثة يلح الرسول بولس على نفس القضية مؤكدا أن ما جاء عن (الابن) فى المزمور الثانى، قيل عن **يسوع المسيح وحده بصفته رئيس كهنة العهد الجديد**. يقول : «لأن كل رئيس كهنة يؤخذ من بين الناس ويقام فيما هو لله من أجل الناس، ليقدم قرابين وذبائح عن الخطايا.. وليس أحد يأخذ لنفسه هذه الكرامة إلا من دعاه الله كما دعا هرون. **فكذلك المسيح أيضا لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له : أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك.. لأن الله قد دعاه رئيس كهنة إلى الأبد»** (العبرانيين ٥ : ١ - ١٠).

٢ - وجاء فى سفر المزامير قول النبى داود : «**قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك**... من رَحِم الفجر، لك طلّ حداثتك» (مزمور١٠٩ :١- ٣).

والواضح فى هذا المزمور أن هناك مناجاة بين أقنوم (الآب) الرب، وأقنوم (الابن) الرب. (الآب) وهو الرب، وبالعبرانية (يهوه) יְהֹוָה يناجى (الابن) وهو الرب - وهو المسيح قبل التجسد وقبل كل الدهور، ويقول له : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك. والجلوس عن يمين الآب هو ما تم بالفعل فيما بعد، إذ اتّخذ الابن جسدا وبعد أن تمم الفداء بموته

وقيامته صعد إلى السماء وجلس فى يمين عرش العظمة فى الأعالى (مرقس ١٦ : ١٩) ، (أفسس ١ : ٢٠) ، (كولوسى ٣ : ١) ، (العبرانيين ١ : ٣) ، (٨ : ١) ، (١٠ : ١٢) ، (١٢ : ٢)، (١. بطرس ٣ : ٢٢) ، (متى ٢٦ : ٦٤).

والمعنى أنه جلس على عرش الله فى السماء، لأنه لما كان اللاهوت غير محصور وغير محدود فلا يمين له أو شمال، إنما اليمين هنا تعبير يرمز إلى السمو والرفعة وعلو المقام، خصوصا والجلوس هنا للابن متجسدا، أى للمسيح فى الجسد.

(أ) والدليل على أن المقصود بالقول له فى النص «ربى» هو المسيح فى الجسد أى الله الابن بعد أن اتّخذ جسدا هو استشهاد المسيح له المجد بهذا النص عينه مشيرا به إلى شخصه المبارك.

قال الإنجيل «وفيما كان الفريسيون مجتمعين (فى الهيكل) سألهم يسوع قائلاً : ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟، فقالوا له : ابن داود. قال لهم : **فكيف إذن يدعوه داود بالروح (القدس) : ربى، قائلا (فى كتاب المزامير) : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك؟ فإن كان داود إذن يدعوه ربه فكيف يكون ابنه ؟** فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ أحد على أن يسأله مرة أخرى» (متى ٢٢ : ٤١ – ٤٦) ، (مرقس ١٢ : ٣٥ – ٣٧) ، (لوقا ٢٠ : ٤١ – ٤٤).

(ب) ويستشهد بهذا النص أيضا القديس بطرس الرسول فى خطابه المشهور فى اليهود فى يوم الخمسين بعد حلول الروح القدس عليه وعلى الرسل الآخرين. فيقول : «فيسوع هذا قد أقامه الله، ونحن كلنا شهود على ذلك. وإذ كان قد ارتفع بيمين الله وأخذ من الآب موعد الروح القدس أفاض هذا الذى أنتم الآن تنظرونه وتسمعونه . فإن داود لم يصعد إلى السماوات، وهو نفسه يقول : **قال الرب لربى : اجلس عن يمينى، حتى أجعل أعداءك تحت قدميك.** فليعلم يقينا جميع آل إسرائيل أن الله قد جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم ربا ومسيحا» (أعمال الرسل ٢ :٣٢ – ٣٦).

(ج) واستشهد بهذا النص أيضا القديس بولس الرسول، شارحا أنه قيل عن المسيح له المجد، وهو ابن الله قبل التجسد، منبئا داود عنه أنه بعد التجسد والفداء يصعد إلى السماء ثم يجلس على عرش الله فى السماء يقول «إن الله، بعد ما كلم آباءنا قديما بالأنبياء، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا

فى هذه الأيام الأخيره بابنه الذى جعله وارثا لكل شئ وبه خلق الدهور، الذى وهو بهاء مجده وصورة جوهره وحامل الكون بكلمة قدرته بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى، فكان أعظم من الملائكة... لأنه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك.. **ثم لمن من الملائكة قال قط : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك» (العبرانيين ١ : ١ - ١٣).**

(د) وأشار إليه القديس بولس الرسول مو ضحا أنه قيل فى المسيح، وقد تم فعلا بصعود المسيح إلى السماء بعد إتمام الفداء، وجلوسه على العرش ملكا قائلا : «لأنه لابد له أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه... لأنه أخضع كل شئ تحت قدميه» (١. كورنثوس ١٥ : ٢٥ - ٢٧).

(هـ) وأشار مرة أخرى إلى هذا المعنى عينه، شارحا انطباقه على المسيح له المجد وأنه بعد أن تمم الخلاص بموته وصعد إلى السماوات جلس عن يمين العظمة «فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وفوق كل اسم يسمى، لا فى هذا الدهر فقط بل فى الدهر الآتى أيضا، **وأخضع كل شئ تحت قدميه**، وجعله فوق كل شئ رأسا للكنيسة التى هى جسده» (أفسس ١ :٢-٢٣).

* * *

على أن المزمور القائل «قال الرب لربى..» فيه الدليل على أزلية المسيح له المجد، لأنه ينص على أنه (الرب) : «قال الرب لربى» خصوصا وأن السيد المسيح قد وضع النقط على الحروف بسؤاله للكتبة والفريسين : إذا كان المسيح ابن داود «فكيف إذن يدعوه داود بالروح (القدس) ربىّ.. فإن كان داود إذن يدعوه ربه، فكيف يكون ابنه» مبينا بهذا أنه إن كان المسيح يسمى ابن داود، فهو ابن داود **حسب الجسد**، (متى ٩ :٢٧) ، (١٢ :٢٣) ، (١٥ :٢٢) ، (٢٠ : ٣٠، ٣١) ، (٢١ : ٩، ١٥) ، (٢٢ :٤٢) ، (مرقس ١٠ :٤٧، ٤٨) ، (١٢ :٣٥) ، (لوقا ١٨ :٣٨، ٣٩) ، (٢٠ : ٤١) لكنه (رب داود) وسابق على داود فهو الرب مع الرب الآب، واحد معه فى الربوبية، وبالتالى فهو أزلى معه. وعلى قول القديس أثناسيوس الرسولى لم تمر لحظة فى الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن كائنا معه.

وتوكيدا لأزلية الابن الرب يقول المزمور إن الرب الآب يقول للرب الابن : «من رحِم الفجر، لك طلّ حداثتك». والنص فى العبرانية يقرأ מֵרֶחֶם מִשְׁחָר לְךָ טַל יַלְדֻתֶיךָ

Merehem Misehar LEKHA Tal Yaldotekha

وحرفيا : (من الرَحِم، فى السَحَر، لك طلّ ولادتك) .

وفى اليونانية بحسب الترجمة السبعينية : ἐκ γαστρὸς πρὸ ἑωσφόρου ἐξεγέννησά σε

وحرفيا : «من الرَحِم (أو من البطن) قبل كوكب الصبح the Morning Star أو قبل أن يبدأ الفجر Bringer of Morn، لك طلّ حداثتك» .

فــى اللغــة القبطيــة : ⲉⲃⲟⲗϦⲉⲛ ⲑⲛⲉϫⲓ Ϧⲁϫⲱϥⲙⲡⲓⲥⲓⲟⲩ ⲛ̀ⲧⲉ ϩⲁⲛⲁ̀ⲧⲟⲟⲩⲓ̀ ⲁⲛⲟⲕ ⲁⲓϫ̀ⲫⲟⲕ

وحرفيا : «من البطن (الرَحِم) قبل وقت كل صباح، ولدتك» .

ولا شك أن المعنى المقصود من تعبير «رحمِ الفجر» هو (**الأزل**) لأن رَحِم الفجر يشير إلى الزمن السابق طويلا على بزوغ النور. ولما كان الله هو النور، فالزمن السابق طويلا على بزوغ النور فى نشأته هو بعينه الأزل، البدء الذى ليس له بدء ـ وهذا تعبير يضاهى ما نقوله فى قانون الإيمان عن المسيح قبل التجسد، أو الله الابن أنه «نور من نور» .

وكذلك المعنى من «طلّ الحداثة» (٢ . صموئيل ١٧ : ١٢) ، (ميخا ٥ : ٧) هو نشأة النشأة، أو بدء البدء، وبعبارة أخرى هو (الأزل) .

٣ ـ وإلى أزلية المسيح قبل التجسد، وهو الله الابن، أو الله الكلمة، أو «حكمة الله» يشير بوضوح سفر الأمثال.

يقول النص : «**أنا الحكمة**.. لى المشورة والرأى.أنا الفهم، لى القدرة... لى المشورة والرأى. أنا الفهم، لى **القدرة**... أنا أحب الذين يحبوننى، والذين يبكرون إلىّ يجدوننى... فى طريق العدل أتمشى، فى وسط سبل الحق... **الرب حازنى فى أول طريقه، من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مسحت، منذ البدء، من قبل أن كانت الأرض، ولدت حين لم يكن غمر، إذ لم تكن الينابيع الغزيرة المياه، من قبل أن أقرت الجبال، وقبل التلال ولدت.. إذ لم يكن قد صنع الأرض بعد ولا البرارى ولا أول أعفار المسكونة. لما ثبت السماوات كنت هناك أنا، وحين رسم دائرة على وجه الغمر.** لما أثبت السحب من فوق، لما تشددت ينابيع الغمر. لما وضع للبحر حده فلا تتعدى

المياه تخمه، لما رسم أسس الأرض، **كنت عنده مهندسا (صانعا)** . وكنت كل يوم لذته، فرحة دائما قدامه. فرحة في مسكونة أرضه ولذاتي مع بني آدم..» (الأمثال ٨ : ١ – ٣١) .

إذن الحكمة الخالقة ذات القدرة كانت مع الله الآب منذ الأزل، ومن قبل أن توجد الأرض، والسماوات، والبحار والجبال والتلال، ومن قبل أن ينشأ الوجود. **الله إذن منذ البدء أو منذ الأزل كانت معه الحكمة كائنة معه، وبها خلق الوجود، وبها صنع المخلوقات والموجودات الجامدة والحية**. ولم يمر زمن كان فيه الله ولم تكن معه الحكمة. **فالحكمة إذن أزلية مع الله**، وإلا كان هناك وقت كان فيه الله، ولم يكن حكيما، أو كان هناك وقت كان فيه الله، ولم يكن قادرا على الخلق.

ألم يقل الكتاب المقدس عن الله «**عنده الحكمة** والقدرة، وله المشورة والفطنة» (أيوب١٢:١٣) ؟

ألم يقل «**الرب بالحكمة أسس الأرض** وبالفطنة ثبت السماوات» (الأمثال ٣ : ١٩) ؟

ألم يقل الله تعالى «بقدرة يدي صنعتُ **وبحكمتي** لأني بصير» (إشعياء ١٠ : ١٣) ؟

ألم يقل عنه النبي إرميا «هو الذي صنع الأرض بقوته، **وثبت المسكونة بحكمته، وبسط السماوات بفطنته**» (إرميا ١٠ : ١٢) ؟

ألم يصفه النبي دانيال بأنه «له الحكمة والجبروت» (دانيال ٢ : ٢٠) ؟

ألم يقل الرسول بولس «يا لعمق غنى الله **وحكمته** وعلمه» (رومية ١١ : ٣٣) ؟

ألم يصفه الرسول القديس يهوذا بأنه «**الإله الحكيم وحده مخلصنا بيسوع المسيح ربنا**، له المجد والعظمة والقدرة والسلطان» (يهوذا : ٢٥) ؟

على أن المسيح له المجد هو أقنوم الحكمة.

جاء في رسالة القديس بولس إلى رومية «الله الواحد وحده **الحكيم، بيسوع المسيح**، له المجد إلى أبد الآباد» (رومية ١٦ : ٢٧) .

وقال في رسالته الأولى إلى كورنثوس «**المسيح** هو قدرة الله، **وحكمة الله**» (١ .كورنثوس١ : ٢٤) .

وفى رسالته إلى كولوسى «**المسيح المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم**» **(كولوسى ٢ : ٣)**.

انظر أيضا (لوقا ١١ : ٤٩) ، (١. كورنثوس ١ : ٣٠) ، (الرؤيا ٥ : ١٢) ، (٧ : ١٢).

٤ ـ وجاء فى سفر ميخا النبى عن السيد المسيح المولود فى بيت لحم أنه أزلى.

قال : «أما أنت يا بيت لحم افراته، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم **منذ أيام الأزل**» (٥ : ٢) وقد ثبت العهد الجديد انطباق هذه النبوءة على السيد المسيح، بل إن اليهود أنفسهم كانوا يعلمون أن هذه النبوءة قد قيلت عن المسيح له المجد حتى إنه عندما جاء المجوس من المشرق إلى أورشليم يسألون قائلين : أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له. جمع هيرودس الملك كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم : أين ينبغى أن يولد المسيح ؟ كان جوابهم حاضرا «فقالوا له : فى بيت لحم التى بإقليم اليهودية لأنه هكذا كتب بواسطة النبى : وأنت يا بيت لحم بأرض يهوذا، لست الصغرى بين ولايات يهوذا، لأن منك يخرج الحاكم الذى يرعى شعبى إسرائيل» (متى ٢ : ١ – ٦). انظر أيضا (لوقا ٢ : ٤). وجاء فى الإنجيل للقديس يوحنا قول اليهود عن المسيح «ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن قرية بيت لحم التى منها كان داود يأتى المسيح» ؟ (يوحنا ٧ : ٤٢) وهم يشيرون بهذا إلى نبوءة النبى ملاخى.

على أن النبوءة تنص على أن المسيح المولود فى بيت لحم أزلى «مخارجه منذ القديم **منذ أيام الأزل**». فمع أنه ولد فى الزمان من إمرأة هى مريم، لكنه كائن فى الوجود قبل مريم، وقبل داود، «**وقبل كل الدهور**»، كان ولم يزل منذ الأزل «**فى البدء كان الكلمة**، والكلمة، كان لدى الله، **وكان الكلمة هو الله**... كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان... كان فى العالم، وكان العالم به» (يوحنا ١ : ١ – ١٠).

ثانياً ـ الرسل :

وكما نسب الأنبياء إلى المسيح الأزلية، كذلك علم الرسل بأن **المسيح أزلى ، وأنه كان كائنا قبل التجسد من مريم، قبل كل الدهور وأنه أزلى مع الآب، لا بداءة له ولا نهاية.**

١ ـ قال الرسول يوحنا فى الإنجيل : «**فى البدء كان الكلمة** ، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. **كان منذ الأزل لدى الله**. كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة.. كان فى العالم، وكان العالم به» (يوحنا ١ :١ - ١٠).

و (**البدء**) فى هذا النص القدسى ليس هو البدء فى سفر التكوين كما فى قوله «فى البدء خلق الله السماوات والأرض» (التكوين ١ : ١). فهذا البدء، بدء التكوين، هو بدء الخليقة، وهو البدء فى الزمان. **أما البدء فى الإنجيل للقديس يوحنا كما فى قوله «فى البدء كان الكلمة» فهو البدء الذى لا بداءة له، البدء السابق على كل وجود، أو هو الأزل.**

كذلك الفعل (كان) ليس هو فعل الماضى الناقص. إنه **الماضى التام**. وعلى ذلك فالفعل (كان) هو من الكينونة، وهو ماض تام لأنه يدل على الكينونة الأزلية فى الماضى الذى لا بداءة له.. وله لذلك نفس المعنى الواضح فى قوله له المجد عن وجوده الأزلى «الحق الحق أقول لكم : **قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن» (يوحنا ٨ : ٥٨)**.

وإذا كان الكلمة «كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. وفيه كانت الحياة» فهذا معناه أنه سابق فى الوجود على كل موجود، وأنه كائن قبل الخليقة، وأنه أيضاً الخالق لكل الوجود، كما أنه **أصل الحياة** ، وباعث الحياة، والمبدئ للحياة، والمنشئ للحياة. ليس هو فقط حيا، لكنه **الحى الأول** الذى أنشأ الحياة فى كل حى. أى أنه **الحى الأزلى**.

وكان فى العالم قبل أن يتجسد من مريم وإن لم يكن وجوده ظاهرا إلا فيما ندر، بل إن العالم كان به، أى أنه هو الذى خلق العالم فهو إذن **كائن قبل كون العالم**، هو إذن **الأزلى الذى لا بداءة له.**

٢ ـ ويقول الرسول يوحنا الحبيب فى الإنجيل : «**والكلمة اتّخذ جسدا**، وحل بيننا» (يوحنا ١ : ١٤) والمعنى وراء هذا، أن الكلمة كان كائنا قبل التجسد، ثم اتّخذ له فى الزمان جسدا.. الكلمة إذن أزلى قبل التجسد، والتجسد حادث في الزمان. أما الكلمة فوجوده سابق على التجسد وعلى الزمان.

٣ ـ ويقول الرسول يوحنا أيضا مقارنا بين يوحنا المعمدان وبين المسيح : «يوحنا (المعمدان) شهد له (أى للمسيح) ونادى قائلاً : هذا هو الذى قلت عنه إن الذى يأتى بعدى قد تقدمنى، لأنه **كان قبلى**، ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا» (يوحنا ١ : ١٥، ١٦).

فلئن كان يوحنا المعمدان سابقا على ظهور المسيح فى الجسد بستة شهور (لوقا ١ : ٢٦) لكن يوحنا المعمدان شهد عن المسيح أنه قد تقدمه فى المقام تقدم السيد على خادمه، والمرسل عن الرسول ـ ثم شهد عنه قائلا : «لأنه **كان قبلى**» وفى هذا بيان للأسبقية فى الزمان، ذلك أن المسيح بوجوده الأزلى قبل الزمان، وقبل التجسد سابق على يوحنا المعمدان بزمن طويل يمتد إلى الأزل.

«ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا».

هو إذن الأصل، ومنه تنبع كل موهبة وكل عطية... الرسل والأنبياء من المسيح أخذوا كل ما كان لهم من مواهب .. فهو النبع والأصل والمصدر، وعلى ذلك فهو أيضا **السابق فى الزمان على كل موجود، لأنه الأزلى الذى ليس له بداءة.**

٤ ـ وقد ألح يوحنا المعمدان على نفس الحقيقة الأزلية للمسيح، مكررا شهادته عنه، قال «أنا أعمدكم بالماء، ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه. الذى وإن أتى بعدى **كان قبلى**، وأنا لست بمستحق لأن أحل أربطة حذائه» (يوحنا ١ : ٢٦، ٢٧). قارن (مرقس ١ : ٧)، (لوقا ٣ : ١٦).

ويضيف الإنجيل قائلا : «وفى الغد رأى يوحنا (المعمدان) يسوع مقبلا إليه فقال : هوذا حمل الله الذى يحمل خطيئة العالم. هذا هو الذى قلت عنه : يأتى بعدى رجل يتقدمنى، **لأنه كان قبلى**» (يوحنا ١ : ٢٩، ٣٠) وكما قال سابقا إن المسيح وإن جاء بعده فى الزمان، متأخرا عنه بستة شهور، لكنه تقدمه فى المكانة بوصفه سيده ويوحنا خادمه، وهذا يرجع إلى أنه كان سابقا

عليه فى الزمان، لأن يوحنا ولد ـ وبميلاده قد وجد. أما المسيح فميلاده لا يعين وجوده، **إنما ميلاده هو تجسده أما وجوده فسابق على ميلاده، وسابق على تجسده.**

٥ ـ ويروى القديس يوحنا الرسول أن يسوع المسيح فى حديث الوداعى ليلة آلامه، شرع له المجد يناجى الله الآب على مسمع من تلاميذه قائلا : «فالآن مجدنى يا أبتاه عند ذاتك، بالمجد الذى **كان لى عندك من قبل كون العالم**» (يوحنا ١٧ : ٥) وقال أيضا : «يا أبتاه أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنيهم يكونون معى حيث أكون أنا، ليعاينوا مجدى الذى أعطيتنى، **لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم**» (يوحنا ١٧ : ٢٤) مما يتضمن **وجوده الأزلى قبل إنشاء العالم وبالتالى أزليته مع الآب السماوى.**

٦ ـ ويقول القديس بولس الرسول :

«شاكرين الآب.. الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، فكان لنا فيه الفداء.. الذى هو صورة الله الذى لا يرى، **وبكر الخلائق كلها**. فإنه فيه خلق كل شئ، مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى، عروشا كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. كل شئ به وله قد خلق، كان قبل كل شئ وفيه يقوم كل شئ، وهو رأس الجسد، أى الكنيسة، **وهو البدء**» (كولوسى ١ : ١٢ – ١٨).

فإذا كان المسيح يوصف بأنه صورة الله الذى لا يرى، وأنه بكر الخلائق كلها أى أنه **الأول قبل جميع الخلائق**، فهو إذن **أزلى قبل الخليقة**، لا سيما أنه **فيه خلق كل شئ** مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى... **كل شئ به قد خلق**، وكل شئ قد خلق له، فهو الخالق الذى خلق كل شئ، وبالتالى **فهو السابق على الخليقة**، وهو لذلك **الأزلى الذى كان قبل كل شئ، وفيه يقوم كل شئ، فهو إذن البداءة والبدء، وهو الأول فى الوجود، سبق فى الوجود كل شئ، ولم يسبقه شئ فى الوجود، فهو الأزلى مع الآب.**

٧ ـ ويقول الرسول القديس بولس :

«فليكن فى كل منكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع الذى مع أنه هو فى صورة الله لم يكن يعتد مساواته لله اختلاسا، لكنه أخلى ذاته متخذا صورة عبد، صائرا فى شبه الناس. وظهر بهيئة إنسان، ووضع نفسه وأطاع حتى الموت» (فيلبى ٢ : ٥ – ٨).

والمعنى الواضح فى هذا النص أن المسيح له المجد مع أنه فى حقيقته «فى صورة الله» (٢. كورنثوس ٤ : ٤)، إلا أنه بتجسده أخلى ذاته من صورة الرب واتّخذ صورة العبد «وافتقر وهو الغنى» (٢. كورنثوس ٨ : ٩) وظهر بهيئة إنسان، ومع أنه معادل لله الآب (يوحنا ٥ : ١٨) وواحد معه فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠) وله ما للآب (يوحنا ١٦ : ١٥). (١٧ : ١٠) من جميع الكمالات الإلهية لكنه جعل نفسه فى شبه الناس. ومع أنه الرب والسيد جعل نفسه كالخادم (متى٢٠ : ٢٨) وبدلا من أن يكون هو المطاع جعل نفسه مطيعا، ومطيعا جدا إلى حد الموت ـ وإذن فقد كان له **وجود سابق على تجسده، وقبل أن يصير فى شبه الناس كان كائنا فى السماء فى وحدة مع الآب**. وإذن **فهو أزلى مع الآب** لأنه معادل لله ومساو له، وليس هو بأقل منه فى الجوهر، ولا هو دون الآب، **إنما هو واحد معه فى الجوهر**، وعلى حد قوله «أنا وأبى نحن معا واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠).

٨ ـ ويقول الرسول القديس بولس : «لأن ملكى صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلى... وتفسير اسمه أولاً ملك البر، ثم ملك شليم أى ملك السلام. وهو لا أب له ولا أم ولا نسب، ولا **لأيامه بداءة ولا لحياته نهاية**، وبذلك يشبه بابن الله» (العبرانيين ٧ : ١ – ٣).

فإذا كان ملكى صادق وهو يحمل صفات ابن الله من حيث أنه ملك البر (إرميا ٢٣ : ٥، ٦)، (دانيال ٩ : ٢٤) ثم ملك السلام (إشعياء ٩ : ٦) ومن حيث أنه لا أب له ولا أم ولا نسب، إذ أن ملكى صادق، لو كان شخصا إنسانيا فكيف يكون لا أب له ولا أم ولا نسب، إلا إذا كان ملكى صادق هو صورة لابن الله، فيه تجلى المسيح، أو فيه تجسد، قبل التجسد؟

فإذا كان الأمر كذلك، أى إذا كان ملكى صادق فيه تجلى المسيح وظهر، ولذلك وصف بأنه لا أب له ولا أم ولا نسب، فإنه أيضا وصف بأنه **لا لأيامه بداءة ولا لحياته نهاية**. إذن هو أزلى. بالتالى فإن المسيح أزلى، والأزلى لا بداءة له ولا نهاية.

٩ - ويقول الرسول بولس أيضا :

«يسوع المسيح هو هو، بالأمس واليوم وإلى الأبد» (العبرانيين ١٣ : ٨).

وهذا نص صريح، فى أن وجود المسيح ممتد فى كل الزمان : ماضيه وحاضره ومستقبله، فهو **«الكائن، الذى كان، الدائم إلى الأبد» (الرؤيا ١ : ٤، ٨) ، (٤ : ٨) ، (١١ : ١٧).**

وهو «الألف والياء» (الرؤيا ١ : ٨)، **«الأول والآخر»** (الرؤيا ٢ : ٨)، **البداءة والنهاية** (الرؤيا ١ : ٨) ، (٢١ : ٦) ، (٢٢ : ١٣).

١٠ - ويقول الرسول القديس بطرس :

«عالمين أنكم لم تفتدوا بما يفسد، من الفضة أو الذهب... بل قد افتديتم بدم كريم، دم الحمل الذى لا عيب فيه، ولا دنس، دم المسيح، وكان معروفا سابقا من قبل إنشاء العالم، ثم كشف فى الأزمنة الأخيرة من أجلكم أنتم الذين تؤمنون بالله» (١. بطرس ١ : ١٨ - ٢١).

فإذا كان المسيح **معروفا سابقا من قبل إنشاء العالم ثم كشف فى الأزمنة الأخيرة**، فمعناه **أنه قبل أن يتجسد المسيح كان له وجود قبل الزمان**، قبل تأسيس العالم. فهو إذن أزلى لا بداءة له. انظر (أفسس ١ : ٤).

١١ - ويقول الرسول القديس يوحنا الحبيب :

«**ذاك الذى كان منذ البدء**، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة تجلت، وقد رأيناها ونشهد لها، ونخبركم **بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب** وتجلت لنا» (١. يوحنا ١ : ١، ٢).

نعم، كما يقول الرسول يوحنا، إن المسيح كان **منذ البدء** (١. يوحنا ٢ : ١٣، ١٤) **منذ الأزل** «**فى البدء** كان الكلمة... والكلمة كان هو الله» (يوحنا ١ : ١) ثم تجلى بيننا متجسدا (يوحنا ١ : ١٤) فرأيناه بعيوننا (٢. بطرس ١ : ١٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٥) وتأملناه (أعمال٤ : ٢٠)، (١. يوحنا ٤ : ١٤)، ولمسته أيدينا (لوقا ٢٤ : ٣٩) ، (يوحنا ٢٠ : ٢٧). كان هو الحياة (يوحنا ١ : ٤)، والحياة الأبدية، لأن فيه كانت الحياة (يوحنا ١ : ٤) وكان عند الآب

(يوحنا ١ : ١) قبل أن يتجسد، ثم اتّخذ جسدا وظهر به (رومية ١٦ : ٢٦) ، (١ .بطرس ١:٢٠)، وحل بيننا... عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) .

فالأزلى قبل الزمان ظهر (كولوسى ١ : ٢٦) ، (١ . يوحنا ٣ : ٥ ، ٨) ، بين الناس، وغير المنظور صار منظورا، لأنه اتّخذ جسدا.

١٢ ـ ويقول الرسول القديس يوحنا فى الرؤيا عن المسيح له المجد : «واكتب إلى ملاك الكنيسة التى بأزمير (سميرنا) . هذا ما يقوله **الأول** والآخر، ذاك الذى مات ثم عاد إلى الحياة» (الرؤيا ٢ : ٨) وواضح أن ذاك الذى مات ثم عاد إلى الحياة هو المسيح الذى مات بالجسد. لكنه مع ذلك هو **الأول** والآخر، أى هو الأزلى الأبدى، **«وهو الألف والياء»** (الرؤيا ١ : ٨)، هو البداءة وهو النهاية (الرؤيا ٢١ : ٦) .

الأنبياء والرسل نسبوا إلى المسيح الأبدية

إن من يتصف بالأزلية يتصف أيضا بالأبدية. والأزلى هو بعينه الأبدى. ذلك أن الأزلى هو من لا بداءة له، ومن ثم فهو الأبدى الذى لا نهاية له. على أن الأزلى الأبدى هو الله الواحد وحده فهو وحده الأزلى، وهو وحده الأبدى. وليس فى الوجود كائن آخر غير الله يمكن أن يوصف بالأزلية والأبدية. لأن كل كائن غير الله مخلوق، ومن ثم فله بداءة، وبالتالى لابد أن تكون له نهاية.

والإنسان أيضاً له بداءة فلابد أن تكون له نهاية، ومن ثم فهو كائن فانٍ. فإذا قيل أيضاً إنه خالد، فالخلود هو استمرار للبقاء بعد الموت، ولكن الخلود شئ، والأبدية شئ آخر. فالخلود ليس استمرارا فى الوجود إلى الأبد.

ومع ذلك فالأبرار من الناس لهم وعد من الله بالحياة الأبدية «هذا هو الوعد الذى وعدنا هو به، الحياة الأبدية» (١. يوحنا ٢ : ٢٥). انظر (يوحنا ٣ : ١٥، ١٦، ٣٦)، (٥ : ٢٤)، (٦ : ٢٧، ٤٠، ٤٧، ٥٤، ٦٨)، (١٢ : ٢٥، ٥٠)، (١٧ : ٣)، (١. يوحنا ٥ : ١١، ١٣)، (متى ١٩ : ٢٩)، (٢٥ : ٤٦)، (مرقس ١٠ : ٢٩)، (لوقا ١٨ : ٣٠)، (رومية ٥ : ٢١)، (٢:٧)، (٦ : ٢٢، ٢٣)، (غلاطية ٦ : ٨)، (١. تيموثيلوس ١ : ١٦)، (٦ : ١٢، ١٩)، (٢ .تيموثيلوس ١ : ١)، (تيطس ١ : ٢)، (٣ : ٧)، (العبرانيين ٩: ١٥)، (يهوذا ٢١)، (دانيال ١٢ : ٢).

وطالما أن الحياة الأبدية وعد للأبرار فهى ليست من طبيعتهم كبشر مخلوقين (أعمال الرسل ١٣ : ٤٦، ٤٨)، (١. يوحنا ٣ : ١٥) ولكنها منحة تمنح لهم من قِبَل من له سلطان لأن يمنح الحياة الأبدية وهو الله وحده، (يوحنا ٤ : ١٤)، (٦ : ٣٣، ٣٥، ٤٨، ٥٨)، (الرؤيا ٢١ :٦) وكيف يمكن لغير الأبدى أن يمنح الحياة الأبدية ؟

الإنسان إذن يمكن أن يتصف بالخلود، ولكنه لا يتصف بالأبدية، ذلك لأنه مخلوق وله بداءة. **إنما الله وحده هو الأبدى، والحياة أيضاً توصف بأنها أبدية**، لأن الله وحده هو الحياة، والحياة الأبدية (١. يوحنا ١ : ٢)، (٥ : ٢٠، ١١). **لأن الله وحده إذن**

هو الأبدى الذى لا نهاية له، لأنه وحده الأزلى الذى لا بداءة له. فهو السرمدى والسرمد الذى وحده يجمع بين الأزلية والأبدية معا.

جاء فى الكتاب المقدس قوله :

«من الأزل إلى الأبد أنت الله» (مزمور ٨٩ : ٢).

«مبارك الرب إله إسرائيل، من الأزل إلى الأبد» (١ - أخبار الأيام ١٦ : ٣٦)، (٢٩ : ١٠)، (نحميا ٩ : ٥)، (مزمور ٤٠ : ١٢)، (١٠٥ : ٤٨)، (إرميا ٧ : ٧)، (٢٥ : ٥)، (دانيال٢ :٢٠)، (الرؤيا ١٥ : ٧).

* * *

وما أكثر النصوص التى يرد فيها أن الله **أبَدى : وحيٌ إلى الأبد، وملك إلى الأبد وساكن الأبد، وله المجد إلى الأبد، وأبد الآبدين.**

«أما الرب فهو الإله الحق. هو إله حى، **وملك أبدى**» (ارميا ١٠ : ١٠).

«ويجلس الرب **ملكا إلى الأبد**» (مزمور ٢٨ : ١٠)، (١٠ : ١٦)، (الخروج ١٥ : ١٨).

«يملك الرب إلى الأبد» (مزمور ١٤٥ : ١٠).

«إنى أنا هو الله، ولا إله معى.. **حىّ أنا إلى الأبد**» (التثنية ٣٢ : ٣٩، ٤٠)، (دانيال٤ :٣٤). «هو الإله الحىّ القيوم **إلى الأبد**، وملكوته لن يزول» (دانيال ٦ : ٢٦)، (١٢ :٧).

«**ساكن الأبد**، القدوس اسمه» (إشعياء ٥٧ : ١٥).

«**له المجد إلى الأبد**، إلى أبد الآبدين» (رومية ١١ : ٣٦)، (١٦ : ٢٧)، (غلاطية١ :٥)، (١ - تيموثيئوس ١ : ١٧)، (٢ - تيموثيئوس ٤ : ١٨)، (العبرانيين ١٣ : ٢١)، (١ -بطرس٥ :١١).

انظر (رومية ١ : ٢٥)، (٢ - كورنثوس ١١ : ٣١)، (مزمور ١٠١ : ٢٤)، (١٤٤ : ١٣).

يسوع المسيح أبدى

لما كان يسوع المسيح هو الله الظاهر فى الجسد (١ ـ تيموثيئوس ٣ : ١٦) فما يتصف به الله، يتصف به يسوع المسيح.

وكما اتصف يسوع المسيح بالأزلية يتصف أيضا بالأبدية. وهذا هو ما نسبه الأنبياء والرسل إلى المسيح يسوع.

أولاً ـ الأنبياء :

فماذا قال الأنبياء ؟

١ ـ جاء فى سفر المزامير عن المسيح له المجد : «إن عرشك يا الله إلى أبد الدهور» (مزمور ٤٤ : ٦).

أ ـ فسفر المزامير يوجه الخطاب إلى المسيح على أنه هو الله «عرشك يا الله»، ويصفه بأنه صاحب العرش ثم بأن عرشه قائم وسيظل قائما إلى «أبد الدهور». وإذن **فالمسيح أبدى، وملكوته قائم إلى الأبد**، وهو ما لا ينسب لغير الله، لأن الله وحده هو الأبدى الذى لا نهاية له، وملكوته لن يزول لأنه ثابت إلى دهر الدهور.

ب ـ ولقد وضع العهد الجديد النقط على الحروف بأن أبان أن هذا الذى قاله المزمور قصد به المسيح، ابن الله، صورة الله فى الجسد.

جاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى العبرانيين قوله : «وأما عن **الابن**، فيقول : إن عرشك يا الله إلى **أبد الدهور**» (العبرانيين ١ : ٨).

٢ ـ وجاء فى سفر نبوءة إشعياء النبى قوله عن المسيح يسوع : «لأنه يولد لنا ولد، ونعطى إبنا، وتكون الرئاسة على كتفه. ويدعى اسمه عجيبا مشيرا، إلها قديرا، **أبا الأبد**، رئيس السلام. لنمو رئاسته وللسلام **لا نهاية**، على عرش داود وعلى مملكته ليثبتها ويوطدها بالحق والعدل، من الآن وإلى **الأبد**» (إشعياء ٩ : ٦، ٧).

أ ـ فى هذا النص ينبئ النبى عن ميلاد المسيح يسوع له المجد فى الزمان «**يولد لنا ولد، ونعطى إبنا**، لكن هذا الابن أو المولود ليس كسائر الناس. إنه **الملك الرئيس**، «والرئاسة

على كتفه، ليست دخيلة أو حادثة. إنها قائمة معه دائما يتميز بها لأنها أصيلة فيه، وصفة ثابتة له، والرئاسة له دائمة **إلى الأبد، إلى ما لا نهاية**. وهو صاحب الاسم «**العجيب**» (سفر القضاة ١٣ : ١٨) ، (التكوين ٣٢ : ٢٩) الاسم الذى **لا ينطق به** (إرميا ٢٠ : ٩) (١) **وهو الإله القدير والقادر على كل شئ**. ثم هو «**أبو الأبد**» أى أصل الأبد وهو ترجمة للنص كما هو فى العبرانية אֲבִי־עַד ABI AD أى (أبو الأبدية) أو (**أصل الأبد**) **وهذا معناه أن المولود المشار إليه وهو المسيح يسوع ليس أبديا فقط بل هو أبو الأبد وأصل الأبد**. وما دام هو أصل الأبد، فهو كائن **إلى أبد الآبدين ودهر الدهور**، أى أنه لا نهاية له، **هو البدء الذى ليس له بداءة، وهو النهاية الذى ليس له نهاية.**

ب ـ وقد أيد العهد الجديد معنى هذه النبوءة على فم الملاك الجليل جبرائيل عندما بشر العذراء القديسة مريم بالحبل المقدس والميلاد الزمنى للسيد المسيح له المجد بقوله : «وها أنتِ ذى ستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع. وسيكون عظيما وابن العلى يدعى، وسيعطيه الرب الإله عرش داود أبيه، **فيملك على** بيت يعقوب **إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء**» (لوقا١ :٣١ – ٣٣) .

فالمولود من العذراء مريم هو (**الملك**) وله حسب الجسد عرش داود. وقد قال عنه المجوس الذين جاءوا من المشرق «أين هو **المولود ملك** اليهود، فإننا رأينا نجمه فى المشرق، وأتينا **لنسجد له**» (متى ٢ : ١ ، ٢) ، على أنه ليس لملكه إنقضاء أو نهاية، **فهو الملك منذ الأزل وإلى الأبد**، «وله على ثوبه وفخذه اسم مكتوب : **ملك الملوك ورب الأرباب**» (الرؤيا١٩ :١٦) ، (١٧ : ١٤) ، (١. تيموثيئوس ٦ : ١٥) ، (متى ٢٥ : ٣١) .

٣ ـ وجاء فى سفر نبوءة دانيال النبى عن المسيح له المجد قوله : «ورأيت فى رؤى الليل، فإذا بمثل ابن إنسان آتيا على سحب السماء، فبلغ إلى القديم الأيام، وقُرِّب إلى أمامه، وأوتى سلطانا ومجدا وملكوتا **لتتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة وسلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض**» (دانيال ٧ : ١٣ ، ١٤) .

---

(١) اسم (الله) مشتق من الفعل ألِه، ألِهَ أى تحير أو ما حير العقل، أو ما حار العقل فيه.

وواضح أن هذه النبوءة قيلت عن المسيح يسوع له المجد، فهو الذى قال عن نفسه مرارا إنه **ابن الإنسان** (متى ١٦ : ١٣)، مشيرا إلى الصورة التى اتخذها فى الزمان بتجسده من العذراء مريم، فهو (ابن مريم) حسب الجسد، وإن كان ابن الله فى نفس الوقت من حيث لاهوته. وقد وصفه النبى دانيال بأنه **مثل** ابن إنسان أو **شبه** ابن إنسان، لأنه رآه فى مجد وبهاء ونور ليس للناس منها شئ، لكن الصورة صورة إنسان، لذلك قال «**مثل**» ابن إنسان، وهكذا رآه النبى حزقيال فى رؤياه «وفوق المقبب... شبه عرش كمنظر حجر العقيق الأزرق، وعلى شبه العرش **شبه كمنظر إنسان** عليه من فوق... هذا منظر شبه مجد الرب، ولما رأيته خررت على وجهى...» (حزقيال ١ : ٢٦ – ٢٨).

هذا الذى رآه النبى دانيال فى مثل ابن إنسان، بتجسده بدأ عهد جديد، فقد عبده من آمنوا به من جميع الشعوب والأمم والألسنة، واتخذوه إلها يعبدونه ويسجدون له، على أن سلطانه مع ذلك سوف لا يتوقف، بل سيمتد ويزداد عبر المكان والزمان، فهو سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض، سلطان دائم لا نهاية له وليس له إنقضاء أو زوال.

وهذا الذى يقوله النبى دانيال عن المسيح (شبه ابن الإنسان) يصفه **بالأبدية** ويصف سلطانه أنه **سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته بأنه دائم وما لا ينقرض، وما لن ينتهى**، يردده النبى دانيال مرة أخرى بقوله **ملكوته ملكوت أبدى**، «وجميع السلاطين إياه يعبدون ويطيعون» (دانيال ٧ : ٢٧) كما يؤكده ذات النبى فى تفسيره لنبوخذ نصر الملك حلمه مشيرا إلى المسيح ومملكته التى تأسست بتجسده «يقيم إله السماوات **مملكة لن تنقرض أبداً**، وملكها لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتفنى جميع تلك الممالك (الأخرى) **وهى تثبت إلى الأبد**. لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد أعلم الملك ما سيأتى بعد ذلك» (دانيال ٢ : ٤٤، ٤٥). بل لقد وصف الملك داريوس الفارسى إله دانيال بأنه «هو الإله الحى **القيوم إلى الأبد، وملكوته لن يزول، وسلطانه إلى المنتهى**» (دانيال ٦ : ٢٦) انظر أيضا (دانيال ٧ : ١٨)، (حزقيال٣٧ :٢٥)، (ميخا ٤ : ٧)، (الرؤيا ١١ : ١٥).

وجاء في رسالة القديس بطرس الثانية قوله : «هكذا ينفتح لكم باب الدخول واسعا إلى **الملكوت الأبدي**، ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح» (٢. بطرس ١ : ١١).

٤ ـ وجاء عن المسيح له المجد في رؤيا النبي دانيال التي رآها بعد صوم طويل واعتكاف وصلاة، فقد تجلى له الملاك جبرائيل المبشر، وبشره قائلا : «سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، وتكفير الإثم، وليؤتى **بالبر الأبدي** واختتام الرؤيا والنبوءة ولمسح قدوس القديسين» (دانيال ٩ : ٢٤).

ولقد حدد الملاك جبرائيل بأمر السماء المدة الباقية منذ ذلك الزمن الذي ظهر فيه للنبي دانيال في الرؤيا حتى مجئ المسيح له المجد بسبعين أسبوع سنين أي ٤٩٠ سنة، وهي بالضبط المدة التي ظهر بعدها المسيح في الجسد، وقام بعمل الفداء والكفارة. فالمسيح هو **البر الأبدي**، وهو ختم الرؤيا والنبوءة، وهو قدوس القديسين الذي صار هو المسيح.

ومعنى أنه «البر الأبدي» أنه هو البرّ الكامل الذي يبرر الناس من خطاياهم لأنه هو وحده المخلص، «وليس بأحد غيره الخلاص» (أعمال الرسل ٤ : ١٢).

ومعنى أنه «البرّ الأبديّ» أنه هو وحده المخلص إلى الأبد ولن يأتي آخر من بعده ليكون به الخلاص. «فما من اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أعمال٤ :١٢) انظر أيضا (دانيال ٤ : ٣، ٣٤).

٥ ـ وجاء في سفر المزامير عن المسيح له المجد قوله : «أقسم الرب، ولن يندم، أنك أنت الكاهن **للأبد** على طقس ملكي صادق» (مزمور ١٠٩ : ٤).

إن هذا المزمور هو للنبي داود، ولكن لا يمكن أن يكون قول الرب وقسمه موجها إلى النبي داود، فليس يعقل أن داود وهو إنسان فان يبقى كاهناً إلى الأبد.

إنما المزمور هو مناجاة بين الرب (الآب) والرب (الابن)، إذ أنه يبدأ بقوله «قال الرب لربي» (١٠٩ : ١). وقد شرح المسيح له المجد هذا التعبير مبينا أن القائل هو الرب (الآب)، والمقول له هو الرب (الابن). قال الإنجيل «وفيما كان الفريسيون مجتمعين في الهيكل سألهم يسوع قائلا : ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟ فقالوا له : ابن داود. قال لهم : فكيف إذن يدعوه داود بالروح القدس ربي قائلا في سفر المزامير : قال الرب لربي : اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك؟ فإن كان داود إذن يدعوه ربه فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن

يجيبه بكلمة. ومنذ ذلك اليوم لم يجرؤ أحد على أن يسأله مرة أخرى» (متى ٢٢ : ٤١ – ٤٦) ، (مرقس ١٢ : ٣٥ – ٣٧) ، (لوقا ٢٠ : ٤١ – ٤٤).

وإذن فالمسيح له المجد هو المقصود فى المزمور «إنك أنت الكاهن **للأبد** على طقس ملكى صادق» مبينا بهذا أن كهنوت المسيح باق **إلى الأبد**، كهنوت دائم وثابت لا يزول وليس له نهاية. **ولا يتصف بالبقاء إلى الأبد وعدم الزوال، واللا نهائية إلا الله الواحد** وحده.

وتأكيدا على هذه الحقيقة يقول الرسول القديس بولس عن كهنوت الرب يسوع المسيح بما يفيد أنه قائم إلى الأبد.

«**وقد صار (يسوع المسيح) رئيس كهنة إلى الأبد** على طقس ملكى صادق» (العبرانيين ٦ : ٢٠).

ويقول بولس الرسول أيضا «لأن ملكى صادق هذا... لا أب له ولا أم ولا نسب، ولا لأيامه بداءة **ولا لحياته نهاية**. وبذلك يشبه **بابن الله ويبقى كاهنا للأبد**» (العبرانيين٧:١-٣).

ثم يقول «لأن أولئك (الكهنة بنى هرون) قد صاروا كهنة من دون قسم. وأما هذا (= يسوع المسيح) فبقسم من الذى قال له : أقسم الرب، ولن يندم، **أنك أنت الكاهن للأبد** على طقس ملكى صادق» (العبرانيين ٧ : ٢١) ... «وأما هذا (يسوع المسيح) فلكونه **يبقى للأبد له كهنوت لا يزول**. فمن ثم يقدر أن يخلص **على الدوام** الذين يتقربون به إلى الله خلاصا تاما، إذ هو حى **كل حين** ليشفع لهم» (العبرانيين ٧ : ٢٤، ٢٥).

انظر أيضا (العبرانيين ٥ : ٦، ١٠) ، (٧ : ١٧) حيث يستشهد بنفس عبارة المزمور، وأنها قيلت عن المسيح أنه «**الكاهن للأبد** على طقس ملكى صادق». ثم انظر (العبرانيين ١٠ : ١٤).

ومعنى أن **المسيح هو الكاهن إلى الأبد، وأن كهنوته باق للأبد**، وأنه من ثم يقدر أن **يخلص على الدوام** الذين يتقربون به أى بكهنوته وشفاعته الكفارية، وأن **هذه الشفاعة الكفارية هى قائمة كل حين أى دائمة إلى الأبد**... معنى كل هذا أن المسيح أبدى، وليس له نهاية.

ثانياً ـ الرسل :

٦ ـ وينسب الرسول القديس بولس إلى يسوع المسيح بأن له **العزة الأبدية**. والعزة هى السيادة والقدرة والسلطان. فإذا كان للمسيح له المجد العزة الأبدية فهو **الأبدى** الذى له وحده **الدوام إلى الأبد**. وهو ما لا يتصف به إلا الله وحده.

يقول الرسول بولس فى رسالته إلى تيموثيئوس الرسول : «وأوصيك أمام الله الذى يحيى كل شئ وأمام المسيح يسوع.. أن تحفظ الوصية وأنت بلا عيب ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح الذى سيظهره فى أوقاته المبارك القدير وحده، ملك الملوك ورب الأرباب، له وحده الخلود، ومسكنه نور لا يقترب منه، وهو الذى لم يره أحد من الناس، ولا يستطيع أن يراه، الذى **له الإكرام والعزة الأبدية**» (١. تيموثيئوس ٦ : ١٣ – ١٦).

ويقول الرسول بولس عن المسيح له المجد «المسيح... الكائن على الكل **إلها مباركا إلى الأبد**، آمين» (رومية ٩ : ٥).

٧ ـ كما ينسب إليه العزة الأبدية كذلك ينسب الرسول بولس إلى يسوع المسيح «المجد إلى أبد الآبدين».

يقول «يسوع المسيح الذى **له المجد إلى أبد الآبدين**» (العبرانيين ١٣ : ٢١).

«**يسوع المسيح الذى له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين**» (١. بطرس ٤ : ١١).

«إنموا فى النعمة وفى معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، **له المجد الآن وإلى الأبد**» (٢ .بطرس ٣ : ١٨).

«الإله الحكيم الوحيد مخلصنا **له المجد والعظمة والقدرة والسلطان الآن وإلى كل الدهور**. آمين» (يهوذا : ٢٥).

يسوع المسيح... البكر من بين الأموات، ورئيس ملوك الأرض، الذى أحبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه، وجعلنا ملوكا وكهنة لله أبيه، له **المجد والسلطان إلى أبد الآبدين**، آمين». (الرؤيا١ : ٥، ٦).

انظر (رومية ١٦ : ٢٧) ، (١. تيموثيئوس ١ : ١٧) ، (٢. تيموثيئوس ٤ : ١٨) ، (١. بطرس ٥ : ١١) ، (الرؤيا ٤ : ١٠، ١١) ، (٥ : ١٢، ١٣، ١٤) ، (٧ : ١٢).

٨ ـ الرسل ينسبون إلى المسيح له المجد، أنه هو الحياة، والحياة الأبدية.

فإذا كان المسيح هو ذاته **الحياة الأبدية**، **فهو أبدى** ـ ثم إنه يمنح من قبله **الحياة الأبدية**. ولا يمنح الحياة الأبدية، **إلا من كان هو ذاته الحياة والحياة الأبدية**.

جاء فى رسالة القديس يوحنا الأولى «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة تجلت، وقد رأيناها ونشهد لها، ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا» (١ . يوحنا ١ : ١، ٢).

فالمسيح إذن هو الحياة، والحياة الأبدية، وبالتالى فهو مالك الأبد والأبدية، لأنه الحياة والحياة الأبدية.

وجاء فى نفس الرسالة «إن اللـه أعطانا **الحياة الأبدية، وإن هذه الحياة هى فى ابنه**. من يكون له الابن فله **الحياة**. ومن لا يكون له ابن الله، فلا تكون له **الحياة**» (١ . يوحنا ٥ : ١١، ١٢).

وإذن فالحياة الأبدية الممنوحة للمؤمنين هى من المسيح لأنه هو الحياة والحياة الأبدية. ولذلك فإن من كان له ابن الله كانت له الحياة الأبدية، ومن لم يكن له ابن الله لم تكن له الحياة الأبدية، لأنها مرتبطة به من حيث هو أصلها ومانحها.

ويقول الرسول يوحنا فى رسالته تلك «ونحن فى الحق، فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق، **والحياة الأبدية**» (١ . يوحنا ٥ : ٢٠).

وجاء فى رسالة القديس يهوذا الرسول : «واحفظوا أنفسكم فى محبة الله منتظرين رحمة ربنا يسوع المسيح **للحياة الأبدية**» (يهوذا : ٢١).

٩ ـ وينسب الرسول بولس إلى المسيح يسوع أنه باق إلى الأبد، وأنه كما هو كائن فى الماضى، هو كائن فى الحاضر، وهو كائن فى المستقبل. أى أنه الأزلى الأبدى، الحى فى غير زمان، أى الحى فى كل زمان.

يقول «**يسوع المسيح** هو هو بالأمس، واليوم وإلى الأبد» (العبرانيين ١٣ : ٨).

ثم يستشهد الرسول بولس بالمزمور (١٠١ : ٢٥ – ٢٧) للتدليل على أن **المسيح أبدى لا يزول ولا يفنى، وأنه باق ودائم إلى الأبد.**

«وأما عن **الابن : إن عرشك يا الله إلى أبد الدهور.. وأنت يارب** أسست الأرض فى البدء، والسماوات هى صنع يديك، هى تزول **وأنت تبقى**، وكلها كالثوب تبلى. وتطويها كالرداء فتتغير، **وأنت أنت وسنوك لن تفنى**» (العبرانيين ١ : ٨ – ١١).

انظر أيضا (مزمور ١٠١ : ١٢) ، (٨٨ : ٣٦) ، (٢. كورنثوس ٩ : ٩) ، (يوحنا ١٢ : ٣٤).

١٠ ـ وجاء فى سفر الرؤيا للقديس يوحنا اللاهوتى والرائى : «أنا يوحنا... صرت فى الروح فى يوم الرب، فسمعت خلفى صوتا عظيما كصوت البوق، قائلا : أنا **الألف والياء، الأول والآخر**... فالتفت لأنظر إلى الصوت الذى يخاطبنى. ولما التفت رأيت سبع منائر من ذهب. وفى وسط المنائر السبع شبه ابن إنسان متسربلا بثوب إلى القدمين، ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض، كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه كأنهما من نحاس خالص.. وصوته كصوت مياه غزيرة، وكان فى يده اليمنى سبعة كواكب، ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين، ووجهه يضئ كالشمس وهى فى قوتها. فلما رأيته سقطت عند قدميه وصرت كالميت، فوضع يده اليمنى على قائلا لى : لا تخف، **أنا الأول والآخر، أنا الحى وكنت ميتا، وها أنا حىّ إلى أبد الدهور**...» (الرؤيا ١ : ٩ – ١٨).

وفى هذا النص الإلهى يتضح أن الذى رآه القديس يوحنا فى الرؤيا **هو المسيح يسوع**، لأنه رآه فى صورة جسدية، ويقول إنه «**شبه ابن إنسان**» وهو الوصف المألوف عند النبى دانيال (دانيال ٧ : ١٣) والنبى حزقيال (حزقيال ١ : ٢٧) والنبى إشعياء (إشعياء ٦ : ١ – ٨) لأنه فى صورة الإنسان، ولكن البهاء منه ومن حوله عظيم بحيث لم يكن فى مقدور القديس يوحنا أن يتأمله لأن «وجهه يضئ كالشمس وهى فى قوتها» (١ : ١٦). ثم إن الرائى يصفه بأن له ثوبا أبيض تسربل به إلى القدمين، ويصف المنطقة من ذهب عند ثدييه، ويصف رأسه وشعره وعينيه ورجليه، ويده اليمنى، وفمه، ووجهه ثم يقول إنه سقط عند قدميه وصار كالميت، فوضع المسيح له المجد يده اليمنى على رأس يوحنا وقال له ما قاله أولا قبل أن ينظره يوحنا بعينيه «**أنا الألف والياء، الأول والآخر**» (١ : ١١) ويضيف المسيح له المجد قائلا : «**لا**

تخف، أنا الأول والآخر، أنا الحى وكنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الآبدين» (١ :١٧، ١٨).

وإذا كان المسيح وهو فى السماء يقول لعبده يوحنا الرائى : أنا الألف والياء، الأول والآخر، الحى وكنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الدهور «فهذا معناه أن المسيح كما يشهد عنه يوحنا الرائى وبمقالته من فمه الإلهى المبارك، هو **الأول والآخر**، أى أنه **الأزلى الأبدى** : الأول قبل كل موجود، والآخر بعد كل موجود، ثم إنه أيضا الألف والياء، أى أنه البدء الذى ليس قبله بدء، والنهاية التى ليس بعدها نهاية (الرؤيا ٢٢ :١٣) فليس قبل الألف فى الحروف الأبجدية شئ، وليس بعد الياء شئ ـ أى أنه الأزلى الأبدى، ثم إنه وإن كان قد ذاق الموت بالجسد، لكنه حى إلى أبد الدهور، أى أنه الحياة الأبدية نفسها، والدائم الوجود إلى الأبد.

انظر (الرؤيا ١٠ :٦) ، (٢١ :٦) ، (٢٢ :١٣).

١١ ـ وقد ورد نفس التعبير على يد القديس يوحنا فى الرؤيا عن المسيح : «ها هو آت مع السحاب، وستراه كل عين والذين طعنوه... نعم آمين. **أنا الألف والياء، والبداءة والنهاية**، يقول الرب الإله الكائن والذى كان **والذى سيأتى**، القادر على كل شئ» (الرؤيا ١ :٧، ٨).

وواضح أن الآتى مع السحاب هو المسيح فى مجيئه الثانى.. وكونه الألف والياء، **البداءة والنهاية** ـ معناه أيضا أنه الأزلى الأبدى (إشعياء ٤١ :٤) ، (٤٤ :٦) ، (٤٨ :١٢) ، **ثم هو الكائن** (الخروج ٣ :١٤) **فى الحاضر** (إشعياء ٤٣ :١٣) **والذى كان فى الماضى** (يوحنا ١ :١)، (يوحنا ٨ :٥٨) ، (كولوسى ١ :١٧) **والذى سيأتى أى الدائم إلى الأبد.** (انظر الرؤيا ١ :٤) ، (٤ :٨) ، (١١ :١٧) ، (١٦ :٥).

١٢ ـ وجاء فى سفر الرؤيا أيضا قول المسيح له المجد إلى الرائى يوحنا الرسول : «واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى أزمير (سميرنا) : هذا ما يقوله **الأول والآخر**، ذاك الذى مات ثم عاد إلى الحياة» (الرؤيا ٢ :٨).

١٣ ـ كذلك يصف سفر الرؤيا المسيح له المجد بأنه «**الجالس على العرش والحى إلى أبد الدهور**» (الرؤيا ٤ : ٩، ١٠).

وأما الجالس على العرش فلابد أن يكون هو المسيح، **لأنه لا يجلس على العرش إلا من له جسد، وصورة جسدية.**

١٤ ـ ويقول سفر الرؤيا عن المسيح إن ملكوته يمتد إلى أبد الأبدين «ثم نفخ الملاك السابع في بوقه، فحدثت أصوات عظيمة فى السماء قائلة : قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه، **فسيملك إلى أبد الدهور**» (الرؤيا ١١ : ١٥).

(انظر دانيال ٢ : ٤٤)، (٧ : ١٤، ١٨، ٢٧).

١٥ ـ ويقول الرسول يوحنا اللاهوتى فى سفر الرؤيا أيضاً : «ونظرت فسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيواتات... وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف قائلين بصوت عظيم : مستحق الحمل المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة. وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض ومما فى البحر وكل ما فيها سمعتها قائلة : «**للذى على العرش استوى وللحمل، البركة والإكرام والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين**» (الرؤيا ٥ : ١١ – ١٣).

١٦ ـ ويقول القديس يوحنا الرائى : «وقال الذى على العرش استوى : هاءنذا أجعل كل شئ جديدا... ثم قال لى: قد تم، **أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا**» (الرؤيا ٢١ : ٥ – ٧).

أما الذى على العرش استوى فهو المسيح لأنه لا يجلس على عرش إلا من كان له صورة جسدية. ويقول الرسول يوحنا إنه سمعه يقول : «**أنا الألف والياء، البداءة والنهاية**... أى أنه الأزلى الذى لا بداءة له، الأبدى الذى لا نهاية له. ثم إنه بقوله : أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجانا، معناه أنه **واهب الحياة** والحياة الأبدية، (يوحنا٦:٢٧، ٦٨)، (١٠ : ٢٨)، (يوحنا ١٧ : ٢، ٣)، **لأنه هو الحياة** (يوحنا ١١ : ٢٥)، (١٤ : ٦)، (٦ : ٣٣، ٣٥، ٤٨، ٥٨) **وفيه كانت الحياة** (يوحنا ١ : ٤) **وهو الحياة الأبدية** (١ .يوحنا ١ : ٢)، (٥ : ١١، ١٢، ٢٠).

- ٣ -

نسب الأنبياء والرسل إلى يسوع المسيح
له المجد أنه الحى الذى لا يموت،
وأنه أصل الحياة، وباعث الحياة

من هو الحى إلى الأبد إلا الله وحده؟ «حى أنا يقول الرب» (العدد ١٤ : ٢٨)، (إشعياء ٤٩ : ١٨)، (إرميا ٢٢ : ٢٤)، «وأقول حى أنا إلى الأبد» (التثنية ٣٢ : ٤٠) «الإله الحى خالق السماوات والأرض» (دانيال ١٤ : ٤، ٢٤).

بنفس القوة والوضوح نسب الرسل إلى المسيح له المجد، **أنه الحى إلى الأبد**، بل نسبوا إليه **أنه الحياة بذاتها، وأنه رئيس الحياة، أو رأس الحياة، ومبدئ الحياة، وأصل الحياة، والحياة الأبدية.**

قال الرسول القديس يوحنا فى مطلع الإنجيل «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. **كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة**، والحياة كانت نور الناس» (يوحنا ١ : ١ - ٤).

ومعنى «فيه كانت الحياة» أن منه الحياة **وأنه أصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة، وبدونه لم تكن الحياة، ومعناه أيضا أن فيه وبه تقوم الحياة، ومن غيره فلا حياة ولا وجود.**

ويقول الرسول يوحنا أيضا «فمن يؤمن بالابن له الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (يوحنا ٣ : ٣٦). وإذن **فالابن هو مانح الحياة الأبدية** لمن يؤمن به (يوحنا ٢٠ : ٣١) وفاقد الشئ لا يعطيه. فلو لم يكن الابن أى المسيح هو الحياة والحياة الأبدية، فكيف يملك الحياة الأبدية ليهبها للمؤمنين به، ويمنعها عن غير المؤمنين؟!.

ويقول الرسول يوحنا أيضا فى رسالته الأولى : وهذه هى الشهادة أن الله أعطانا الحياة الأبدية. **وهذه الحياة هى فى ابنه**. من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة، كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكى تعلموا أن لكم حياة أبدية، ولكى تؤمنوا

باسم ابن الله» (١ . يوحنا ٥ : ١١ – ١٣) . وما دامت الحياة، والحياة الأبدية، هي في ابن الله، فهو مالكها وهو مانحها، ولذلك فله السلطان أن يمنحها ممن يشاء، وله السلطان أن يمنعها ممن يشاء.

ويقول الرسول نفسه أيضا «بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم **لكي نحيا فيه**» (١ . يوحنا ٤ : ٩) وما دام ابن الله هو حياة الناس، فهو أصل الحياة، وباعث الحياة، وقوام الحياة، وبدونه فلن تكون الحياة، ولن يكون الوجود.

ويقول الرسول القديس يوحنا الحبيب : «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى شاهدناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة. **فإن الحياة تجلت. وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وتجلت لنا**» (١ . يوحنا ١ : ١، ٢) . وهنا قول صريح أن المسيح ابن الله الذى كان منذ البدء لأنه الأزلى، هو الحياة والحياة الأبدية. وهو الذى فى الزمان ظهر وتجلى بالتجسد. كان لدى الآب لأنه أزلى معه ثم شاء أن يظهر ويتجلى فى العالم، بأن اتّخذ له جسدا (يوحنا ١ : ١٤) احتجب فيه. فهو غير المنظور مع الآب الغير المنظور ثم من أجل خلاص الإنسان نزل من السماء، وصار له على الأرض كيان منظور، وأخذ صورة عبد صائرا فى شبه الناس، وتجلى فى هيئة إنسان (فيلبى٢ :٦، ٧) .

وقال الرسول بعينه مرة أخرى «نعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن فى الحق **فى ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية**» (١ . يوحنا٥ :٢٠) وإذن يسوع المسيح هو الحياة والحياة الأبدية، وهو الإله الحق والحقيقى، فهو إذن ليس حيا فقط، لكنه الحى إلى الأبد، بل هو ذاته الحياة الأبدية، أى أنه كان، ومازال، وسيظل إلى الأبد أصل الحياة، وباعث الحياة، ومنشئ الحياة، ومانح الحياة، ومجدد الحياة، تجديدا دائما، أى أن فيه الحياة منذ الأزل والآن وإلى دهر الدهور وأبد الآبدين. **فالحياة فيه وبه أزلية أبدية وسرمدية**. فليس هو فقط الحى الذى لا يموت، بل هو الحياة الدائمة الثابتة، وحيث هو كائن فلا موت، فهو الضامن والضمان لاستمرار الحياة إلى الأبد، إذ هو الحياة الأبدية، والحياة الأبدية تجد هويتها وأبديتها فيه. إنه هو المسيح ابن الله، وهو الحياة الأبدية عينها، والحياة الأبدية تستمد منه. لذلك فليس لأحد الحياة من دون المسيح. وهنا حكمة التدبير الإلهى فى سر القربان، **فهو خبز الحياة المانح الحياة للناس** (يوحنا ٦ : ٣٣)، هو

الكرمة، والمؤمنون الثابتون أغصان فى الكرمة، ومن الكرمة يمتصون غذاءهم ورحيق الحياة، وبه يحيون، ومن دونه فلا حياة لهم فى أنفسهم، إذ ليس لهم مصدر آخر يستمدون منه حياتهم. **هو إذن شجرة الحياة**، التى من أكل منها يحيا إلى الأبد، ومن لم يأكل يجف لأنه ليس له فى ذاته ومن ذاته حياة. وشجرة الحياة قائمة إلى الأبد، هى حياة المؤمنين المتناولين فى العالم الحاضر وهى حياة المؤمنين فى العالم الآتى، وهى التى تكفل لهم الحياة الأبدية بشرط أن يثبتوا فيها، ويتناولوا منها، لكى يستمدوا منها الحياة فى الدارين.

شجرة الحياة كانت مع آدم فى الجنة، ولم يأكل منها، لأنه لم يكن مستحقا لها. ولو نجح آدم فى امتناعه عن الشجرة التى نهاه الله عنها، لكان قد استحق أن يأكل من شجرة الحياة، فيحيا إلى الأبد. لكن آدم أكل من الثمرة المنهى عنها، فحرم من شجرة الحياة. وبسبب سقوطه أقام الله الكروبيم حارسا على شجرة الحياة، ويصحبه لهيب سيف متقلب ليمنع آدم (وحواء) من أن يقترب ويمد يده إلى شجرة الحياة.

فلما تم الخلاص، انفتح الطريق أمام الإنسان ليصل إلى شجرة الحياة، ليأكل منها الإنسان ويحيا إلى الأبد، بشرط أن يكون مستحقا وإلا أخذ دينونة لنفسه واستحق أن يضربه الكاروبيم الواقف لأنه تجاسر واقتحم إلى القدوس وهو نجس وغير طاهر. ولذلك جاء فى القداس الإلهى قبيل التقرب من القربان «الأقداس للقديسين» وجاء فيه «ها قد كشفت الأسرار، فمن كان طاهرا فليدن من الأسرار المقدسة، ومن كان غير طاهر فلا يدن منها، لئلا يحترق بنار اللاهوت».

وجاء فى سفر أعمال الرسل قول القديس بطرس الرسول لليهود عن المسيح له المجد «أنتم أنكرتم القدوس البار... **ورئيس الحياة** قتلتموه» (أعمال ٣ : ١٥). فالمسيح إذن رئيس الحياة. ورئيس الحياة هو أصل الحياة، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة. وهذا تعبير بالغ الأهمية والدقة فى أن المسيح ليس حياً فقط، وليس هو الحى إلى الأبد فحسب، لكنه **هو مبدئ الحياة، وأصل الحياة، ورأس الحياة الذى منه تبدأ الحياة، وتستمد الحياة. «لأن منه وبه وله كل الأشياء**، له المجد إلى الأبد» (رومية ١١ : ٣٦) ، «وبه الكل» (العبرانيين ٢ : ١٠).

انظر (يوحنا ٣ : ١٥، ١٦) ، (٥ : ٢٦) ، (١ : ١٢) ، (٢٠ : ٣١).

الأنبياء قبل المسيح ورسل المسيح ينسبون إلى المسيح أنه المخلّص غافر الخطايا

إن الذى يملك أن يغفر الخطايا هو الله الواحد وحده. فإن الخطيئة أو المعصية هى فعل إساءة وإهانة وتعدٍ موجه إلى الذات الإلهية. فمن هو الذى يملك أن يغفر الخطيئة أو المعصية الموجهة قصداً وعمداً أو حتى لو كانت بغير قصد أو عمد لإهانة الله، **إلا الله وحده صاحب الحق وحده فى الغفران ؟**

إنها حقيقة بديهية وواضحة ومعروفة ومقررة عند الناس جميعاً، وقد جأر بها اليهود صراحة للمسيح يسوع عندما سمعوه يقول للمفلوج (**يا بُنى مغفورة لك خطاياك**) فأنكروا على يسوع المسيح سلطانه على غفران الخطايا، لأنهم لم يعرفوه على حقيقته، وظنّوه مجرد إنسان، فقالوا: (ما باله يجدّف هكذا؟ **فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده؟**) (مرقس ٢ : ٥ – ٧)، (متى ٩ : ٤)، (لوقا ٧ : ٤٩).

انظر أيضاً (إرميا ٣١ : ٣٤)، (ميخا ٧ : ١٨)، (إشعياء ٤٣ : ٢٥).

على أن الأنبياء والرسل، نسبوا إلى السيد المسيح له المجد أنه **المخلّص وغافر الخطايا**:

جاء فى سفر أعمال الرسل قول القديس بطرس الرسول، أمام رئيس كهنة اليهود ومجمع السنهدريم:

(إن إله آبائنا أقام يسوع الذى علّقتموه أنتم على خشبة وقتلتموه فهو الذى رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلّصاً ليمنح إسرائيل التوبة وغفران الخطايا) (أعمال الرسل ٥ : ٣٠، ٣١).

نعم إن الرسول القديس بطرس يعلن أمام مجمع السنهدريم، أعلى سلطة دينية عند اليهود برئاسة الحبر الأعظم رئيس الكهنة، أنّ يسوع المسيح الذى صلبه قادة اليهود وقتلوه حسداً وغدراً ليتخلصوا منه، هو المخلّص الموعود به على أفواه جميع الأنبياء فى القديم، فهو نسل المرأة الذى وحده يسحق رأس الحية (التكوين ٣ : ١٥)، (رومية ١٦ : ٢٠)، (العبرانيين ٢ : ١٤)، والذى به تتبارك جميع قبائل الأرض (التكوين ١٢ : ٣)، (١٨ : ١٨)، (٢٢ : ١٨)، (٢٦ : ٤)، (مزمور ٧١ : ١٧)، (إرميا ٤ : ٢)، (أعمال ٣ : ٢٥)، (غلاطية ٣ : ٨). **فهو الفادى والمخلّص وهو**

الذى **منح الغفران للذين كانوا ينتظرونه بالإيمان** (العبرانيين ١١ : ١٣)، فهو بصلبه وموته عنهم قد افتداهم، فاقتناهم لنفسه إذ اشتراهم بدمه ومنحهم الغفران والخلاص. ولن يقتصر خلاصه على الذين آمنوا به فى الماضى، بل أن خلاصه ممتد دائماً إلى جميع المؤمنين به المنضوين تحت لوائه، الراجين خلاصه والطالبين رحمته باتضاع قلوبهم.

وهنا تتجلى حكمة الله وجودته إذ أنه حوّل شر قادة اليهود إلى خير عام لجميع المؤمنين الساعين للخلاص. لقد صبّ زعماء اليهود شرّهم على من جاء لخلاصهم، فصلبوه، فحققوا بشرّهم خيراً لم يكن فى حسبانهم.. فصار المصلوب ظلماً، **هو المخلص الواحد والوحيد** الذى انتظرته الأجيال وترقّبه القديسون الذين طلبوا ظهوره لخلاصهم (لخلاصك انتظرت يا رب) (التكوين ٤٩ : ١٨)، (مزمور ١١٨ : ١٦٦، ١٧٤). فبينما قصد زعماء اليهود، لشرهم وغدرهم وحسدهم، إذلال يسوع المسيح وكسره وإبادته وإزالته من طريقهم ليصفو لهم الجو، إذ بهذا الذى ظلموه وأذلّوه قد ارتفع وتمجّد بالخلاص الذى أنجزه بموته، وصار هو المخلّص وحده، وبالتالى أصبح هو **(الرئيس) على جميع المخلصين** بدمه لأنه هو الذى خلّصهم، فهو **رئيس خلاصهم)** (العبرانيين ٢ : ١٠) **(ورئيس الإيمان ومكمّله)** (العبرانيين ١٢ : ٢) (٥ : ٩)، **(ورئيس الحياة)** (أعمال الرسل ٣ : ١٥)، (١. يوحنا ٥ : ١١)، (يوحنا ١ : ٤)، (إشعياء ٥٥ : ٤)، (إرميا ٣٠ : ٩)، (حزقيال ٣٤ : ٢٣، ٢٤)، (٣٧ : ٢٢، ٢٤، ٢٥). (إشعياء ٤٠ : ١٠، ١١)، (هوشع ٣ : ٥)، (لوقا ١ : ٣٢، ٣٣، ٦٩)، (أعمال الرسل ٢ : ٣٠)، (١٣ : ٢٣)، (العبرانيين ١٣ : ٢٠)، (١. بطرس ٢ : ٢٥)، (٥ : ٤).

أما أن الله هو المخلص فهو ما تنبئ به صراحة أسفار الأنبياء:

جاء فى سفر المزامير:

(رنّموا للرب ترنيمة جديدة، لأنه صنع عجائب، **خلّصته يمينه** وذراع قدسه. أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف برّه، ذكر رحمته وأمانته لبيت إسرائيل. رأت كل أقاصى الأرض خلاص إلهنا) (مزمور ٩٧ : ١ – ٣)، (الخروج ١٥ : ٦).

وجاء فى سفر إشعياء:

(فرأى أنه ليس إنسان، وتحيّر من أنه ليس شفيع، **فخلّصت ذراعه لنفسه**) (إشعياء ٥٩ : ١٦).

(هوذا الربّ قد أخبر إلى أقصى الأرض. قولوا لإبنة صهيون: هوذا **مخلّصك** آتٍ.. من ذا الآتى من أدوم بثياب حمر من بصرة، هذا البهىّ بملابسه المتعظم بكثرة قوته. أنا المتكلم **بالبرّ العظيم للخلاص**. ما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة. قد دست المعصرة وحدى، ومن الشعوب لم يكن معى أحد.. فَرُشّ عصيرهم على ثيابى، فلطخت كلّ ملابسى.. فنظرت ولم يكن معين، وتحيّرت إذ لم يكن عاضد، **فخلّصت لى ذراعى**) (إشعياء ٦٢: ١١، ١٢)، (٦٣: ١ – ٥).

(قد شمّر الرب عن ذراع قدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض **خلاص إلهنا**) (إشعياء ٥٢: ١٠).

فالمخلص والغافر للخطايا هو الله وحده، ولكن الذى خلص الآثمين وغفر خطايا المذنبين هو المسيح يسوع، لأنه ليس المخلّص غيره. هكذا يؤكد القديس بطرس فى خطاب آخر إلى رئيس كهنة اليهود ومجمعهم الدينى الكبير قائلاً:

(... يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم والذى أقامه الله من بين الأموات.. هذا هو الحجر الذى رفضتموه أنتم أيها البناءون فصار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص، وما من اسم آخر تحت السماء مُنح للناس به ينبغى أن يخلصوا) (أعمال الرسل ٤: ١٠ – ١٢).

وقال أيضاً القديس بطرس الرسول فى خطاب له إلى كورنيليوس قائد المائة وأهله وأقربائه وأنسبائه وأصدقائه: (يسوع الناصرى.. الذى قتلوه معلّقين إياه على خشبة. هذا أقامه الله فى اليوم الثالث.. وقد أوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأنه هو الذى عيّنه الله دياناً للأحياء والأموات. وله يشهد جميع الأنبياء بأن كل من يؤمن به **ينال باسمه غفران خطاياه**) (أعمال الرسل ١٠: ٣٨ – ٤٣).

ولابدّ أن الرسول بطرس يشير فى خطابه عن شهادة الأنبياء السابقين، إلى ما قاله الوحى بفم النبى إشعياء عن يسوع المسيح الفادى والمخلّص الذى وهو الله، ظهر فى الهيئة كإنسان: (لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. **وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا**، تأديب سلامنا عليه، **وبحبره شفينا**. كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه. **والرب وضع عليه إثم جميعنا**. ظُلم، أما هو فتذلل، ولم يفتح فاه، كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها. فلم يفتح فاه.. **إنه ضرب من أجل ذنب شعبى**.. على أنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن فى فمه غش.. أمّا الرب فسرّ بأن

يسحقه بالحزن أن جعل **نفسه ذبيحة إثم**.. ومسرّة الرب بيده تنجح ... البار بمعرفته يبرر كثيرين، **وآثامهم هو يحملها.. سكب للموت نفسه، وأحصى مع أثمة، وهو حمل خطيئة كثيرين، وشفع فى المذنبين)** (إشعياء٥٣: ٤ – ١٢).

(قليل أن تكون لى عبداً لإقامة أسباط يعقوب، ورد محظوظى إسرائيل. فقد جعلتك نوراً للأمم **لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض**. هكذا قال الرب فادى إسرائيل قدوسه للمهان النفس المكروه الأمة لعبد المتسلطين...) (إشعياء ٤٩: ٦، ٧).

وما قاله الوحى الإلهى على يد النبى دانيال الذى أنبأه الملاك جبرائيل عن التجسد الإلهى فى المسيح يسوع والخلاص الذى سيتممه بصلبه وموته: (سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا **ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة**، ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى **المسيح الرئيس** سبعة أسابيع وإثنان وستون أسبوعاً يعود ويبنى سوق وخليج.. وبعد إثنين وستين أسبوعاً **يقطع المسيح)**. (دانيال ٩: ٢٤ – ٢٦).

وجاء فى سفر إرميا قول الله تعالى: «ها أيام تأتى يقول الرّب، وأقيم لداود غصن بر، فيملك ملك وينجح ويجرى حقاً وعدلاً فى الأرض. **فى أيامه يخلص يهوذا** ويسكن إسرائيل آمناً. وهذا هو اسمه الذى يدعونه به: الرب برّنا» (إرميا ٢٣: ٥، ٦). انظر أيضاً (زكريا ١٣: ١)، (ملاخى ٤: ٢).

ويقول القديس بولس الرسول: (من نسل داود حسب الوعد، جاء الله **بيسوع مخلّصاً لإسرائيل.. فليكن معلوماً عندكم، أيها الرجال الإخوة، إنه بيسوع بُشرتم بغفران خطاياكم**، وبه يتبرر كل من يؤمن به، من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى» (أعمال الرسل ١٣: ٢٣، ٣٨، ٣٩).

وجاء فى سفر الأعمال على لسان القديس بولس الرسول قول السيد المسيح له عندما ظهر له فى الطريق إلى دمشق: (قم وقف على قدميك، فإنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً لى وشاهداً بما رأيت وبما سأتراءى لك فيه، سأنقذك من شعب اليهود ومن الأمم غير اليهودية التى سأرسلك أنا إليهم، لتفتح عيونهم فيرجعوا من الظلام إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بى **غفران خطاياهم** وميراثاً مع المقدّسين) (أعمال الرسل ٢٦: ١٦ – ١٨)، (الأعمال ١٣: ٤٦، ٤٧)، (٢٠: ٢٨)، (٢٦: ٢٢، ٢٣).

لذلك رأى القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء، أن يسأل المسيح له المجد الغفران للذين يرجمونه، فقد رأى السماء مفتوحة والرب يسوع على العرش السماوى، «فجثا على ركبتيه، وصرخ بصوت عظيم: **يا ربُّ، لا تحسب عليهم هذه الخطيئة**» (أعمال الرسل ٧: ٥٩، ٦٠) وذلك إيماناً منه بأنه المسيح له المجد هو **المخلص، وهو الغافر للخطايا**.

ويقول الرسول بولس فى رسالته إلى أهل روما (رومية) : «لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات، خلصت، لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص» (رومية ١٠: ٩، ١٠) «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل **الصفح عن الخطايا السالفة**» (رومية ٣: ٢٤، ٢٥).

ويقول القديس بولس أيضاً فى رسالته إلى أفسس: «يسوع المسيح.. الذى فيه لنا الفداء بدمه **غفران الخطايا**» (أفسس ١: ٥ – ٧) «ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم **مخلّصون** وأقامنا معه، وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع، ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته باللطف علينا فى المسيح يسوع، لأنكم بالنعمة **مخلّصون بالإيمان**، وذلك ليس منكم هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد» (أفسس ٢: ٥ – ٩).

ويقول الرسول بولس فى رسالته إلى كولوسى: «الذى أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته. الذى لنا فيه الفداء **بدمه غفران الخطايا**» (كولوسى ١: ١٣، ١٤).

ويقول أيضاً فى رسالته الأولى إلى تيموثيئوس: «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم **ليخلّص الخطاة**» (١. تيموثيئوس ١: ١٥، ١) (لأن هذا حسن ومقبول لدى **مخلّصنا الله، الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون، لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه فدية لأجل الجميع**» (١. تيموثيئوس ٢: ٣ – ٦).

ويقول الرسول القديس بولس فى رسالته إلى العبرانيين: «الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه.. الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه **تطهيراً لخطايانا جلس عن يمين العظمة فى الأعالى**» (العبرانيين ١: ١ – ٤) «**وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً**.. ولا ليقدّم نفسه مراراً كثيرة كما

يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر.. ولكنه الآن قد أظهر مرة عند إنقضاء الدهور ليُبطل الخطيئة بذبيحة نفسه..» (العبرانيين ٩ : ١٢ – ٢٦).

انظر أيضاً واقرأ (١. كورنثوس ٦ : ١١)، (٢. تيموثيئوس ١ : ٩)، (تيطس ٣ : ٤ – ٦).

ويقول القديس بطرس الرسول فى رسالته الأولى: «عالمين أنكم **افتديتم** لا بأشياء تفنى، بفضة أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التى تقلّدتموها من الآباء، **بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس**، دم المسيح» (١. بطرس ١ : ١٨، ١٩) «**الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة، لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبرّ، الذى بجلدته شفيتم**» (١. بطرس ٢ : ٢٤).

ويقول القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى:

«ودم يسوع المسيح ابنه **يُطهرنا من كل خطيئة**.. وإن أخطأ أحد **فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً**.. وتعلمون أن ذلك أظهر **لكى يرفع خطايانا**، وليس فيه خطيئة» (١. يوحنا ١ : ٧)، (٢ : ١، ٢). (٣ : ٥).

ويقول أيضاً فى سفر الرؤيا:

«يسوع المسيح .. البكر من بين الأموات، ورئيس ملوك الأرض، الذى أحبنا **وقد غسلنا من خطايانا بدمه**.. له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين» (الرؤيا ١ : ٥، ٦).

نعم إنّ الأنبياء فى القديم ورسل المسيح فى العهد الجديد نسبوا إلى يسوع المسيح له المجد أنه المخلّص **وأنه الذى يغفر الخطايا. لقد غفر خطايا الناس بالفداء الذى أتمه، وما زال فى الحاضر. وكل غفران فى المستقبل يتم به أيضاً، فإنه وحده المخلص**، ولذلك فإنه يحمل اسمه الذى يشير إلى أنه المخلص والفادى. قال الملاك ليوسف النجار عن العذراء مريم «وستلد ابناً **وتسمّيه يسوع، لأنه هو الذى يخلّص شعبه من خطاياهم**» (متى ١ : ٢١). وقال عنه الملاك فى ليلة ميلاده للرعاة «ولد لكم اليوم فى مدينة داود **مخلص هو المسيح الرب**» (لوقا ٢ : ١١). وقال عنه سمعان الشيخ حينما حمله طفلاً على ذراعيه «فإن عينىّ قد أبصرتا **خلاصك** الذى أعددته أمام جميع الشعوب» (لوقا ٢ :٣٠)، (لوقا ١ : ٧٧)، (٣:٦).

* * *

على أنه يجب هنا أن نوضح أن الآباء الرسل عندما استخدموا فى تعليمهم عن المسيح له المجد عبارات من أمثال: «إن إله آبائنا أقام **يسوع** .. فهو الذى **رفعه الله** بيمنه...» (الأعمال ٥: ٣٠، ٣١) أو (يسوع المسيح الناصرى.. الذى **أقامه الله** من بين الأموات» (الأعمال ٤: ١٠) أو «يسوع الناصرى.. هذا **أقامه الله** فى اليوم الثالث..» (الأعمال ١٠: ٣٨) أو «من نسل داود حسب الموعد، **جاء الله بيسوع** مخلصاً لإسرائيل ..» (الأعمال ١٣: ٢٣) أو (إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك **أن الله أقامه** من بين الأموات..» (رومية ١٠: ٩، ١٠) أو «يسوع المسيح الذى **قدّمه الله** كفارة ..» (رومية ٣: ٢٤، ٢٥) وما إلى ذلك من تعبيرات يظهر فيها أنّ الله «أقام» يسوع المسيح، مما قد يشكك فى لاهوت المسيح، وحقيقة أنه هو ذاته الله ومتجسداً، وأنه ابن الله، بمعنى أنه هو الله وقد تجلّى فى المسيح ... نقول إنّ تلك التعبيرات التى يبدو فيها أن الله أقام يسوع المسيح، قيلت لليهود الذين كان يسوع المسيح بالنسبة لهم إنساناً، مجرد إنسان. فحتى لا يبدو يسوع المسيح لهم دَعِياً كان لابد أن يقدّم لهم بوصفه مؤيداً من الآب السماوى المعروف عند اليهود أنه الله ساكن السموات... ومن المنطقى والمألوف أن يُعرّف المجهول بالمعروف. فالمسيح، لأنه جاء مستتراً فى الإنسانية، فهو فى حقيقته مجهول، فلابد أن يُعرّف بنسبته إلى المعروف وهو الآب السماوى، حتى لا يظن الناس فيه أنه داعية كاذب أو أنه مبتدع أو عدواً الله.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن يسوع المسيح يجمع فعلاً بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً. أمّا لاهوته فغير ظاهر للناس، أمّا ناسوته (أو إنسانيته) فظاهر.. فبصفته إنساناً وُلد وصُلب ومات، وعندما قام من بين الأموات، **لم يقم بقدرة ناسوته، وإنما قام بسلطان لاهوته.. هذا اللاهوت هو الذى أقام ناسوته من بين الأموات. وهذا اللاهوت هو اللاهوت المتحد به، وليس غريباً عنه، وهو بعينه لاهوت الآب السماوى.** وفى هذا قال المسيح له المجد عن الآب السماوى (وأنتم لا تعرفونه.. أمّا أنا فأعرفه **لأنى منه**» (يوحنا ٧: ٢٨، ٢٩) وقال «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن **تعرفونه، وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤: ٧) وقال «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤: ٩) وقال «**الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل أعماله» (يوحنا ١٤: ١٠) وقال «صدقونى **أنّى فى أبى وأنّ أبى فىّ**» (يوحنا ١٣: ١٠، ١١).

الآباء الرسل ينسبون إلى السيد المسيح له المجد أنه الفاحص القلوب والأفكار، وأنه العليم بما فى ذات الصدور

واحد هو الله، وهو وحده وليس غيره العالم بكل شئ، الفاحص القلوب، والعليم بالضمائر والنوايا، والمقاصد، والذى يكشف خبايا النفوس.

«لأن الرب يفحص جميع القلوب، ويفهم كل تصورات الأفكار» (١. أخبار الأيام ٢٨: ٩).

«إن حكمة الرب عظيمة. هو شديد القدرة، ويرى كل شئ. وعيناه إلى الذين يتقونه، ويعلم كل أعمال الإنسان» (يشوع بن سيراخ ١٥: ١٩، ٢٠) «فإن فاحص القلوب والكلى، الله البار» (مزمور ٧: ٩)، (الأمثال ١٧: ٣)، (إرميا ١١: ٢٠)، (١٧: ١٠)، (٢٠: ١٢)، (أعمال الرسل ١: ٢٤)، (١٥: ٨)، (١. أخبار الأيام ٢٩: ١٧)، (رومية ٨: ٢٧).

«هو عالم بكل شئ» (يشوع بن سيراخ ٢٣: ٢٩)، (نبوءة باروخ ٣: ٣٢)، (استير ١٤: ١٤).

«لكن فى السماء إلهاً يكشف الأسرار» (دانيال ٢: ٢٨، ٢٩، ٤٧)، «الإله الأزلى البصير بالخفايا، العالم بكل شئ» (دانيال ١٣: ٤٢، ٤٣).

«لأنه هو يعلم خفايا القلب» (مزمور ٤٣: ٢١).

«يا رب قد فحصتنى وعرفتنى. أنت عرفتَ جلوسى وقيامى. فهمتَ فكرى من بعيد. مسلكى ومربضى ذرّيت وكل طرقى عرفتَ. قبل أن يكون كلامى على لسانى أنت يا رب عالم به كله. من وراء ومن قدام حاصرتنى وجعلت علىّ يدك. علم عجيب فوق طاقتى، أرفع من أن أدركه.. وإن قلتُ إن الظلمة تغشانى كان الليل حولى نوراً. لديك لا تظلم الظلمة والليل يضئ كالنهار. سيّان عندك الظلام والضوء. أنت الذى جبل كليتىّ ونسجتنى فى جوف أمى.. لم تخف ذاتى عليك..» (مزمور ١٣٨: ١ – ١٥).

«فما من خليقة تخفى عليه، بل كل شئ عار ومكشوف لعينى ذاك الذى يجب علينا أن نؤدى له الحساب» (العبرانيين ٤: ١٣).

«لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو يرى كل خطواته» (أيوب ٣٤: ٢١).

انظر واقــرأ (التكوين ٣ : ٥)، (الخــروج ٤ : ١٥)، (أيوب ١١ : ١١)، (١٢ : ٢٢)، (٢٨ : ٣، ٢٣)، (١ . صـمـوئيل ١٦ : ٧)، (١ . الملوك ٨ : ٣٩)، (مزمـور ١ : ٦)، (١٠ : ٤)، (٣٢ : ١٣)، (٤٩ : ١١)، (١٤٦ : ٥)، (الأمــثــال٣ : ٢٠)، (١٥ : ١١)، (٢٤ : ١٢)، (إشـعـيـاء ٤٠ : ٢٨)، (حزقيال ١١ : ٥)، (٣٧ : ٣)، (١ . المكابيين ٣ : ٥٢)، (رومية ١١ : ٣٣)، (٢ . كورنثوس ١١ : ١١)، (١ . تسالونيكى ٢ : ٤)، (٢ . تيموثيئوس ٢ : ١٩)، (١ . يوحنا ٣ : ٢٠).

* * *

على أن الآباء الرسل القديسين سجّلوا فى الأناجيل وفى رسائلهم ما يدل دلالة قاطعة على أنّ معلّمهم **سيّدنا ومخلّصنا يسوع المسيح كان يعلم بما يدور بخلد الناس وأفكارهم، وما يجرى فى قلوبهم من مشاعر، الأمر الذى لا يختص بغير الله وحده**، وبذلك نسبوا إلى السيد المسيح له المجد ما لا يُنسب إلا لله وحده، وهذا طبيعى، إذ أنه فى حقيقته هو الله، وقد لبس جسداً، وظهر فى الهيئة كإنسان ، (فيلبى ٢ : ٦ – ٨)، (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦).

١ ـ جاء فى الإنجيل عن السيد المسيح أنه كان يُعلّم فى أحد البيوت بكفرناحوم (فتجمع فى الحال كثيرون حتى لم يعد ثمة موضع لقدم فى البيت ولا حتى عند الباب، فطفق يبشرهم بالكلمة. وقد جاءوا إليه بمفلوج يحمله أربعة رجال. وإذ لم يستطيعوا أن يصلوا به إليه بسبب الزحام صعدوا إلى السطح وكشفوا سقف المكان الذى كان به ونقبوه، ثم أنزلوا الفراش الذى كان المفلوج راقداً عليه. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: يا بنى مغفورة لك خطاياك. وكان قوم من الكتبة جالسين هناك، يفكرون فى قلوبهم قائلين: ما باله يجدّف هكذا؟ فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده؟ **وفى الحال علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم، فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم؟** أيهما أيسر: أن يُقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يُقال: قم احمل فراشك وامشِ؟ (مرقس ٢ : ٢ – ٩). (متى ٩ : ٢ - ٥)، (لوقا ٥ : ١٨ – ٢٣).

فهنا يظهر جليّاً علم المسيح له المجد بما يجول فى أفكار الناس وقلوبهم. قال للكتبة والفريسيين «**لماذا تجول هذه الأفكار فى قلوبكم؟**» (لوقا ٥ : ٢٢).

على أن الإنجيل ينسب إلى المسيح أن هذا العلم كان كاشفاً لأفكار الكتبة والفريسيين التى تجول فى قلوبهم فى نفس الوقت الذى كانوا فيه يفكرون. يقول الإنجيل «**وفى الحال علم**

يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم». هذا إلى أن هذا العلم لم يكن من قبيل الاستدلال أو الاستنباط مما يسمونه بالدلالات التعبيرية، إنما كان علماً كاشفاً فاحصاً نافذاً إلى داخل القلب وإلى أعماق النفس والفكر. يقول الإنجيل «علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم» فهو علم بالروح لا بالحواس ولا بالاستدلالات العقلية من علامات ظاهرية. وإذن هو علم يخرج عن دائرة العلم البشرى المستند إلى الحواس والذى يعتمد على إعمال العقل والذهن، بما يعرف بالبرهنة المنطقية التى تستخلص النتائج من المقدمات.

ولقد كان علم المسيح قاطعاً واضحاً لا يعتوره شك، ولا يشوبه تردد فى حقيقة ما كان يجول بقلوب الكتبة والفريسيين من أفكار، ولذلك فإنه أجابهم على الفور «لماذا تجول هذه الأفكار فى قلوبكم؟» «لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم؟» «أيهما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم احمل فراشك وامشِ؟».

وإذن فعلم المسيح له المجد كما يتضح من الإنجيل فى هذه المعجزة علم كامل، ومباشر، وكشّاف، وذاتى، ومن غير واسطة، ثم هو علم آنّى، أى علم فى الحال، وعلى الفور، ومن دون زمان، ثم هو علم قطعىّ، ويقينى.

وفى كلمة واحدة موجزة: إنّ علم المسيح علم ذاتى، وآنّى، وقطعىّ.

حقاً كما يقول المزمور «لأنه هو يعرف خفيات القلب» (مزمور ٤٣ : ٢١)، «يا رب .... قد فهمتَ فكرى من بعيد» (مزمور ١٣٨ : ٢).

٢ ـ كذلك جاء عن الرب يسوع فى الإنجيل «ثم جئ إليه برجل كان به شيطان وكان أعمى وأخرس، فشفاه، حتى أن الأعمى الأخرس أبصر وتكلّم. فدُهش كل الجمع قائلين: أليس هذا هو ابن داود؟ أمّا الفريسيون حين سمعوا فقد قالوا: إن هذا لا يطرد الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين. فعلم يسوع أفكارهم. وقال لهم: كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب، وكل مدينة أو بيت ينقسم على ذاته لا يثبت. فإن كان الشيطان يطرد الشيطان فقد انقسم على ذاته، فكيف إذن تثبت مملكته؟ وإن كنتُ أنا ببعلزبول أطرد الشياطين، فبمن يطردهم أبناؤكم؟ لذلك هم يحكمون ضدّكم. أمّا إن كنت أنا بروح الله أطرد الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله» (متى ١٢ : ٢٢ – ٢٨)، (لوقا ١١ : ١٤ – ٢٠)، (مرقس ٣ : ٢٢ – ٢٧).

وهنا أيضاً فى هذه المعجزة، يذكر الإنجيل أن الرب يسوع **علم بأفكار** الفريسيين ولم يكونوا قد صرّحوا بها بالقول، علم بها وهى فى بواطنهم، ثم أجابهم عليها، وناقشها بوضوح، وردّ عليهم فيها مبيناً خطأها بالنظر والعمل، بالقول والفعل.

ومن هو الذى يفحص القلوب ويفهم كل تصورات الأفكار، غير الله وحده؟

«**وممتحن القلوب، الرب**» (الأمثال ١٧ : ٣).

«رب الجنود، مختبر الصديق، **ناظر الكلى والقلوب**» (ارميا ٢٠ : ١٢).

«**وازن القلوب**، وحافظ نفسك، ألا يعلم؟» (الأمثال ٢٤ : ١٢).

٣ ـ وجاء عن الفادى أيضاً أنه «دخل المجمع وأخذ يعلّم، وكان هناك رجل يده يابسة. فراح الكتبة والفريسيون يراقبونه ليروا هل يشفيه فى السبت، حتى يجدوا شكاية ضدّه **ولكنه علم أفكارهم** فقال للرجل ذى اليد اليابسة: قم وقف هناك فى الوسط، فقام ووقف. ثم قال يسوع لهم: إننى أسألكم أيحل فى السبوت فعل الخير أم الشر؟ تخليص نفس أم إهلاكها؟ وأدار نظره فيهم جميعاً. ثم قال للرجل: أمدد يدك، ففعل ذلك، فعادت يده سليمة كالأخرى» (لوقا ٦ : ٦ – ١٠)، (مرقس ٣ : ١ – ٥)، (متى ١٢ : ٩ – ١٣).

وهنا مرة أخرى يذكر الآباء الرسل فى الإنجيل عن مخلّصنا أنه **علم أفكار الكتبة والفريسيين من دون أن يصرّحوا هم بها**، وعلم أنهم يراقبونه هل يشفى صاحب اليد اليابسة فى السبت، وأنهم يريدون أن يجدوا شكاية ضده. ولذلك أبرز لهم أفكارهم، وأظهرها. إنهم لا يريدونه أن يمارس أعمال الشفاء فى السبت، حفظاً لوصية السبت حسب فهمهم الحرفى والشكلى للوصية، فناقش هذا الفهم الخاطئ وأبان أنه بالشفاء يُخلص إنساناً من متاعبه، وهذا هو عمل الله الذى ليس يجوز فقط أن يعمله الإنسان فى السبت، بل إنه العمل الصالح الذى يجب على الإنسان أن يعمله لا سيما فى يوم السبت، عبادة لله وخدمة له فى خلقه.

لقد علم الرب يسوع بأفكار الذين كانوا يراقبونه حتى يجدوا شكاية ضدّه.

«لأن عينيه على طرق الإنسان، وهو **يرى كل خطواته**» (أيوب ٣٤ : ٢١).

٤ ـ ويروى الإنجيل المقدّس عن تلاميذ المسيح أنه «**خامرهم الفكر** فيما عسى أن يكون هو الأعظم بينهم. **فعلم يسوع فكر قلوبهم**، ومن ثمّ أخذ طفلاً، وأقامه بين يديه، وقال لهم: إنّ

من يقبل هذا الطفل باسمى فقد قبلنى، ومن قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى، لأن الأصغر بينكم جميعاً سيكون هو الأعظم فيكم» (لوقا ٩: ٤٦ – ٤٨).

إن الفكر خامر التلاميذ فيما عسى أن يكون هو الأعظم بينهم، فكان هذا كافياً، قبل أن يخرج على لسانهم، لأن يعلم المسيح به وهو بعد فكر فى القلب، ولم يعبّر عنه اللسان ولا نطق به الفم. ومع ذلك عرف به المسيح له المجد، وهو فى خلجات قلوبهم، وأراد أن يعالجه قبل أن يستفحل فيهم، بأن أخذ طفلاً وأقامه بينهم متخذاً الطفل وسيلة إيضاح يقدّمه نموذجاً للبراءة المنشودة، والطهارة المطلوبة، فى من ينال لقب (الأعظم) بينهم. وبهذا أجابهم على ما خامرهم من فكر، وداخلهم فى نفوسهم، وجال فى صدورهم.

أليس حقاً هو الله؟

«قبل أن يكون كلامى على لسانى أنت يا رب **عالم به كله**، من وراء ومن قدام حاصرتنى» (مزمور ١٣٨: ٤، ٥).

«وما يخطر ببالكم قد علمته» (حزقيال ١١: ٥).

٥ ـ وعندما كشف المسيح له المجد فى تعليمه أنه هو «الخبز الحى الذى نزل من السماء» (يوحنا ٦: ٥١) وهو المانح الحياة للناس، وأنّ من يأكل جسده ويشرب دمه يحيا إلى الأبد، ومن لا يأكل جسده ويشرب دمه فلن تكون له الحياة، وأن من يأكله يحيا به» (يوحنا ٦: ٥١ – ٥٨) «قال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا: إن هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه».

هنا يذكر الإنجيل «فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا، فقال لهم: أهذا يجعلكم ترتابون؟» (يوحنا ٦: ٦٠، ٦١). ومن هنا نتبين أن التلاميذ تذمروا فى أنفسهم، ولكن لم يعترضوا علانية وصراحة كما اعترض اليهود الذين سمعوه (يوحنا ٦: ٤١ – ٤٣). ومع ذلك فقد علم فى نفسه بأن تلاميذه تذمروا فى أنفسهم. فقد كشف بعلمه الإلهى ما ستره تلاميذه عنه، فعرف أنهم هم أيضاً متذمرون على أقواله، فصارحهم وأجابهم على ما كان يجول بخواطرهم، وأراحهم بجوابه.

«فإن فاحص القلوب والكلى، الله البار» (مزمور ٧: ٩)، (الأمثال ١٧: ٣).

علم المسيح بالأشخاص

٦ ـ كذلك يروى الإنجيل عن علم المسيح له المجد بالأشخاص من دون معرفة سابقة بهم برؤيا العين.

قال الإنجيل إن يوحنا المعمدان كان واقفاً هو وإثنان من تلاميذه، فنظر إلى يسوع ماشياً فقال: «هذا هو حمل الله. فلما سمع التلميذان قوله تبعا يسوع. وكان اندراوس أخو سمعان بطرس أحد الإثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعا يسوع وقد وجد أولاً أخاه سمعان، فقال له: قد وجدنا المشيَّخ، أى المسيح. ثم جاء به إلى يسوع. فلما رآه يسوع، قال له: «أنت سمعان بن يوحانان. وليكن اسمك كيفاً، أى بطرس» (يوحنا ١ : ٣٥ – ٤٢).

كان لقاء سمعان بالمسيح له المجد هو أول لقاء به. لقد جاء به إلى المعلّم الأعظم، اندراوس أخوه. فواجهه بتقرير موجز عنه فى ماضيه وحاضره ومستقبله: « أنتَ سمعان بن يوحانان. وليكن اسمك كيفا أى بطرس». وبهذا كشف له عن معرفته بحقيقته، مع أنه لم يكن قد رآه من قبل رأى العيان، وأنه ابن يوحانان وأنه سيدعوه باسم آخر يضيفه إلى اسمه المولود به وهو (كيفا) بالأرامية أو (بطرس) باليونانية ومعناه (حجر). أما (صفا) فهو (كيفا) بالأرامية ـ وقد صار يعرف باسم (**صفا**) كما ذكر فى (١. كورنثوس ١ : ١٢)، (٣ : ٢٢)، (٩ : ٥)، (١٥ : ٥)، (غلاطية ٢ : ٩).

أما الاسم (**بطرس**) فهو الاسم باليونانية الذى يقابل (صفا) بالعربية، و(كيفا) بالأرامية ويفيد (**حجر**). ولابّد أن هذا الاسم كان فى ذهن القديس بطرس عندما أوصى المؤمنين فى رسالته الأولى قائلاً: «كونوا أنتم أيضاً مبنيين **كحجارة** حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (١. بطرس ٢ : ٥).

نعم، لقد عرف المسيح له المجد سمعان بطرس، وأبان أنه كان يعرفه قبل أن رآه.

«أنت الذى جبل كليتى، **ونسجتنى فى جوف أمى.. لم تخف ذاتى عليك**.. حينما صُنعتُ فى الخفاء، ورُقمت فى أعماق الأرض، **رأتنى عيناك جنيناً**، وفى سفرك كُتبت جميع الأكوان، وصُوِّرت أيامُها قبل أن يكون منها شئ» (مزمور ١٣٨ : ١٣ – ١٦).

٧ ـ وبالمثل يروى الإنجيل عن السيد المسيح أنه كشف لنثنائيل، فى أول لقاء معه أنّه كان يعرفه، معرفة فاحصة ويعرف سيرة حياته، وأنه يسلك بتدقيق طبقاً للشريعة الإلهية، بل أظهر

له أنه رآه وهو طفل رضيع يلعق بإصبعه وهو موضوع في سفط بين أغصان شجرة التين المتشابكة، الأمر الذي ذهل له نثنائيل واعترف بالمسيح على الفور بأنه ابن الله، وأنه ملك إسرائيل المرتجى والمنتظر.

قال الإنجيل: «وفي الغد إذ كان يسوع يقصد إلى الجليل، وجد فيلبس. فقال له: اتبعني.. وفيلبس وجد نثنائيل، فقال له: قد وجدنا الذي كتب عنه موسى في الشريعة وكذلك الأنبياء، وهو يسوع بن يوسف الذي من الناصرة. قال له نثنائيل: أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟ فقال له فيلبس: تعال وانظر.

فلمّا رأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه، قال عنه: هوذا حقاً إسرائيلي لا غش فيه. فقال له نثنائيل: من أين تعرفني؟ أجاب يسوع وقال له: قبل أن يدعوك فيلبس، حين كنت تحت شجرة التين رأيتك. فأجاب نثنائيل وقال له: يا معلّم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له: لأني قلت لك إني رأيتك تحت شجرة التين، آمنت؟ لسوف ترى أعظم من هذا». (يوحنا ١ : ٤٣ - ٥٠).

هنا أمر مذهل يصعب تصديقه: كيف تحوّل نثنائيل هذا التحول المفاجئ من إنسان لا يعتقد في يسوع المسيح أنه يمكن حتى أن يكون شيئاً صالحاً من حيث أنه ناصري، وفي اعتقاده أنه لا يمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح (يوحنا ١ : ٤٦)، إلى إنسان أعظم من نبيّ.. بل إلى أنه **ابن الله وملك إسرائيل المنتظر** (يوحنا ١ : ٤٩)، والموعود به أنه **هو الذي يجلس على عرش داود، وأنه سيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولن يكون لملكه إنقضاء؟**

نقول كيف تغير رأى نثنائيل بهذه السرعة، وكيف تحوّل من النقيض إلى النقيض؟ إنسان دعاه فيلبس صديقه ليرى يسوع بن يوسف (يوحنا ١ : ٤٥)، كما كان يظنه الناس ومنهم فيلبس، فلم يصدق نثنائيل أن مقاطعة الجليل وعلى الخصوص مدينة الناصرة يمكن أن تنجب (النبيّ) الذي كتب عنه موسى في الشريعة، وأنبأ عنه الأنبياء (يوحنا ١ : ٤٥) الآخرون.. ألم يقل رؤساء الكهنة والفريسيون وعلماء الشريعة في المجمع اليهودي لنيقوديموس «فتش وانظر إنّه لم يقم نبيّ من الجليل» (يوحنا ٧ : ٢٥)؟ ولابدّ لنثنائيل كرجل يهودي ملتزم، أن يقول قول رؤساء اليهود، فكيف بنثنائيل يتنكر فجأة للرأى الذي نشأ عليه وتبناه كإسرائيلي متشدد، ويجاهر برأى آخر، معارض للرأى السابق؟ وليس معارضاً فقط، ولكنه رأى يجاهر بأن يسوع ليس نبياً فقط، وليس صالحاً فحسب، لكنه أعلى مقاماً من كل نبي، **إنه ابن الله وهو ملك إسرائيل**

(يوحنا ١ : ٤٩) ومعنى أنه ابن الله أنه ليس ابن يوسف **ثم إنه صورة الله الغير منظور**، فالله لا يلد كما يلد الإنسان، إنما الذى يوصف بأنه ابن الله، فهو كائن سماوى لا أرضى لم يأت كيانه المنظور من زرع رجل، **ثم هو الله ذاته متجلياً ومتلبساً صورة إنسان**.. وبذلك كان نثنائيل أسبق من التلاميذ الآخرين فى الاعتراف بأن **المسيح ابن الله** (متى ١٤ : ٣٣)، وأسبق أيضاً من سمعان بطرس الذى جاهر بالاعتراف المشهور بقوله لسيده «**أنت هو المسيح الله، ابن الله الحى**» (لوقا ٩ : ٢٠)، (متى ١٦ : ١٦) فطوبه المسيح لاعترافه وقال له: «مبارك أنت يا سمعان بن يونا. لأنه ليس لحماً ودماً الذى كشف لك هذا. وإنما أبى الذى فى السماوات» (متى ١٦ : ١٧).

وواضح أن السبب فى هذا التحول فى موقف نثنائيل هو انبهاره وذهوله من قول السيد المسيح له: «قبل أن يدعوك فيلبس، حين كنتَ تحت شجرة التين رأيتك» (يوحنا ١ : ٤٨) وتأكد هذا بقول المسيح له المجد مرة أخرى «لأنى قلتُ لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت؟ لسوف ترى أعظم من هذا» (يوحنا ١ : ٥٠).

وللتينة قصة وصلت إلينا من التقليد:

فقد كان نثنائيل واحداً من بين الأطفال الذين كان يشملهم قرار هيرودس ملك اليهودية الذى استشاط غضباً إذ رأى أنّ المجوس قد سخروا به فأرسل وقتل كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها، من ابن سنتين فأقل، وفقاً للزمان الذى تحققه من المجوس» (متى ٢ : ١٦).

أما أم نثنائيل فبذكاء الأمومة ومحبتها لطفلها، وقد علمت بقرار هيرودس وضعت طفلها الصغير فى سفط، وصعدت به إلى قلب شجرة التين وتركته هناك تحت أغصان شجرة التين وهى متشابكة وكثيفة. فلمّا دخل الجند البيت، لم يجدوا طفلاً ليقتلوه فخرجوا. وبذلك نجا الطفل نثنائيل من موت محقق. ثم نما نثنائيل وكبر، وعرف قصة نجاته من أمه، ولم يعرفها غيره. فلما جاء به فيلبس إلى الرب يسوع قال عنه عند لقائه به لأول مرة «هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه» (يوحنا ١ : ٤٧) وبهذا كشف له عن معرفته بحقيقة تقواه ومسيرته الملتزمة بالشريعة. قال له نثنائيل بجفاء: «من أين تعرفنى؟» (يوحنا ١ : ٤٨) وكان هذا الجواب من نثنائيل جافاً لا تتوافر فيه اللياقة فى مخاطبة الرب يسوع. فلما قال له مخلصنا «قبل أن يدعوك فيلبس» (يوحنا ١ : ٤٨) أى أننى أعرفك من زمن قديم، من قبل دعوة فيلبس لك بوقت طويل «حين

كنت تحت شجرة التين رأيتك» (يوحنا ١: ٤٨) أى أننى كنت أراك من فوق، وأنظر إليك من علٍ، وأنت فى سفط فى قلب شجرة التين وفى تعريشتها الضخمة ومن فوقك أغصانها تغطيك.. عندئذ أدرك نثنائيل أنه وجها لوجه أمام «**إلهنا الساكن فى الأعالى**» (مزمور ١١٢: ٥) «**العلىّ على كل الأرض**» (مزمور ٩٦: ٩).

«انظر مثلاً كتاب الدر الفريد فى تفسير العهد الجديد تأليف العلاّمة مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبى السريانى مطران مدينة أمد ـ ديار بكر ـ الجزء الثانى ـ مصر ١٩١٤، والسنكسار تحت اليوم الثامن من شهر توت».

وإذا لاحظنا أن **السيد المسيح كان قد ذهب إلى أرض مصر فى الوقت الذى كان فيه جند هيرودس يقتلون الأطفال، أدركنا أنه فيما كان بالجسد فى أرض مصر كان بلاهوته يملأ السماوات والأرض، وأنه من الأعالى كان يرعى نثنائيل فى طفولته وهو بين أغصان شجرة التين، ومن تحتها**. ولولا هذه العناية والرعاية كان يمكن للطفل نثنائيل أن يبكى، فيحدث صوتاً يتنبه له جند هيرودس فيقتلونه كما قتلوا غيره من الأطفال، لذلك فإن نثنائيل أدرك كم هو مدين بحياته لمن كان يرعاه وينظر إليه من فوق شجرة التين.

نعم، «فما من خليقة تخفى عليه، بل كل شئ **عار ومكشوف لعينى ذاك الذى يجب علينا أن نؤدى له الحساب**» (العبرانيين ٤: ١٣).

٨ ـ وفى قصة المرأة السامرية (يوحنا ٤: ١ – ٤٢) نرى بيّنة على علم المسيح له المجد بحياة تلك المرأة مع أنه إلتقى بها لأول مرة، وعلى البئر خارج مدينتها سوخار من مدن السامرة.

قال الإنجيل، إن الرب يسوع المسيح قال للمرأة السامرية: «لو كنتِ تعرفين عطية الله، ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب، لطلبتِ أنت منه، فأعطاكِ ماءً حياً.. قالت له المرأة يا سيد، أعطنى هذا الماء لكيلا أعطش ولا أجئ إلى هنا لأستقى. فقال لها يسوع: اذهبى واستدعى زوجك وتعالى إلى هنا. أجابت المرأة وقالت له: ليس لى زوج. فقال لها يسوع: أحسنتِ إذ قلتِ: ليس لى زوج، لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك. فى قولك هذا صدقتِ. فقالت له المرأة: يا سيد، أرى أنك نبىّ.. أما المرأة فتركت جرّتها، وانطلقت إلى المدينة وقالت للناس: هلمّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلتُ. أيكون هذا هو المسيح؟» (يوحنا ٤: ١ – ٢٩).

لقد أظهر المسيح له المجد فى حديثه مع المرأة السامرية، أنه يعرف قصة حياتها، وأنها تزوّجت بخمسة رجال، وأنها تعيش الآن مع رجل ليس زوجاً شرعياً لها.. ولقد ذُهلت المرأة السامرية من حديث الرب يسوع معها، لأنه على الرغم من أنه إلتقى بها وإلتقت به لأول مرة على البئر، فإنه أظهر لها أنه يعرف تماماً قصة حياتها الخاصة.. لذلك تبيّنت المرأة أنه لا يمكن أن يكون إنساناً عادياً من له هذا العلم الكاشف لأسرار حياتها الخاصة، ولذلك حكمت بأنه لابدّ أن يكون نبياً، لأن النبىّ يُنبئ بأمور، يتلقاها من الله بوحى الروح القدس. فعلمه بالوقائع والأحداث ليس عن طريق الحواس ولا من استقراء العقل، وإنما بإعلان سماوى.

ولم تكتف المرأة السامرية بهذا، «بل تركت جرّتها على البئر وانطلقت إلى المدينة وقالت للناس: هلمّوا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلت. أيكون هذا هو المسيح؟» (يوحنا ٤ : ٢٩). ويبدو أن مخلصنا كشف للمرأة السامرية أموراً أخرى كثيرة لم يذكرها الإنجيل بالتفصيل عن دقائق حياتها حتى إنها اعترفت فى مناداتها للناس بأنه «قال لى كل شئ فعلتُ» (يوحنا ٤ : ٢٩) ثم إنه قد انتقل إيمانها بالمخلص وارتقى إلى ما هو أعظم من نبى.. لأنها فى مبدأ الأمر عندما قال لها «أحسنتِ إذ قلت ليس لى زوج، لأنه كان لك خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك» (يوحنا ٤ : ١٧ ، ١٨) قالت له: يا سيّد، أرى أنك نبىّ (٤ : ١٩) ولكنها لما دخلت المدينة نادت أهلها: هلموا انظروا ذلك الرجل الذى قال لى كل شئ فعلت. أيكون هذا هو المسيح؟ (٤ : ٢٩) فقد تبيّنت من علمه أنه أعظم من نبى.. فلما خرج إليه أهل المدينة ورجوه أن يمكث عندهم، وقَبِلَ دعوتهم ومكث معهم يومين، تبيّنوا مما سمعوه وما عرفوه منه وعنه أنه حقاً هو المسيح وقالوا للمرأة: «إننا الآن نؤمن لا بسبب كلامك، وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا، وقد علمنا أنّ هذا هو حقاً المسيح مخلص العالم» (يوحنا ٤ : ٤٢).

«يا رب قد فحصتنى وعرفتنى. أنت عرفت جلوسى وقيامى.. مسلكى ومربضى ذرّيت، وكل طرقى عرفت.. علم عجيب فوق طاقتى. أرفع من أن أدركه. وإن قلت إن الظلمة تغشانى كان الليل حولى نوراً. لديك لا تظلم الظلمة، والليل يضئ كالنهار. سيّان عندك الظلام والضوء .. لم تخف ذاتى عليك..» (مزمور ١٣٨ : ١ – ١٥).

«لأن عينيه على طرق الإنسان وهو يرى كل خطواته» (أيوب ٣٤ : ٢١).

«كل شئ عار ومكشـوف لعينى ذاك الذى يجب علينا أن نـؤدى له الحساب» (العبرانيين ٤ : ١٣) .

٩ ـ ثم إنّ الإنجيل أبان **أن المسيح له المجد كان يعلم تماماً بما يجول فى فكر يهوذا الإسخريوطى** أحد تلاميذه الإثنى عشر، من شر الخيانة لمعلّمه، وما كان يدبره فى باطنه لتسليمه لأعدائه من اليهود، وأنه كان يتحين الفرصة المناسبة لإرتكاب جريمته النكراء.

يقول الإنجيل: «**فقد كان يسوع منذ البدء يعلم من هم الذين سوف لا يؤمنون، ومن هو الذى سيسلّمه**» (يوحنا ٦ : ٦٤) . ثم يقول أيضاً: «فأجابهم يسوع: ألم أكن أنا الذى اخترتكم أنتم الإثنى عشر وواحد منكم لإبليس. قال هذا عن يهوذا بن سمعان الإسخريوطى أحد الإثنى عشر، لأنه كان هو الذى اعتزم أن يسلّمه» (يوحنا ٦ : ٧٠، ٧١) .

وقال الإنجيل عن المسيح له المجد بعد أن غسل أرجل تلاميذه فى ليلة آلامه إنه قال لسمعان بطرس: «وأنتم أيضاً أطهار ولكنكم لستم كلكم أطهاراً. فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلّمه ولذلك قال إنكم لستم كلكم أطهاراً» (يوحنا ١٣ : ١٠، ١١) .

بل إنه زاد على ذلك بأن أعطى العلامة على علمه بما انتواه يهوذا، وقال لتلاميذه صراحة: «الحق الحق أقول لكم إنّ واحداً منكم سيسلمنى» ولما سألوه عنه قال «إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها. ثم غمس اللقمة وقدّمها ليهوذا بن سمعان الإسخريوطى.. فقال له يسوع: ما أنت فاعله، فافعله سريعاً» (يوحنا ١٣ : ٢١ – ٢٧) .

حقاً إنه «الإله الأزلى البصير بالخفايا، العالم بكل شئ» (دانيال ١٣ : ٤٢، ٤٣) .

١٠ ـ وبالمثل يروى الإنجيل عن علم المسيح لِه المجد بما تنطوى عليه قلوب الناس ومداخلهم من رياء وإثم ومكر وشرّ.

جاء فى الإنجيل: «ثم أرسلوا إليه قوماً من الفريسيين والهيرودسيين ليصطادوه بكلمة. فجاءوا وقالوا له: يا معلّم نحن نعلم أنك صادق ولا تبالى أحداً لأنك لا تحابى وجه إنسان، وإنما تعلّم طريق الله بالحق. أيحل دفع الجزية لقيصر أم لا يحل؟ أندفعها أم لا ندفعها؟ بيد أنه إذ كان يعرف رياءهم قال لهم: لماذا تخاتلوننى؟ هاتوا لى ديناراً لأراه. فأتوا به، فقال لهم: لمن هذه الصورة وهذه الكتابة؟ قالوا: لقيصر. فأجاب يسوع وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (مرقس ١٢ : ١٣ – ١٧)، (متى ٢٢ : ١٥ – ٢٢)، (لوقا ٢٠ : ٢٠ – ٢٦) .

لقد كشف المسيح له المجد بعلمه الإلهى رياء أولئك الفريسيين والهيرودسيين مع أنهم جاءوا إليه بأدب جم يمدحونه ويصفونه بأنه (صادق) (ولا يبالى أحداً) (ولا يحابى وجه إنسان) (وإنما يعلّم طريق الله بالحق). والرياء دائماً مستور، فالمرائى يظهر غير ما يبطن. ومع ذلك قد كشف المسيح له المجد رياء أولئك الناس وأبان مكرهم (وأدرك خبثهم) (متى ٢٢ : ١٨) أو (فطن لخبثهم) (لوقا ٢٠ : ٢٣) وقال لهم صراحة (لماذا تخاتلوننى؟) (مرقس ١٢ : ١٥) (لماذا تجربوننى يا مراءون؟) (متى ٢٢ : ١٨)، (لوقا ٢٠ : ٢٣).

إنه هو «رب الجنود القاضى العدل **فاحص الكلى والقلوب**» (إرميا ١١ : ٢٠)، «**العارف قلوب الجميع**» (أعمال الرسل ١ : ٢٤)، (١٥ : ٨) «**الذى يفحص القلوب**» (رومية ٨: ٢٧).

١١ ـ ويقول المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا الحبيب الرائى، واللاهوتى، والرسول:

«واكتب إلى ملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا، هذا ما يقوله **ابن الله الذى عيناه كلهيب نار**. فستعرف جميع الكنائس **أنى أنا هو فاحص الكلى والقلوب**. وسأعطى كل واحد منكم على حسب أعماله» (سفر الرؤيا ٢ : ١٨ – ٢٣).

«**فإن فاحص القلوب والكلى، الله البار**» (مزمور ٧: ٩).

«**أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى** لأعطى كل واحد حسب طرقه، حسب ثمر أعماله» (إرميا ١٧ : ١٠).

١٢ ـ وقال الإنجيل أيضاً عن المسيح يسوع: «ولما كان فى أورشليم فى عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه حين رأوا المعجزات التى صنعها. ولكن يسوع لم يكن يأمنهم، **لأنه كان عارفاً بكل واحد، ولم يكن بحاجة لأن يخبره أحد عن الإنسان لأنه كان يعلم ما فى الإنسان**» (يوحنا ٢ : ٢٣ – ٢٥).

وهذه شهادة بيّنة على معرفة المسيح له المجد بدواخل الناس وما تنطوى عليه بواطنهم وضمائرهم من أفكار وخواطر وتقلبات. على أن هذه المعرفة ليست هى فقط معرفته بطبيعة الإنسان بصفة عامة من حيث أن المسيح اتّخذ طبيعة الإنسان «والكلمة اتّخذ جسداً» (يوحنا ١ : ١٤) لكنها **معرفة خاصة بكل إنسان على حدة، وهى معرفة تختلف بحسب كل فرد بما تنطوى عليه نفسه وفكره من رغبات وميول وعواطف واتجاهات وآمال، ونظرات، وأهواء، وهى كلها متغيرات فى الناس من حيث أن كل إنسان كائن**

حر مريد، له أن يختار الخير أو الشر، الحق أو الباطل.

كل الناس على ما بينهم من إختلافات مكشوفون ومعروفون أمام علم المسيح الإلهى، وذلك طبقاً لقول الإنجيل عن مخلصنا «لأنه كان عارفاً بكل أحد» (يوحنا ٢ : ٢٤).

«**فما من خليقة تخفى عليه، بل كل شئ عار ومكشوف لعينى ذاك** الذى يجب علينا أن نؤدى له الحساب» (العبرانيين ٤ : ١٣).

«**لأنه هو يعلم أناس السوء**» (أيوب ١١ : ١١).

«**يكشف العمائق** من الظلام ويخرج ظل الموت إلى النور» (أيوب ١٢ : ٢٢).

«لأنه ليس كما ينظر الإنسان، لأن الإنسان ينظر إلى العينين. **وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب**» (١ . صموئيل ١٦ : ٧).

«**لأنك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر**» (١ . الملوك ٨ : ٣٩).

١٣ ـ لهذا كله اجتمعت للآباء الرسل كل الدلائل التى اقنعتهم **أن المسيح له المجد عالم بكل شئ علماً شاملاً كاملاً، لا يعتوره نقص. وهو العلم المطلق الذى لا يتوافر لغير الله وحده، لأن الله، والله وحده**، هو الذى يمكن أن يوصف بأنه الكلىّ العلم. إن للناس وللملائكة بعض العلم. أما الذى له العلم كاملاً وشاملاً ومطلقاً فهو الله الواحد وحده.

جاء فى الإنجيل قول التلاميذ للمسيح له المجد: «**نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شئ. ولا تحتاج لأن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت**» (يوحنا ١٦ : ٣٠).

١٤ ـ لذلك أيضاً وبهذا اليقين أجاب سمعان بطرس على سؤال سيّده المسيح له المجد، الذى وجهه إليه ثلاث مرات.

قال الإنجيل: «قال يسوع لسمعان بطرس: يا سمعان بن يوحنا، أتحبنى أكثر من هؤلاء؟ فقال له : نعم يا رب، أنت تعلم أننى أحبك. قال له: ارع حملانى. ثم قال له ثانية: يا سمعان بن يوحنا، أتحبنى؟ فقال له: **نعم يا رب، أنت تعلم أننى أحبك**. قال له: ارع خرافى. ثم قال له للمرة الثالثة: يا سمعان بن يوحنا، أتحبنى؟ .. فقال له: **يا رب أنت تعلم كل شئ، أنت تعلم أننى أحبك**» (يوحنا ٢١ : ١٥ – ١٧).

لقد تبيّن التلاميذ من عشرات ومئات المواقف والأحداث أن **المسيح له المجد يعلم كل شيء، وهو ما لا يتصف به غير الله وحده العليم بما فى ذات الصدور.**

يلاحظ على الخصوص قول التلاميذ للمعلّم الأعظم «نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شيء» (يوحنا ١٦ : ٣٠) وقول سمعان بطرس لمعلّمه وسيده: «**أنت تعلم كل شيء**» (يوحنا ٢١ : ١٧).

فهو إذن «**الإله الأزلى البصير بالخفايا، العالم بكل شيء**» (دانيال ١٣ : ٤٢، ٤٣)، (يشوع بن سيراخ ٢٣ : ٢٩)، (نبوءة باروخ ٣ : ٣٢)، (١ . يوحنا ٣ : ٢٠).

الأنبياء قبل المسيح والآباء الرسل ينسبون إلى السيد المسيح له المجد أنه وحده المعصوم من الخطأ

مَن مِنَ الناس لا يخطأ؟

يقول الوحى الإلهى «**ليس إنسان لا يخطأ**» (١. الملوك ٨: ٤٦)، (٢. أخبار الأيام ٦: ٣٦) «من يقول إنى زكّيت قلبى، تطهّرت من خطيئتى» (سفر الأمثال ٢٠: ٩) «لا أحد» (أيوب ١٤: ٤)، (إشعياء ٥٣: ٦). «**ليس إنسان** صديق على الأرض يعمل صلاحاً **ولا يخطأ**» (سفر الجامعة ٧: ٢٠).

ثم يقول: «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة دخل الموت، وهكذا سرى الموت إلى جميع الناس لأنهم **كلهم خطئوا**» (رومية ٥: ١٢).

«**لأن جميع الناس أخطأوا** فأعوزهم مجد الله» (رومية ٣: ٢٣).

«إذا قلنا إننا بلا خطيئة، خدعنا أنفسنا، وما كان الحق فينا» (١. يوحنا ١: ٨).

«**وإذا قلنا إننا لم نخطأ، جعلناه كاذباً** ولم تكن كلمته فينا» (١. يوحنا ١: ١٠).

* * *

أما السيد المسيح له المجد، فهو وحده الذى ظهر فى الهيئة كإنسان، ومع ذلك لم يخطأ، حتى لقد قال بوضوح وصراحة «**من منكم يستطيع أن يثبت علىّ خطيئة**» (يوحنا ٨: ٤٦).

١ ـ وقد شهد عنه الوحى الإلهى على فم النبى إشعياء فى نبوءته: «**إنه لم يعمل ظلماً، ولم يكن فى فمه غش**» (إشعياء ٥٣: ٩).

ويقول عنه الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول:

٢ ـ **ذاك الذى لم يعرف خطيئة** جعله الله خطيئة من أجلنا، لكى نصير نحن فيه أبراراً عند الله» (٢. كورنثوس ٥: ٢١).

٣ ـ «إن لنا رئيس كهنة قادراً على أن يرثى لضعفاتنا. إنه قد تجرّب فى كل شئ مثلنا، **بلا خطيئة**» (العبرانيين ٤: ١٥).

٤ ـ «فإننا ليلائمنا رئيس كهنة مثل هذا، **قدوس، طاهر، بلا شرّ، متنزه عن الخطأ، وقد صار أعلى من السماوات»** (العبرانيين ٧ : ٢٦).

ويقول عنه الوحى على فم القديس بطرس الرسول:

٥ ـ «**إنه لم يرتكب خطيئة، ولا وجد فى فمه مكر**» (١ . بطرس ٢ : ٢٢).

ويقول عنه الوحى على فم القديس يوحنا الرسول:

٦ ـ «وتعرفون أن ذاك (أى المسيح) قد أظهر ذاته لكى يرفع خطايانا، **وهو الذى لا خطيئة فيه**» (١ . يوحنا ٣ : ٥).

انظر واقرأ أيضاً (لوقا ٢٣ : ٤١)، (أعمال الرسل ٢ : ٢٧).

الأنبياء قبل المسيح والآباء الرسل ينسبون إلى المسيح أنه وحده الديّان

الديان واحد هو الله، لأنه وحده كلّيّ العدالة (١. صموئيل ٢٤: ١٥، ١٢)، (يعقوب ٥: ٩).

«فتخبر السماوات بعدله **لأن الله هو الديان**» (مزمور ٤٩: ٦)، «**ديان الجميع**» (العبرانيين ١٢: ٢٣).

«أما الرب فإلى الأبد يجلس، وقد هيأ عرشه للقضاء. **فهو يقضى للمسكونة بالعدل، ويدين الشعوب بالاستقامة**» (مزمور ٩: ٨).

إنه وحده «**ديان كل الأرض**» (التكوين ١٨: ٢٥)، (مزمور ٩٣: ٢)، (١. أخبار الأيام ١٦: ٣٣)، (يهوديت ١٦: ٢٠)، (الحكمة ١٥: ٨)، (٢. المكابيين ٧: ٣٥).

«**يدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعوب بالاستقامة**» (مزمور ٩٧: ٩)، (٩٥: ١٣، ١٠)، (٦٦: ٤)، (٧: ٨)، (١٠٩: ٦)، (١٣٤: ١٤)، (أيوب ٣٦: ٣١)، (رومية ٣: ٦)

«**إنه يدين الصديق والشرير**» (الجامعة ٣: ١٧)، (١١: ٩)، (١٢: ١٤)، (مزمور ٥٧: ١١)، (٨١: ٨)، (١. صموئيل ٢: ٢٥)، (١. كورنثوس ٤: ٥)، (٥: ١٣)، (العبرانيين ١٣: ٤)، (يعقوب ٤: ١٢)، (يهوذا: ١٤، ١٥).

«**ويدين بالعدل**» (رومية ٢: ٢)، «**وبمقتضى الحق**» (الأمثال ٢٤: ١٢).

«**فإن الرب ديّان، ولا يلتفت إلى كرامة الوجوه**» (يشوع بن سيراخ ٣٥: ١٥).

«**إنه يدين من غير محاباة كل واحد، على قدر أعماله**» (١. بطرس ١: ١٧)، (أيوب ٣٤: ١١)، (٩: ١٥)، (مزمور ٦١: ١٢) «**على حسب طرقه وثمار أعماله**» (إرميا ١٧: ١٠)، (٣٢: ١٩)، إنه وحده «**الله الديّان العادل**» (٢. المكابيين ١٢: ٥، ٤١).

انظر واقرأ أيضاً (حزقيال ٣٣: ٢٠)، (رومية ٢: ٥، ٦)، (أفسس ٦: ٨)، (كولوسى ٣: ٢٤، ٢٥)، (الرؤيا ٢: ٢٣)، (٢٠: ١٤)، (١. كورنثوس ٣: ٨).

* * *

على أن الآباء الرسل أبانوا بكل الصراحة والوضوح أن **السيد المسيح له المجد هو بذاته الديان وحده للأحياء والأموات**. وهو الذى سيأتى فى مجيئه الثانى بمجد عظيم ومعه جميع ملائكته ورؤساء ملائكته، ويجلس على عرش مجده، ليدين الجميع كباراً وصغاراً، بالعدل، كل حسب أعماله، فى يوم عينه للحساب، للجزاء والثواب. وستجتمع فيه أمامه جميع الشعوب وسيقف الجميع أمام كرسيه للقضاء لينال كل واحد جزاءه خيراً كان أم شراً، وسوف يجزى الأبرار بالنعيم الأبدى للروح والجسد، كما سيعاقب الأشرار بالعذاب المقيم للروح والجسد.

«فأصبروا أيها الأخوة إلى مجئ ارلب.. فاصبروا أنتم أيضاً وثبّتوا قلوبكم، فإن مجئ الرب قد اقترب.. **هوذا الديّان واقف على الباب**» (يعقوب ٥: ٧ – ٩).

١ ـ جاء فى الإنجيل للقديس متى:

«**لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله**» (متى ١٦: ٢٧). وابن الإنسان هو السيد المسيح نفسه، لأنه وهو الله وابن الله، قد لبس صورة الإنسان وولد كإنسان من مريم العذراء، فهو ابن الله، وهو ابن الإنسان معاً.

٢ ـ ويقول ذات الإنجيل للقديس متى أيضاً: «**ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، يجلس عندئذ على عرش مجده. وتجتمع أمامه كل الشعوب فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء، ثم يقيم الخراف عن يمينه وأما الجداء فعن يساره. حينئذ يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا أيها المباركون من أبى لترثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم...**

ثم يقول أيضاً للأشرار الذين عن يساره: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته..

فيمضى هؤلاء إلى العذاب الأبدى. وأما الأبرار فإلى الحياة الأبدية (متى ٢٥: ٣١ – ٤٦).

ومرة أخرى، **فإن الديّان هو المسيح** له المجد بصفته ابن الإنسان فى مجيئه الثانى. لأنه فى المجئ الأول رفض أن يدين، وقال صراحة «ما جئت لأدين العالم بل لأخلص العالم» (يوحنا ١٢: ٤٧)، (٣: ١٧)، (٨: ١١)، (لوقا ٩: ٥٦).

انظر واقرأ (متى ١٩: ٢٨)، (مرقس ٨: ٣٨)، (لوقا ٩: ٢٦)، (متى ٢٦: ٦٤).

٣ ـ ويقول الإنجيل للقديس يوحنا:

«**إن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلّم القضاء كله للابن**» (يوحنا ٥: ٢٢)، «وقد أعطاه السلطان **لأن يدين**، لأنه ابن الإنسان» (يوحنا ٥: ٢٧).

والمعنى الواضح من قول الإنجيل هو أن **المسيح له المجد هو الذى سيدين العالم**. فالمسيح الذى هو «الله الظاهر فى الجسد» (١. تيموثيئوس ٣: ١٦) هو أقنوم الرحمة، وهو بعينه الذى سيدين الناس بالعدل، مع أن الآب هو أقنوم العدل فى الله. لكن حكمة الله اقتضت أن الرحمة والعدل يلتقيان فى المسيح الفادى والمخلص. «الرحمة والرحمة تلاقيا. العدل والسلام تلاثما. الحق من الأرض نبت، والعدل من السماء تطلع» (مزمور ٨٤: ١٠، ١١) التقيا فى المجئ الأول فى إتمام الخلاص وعمل الفداء الذى جمع الرحمة والعدل معاً: **الرحمة** فى تحقيق الخلاص، **والعدل** فى تنفيذ الحكم بالموت. والمسيح فى عمل الفداء التقى فيه العدل والرحمة معاً.

كذلك شاء الله أن يقوم الفادى بالقضاء والجزاء فى مجيئه الثانى. فيكون وهو أقنوم الرحمة هو الذى يقوم بالدينونة، فلا تعارض بين رحمة الله وعدله. لأنه كما أنه كلىّ الرحمة فهو كلىّ العدل. وكما أنه لا نهاية لرحمته فلا نهاية لعدالته. والله يجمع بين رحمته وعدله من دون تفاضل أو تزايد لصفة فى الله على الأخرى. وتوكيداً لذلك يضيف الإنجيل للقديس يوحنا قول المسيح له المجد «**أدين، ودينونتى عادلة**، لأننى لا أبتغى مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (يوحنا ٥: ٣٠) مؤكداً بذلك على **وحدة المشيئة بين الابن والآب** واتحادهما، وأن الابن والآب واحد فى تدبير الخلاص للإنسان، وإنهما معاً فى وحدة تجمع بين الرحمة الكاملة والعدل الكامل. ويزيد الإنجيل للقديس يوحنا هذه الحقيقة اللاهوتية توكيداً وإيضاحاً، بقول المسيح له المجد «**وإنى وإن دنت فدينونتى حق، لأننى لست وحدى، بل أنا والآب الذى أرسلنى**» (يوحنا ٨: ١٦). وفى هذا توكيد **لوحدانية الإرادة والمشيئة والتدبير فى الابن والآب**. وأن الوحدة قائمة بينهما كاملة فى التدبير والمشيئة، ولا تعارض ولا تباين ولا اختلاف. ويقول المسيح له المجد أيضاً فى نفس المعنى وتوكيداً للحقيقة اللاهوتية: «إنّ الذى أرسلنى **هو معى، ولم يتركنى وحدى**، لأنى فى كل حين أعمل ما يرضيه» (يوحنا ٨: ٢٩).

٤ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول عن السيد المسيح له المجد:

«وقد أوصانا أن نكرز للشعب ونشهد بأنه هو الذى عيّنه الله **دياناً للأحياء والأموات**» (أعمال الرسل ١٠ : ٤٢). والمعنى من ذلك أن حقيقة كون **المسيح يسوع هو وحده الديان**، قد أعلنها المسيح ذاته لتلاميذه، وقد أوضحها وألح عليها مطالباً تلاميذه بأن يعلنوها للناس.

* * *

أما قوله بأن الله «**عيّنه**» أو «**جعله**» أو «**أقامه**» فذلك لبيان أن المسيح لم يغتصب هذا الحق لنفسه من دون إرادة الآب. فهو تعبير إنسانى يلائم اليهود وغير اليهود من الأمم غير اليهودية من أمثال كورنيليوس قائد المائة الرومانى وأهل بيته وجيرانه وأصدقائه الذين كان القديس بطرس يوجه حديثه إليهم ـ وذلك ليبرهن الرسول على أن إرادة الله فى أمر الدينونة والديان مقررة ومبيتة وحاسمة، ولا سيما أن الله ساكن السماء معروف عند من يخاطبهم الرسول بطرس. أما المسيح فلأنه ظهر فى الهيئة كإنسان، فالأمر يقتضى بالنسبة لمن يخاطبهم الرسول ممن لم يعرفوا بعد حقيقة المسيح كاملة أن يقدّمه لهم معرّفاً بالآب السماوى.

٥ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى خطابه فى أريوس باغوس بأثينا باليونان:

«**لأنه قد عيّن يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، على يد رجل قد عيّنه لذلك**، مقدماً لجميع الناس ضماناً بأن أقامه من بين الأموات» (أعمال الرسل ١٧ : ٣١).

لقد شرح الرسول القديس بولس لأهل أثينا وهم من الأمم غير اليهودية، أن سيد الكون وحاكمه مع طول أناته على الخليقة، قد حدد يوماً هو عتيد أن يدين فيه جميع الناس من كل الشعوب والأمم فى أنحاء المسكونة، دينونة عدل بغير محاباة، فينال كل إنسان جزاء أعماله. وأمّا الديان والقاضى والفيصل فهو الذى كان الأثينيون يعبدونه وهم لا يعرفونه، وهو الذى أقاموا له مذبحاً مكتوباً عليه «إلى الإله المجهول» والذى عرّفهم به بولس فى خطابه العظيم إليهم فى وسط الأريوباغوس، وهو رب السماء والأرض، الذى اتّخذ جسداً، وحمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة» (١ . بطرس ٢ : ٢٤) وقدّم ذاته ذبيحة ليفتدى الناس ممن يؤمنون به فيكون لهم الغفران عن خطاياهم. إنه صُلب، وفى الصليب سفك دمه، ثم ذاق الموت بالجسد، أما لاهوته فلا يموت. وفى اليوم الثالث لدفن جسده قام من بين الأموات بسلطان لاهوته، مبرهناً

بقيامته على نجاح مهمته فى الفداء. فهو الذبيحة، والصليب هو المذبح الذى من فوقه رُفعت الذبيحة لإتمام الفداء. وقيامته من بين الأموات بسلطان لاهوته هى برهان ألوهيته، لأنه لم يقف على قبره أحد ليقيمه. وإذ أنه قام بسلطان لاهوته، فكان خليقاً به أن يكون هو بعينه الديّان الذى جمع فى الفداء بين رحمة الله وعدله.

٦ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى رسالته إلى كنيسة روما (رومية):

«يوم يدين الله بيسوع المسيح سرائر الناس، بحسب إنجيلى» (رومية ٢: ١٦).

بهذه الكلمات يقرر الرسول بولس أن ما علّم به سابقاً هو الحق المقدس، فإن الله لا يحابى أحداً. فالذين خطئوا وهم بغير شريعة موسى، فبغير شريعة موسى يهلكون. والذين خطئوا ولهم شريعة موسى، فبشريعة موسى يدانون. فليس الذين يسمعون كلام الشريعة هم الأبرار عند الله، بل الذين يعملون بأحكام الشريعة هم الذين ينالون البر. فغير اليهود من الأمم، الذين بلا شريعة، إذا عملوا بالفطرة ما تأمر به الشريعة، كانوا شريعة لأنفسهم، مع أنهم بلا شريعة. فيثبتون ويدلون على أن ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب فى قلوبهم، وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم. فهى تارة تشكوهم، وتارة تدافع عنهم. وسيظهر ذلك كله، كما أبشّر به يوم يدين الله سرائر الناس وخبايا قلوبهم. **والديّان هو المسيح يسوع.**

الله إذن هو الديان، وقد عيّن يوماً ليجرى فيه الدينونة للمسكونة كلها. وسوف يدين الله الناس لا على أعمالهم الظاهرة فقط، بل على خبايا قلوبهم. **على أن الديان هو المسيح يسوع**، هو الله الذى تلبس بالجسد وظهر فى الهيئة كإنسان، وهو «الكلمة الذى به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان». فلا فرق بين أن يكون الله هو الديان وبين أن يكون المسيح يسوع هو الديان، لأن المسيح يسوع هو الله بذاته الذى ظهر فى الجسد «عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد» (١ ـ تيموثيئوس ٣: ١٦).

٧ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس أيضاً فى نفس الرسالة:

«من هو الذى يدين؟ المسيح يسوع الذى مات بل بالحرى قام. الذى هو عن يمين الله، وهو أيضاً يشفع لنا» (رومية ٨: ٣٤).

هنا فى هذا النص المقدس يشرح الرسول بوحى من الروح القدس كيف أنّ من يعيشون فى المسيح يسوع سالكين سبيل الروح لا سبيل الجسد، لا دينونة عليهم ولا حكم بالهلاك، فقد تحرروا من عبودية الهلاك، ببر المسيح. وما داموا فى المسيح فهم فى حماه. **ولما كان المسيح يسوع هو الديان**، فهم فى مأمن من الحكم عليهم بالهلاك لأنهم آمنوا بالمسيح الذى مات من أجلهم وبالحرى قام أيضاً. ففيه ماتوا عن خطاياهم السالفة، وفيه قاموا لجدة الحياة. فصاروا به أبراراً لن يتعقبهم الهلاك. وإذا زلوا ولكن لم يسقطوا، فالمسيح يرفعهم ما داموا فيه محتمين، وهو لم يبق فى القبر ميتاً، لكنه قام ثم صعد إلى السماء، وهو جالس على العرش عن يمين القدرة، فهو يحميهم، ولن يسمح لأحد أن يردهم إلى الهلاك الذى نجوا منه. فهو قائم إلى الأبد يشفع لهم وفيهم، أى أنه كما خلصهم فى الماضى، فإن خلاصه، هو الذى شفع فيهم، ولا يزال خلاصه قائماً، يسندهم إلى الأبد، فلن يخطفهم أحد من يده. «يا أبنائى، أكتب إليكم بهذا لئلا تخطأوا. وإن خطئ أحد منا، فلنا من يسوع المسيح البار شفيع عند الآب. فهو كفارة لخطايانا، لا لخطايانا وحدها، بل لخطايا العالم كله» (١. يوحنا ٢ : ١، ٢).

٨ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى نفس رسالته إلى كنيسة روما (رومية):

«فما بالك يا هذا تدين أخاك؟ أو لِمَ يا هذا تزدرى أخاك؟ **فإننا جميعاً سنقف أمام كرسى المسيح**» (رومية ١٤ : ١٠).

فالرسول يقرر أننا جميعاً عبيد لله. وليس من حق إنسان ما أن يرفع نفسه فوق غيره، أو يفتخر على غيره. وليس يليق بإنسان أن يحتقر إنساناً آخر أو يزدريه، أو يحكم عليه أو يدينه كمخطئ أو كأثيم كما لو كان هو أفضل من غيره أو أطهر منه. لا فضل لإنسان على آخر، ولا ميزة لواحد على أخيه، ولا سلطان له عليه حتى يدينه أو يحتقره. فإننا جميعاً بشر وكلنا عبيد، ولسوف نُحاكم ونُحاسب على أفعالنا وأقوالنا فى اليوم الذى وقّته الله للدينونة والحساب. **إننا كلنا سنقف أمام كرسى المسيح للقضاء** .. وفى هذا نحن جميعاً سواسية. جميعنا سنُحاسب عندما نقف للمحاكمة أمام كرسى المسيح للقضاء. فليس لأحد سلطان على آخر، حتى يحكم عليه أو يدينه.

هنا أيضاً فى هذا النص، واضح أن **الديّان هو الله ، هو المسيح يسوع**، لأنه كما قال

الإنجيل «**الآب لا يدين أحداً، وإنما سلّم القضاء كله للابن**، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب» (يوحنا ٥: ٢٢، ٢٣) ولأن الابن، أى المسيح يسوع، هو صورة الله الغير منظور (كولوسى ١: ١٥).

٩ ـ ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى كنيسة كورنثوس:

«لأننا لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح للقضاء، لينال كل واحد جزاء ما عمله وهو فى الجسد، أخيراً كان أم شراً» (٢. كورنثوس ٥: ١٠).

هنا يبرز الرسول بولس بالروح القدس حقيقة الدينونة والحساب والجزاء الأخروى لجميع الناس أبراراً كانوا أم أشراراً، وذلك بعد القيامة العامة، قيامة الأجساد فى اليوم الذى عيّنه الله ليدين فيه الأحياء والأموات. إنّ الدينونة لذلك مرجأة بالنسبة للراقدين المنتقلين حتى يلبسوا أجسادهم. فأرواح المنتقلين تبقى فى مقار الأرواح السعيدة أو غير السعيدة إلى يوم القيامة العامة، وهى ما تعرف بالقيامة الثانية، لأن القيامة الأولى (سفر الرؤيا ٢٠: ٥، ٦) هى التوبة، لأنها قيامة من موت الخطيئة. وهذه يمارسها من يسمعون كلمة الله ويطيعونه (يوحنا ٥: ٢٤، ٢٥). أما القيامة الثانية فهى قيامة جبرية قهرية لابد منها للجميع، للأبرار والأشرار، حتى ينالوا جزاء ما قدّمت أيديهم، وما صنعوا من خير أو من شر. وهذه هى الحكمة فى إرجاء الجزاء الأخروى إلى ما بعد القيامة العامة. لأن الإنسان صنع الخير أو الشر بكيانه كله، بالروح والجسد معاً. فكيف يكون للروح وحدها الجزاء من دون الجسد الذى زاملها رحلة الحياة كلها؟

من هنا قول الرسول بإلهام الروح القدس إنه **لابد لنا جميعاً من أن نظهر**، أى لا باختيارنا، بل هى ضرورة يلتزم بها الناس جميعاً، ولا تُترك لإختيارهم أو رغبتهم، هى ضرورة ملزمة يقتضيها العدل الإلهى لينال كل واحد جزاء أفعاله وثمرة أعماله التى صنعها لا بالروح فقط بل وفى الجسد أيضاً.

أما الديّان فهو المسيح الرب والملك (متى ٢٥: ٣٤، ٤٠)، وكرسيه للقضاء سينتصب على الأرض، وفى المكان الذى ارتفع فيه صليبه فى المجئ الأول **«تنهض الأمم وتصعد إلى وادى يهوشافاط، فإنى هناك أجلس لأدين جميع الأمم من كل ناحية»** (يوئيل ٣: ١٢) **«أجمع جميع الأمم وأنزلهم إلى وادى يهوشافاط وأحاكمهم هناك»** (يوئيل ٣: ٢).

١٠ ـ ويقول الوحي الإلهي على فم القديس بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تلميذه القديس تيموثيئوس:

«أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح الذي سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره ومجئ ملكوته» (٢ . تيموثيئوس ٤ : ١).

في هذا النص المقدس يذكّر الرسول بولس تلميذه تيموثيئوس بما يعلمه الأسقف جيداً، ولكنه توكيداً لحرارة الرجاء في وجوب النضال والجهاد في سبيل نشر كلمة الله، ومواصلة الوعظ والتعليم والإنذار والتوبيخ من غير مهادنة، والإلحاح عليه بشدة في عدم التراخي في الخدمة، خصوصاً وأن الرسول بولس يكتب هذه الرسالة أو بالحرى يمليها وهو ينتظر تنفيذ الحكم عليه بالإعدام، فكلامه هنا وصية أخيرة قبيل نهاية حياته. «أما أنا فأريق السكيب عليّ، ووقت رحيلي قد اقترب» (٤ : ٦).

وفي النص توكيد على هذه الحقيقة التي أعلنها الوحي الإلهي مراراً وتكراراً، أن الرب يسوع المسيح هو الذي سيدين الأحياء والأموات عند ظهوره وتجليه في مجيئه الثاني للدينونة، كما ينص أيضاً قانون الإيمان «ويأتي في مجيئه الثاني ليدين الأحياء والأموات».

١١ ـ وجاء في سفر الرؤيا قول السيد المسيح له المجد:

«وأكتب إلى ملاك الكنيسة التي في ثياتيرا. هذا ما يقول ابن الله الذي عيناه كلهيب نار، ورجلاه كالنحاس الخالص: أنا عارف أعمالك وما عندك من محبة وإيمان وبذل وصبر.. **أنا هو الفاحص الكلى والقلوب، وسأعطي كل واحد منكم على حسب أعماله»** (الرؤيا ٢ : ١٨ – ٢٣).

وهذا نص واضح وصريح على **أن السيد المسيح له المجد هو الديان الذي يملك حق المجازاة بالثواب والعقاب، لكل إنسان على حسب أعماله، وعلى قدر ما عنده من فضائل، وما يتصف به من رذائل.**

فالمتكلم الذي يوجه الخطاب، **هو المسيح (ابن الله)** الذي عيناه كشعلة ملتهبة ناراً، ورجلاه كالنحاس الخالص النقي المصقول، وهو الوصف الذي وصف به المسيح له المجد في الرؤيا (١ : ١٤ ، ١٥) كما رآه القديس يوحنا اللاهوتي، ووصفه بأنه شبه ابن الإنسان، وهو يلبس ثوباً طويلاً إلى قدميه، وحول صدره منطقة من ذهب. وكان شعر رأسه أبيض كالصوف

الأبيض أو كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه كالنحاس الخالص محميّ فى أتون، ووجهه كالشمس فى أبهى شروقها. وإذن فهو المسيح ابن الله وابن الإنسان معاً، لأنه فى صورة الإنسان. وقال القديس يوحنا الرائى: «فلما رأيته وقعت عند قدميه كالميت. فلمسنى بيده اليمنى وقال: لا تخف، **أنا الأول والآخر**. أنا الحى. **وكنت ميتاً وهأنذا حىّ إلى أبد الدهور. بيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الرؤيا ١: ١٣ – ١٨).

هو المسيح فى الجسد، له رأس وعينان ووجه ويدان ورجلان وصدر وقدمان، ويصف ذاته بصوته الرهيب كصوت بوق يقول: «**أنا الأول والآخر**» أى الأزلى الأبدى «**أنا الألف والياء**». «**الكائن والذى كان والذى يأتى**» (الرؤيا ١: ٤) أى هو «الدائم» أو هو «يهوه» الكائن دائماً فى كل حين، السرمد، والسرمدى، البدء الذى لا بدء له، والأبدى الذى لا نهاية له. إنه الحى دائماً، وإن كان قد ذاق الموت بالجسد من أجل عمل الفداء والخلاص، لكنه هو الحى إلى أبد الدهور، بل قال: «أنا هو الحياة» (يوحنا ١١: ٢٥)، «فيه كانت الحياة، كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان». هو «الكلمة» و«الكلمة هو الله» (يوحنا ١: ١، ٣، ٤).

ويقول لملاك الكنيسة التى فى ثياتيرا وهو أسقفها «أنا عارف أعمالك وما عندك من محبة وإيمان وبذل وصبر» - ثم يضيف «أنا هو الفاحص الكلى والقلوب» أنا هو العليم بما فى ذات الصدور، عليم وعالم بالخفايا فى الضلوع، عليم وعالم بما تنطوى عليه قلوب الناس، ما يبطنون وما يظهرون، عليم وعالم بكل تلافيف الكلى وهى أخفى ما عند الإنسان من أعماق ودواخل. وهو يقول هذا ليطمئن المؤمنين أن «دينونته عادلة» (يوحنا٥: ٣٠) لأنه «لا يحكم حسب الظاهر» (يوحنا ٧: ٢٤). إنه فى مجيئه الثانى للدينونة «**سيعطى كل واحد على حسب أعماله**». فهو الديان العادل، لا يظلم أحداً (العبرانيين ٦: ١٠).

١٢ - وجاء فى سفر الرؤيا أيضاً قول المسيح له المجد فى ختام الرؤيا للقديس يوحنا الحبيب الرائى:

«ها أنا آتٍ سريعاً، وجزائى معى لأجازى كل واحد بعمله، أنا الألف والياء، الأول والآخر، والبداءة والنهاية.. أنا يسوع أرسلت ملاكى ليشهد لكم بهذه الأمور فى الكنائس. أنا أصل داود ونسله. أنا كوكب الصبح المنير.. نعم، أنا آتٍ سريعاً! آمين! تعال، أيها الرب يسوع» (الرؤيا ٢٢: ١٢ – ٢٠).

واضح وجليّ من هذا التصريح الإلهى فى ختام الرؤيا أن المسيح له المجد هو المتكلم. ويقول أنا أرسلت ملاكى ليشهد لكم بهذه الأمور فى الكنائس. ثم يصف ذاته بأنه **أصل داود ونسله**. وقد سبق له وهو على الأرض أن سأل اليهود هذا السؤال عن المسيح. قال الإنجيل: «وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح؟ ابن من هو؟ فقالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف إذن يدعوه داود بالروح القدس ربىّ قائلاً: قال الرب لربى: اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك؟ فإن كان داود إذن يدعوه ربه فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطيع أحد أن يجيبه بكلمة» (متى ٢٢ : ٤١ – ٤٤)، (مرقس ١٢ : ٣٥ – ٣٧)، (لوقا ٢٠ : ٤١ – ٤٤)، (مزمور ١٠٩ : ١).

ثم يقول «**أنا كوكب الصبح المنير**» الذى إليه أشار النبى فى القديم «أراه ولكن ليس الآن. أبصره ولكن ليس قريباً. يبرز **كوكب** من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل..» (سفر العدد ٢٤ : ١٧). انظر أيضاً (زكريا ٦ : ١٢)، (متى ٢ : ٢)، (٢. كورنثوس ٤ : ٤، ٦)، (٢. بطرس ١ : ١٩)، (الرؤيا ٢ : ٢٨).

إنه هذا كله، ولكنه أولاً وقبل كل شئ، يقول بفمه الإلهى الطاهر: «**أنا الألف والياء، وأنا الأول والآخر، والبداءة والنهاية**» توكيداً لحقيقة أنه الواحد الأحد، الأزلى الذى لا بداءة له، الأبدى الذى لا نهاية له. هو البدء الذى لا بدء له، والأبدى الذى لا نهاية له، بل هو «**أبو الأبد**» (إشعياء ٩ : ٦) أى أنه أصل الأبد.

إنه الرب يسوع، **أصل داود ونسله، وكوكب الصبح المنير، والألف والياء، والأول والآخر، والبداءة والنهاية**. ويقول فى خاتمة الرؤيا «**ها أنا آت سريعاً، وجزائى معى، لأجازى كل واحد بعمله**» هذا الوعد بالمجئ الثانى فى خاتمة الرؤيا كرره مرة أخرى فى ختام الختام «**نعم، أنا آتٍ سريعاً! آمين**!» (الرؤيا ٢٢ : ٢٠) على أن هذا المجئ الثانى هو للدينونة كما وعد بذلك مراراً. ويقول: «**وجزائى معى لأجازى كل واحد بعمله**». والجزاء على حسب العمل، كما تقتضى عدالته، فهو القاضى العادل «رب الجنود الحاكم بالعدل الفاحص الكلى والقلوب» (إرميا ١١ : ٢٠).

* * *

ويصف الرائى يوم الدينونة هكذا:

«ثم رأيت عرشاً أبيض عظيماً، ورأيت الذى عليه استوى. وهو الذى هربت من أمام وجهه

الأرض والسماء ولم يبق لهما أثر. ورأيت الأموات كباراً وصغاراً واقفين أمام العرش. وانفتحت الأسفار، ثم انفتح سفر آخر، الذى هو سفر الحياة. **ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار، كل واحد بأعماله**، وقذف البحر الأموات الذين فيه. وقذف الموت والجحيم الأموات الذين فيهما. **فدينوا كل واحد بحسب أعماله**، (الرؤيا ٢٠ : ١١ – ١٣).

* * *

المسيح له المجد هو وحده الديان. ولمزيد من البيان، انظر واقرأ (يوحنا ١٢ : ٤٨)، (رومية ٢ : ٦)، (١٤ : ٩، ١٢)، (١ . كورنثوس ٤ : ٥)، (كولوسى ٣ : ٢٤، ٢٥)، (٢ . تسالونيكى ١ : ٦، ٧) (٢ . تيموثيئوس ٤ : ٨)، (يعقوب ٥ : ٩)، (١ . بطرس ٤ : ٥)، (يهوذا : ١٤، ١٥)، (دانيال ٧ : ١٠)، (زكريا ١٤ : ٥).

المسيح كلمة الله
يعلم كل شئ

المسيح كلّىّ العلم

جاء فى الإنجيل المقدس أن تلاميذ المسيح له المجد قالوا له: «نحن الآن نعرف **أنك عالم بكل شئ**، ولا تحتاج إلى أن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت» (يوحنا ١٦: ٣٠) وقال القديس سمعان بطرس الرسول يخاطب معلّمه بعد قيامته المجيدة من بين الأموات «**يا رب أنت تعلم كل شئ**. أنت تعلم أننى أحبك» (يوحنا ٢١: ١٧).

وجاء فى رسالة كولوسى «**المسيح الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة**» (كولوسى ٢: ٢، ٣).

وقال عنه الإنجيل بعد اجتماعه بتلاميذه فى العليّة، ليلة آلامه «فخرج يسوع **وهو عالم بكل ما سيأتى عليه**» (يوحنا ١٨: ٤).

فمن يكون المسيح إذن إلا أن يكون هو الله بذاته، لأن الله وحده هو الذى «**يعلم كل شئ**»، وهو وحده «الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة» «هو كاشف الأعماق والخفايا وعالم ما فى الظلمة وعنده يحل النور» (دانيال ٢: ٢٢).

علم الإنسان ومعرفته

إن الإنسان يعلم بعض العلم أما الله فهو وحده الذى «يعلم كل شئ».

أولاً: نعم، إن علم الإنسان علم محدود:

فما من عالم أو فيلسوف أو كائناً من كان يزعم أنه يعلم كل شئ. وقد اعترف أحد العلماء قائلاً: إن ما نعرفه أو نعلمه لا يُقاس بشئ إلى ما لا نعلمه. والأقرب إلى الحق أن يُقال إننا لا نعلم شيئاً.

ثانياً: علم الإنسان علم غير مباشر:

ثم إن علم الإنسان بالأشياء غير مباشر.

١ - فالإنسان مغلق عليه فى جسده أو بدنه، ولا يعلم عن العالم الخارجى عنه إلاّ بقدر ما تنقل إليه حواسه الخمسة ولذلك تُعرف الحواس بأبواب المعرفة. فهى المنافذ والطاقات التى تصل منها إليه المعرفة بالوجود الخارجى.

فإذا فقد الإنسان بعض هذه الحواس فقد بالتالى المعرفة التى تصله عن طريقها. فمن وُلد فاقداً **حاسة النظر** مثلاً أمسى عالم الألوان بالنسبة له لا وجود له، فلا يدرك الفرق بين الأحمر والأزرق أو بين الأصفر والأخضر.

وكذلك إذا وُلد فاقداً **حاسة السمع**، فلا يصل إليه العلم بالأصوات. فلا يعرف الفرق بين صوت الرجل وصوت المرأة وصوت الطفل، ولا يحس الفارق بين خرير المياه، وعواء الذئاب، ونباح الكلاب، ومواء القطط، وهديل الحمام، وصهيل الفرس.. إن عالم الأصوات لا وجود له لمن فقد حاسة السمع.

وهكذا من فقد **حاسة الذوق** باللسان فلا يميز بين الطعوم. ومن فقد **حاسة الشم** لا يحس الفارق بين رائحة زكية ورائحة كريهة، بين عطر منعش، وعفونة منبعثة من جيفة حيوان ميت.

فالحواس الخمس هى أدوات المعرفة عند الإنسان، عن طريقها تصل إليه المعرفة بما هو خارج عن كيانه المادى، ومن دونها تنعدم معرفته بالعالم الخارجى.

٢ ـ على أن للإنسان، فضلاً عن حواسه الخمس، **نور العقل**. والعقل قدرة الروح والنفس الناطقة المخلوقة على صورة الله ومثاله ـ **وبالعقل يفهم الإنسان ويدرك، ويتصور الصور الذهنية. وبالعقل يستدل الإنسان، ويستقرئ، ويدرك المجردات، وبه أيضاً يبتكر، ويخترع، ويكتشف، ويخلق الحلول لما يعترض حياته من صعوبات. وبالعقل يتوصل الإنسان إلى وجود الخالق**، فيتضع أمام موجده وموجد الكون، ويخضع له بذهنه وقلبه وبدنه ساجداً لعظمته. **وبالعقل يُدرك الوجود غير المنظور وغير المحسوس**، ويقر أنه ليس كائناً وحده فى هذا الكون الواسع المترامى الأطراف، ولابدّ أن تكون ثمت كائنات أخرى تشاركه الوجود، وإن كان لا يدركها بحواسه.

٣ ـ بيدَ أن الإنسان قد تبيّن بكيانه الإنسانى أن هناك **نوعاً ثالثاً من المعرفة** يجيئه عن غير طريق العقل وقدراته على الاستقراء والاستنباط وتسلسل البرهان ـ نوعا يختلف أيضاً عن المعرفة التى تصل إليه من الحواس الخمسة ـ هذا النوع من المعرفة ينبثق فى النفس إنبثاقاً، فلا يأتى إليه من الحواس، ولا يجئ بالاستقراء والاستنتاج العقلى، إنما يتولد فى النفس من غير

العقل ومن غير الحواس. هو نوع من الإلهام للعقل والقلب ينبثق فجأة فينير القلب والعقل، بنور جديد، فيثير الوجدان بفرح عميق، ويتبيّن الإنسان بعد أن يهدأ انبهاره بهذا النور أنه حق وصدق وأنه نافع لمسيرته فى حياته الدنيا، وعون له على مزيد من الفهم والعلم والعرفان. ولما كان يعرف أن هذه المعرفة قد انبثقت فى قلبه وعقله انبثاقاً، ولم تأته لا من العقل ولا من الحواس، يتبيّن أنها معرفة جاءته من مصدر ثالث.

هذا النوع الثالث من المعرفة تنبّه له قبل غيرهم بعض العلماء والفلاسفة. فالعلماء سمّوه باسم (الفرض العلمى) وأقرّوا أنه ليس من خلق عقولهم أو حواسهم، وتتبعوه بقياساتهم العلمية والتجريبية، فثبت لهم صدقه وحقه. ولمّا كانوا لا فضل لهم فيه، فازدادوا اتضاعاً، وهو ما يعرف بـ (تواضع العلماء على الحقيقة). أمّا الفلاسفة فسّموه بـ (الإلهام) Intuition وأقرّوا بأنه إرشاد من عالم الروح، وصرّح سقراط مثلاً بأنه تلقين وإيعاز من كائن روحانى كان يراه سقراط فى حلم أو فى رؤيا وكان يرشده. ولقد عُرفت هذه الروح المرشدة فى تاريخ الفلسفة بـ (جنيّة سقراط). وكأن الفيلسوف فى هذه الحالة بفضل صفاء روحه يصير وسيطاً لقوى روحية من عالم الروح.

هذا النوع الثالث من المعرفة الذى ينبثق فى النفس إنبثاقاً ولا يجئ عن طريق العقل والحواس الخمس، عرفه المتصوفة والرهبان بـ (العلم اللّدُنّى) أى العلم الذى من لدن الله، (يوحنا ٦ : ٤٥)، (١ . تسالونيكى ٤ : ٩)، ينزل على عقل الإنسان وروحه - إذا توافر له الصفاء الروحى - بنور يشرق فى قلبه، إشراقاً ، فيعرف به ما لا يعرف بعقله ولا بحواسه الخمس.

أما سائر الناس من غير الأنبياء، ومن غير العلماء والفلاسفة، فعرفوه أيضاً على درجة ما، فسمّوه بـ (الحاسة السادسة) كما سُمىَّ عند البعض الآخر بـ (الحَدس) أى الإلهام.

* * *

تلك مصادر العلم والمعرفة عند الإنسان وكلها وسائط تنقل إليه المعرفة من خارج نفسه، بما فيها الإلهام أو الحدَس الذى ينبثق فى النفس من الله أو من عالم الروح، فمعرفة الإنسان بالأشياء وبالموجودات وبالحقائق معرفة غير مباشرة، أى أنه لا يصل إلى حقائق الوجود وصولاً مباشراً من غير وسيط.

١ ـ أما معرفة الإنسان بالأشياء عن طريق الحواس فهى تتوقف على سلامة الحواس. فإذا كانت حواسه مريضة أو معطلة لسبب أو لآخر، فالمعرفة التى تصله عن طريق هذه الحواس لابدّ بالتالى أن تكون معرفة ناقصة أو مشوّهة.

فإذا كان نظره ضعيفاً، فهو لا يرى الأشياء بوضوح. وإذا كانت عيناه مُصابتين بمرض من أمراض العيون، فالمعرفة الواصلة إليه عن طريق عينيه لا تكون معرفة سليمة أو واضحة أو حقيقية قائمة على طبيعة الأشياء فى ذاتها.

وإذا كان مريضاً بالزكام وما أشبه فقد يشتم فى الموجودات عفونة من دون أن تكون فى الموجودات عفونة حقيقية، لكن لأن حاسة الشم عنده مريضة فحكمه على الروائح لا يكون صائباً.

وبسبب الزكام أيضاً أو لأسباب أخرى يكون تمييزه للطعوم ضعيفاً فلا يستطيع أن يميز بوضوح بين الحلو والمر، وما بينهما. وقل مثل ذلك بالنسبة لحاسة السمع وكذلك حاسة اللمس.

فمادامت معرفة الإنسان بالموجودات الخارجة عن كيانه الجثمانى تتوقف على الحواس باعتبارها أبواب المعرفة، فإذا كانت هذه الحواس مريضة فالمعرفة الواصلة إليه عن طريقها لابد أن تكون ناقصة أو معيبة أو غير سليمة.

لكن هناك عاملاً آخر يعيب المعرفة التى تصل الإنسان عن طريق الحواس، وهو ما يعرف بخداع الحواس.

فقد تكون حواسنا الخمسة سليمة ومع ذلك تنقل إلينا معرفة خاطئة، مضادة ومعارضة لحقيقة الأشياء نفسها.

فنحن نرى السماء زرقاء، ولكننا نعلم الآن أنها ليست كذلك على الحقيقة. وقد تبيّن لنا أن هذه الزرقة لا وجود لها فى الواقع، لكنها نتيجة إنعكاس الأضواء بحيث تبدو لنا أنها زرقاء ولكنها ليست كذلك فى حقيقتها.

ونحن نرى الملعقة فى كوب من الماء مكسورة، ولكنها ليست كذلك فى الحقيقة بدليل أننا إذا أخرجناها من الكوب نراها سليمة. لكنها عندما تكون فى الكوب (تبدو) لعيوننا مكسورة. وكذلك مجذاف القارب أو السفينة نراه فى البحر أو النهر مكسوراً، فإذا أخرجناه من الماء تبيّنا أنه سليم وغير مكسور.

من ذلك أيضاً ظاهرة (السراب Mirage) ترى كمسطحات الماء تلصق بالأرض عن بعد. وهى من خداع الحواس تنشأ عن إنكسار الضوء فى طبقات الجو عند اشتداد الحر، وتكثر بخاصة فى الصحراء.

من هنا أثبت بعض الفلاسفة من أمثال كنط Kant (١٧٢٤ – ١٠٨٤م) الفيلسوف الألمانى، والفرنسى بوانكاريه H. Poincaré (١٨٥٤ – ١٩١٢م) ولوروا P. Leroux (١٧٩٧ – ١٨٧١م) ومن إليهم صحة نظريتهم التى سُميت بـ (**النظرية النقدية**) فى أواخر القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر. ومؤداها أن حواسنا تخدعنا، وبالتالى فإن معرفتنا بالأشياء هى كما (تبدو) لنا، أو كما (تبدو) لحواسنا. وإذن **فنحن لا نعرف الأشياء كما هى فى حقيقتها وإنما كما (تبدو) لحواسنا.**

وعلى ضوء هذه النظرية النقدية نزل العلم عن كبريائه وعن نزعته التوكيدية التى كانت تُصر على أن الحقيقة هى ما تراه العين، وما تسمعه الأذن، وما تلمسه اليد، إلى أرض الواقع، **فصار العلم (احتماليا) لا يقينياً**، لأن أدواته فى الوصول إلى المعرفة هى الحواس، والحواس قد تمرض، وحتى لو لم يصبها المرض أو الوهن فهى تخدعنا لأنها لا تستطيع أن تنقل إلينا المعرفة بالحقيقة فى ذاتها، وإنما الحقيقة كما (**تبدو**) لنا.

ومهما يكن من أمر فهذا هو العلم بالوجود المادى الذى تنقله إلينا الحواس الخمسة.

٢ ـ أما المعرفة العقلانية فهى أيضاً معرفة غير مباشرة بالحقائق فى ذاتها. فنحن ننتقل بالعقل من مقدمات، وبعضها بديهيات أو تبدو لنا كذلك، وبعضها مُسلّمات وهى قضايا يقرها الناس فى المجتمع. **ومن المقدمات ننتقل إلى النتائج صعوداً على سلم البرهنة، ومن الملاحظة إلى استقراء القانون العام الذى يربط بين الظواهر المتشابهة**، وقبل أن نصل إلى القانون العام الذى يربط بين الظواهر يحاول العلماء منّا أن يقدّموا تفسيراً للظواهر، يبدأ مما يُعرف عند العلماء بـ (**الفرض العلمى**) الذى عن طريقه يعمل على تفسير الظواهر المتشابهة ليصل أخيراً إلى ما يعرف بالقانون العام الذى يربط بين الظواهر الطبيعية. وشيئاً فشيئاً يتحول القانون العام إلى مسلمة من المسلّمات فى عالم الناس.

والخلاصة، إنّ **العلم بكل مصادره الثلاثة فى عالم الإنسان هو علم غير مباشر بحقائق الوجود**، وبلغة أخرى هو علم بالوسائط أو خلال الوسائط التى تنتقل بها المعرفة إلى

النفس البشرية. لكننا **لا نزعم أننا نستطيع أن ننفذ إلى الحقيقة فى ذاتها، ومن دون واسطة.**

٣ ـ وحتى الذين توافر لهم الصفاء النفسى، فوصلوا إلى ما يعرف بـ (العلم اللدُنّى) وهو الإلهام والحدس، يقرّون بأن هذا النوع من العلم قد صُبّ فى قلوبهم صباً، فلم يتوصلوا إليه بحواسهم ولا بالبرهنة العقلية، لكنه أبلغ إليهم وصبّ فى قلوبهم صباً، من خارج نفوسهم. لكنّ نفوسهم فى ذاتها لا قدرة لها على أن تنفذ إلى الحقيقة فى ذاتها من غير واسطة.

ثالثاً: علم الإنسان علم آنّى:

إنه علم مرتبط باللحظة التى يعيشها الإنسان، فهو آنّى، لأنه يتّصل بالآن، تجئ إليه المعرفة مجزأة بحسب الحاجة، فمعرفته ليست شاملة، وليست كاملة. إنها محدودة بالزمان والمكان. ولذلك فإنها قابلة للنموّ والازدياد بحسب الحاجة. فقد يعرف اليوم شيئاً، ثم تزداد معرفته فى يوم آخر، وهكذا تنمو المعرفة شيئاً فشيئاً وتكبر وتزداد مع الأيام، وبازدياد احتياجاته وتنوع إلتزاماته. ومن هنا فمعرفة الطفل ليست كمعرفة الشاب أو الرجل. إنها كالنبات ينمو طولاً وعرضاً. ولذلك قالوا فى الأمثال: إن من يكبرك بيوم، تزيد معرفته عنك بسنة. جاء فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس: «**لمّا كنتُ طفلاً، وكطفل كنتُ أتكلم، وكطفل كنتُ أدرك، وكطفل كنتُ أفكر. ولمّا صرت رجلاً تركتُ ما هو للطفل. إنى أعرف الآن بعض المعرفة. وأمّا يومذاك فسأعرف كما عُرفت**» (١. كورنثوس ١٣: ١١، ١٢).

أنظر أيضاً (١. كورنثوس ٣: ١)، (١٤: ٢٠)، (أفسس ٤: ٤)، (العبرانيين ٥: ١٣)، (١. بطرس ٢: ٢).

* * *

تلك خصائص المعرفة عند الإنسان بعامةٍ، وإنها فى جميع مصادرها معرفة محدودة وقاصرة، ومعرفة غير مباشرة، ومعرفة آنيّة محدودة فى الزمان.

وحقاً إن بعض الروحانيين من القديسين كان لهم نصيب أوفر من غيرهم من البشر، فاتسعت معرفتهم وامتدت إلى أكثر مما كان يعرفه الذين عايشوهم فى الزمان والمكان، بصورة

متميزة مبهرة، ومع ذلك فهى معرفة محدودة بالقياس إلى معرفة الله غير المحدودة عبر الزمان والمكان.

لقد حدّثنا الكتاب المقدس عن الأنبياء الملهمين بالروح القدس، وكيف عرفوا بالإلهام الإلهى أموراً، فانكشف لهم الحاضر وانفتح أمامهم المستقبل. ومع ذلك فليس كل الحاضر وليس كل المستقبل. إنّما الذى انكشف لهم هو ما أراد الله أن يكشفه لهم لنجاح مهمتهم ولأداء رسالتهم، فى تحذير الناس وإنذارهم، حتى يتوبوا عن خطاياهم، ويُصلحوا مسيرتهم.

هذه المعرفة الخاصة التى زوّد الله بها الأنبياء القديسين كانت من قبل الله تعالى، منحها لهم بالروح القدس الذى أرشدهم وألهمهم وأوحى إليهم، فنفخ فيهم وألقى إلى عقولهم وقلوبهم بهذه المعرفة العالية، ونطق على ألسنتهم بمعرفة ليست من عندهم، فهى معرفة جاءت إليهم لا عن طريق الحواس ولا عن طريق الاستقراء أو الاستنباط العقلى، ولكن بالإلهام والكشف الإلهى لقلوبهم وأرواحهم .. وذلك بالرؤى أحياناً، وبالأحلام أحياناً أخرى، وبالصوت الهادئ الواضح فى القلب والعقل والشعور أحياناً ثالثة، وفى أحيان رابعة عن طريق ملاك أو كائن روحانى يتجسّم أمامهم فيرونه ويسمعون صوته، يبلغهم رسالة الله إليهم، ويأمرهم بالعمل بها.

قال الرب لهرون ومريم أخوى موسى النبىّ، وكلّمهما فى عمود سحاب أو غمام، قائلاً: «إن يكن فيكم نبىّ للرب، **فبالرؤيا استعلن له فى الحلم، أكلّمه**. وأما عبدى موسى فليس هكذا، بل هو أمين فى كل بيتى. **فما إلى فم أخاطبه، وعياناً لا بالألغاز**، وشبه الرب يعاين..» (سفر العدد ١٢ : ٦ – ٨).

ومعنى هذا أن الرب يوحى إلى الأنبياء بما يريد أن يبلغهم إياه ويأمرهم به، **إمّا عن طريق الأحلام، أو الرؤى، أو عن طريق ملاك أو كائن روحانى.**

وإذن فالمعرفة الخاصة للأنبياء ليست فيهم من ذواتهم، وإنّما تجيئهم بوسائط منها الأحلام والرؤى، ومنها المخاطبة بصوت مسموع من الخارج أو فى داخل القلب والروح، أو عن طريق ملاك أو كائن روحانى.

على أن هذه المعرفة معرفة مفاضة على الأنبياء من قبل الله، وبواسطة من الوسائط الإلهية.

فهى إذن معرفة مُفاضة عليهم من خارج ذواتهم، كما أنها معرفة محدودة بالرسالة المنوط بها النبيّ فى الزمان والمكان.

ومهما يكن من أمر، **فمعرفة الأنبياء القديسين معرفة محدودة غير شاملة وغير كاملة، وليست من ذواتهم، كما أنها معرفة آنية وغير مباشرة، ومقيّدة بهدف محدود ومحدّد لرسالة فى الزمان والمكان.**

جاء عن **أليشع النبىّ** أنه كانت له بالروح القدس موهبة الكشف **فكان يُخبر ملك إسرائيل بما يتكلم به ملك أرام فى مخدع منامه،** فيتحذر ملك إسرائيل ويتحفظ، حتى لقد ظن ملك أرام السوء فى عبيده وخدّامه وظنهم جواسيس يعملون لحساب ملك إسرائيل. فلما طمأنوه بأنهم ليسوا خائنين له وإنما هو أليشع النبى الذى تنكشف له الأمور فيخبر بها ملك إسرائيل (٢. الملوك ٦ : ٨ – ١٣) أرسل ملك أرام إلى حيث أليشع، بخيل ومركبات وجيش ثقيل وكثير ليأخذ أليشع. فلما رأى الغلام خادم رجل الله أليشع، الخيل والمركبات والجيش، صرخ نحو سيده وقال «آه يا سيدى ماذا نصنع؟» فقال أليشع للغلام: **«لا تخف، فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم.** وصلى أليشع وقال **يا رب، اكشف عن عينيه ليرى. فكشف الرب عن عينى الغلام فرأى. فإذا الجبل مملوء خيلاً ومراكب نار حول أليشع»** (٢. الملوك ٦ : ١٣ – ١٧).

لقد كشف الرب عن عينى أليشع النبى، فكان يعلم بالخطط الحربية التى يخططها ملك أرام وهو فى مخدع منامه وينبّه ملك إسرائيل إليها. وعندما أرسل ملك أرام جيشاً كبيراً وخيلاً ومركبات ليأخذ أليشع وانزعج الغلام خادم أليشع وصرخ قائلاً: آه يا سيدى، ماذا نصنع؟ لم يرتبك أليشع ولكنه صلّى من أجل الغلام حتى يكشف الرب عن عينيه ليرى الجبل مملوءاً خيلاً ومركبات نار حول أليشع، وكان عددهم أكبر من الخيل والمركبات التى أرسلها ملك أرام. وكشف الرب عن عينىّ الغلام فرأى وأيقن من صحة مقولة سيّده النبى «لا تخف فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم» أى **أن أليشع كان يرى الملائكة من حوله ولكنه صلّى من أجل الغلام حتى يرى ما يراه هو.**

وفى أمر آخر كشف الرب عن عينى أليشع، ذلك أن نعمان السريانى رئيس جيش ملك أرام كان أبرص، وذهب إلى أليشع النبى فأمره أن يغتسل فى نهر الأردن سبع مرات فيعود إليه لحمه ويطهر. فنزل وانغمس فى نهر الأردن سبع مرات كما قال رجل الله، فعاد لحمه كلحم

صبىّ صغير وطهر (٢ . الملوك ٥ : ٩ – ١٥) فرجع نعمان إلى النبى أليشع ليشكره معترفاً بفضل الله ونعمته عليه، ثم قدم إليه هدية وقال: «الآن فاقبل بركة من عبدك. فقال حى هو الرب الذى أنا واقف أمامه إنّى لا آخذ. فألحّ عليه أن يأخذ فأبى.. فلما مضى من عنده مسافة من الأرض. قال جيحزى غلام أليشع رجل الله: إن سيدى قد أبى أن يأخذ من يد نعمان الأرامى هذا ما أحضره. حىّ هو الرب إنّى لأجرى وراءه وآخذ منه شيئاً. وانطلق جيحزى وراء نعمان. ولما رآه نعمان راكضاً وراءه نزل عن المركبة للقائه: أسلام؟ فقال: سلام. بعثنى إليك سيدى قائلاً إنه فى هذه الساعة قد جاء إلىّ غلامان من جبل أفرايم من بنى الأنبياء، فأعطهما وزنة فضة ومن الثياب حلّتين. فقال نعمان: أقبل وخذ وزنتين، وألح عليه وصرّ وزنتى الفضة فى كيسين وحلّتى الثياب، ودفع ذلك إلى إثنين من غلمانه فحملاه بين يديه. فلما انتهى إلى ربوة أخذ ذلك من أيديهما ووضعه فى البيت وصرف الرجلين فانطلقا. وأمّا هو فدخل ووقف أمام سيّده. فقال له أليشع: من أين يا جيحزى؟ فقال لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك. فقال له: **ألم يكن قلبى هناك حين رجع الرجل من مركبته للقائك.** أهذا وقت لأخذ الفضة ولأخذ ثياب، .. إن برص نعمان يلصق بك وبنسلك إلى الأبد، فخرج من أمامه وهو أبرص كالثلج» (٢ . الملوك ٥ : ١٥ – ٢٧).

ولا شك فى أن أليشع رجل الله كان يكشف عن عينيه أحياناً حتى إن **قلبه ذهب وراء نعمان وجيحزى وعلم بما فعله جيحزى، وكيف أنه ذهب بغير علم سيّده وبغير إذنه وادّعى أن سيده بعثه ليأخذ من نعمان وزنة فضة وحلتى ثياب**، ولمّا سأله أليشع بعد عودته قائلاً: «من أين يا جيحزى؟» أجاب كاذباً: «لم يذهب عبدك إلى هنا أو هناك. فأجابه أليشع سيده قائلاً: **ألم يكن قلبى هناك حين رجع الرجل من مركبته للقائك؟»**

ومع ذلك فإن أليشع هذا النبى الذى كان يكشف الرب عن عينيه أحياناً فيرى بقلبه وروحه وقائع وأحداثاً وأموراً غير عادية أو بعيدة عن متناول الحواس الظاهرة، **لم يكن يرى كل شئ، فقد كان يجهل أموراً أخرى كثيرة مما يجرى حوله. والواقع أنه كإنسان لم يكن ليرى إلا أموراً قليلة، وهى التى يشاء الله أن يكشفها له، لحكمة يعلمها** الله، جلّ وعلا.

فقد جهل أليشع أمر المرأة الشونمية، التى ذهبت إليه مستغيثة. فقد مات ولدها الذى وهبه لها الرب بصلاة أليشع النبى ودعائه «وانطلقت حتى جاءت إلى رجل الله إلى جبل

الكرمل. فلما رآها رجل الله من بعيد قال لجيحزى غلامه هوذا تلك الشونمية. اركض الآن للقائها وقل لها أسلام لك؟ أسلام لزوجك؟ أسلام للولد؟ فقالت: سلام. فلّما جاءت إلى رجل الله إلى الجبل أمسكت رجليه. فتقدم جيحزى ليدفعها فقال رجل الله: دعها لأن نفسها مرة فيها، **والرب قد كتم الأمر عنى ولم يخبرنى**» (٢. الملوك ٤: ٢٥ – ٢٧). نعم إن أليشع مع أنه نبيّ وكان يكشف الرب عن عينيه بعض الأمور بصورة مبهرة، لكنه **مع ذلك لم يكن يعلم كل شئ فهو بشر وليس إلهاً. ولابد أن تكون معرفته محدودة ومقيّدة، معرفة ناقصة وغير كاملة، لأن الله وحده هو كلىّ العلم وكلّى المعرفة.**

والقديس بطرس الرسول أحد الأثنى عشر رسولاً وتلميذاً **علم بالروح القدس** بما صنعه حنانيا وامرأته سفيرة وأنه اختلس من ثمن الحقل بعد بيعه وأتى بجزء فقط من الثمن ووضعه عند أرجل الرسل (أعمال الرسل ٥: ١ – ١١).

لكن القديس بطرس هو بعينه الذى **لم يعلم ولم يفهم مغزى الرؤيا** التى رآها وهو يصلى على سطح البيت الذى كان يقيم فيه، فى يافا. فبينما كان يصلى رأى السماء مفتوحة وشيئاً كسماط عظيم عقدت أطرافه الأربعة ينحدر إلى الأرض وكان عليه من جميع ذوات الأربع، من دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وجاءه صوت يقول له: يا بطرس، قم اذبح وكل. فقال بطرس: لا، يا رب ما أكلت فى حياتى نجساً أو دنساً. فقال له الصوت ثانية: «ما طهّره الله لا تعتبره أنت نجساً» وحدث ذلك ثلاث مرات. ثم رفع الشئ إلى السماء.

وظل القديس بطرس فترة فى حيرة وهو لا يعلم لهذه الرؤيا مغزى حتى قرع الباب ثلاثة رجال جاءوا مرسلين من قبل كورنيليوس قائد مائة فى قيصرية من الفرقة المسماة الإيطالية، وقد رأى وهو يصلى ملاكاً أمره أن يستحضر سمعان الملقب بطرس، ليقول له ماذا ينبغى أن يعمل وبينما كان بطرس لا يزال يفكر فى الرؤيا التى رآها، ماذا عساها أن تكون فى مغزاها، قال له الروح القدس: «هنا رجال يطلبونك، فقم وانزل إليهم واذهب معهم غير مردّد، فإنى أنا أرسلتهم» **عندئذ فقط فهم معنى الرؤيا**، وأن الرب يأمره أن لا يرفض كورنيليوس، ولا يمتنع من الذهاب إلى بيته، وأن يقبله فى الإيمان المسيحى وأن يعمّده والذين يؤمنون معه من أقربائه وأنسبائه وأصدقائه .. فقام على الفور وذهب فى اليوم التالى مع الرجال الثلاثة يرافقه بعض الأخوة ودخل بيت كورنيليوس وبشّره والذين معه بالإيمان المسيحى وعمّدهم. ولولا الرؤيا التى رآها مار بطرس على سطح البيت ما كان ارتضى أن يدخل بيت كورنيليوس،

باعتباره رجلاً من غير أمة اليهود. وهذا ما قاله القديس بطرس صراحة لكورنيليوس عندما دخل إليه في بيته «تعرفون أن قد حُرِّم على اليهودي أن يخالط أجنبياً (غير يهودي) أو يدخل بيته، لكن الله أراني أنه لا ينبغي أن أدعو أحداً من الناس نجساً أو دنساً. فلما دعوتموني جئت ولم أعترض» (أعمال الرسل ١٠: ١ – ٤٨).

وعلى ذلك **فالعلم عند القديس بطرس علم محدود بقدر الإعلان الذي يتلقاه من الروح القدس**، وقد تكلم مرة في إحدى رسائله عن علمه بقرب نهاية حياته «**عالماً أن خلع مسكني قريب**» ثم أعقب ذلك بقوله «**كما أعلن لي ربنا يسوع المسيح**» (٢. بطرس ١: ١٤) وبهذا أوضح **أن هذا العلم ليس من ذاته، وإنما بموجب إعلان صريح من الرب يسوع المسيح.**

وهكذا دائماً علم القديسين، علم محدود ومقيّد، وليس مطلقاً، وهو علم مفاض عليهم من الله ومن روحه القدوس. وبذلك يبقى الفارق واضحاً وحاسماً بين علم الإنسان وعلم الله. فالله وحده هو ذو العلم المطلق وغير المحدود.

كذلك الأمر بالنسبة **للقديس بولس الرسول كان له علم وإن كان قد وصفه بأنه «بعض العلم»** (١. كورنثوس ١٣: ٩)، و «**بعض المعرفة**» (١. كورنثوس ١٣: ١٢).

فلقد كان يعرف بالروح القدس أموراً كثيرة. قال للكهنة في أفسس «**ها أنا أعلم أنكم لن تروا وجهي بعد اليوم، أنتم جميعاً الذين جلت فيما بينهم مبشراً بملكوت الله**» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٥). وقال كذلك «**لأني أعلم هذا أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة** لا تشفق على الرعية ويقوم من بينكم أنتم رجال **يتكلمون بأمور ملتوية** ليجتذبوا التلاميذ وراءهم» (أعمال الرسل ٢٠: ٢٩، ٣٠).

ثم إنه أنبأ عن أمور تحدث في عصور تالية لزمانه، قال: «**والروح يقول صريحاً إن قوماً** يرتدون عن الإيمان في الأزمنة الأخيرة ويتبعون أرواحاً مُضلة وتعاليم شيطانية، لقوم مرائين وكذابين، موسومة ضمائرهم ويمنعون عن الزواج، وعن أنواع من الأطعمة، قد خلقها الله فيتناولها بالشكر الذين آمنوا وعرفوا الحق» (١. تيموثيئوس ٤: ١ – ٣). **وهو بذلك يُنبئ عن قيام مذهب المانوية الذي ابتدعه في القرن الثالث، ماني بن فاتك (٢١٥ – ٢٧٦م) القائل بمبدأين: مبدأ الخير ومبدأ الشر، النور والظلام.**

كما أنبأ الرسول القديس بولس عن أمور أخرى كثيرة فى الأيام الأخيرة السابقة على المجئ الثانى للمسيح له المجد، ومنها: الارتداد وظهور المسيح الدجال الذى سيحارب الأديان جميعها ويتخذ من الهيكل اليهودى قاعدة كرسيه، ويعلن نفسه إلهاً ويصنع عجائب وآيات كاذبة (٢ . تسالونيكى ٢ : ١ إلخ).

ثم إنّ القديس بولس توافر له العلم الخاص، وذلك بفعل الاختطاف العقلى الذى حدث له، فقد اختطف إلى السماء الثالثة، اختطف إلى الفردوس، وسمع كلمات لا يقدر بشر أن ينطق بها ولا يحل له أن يتكلم بها، من جهة هذا افتخر (٢ . كورنثوس ١٢ : ١ – ٦) كما توافرت له الإعلانات والمكاشفات الإلهية (٢ . كورنثوس ١٢ : ١، ٧)، (غلاطية ١ : ١٢)، (٢ : ٢)، (أفسس ٣ : ٣).

ومن بين المكاشفات والرؤى يذكر القديس بولس رؤياه للمسيح له المجد، وأنه ظهر له أثناء صلاته فى الهيكل. يقول «وحدث لى بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل أنى وقعت فى غيبوبة، فرأيته يقول لى: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى» (أعمال الرسل ٢٢ : ١٧، ١٨).

هذا فضلاً عن الرؤيا العظيمة التى رآها وهو فى طريقه إلى دمشق. وكان ذلك فى رائعة النهار (أعمال ٩ : ٣ – ٩)، (٢٢ : ٦ – ١١)، (٢٦ : ١٢ – ١٩).

ومن بين الرؤى التى رآها وهى كثيرة، وكذلك الأحلام السمائية، ظهور ملاك من السماء له وهو فى السفينة التى حملته فى رحلته الأخيرة إلى روما حيث صدر عليه الحكم بالإعدام، قال يبشّر المسافرين معه فى السفينة بأنهم سوف يصلون سالمين على الرغم من أنهم تعرضوا جميعاً للهلاك بسبب النوء العنيف والعاصفة التى جرفت السفينة بقوة. قال: «**وقف بى هذه الليلة ملاك من الله الذى أنا له وإياه أعبد. قائلاً: لا تخف، يا بولس**، فإنه لابد لك أن تقف أمام قيصر. وها إن الله قد وهبك جميع المسافرين معك. لذلك فلتطب أنفسكم، أيها الرجال، فإنى أؤمن بالله، إنه هكذا يكون، كما قيل لى» (أعمال الرسل ٢٧ : ٢٣ – ٢٥).

نقول على الرغم مما كان لبولس الرسول من علم ومعرفة من فيض الروح القدس الذى كان يملأه، وعلى الرغم من الإعلانات والمكاشفات الروحية، بالاختطاف العقلى تارة، وتارة أخرى بالأحلام والرؤى، فى اليقظة وفى النوم، بالنهار وبالليل، وبظهور الملائكة والكائنات النورانية، **مع ذلك كان علمه محدوداً ومقيداً بما يشاء الله أن يكشفه له، فكان كإنسان**

يشهد بجهله وعدم علمه بأمور أخرى كثيرة. منها قوله على الخصوص، وهو فى أفسس، يتحدث إلى الكهنة والأساقفة، والآن ها أنا ذاهب إلى أورشليم مقيّداً بالروح **لا أعلم ماذا يصادفنى هناك.** غير أن الروح القدس يشهد فى كل مدينة قائلاً: إن وثقاً وشدائد تنتظرنى، (أعمال الرسل ٢٠: ٢٢، ٢٣). وقال مرة أخرى يشهد بجهله بالذين عمهدهم بنفسه. قال: «أشكر الله أنى لم أعمّد منكم أحداً سوى كريسبس وغايس، حتى لا يقول أحد إنّى عمدت باسمى. وعمدت أيضاً بيت إستفانوس. وماعدا ذلك **فلا أعلم** هل عمّدت أحداً غيرهم» (١. كورنثوس ١: ١٤ – ١٦).

* * *

ذاك إذن هو علم البشر، قديسين أو فلاسفة أو علماء، فى أى فرع من فروع المعرفة الإنسانية. إن لهم بعض العلم وليس كل العلم.. علمهم محدود ومقيّد، وناقص، فضلاً عن أنه قابل للخطأ والخداع. **أما علم المسيح له المجد، فهو علم كامل شامل وغير محدود بالزمان والمكان، علم بكل شئ وعلم بكل أحد، علم بالداخل والخارج، وعلم بالماضى والحاضر والمستقبل.. علم بالحقيقة فى ذاتها، وعلم مباشر وبغير واسطة .. فهو علم الذات العليا، الذى به كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ مما كان، هو نور من نور، كلىّ القدرة وكلىّ العلم. «أعمال كل ذى جسد أمامه، ولا شئ يخفى عن عينيه»** (يشوع بن سيراخ ٣٩: ٢٤).

المسيح ابن الله يعلم كل شئ

الله وحده كلّيّ العلم، أما العلماء من بنى البشر، فعلمهم، مهما زاد أو تقدم، فهو علم محدود ومقيد وناقص، ومرتبط بحدود الزمان والمكان، فضلاً عن أنه عرضة للخطأ، وللخداع. ولذلك فهو قابل للزيادة والنمو، كما يقبل التنقيح والتصحيح والتعديل والتبديل.

إن الفارق بين علم الإنسان وعلم الله فارق عظيم فى الكمّ والكيف، هو الفارق بين المحدود وغير المحدود، بين المتناهى وغير المتناهى، بين الزمنى وغير الزمنى الذى ليس له نهاية، بين النسبى والمطلق.

وإن من يتابع تاريخ العلم بعامة، وتاريخ كل فرع من فروع المعرفة الإنسانية بخاصة، يلاحظ التطور والنمو والازدياد والتقدم، ويتبين فى الوقت نفسه أن العلم البشرى محدود ومقيّد وناقص. وليس كذلك علم الله جلّ جلاله فهو تعالى الكليّ العلم، الواسع العليم، وعلمه كامل وشامل لا يعتوره زيادة أو نقص، ولا يحدّه الزمان أو المكان.

من هنا التمايز والافتراق بين الناس فى مراقى العلم ومستويات المعرفة.. فمعرفة الطفل غير معرفة الرجل، غير معرفة الشيخ.. كلما تقدّمت السن إزدادت حصيلة الإنسان فى المعرفة والعلم.. والحكمة النظرية والحكمة العملية، ووجد الشاب فى الشيخ ما لا يجده فى نفسه، فينصت إليه ويأخذ عنه ليزداد حكمة وفهماً ومعرفة.. ووجد الشيخ فى ذهنه، خزيناً من علم يمكنه أن يقدّمه للشاب والصبى، هو حصيلة لدروس الأيام وخبرات الزمان.. وكلما وجد الشيخ عنده هذا الخزين من العلم والمعرفة، مما لم يصل إليه الشاب بحكم سنه الصغير وخبرته المحدودة، يفرح الشيخ بما عنده، ويتبين أن حياته صارت أكثر قيمة، وأنه، وإن صار ضعيفاً فى جسمه، وثقيلاً فى حركته، لكنه يملك ما لا يملكه الشاب الذى تنقصه الدراية والحنكة والمعرفة التى يراها وافرة فى الشيخ المتهدم، فيقترب إلى الشيخ ليتعلم منه، ويتتلمذ عليه، وبإكتشافه الفارق بين علمه القاصر وعلم الشيخ الحكيم يزداد احترامه للشيخ ويكبر فيه إيمانه بالعلم، وبهذا تزداد الروابط الإنسانية قوة وشدة بين جيل الآباء وجيل الأبناء والأحفاد.

* * *

وإذا كنا فى صدد الفارق غير المحدود بين علم الإنسان وعلم الله المطلق والشامل والكامل والنافذ إلى الحقيقة فى ذاتها نفاذاً تاماً وكاملاً، نذكر عبارة للقديس الفيلسوف أكليمنضس

الأسكندرى (١٥٠ - ٢١٤م) يقول فيها: «**إننا فى الحقيقة لا نعرف ما هو الله، وإنما نعرف ما ليس هو**» أى أننا لا نعرف الله فى حقيقته، ولكننا نعلم عنه بعض العلم. والذى نعلمه عن الله ليس معرفة ذاتية لله فى جوهره وحقيقته، وإنما هو معرفة لبعض صفاته. ومعرفتنا لصفات الله هى من خلال معرفتنا المحدودة لصفات النقص فى الإنسان. فنحن نصف الله بأنه (غير محدود). ومع ذلك نحن لا نستطيع أن نتصور (غير المحدود) بمعنى دقيق، ذلك لأننا نحيا فى عالم المحدود، فنحن نعرف ما هو المحدود، ولكننا لا نعرف (غير المحدود)، لذلك ننفى عن الله أنه محدود، ونقول إنه (غير المحدود) أى أننا فى معرفتنا عن الله ننفى عنه صفات النقص، فنقول إنه (غير المحدود)، و(غير المتناهى)، وأنه (غير المدرك).. إلى غير ذلك من صفات ناقصة ننفيها عن الله. وإذن فمعرفتنا عن الله هى معرفة بصفات نعرفها فى عالمنا المحدود ولكننا نُجِل الله عن أن يتصف بها، فننفيها عن الله فنصف الله بأنه غير المحدود، وغير المتناهى، وغير المدرك..

وحتى عندما نصف الله بصفات الكمال، فنقول إن الله (كامل) أو (كلىّ القدرة)، و(القادر على كل شئ)، وأنه (كلىّ العلم).. وما إليها من صفات الكمال .. فالحق أن إدراكنا لهذه الصفات هو أيضاً إدارك محدود لأننا لا نستطيع أن ندرك تماماً وبوضوح (الكمال) المطلق أو (القدرة على كل شئ) أو (العلم غير المحدود). ذلك أننا نحن، فى الواقع، نعرف صفات المحدود، والقدرة المحدودة، والعلم المحدود.. فإذا أردنا أن نصف الله بها، قلنا إن الله أعظم من ذلك. فنصفه تعالى بأنه الكلىّ القدرة، الكلىّ العلم، الكلىّ الحكمة، الكامل فى كل شئ...

وإذن، فسواء وصفنا الله بأنه الغير المحدود، والغير المتناهى، أو وصفناه بأنه الكلىّ العلم أو الكلىّ القدرة، والكلىّ الحكمة.. فهى جميعها صفات نفى أكثر منها صفات إيجاب.

وبهذا الشرح نفهم معنى عبارة الفيلسوف القديس أكليمنضس الأسكندرى «**إننا فى الحقيقة لا نعرف ما هو الله ولكننا نعرف ما ليس هو**».

على العكس من ذلك يقول المسيح له المجد عن معرفته بالآب السماوى ومعرفة الآب السماوى بالمسيح ابن الله، وهو بذاته الله الكلمة، الله الغير المنظور وقد صار منظوراً اللابس صورة الإنسان:

«لا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن» (متى ١١: ٢٧).

«لا أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن» (لوقا ١٠ : ٢٢).

أنظر أيضاً (يوحنا ٧ : ٢٩)، (٨ : ٥٥)، (١٠ : ١٥)، (١٧ : ٢٥).

والمعنى واضح أن المسيح له المجد يبين بهذا أنه ما من كائن يعرف (الابن)، ومن هو فى حقيقته إلا الآب السماوى وحده، لأنه منه (يوحنا ٧ : ٢٩) وهو كائن معه، وهو واحد معه فى الجوهر (يوحنا ١٠ : ٣٠)، أو هو الكائن معه فى ذات الجوهر.

هذه المعرفة الذاتية العيانيّة المباشرة لا نظير لها فى عالم الإنسان. فنحن كبشر نعلم عن الله ولكننا لا نعرف الله فى حقيقته المعرفة العيانية المباشرة. لذلك فإنه لا أحد يعرف (الابن) وهو المسيح المنظور فى الجسد، أو من هو فى حقيقته، إلا الآب السماوى وحده. لأن (الابن) فى (الآب) ومعه منذ الأزل، و(الآب) كائن مع (الابن) فى جوهر الألوهة منذ الأزل وإلى الأبد.

قال المسيح له المجد عن الآب السماوى توكيداً لهذا المعنى «**أمّا أنا فأعرفه، لأنى منه**» (يوحنا ٧ : ٢٩) وقال لليهود: «وأنتم لا تعرفونه. **أما أنا فأعرفه.. أعرفه**» (يوحنا ٨ : ٥٥) وقال أيضاً: «**إن أبى يعرفنى وأنا أعرف الآب**» (يوحنا ١٠ : ١٥)، (١٧ : ٢٥).

ولقد نفى المسيح له المجد هذه المعرفة المباشرة لحقيقة من هو، ليس فقط عن اليهود، بل حتى عن تلاميذه الأخصاء أيضاً. قال لهم فى ليلة آلامه «**لو كنتم قد عرفتمونى** لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن **تعرفونه، وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤ : ٧) ذلك لأن (الابن) كائن وقائم فى (الآب)، و(الآب)، كائن وقائم فى (الابن)، لأنهما فى جوهر واحد، جوهر الذات الإلهية العليّة. ويلاحظ قوله «ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» وهو تصريح فى قمة الخطورة، لأنه كيف يقول المسيح لتلاميذه عن الآب «**وقد رأيتموه**» ألا بهذا المعنى الواحد أنهم رأوا (الآب) فى (الابن)، أى أن **(الابن) هو الصورة المنظورة للآب الغير المنظور**، فهو فى الآب، والآب فيه. قال «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤ : ٩) وقال « إنى أنا فى أبى، وإن أبى فىَّ» (يوحنا ١٠ : ٣٨)، (١٤ : ١١، ٢٠)، (١٧ : ٢١، ٢٣).

المسيح ابن الله يعلم بما فى ذات الصدور

بهذه **المعرفة الذاتية العيانية المباشرة**، يتفرّد المسيح له المجد عن كل إنسانٍ، مما يشهد بألوهته ويدل على ألوهيته. فعلمه لا يأتيه من الحواس، وليس من نوع العلم الذى يُفاض على بعض القديسين والأنبياء فى بعض الأحايين لغرض معيّن فى الزمان والمكان، كما كان الحال عند أليشع النبى أو دانيال النبى وغيرهما من الأنبياء فى القديم، أو كما هو الحال عند الآباء الرسل فى العهد الجديد مثل بطرس وبولس ويوحنا وغيرهم.

إن **علم المسيح له المجد علم ذاتى، علم فيه من ذاته** لا من مصدر آخر. من حيث هو «**الله الظاهر فى الجسد**» ومن ثم **فهو علم شامل وكامل ، علم غير مُقيّد بالزمان والمكان.. علم كاشف نافذ، يشع منه على الأشخاص وعلى سائر الكائنات.. فهو ينفذ إلى صدور الناس وقلوبهم وعقولهم ويكشف فى الحال ما يدور فى خلد كل إنسان، وما يجول بخاطره، وما يخطر بباله من دون أن ينطق بلسانه أو ينبث ببنت شفة**. قال عنه الإنجيل «ولم يكن بحاجة لأن يخبره أحد عن الإنسان، لأنه كان يعلم ما فى الإنسان» (يوحنا ٢ : ٢٥) .

ومن آيات ذلك أن أحد الفريسيين دعاه ليتناول الطعام معه.. وإذا بإمرأة خاطئة فى المدينة، حين علمت أن يسوع جالس فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب ووقفت من ورائه عند قدميه باكية، وأخذت تبلل قدميه بدموعها.. فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك **قال فى نفسه** «لو كان هذا نبياً لعلم من هى هذه المرأة التى تلمسه، وما هو حالها، وإنها خاطئة» فأجاب يسوع وقال له «يا سمعان عندى شئ أقوله لك، فقال قل يا معلم» (لوقا ٧ : ٣٦ – ٤٨) ... وبالمثل الذى ضربه لسمعان الفريسى أجاب المسيح على **الفكر الذى خامر سمعان فى نفسه ولم ينطق به لسانه.**

قال الإنجيل «فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك **قال فى نفسه** «لو كان هذا نبياً لعلم من هى هذه المرأة التى تلمسه...» وبعد ذلك يُعقب الإنجيل بقوله «**فأجاب** يسوع وقال له: يا سمعان» أى **أن المسيح أجاب على السؤال الذى خطر ببال سمعان وإن لم ينطق به**.. أى أن المسيح له المجد علم **بالفكر الذى كان يدور بخلد سمعان الفريسى، ولم ينطق به.**

وجاء عن المسيح له المجد أنه دخل المجمع وأخذ يُعلّم، وكان هناك رجل يده يابسة. فراح الكتبة والفريسيون يراقبونه ليروا هل يشفيه فى السبت، حتى يجدوا شكاية ضده، ولكنه علم أفكارهم فقال للرجل ذى اليد اليابسة «قم وقف هناك فى الوسط» فقام ووقف. ثم قال يسوع لهم «إننى أسألكم أيحل فى السبوت فعل الخير..» (لوقا ٦: ٦ – ١١). قال الإنجيل «علم أفكارهم» **ثم أجابهم على أفكارهم.**

وما أكثر المواقف والمواضع التى يرد فيها عن المسيح له المجد أنه كان يعرف أفكار الناس، ويعلم ما يدور فى خلدهم من قبل أن يسألوه. فيقول الإنجيل «**فعلم يسوع أفكارهم**».

من ذلك قوله «فركب السفينة ثم عبر إلى الضفة الأخرى، وجاء إلى مدينته وإذا مفلوج قد جاءوا به إليه مطروحاً على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج: «اطمئن يا بنى. مغفورة لك خطاياك» وإذا قوم من الكتبة **قد قالوا فى أنفسهم**: «إنه يجدف»، **فعلم يسوع أفكارهم**. فقال: «**لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم**؟» (متى ٩: ١ – ٥). وقال الإنجيل للقديس مرقس «وكان قوم من الكتبة جالسين هناك **يفكرون فى قلوبهم قائلين**: «ما باله يجدّف هكذا؟... **فعلم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم، فقال لهم**: «**لماذا تفكرون بهذا فى قلوبكم**؟...» (مرقس ٢: ٦ – ٩) ويقول الإنجيل للقديس لوقا: «**فأخذ الكتبة والفريسيون يفكرون فى أنفسهم قائلين**: من هذا الذى يجدف؟ ... فعلم يسوع أفكارهم وأجاب قائلاً لهم: لماذا تجول هذه الأفكار فى قلوبكم؟..» (لوقا ٥: ٢١ – ٢٣).

من ذلك أيضاً قول الإنجيل «أما الفريسيون حين سمعوا فقد قالوا: «إن هذا لا يطرد الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين. **فعلم يسوع أفكارهم، وقال لهم**..» (متى ١٢: ٢٢ – ٢٩)، (مرقس ٣: ٢٢ – ٢٦)، (لوقا ١١: ١٥ – ١٨).

ومن ذلك أنه جاء عن تلاميذ المسيح له المجد «وخامرهم **الفكر** فيمن عسى أن يكون هو الأعظم بينهم. **فعلم يسوع فكر قلوبهم**..» (لوقا ٩: ٤٦ – ٤٨).

ثم أيضاً قول الإنجيل «وطلب منه آخرون آية ليجربوه» **وإذ كان يعلم أفكارهم** قال لهم...» (لوقا ١١: ١٦ – ٢٢).

انظر أيضاً (متى ١٦: ٦ – ٨)، (مرقس ٨: ١٥، ١٦)، ثم (لوقا ١١: ٣٧ – ٤١).

من ذلك أيضاً ما جاء فى الإنجيل أن المسيح له المجد قال لتلاميذه: «بعد قليل لا تروننى، ثم بعد قليل أيضاً تروننى، لأننى منطلق إلى أبى، فقال بعض تلاميذه **فيما بينهم**: «ما هذا الذى

يقوله لنا: بعد قليل لا تروننى، ثم بعد قليل أيضاً تروننى. ولأننى منطلق إلى أبى؟، ثم قالوا: ما هذا القليل الذى يتكلم عنه؟ إننا لا ندرى ماذا يقول؟ **فعلم يسوع أنهم يريدون أن يسألوه،** فقال لهم: **أعن هذا تتساءلون فيما بينكم..** (يوحنا ١٦: ١٦ – ١٩).

وبهذه المعرفة الإلهية كان المسيح له المجد يكشف ما فى قلوب الناس من صدق أو كذب، من سذاجة أو خبث، وكان يجيب كل واحد بحسب ما يراه بعلمه الإلهى فى قلبه من براءة أو مكر.

من ذلك ما يرويه الإنجيل عن الفريسيين أنهم «أرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين: يا معلم، نحن نعلم أنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تحابى وجه إنسان، فقل لنا إذن ماذا ترى؟ هل يحل دفع الجزية لقيصر أو لا؟ **أما يسوع فأدرك خبثهم** وقال: لماذا تجربوننى يا مراءون؟ أرونى نقود الجزية، فأتوه بدينار: فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر. عندئذ قال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله». فلما سمعوا دهشوا وتركوه وانصرفوا» (متى ٢٢: ١٥ – ٢٢)، (مرقس ١٢: ١٣ – ١٧)، (لوقا ٢٠: ٢٠ – ٢٦).

فعلى الرغم من أن تلاميذ الفريسيين والهيرودسيين جاءوا إليه يمدحونه، ويشيدون بأمانته، وصدق تعليمه ومطابقته للحق الإلهى «إنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تحابى وجه إنسان»، و«بالاستقامة تتكلم» فإنه بعلمه الإلهى «**أدرك خبثهم**» «**كان يعرف رياءهم**» وأجابهم بحكمة أخرستهم وعقدت ألسنتهم «فلما سمعوا دهشوا منه» «وتعجبوا من إجابته وصمتوا» «وتركوه وانصرفوا».

* * *

هنا أيضاً الفارق العظيم بين علم المسيح له المجد وعلم الأنبياء والقديسين ممن يُكشف لهم أحياناً عن أسرار خفية، بعلم يفاض عليهم من قبل الله، لأداء مهمة أو تبليغ رسالة، لكن هذا العلم المفاض علم (آنى) أى أنه ليس مطلقاً أو شاملاً، لكنه علم مقيّد بحدود الزمان والمكان. فهم وإن علموا بعض أشياء لكنهم يجهلون أشياء أخرى. وما يجهلونه أكثر مما يعلمونه من حيث هم بشر، ذوو علم محدود. أما المسيح له المجد فعلمه غير محدود بالزمان والمكان، علم مطلق وشامل وكامل، يمتد إلى الحاضر القريب، والحاضر البعيد، كما يمتد إلى الماضى القريب ثم إلى الماضى البعيد. بل ويمتد كذلك إلى المستقبل القريب والمستقبل البعيد.

علم المسيح بالحاضر القريب

أما علم المسيح له المجد بالحاضر القريب فلا يقتصر على علمه بأفكار الناس وما يدور فى خلدهم وما يخطر ببالهم ويجرى فى دواخل نفوسهم، ولكنه يمتد أيضاً إلى معرفته بحقيقة ذواتهم وصلاحيّاتهم وما هم عليه من أهليّات، وما يتميزون به من صفات روحية وسلوكية، وأخلاقية.

– ١ –

من ذلك معرفته له المجد بتلميذه سمعان بطرس، من أول لقاء به بعد أن جاء به إليه أخوه أندراوس.

قال الإنجيل «كان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد الإثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعا يسوع. وقد وجد أولاً أخاه سمعان، فقال له: «قد وجدنا الماشِيح» أى المسيح. ثم جاء به إلى يسوع. فلما رآه يسوع قال له: « **أنت سمعان بن يوحنّان. وليكن اسمك كيفا (أى بطرس)** » (يوحنا ١: ٤٠ – ٤٢). وعلى الرغم من أن أندراوس هو الذى عرف المسيح أولاً، وهو الذى أتى بسمعان إلى المسيح، فإن المسيح قد جعل سمعان (الأول) فى قائمة الرسل (دعا إليه تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ليطردوها.. وهذه هى أسماء الإثنى عشر رسولاً: **(الأول) سمعان الذى يدعى بطرس** وأندراوس أخوه» (متى ١٠: ١، ٢) «سمعان الذى لقبه بطرس» (مرقس ٣: ١٦) «سمعان الذى سماه كذلك بطرس» (لوقا ٦: ١٤)و (**الأول**) بين الثلاثة الذين سمح لهم أن يدخلوا معه فى بيت رئيس المجمع عندما أقام ابنة يايرس من الموت (مرقس ٥: ٣٧)، (لوقا ٨: ٥١)، (**الأول**) بين الذين أخذهم معه على جبل التجلّى (متى ١٧: ١)، (مرقس ٩: ١)، (لوقا ٩: ٢٨)، و(**الأول**) بين الذين أخذهم بالقرب منه فى بستان جثسيمانى ليلة آلامه (متى ٢٦: ٣٧)، (مرقس ١٤: ٣٣)، و(**الأول**) **بين الإثنين اللذين أرسلهما الرب يسوع ليعدّا له الفصح الأخير**(لوقا ٢٢: ٨).

– ٢ –

من ذلك، علم المسيح له المجد، **بنثنائيل** من أول لقاء به، ومعرفته بأنه «إسرائيلى حقاً لا غش فيه»، أى أنه يهودى ملتزم يسلك حسب الشريعة بكل تدقيق وانضباط.

قال الإنجيل للقديس يوحنا:

«كان فيلبس من بيت صيدا.. وفيلبس وجد نثنائيل فقال له: «قد وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة، وكذلك الأنبياء. وهو يسوع بن يوسف الذى من الناصرة» قال له نثنائيل: «أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟» فقال له فيلبس: تعال وانظر. فلما رأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه قال عنه: «هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه» (يوحنا ١ : ٤٤ – ٤٧).

ولقد تعجب نثنائيل من قول المسيح عنه، وتقريره عن حياته وسلوكه وهو لم يره من قبل، فقد كان هذا أول لقاء به وقال له باندهاش وذهول «من أين تعرفنى؟» وقد تبين نثنائيل بعد ذلك أن هذه المعرفة ليست من ذلك النوع من المعرفة التى تجئ عن طريق الرؤية بالعين وتتوكد بالمعاشرة والخبرة، ولكنها معرفة أسمى من ذلك كثيراً. إنها المعرفة الإلهية الكاشفة، فانطلق فى ذهول يقول «يا معلم أنت ابن الله» (يوحنا ١ : ٤٩).

– ٣ –

كذلك المرأة السامرية التى إلتقى بها المسيح لأول مرة، فقد سافر من اليهودية إلى الجليل فى الشمال، مروراً بالسامرة. وفى بلدة سوخار حيث جاءت المرأة السامرية لتستقى من البئر ماء. ووجدته جالساً على البئر يستريح، وجرى بينه وبينها حوار بدأه معها بقوله لها «أعطينى لأشرب» فقالت له المرأة السامرية «كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا سامرية، واليهود لا يخالطون السامريين؟».

فأجابها «لو كنتِ تعرفين عطية الله، **ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب**» لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً، وأضاف قائلاً إن «**من يشرب من الماء الذى أعطيه إياه أنا فلن يعطش إلى الأبد، بل الماء الذى أعطيه إياه يكون فيه ينبوع ماء ينهمر إلى الحياة الأبدية**» فطلبت منه المرأة أن يعطيها هذا الماء، فقال لها: «اذهبى واستدعى زوجك وتعالى إلى هنا» وبذلك قادها إلى أن تعترف بلسانها بحقيقة أمرها وقالت له: «ليس لى زوج» فأبدى رضاه عن صدقها، وطمأنها بأنه يعرف عنها أكثر مما صرّحت به، ليفتح أمامها طريق الخلاص. قال لها مشجعاً ومطمئناً: «أحسنتِ إذ قلت ليس لى زوج، **لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذى معكِ الآن ليس زوجك. فى قولكِ هذا صدقتِ**» **فذهلت المرأة السامرية من معرفته بمسيرتها، وبكشفه حياتها، وهى تلتقى به لأول مرة، فلم**

تكتم اعترافها بأن هذه المعرفة ليست عادية. إنها قدرة سمائية، «فقالت له المرأة: «يا سيد، أرى أنك نبىّ» وإذ رأته أمامها فى شبه الناس فوصفته بأنه نبىّ، ولو أن إيمانها به تطور بعد ذلك، ونما حتى أدركت هى وقومها أنه «هو حقاً المسيح مخلص العالم» (يوحنا ٤: ١ – ٤٢).

– ٤ –

والمرأة المصابة بنزف دم منذ اثنى عشر عاماً، وقد عانت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما تملك على الأطباء فلم تجد أى فائدة ولم يستطع أحد شفاءها. وإنما بالأحرى ازداد حالها سوءاً. فلما سمعت عن يسوع جاءت من خلفه فى الزحام ولمست طرف ردائه لأنها قالت فى نفسها: «لو أننى لمست فقط رداءه لشفيت»، فجف معين نزفها فى الحال، وتوقف على الفور نزفها وأحسّت فى جسمها بأنها قد برئت من ذلك الداء. **وعلى الفور علم يسوع فى نفسه بالقوة التى خرجت منه**، فأدار عينيه فى الجمع وقال: «من لمس ثيابى؟» فأنكر الجميع. وقال بطرس والذين معه: «يا معلم إن الجمع يتزاحمون من حولك ويضغطون عليك ثم تقول من لمسنى؟» فقال يسوع: **«إن ثمة من لمسنى لأننى عالم بالقوة التى خرجت منى»**، أما هو فكان يتطلع ليرى تلك التى فعلت هذا. فلما رأت المرأة أن أمرها لم يكن خافياً عليه، جاءت مرتعدة وارتمت على قدميه، ثم اعترفت أمام كل الشعب بالسبب الذى من أجله لمسته، وكيف أنها شفيت على الفور. فقال لها: «تشجعى يا ابنتى، إن إيمانك قد خلصك، فاذهبى بسلام وكونى معافاة من دائك» (مرقس ٥: ٢٥ – ٣٤)، (لوقا ٨: ٤٣ – ٤٨)، (متى ٩: ٢٠ –٢٢).

– ٥ –

وكذلك معرفة المسيح له المجد **بيهوذا الاسخريوطى**، التلميذ الخائن.

قال الرب يسوع لتلاميذه: «ألم أكن أنا الذى اخترتكم أنتم الإثنى عشر، **وواحد منكم لإبليس؟**» قال هذا عن **يهوذا بن سمعان الإسخريوطى**، أحد الإثنى عشر، لأنه كان هو الذى اعتزم أن يسلمه» (يوحنا ٦: ٧٠، ٧١). وفى ليلة آلامه، قال وهو يغسل أرجل تلاميذه «وأنتم أيضاً أطهار، ولكنكم لستم كلكم أطهاراً، **فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلّمه**، ولذلك قال: إنكم لستم كلكم أطهاراً» (يوحنا ١٣: ١٠، ١١). وعلى مائدة الفصح «وفيما كانوا يأكلون قال: الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى، فاستولى على قلوبهم حزن عميق، وراح كل منهم

يقول له: هل أنا هو يا رب؟ فأجاب وقال: «**إن الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو الذى سيسلمنى**. إن ابن الإنسان ذاهب كما هو مكتوب عنه ولكن الويل لذلك الرجل الذى بواسطته يسلم ابن الانسان، كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد»، وعندئذ أجاب يهوذا الذى كان مزمعاً أن يسلّمه وقال: هل أنا هو يا معلّم؟ فقال له: **نعم أنت هو**» (متى ٢٦: ٢١ – ٢٥)، (مرقس ١٤: ١٧ – ٢١)، (لوقا ٢٢: ٢١ – ٢٣). ويروى الإنجيل للقديس يوحنا بعض التفصيلات المثيرة، يقول: «وبعد أن غسل أرجلهم وأخذ رداءه عاد فجلس إلى المائدة وقال لهم: .. فأنا أعرف الذين اخترتهم، وإنّما ليتم المكتوب **أن الذى أكل معى خبزى قد رفع على عقبه**.. ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وصرخ قائلاً: الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى فأخذ التلاميذ ينظر بعضهم إلى بعض، حائرين لا يدرون من الذى يعنيه بقوله هذا. وكان متكئاً فى حضن يسوع واحد من تلاميذه، وهو الذى كان يسوع يحبه. فأومأ إليه سمعان بطرس ليسأله عمن يعنى بقوله. فإنحنى ذلك التلميذ على صدر يسوع وقال له: ربى. من هو؟، أجاب يسوع قائلاً: **إنه هو الذى سأعطيه اللقمة التى أغمسها. ثم غمس اللقمة وقدمها ليهوذا بن سمعان الإسخريوطى**. فبعد أن أخذ اللقمة دخله الشيطان، فقال له يسوع: ما أنت فاعله فافعله سريعاً، غير أن أحداً من الجالسين إلى المائدة لم يعرف لماذا قال له هذا.. أما يهوذا فبعد أن أخذ اللقمة خرج على الفور، ... فلما خرج قال يسوع: الآن قد تمجد ابن الإنسان» (يوحنا ١٣: ٢١– ٣١).

(انظر متى ٢٦: ٥٠)، (لوقا ٢٢: ٤٨)، (يوحنا ١٨: ٢ – ٥).

المسيح يعلم الحاضر البعيد

المسيح يعلم الحاضر القريب، ويعلم أيضاً الحاضر البعيد. إنه يعلم بالأمور والأحداث التى تجرى على البعد، على الرغم من بعد المسافات فى المكان والزمان.

- ١ -

من ذلك علمه بما جرى بين جُباة الجزية وبين تلميذه بطرس الرسول، فى مكان قصىّ عن البيت الذى كان يقيم فيه آنذاك الرب يسوع المسيح.

يقول الإنجيل «وحين أتوا إلى كفرناحوم جاء جباة الجزية إلى بطرس وقالوا: أما يؤدى معلمكم الجزية؟ فقال: بلى. ولمّا دخل البيت بادره يسوع قائلاً: ماذا تظن يا سمعان، ممن يأخذ ملوك الأرض الخراج أو الجزية؟ أمن بنيهم، أم من الأجانب؟ فقال: من الأجانب. فقال له يسوع: إذن البنون معفون؟ ومع ذلك فلئلا نشككهم، اذهب إلى البحر وإلق صنارة، وأول سمكة تخرج امسكها، فحين تفتح فاها ستجد إستاراً، فخذه وأعطهم عنى وعنك» (متى ١٧ : ٢٤ – ٢٧).

فمما تجدر ملاحظته أن الرب يسوع هو الذى بادر تلميذه بطرس عندما دخل البيت بالسؤال: «ماذا تظن يا سمعان، ممن يأخذ ملوك الأرض الخراج أو الجزية؟ أمن بنيهم، أم من الأجانب؟» **مما يدل على أنه علم على بُعد بالحوار الذى جرى بين جباة الجزية وبين تلميذه سمعان بطرس. ولم يكن فى حاجة لأن يعلمه بطرس بما قاله جباة الجزية، ويردّه عليهم..**

وتتمة القصة تقدم دليلاً جديداً على علم المسيح له المجد بالحاضر البعيد فى تفصيلات رائعة:

يقول الإنجيل إن المسيح له المجد قال لتلميذه سمعان بطرس: اذهب إلى البحر وإلق صنارة، وأول سمكة تخرج أمسكها، فحين تفتح فاها ستجد إستاراً، فخذه وأعطهم عنى وعنك.. أفليس هذا العلم إلهياً بكل المقاييس؟ إنه ينبئ تلميذه سمعان بطرس **بالسمكة التى تخرج أولاً بالصنارة، وإنه سيجد فى فمها (إستارا) وهى العملة المتداولة بين اليهود وقيمتها أربعة دراهم، وهى بالضبط القيمة المطلوبة،** فقد كان على كل يهودى بالغ أن يدفع ضريبة قدرها درهمان؟ أليس أمراً فائق الغرابة بالنسبة

للإنسان أن ينبئ المسيح له المجد عن **هذه السمكة** بين مئات وألوف الأسماك السابحة فى البحر، **وأنها السمكة التى تخرج أولاً، وأن يكون فى هذه السمكة بالذات، العملة المطلوبة** (إستار ـ قيمته أربعة دراهم) لا أكثر ولا أقل؟...

– ٢ –

من ذلك أيضاً **علمه له المجد بما كان يتباحث فيه تلاميذه وهم فى الطريق** وكان هو فى البيت فى كفرناحوم.

يقول الإنجيل «ثم جاء إلى كفر ناحوم وحين كان فى البيت سألهم **فيما كنتم تتجادلون فى الطريق فيما بينكم**؟ فصمتوا، إذ كانوا يتنازعون فى الطريق فيما بينهم عمن هو الأعظم بينهم» (مرقس ٩ : ٣٣، ٣٤).

– ٣ –

كذلك **علمه له المجد بموت لعازر** وهو على بعد منه كبير. كان المسيح الرب فى بيت عبَرة على الشاطئ الشرقى من نهر الأردن، بينما كان لعازر فى بيت عنيا على مسافة سفر يوم أو خمسة وعشرين ميلاً.

قال لتلاميذه «**إن لعازر حبيبنا قد نام**، ولكننى سأذهب لأوقظه» فقال التلاميذ له: «يا رب إن كان قد نام فإنه يقوم». بيد أن يسوع كان يتكلم عن نوم موته. وأما هم فظنوا أنه يتكلم عن رقاد النوم. ومن ثم قال لهم يسوع صراحة: «**إن لعازر قد مات**. وأنا أفرح من أجلكم ـ إذ لم أكن هناك لتؤمنوا. ولكن هلموا نذهب إليه» (يوحنا ١١ : ١١ – ١٥).

– ٤ –

ثم فى حديثه له المجد **مع المرأة السامرية** حدثها عن حاضرها **وكشف لها عن علاقتها الآثمة بالرجل الذى يصاحبها على الرغم من بعده عن موقع اللقاء** بين المسيح له المجد وبين المرأة السامرية.

قال لها: «اذهبى واستدعى زوجك، وتعالى إلى هنا» أجابت المرأة وقالت له: «ليس لى زوج» فقال لها يسوع: «أحسنت إذ قلت ليس لى زوج. لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك. فى قولك هذا صدقت» (يوحنا ٤ : ١٦ – ١٨).

المسيح يعلم بالماضى القريب والبعيد

- ١ -

من ذلك علمه بماضى **نثنائيل** وهو طفل رضيع.

يقول الإنجيل «وفيلبس وجد نثنائيل فقال له: قد وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الشريعة، وكذلك الأنبياء. وهو يسوع بن يوسف الذى من الناصرة. قال له نثنائيل: أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟ فقال له فيلبس: تعال وانظر فلما رأى يسوع نثنائيل مقبلاً إليه قال عنه: هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه. فقال له نثنائيل: من أين تعرفنى؟ أجاب يسوع وقال له: قبل أن يدعوك فيلبس، **حين كنت تحت شجرة التين، رأيتك** فأجاب نثنائيل وقال له: يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل. أجاب يسوع وقال له: لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت؟ لسوف ترى أعظم من هذا» (يوحنا ١: ٤٥ - ٥٠).

شئ يثير العجب حقاً. إن نثنائيل عندما دعاه فيلبس ليأتى إلى المسيح لم يكن مستعداً أن يقبل أن يخرج من الناصرة شئ صالح، نظراً لما عرف عن الناصرة من أن شعبها اختلط بالوثنيين وتبادلوا معهم التجارة والمصالح، مما جعلهم فى نظر اليهود المتزمتين أنجاساً وأشراراً يستوجبون غضب الله عليهم وقضاءه بهلاكهم. لذلك كان رؤساء كهنة اليهود يعلمون بأن المسيح لا يأتى من الجليل، وكانوا يقولون صراحة: «ابحث وانظر فإنه لا يقوم نبى من الجليل» (يوحنا ٧: ٤٢، ٥٢).

فلما قال فيلبس لنثنائيل، رداً على اعتراضه، واستبعاداً لأن يجئ المسيح من ناصرة الجليل، «تعال وانظر» وأقبل نثنائيل إلى المسيح له المجد، فلدهشة نثنائيل أن يسمع من المسيح قوله عنه «**هوذا حقاً إسرائيلى لا غش فيه**» أى أن المسيح يعرف عن نثنائيل أنه **يهودى ملتزم، وأنه رجل مستقيم لا يلتوى، وصادق لا يكذب، وصريح لا يعرف الغش ولا** الرياء، وهى الصفات التى ينبغى أن تتوفر للرجل الإسرائيلى حقاً، وفقاً لوصايا الله التى أوصى بها بنى إسرائيل (مزمور ٣١: ٢)، (٧٢: ١)، (يوحنا ٨: ٣٩)، (رومية ٢: ٢٨، ٢٩)، (٩: ٦). وقد دهش نثنائيل دهشة عظيمة من قول المسيح له المجد الذى لم يكن قد رآه قبل ذلك وسأله قائلاً: «**من أين تعرفنى**؟» ولم يكن هذا سؤالاً بقدر ما كان تعبيراً عما أصاب نثنائيل من ذهول وعجب، من ذلك الذى - مع أنه لم يره إلا فى هذه اللحظة - أظهر معرفة كاملة بأعمق

أعماق نفسه. وأضاف المسيح إلى علم نثنائيل قوله: «**قبل أن يدعوك فيلبس، حين كنت تحت شجرة التين**، رأيتك»، **وقد كشف له بذلك أنه لا يعرف دخيلة نفسه فقط، ولا صفاته الجميلة التى يتميز بها فحسب، وإنما أيضاً يعرف عنه أمراً خاصاً فى ماضى حياته لا يعلم به غير نثنائيل نفسه، وأم نثنائيل**، كما يدلّنا على ذلك ما نقله إلينا تقليد قديم، وهو أنه عندما كان نثنائيل طفلاً رضيعاً، كان من بين الأطفال الذين ينطبق عليهم قرار هيرودس الملك الذى «حين رأى أن المجوس قد سخروا به استشاط غضباً وأرسل فقتل كل الأطفال الذين كانوا فى بيت لحم وفى كل نواحيها، من ابن سنتين فأقل، وفقاً للزمان الذى تحققه من المجوس» (متى ٢ : ١٦) . وإذ تنبهت أم نثنائيل وضعت طفلها فى سفط، وحملته إلى أعلى شجرة التين وخبأته بين أغصانها. فدخل الجند بيتها ولم يجدوا فى البيت طفلاً، فخرجوا، وحمداً لله أن الطفل الرضيع لم يبكِ عندما دخل الجند البيت. وهكذا نجا الطفل نثنائيل من موت محقق .. **هذه القصة التى لم يعرفها إلا نثنائيل وأمه** التى أخبرته بها فيما بعد عندما كبر، **هى التى نقلت إيمان نثنائيل فجأة من شخص كان متردداً أن يجئ إلى الرب يسوع بعد أن علم أنه من الناصرة**، بل قال لفيلبس الذى دعاه «أيمكن أن يخرج من الناصرة شئ صالح؟» إلى شخص يقول ليسوع الناصرى بانبهار: «**يا معلم أنت ابن الله. أنت ملك إسرائيل**» (يوحنا ١ : ٥٠) ذلك لأنه سمع من الرب يسوع قوله له: «**حين كنت تحت شجرة التين**، رأيتك» أى **حين لم يبصرك أحد وأنت تغطيك الأغصان قابعاً فى سفط فى تعريشة شجرة التين، أنا رأيتك**. عندئذ أدرك نثنائيل - وهو عالم بالكتب المقدسة وأسفار الأنبياء - أن يسوع الناصرى ليس إنساناً عادياً، وإن ظهر فى صورة إنسان، وإنما هو فى حقيقته ابن الله (متى ١٤ : ٣٣) ، صورة الله الغير المنظور، إنه من ذات الله الآب ومن طبيعته (يوحنا ٧ : ٢٩) ، وأنه بالتالى (ملك إسرائيل) ، المسيح الموعود به فى نبوءات الأنبياء، إذ كانت النبوءات عن المسيح ابن الله تقول إنه حين يجئ سيكون ملك اليهود (يوحنا ١٨ : ٣٧) ويجلس على عرش داود (لوقا ١ : ٣٢) . وإذ رأى مخلصنا أن نثنائيل آمن بكل هذا الصدق وبكل هذا العمق، لمجرد أنه لمس أن المسيح عالم بأمور خاصة به لا يعرفها عنه أحد غيره، أراد له المجد أن يوطّد إيمانه به ويؤكد صدق الشهادة التى هتف بها نثنائيل مبهوراً فقال له: «لأنى قلت لك إنى رأيتك تحت شجرة التين آمنت؟ **لسوف ترى أعظم من هذا**».

هذه القصة، قصة نثنائيل، هى بيّنة على **علم المسيح له المجد بالماضى القريب، والماضى البعيد.**

من ذلك أيضاً علم المسيح له المجد بماضى المرأة السامرية القريب والبعيد.

يقول الإنجيل: «فقال لها يسوع: اذهبى واستدعى زوجك وتعالى إلى هنا، أجابت المرأة وقالت له: ليس لى زوج فقال لها يسوع: أحسنت إذ قلت ليس لى زوج، **لأنه كان لك خمسة أزواج، والذى معك الآن ليس زوجك. فى قولك هذا صدقت**» (يوحنا ٤: ١٦ - ١٨).

فعلى الرغم من أن لقاءه بالمرأة السامرية كان هو اللقاء الأول فى حياتها، لكنه فى حديثه معها كشف لها عن علمه لا بحاضرها فقط «الذى معك الآن ليس زوجك» (يوحنا ٤: ١٨)، ولكن «**بماضيها**» أيضاً «**كان لك خمسة أزواج**» الأمر الذى ذهلت له السامرية وأقرّت فى الحال أن هذه المعرفة ليست عادية، إنها لا تتوفر إلا لمن له وحى السماء «فقالت له المرأة: يا سيد. أرى أنك نبىّ» (يوحنا ٤: ١٩). ولكن المسيح له المجد كشف لها عن حقيقة كونه، أصل الحياة، وأنه رب الأنبياء وسيدهم وخالقهم ومرسلهم «قال لها: **لو كنت تعرفين عطية الله، ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب لطلبتِ أنت منه، فأعطاك ماء حياً**» (يوحنا ٤: ١٠) ولقد نما إيمانها فيه حتى عرفت أخيراً هى وكل أهل السامرة أنه «**المسيح الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة**» (كولوسى ٢: ٢، ٣) «**والذى يعلم كل شئ**» (يوحنا ٤: ٢٥) وهو «حقاً المسيح مخلص العالم» (يوحنا ٤: ٤٢).

ولقد شهدت المرأة السامرية بأن المسيح له المجد كشف لها معرفته الكاملة بكل حاضرها وماضيها القريب والبعيد. وليس فقط بأزواجها الخمسة، بدليل أنها «انطلقت إلى المدينة، وقالت للناس: هلموا انظروا ذلك الرجل الذى **قال لى كل شئ فعلت**. أيكون هذا هو المسيح؟ فخرجوا من المدينة وأقبلوا عليه» (يوحنا ٤: ٢٨ - ٣٠) وزادت على ذلك بشهادتها عنه لأهل السامرة أيضاً «**إنه قال لى كل ما كنت قد فعلت**». وواضح أنها بتوكيدها أنه قال لها: «**كل شئ فعلت .. كل ما كنت قد فعلت**» أنه كشف لها أموراً كثيرة أخرى من ماضى حياتها القريب والبعيد (**كل شئ**) (**كل ما كنت قد فعلت**).

هذه أيضاً بيّنة أخرى عن علم المسيح له المجد بالماضى القريب والماضى البعيد، وهو ما شهد عنه تلاميذه «يا رب أنت تعلم كل شئ» (يوحنا ٢١: ١٧) «نحن الآن نعرف أنك عالم بكل شئ، ولا تحتاج إلى أن يسألك أحد. لهذا نؤمن بأنك من الله خرجت» (يوحنا ١٦: ٣٠). أنظر أيضاً (يوحنا ٢: ٢٤، ٢٥).

علم المسيح بالمستقبل القريب
والمستقبل البعيد

نعم، إن **علم المسيح علم إلهى**، ومن ثم **فهو علم شامل وكامل، لا يحدّه زمان**. إن الزمان هو البعد الرابع فى عالم الناس. والزمان بالنسبة للإنسان محدود، وينقسم فى محدوديته إلى ماضى، وحاضر، ومستقبل، فاللحظات التى يعيشها الإنسان ويحياها بذهنه وقلبه وشعوره وإحساسه فهى زمانه (الحاضر)، أو الحال. فإذا تحوّل بفكره وشعوره عنها وشغل بغيرها، صارت بالنسبة له هى الماضى الذى ذهب وخلا، أى الزمان المنصرم، أما الزمان الذى قد يحياه فى اللحظات التالية فهو المستقبل، الزمان الآتى بعد الحال.

هذا التقسيم الثلاثى للزمان، إلى ماضى وحاضر ومستقبل، لا وضع له عند الله. إن الماضى بالنسبة للإنسان، هذا الكائن المحدود، هو ما قبل الزمان الذى هو فيه وضعاً. والحاضر هو الحال غير الغائب. والمستقبل هو الزمان الآتى بعد الحال. أما الله فلأنه الكائن الدائم الغير المحدود والغير المتناهى فلا يخضع لهذا التقسيم، **فهو الحى الدائم الحاضر فى كل زمان، ولا يحد علمه زمان.**

ولقد قدّم الإنجيل لنا دلائل على **علم المسيح له المجد بالحاضر القريب، والحاضر البعيد، كما قدّم لنا أمثلة على علمه بالماضى القريب والماضى البعيد.**

ويقدم لنا كذلك بيّنات ساطعات على **علمه بالمستقبل القريب، والمستقبل البعيد.**

- ١ -

من ذلك علمه المسبّق بصلبه وآلامه وقيامته من بين الأموات فى اليوم الثالث.

يقول الإنجيل إنه بعد أن سأل المسيح له المجد تلاميذه فى قيصرية فيلبس عما يقولونه فى حقيقة من هو، وأجابه سمعان بطرس باعترافه مع إخوته التلاميذ «أنت هو المسيح ابن الله الحى».

«ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يبين لتلاميذه **أنه ينبغى أن يمضى إلى أورشليم ويعانى آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ثم فى اليوم الثالث يقوم**» (متى ١٦ : ٢١)، (مرقس ٨ : ٣١)، (لوقا ٩ : ٢٢).

وبعد أن صعد له المجد على جبل التجلي ومعه ثلاثة من تلاميذه، وتجلى أمامهم يقول الإنجيل: «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم **حتى يقوم ابن الإنسان من بين الأموات**».

«فكتموا هذا الأمر فى أنفسهم متسائلين فيما بينهم «ما القيامة من بين الأموات؟» (متى ١٧ : ٩)، (مرقس ٩ : ٨، ٩، ١١)، (يوحنا ٢٠ : ٩).

كذلك «وكانوا فى الطريق صاعدين إلى أورشليم، يتقدمهم يسوع، وكانوا يتبعونه مضطربين خائفين. فانتحى بالإثنى عشر مرة أخرى، وراح ينبئهم بما سيحدث له قائلاً لهم: **«ها نحن أولاء صاعدون إلى أورشليم» «وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الإنسان» «ولسوف يسلم ابن الإنسان إلى رؤساء الكهنة وإلى الكتبة فيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الوثنيين فيهزأون به (ويهينونه) «ويبصقون عليه ويجلدونه ثم يقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم»** (مرقس ١٠ : ٣٢ – ٣٤)، (متى ٢٠ : ١٧ – ١٩)، (لوقا ١٨ : ٣١ – ٣٣).

انظر أيضاً (متى ٢٧ : ٦٣)، (لوقا ٢٤ : ٤٦)، (يوحنا ٥ : ١٦، ١٨)، (٧ : ١، ٢٥)، (١١ : ٥٣).

وقبيل آلامه «قال لتلاميذه: أنتم تعلمون أنه بعد يومين سيكون الفصح، **وابن الإنسان يسلمونه ليصلب**» (متى ٢٦ : ١، ٢)، (مرقس ١٤ : ١، ٢)، (لوقا ٢٢ : ١، ٢)، (متى ٢٧ : ١).

وأضاف قائلاً: «ولكننى **بعد قيامتى** سأسبقكم إلى الجليل» (متى ٢٦ : ٣٢)، (مرقس ١٤ : ٢٨). انظر (متى ٢٨ : ١٠، ١٦)، (مرقس ١٦ : ١٧).

– ٢ –

وفى يوم أحد الشعانين، وهو اليوم الذى شاء فيه المسيح له المجد أن يدخل إلى أورشليم ملكاً ليعلن أنه الملك الذى أنبأ عنه النبىّ زكريا بقوله: «ابتهجى جداً يا ابنة صهيون. اهتفى يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتيك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على أتان وعلى جحش ابن أتان» (زكريا ٩ : ٩) قال الإنجيل «ولما اقتربوا من أورشليم وجاءوا إلى بيت فاجى وبيت عنيا عند الجبل المسمى جبل الزيتون، أرسل يسوع (إثنين من تلاميذه) قائلاً لهما: «إذهبا إلى القرية التى تجاهكما، **فحين تدخلانها ستجدان فى الحال أتاناً مربوطاً ومعها جحش لم يركبه**

أحد من قبل، فحلاهما وأتيانى بهما. فإن قال لكما أحد أى شئ. لماذا تفعلان ذلك فقولا إن الرب محتاج إليهما. ففى الحال سيرسلهما.. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع، وأتيا بالأتان والجحش..» (متى ٢١ : ١ – ٧) «فمضى الرسولان فوجدا كما قال لهما» «ووجدا الجحش مربوطاً لدى أحد الأبواب عند ملتقى طريقين فحلاه» «وفيما هما يحلان الجحش قال لهما أصحابه لماذا تحلان الجحش؟ فقالا لهم كما أوصاهم يسوع: إن الرب محتاج إليه فتركوهما وشأنهما ثم جاءا به إلى يسوع وألقيا ثيابهما على الجحش» (لوقا ١٩ : ٣٢ – ٣٥)، (مرقس ١١ : ٤ – ٧).

وهكذا أخبر الرب يسوع تلميذيه قبل أن يرسلهما إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون بأمر الأتان المربوطة ومعها الجحش، وكيف سيجدانهما، وبما سيقوله لهما أصحاب الأتان والجحش عندما يحلانهما، وأنهما إذا قالا لهم «إن الرب محتاج إليهما»، سيتركانهما وشأنهما... وفى الحال سيرسلون الأتان والجحش مع التلميذين الرسولين. إنه علم بتفصيلات دقيقة لا يمكن أن تتوافر لإنسان على بعد المسافات على هذا النحو الدقيق. إن هذا إلا بيّنة على ما للمسيح له المجد من علم إلهى.

– ٣ –

هذا إلى أن المسيح له المجد كان يعلم علماً كاملاً بكل أحداث الصلب والقيامة، وأنبأ عنها قبل وقوعها. وتحدث عن وقائعها وعن كل ما سيحدث له:

إنه كان يعلم مسبقاً إنه سيمضى إلى أورشليم وسوف يعانى آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، وسيحكمون عليه بالموت ويسلمونه إلى الحاكم الرومانى، ولسوف يهزأون به ويهينونه ويبصقون عليه ويجلدونه ثم يقتلونه ويصلبونه ويقبرونه فى القبر (مرقس ١٠ : ٣٢ – ٣٤)، (متى ٢٠ : ١٧ – ١٩)، (لوقا ١٨ : ٣١ – ٣٣).

وكان يعلم مسبقاً بما سيفعله تلميذه الخائن يهوذا، أحد الإثنى عشر، وأنه سيسلّمه إلى رؤساء الكهنة، وأنذره قائلاً: الويل لذلك الرجل الذى بواسطته يسلّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد. ولما سأله الخائن يهوذا «هل أنا هو يا معلّم؟» قال له بكل صراحة ووضوح «نعم أنت هو» (متى ٢٦ : ٢١ – ٢٥)، (مرقس ١٤ : ١٧ – ٢١)، (لوقا ٢٢ : ٢١ – ٢٣).

ويقول الإنجيل إن المخلص عندما غسل أرجل تلاميذه فى الخميس الكبير الذى أكل فيه الفصح مع تلاميذه قال فيما قاله لهم: «وأنتم أيضاً أطهار، ولكنكم لستم كلكم أطهاراً» **فقد كان يعلم بالمزمع أن يسلمه**، ولذلك قال: «إنكم لستم كلكم أطهاراً» (يوحنا ١٣ : ١٠، ١١).

وينص الإنجيل على علم المسيح لكل ما وقع له من أحداث قبل وقوعها، هذه الأحداث التى انتهت بصلبه وموته بالجسد، ومن ذلك قوله: «فخرج يسوع **وهو عالم بكل** ما سيأتى عليه» (يوحنا ١٨ : ٤).

وفى بستان جثسيمانى وبعد أن فرغ من صلواته:

«جاء إلى تلاميذه وقال لهم: ها قد اقتربت الساعة، **وسيسلم ابن الإنسان إلى أيدى الخطاة**. قوموا ننطلق. **هوذا الذى سيسلمنى قد اقترب**».

«وفى الحال وهو لا يزال يتكلم أقبل يهوذا أحد الإثنى عشر ومعه جمع عظيم بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ» (متى ٢٦ : ٤٥ – ٤٧)، (مرقس ١٤ : ٤١ – ٤٣).

– ٤ –

كذلك يقدم الإنجيل لأحداث الأسبوع الأخير وهو أسبوع الآلام، إبتداء من مباشرة المسيح له المجد للعشاء الأخير، وهو عشاء الفصح، وغسل الأرجل، وتسليمه سر العشاء الربانى، وهو سر الشكر، بقوله:

«وقبل عيد الفصح رأى يسوع أن ساعته قد جاءت لينتقل من العالم ويمضى إلى الآب» (يوحنا ١٣ : ١).

وهذه إشارة أخرى إلى علم المسيح المسبق بكل أحداث أسبوع الآلام والتى ستنتهى بالصلب والقيامة، وبعد ذلك الصعود إلى السماء العليا التى منها نزل، وهو ما وصفه الإنجيل بـ (المضى) إلى الآب.

ويقول الإنجيل أيضاً إن المسيح له المجد قال لتلاميذه «أنتم تعلمون أنه بعد يومين سيكون الفصح والفطير، وابن الإنسان يسلمونه ليصلب».

«حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب فى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا، وتشاوروا ليمسكوا يسوع بخدعة ويقتلوه، ولكنهم قالوا: لا نفعل ذلك فى العيد لئلا يحدث شغب بين الشعب» (متى ٢٦ : ١ – ٥)، (مرقس ١٤ : ١، ٢).

- ٥ -

وفى يوم الخميس الكبير الذى أكل فيه المسيح له المجد الفصح مع تلاميذه وغسل أرجلهم.

يقول الإنجيل: «ثم جاء يوم الفطير الذى كان ينبغى أن يذبح فيه الفصح» «وفى أول أيام الفطير، حين كانوا يذبحون الفصح» «تقدم إلى يسوع تلاميذه قائلين: أين تريد أن نمضى ونعدّ لك لتأكل الفصح؟» «فأرسل يسوع إثنين من تلاميذه» «فأرسل يسوع بطرس ويوحنا قائلاً: اذهبا وأعدّا لنا الفصح لنأكله» فقالا له: «أين تريد أن نعدّه؟» قال لهما: «**إذهبا إلى المدينة وهناك سيلقاكما رجل يحمل جرة ماء فاتبعاه إلى البيت الذى يدخله، وحيث يدخل قولا لرب البيت**» «يقول لك المعلم إن وقتى قد اقترب. سأقيم عندك الفصح مع تلاميذى» «أين المكان الذى سآكل فيه الفصح مع تلاميذى؟ **ولسوف يريكما قاعة عليا مؤثثة ومُهيأة**، فأعدا لنا هناك» فخرج التلميذان. **وحين أتيا إلى المدينة وجدا كما قال لهما** فأعدّا الفصح» (لوقا ٢٢: ٧ – ١٣)، (مرقس ١٤: ١٢ – ١٦)، (متى ٢٦: ١٧ – ١٩).

أليس حقاً إنه علم إلهى؟ إنّ المسيح له المجد **أخبر تلميذيه مُسبقاً بمن سيلقياه لدى دخولهما المدينة وهى أورشليم، وأنه رجل يحمل جرّة ماء وأنه سيدخل بيتاً. وفى هذا البيت سيلتقيان برب البيت (فلان)** (متى ٢٦: ١٨)، **فيسألانه عن المكان الذى يأكل فيه سيدهما الفصح مع تلاميذه، وأنه سيريهما قاعة عليا مؤثثة ومهيأة**. إنها تفصيلات دقيقة أخبر المسيح تلميذيه بها من قبل أن يخرجا لمهمتهما المقدسة.

- ٦ -

ومن بيّنات علمه السابق بأحداث الصلب والموت والدفن، أنه عندما سكبت مريم أخت لعازر قارورة الطيب الناردين الخالص الغالى الثمن على رأس المسيح له المجد، وهو فى بيت سمعان الأبرص وتذمّر يهوذا الإسخريوطى ومعه سائر التلاميذ قائلين: «لماذا هذا الإتلاف للطيب؟ (أفما كان يمكن أن يباع هذا الطيب بمال كثير، بأكثر من ثلثمائة دينار ويعطى للفقراء؟) وراحوا يؤنبونها. فقال يسوع: «دعوها. ما بالكم تزعجونها؟ إنها صنعت بى صنيعاً حسناً.. لقد فعلت ما فى وسعها، وهى إذ سكبت هذا الطيب على جسدى إنما **فعلت ذلك لتكفينى** وقد دهنت جسدى

بالطيب مقدماً لدفنى فقد حفظت **هذا ليوم دفنى**، (متى ٢٦ : ١ – ١٣)، (مرقس ١٤ : ٣ – ٨)، (يوحنا ١٢ : ٣ – ٨).

لقد كانت تلك الواقعة، سكب مريم أخت لعازر الطيب على رأس المخلص، «قبل الفصح بستة أيام» (يوحنا ١٢ : ١)، وبالتالى قبل الصلب، ولكنه فى دفاعه عن صنيع مريم، اعتبر عملها **تطييباً مقدماً لجسده** بعد إنزاله من على الصليب، كما صنع فيما بعد يوسف ونيقوديموس «وكان يحمل **حنوطاً من المر والصبر**، يزن نحو مائة رطل، وأخذا جسد يسوع وكفناه بلفائف من الكتان **مع الأطياب** على عادة اليهود **فى التكفين**» (يوحنا ١٩ : ٣٩، ٤٠) وكما صنعت «مريم المجدلية ومريم أم يعقوب، وسالومى، واشترين طيباً **وأعددن عطوراً وأطياباً، ليأتين ويضمّخنه**» (مرقس ١٦ : ١)، (لوقا ٢٣ : ٥٦).

– ٧ –

ومن بينات علم المسيح بالمستقبل القريب قوله له المجد لتلاميذه فى ليلة آلامه «أقول لكم إنه ينبغى أن يتم فىّ هذا المكتوب: **قد أحصى مع الأثمة**. لأن كل ما يختص بى لابد أن يتم» (لوقا ٢٢ : ٣٧).

وتفسير ذلك واضح فإن المسيح مخلصنا صلب بين لصين، وكأنه أكبر المجرمين. وقد تنبأ عن ذلك النبى إشعياء «إنه سكب للموت نفسه **وأحصى مع أثمة** وهو حمل خطايا كثيرين وشفع فى المذنبين» (إشعياء ٥٣ : ١٢).

ويقول الإنجيل للقديس مرقس: «وقد صلبوا معه لصين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، فتم بذلك الكتاب القائل: **وأحصى مع أثمة**» (مرقس ١٥ : ٢٧، ٢٨).

– ٨ –

كذلك من آيات علمه السابق بأحداث الصلب وما يتبعها، من أحداث القيامة والصعود إلى السماء التى منها نزل.

قوله لتلاميذه «**بعد قليل لا تروننى، ثم بعد قليل أيضاً تروننى، لأننى منطلق** إلى أبى. فقال بعض تلاميذه فيما بينهم: ما هذا الذى يقوله لنا: بعد قليل لا تروننى، ثم بعد قليل أيضاً تروننى. ولأننى منطلق إلى أبى ثم قالوا: ما هذا القليل الذى يتكلم عنه؟ إننا لا ندرى ماذا يقول فعلم يسوع أنهم يريدون أن يسألوه، فقال لهم: أعن هذا تتساءلون فيما بينكم، إذ قلت

لكم بعد قليل لا ترونني، ثم بعد قليل أيضاً ترونني؟ الحق الحق أقول لكم إنكم **ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم سيتحول إلى فرح.. أنتم الآن محزونون، ولكنني سأعود فأراكم فتفرح قلوبكم»** (يوحنا ١٦ : ١٦ – ٢٢). انظر أيضاً (يوحنا ١٤ : ١٩)، (١٤ : ٢٨، ٢٩)، (١٧ : ١١، ١٣).

وقال أيضاً «أما الآن فإنني ماضٍ إلى الذى أرسلنى، ولا يسألنى أحد منكم إلى أين تمضى؟ ولكنكم إذ قلت لكم هذا ملأ الحزن قلوبكم. إلا أننى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّى. أما إذا مضيت فإننى أرسله إليكم» (يوحنا ١٦ : ٥ – ٧).

– ٩ –

ومن ذلك علم المسيح مسبقاً بما سيكون عليه موقف تلاميذه منه عندما يُقبض عليه ويسير فى طريق الآلام:

قال لهم فى ليلة آلامه وبعد أن تناول معهم عشاء الفصح وغسل أرجلهم وسلّم لهم سرّ العشاء الربانى:

«وعندئذ قال لهم يسوع: **كلكم سيستولى عليكم الشك فى أمرى هذه الليلة، لأنه مكتوب أنى سأضرب الراعى فتتبدد خراف الرعيّة. ولكننى بعد قيامتى سأسبقكم إلى الجليل»** (متى ٢٦ : ٣١، ٣٢)، (مرقس ١٤ : ٢٧، ٢٨).

وقال أيضاً «**هوذا تأتى ساعة، وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل منكم إلى حيث كان وتتركوننى وحدى**. غير أننى لست وحدى، لأن أبى معى» (يوحنا ١٦ : ٣٢).

«ثم قال الرب سمعان سمعان هوذا الشيطان قد سعى جاهداً لأن يغربلكم كالحنطة ولكننى دعوت لك ألا يفنى إيمانك. فمتى اهتديت فشجع إخوتك» (لوقا ٢٢ : ٣١، ٣٢).

والمعنى واضح أن المسيح له المجد ينذر تلاميذه مسبقاً بما سيكون عليه موقفهم من نحوه فى تلك الليلة التى سيعانى فيها سلسلة من المتاعب والآلام، وسيسئ اليهود معاملته، ويطالبون بصلبه وقتله. ويوجّه تنبيهاً خاصاً لتلميذه سمعان بطرس فهو كبير التلاميذ، وأخوهم الأكبر سناً، والذى جعله المسيح فى أول قائمة الرسل الذين اختارهم ليكونوا معه. فإنه على الرغم من ثقته فى محبته لسيده وإخلاصه له لكنه سيضعف أمام التجربة القاسية، وينكر سيده ومعلمه، وينكر معرفته به، وسيهرب من الساحة، وسيهرب سائر التلاميذ أيضاً (متى ٢٦ : ٥٦)، ومع ذلك

سيساندهم المسيح له المجد ويعينهم فى ضعفهم، وسيتبينون بعد حين خطأهم فى ضعفهم. وسمعان بطرس أيضاً بعد إنكاره لسيده سيعود تائباً. وعندئذ يكون من واجبه أن يثبّت إخوته فى الإيمان.

«فأجاب بطرس وقال له: إن شك فيك الجميع فلن أشك أنا أبداً، يا رب إننى مستعد أن أمضى معك ولو إلى السجن وإلى الموت، إننى أفديك بحياتى. أجابه يسوع قائلاً: أتفدينى بحياتك؟ **الحق الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة، قبل أن يصيح الديك مرتين ستنكرنى ثلاث مرات**، أنك تعرفنى، أما بطرس فأصر قائلاً: إننى ولو اضطررتَ أن أموت معك فلن أنكرك، وهكذا قال أيضاً كل التلاميذ» (متى ٢٦ : ٣٣ – ٣٥)، (لوقا ٢٢ : ٣٣، ٣٤)، (مرقس ١٤ : ٢٩ – ٣١)، (يوحنا ١٣ : ٣٧، ٣٨).

وتمّ بالفعل كل ما أنذر به المسيح تلاميذه من حيث شكهم، وتركهم له «**وعندئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا**» (متى ٢٦ : ٥٦)، (مرقس ١٤ : ٥٠)، (يوحنا ١٨ : ٨).

وتم ما أنذر به له المجد لتلميذه سمعان بطرس من أنه لا يصيح الديك مرتين قبل أن ينكر بطرس معلّمه ثلاث مرات أنه يعرفه.

يقول الإنجيل: «وكان سمعان بطرس يتبع يسوع وكذلك تلميذ آخر، وكان هذا التلميذ معروفاً لدى رئيس الكهنة. فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة. وأما بطرس فظل واقفاً فى الخارج عند الباب، فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفاً لدى رئيس الكهنة وكلّم حارسة الباب وأدخل بطرس. فقالت الجارية حارسة الباب لبطرس ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الرجل؟ فقال: **لا لست منهم**. وكان العبيد والخدام واقفين، وقد أشعلوا جمراً، لأنه كان برد، وأخذوا يستدفئون، وكان بطرس أيضاً واقفاً معهم يستدفئ عند النار» (يوحنا ١٨ : ١٥ – ١٨)، (مرقس ١٤ : ٥٤، ٥٥).

«وإذ كان سمعان بطرس واقفاً يستدفئ قالوا له: ألست أنت أيضاً من تلاميذه؟ فأنكر وقال: **لست منهم** ثم قال واحد من عبيد رئيس الكهنة كانت تربطه صلة بذلك الذى قطع بطرس أذنه: أما رأيتك أنا معه فى البستان؟ **فأنكر بطرس مرة أخرى. وعندئذ صاح الديك**» (يوحنا ١٨ : ٢٥ – ٢٧).

«وبينما كان بطرس تحت فى فناء الدار جاءت إحدى جوارى رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس (على ضوء النار) يستدفئ تفرّست فيه وقالت له: أنت أيضاً كنت مع يسوع الناصرى الجليلى

أما هو فأنكر أمام الجميع قائلاً: **لست أدرى ولا أعرف عم تتكلمين لست أعرفه يا امرأة** وخرج إلى الدهليز خارج الدار. **وعندئذ صاح الديك**. ثم مرة أخرى رأته جارية أخرى فراحت تقول للواقفين للذين كانوا هناك إن هذا منهم. إن هذا كان مع يسوع الناصرى **فأنكر مرة أخرى وهو يقسم قائلاً: إننى لا أعرف هذا الرجل** وبعد قليل رآه آخر فقال: أنت أيضاً منهم فقال بطرس: **لست منهم يا رجل** ثم بعد نحو ساعة قال آخر مؤكداً الحق أن هذا أيضاً كان معه، فإنه جليلى كذلك. فقال بطرس **لست أدرى يا رجل عم تتحدث** وبعد قليل جاء الواقفون هناك وقالوا لبطرس:

بالتأكيد أنت أيضاً منهم، لأنك جليلى فإن لهجة كلامك تدل عليك ولهجتك تشبه لهجتهم. **وعندئذ بدأ يلعن ويحلف قائلاً: إنى لا أعرف هذا الرجل الذى عنه تتكلمون وفى تلك اللحظة وهو يتكلم صاح الديك للمرة الثانية** فتلفّت الرب ونظر إلى بطرس فتذكر بطرس كلمة الرب يسوع إذ قال له: إنك قبل أن يصيح الديك مرتين ستنكرنى ثلاث مرات فمضى بطرس إلى الخارج وأخذ يبكى بكاءاً مراً» (مرقس ١٤: ٦٦ – ٧٢)، (لوقا ٢٢: ٥٦ – ٦٢)، (متى ٢٦: ٦٩ – ٧٥).

المسيح يعلم بالمستقبل البعيد

وكما أنبأ المسيح له المجد بأمور خاصة بالمستقبل القريب، أنبأ عنها قبل حدوثها وبتفصيلات دقيقة تكشف عن علمه الكامل الشامل بكل ما يحدث فى المستقبل معرفته بالماضى القريب والبعيد، ومعرفته بالحاضر القريب والحاضر البعيد ـ كذلك أنبأ عن أمور تختص بالمستقبل البعيد، أنبأ عنها قبل حدوثها وقد حدثت بالفعل تماماً كما أنبأ عنها بكل تفصيلاتها، وذلك على مدى التاريخ الطويل الممتد عبر الزمان والمكان.

– ١ –

فقد أنبأ تلاميذه بما سيصيبهم من أتعاب ومشقات، وما سيلحق بهم من مضايقات وإضطهادات من جراء كرازتهم باسمه له المجد.

قال مخلصنا ذلك لتلاميذه يوم دعاهم ليكونوا تلاميذه، واختارهم ليكونوا معه، وأوصاهم بوصفهم رسله لتبليغ رسالته والكرازة باسمه فى كل الأمم:

«هأنذا أرسلكم كخراف بين ذئاب .. احذروا من الناس **فإنهم سيسلمونكم إلى المجالس، ويجلدونكم فى مجامعهم، ويؤتى بكم من أجلى أمام ولاة وملوك، فيكون ذلك**

شهادة لديهم ولدى الوثنيين .. وتكونون مكروهين من الجميع من أجل اسمى..» (متى ١٠: ١، ١٧ – ٢٢).

وقال له المجد وهو يوبخ كهنة اليهود والكتبة والفريسيين وعلماء الشريعة منبئاً بما سيصنعونه بتلاميذه: «ها أنا ذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين، **فبعضهم تقتلون وتصلبون، وبعضهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة»** (متى ٢٣: ٣٤) «إننى أرسل إليكم أنبياء ورسلاً، **فبعضهم تقتلون وبعضهم تضطهدون»** (لوقا ١١: ٤٩).

وزاد على ذلك بقوله لتلاميذه وهو جالس على جبل الزيتون ينبئهم عن خراب هيكل أورشليم.. «**سيسلمونكم لمن يعذبونكم ويقتلونكم، وتكونون مكروهين من جميع الأمم لأجل اسمى»** (متى ٢٤: ٩) «أما أنتم فاحترسوا لأنفسكم، **لأنهم سيقدمونكم إلى المحاكم ويضربونكم فى المجامع. وسيؤتى بكم أمام ولاة وملوك من أجلى للشهادة لديهم. وينبغى أولاً إعلان الإنجيل إلى كل الأمم.. وتكونون مكروهين من الجميع من أجل اسمى..»** (مرقس ١٣: ٩ – ١٣).

«سيقبضون عليكم ويضطهدونكم ويقدمونكم إلى المجامع ويلقون بكم فى السجون ويسوقونكم إلى الملوك والولاة من أجل اسمى، فيئول ذلك إلى ظفركم بالشهادة.. وتكونون مكروهين من الجميع من أجل اسمى..» (لوقا ٢١: ١٢، ١٣، ١٧). انظر أيضاً (لوقا ١٢: ١١)، (لوقا ٢٤: ٤٨).

وقال المخلص لتلاميذه فى ليلة آلامه يعزيهم عن مفارقته لهم ويشددهم ويشجعهم ويقوى إيمانهم: «لستم أنتم الذين اخترتمونى، وإنما أنا الذى اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا وتأتوا بثمر، ويدوم ثمركم.. **إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه أبغضنى قبل أن يبغضكم..** تذكروا الكلام الذى كلمتكم به إذ قلت لكم إنه ليس خادم أعظم من سيده **فإن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم أنتم أيضاً.. ولكنهم سيفعلون بكم هكذا بسبب اسمى.. وأنتم أيضاً ستشهدون لى**، لأنكم معى منذ الابتداء» (يوحنا ١٥: ١٦ – ٢٧) «قد كلمتكم بهذا لئلا تصطدموا بما يعثركم. **فإنهم سيخرجونكم من المجامع، بل ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم ذبيحة لله..** وما قلت لكم هذا إلا لتتذكروا، متى جاءت الساعة، أننى قلته لكم. ولم أقله لكم منذ الابتداء لأننى كنت معكم..» (يوحنا ١٦: ١ – ٤).

ولقد تم فعلاً ما أنبأ به المسيح تلاميذه:

جاء فى سفر أعمال الرسل عن الرسولين **القديسين بطرس ويوحنا** بعد أن أجريا معجزة شفاء الرجل الأعرج من بطن أمه. فتشددت رجلاه وكعباه فوثب وصار يمشى ودخل مع الرسولين إلى الهيكل وهو يمشى ويظفر ويسبح الله، فتراكض إليهم جميع الشعب مبهورين مندهشين: «وفيما كان بطرس ويوحنا يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة ورئيس حرس الهيكل والصدوقيون. وهم غاضبون من أنهما يعلّمان الشعب ويناديان فى قيامة يسوع، بقيامة الأموات. **فألقوا القبض عليهما ووضعوهما فى السجن إلى اليوم التالى**، إذ كان المساء قد أقبل. بيد أن كثيرين من الذين سمعوا الخطاب آمنوا. فبلغ عدد الذين آمنوا من الرجال نحو خمسة آلاف. وفى الغد اجتمع فى أورشليم الرؤساء والشيوخ والكتبة مع حنان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة. **ولما أوقفوهما فى الوسط**، أخذوا يسألونهما قائلين: بأية قوة أو بأى اسم صنعتما هذا حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم: يا رؤساء الشعب ويا شيوخ إسرائيل إذا كنا نستجوب اليوم عن خير أسدى إلى رجل عليل بمن شفى هذا. فليكن معلوماً عندكم جميعاً وعند جميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح الناصرى. الذى صلبتموه أنتم والذى أقامه الله من بين الأموات. بذاك يقف هذا أمامكم صحيحاً معافى. هذا هو الحجر الذى رفضتموه أنتم أيها البناؤون، فصار رأس الزاوية.. فأمروهما أن يخرجا إلى خارج المجلس، ثم تشاوروا فيما بينهم قائلين: **ماذا نصنع بهذين الرجلين ؟** فقد جرت على أيديهما آية مبينة ظاهرة لجميع سكان أورشليم، ولا نستطيع أن ننكرها. ولكن لئلا يزداد الأمر شيوعاً بين الشعب **فلنهددهما تهديداً.. ثم استدعوهما وأمروهما بألا ينطقا البتة ولا يعلّما باسم يسوع**. فأجاب بطرس ويوحنا وقالا: «احكموا أنتم، إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله. أما نحن فإنه لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وما سمعنا» (أعمال الرسل ٤: ١ – ١٨).

وجاء فى سفر أعمال الرسل:

«وجرت على أيدى الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب.. فقام رئيس الكهنة وجميع من معه، الذين هم شيعة الصدوقيين، وقد امتلأوا سخطاً، **فقبضوا على الرسل، وألقوهم فى السجن العام** ولكن ملاك الرب فتح أبواب السجن فى الليل وأخرجهم.. فلما سمعوا ذلك دخلوا الهيكل فى الصباح الباكر وطفقوا يعلمون. **ثم أقبل رئيس الكهنة والذين كانوا معه**

ودعوا المجمع وكل شيوخ بنى إسرائيل وأرسلوا إلى السجن لإحضارهم. ولكن الجند لما جاءوا لم يجدوهم فى السجن . فلما سمع قائد حرس الهيكل ورؤساء الكهنة ذلك، تحيّروا فى أمرهم متسائلين: ما عسى أن يكون هذا. ثم جاء واحد وقال لهم: «هوذا الرجال الذين ألقيتموهم فى السجن قائمون فى الهيكل يعلمون الشعب. فانطلق القائد مع الجند، وجاءوا بهم ولكن بغير عنف.. **فلمّا جاءوا بهم فى المجمع**. فسألهم رئيس الكهنة قائلا: **أما أمرناكم مشددين عليكم أن لا تعلموا بهذا الاسم؟ وها أنتم أولاء قد ملأتم أورشليم كلها بتعليمكم، وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان** فأجاب بطرس والرسل وقالوا: إن الله أحق بأن يطاع أكثر من الناس. إن إله ابائنا أقام يسوع الذى علقتموه أنتم على خشبة وقتلتموه. فهو الذى رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً .. ليمنح إسرائيل التوبة وغفران الخطايا، ونحن شهود على هذه الأمور.. فلما سمعوا ذلك **صرّوا على أسنانهم غيظاً واعتزموا قتلهم. واستدعوا الرسل وجلدوهم. ثم نهوهم عن التعليم باسم يسوع** ثم أطلقوهم. فمضوا من أمام المجمع فرحين بأنهم **احتسبوا مستأهلين لأن يهانوا من أجل اسمه**» (أعمال الرسل ٥ : ١٢ – ٤١).

وجاء كذلك فى سفر أعمال الرسل عن **القديس (اسطفانوس) رئيس الشمامسة وأول الشهداء**، وهو فى الآن نفسه أحد السبعين رسولاً:

«وكان اسطفانوس ممتلئاً من النعمة والقوة. فكان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب. وقام بعض أعضاء المجمع المعروف بمجمع العبيد المحررين ويهود من قيروان والأسكندرية وسواهم من كيليكية وآسيا وأخذوا يجادلون اسطفانوس فلم يستطيعوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به. حينئذ رشوا رجالاً ليقولوا: إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله، **فهيجهوا الشعب والشيوخ والكتبة ثم باغتوه وخطفوه وجاؤوا به إلى المجمع**. وأقاموا شهود زور يقولون: إن هذا الرجل لا يكف عن أن يتكلم بكلمات تجديف ضد هذا الموضع المقدس وضد الشريعة.. فقال رئيس الكهنة: أهذا صحيح؟ .. فلما سمعوا ذلك **ملأ الغيظ قلوبهم وصروا عليه بأسنانهم**. أما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله، فقال: هآنذا أنظر السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله، **فصاحوا بأعلى أصواتهم، وسدّوا آذانهم وهجموا عليه كلهم دفعة واحدة، ودفعوا به إلى خارج المدينة ورجموه**...» (أعمال الرسل ٦ : ٨ – ١٥)، (٧ : ١ – ٥٨)، أنظر أيضاً (أعمال الرسل ٢٢ : ١٩، ٢٠).

ثم جاء فى سفر أعمال الرسل:

«وفي ذلك اليوم (يوم استشهاد القديس اسطفانوس) **وقع اضطهاد شديد على الكنيسة التى فى أورشليم**، فتشتت المؤمنون المسيحيون كلهم. ماعدا الرسل، فى نواحى اليهودية والسامرة.. **وأما شاول فكان يسعى إلى خراب الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت، ويجر الرجال والنساء، ويلقيهم فى السجن**» (أعمال ٨: ١ – ٣).

«**أما شاول فكان ينفث تهديداً على تلاميذ الرب وتقتيلاً لهم**. فقصد إلى رئيس الكهنة. وطلب منه رسائل إلى مجامع دمشق **ليعتقل الرجال والنساء الذين يجلدهم هناك على مذهب الرب ويسوقهم موثقين إلى أورشليم**. وفيما هو ذاهب، وقد اقترب من دمشق، سطع حوله بغتة نور من السماء فوقع إلى الأرض، وسمع صوتاً يقول له: شاول شاول، **لماذا تضطهدنى** ؟ فقال شاول: من أنت، يا رب؟ فأجابه الرب: أنا يسوع **الذى أنت تضطهده**، إنه لصعب عليك أن ترفس مناخس المهماز» (أعمال الرسل ٩: ١ – ٥).

كذلك جاء فى سفر أعمال الرسل خبر **محاكمة القديس بولس الرسول أمام المجمع اليهودى برئاسة رئيس الكهنة وحضور عظماء الكهنة وكل مجمعهم** (أعمال ٢٢: ٣٠)، (٢٣: ١ – ١٠) «ولما علم بولس أن فريقاً منهم صدوقيون والفريق الآخر فريسيون صاح فى المجلس: أيها الرجال الإخوة، أنا فريسى ابن فريسى، **وأنا أحاكم على الرجاء وقيامة الأموات**» (أعمال الرسل ٢٣: ٦).

وقال القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس:

«**جلدني اليهود خمس مرات تسعاً وثلاثين جلدة. ضربت بالعصى ثلاث مرات، رُجمت مرة**، انكسرت بى السفينة ثلاث مرات، قضيت ليلة ونهاراً فى عرض البحر» (٢. كورنثوس ١١: ٢٤، ٢٥).

* * *

وإذا كان فى النصوص السابقة نرى تحقيقاً لما أنبأ به المسيح له المجد عن اضطهاد الرسل وتلاميذ المسيح والمؤمنين، واستدعائهم ومحاكمتهم أمام المجامع والمحافل الدينية، فثمة نصوص أخرى تسجل **محاكمتهم أمام المحاكم المدنية أى أمام الملوك والولاة والحكام** وسجنهم وتعذيبهم، تماماً كما أنبأ المسيح له المجد:

جاء فى سفر أعمال الرسل:

«وفى ذلك الوقت أخذ الملك هيرودس يسئ معاملة بعض أعضاء الكنيسة. فقتل بحد السيف يعقوب أخا يوحنا. فلما رأى أن هذا الأمر يرضى اليهود، عاد فقبض كذلك على بطرس. وكان ذلك فى أيام عيد الفطير. وبعد ما قبض عليه، ألقاه فى السجن، وسلّمه إلى أربع فرق ليحرسوه، كل فرقة من أربعة جنود. وكان ينوى أن يقدمه للشعب بعد عيد الفصح. فكان بطرس محفوظاً فى السجن. وأما الكنيسة فكانت تصلى إلى الله بلا انقطاع من أجله. وكان بطرس فى الليلة التى أزمع هيرودس أن يقدمه بعدها للشعب، نائماً بين جنديين، مقيداً بسلسلتين، وعلى الباب حراس يحرسون السجن وإذا ملاك الرب يظهر..» (أعمال الرسل ١٢ : ١ – ٦).

ويقدم لنا سفر أعمال الرسل خبر محاكمة القديس بولس الرسول أمام الوالى الرومانى، صاحب العزة (فيلكس)، فى قيصرية، بناء على شكوى من حنانيا رئيس الكهنة مع شيوخ اليهود وخطيب اسمه ترتلس، وقالوا فى شكواهم ضد الرسول القديس بولس:

«إننا قد وجدنا هذا الرجل آفة مؤذية، ومثير فتنة بين اليهود فى العالم كله، وإماماً لشيعة النصارى. وقد حاول أن يدنس الهيكل فاعتقلناه، وأردنا أن نحاكمه بموجب شريعتنا. إلا أن ليسياس قائد الألف أقبل وانتزعه قسراً من أيدينا، وأمر خصومه المشتكين عليه بأن يرفعوا شكواهم إليك، فتستطيع - إذا استجوبته أن تتبين جميع هذه الأمور التى نتهمه بها» فأيد اليهود دعوى ترتلس زاعمين أنها صحيحة» (أعمال الرسل ٢٤ : ٥ – ٩).

ودافع القديس بولس دفاعاً مجيداً عن موقفه المسيحى وعن تعليم المسيح أمام الوالى الرومانى وأمام شعب اليهود - واحتجزه الوالى أياماً ثم استحضره مرة أخرى ليسمع منه. وكانت زوجة الوالى دروسلا تصحب زوجها فى هذه المرة - على أن الوالى أراد أن يرضى اليهود، فاستبقى القديس بولس مقيداً لمدة سنتين إلى أن جاء الوالى بوركيوس فستوس، «فعرض عليه رؤساء الكهنة وأعيان اليهود دعواهم على بولس» (أعمال الرسل ٢٥ : ١، ٢) «ثم نزل فستوس إلى قيصرية. وفى الغد جلس على كرسى القضاء، وأمر بإحضار بولس. فلما حضر أحاط به اليهود الذين كانوا قد نزلوا من أورشليم، واتهموه بإتهامات كثيرة وخطيرة لم يستطيعوا إثباتها» (أعمال الرسل ٢٥ : ٦، ٧). على أن القديس بولس قال للوالى أخيراً «وإلى القيصر أرفع دعواى» (أعمال الرسل ٢٥ : ١١)، فأجاب الوالى بعد أن تشاور مع المجلس: «رفعت إلى القيصر دعواك،

فإلى القيصر تذهب» (أعمال الرسل ٢٥ : ١٢ ، ٢١ ، ٢٧) ، (٢٦ : ٣٢) ، (٢٨ : ١٩) . «وبعد بضعة أيام، جاء الملك أغريباس وبرنيكه إلى قيصرية ليسلما على فستوس.. وعرض فستوس على الملك قضية بولس، وقال: هنا رجل تركه فيلكس سجيناً» (أعمال الرسل ٢٥ : ١٣ ، ١٤) ، ثم استدعى بولسِ وسمح له أن يتحدث أمام الملك أغريباس وبرنيكى وأمام القادة ووجهاء المدينة فى قاعة الاستماع بالمحكمة (أعمال الرسل ٢٥ : ٢٣ – ٢٧) . فعرض القديس بولس قضيته، وقصة الرؤيا الرائعة السماوية التى رأى فيها المسيح له المجد يوبخه على اضطهاده له (أعمال الرسل ٢٦ : ١ – ٣٢) ، وقد اعترف بولس قائلاً : «أما أنا فقد ارتأيت فى نفسى أنه يجب على أن أقاوم بشدة اسم يسوع الناصرى. وهذا ما فعلت فى أورشليم، **فحبست فى السجون ، بتفويض من رؤساء الكهنة ، عدداً كبيراً من القديسين. ولما اقترع على قتلهم كنت موافقاً على ذلك. وكثيراً ما عذبتهم فى كل مجمع لأجبرهم على الكفر بإيمانهم، واشتد سخطى عليهم حتى أخذت أطاردهم فى المدن التى فى خارج اليهودية» (أعمال الرسل ٢٦ : ٩ – ١١) . انظر أيضاً (أعمال الرسل ٢٢ : ١٩ ، ٢٠) .**

وسافر القديس بولس إلى روما (أو رومية) فى رحلته الرابعة والأخيرة محروساً كأسير بيد قائد مائة من كتيبة أوغسطس يوليوس (أعمال الرسل ٢٧ : ١) ، وأقام فى بيت خاص استأجره لنفسه مدة سنتين كاملتين (أعمال الرسل ٢٨ : ٣٠) ، بعدها وقف أمام القيصر نيرون الذى حكم عليه **بالإعدام بقطع رأسه بالسيف** سنة ٦٧م.

انظر أيضاً (الجليان - الرؤيا ٢ : ١٠ ، ١٣) .

وكذلك الحال بالنسبة للقديس بطرس الرسول فقد، مثل للمحاكمة مع القديس يوحنا الرسول أمام المجمع اليهودى، (أعمال الرسل ٤ : ١ – ٢١) . كما حوكم أمام **هيرودس الملك** (أعمال ١٢) ثم أخيراً أمام الملك نيرون فى روما، **وحكم عليه بالإعدام، وصُلب منكساً أو مكبوباً سنة ٦٧م.**

ويوحنا الرسول، وقف أمام مجمع السنهدريم مع القديس بطرس ليحاكما عن معجزة شفاء الأعرج من بطن أمه وعن إصرارهما على الكرازة باسم يسوع المسيح وعدم خضوعهما للأمر والتهديد الصادر إليهما من مجمع اليهود (أعمال الرسل ٤ : ١ – ٢١) . **أما محاكمته مدنياً** فقد تمت فى أخريات أيام حياته وحكموا عليه بإغراقه فى خلقين من الزيت المغلى فلمّا

نجا من الموت، نفاه الإمبراطور دوميتيانوس (٥١ - ٩٦) إلى جزيرة بطمس التى رأى فيها رؤياه.

والرسل الآخرون أيضاً وقفوا للمحاكمة الدينية أمام مجمع اليهود بعد أن وضعوهم مبدئياً فى حبس العامة (أعمال الرسل ٥: ١٧ - ٤١). وجميعهم وقفوا أمام الحكام والولاة والملوك وحوكموا وماتوا شهداء.

وهكذا أيضاً كان نصيب من هم فى حكم الرسل من الأساقفة والبطاركة والكهنة والشمامسة وسائر المؤمنين بالمسيح ممن ماتوا شهداء من أمثال الشهيد مارجرجس أمير الشهداء الذى نال من المحاكمات وكل صنوف الآلام لمدة سبع سنوات كاملة، وقل بالمثل مع **الشهيد مرقوريوس أبى سيفين، والشهيد مارمينا العجائبى، والأمير تادرس**، وغيرهم على مدى تاريخ الكنيسة وإلى اليوم.. ممن أبغضهم العالم، ووقفوا أمام حكام وولاة ورؤساء، وعانوا من ضروب الاضطهاد بصوره المتنوعة من أجل كرازتهم بالمسيح وتبعيتهم لجلاله الأقدس وتعاليمه وفضائل شريعته الإلهية.

- ٢ -

أنبأ المسيح له المجد تلميذه القديس بطرس بمصيره واستشهاده:

ونحن هنا لا نعالج موضوع إنكار مار بطرس لسيده ومعلّمه فقد تناولناه فى باب آخر، وإنما، ونحن فى صدد علم المسيح بالمستقبل البعيد، نخصّ بالذكر ما أنبأ به المسيح له المجد تلميذه بطرس فى شأن الكيفية التى ستنتهى بها حياة بطرس فى الأرض قبل أن يمضى إلى عالم الروح.

ففى أحاديثه الوداعية لتلاميذه ليلة آلامه قال المخلص «يا أبنائى أنا باقٍ معكم زماناً يسيراً بعد، وستطلبوننى، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تستطيعون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم أيضاً الآن.. فقال له سمعان بطرس: إلى أين تذهب يا رب؟ أجاب يسوع قائلاً: حيث أذهب أنا لا تستطيع أنت الآن أن تتبعنى. **ولكنك ستتبعنى أخيراً**» (يوحنا ١٣: ٣٣ - ٣٦).

لقد كان مخلصنا يكلم تلاميذه عن رحلة الصلب لإتمام مهمة الفداء والخلاص، فالوقت الباقى قليل أو يسير، وبعده تحدث مفارقته لهم إلى أن يتم الصلب فالموت فالقيامة المجيدة. على أنه فى إجابته على سؤال تلميذه سمعان بطرس ما يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل «حيث

أذهب أنا لا تستطيع أنت الآن أن تتبعنى. ولكنك ستتبعنى أخيراً، فسمعان بطرس قد ترك سيده كما «تركه التلاميذ كلهم وهربوا» (متى ٢٦ : ٥٦) . أما قوله له المجد «**ولكنك ستتبعنى أخيراً**» فمعناه أنه وإن كان سمعان بطرس لن يستطيع أن يعانى الآلام التى سيعانيها مخلصنا بعد ساعات قليلة، لكنه فيما بعد **سيتبع معلّمه فى طريق آلامه وموته، وذلك فى نهاية خدمته ورحلته على الأرض..**

بيد أن المخلص أضاف إلى هذا التصريح تصريحاً آخر، وذلك بعد قيامته المجيدة من بين الأموات، فى لقائه مع تلميذه سمعان بطرس بعد أن غفر له خطيئة إنكاره لسيده، وردّه إلى مسئوليته الراعوية بقوله له «ارع حملانى.. ارع خرافى.. ارع غنمى» (يوحنا ٢١ : ١٦ ، ١٧) قال له بعد ذلك مباشرة: «الحق الحق أقول لك إنك حين كنت شاباً كنت تمنطق نفسك بنفسك، وتذهب إلى حيث تشاء، ولكنك متى شخت **فستبسط يديك وشخص آخر يمنطقك ويحملك إلى حيث لا تشاء** » ويضيف الإنجيل للقديس يوحنا: «قال له هذا مشيراً إلى الميتة التى كان مزمعاً أن يمجد الله بها. وبعد أن قال هذا، قال له: اتبعنى» (يوحنا ٢١ : ١٨ ، ١٩) .

وقد تمت بالفعل هذه الميتة، عندما **حكم عليه نيرون الملك فى روما بالصلب**، وفى الصلب يبسط المصلوب يديه على خشبة الصليب ويسمرونه بالمسامير أو يقيدونه ويوثقون يديه بخشبة الصليب من هنا ومن هناك، تماماً كما أنبأ المسيح تلميذه المخلص سمعان بطرس «**متى شخت فستبسط يديك وشخص آخر يمنطقك ويحملك..**» ولقد تم **استشهاد القديس بطرس** فى سنة ٦٧م وكان شيخاً تعدّى السابعة والسبعين من عمره، فقد قيل إنه ولد فى سنة ١٠ق.م.

ولقد وعى القديس بطرس الرسول إشارة سيده ومعلمه وأشار إلى ذلك فى إحدى رسائله إذ يقول: «وأرى أنه من الحق، ما دمت فى هذه الخيمة (المسكن الجسدى) أن أثيركم بتذكيركم فأنى أعرف أن إنحلال خيمتى قريب كما أعلمنى ربنا يسوع المسيح. فسأبذل جهدى لكى تتذكروا هذه الأمور كل حين، بعد رحيلى (خروجى) من خيمتى» (٢. بطرس ١ : ١٣ – ١٥) . انظر أيضاً (يوحنا ٢١ : ١٨ ، ١٩) .

وأنبأ المسيح له المجد بدمار كفرناحوم وخرابها:

وكفر ناحوم مدينة أو قرية كانت تقع على الشاطئ الشمالى الغربى من بحر الجليل المسمى أيضاً بحر أو بحيرة طبرية (يوحنا ٦: ١)، (٢١: ١) (فى داخل حدود زبولون ونفتاليم) (متى ٤: ١٣)، ومعنى اسمها بالعبرانية (قرية ناحوم)، وهى هذه المدينة التى أقام فيها الرب يسوع المسيح بعد أن ترك الناصرة التى تربى فيها (متى ٤: ١٣) حتى صارت كفرناحوم تعرف بأنها (مدينته) (متى ٩: ١)، (لوقا ٤: ٢٣)، (يوحنا ٢: ١٢)، وفيها علم فى مجمعها فى السبوت «فبهتوا من تعليمه لأنه كان يعلمهم كصاحب سلطان وليس مثل الكتبة» (مرقس ١: ٢١)، (لوقا ٤: ٣١). وعلّم فى شوارعها وفى أماكن شتى منها (يوحنا ٦: ٢٤ – ٧١)، (مرقس ٩: ٣٣ – ٥٠) وفيها شفى الرجل الذى كان به روح نجس «فصرخ بصوت عظيم وخرج منه، فذهلوا جميعاً، حتى لقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم قائلين: «ما هذا؟ إنه لتعليم جديد. فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه» ومن ثم سرعان ما ذاعت شهرته فى كل أنحاء الجليل» (مرقس ١: ٢١ – ٢٨)، (لوقا ٤: ٣٣ – ٣٧). وفى كفر ناحوم شفى حماة سمعان وكانت ترقد محمومة، فدنا منها وأمسك بيدها وأنهضها ففارقتها الحمى فى الحال، وراحت تخدمهم» (مرقس ١: ٢٩ – ٣١)، (متى ٨: ١٤، ١٥)، (لوقا ٤: ٣٨، ٣٩). وفى كفرناحوم شفى المفلوج المدلى من السقف «فبهتوا كلهم، ومجدوا الله قائلين: ما رأينا مثل هذا قط» (مرقس ٢: ١ – ١٢)، (متى ٩: ١ – ٧)، (لوقا ٥: ١٨ – ٢٦). وفى كفر ناحوم أيضاً شفى غلام قائد المائة (متى ٨: ٥ – ١٣)، (لوقا ٧: ١ – ١٠). وشفى ابن أحد رجال الحاشية الملكية «فآمن هو وكل أهل بيته» (يوحنا ٤: ٤٦ – ٥٤). وفى كفر ناحوم شفى كثيرين من المصابين بأمراض مختلفة، وطرد كثيراً من الشياطين، بكلمة (مرقس ١: ٣٢ – ٣٤)، (متى ٨: ١٦، ١٧)، «وكانت الشياطين تخرج من كثيرين، وهى تصرخ قائلة: أنت هو المسيح ابن الله» (لوقا ٤: ٤٠، ٤١).

وفى كفرناحوم - وكانت مركزاً لجباية الضرائب (متى ١٧: ٢٤ – ٤٧) دعا الرب يسوع، من كان قائماً بمكتب جباية الضرائب واسمه (متى) ليتبعه ويصير من تلاميذه الإثنى عشر «فقام وتبعه» (متى ٩: ٩)، (مرقس ٢: ١٤)، (لوقا ٥: ٢٧، ٢٨).

ومع كل ما صنع الرب يسوع من عجائب وما ألقاه من مواعظ، لم يؤمن أهلها به الإيمان الصحيح الكامل، فأنبأ بخرابها ودمارها.

قال له المجد «وأنت يا كفرناحوم أتحسبين أنك سترتفعين إلى السماء؟ **إنك سيهبط بك إلى الجحيم**، لأنه لو جرت فى سدوم المعجزات التى جرت فيك لظلت قائمة إلى اليوم. ولكنى أقول لكم ستكون لأرض سدوم فى يوم الدينونة حالة أكثر إحتمالاً مما لك» (متى ١١: ٢٣، ٢٤)، (لوقا ١٠: ١٥).

* * *

وقد تمت نبوءة المسيح له المجد عن مدينة كفرناحوم، **فقد خربت تماماً، ولم يعد لها على خريطة فلسطين وجود، حتى أمسى الجغرافيون مختلفين فى شأن موقعها. ويقال إن هناك مكاناً خرباً يسمى الآن (تل حوم) يرجّح أنه موقع مدينة (كفرناحوم) القديمة** - و(تل حوم) مكان يبعد الآن نحو ميلين ونصف ميل إلى الجنوب الغربى من مصبّ الأردن، ويبعد نحو ميلين رومانيين من مدينة (كورزين) التى خربت هى الأخرى فقد صبّ المسيح له المجد على كورزين الويل، وقال: الويل لك يا كورزين (متى ٢١: ٢١)، (لوقا ١٠: ١٣) ويظن أنها فى الحاضر هى (كرازة) أو (كرازية) شمالى (تل حوم) وهناك اليوم خرائب ومن بينها آثار (مجمع) لليهود وأطلال من حوائط وأعمدة.. وهكذا تم ما أنبأ به المسيح له المجد «**وأنت يا كفرناحوم أتحسبين أنك سترتفعين إلى السماء؟ إنك سيهبط بك إلى الجحيم**» .

- ٤ -

وأنبأ المسيح له المجد عن إمتداد كنيسته حتى يشمل نطاقها العالم كله:

يقول المسيح له المجد: «بماذا نشبه ملكوت الله، أو بأى مثل نمثل له؟ إنه يشبه حبة الخردل أخذها رجل وزرعها فى حقله، وهى التى حين تزرع فى الأرض تكون أصغر جميع الحبوب التى فى الأرض، ولكنها إذا نمت **تعلو وتغدو أكبر البقول كلها، وصارت شجرة عظيمة وترسل أغصاناً وارفة حتى لتأتى طيور السماء وتأوى إلى أغصانها**» (مرقس ٤: ٣٠ - ٣٣)، (متى ١٣: ٣١، ٣٢)، (لوقا ١٣: ١٨، ١٩).

وهكذا صار. لقد نشأت المسيحية نبتة صغيرة زرعها المسيح بنفسه بمجيئه فى الأرض، وعلى الرغم من كل المعوقات والمتاعب والآلام والإضطهادات نمت قليلاً قليلاً، وأخذت تعلو وتعلو حتى صارت دوحة عظيمة وانضمّ إليها خلق كثير من بلاد العالم **وأصبحت الكنيسة المسيحية (ممتدة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها)** .

ولعله إلى امتداد كنيسة المسيح إلى أقاصى الأرض والسماوات أشارت أقوال الأنبياء قديماً (حزقيال ١٧ : ٢٣)، (٣١ : ٦)، (دانيال ٤ : ١٠ – ١٢، ٢١)، (هوشع ١٤ : ٥ – ٧).

ولا شك أن النبى دانيال يشير إلى كنيسة المسيح الممتدة فى الزمان والمكان عندما قال لنبوخذ نصر: «يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتُفنى جميع تلك الممالك، وهى تثبت إلى الأبد» (نبوءة دانيال ٢ : ٤٤).

وقيل أيضاً إن الإمبراطور الرومانى أوغسطس قيصر(Augustus (Caesar (٦٣ ق. م – ١٤م) رأى فى بدء حكمه حلماً مؤداه أنه رأى فى منامه نقطة زيت نبعت من حيث لا يعلم، فإذا بها تكبر وتمتد فأصبحت بركة، فبحيرة، ثم اتسعت فصارت نهراً، وكبرت فصارت بحراً فمحيطاً، وأخذت تعلو شيئاً فشيئاً حتى غطّت الأرض كلها، وجبالها، ثم علت وعلت حتى غطّت السماوات، فاستيقظ الإمبراطور مذعوراً، وجمع العلماء ليفسروا له هذا الحلم، فأنبأوه بمولد إله تغطّى عبادته الأرض والسماوات، ولما لم ينبئوه بحقيقة هذا الإله أمر بأن يقيموا فى جميع البلاد الخاضعة للإمبراطورية الرومانية مذبحاً يكتب عليه (مذبح لإله مجهول). فلما ذهب القديس بولس الرسول إلى أثينا (فوقف بولس فى محفل أريوس باغوس وقال: «يا أهل أثينا أراكم أكثر الناس تديناً فى كل وجه، لأنى وأنا أطوف فى مدينتكم وأنظر إلى معابدكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه (إلى الإله المجهول). **فهذا الذى تعبدونه وأنتم تجهلونه هذا هو الذى أبشركم به. إنه الله خالق الكون وكل ما فيه، فهو رب السماء والأرض»** (أعمال الرسل ١٧ : ٢٢ – ٢٤).

وقد كان حلم أوغسطس قيصر على غرار حلم نبوخذ نصر ملك بابل (٦٠٥ – ٥٦٢ ق. م) فقد رأى فى منامه تمثالاً من ذهب وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف.. وفيما هو ينظر انقطع حجر لا باليدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما.. وصارت كعصافة البيدر، فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها.. وجاء تفسير النبى دانيال الذى كشف له الله (كاشف الأسرار) معنى الحلم ومغزاه فى حقيقة الحجر الذى انقطع لا باليدين وضرب التمثال على قدميه فسحقهما أنه يشير إلى **مملكة (يقيمها) إله السماوات، مملكة لن تنقرض أبداً، وملكها لا يترك لشعب آخر، فتسحق وتفنى جميع الممالك وهى تثبت إلى الأبد** (دانيال ٢ : ٣١ – ٤٥).

وأنبأ المسيح له المجد بانتشار الإنجيل وامتداد كرازته فى كل العالم:

قال المسيح له المجد يُنبئ عن انتشار الإنجيل فى كل العالم وامتداد الكرازة فى كل المسكونة فى جميع أمم الأرض:

«**وسيبشر بإنجيل الملكوت هذا فى كل العالم شهادة لجميع الأمم**» (متى ٢٤: ١٤).

وقال أيضاً «.. **يبشر بهذا الإنجيل فى العالم كله**» (مرقس ١٤: ٩)، (متى ٢٦: ١٣).

«ينبغى أن يتألم المسيح ثم يقوم من بين الأموات فى اليوم الثالث، **وينبغى أن يبشر باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا بين كل الأمم**، ابتداء من أورشليم» (لوقا ٢٤: ٤٦، ٤٧).

* * *

ولقد تم بالفعل ما أنبأ به المسيح له المجد. فقد ذهب الآباء الرسل إلى كل العالم وبشروا بالإنجيل حسب أمره لهم: «فاذهبوا إذن وتلمذوا **جميع الأمم** وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به» (متى ٢٨: ١٩، ٢٠)، «اذهبوا **إلى العالم أجمع**، وبشروا **بالإنجيل كل الخليقة**. فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن أدين» (مرقس ١٦: ١٥، ١٦).

ثم تلمذوا كثيرون، وأقاموا أساقفة وقساوسة وشمامسة، وهؤلاء وغيرهم كرزوا بالإنجيل وعلّموا وما زالوا يكرزون ويعمدون ويعلّمون..

«**نعم، إلى الأرض كلها وصل صوتهم، وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم**» (رومية ١٠: ١٨)، (مزمور ١٨: ٤).

وهكذا انتشر «**الإنجيل** الذى سمعتموه المنادى (**المكروز**) **به فى كل الخليقة** التى تحت السماء» (كولوسى ١: ٢٣).

(لوقا ٢: ٣١، ٣٢)، (٣: ٦)، (كولوسى ١: ٦)، (إشعياء ٤٩: ٦، ٢٢)، (٥٢: ١٠)، (٥٩: ١٩)، (٦٠: ٣، ٥)، (مزمور ١١٢: ٣)، (إرميا ٣١: ٣٤)، (ميخا ٤: ٢)، (ملاخى ١: ١١).

ووفقاً لتقرير (اتحاد دور الكتاب المقدس) ويشمل الفترة منذ اختراع الطباعة حتى آخر ديسمبر لسنة ١٩٨٦، بلغ عدد اللغات التى تم طبع الكتاب المقدس فيها ١٨٤٨ لغة ولهجة.

– ٦ –

وأنبأ المسيح له المجد عن خراب هيكل أورشليم:

هذا الهيكل هو الهيكل (الثانى) الذى سمى بهيكل (هيرودس)، والذى قال عنه اليهود «فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل» (يوحنا ٢: ٢٠)، وهو الذى دخله المسيح له المجد «ووجد فى الهيكل باعة البقر والغنم والحمام، والصيارفة جالسين إلى مناضدهم، فصنع سوطاً من حبال، وطردهم جميعاً من الهيكل مع البقر والغنم، وكبَّ نقود الصيارفة وقلب مناضدهم. وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذه من هنا، ولا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة» (يوحنا ٢: ١٤ – ١٦).

هذا هو بعينه الهيكل الذى أنبأ مخلصنا بخرابه ودماره وأنه لن يبقى فيه حجر على حجر لا يُهدم.

جاء فى الإنجيل للقديس مرقس:

«وبينما كان خارجاً من الهيكل قال له أحد تلاميذه: انظر يا معلم. يا لها من حجارة عظيمة ويا لها من أبنية! فأجاب يسوع وقال له: أترى هذه الأبنية العظيمة؟ **إنها لن يترك منها حجر على حجر لا يُهدم**» (مرقس ١٣: ١، ٢).

وجاء فى الإنجيل للقديس متى:

«ثم خرج يسوع منصرفاً من الهيكل فتقدم إليه تلاميذه يستوقفون نظره على أبنية الهيكل. فأجاب يسوع وقال لهم: أترون هذا كله؟ الحق أقول لكم إنه **لن يترك هنا حجر على حجر لا يهدم**» (متى ٢٤: ١، ٢).

وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا:

«وتحدث البعض عن الهيكل وعما إزدان به من الأحجار الضخمة وتحف النذور، فقال «هذه التى ترونها **ستأتى أيام لن يترك منها حجر على حجر إلا ويهدم**» (لوقا ٢١: ٥، ٦).

وقال المسيح له المجد ينذر أورشليم بمصير الهيكل:

«**يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء.. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً**» (متى ٢٣: ٣٧، ٣٨)، (لوقا ١٣: ٣٤، ٣٥).

وقد تم فعلاً ما أنبأ به المسيح له المجد عن خراب الهيكل ودماره على يد الرومان بعد صعود المسيح إلى السماء بأربعين سنة، أو سنة ٧٠م كما جاء فى بعض المراجع، فقد قام اليهود بثورة ضد الحكومة الرومانية سنة ٦٦م، فأرسل الإمبراطور الرومانى نيرون (٣٧ – ٦٨) حملة تأديبية بقيادة فيسباسيان Flavius Vespasian وابنه (تيطس) Titus مساعده الحربى الرئيسى والأول، حتى إنه بعد عودة الأب إلى روما، وتسلّمه مقاليد الحكم الإمبراطورى (٦٩ – ٧٩)م بقى (تيطس) فى الشرق، إلى أن أنهى الحرب مع اليهود بالإستيلاء على أورشليم وتدمير الهيكل سنة ٧٠م (١).

ويتبين مما كتبه (يوسيفوس) المؤرخ اليهودى فى كتابه (حروب اليهود) (٢) الجزء السادس، الفصلين الرابع والخامس Flavius Josephus, wars of the jews or, the history of the destruction of jerusalem, Book 6 chapters 4, 5 إنه لما استولى عساكر الرومان على المدينة أصدر (تيطس) أمره بأن يدمّروا كل المدينة أورشليم، وأن اليهود أنفسهم هم الذين أحرقوا أروقة الهيكل، ثم قذف أحد جنود الرومان شعلة نار على الباب الذهبى للهيكل فاشتعلت فيه النيران والتهبت إلتهاباً، فأمر القائد الرومانى (تيطس) بإطفائها، ولكن بسبب شدة الإضطراب لم يلتفت أحد إلى أوامره، ثم هجم العسكر الرومانيون على الهيكل، ولم يثنهم عن ذلك وعد ولا وعيد ولا ضرب ولا تهديد. وعلى الرغم من أن (تيطس) كان يرجو بقاء الهيكل، وأرسل مراراً إلى (يوسيفوس اليهودى) يستعين به للتأثير على اليهود وإقناعهم بالتسليم، والعدول عن اللّدد والعناد، لحفظ الهيكل، لكن لم يأت كل ذلك بأى فائدة، فاحترق الهيكل، وتدمر عن آخره. فقد كان الهيكل فى نظر الرومان ليس مجرد معبد دينى لكنه كان لليهود قلعة وحصناً، فلا سبيل لوقف عناد اليهود وتصلبهم فى مقاومة الرومان إلا بتدمير الهيكل نفسه، وهو مجد اليهود ورمز فخرهم وزهوهم وإستعلائهم على كل شعوب الأرض.

وهكذا تم خراب الهيكل، وتحققت نبوءة المسيح له المجد «لن يترك فيه حجر على حجر لا يهدم».

---

(1) The Oxford Dictionary of the Christian Church, Edited by F. L. Cross - The Temple, P. 1328.

- Encyclopedia Americana vol. 26 P. 794 - a-

(2) Flavius Joespus, Wars of the Jews or, The history of the destruction of jerusalem, Book 6 chapter4, 5

وقد حاول اليهود بعد ذلك مراراً وتكراراً إعادة بناء الهيكل الذى تهدّم فباءت كل محاولاتهم بالفشل.

من ذلك على الخصوص هذه المحاولة فى عهد الإمبراطور يوليانوس المرتد Julian the apostate (٣٣٢ – ٣٦٣)م واسمه الكامل Flavius Claudius Julianus والذى قرّب اليهود إليه، وخطط لإعادة بناء هيكلهم (١) A history of the expansion of Christianity, by K. S. Latourette, chapter V, P. 178 تكذيباً لنبوءة المسيح له المجد، وعهد بذلك إلى رجل يدعى البينوس Albinus وعينه حاكماً على اليهودية (٢) .

وزوده بالأموال اللازمة لتحقيق هذا المشروع، وأمره أن ينجز العمل فى أسرع وقت ممكن، ودعا أغنياء اليهود لمؤازرته، فاجتمع منهم فى أورشليم أعداد كبيرة، وشرعوا يجرفون المكان ويحفرون الأرض ويقتلعون الأحجار من الأساسات القديمة، حتى يضعوا الأساسات الجديدة، وأخذوا ينقلون الأتربة والأحجار فى المقاطف وأطراف أرديتهم فى حماسة بالغة.. وعندما شرعوا فى وضع الأساسات الجديدة، بعد أن أزالوا بأيديهم جميع ما تبقّى من الأحجار فى الأساسات القديمة، حدثت زلزلة عظيمة فامتلأ ما احتفروه بالتراب وتبددّت أدوات البناء ومات كثيرون من العمال. فلمّا أعادوا الكرة خرجت من الأرض كرات نارية رشقت وجوه العمال بالأحجار التى جمعوها ليضعوها فى الأساسات الجديدة. وحدث مثل هذا فى كل مرة حاولوا فيها البناء، وهكذا فشلوا فشلاً ذريعاً فى إعادة بناء الهيكل، بل إنهم بمحاولتهم تلك تمموا بأنفسهم نبوءة المسيح له المجد، التى يبدو أنها لم تكن قد تمت حرفياً إلا عندما أرادوا تكذيبها، إذ بأيديهم رفعوا ما تبقى من الأحجار، بعد أن دمر تيطس وجنود الرومان الهيكل فى سنة ٧٠م. وممن روى قصة هذا الفشل اليهودى فى عهد يوليانوس المرتد، القديس غريغوريوس الثيئولوغوس، والقديس يوحنا ذهبى الفم، كما رواها مؤرخ يهودى اسمه اميان.

ويروى المؤرخ (سقراط) فى كتابه (تاريخ الكنيسة) الذى كتبه باليونانية فى مدينة القسطنطينية أن (يوليانوس) المرتد أو الجاحد الذى نودى به إمبراطوراً سنة ٣٦١م أرسل إلى اليهود يسألهم لماذا امتنعوا عن تقديم الذبائح التى أمرت الشريعة الموسوية بتقديمها، فأجابوه بأنه

(1) A history of the Expansion of Christianity, by K. S. Latourette, chapter V, p. 178.

(2) The Ecclestical History and the Martyrs of Palestine by Eusebius, Bishop of Caesaria. vol. I. Book 2 p. 58, 59, 75.

لا يجوز لهم أن يقدموا الذبائح فى أى مكان آخر غير أورشليم، فأصدر (يوليانوس) أمره على الفور، إلى اليهود، ببناء الهيكل فى أورشليم أو بالحرى إعادة بناء الهيكل الذى تهدم فى سنة ٧٠م على يد (تيطس) وجنود الرومان، ففرح اليهود بهذه اللفتة، واندفعوا بحماسة بالغة لتحقيق هذه الأمنية الغالية التى كانت تجيش بها صدورهم ليتمكنوا من تقديم ذبائحهم بمقتضى أوامر الشريعة الموسوية، وتشددوا لإغتنام هذه الفرصة الجميلة التى سنحت لهم، وذهبوا وقلوبهم تغلى حقداً على المسيحيين وتتوقد إحتقاراً وازدراء لهم وتشفياً منهم وتوعدوهم بالإنتقام وأن يصنعوا بهم ما صنعه الرومان باليهود. وزاد الامبراطور (يوليانوس) فى سبيل إرضائه لليهود بأن أمر بأن تُصرف نفقات بناء الهيكل من خزينة الدولة الرومانية، وأن يزوّد اليهود بالأدوات والإمكانيات من خشب وأحجار، وقرميد، وصلصال (طفل) وجير وما إليها من مستلزمات البناء، من مجارف ومعاول وسلال وكلها من الفضة.

وقد تذكر الأسقف (كيرلس) أسقف أورشليم آنذاك نبوءة المسيح له المجد، وقال أمام كثيرين لقد حان الوقت لإتمام نبوءة المخلص بحذافيرها، وتحققها بتمامها.. قال وهذه كلمات الأسقف كيرلس: إنه فى الليلة التالية لبدء اليهود عملهم حدث زلزال عظيم حطّم الأحجار التى كانت لا تزال في الأساسات القديمة للهيكل الذى تدمّر، وبددها ومعها الأبنية المجاورة، واقتلعت العواصف والزوابع والزعابيب الجبس والأتربة ونثرتها فى كل إتجاه، الأمر الذى روّع له اليهود جداً. فلما وصلت أنباء هذا الزلزال إلى اليهود المقيمين فى الأماكن البعيدة هرعوا بأعداد كبيرة إلى مكان الهيكل حيث حدث الزلزال، وشاء الله أن تحدث معجزة أخرى عظيمة، فقد نزلت نار من السماء، وأحرقت جميع أدوات البناء، وظلّت النار مشتعلة لمدة يوم كامل، فأتلفت الفؤوس والأدوات الحديدية والمناشير (جمع منشار) والمطارق، والقُدُم والقدائم (جمع قدّوم)، وبالإجمال دمّرت النار مختلف الأدوات التى حصل عليها البناؤون لإنجاز العمل. ومن فرط إنبهار اليهود بما حدث اضطروا على الرغم منهم إلى الإعتراف بأن المسيح الذى صلبه آباؤهم هو الله، ولو أنهم ظلوا متمسكين بيهوديتهم المتأصلة فى نفوسهم. وقد حدثت أيضاً أعجوبة ثالثة: ذلك أنه فى الليلة التالية ظهرت علامة الصليب فى السماء كما ارتسمت على ملابس اليهود علامة الصليب مطبوعة ولامعة مضيئة وإن كانت أقل بهاء من تلك التى ظهرت فى السماء، وقد حاولوا فى الصباح عبثاً أن يزيلوها أو يمحوها (١).

(1) Socrates' history of the church, Translated from the Greek, London. 1914 Chap. XX. P. 197, 198.

- History of the church, by Theodoret and Evagrius. Translated from the Greek, London,

وأنبأ المسيح له المجد عن خراب مدينة أورشليم:

جاء فى الإنجيل أن المسيح له المجد نزل إلى أورشليم من جبل الزيتون راكباً على جحش، وذلك فى يوم الأحد المعروف بأحد الشعانين، إعلاناً وبياناً أنه الملك الموعود به فى كتب الأنبياء السابقين والذى أنبأ عنه صراحة النبى زكريا بوحى من الله «ابتهجى جداً.. واهتفى يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتى إليك. هو عادل ومنصور، وديع، وراكب على أتان وعلى جحش ابن أتان» (زكريا ٩ : ٩) «والجموع الذين كانوا يسيرون أمامه والذين كانوا يسيرون خلفه، كانوا يهتفون قائلين: المجد لمخلصنا ابن داود. مبارك الملك الآتى باسم الرب. مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. المجد لمخلصنا فى الأعالى. السلام فى السماء والمجد فى الأعالى. هوشعنا. تبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل» (متى ٢١ : ١ – ٩)، (مرقس ١١ : ١ – ١٠)، (لوقا ١٩ : ٢٨ – ٣٨)، (يوحنا ١٢ : ١٢ – ١٦).

ويروى الإنجيل للقديس لوقا قائلاً عن المسيح له المجد:

«ولما اقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: لو أنك أنتِ أيضاً كنتِ تدرين على الأقل فى هذا اليوم الذى هو لك ما هو لأجل سلامك؟ ولكنه الآن محجوب عن عينيك. فإنه ستأتى عليك أيام يحيط بك فيها أعداؤك بالمتاريس، ويطوقونك ويحاصرنك من كل جهة، ويدكونك وبنيك فيكِ، فلا يتركون فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفى زمان إفتقادك» (لوقا ١٩ : ٤١ – ٤٤).

ثم يقول له المجد «فمتى رأيتم علامة النجاسة والخراب التى قيل عنها بفم دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس حيث لا ينبغى أن تكون، فليفهم القارئ. حينئذ فليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال. والذى على السطح فلا ينزل إلى بيته ولا يدخله ليأخذ منه شيئاً. والذى فى الحقل فلا يرجع إلى الوراء ليأخذ رداءه. وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام. فصلوا لئلا يقع هربكم فى الشتاء أو فى السبت، لأنه ستكون حينئذ محنة عظيمة لم يكن مثلها منذ إبتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن ولن يكون. فما لم يكن الرب قد جعل تلك الأيام قليلة فلن يخلص أحد» (متى ٢٤ : ١٥ – ٢٢)، (مرقس ١٣ : ١٤ – ٢٠).

وأضاف المخلص تفصيلات أخرى عن خراب أورشليم يصور بها الضيقة العظيمة التى ستحل بها وبشعبها وما سوف يعانونه من هلاك ودمار وسبى وتشريد: فيقول له المجد «ومتى

رأيتم أورشليم قد أحاطت بها الجيوش فاعلموا أن خرابها قريب. وعندئذ فليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال، والذين فى داخلها فليبارحوها، والذين فى الريف خارجها فلا يدخلوها. لأن هذه ستكون أيام إنتقام ليتم كل ما هو مكتوب. والويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام، فإنه سيكون ضيق عظيم فى الأرض، وسخط على هذا الشعب. وسيسقطون بحد السيف ويؤخذون أسرى إلى كل الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم إلى أن تنقضى أزمنة الأمم» (لوقا ٢١ : ٢٠ – ٢٤).

* * *

وقد تم كل ما أنبأ به المسيح له المجد عن خراب أورشليم، فبعد نحو أربعين سنة من هذا النطق الإلهى قام اليهود بثورة ضد الحكومة الرومانية، فأرسل الإمبراطور نيرون حملة تأديبية سنة ٧٠م بقيادة (فيزياسيان) وابنه (تيطس) Titus، **فحاصر عسكر الرومان أورشليم بجيوشهم من كل جهة، وطوّقوها بالمتاريس الحربية، ودكوها دكاً، ودمّروها تدميراً، وأضرموا النار فيها وأحرقوها عن آخرها، (ولم يتركوا فيها حجراً على حجر). ولقد ذبحوا أهلها فأبادوهم، وأعملوا السيف فى رقاب اليهود حتى صارت دماء قتلاهم كالبحيرات فى شوارع المدينة البائسة، وتكوّمت الجثث أكداساً مكدسة فى ساحاتها وشوارعها وفى كل مكان فى طول المدينة وعرضها.** (كتاب يوسيفوس ـ الجزء السادس فصل ٩).

وقد ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاش تلك الأيام، وكتب عنها فى كتابه عن حروب اليهود، **أن عساكر الرومان كانوا يأتون باليهود ويصلبونهم بالمئات فى هزء وسخرية حتى ضاقت ساحات المدينة بالصلبان، وضاقت الصلبان بالجثث، وقد ذبحوا أكثر من مليون ومائة ألف رجل، وكانوا يشقون بطون الحوامل ويذبحون الرضعاء أمام أعين أمهاتهم.**

وكما أنبأ السيد المسيح له المجد بقوله: «لأن هذه ستكون أيام إنتقام.. فإنه سيكون ضيق عظيم فى الأرض، وسخط على هذا الشعب» (لوقا ٢١ : ٢٢، ٢٣) «لأنه ستكون حينئذ محنة عظيمة لم يكن مثلها منذ ابتداء الخليقة التى خلقها الله إلى الآن، ولن يكون» (متى ٢٤ : ٢١) فقد كان خراب أورشليم ودمارها وهلاك أهلها أبشع محنة مرت بتاريخ البشر. ولهذا فإنه فى يوم أحد الشعانين والجماهير تهتف له مهللة بدخوله الملكى إلى أورشليم كما يقول الإنجيل **«ولما اقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها»** (لوقا ١٩ : ٤١).

ألم ينذر له المجد بمصير هذا الشعب الذى تقسّى قلبه ورفض اليد الإلهية التى امتدت إليه بالخير والسلام، قال: «فماذا يفعل بهم رب الكرم؟ **إنه يأتى فيهلك أولئك الكرامين ويعطى** الكرم لآخرين» (لوقا ٢٠: ١٥، ١٦)، «**إنه يأتى فيهلك الكرامين ويعطى آخرين الكرم**» (مرقس ١٢: ٩).

حقاً كان خراب أورشليم أبشع محنة مرت بتاريخ البشر، فقد حاصر الرومان المدينة أورشليم حصاراً طويلاً، فانقطعت عنها المئونة التى تأتيها من البلاد المجاورة، **فوقعت فريسة لمجاعة مروّعة، وللأوبئة الفتّاكة، وعضّ الأمهات الجوع** حتى لقد اضطرّت بعض النساء - كما يروى يوسيفوس المؤرخ اليهودى - إلى أن يطبخن أولادهن ويأكلنهم «أيادى النساء الحنائن طبخت أولادهن، صاروا طعاماً لهن فى سحق بنت شعبى» (مراثى إرميا ٤: ١٠)، (٢: ٢٠)، (إرميا ١٩: ٩)، (٢. الملوك ٦: ٢٩).

ومن هول ما حدث لأمة اليهود فى خراب أورشليم، اضطر يوسيفوس المؤرخ اليهودى إلى أن يقرّ قائلاً: إننى لا يمكن أن أفكر فى سبب لهذا إلا أن الله قد حتم خراب هذه المدينة النجسة، إذ سمح بهلاك أولئك المدافعين عنها. لأنه **حتى أولئك الكهنة الذين كانوا يرتدون الملابس المقدسة ويرأسون الصلوات العامة وكانوا موضع التبجيل من الناس جميعاً قد طُرحوا عُراة فى الوحل وصاروا مأكلاً للكلاب وطعاماً للحيوانات المفترسة واكتظت الخلجان بالجثث المنتفخة وقد ضربتها الشمس، فانبعثت منها رائحة الموت، وتساقطت عليها الطيور تنهشها وتبعثر فى كل الأرجاء أشلاءها**».

وقال آخرون من مؤرخى اليهود الذين شاهدوا خراب أورشليم «إن هذه المدينة قد استوفت عقابها، لأنها أنجبت جيلاً من الرجال كانوا سبب تعاستها».

ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودى إنه **قد هلك فى تلك الحرب من اليهود مليون ومائة ألف رجل. ونحو مليون أو أكثر من الرجال والنساء والأطفال ماتوا جوعاً. وأما الباقون، وهم حوالى المليون تشتتوا وتبعثروا فى كل الأنحاء والبلاد الخارجية، وفقاً لما أنبأ به المسيح له المجد «وسيسقطون بحد السيف ويؤخذون أسرى إلى كل الأمم، وتكون أورشليم مدوسة من الأمم إلى أن تنقضى أزمنة الأمم**» (لوقا ٢١: ٢٤).

وقد ذكر المؤرخ اليهودى فلافيوس يوسيفوس Flavius Josephus فى كتابه (حروب اليهود أو تاريخ خراب أورشليم .-Wars of the jews or the history of the destruction of Jeru salem. Vol. IV, Book VI, Chap. V, 3 المجلد الرابع، الجزء السادس، الفصل الخامس، الفقرة الثالثة، جملة علامات حدثت قبل خراب أورشليم مطابقة لما سبق وأنذر به المسيح له المجد تلاميذه والمؤمنين به بقوله: **«وتظهر فى السماء مناظر مرعبة وعلامات مهولة»** (لوقا ٢١ : ١١).

منها أن نجماً يشبه السيف ظهر فوق أورشليم، يصاحبه مذنب، وقد استمر ظهورهما سنة كاملة.

ومنها أنه قبل بدء حرب اليهود مع الرومان، فى عيد الفطير (عيد الفصح) الذى يوافق اليوم الثامن من شهر أكزانثيكوس Xanthicus أو نيسان، وفى الساعة التاسعة من الليل، سطع نور عظيم حول المذبح والهيكل، كأنه نور الشمس، واستمر ظهوره على هذا النحو حوالى نصف ساعة.

ومنها أنه فى ذلك العيد نفسه كانت عِجلة (بقرة صغيرة) يسوقها رئيس الكهنة لتقديمها ذبيحة، فولدت حملاً فى وسط الهيكل.

ومنها أن البوابة الشرقية لساحة الهيكل وكانت ضخمة ثقيلة جداً مصبوبة من النحاس الخالص، لا يستطيع أن يغلقها كل مساء أقل من عشرين رجلاً، وهى مستقرة على قاعدة مسلّحة بالحديد، ولها مزالج ثابتة بعمق فى الأرضية التى كانت تتكون من حجر واحد عظيم الضخامة ـ هذه البوابة تنفتح من تلقاء نفسها فى الساعة السادسة من الليل، فجاء حراس الهيكل يركضون نحو قائد الهيكل وأخبروه عنها، فقام وأغلقها مع أعوانه بعد مجهود عظيم. ويقول يوسيفوس إن هذه الحادثة بدت للعامة أعجوبة تشير إلى أن الله فتح لليهود باب السعادة، ولكن العلماء منهم فهموا منها أن أمن هيكلهم قد زال من تلقاء ذاته، وأن البوابة قد انفتحت لمصلحة أعدائهم. وكان ذلك علامة على الخراب الذى حل باليهود. وأما يوسيفوس فقد كانت تدل هذه العلامة فى نظره على تخلى العناية الإلهية عن اليهود.

ثم يقول يوسيفوس إنه فى اليوم الأول، وفى العشرين من شهر ارتيميسيوس Artemisius (آيار)، بعد عيد الفطير، بأيام، حدثت ظاهرة عجيبة أخرى لا يكاد أن يصدقها العقل، وتبدو

خرافة لولا أن الذين رووها هم الذين شاهدوها بأعينهم، إذ يقولون إنه قبل غروب الشمس شوهدت مركبات وجمهرة من الجند مسلحين بدروعهم يجرون بين السحب، ويحيطون بالمدن. وفى العيد الذى تسمى عيد الحصاد - أو الخمسين Pentecost فيما كان الكهنة داخلين ليلاً إلى الفناء الداخلى للهيكل كعادتهم لأداء خدماتهم الدينية المقدسة، قالوا إنهم أحسّوا بزلزلة وسمعوا جلبة عظيمة، ثم إذا بصوت يدوى كأنه صادر عن جمهور كثير يقول «امضوا بنا من هنا».

على أن ما هو أفظع من كل هذا، هو ذلك الرجل المسمى (ابن أنانوس) Jesus the son of Ananus وكان فلاحاً عامياً جلفاً، إذ ظل أربعة أعوام متوالية قبل أن تبدأ حرب اليهود مع الرومان - وكانت أورشليم لا تزال فى رخاء وسلام عظيمين - لا يفتأ يصرخ بصوت عظيم قائلاً: «صوت من المشرق، صوت من المغرب، صوت من أربعة الرياح، صوت ضد أورشليم والهيكل المقدس، صوت ضد العرائس من الرجال والنساء، صوت ضد الشعب جميعه!». وقد كان ذلك الرجل يصرخ ليلاً ونهاراً بهذه العبارات فى جميع شوارع أورشليم وأزقتها، حتى لقد استاء كثيرون من عظماء الأمة من صيحاته تلك وأخذوا الرجل وضربوه ضرباً موجعاً، ومع ذلك استمر يردد العبارات نفسها التى كانت يصرخ بها من قبل. فاشتد حنق حكام اليهود عليه وجاءوا به إلى الحاكم الرومانى، وجلدوه حتى تعرّت عظامه، ولكن مع ذلك لم يتأوه أو يتوجع أو يتوسل إليهم أن يكفوا عن تعذيبه، وإنما أخذ يصرخ بأكثر شدة وبأعلى صوته، قائلاً مع كل جلدة يصيبونه بها: «الويل الويل لأورشليم!» فلما سأله البينوس Albinus حاكم اليهود: من أنت؟ ومن أين أتيت؟ ولماذا تصرخ بهذه العبارات؟ لم يجب بشئ، وإنما واصل ترديد هتافه المرير الحزين، ومن ثم اعتبره البينوس مخبولاً، وأطلق سراحه. فراح يردد ذلك الهتاف فى كل لحظة، وكأنما قد أخذ على نفسه عهداً به. ويقول يوسيفوس: «حقاً لقد كان هذا نذير شؤم عمّا كان مزمعاً أن يحدث» . وقد ظل ذلك الرجل يردد صرخته المشئومة تلك «الويل، الويل لأورشليم!» سبع سنوات وخمسة أشهر متوالية، حتى جاء الرومان بالفعل وحاصروا أورشليم، وعندئذ أخذ يدور حول سور أورشليم صائحاً بأعلى صوته وبكل قوته: «الويل الويل للمدينة، وللشعب، وللهيكل المقدس» ثم أخيراً قال: « الويل الويل لى أنا أيضاً» وعندئذ أصابه حجر من الأحجار التى كان المتحاربون يتقاذفونها، فمات على الفور وهو لا يفتأ يردد نذيره حتى أسلم الروح.

وقد ردد هذه الأحداث الغريبة يوسابيوس أسقف قيصرية فى كتابه: «تاريخ الكنيسة وشهداء فلسطين» الكتاب الثالث، الفصل الثامن The Ecclesiastical history and the martyrs of

palestine, by eusebius, Bishop of Caesaria, Book III, chapter VIII نقـــلاً عن المؤرخ اليهودى يوسيفوس.

- ٨ -

وأنبأ المسيح له المجد عن نهاية العالم وزواله، وعن علامات هذه النهاية، كما أنبأ عن مجيئه الثانى للدينونة وعلامات هذا المجئ:

جاء فى الإنجيل:

«وبينما كان جالساً على جبل الزيتون تجاه الهيكل، تقدّم إليه تلاميذه (على إنفراد)، وسأله بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس على إنفراد قائلين: قل لنا متى سيكون هذا؟ وما علامة مجيئك وانقضاء هذا الدهر؟ متى يحدث هذا يا معلم، وما هى العلامة التى ستنبئ بهذا حين يوشك أن يحدث؟ فأجاب يسوع وشرع يقول لهم: احذروا من أن يضلكم أحد».

الحروب والمجاعات والأوبئة ومناظر فى السماء مرعبة:

«وإن سمعتم بحروب واضطرابات، وشائعات عن حروب، فاحترزوا من أن تجزعوا» لأنه لابد أن يحدث هذا أولاً «لابد أن يكون هذا كله، وإنما لا يكون المنتهى بعد» ولكن النهاية لن تعقب ذلك فوراً «فسوف تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة» «وتقع زلازل عنيفة فى أماكن شتى»، «وتحدث مجاعات وأوبئة واضطرابات فى أماكن شتى» «وتظهر فى السماء مناظر مرعبة وعلامات مهولة» «غير أن هذا كله ليس إلا بدء الأوجاع، بدء المخاض» (متى ٢٤ : ٣ - ٣١)، (مرقس ١٣ : ٣ - ٢٧)، (لوقا ٢١ : ٧ - ٢٨).

اضطرابات العلاقات العائلية:

«عند ذاك سيسلم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ابنه، ويقوم الأبناء على آبائهم فيقتلونهم» (مرقس ١٣ : ١٢)، (متى ١٠ : ٢١).

الكوارث الكونية فى الشمس والقمر والنجوم والأفلاك:

وستكون ثمة علامات فى الشمس والقمر والنجوم، ويكون على الأرض كرب للشعوب وبلبلة، ويضج البحر وتزأر الأمواج. ويُغشى على الناس من الرعب ومن توقع ما قد ينزل بالعالم، لأن قوات السماوات تتزعزع (لوقا ٢١ : ٢٥، ٢٦).

«وفى تلك الأيام على أثر تلك المحنة ستظلم الشمس ولا يعطى القمر ضوءه، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع القوات التى فى السماوات» (مرقس ١٣ : ٢٤، ٢٥)، (متى ٢٤ : ٢٩). انظر (سفر الرؤيا ٦ : ١٢، ١٣).

عودة اليهود من الشتات إلى فلسطين:

«فمن شجرة التين خذوا لكم مثلاً، إذ أنها متى لانت أغصانها ونبتت أوراقها علمتم أن الصيف قريب. هكذا أنتم متى رأيتم هذا كله فاعلموا أن ابن الإنسان قريب على الأبواب. الحق أقول لكم إنه لن ينقضى هذا الجيل حتى يتم هذا كله». «متى رأيتم هذه الأمور تحدث، فاعلموا أن ملكوت الله قريب. الحق أقول لكم إنه لن يمضى هذا الجيل حتى يحدث كل هذا» (مرقس ١٣ : ٢٨ – ٣٠)، (متى ٢٤ : ٣٢ – ٣٤)، (لوقا ٢١ : ٢٩ – ٣٢).

«تزول السماء والأرض، أمّا كلامى فلا يزول. وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد ولا حتى ملائكة السماوات، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب وحده» (متى ٢٤ : ٣٥، ٣٦)، (مرقس ١٣ : ٣١، ٣٢)، (لوقا ٢١ : ٣٣).

الطوفان (الكارثة الكونية المتوقعة):

«فكما كانت أيام نوح، هكذا يكون مجئ ابن الإنسان. إذ كما كانوا فى الأيام السابقة على الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون حتى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك، ولم يكونوا يعلمون حتى جاء الطوفان فجرفهم جميعاً، هكذا يكون مجئ ابن الإنسان» (متى ٢٤ : ٣٧ – ٣٩).

«وكما كان فى أيام نوح، هكذا سيكون أيضاً فى أيام ابن الإنسان. فقد كانوا يأكلون ويشربون ويتخذ الرجال زوجات وتتخذ النساء أزواجاً، إلى يوم أن دخل نوح الفلك، فجاء الطوفان وأهلك الجميع. وكما كان فى أيام لوط، إذ كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون. ثم يوم أن خرج لوط من سدوم أمطرت السماء ناراً وكبريتاً فأهلكت الجميع، هكذا يكون فى اليوم الذى فيه سيظهر ابن الإنسان. فمن كان فى ذلك اليوم على السطح، وأمتعته فى البيت فلا ينزل ليأخذها، ومن كان فى الحقل فلا يرتد أيضاً إلى الوراء. تذكّروا زوجة لوط..» (لوقا ١٧ : ٢٦ – ٣٢).

المجئ الثانى للمسيح له المجد هو الله الديان
ظهر فى الهيئة كإنسان ولذلك سمى ذاته (ابن الإنسان)

«وحينئذ تظهر فى السماء علامة ابن الإنسان، فتنوح وقتئذ جميع قبائل الأرض، ويرون ابن الإنسان آتياً على سحب السماء بقوة ومجد عظيم، ثم يرسل ملائكته ببوق عظيم، فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع، من أقاصى السماوات إلى أقاصيها» (متى ٢٤ : ٣٠، ٣١)، (متى ١٣ : ٤١).

«وعندئذ سيرون ابن الإنسان آتياً فى السحاب بقوة ومجد عظيم. فمتى بدأ هذا يحدث، فتطلعوا إلى الأعالى رافعين رؤوسكم، لأنه عندئذ يكون خلاصكم قد اقترب» (لوقا ٢١ : ٢٧، ٢٨).

«سترون ابن الإنسان جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحب السماء» (متى ٢٦ : ٦٤).

انظر (أعمال الرسل ١ : ١١)، (١. تسالونيكى ١ : ١٠)، (٤ : ١٦)، (٢. تسالونيكى ١ : ٧، ١٠)، (٢ : ١، ٨).

«وحينئذ سيرون ابن الإنسان آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد. ثم يرسل ملائكته فيجمع مختاريه من الرياح الأربع، من أقاصى الأرض إلى أقاصى السماء» (مرقس ١٣ : ٢٦، ٢٧).

انظر (١. كورنثوس ١ : ٧).

«لأن ابن الإنسان سيأتى فى مجد أبيه مع ملائكته المقدسين، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله» (متى ١٦ : ٢٧)، (مرقس ٨ : ٣٨).

«لأنه كما ينبعث البرق من المشرق فيضئ فى المغرب، هكذا سيكون مجئ ابن الإنسان» (متى ٢٤ : ٢٧).

«لأنه كما أن البرق الذى يبرق فى ناحية من السماء يضئ فى الناحية الأخرى منها، هكذا سيكون مجئ ابن الإنسان فى يومه» (لوقا ١٧ : ٢٤).

وجوب الحذر والسهر:

«فانتبهوا لأنفسكم لئلا تصير قلوبكم مثقلة بالتخمة والسكر والإنغماس فى المشاغل الدنيوية، فيفاجئكم ذلك اليوم بغتة. لأنه سيطبق كالفخ على جميع أهل الأرض كلها. فاسهروا إذن،

مواظبين على الصلاة فى كل حين، كى تصيروا أهلاً للنجاة من كل هذا المزمع أن يكون، ولأن تقفوا بين يدى ابن الإنسان» (لوقا ٢١ : ٣٤ – ٣٦) .

«فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة سيأتى ربكم. واعلموا أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة سيأتى اللص لسهر ولم يترك له بيته ليسرقه. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين، لأنه فى ساعة لا تعلمونها سيأتى ابن الإنسان» (متى ٢٤ : ٤٢ – ٤٤) .

«فاحذروا واسهروا وصلوا لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت. فإن مثل ذلك كمثل رجل سافر وترك بيته وأعطى سلطة لخدمه، ولكل واحد عمله، ثم أوصى البواب أن يسهر. فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون متى يجئ رب البيت، أفى المساء أم فى منتصف الليل أم عند صياح الديك أم فى الصباح، لئلا يجئ بغتة ليجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا» (مرقس ١٣ : ٣٣ – ٣٧) .

ألا يعرف المسيح له المجد: اليوم والساعة؟

جاء فى الإنجيل للقديس مرقس، أن المسيح له المجد، سأله تلاميذه عن علامة مجيئه الثانى وإنقضاء هذا الدهر الحاضر، ونهاية العالم، فأجاب بإفاضة كبيرة، منبئاً بأحداث كونية ودينية كثيرة، فصّل القول فيها تفصيلاً، مما يدل دلالة قاطعة على علمه الواسع بالمستقبل البعيد، ومع ذلك ولدهشة تلاميذه، ودهشة كل من يقرأ ويسمع تصريحه الغريب العجيب يقول:

«وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب» (مرقس ١٣ : ٣٢).

فمن هو (الابن)؟

ألیس هو «المسيح الله ابن الله الحى؟» **(متى ١٦ : ١٦)** ، **(لوقا ٩ : ٢٠)** ، **(متى ٢٦ : ٦٣)** ، (يوحنا ٩ : ٦٩)، (١١ : ٢٧)، (أعمال ٨ : ٣٧)، (٩ : ٢٠) (١) .

(١) انظر (متى ٣ : ١٧) ، (٤ : ٣)، (٨ : ٢٩)، (١٧ : ٥) ، (مرقس ١ : ١١) ، (٩ : ٧) ، (١٤ : ٦١) ، (لوقا ١ : ٣٥) ، (٣ : ٢٢) ، (يوحنا ٣ : ١٧، ٣٥) ، (٥ : ١٩، ٢٦) ، (١٤ : ١٣) ، (١٧ : ١) ، (رومية ٥ : ١٠) ، (٨ : ٣، ٣٢) ، (١ . تسالونيكى ١ : ١٠) ، (العبرانيين ١ : ٢)، (٤ : ١٤)، (١ . يوحنا ٤ : ١١، ١٤، ١٥) ، (٥ : ٥، ٩، ١٢، ٢٠) ، (٢ . يوحنا ٩) ، (٢ . بطرس ١ : ١٧).

«**وابن الله العلى**» (لوقا ١ : ٣٢)، (مرقس ٥ : ٧)، (لوقا ٨ : ٢٨).

«**وابن الله الوحيد**» (يوحنا ١ : ١٤، ١٨)، (٣ : ١٦، ١٨)، (١. يوحنا ٤ : ٩).

«**عمانوئيل**» الذى تفسيره «**الله معنا**» (متى ١ : ٢٣)، (إشعياء ٧ : ١٤).

«**صورة الله الغير المنظور**» (كولوسى ١ : ١٥)، (٢. كورنثوس ٤ : ٤)، (فيلبى ٢ : ٦).

«**ضياء مجد الله، وصورة جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته**» (العبرانيين ١ : ٣).

«**الإله القادر على كل شئ**» (الجليان - الرؤيا ١٥ : ٣)، (١ : ٨)، (١٦ : ٧)، (١٩ : ٦)، (٢١ : ٢٢)، (إشعياء ٩ : ٦).

«**الذى أنشأ العالمين**» (العبرانيين ١ : ٢)، (١١ : ٣).

«**كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة**» (يوحنا ١ : ٣، ٤).

«**مبدئ خليقة الله**» (الجليان - الرؤيا ٣ : ١٤).

«**فيه خلق كل شئ مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يُرى**، عروشاً كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. كل شئ خلق به وله. **كان قبل كل شئ وبه قوام كل شئ**» (كولوسى ١ : ١٦، ١٧).

«**مبدئ الحياة**» (أعمال ٣ : ١٥)، (يوحنا ١٤ : ٦)، (١١ : ٢٥).

«**خبز الحياة**» (يوحنا ٦ : ٣٥، ٤٨، ٥١).

«**من أجله كل شئ، وبه كل شئ**» (العبرانيين ٢ : ١٠).

«**فكل شئ هو منه وبه وإليه، فله المجد أبد الدهور**» (رومية ١١ : ٣٦).

«**كان فى العالم، وكون العالم به**» (يوحنا ١ : ١٠).

«**يسوع المسيح، به كان كل شئ وبه نحن قائمون**» (١. كورنثوس ٨ : ٦).

«**لأنك خلقت الأشياء كلها وبمشيئتك كانت وخلقت**» (الجليان - الرؤيا ٤ : ١١).

«**يسوع المسيح، إنما هو رب الناس أجمعين**» (أعمال ١٠ : ٣٦).

«هو الألف والياء، البدء والنهاية» (الجليان - الرؤيا ١ : ٨)، (٢١ : ٦)، (٢٢ : ١٣).

«الأول والآخر» (الجليان - الرؤيا ٢٢ : ١٣)، (١ : ١١، ١٧)، (٢ : ٨).

«الكائن دائماً» (يوحنا ٨ : ٥٨)، (الجليان - الرؤيا ٢٢ : ١٦).

«الكائن والذى كان والذى سيأتى، القادر على كل شئ» (الجليان - الرؤيا ١ : ٨)، (٤ : ٨)، (١١ : ١٧).

«يسوع المسيح هو هو بالأمس واليوم وإلى الأبد» (العبرانيين ١٣ : ٨).

«وجاء المسيح فى الجسد، وهو الكائن فوق كل شئ، إله مبارك إلى الأبد» (رومية ٩ : ٥).

«أبو الأبد» (إشعياء ٩ : ٦).

«وارث لكل شئ» (العبرانيين ١ : ٢)، (مزمور ٢ : ٨)، (متى ٢٨ : ١٨)، (مرقس ١٢ : ٧)، (رومية ٨ : ١٧).

«يسوع المسيح رب المجد» (يعقوب ٢ : ١)، (١ . كورنثوس ٢ : ٨)، (أعمال ٧ : ٢).

«الرب من السماء» (١ . كورنثوس ١٥ : ٤٧).

«الرب الإله» (يوحنا ٢٠ : ٢٨).

«المسيح الذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (كولوسى ٢ : ١٣)، (يوحنا ٢ : ٢٥).

«المسيح قوة الله وحكمة الله» (١ . كورنثوس ١ : ٢٤، ٣٠، ١٨)، (رومية ١ : ١٦)، (لوقا ١١ : ٩).

«ربنا يسوع المسيح ذلك السعيد القدير وحده، ملك الملوك ورب الأرباب، له وحده الخلود، ومسكنه نور لا يقترب منه» (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٥، ١٦)، (الجليان - الرؤيا ١٧ : ١٤)، (١٩ : ١٦)، (١ : ٥)، (٢٢ : ١٦)، (أعمال ٣ : ١٥)، (٥ : ٣١)، (العبرانيين ٢ : ١٠)، (إشعياء ٩ : ٦).

«القدوس ابن الله، «قدوس الله»، «القدوس يسوع» (لوقا ١ : ٣٥)، (مرقس ١ : ٢٤)، (لوقا ٤ : ٣٤)، (أعمال ٣ : ١٤)، (٤ : ٢٧، ٣٠)، (دانيال ٩ : ٢٥).

«ملك القديسين» (الجليان ـ الرؤيا ١٥ : ٣) ، (دانيال ٩: ٢٥) ، (يوحنا ١ : ٤٩) .

«الحق والحياة» (يوحنا ١٤ : ٦) ، (١ : ٤ ، ١٤) ، (٨ : ٣٢) .

«النور الحقيقى» (يوحنا ١ : ٩)،(٨ : ١٢) ، (١ . يوحنا ٢ : ٨) ، (١ : ٤ ، ٨) .

«كوكب الصبح المنير» (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ١٦) .

«المسيح كلمة الله الأزلى الذى اتّخذ جسداً» (يوحنا ١ : ١ ، ١٤) (الجليان ـ الرؤيا ١٩ : ١٣) .

* * *

فإذا كان المسيح له المجد يتصف بكل هذه الصفات التى لا يتّصف بها غير الله وحده ، فهو له المجد **هو الله وهو ابن الله**. هو «**الله الذى ظهر فى الجسد**» (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) وهو «ابن الله» بمعنى أنه **صورة الله الغير المنظور** (كولوسى ١ : ١٥) الله الذى لا يُرى، اتّخذ جسداً «وظهر فى الهيئة كإنسان» (فيلبى ٢ : ٨) والغير المنظور صار منظوراً. بهذا المعنى سُمى المنظور «**ابن الله**» أى أن «**الله تجلى**» وصار له كيان منظور. وبهذا المعنى أجاب المسيح له المجد على سؤال تلميذه فيلبس الذى سأله قائلاً «يا رب أرنا الآب وكفانا» . قال له يسوع: «**أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب**. فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ **ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ**؟ إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، وإنما الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله . **صدّقونى أنّى فى أبى وأن أبى فىّ**» (يوحنا ١٤ : ٨ – ١١) وقال له المجد لتلاميذه «**لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً**. ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه» (يوحنا ١٤ : ٧) . وهذا هو المفهوم من قول الكتاب المقدس أن المسيح ابن الله . هو «ابن الله» لا بمعنى الولادة الحسية كما هو الأمر فى عالم الإنسان أو الحيوان. معاذ الله أن يُقال عن الله إنه يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان. إنما البنوة لله هى بمعنى **أن المسيح الظاهر فى الجسد هو «صورة الله الغير المنظور» فمن رآه فقد رأى الآب الغير المنظور.**

إذا كان ذلك كذلك أن المسيح يسوع هو الله الذى ظهر فى الهيئة كإنسان (فيلبى ٢ : ٨) وهو الغير المنظور فى طبيعته الإلهية وقد صار له كيان منظور، فهو بالتالى **يَعلَم كل شئ من حيث هو الله ، ولا تخفى عليه خافية**. وإذن فهو قطعاً بصفته اللاهوتية والإلهية يعلم

باليـــوم والسـاعـة التى تنتـهى فيـهـا هيئـة العـالم وتزول، ويعلم بيـوم المجئ الثـانى للدينـونة وسـاعة المجئ.

ومع ذلك يبقى السؤال قائماً: إذا كان المسيح له المجد يعلم باليوم والساعة، فلماذا ينفى عنه هذا العلم بقوله «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء، ولا الابن، إلا الآب» (مرقس ١٣ : ٣٢).

الواضح أنه له المجد ينفى عن ذاته هذه المعرفة لا بصفته إلهاً بل **بصفته إنساناً**، فالمسيح له المجد يجمع بطبيعة الاتحاد القائم بين لاهوته وإنسانيته، بين الله والإنسان، من حيث أنه وهو الله قد اتّخذ جسداً، احتجب فيه لاهوته عن الناس حتى لا يهلكوا ويبيدوا «لأن إلهنا نار آكلة» (العبرانيين ١٢ : ٢٩)، (الخروج ٢٤ : ١٧).

وإذن بصفته إنساناً لا يعلم اليوم والساعة، ولكنه قطعاً يعلمهما بصفته إلهاً.

ولقد اقتضت حكمته أن يحتجز هذه المعرفة فلا يبيحها للناس، حتى يكونوا دائماً على أهبة الاستعداد دائماً بالسهر الروحى واليقظة الروحية. كما صرّح له المجد بقوله لتلاميذه وللناس بعامة «**فانتبهوا لأنفسكم** لئلا تصير قلوبكم مثقلة بالتخمة والسكر والانغماس فى المشاغل الدنيوية، **فيفاجئكم ذلك اليوم بغتة**. لأنه سيطبق كالفخ على جميع أهل الأرض كلها. **فاسهروا إذن، مواظبين على الصلاة فى كل حين، كى تصيروا أهلاً للنجاة من كل هذا المزمع أن يكون، ولأن تقفوا بين يدى ابن الإنسان**» (لوقا ٢١ : ٣٤ – ٣٦) «**فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة سيأتى ربكم**. واعلموا أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة سيأتى اللص لسهر ولم يترك له بيته ليسرقه. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين، **لأنه فى ساعة لا تعلمونها سيأتى ابن الإنسان**» (متى ٢٤ : ٤٢ – ٤٤) «فاحذروا واسهروا وصلوا **لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت**. فإن مثل ذلك كمثل رجل سافر وترك بيته وأعطى سلطة لخدمه، ولكل واحد عمله، ثم أوصى البواب أن يسهر. **فاسهروا إذن لأنكم لا تعلمون متى يجئ رب البيت، أفى المساء أم فى منتصف الليل أم عند صياح الديك أم فى الصباح، لئلا يجئ بغتة ليجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع: اسهروا» (مرقس ١٣ : ٣٣ – ٣٧).**

يقول القديس **أثناسيوس الرسولى** فى ردّه على أريوس الذى استغل تصريح المسيح له المجد فى قوله: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب» وأساء الفهم، وأساء التأويل..

قال «إن السيد المسيح قال لتلاميذه عن يوم وساعة مجيئه إنه لا يعرفهما أحد ولا الابن، لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السر إنى لا أعلم هذه المسألة، أى لا أعلمها علماً يُباح به، لأن بطرس قال له «يا رب أنت تعلم كل شئ».

أما لماذا أنكر المسيح عن نفسه هذه المعرفة، فلأن لله حكمة فى أن يظل يوم الساعة مخفياً عن الناس حتى لا يتوانوا عن الجهاد والعمل والنشاط، كالمعلم الذى ينبئ التلاميذ بإمتحان يعقده فى يوم مجهول، حتى يكون التلاميذ فى حالة إستعداد دائم.

حقاً إن المسيح كإله يعلم قطعاً باليوم والساعة التى تزول فيها هيئة العالم، ويأتى المسيح فى مجيئه الثانى للدينونة، لكنه قال «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب». ومثل المسيح له المجد فى هذا مثل المعلم الرقيب الذى يجيب على تلميذ يسأله ساعة الإمتحان وفى قاعة الإمتحانات عن معلومة لا يجوز أن يصرّح بها فى وقت الإمتحان بقوله «لا أعلم» مع أنه وهو المعلم يعلم. فلو أنه صرح بالمعلومة فى أثناء الإمتحان لإنتفت الحكمة من عقد الإمتحانات.

بل قل أيضاً إن مثل المسيح له المجد فى قوله «الابن لا يعلم» مثل المعلم الذى يسأله تلميذ بعد الإمتحانات، فى الفترة السابقة على إعلان النتيجة رسمياً ما إذا كان قد نجح أو رسب، فيجيبه بقوله «لا أعلم» على الرغم من أنه يعلم، خصوصاً إذا كان هذا المعلم عضواً فى لجنة الإمتحانات ورصد الدرجات، فقوله «لا أعلم» مع أنه يعلم، مفاده «إننى لا أشاء أن أصرّح» قبل الوقت المناسب المحدد لإعلان النتيجة رسمياً.

ومثله أيضاً مثل السياسى الحصيف، عندما يسأله الصحفيون عن أمر لا يشاء أن يصرّح به قبل الأوان المناسب بقوله «لا أعلم» وذلك جرياً على مبدأ عدم التصريح بأمر، إعلانه للناس قبل الوقت المناسب يتعارض مع المصلحة العامة، سياسياً أو إجتماعياً أو إدارياً .. فإذا قال «لا أعلم» فالمعنى الواضح من ذلك هو أنه لا يريد أن يصرّح حتى لو كان يعلم، نظراً لما قد يترتب على التصريح من أضرار فردية أو إجتماعية. ولقد صار هذا التعبير «لا أعلم» مشاعاً عند الناس عالمياً، وهو من المصطلحات السياسية الحكيمة المقررة والمعروفة دولياً وصار من الأوضاع المألوفة، وكأنه لغة متداولة يتعامل بها الناس فى المجتمعات المتحضرة، محافظة على القيم الإجتماعية القائمة.

وثمت دليل أو قرينة واضحة على أن قول المسيح له المجد: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد.. ولا الابن إلا الآب» يتجه إليه من حيث هو إنسان لا من حيث هو إله، إنه فى تصريحه هذا لم ينف هذا العلم عن «الروح القدس». والروح القدس مع الآب والابن، ثالوث فى واحد، وواحد فى ثالوث (متى ٢٨: ١٩).

ولما كان الروح القدس هو الله ذاته، لأن الله روح (يوحنا ٤: ٢٤)، أو هو الروح الأعظم، أبو الأرواح (العبرانيين ١٢: ٩)، وإله الأرواح (سفر العدد ٢٧: ١٦)، ثم هو الروح القدس لأن الله هو القدوس (١. بطرس ١: ١٥، ١٦)، فالروح القدس يعلم إذن باليوم والساعة. فإذن قول المسيح «لا يعلمهما أحد، ولا الابن» ينصرف إلى الابن من حيث هو إنسان. فإنه من حيث هو إله لابدّ أن يعلم باليوم والساعة وبكل شئ، ذلك لأنه من حيث هو إله هو كائن مع الآب والروح القدس أزلياً وأبدياً، فكيف يعلم الآب ولا يعلم الابن والروح القدس معه؟... والأقانيم الثلاثة كيان واحد، وجوهر واحد، وذات إلهية واحدة، .. والأقانيم الإلهية خاصيات ذاتية فى الله الواحد بغير إنقسام ولا إفتراق ولا تجزئة.

والخلاصة أن المسيح له المجد من حيث هو الله المتجسد يعلم بكل شئ، وبالتالى يعلم باليوم والساعة التى تزول فيها هيئة العالم الحاضر، ويأتى المسيح فى مجيئه الثانى للدينونة، ولكنه مع علمه المطلق بذلك، قال «لا يعلم» كإنسان. ولمّا كان المسيح هو الله وقد «اتّخذ جسداً» (يوحنا ١: ١٤) استتر فيه لاهوته، فالمسيح وهو الإله متجسداً، «لا يعلم كل شئ» (يوحنا ٢١: ١٧)، ولكنه بحكمته لم يشأ أن يصرّح بما يعلمه، ليكون تلاميذه والمؤمنون به على استعداد دائم وترقب دائم لمجيئه، باليقظة الروحية والسهر الروحى، وحتى لا يغفلوا عن الإستعداد للمجئ الثانى. وحتى لا يسأله تلاميذه وهم يعرفون عنه أنه «يعلم كل شئ» (يوحنا ١٦: ٣٠)، أغلق عليهم الباب حتى لا يسألوه عن اليوم والساعة، بقوله «لا يعلم».

ثم كيف لا يعلم باليوم والساعة وهو الذى أفادهم عن أحداث اليوم والساعة بأدق التفاصيل؟

وإذن فقوله «لا يعلم» هو «رفض» بإباحة علمه لمن يريدهم أن يظلّوا غير عارفين، حتى يكونوا دائماً مستعدين ومترقبين ظهوره، فلا يكسلوا عن مواصلة السهر والجهاد (١).

---

(١) انظر إجابة سؤال رقم ٢٧ ص ٦٥٩، وسؤال رقم ٣٦ ص ٦٨٣.

المسيح القادر على كلّ شيء

الله وحده هو القدير والقادر على كل شيء

حقا إن للإنسان بعض القدرة، أو القدرات، وهى الإمكانات والإمكانيات، التى بها يمكن أن يوجد ويبدع ويبتكر ويخلق، حتى يمكن أن يوصف الإنسان بأن له قدرات خلاقة. على أن هذه القدرة أو القدرات محدودة ومحصورة، ثم أنها ليست أصيلة فيه، وإنما هى ممنوحة له من الخالق الأعظم، فهو الرب الذى «جبل الإنسان تراباً من الأرض ونفخ فيه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية» (التكوين ٢ : ٧) . فبفضل هذه النفخة الإلهية، والعطية العظيمة، صار الإنسان ملك الخليقة كلها، الحية والجامدة، فتسلط على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض، فإن الإنسان خلقه الله على صورة الله ومثاله (التكوين ١ : ٢٦ – ٢٨) وذلك بالروح التى أودعها الله فيه.

«يقول الرب باسط السماوات ومؤسس الأرض، **وجابل روح الإنسان فى داخله**» (زكريا ١٢ : ١) .

فإذا كان الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله (له بعض القدرات) فى روحه العاقلة الناطقة والتى بها يحكم الموجودات من النباتات والحيوانات فضلاً عن الجمادات، وبها يعمل ويبتكر ويذلل ما يعترض حياته من عقبات وصعوبات، فإن الله خالقه هو وحده «القادر على كل شيء».

الله وحده، ليس كمثله شيء هو (الكلى القدرة)

وفى اليونانية ὁ παντοκράτωρ

وفى العبرانية צְבָאוֹת (SABAOT)

وفى القبطية ⲡⲓⲡⲁⲛⲧⲟⲕⲣⲁⲧⲱⲣ

ⲡⲓⲡⲉⲧⲁⲙⲟⲛⲓ ⲙ̀ⲡⲧⲏⲣϥ

وفى اللاتينية OMNIPOTENT

وفى الإنجليزية ALMIGHTY

وفى الفرنسية TOUT- PUISSANT

هكذا وصف الله ذاته فى الكتاب المقدس «إنى الإله **القادرعلى كل شىء**» (الخروج ٦ : ٣)، «أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية، يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى، **القادر على كل شىء**» (الجليان - الرؤيا ١ : ٨)، (إشعياء ١٣ : ٦)، (يوئيل ١ : ١٥)، (٢ . كورنثوس ٦ : ١٨).

والملائكة فى السماء تسبحه قائلة «قدوس قدوس قدوس الرب الإله **القادر على كل شىء**» (الجليان - الرؤيا ٤ : ٨).

«نشكرك أيها الرب الإله **القادر على كل شىء**» (الجليان - الرؤيا ١١ : ٧) «عظيمة وعجيبة هى أعمالك أيها الرب **الإله القادر على كل شىء**» (الجليان - الرؤيا ١٥ : ٣)، (١٦ : ٧، ١٤) «هللويا فإنه قد ملك الرب الإله **القادر على كل شىء**» (الجليان - الرؤيا ١٩ : ٦، ١٥)، (٢١ : ٢٢)

وهكذا يصفه الأنبياء القديسون

فيعقوب أبو الأسباط يقول لإبنه يوسف «**الله القادر على كل شىء ظهر لى**» (التكوين ٤٨ : ٣) (٤٩ : ٢٥).

* * *

ولما كان المسيح له المجد هو بذاته الله وقد ظهر فى الهيئة كإنسان (فيلبى ٢ : ٨) «وقد اتّخذ جسداً» (يوحنا ١ : ١٤)، لذلك فإنه يوصف فى الكتاب المقدس فى مواضع متفرقة بأنه (**القادر على كل شىء**)، وهذا لبيان أنه هو بذاته الله الظاهر فى الجسد. (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦).

فلقد رآه النبى (دانيال) فى الرؤيا فى صورة ابن إنسان، وذلك من حيث ناسوته لكنه متميز بمجد وملكوت، وتتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة. ثم إن سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض، أى أنه المعبود الذى يتعبد له جميع الشعوب والأمم. ثم إن سلطانه سلطان أبدى لا يزول، وهو ما لا يتميز به إلا الله الواحد الوحيد، فإنه وحده المعبود وهو وحده الأبدى.

جاء فى سفر دانيال قول النبى دانيال فى رؤياه «كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان آتيا على سحب السماء، أتى وجاء إلى القديم الأيام، وقُرب إلى أمامه،

وأوتى سلطانا ومجداً وملكوتاً، **فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه، وسلطانه سلطان أبدى** لا يزول، وملكوته لا ينقرض» (دانيال ٧: ١٣، ١٤). وهذا كله لا يتصف به إلا الله الواحد وحده. حقا إنه في صورة ابن إنسان، ابن بشر، لكنه الذى يتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة. ثم إن سلطانه سلطان أبدى لا يزول، وملكوته أيضا أبدى لا ينقرض، وكل هذا لا يتصف به إلا الله الواحد الوحيد، وإلا كان ذلك كفرا وتجديفا. فليس لبشر أن يتعبد له جميع الشعوب والأمم والألسنة، وليس لبشر سلطان أبدى لا يزول وملكوت لا ينقرض، فإنه لا يتصف بالأبدية إلا الله الواحد وحده.

كذلك يصف الكتاب المقدس المسيح الرب، وهو الله وقد ظهر في الجسد لابساً صورة إنسان، وإذ تمم عمل الفداء ثم صعد إلى السماء التي منها نزل، ودخل إلى حيث مجده، واستوى على العرش، وجاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعوا له، وسجدوا له، فقد استرد صورة المجد التي كان قد أخلى ذاته منها، ولبس بتجسده صورة الهوان من أجل إتمام عمل الخلاص، استرد صورة المجد والكرامة فاستوى على العرش، بعد قيامته وبصعوده إلى السماء «فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وفوق كل اسم يسمى به مخلوق، لا في هذا الدهر فقط بل وفى ذلك الدهر الآتى أيضا، وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل فوق كل شيء رأسا للكنيسة التي هي جسده وكماله وهو الذى يملأ كل شيء في كل شيء» (أفسس ١: ٢٠– ٢٣). فهو إذن الرب الإله الذى يخضع له جميع الخلق تحت قدميه متعبدين، وهو الرأس الأعلى للكنيسة، هو الرأس، وهى الجسد، وهو المالىء كل الوجود، الحال في كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ومن إذن يكون غير الله الواحد وحده.؟

وهذا هو النص الإلهي المقدس الذى نستعيره في القداس الإلهي - القداس المرقسي الكيرلسي: يقول الكاهن:

«لأنك أنت هو الله الذى فوق كل رئاسة وكل سلطان، وكل قوة، وكل سيادة، وكل اسم يسمى، ليس في هذا الدهر فقط، بل وفى الآتى، أنت الذى يقوم أمامك ألوف ألوف وربوات ربوات الملائكة ورؤساء الملائكة المقدسين يخدمونك»

ويذكرنا الكتاب المقدس في موضع آخر بسلطان المسيح له المجد فوق كل رئاسة، هذا السلطان الذى أخلى ذاته منه بتجسده من أجل عمل الفداء ثم استرده بعد قيامته من بين الأموات وصعوده إلى السماء التي منها نزل، وهو سلطانه الإلهي الذى يعلو به على جميع الخلق.

يقول: «إن المسيح قد قام من بين الأموات... متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة، فإنه لا بد أن يملك إلى أن يضع جميع أعدائه تحت قدميه... ذلك بأنه قد أخضع كل شيء تحت قدميه...» (١ . كورنثوس ١٥ : ٢٠– ٢٧) .

ومن هنا يتبين أن المسيح له المجد هو المقصود، وهو المشار إليه في المزمور الثامن: «أيها الرب سيدنا ما أعظم اسمك في كل الأرض وقد جعلت جلالك فوق السماوات... إني أرى سماواتك عمل أصابعك والقمر والكواكب التي كونتها. فمن هو **الإنسان حتى تذكره وابن البشر حتى تفتقده. نقصته عن الملائكة قليلا، وكللته بالمجد والكرامة. سلطته على أعمال يديك. وأخضعت كل شيء تحت قدميه**... أيها الرب سيدنا ما أعظم اسمك في كل الأرض» (مزمور ٨ : ١– ١٠) .

فالمسيح الإله بتجسده، أخذ صورة الإنسان وهي أقل بهاء ومجداً من صورة الملائكة، ولكنه بعد أن تمم الفداء، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماء التي منها نزل، استردّ صورة المجد والكرامة التي أخلى ذاته منها، ثم استوى على العرش «فوق كل رياسة وكل سلطان وكل قوة وكل سيادة لا في هذا الدهر فقط بل في ذلك الدهر الآتي» .

وفي موضع آخر من الكتاب المقدس، يصف الوحي الإلهي المسيح له المجد بأنه «يحل فيه كل ملء اللاهوت جسديا... وهو رأس كل رئاسة وسلطان» (كولوسي ٢ : ٩ ، ١٠) ، ومعنى هذا أن المسيح فيما كان على الأرض، لابسا جسد إنسان فيه يحل جميع كمال الألوهية حلولاً جسدياً. وبتعبير آخر إن فيه جسديا، **يحل الله بكل ملئه**.. وهو رأس كل رئاسة وسلطان... ففي المسيح **يحل ملء الألوهية كله حلولاً جسديا**... وهو رأس كل رئاسة روحانية وسلطة.. **أي أن الله كله في المسيح**، فالله لا يتجزأ، ولاهوته لا يقبل التجزئة أو التقسيم... وهو في الوقت نفسه لأنه هو الله، فهو فوق كل رئاسة وسلطان، **فهو الله القدير، والقادر على كل شيء**، رئيس الرؤساء وسيد السيادات، ورب الأرباب، وملك الملوك، وهو العلي على كل السماوات والأرض وما فيها.

وفي موضع آخر يصف الكتاب المقدس المسيح يسوع له المجد بأنه **القدير «الذي يستطيع أن يخضع لنفسه كل شيء»** (فيلبي ٣ : ٢١) وأن له القدرة التي يخضع بها كل شيء لأمره.

كذلك ينسب إلى المسيح له المجد بعد أن تمم الفداء وقام من بين الأموات، أنه صعد إلى السماء واستوى على العرش «**وقد جعلت الملائكة والسلطات (السمائية) والقوات الروحية خاضعة له**» (١. بطرس ٣: ٢٢).

ومن الآيات البينات على سلطان المسيح المطلق الذى يتفرد به، ولا يملكه نبى أو رسول أو كائن من كان من بنى الناس، أنه له المجد كان يشفى المرضى بأمره ويقيم الموتى بسلطانه، ولم يكن يدعو أو يتضرع فى كل أعمال قواته ومعجزاته ليستمد قوة خارجا عن ذاته، وإنما كان يأمر المرضى فيشفون ويصحون، ويزجر الحمى، ويأمر الموتى فيقومون، والشياطين فيخرجون، فالقوة تخرج منه، **إذ أن له القوة والمجد والعزة والسلطان.**

وفى بيان هذا السلطان المطلق قال المسيح له المجد «أنى قد أوتيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض» (متى ٢٨: ١٨)، (متى ٢٦: ٦٤) (دانيال ٧: ١٣)، (رومية ١٤: ٩)، (أفسس ١: ٢١، ٢٢).

وقال عنه يوحنا المعمدان «إن الآب (السماوى) يحب الابن، وقد جعل فى يده كل شيء» (يوحنا ٣: ٣٥) هذا هو السلطان المطلق الذى يشمل (كل شيء). فكل شيء تحت سلطانه، وليس شيء ما خارج عن سلطانه.

انظر (متى ١١: ٢٧)، (لوقا ١٠: ٢٢)، (يوحنا ٥: ٢٢)، (يوحنا ١٣: ٣)، (يوحنا ١٧: ٢).

«لأنه إذ أخضع كل شيء تحت قدميه، فإنه لم يترك شيئاً غير خاضع له»، (العبرانيين ٢: ٨).

وقد استوقف هذا السلطان إنتباه القيادات اليهودية من الكتبة والفريسين وعلماء الشريعة.

يقول الإنجيل «فذهلوا جميعاً، حتى لقد أخذوا يتساءلون فيما بينهم قائلين: «**ما هذا؟ إنه لتعليم جديد! فإنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه**» (مرقس ١: ٢٧) «فارتعب الجميع، وراحوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين: «**ما هذا؟ إنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج**» (لوقا ٤: ٣٦).

وإذ لمسوا هذا السلطان اندفعوا إليه متسائلين عن مصدر هذا السلطان. قال الإنجيل «وحين جاء إلى الهيكل تقدم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قائلين: «**بأى سلطان تفعل هذا؟ ومن الذى أعطاك هذا السلطان؟**» (متى ٢١: ٢٣)، (مرقس ١١: ٢٧، ٢٨)، (لوقا ٢٠: ١، ٢).

وفضلا عن ذلك كله... فإنه له المجد، منح تلاميذه ورسله السلطان على شفاء المرضى، وإقامة الموتى وإخراج الشياطين... وهذا معناه أنه مالك السلطان وربه، ذلك لأن (فاقد الشيء لا يعطيه). فالمسيح إذن ليس فقط يملك السلطان لذاته، وفي ذاته، وإنما أيضا يملك أن يمنح السلطان لمن يشاء، وهو ما لا يتصف به إلا الله الواحد وحده.

قال الإنجيل «ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر **وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة ليطردوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف**» (متى ١٠: ١) أى أنه منح تلاميذه سلطانا شاملاً وعظيما على الشياطين والأرواح النجسة ثم لشفاء جميع الأمراض بغير إستثناء (كل مرض، وكل ضعف). أليس حقا أنه سلطان عظيم؟ أيكون من يمنح كل هذا السلطان العظيم مجرد إنسان؟ هل رأت الإنسانية في كل تاريخها نبيا أو رسولا له كل هذا السلطان العظيم!؟

ومنح المسيح له المجد الرسل السبعين ذلك السلطان على الشياطين والأرواح النجسة، ومارسوا ذلك السلطان الممنوح لهم بنجاح. ويقول الإنجيل «وقد رجع السبعون بفرح عظيم قائلين: **يارب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك». فقال لهم: «وها أنا ذا أعطيتكم السلطان لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو»** (لوقا ١٠: ١٩)

وبعد. أيكون صاحب هذا السلطان إنسانا؟ مَنْ مِنَ الأنبياء والرسل كان له مثل هذا السلطان، في ذاته، ثم يمنحه لمن يشاء؟

إنه الله الواحد وحده هو الذى يملك هذا السلطان وليس غيره!

نعم، إن المسيح له المجد هو وحده القادر على كل شيء، لأنه هو الله وقد اتّخذ جسدا.

كل بشر يقدر على شيء أو أشياء، لكنه لا يقدر على كل شيء، **فليس يقدر على كل شيء إلا الله الواحد وحده.**

إن تاريخ البشرية حافل بالإنجازات التى حققها الإنسان، لخير الناس جميعا، ومن جماعها معا صنع الحضارة الإنسانية، التى بلغت اليوم صورة متقدمة تشهد بالفارق بين ما كنا عليه وما أصبحنا إليه، من معارف وصناعات وإختراعات، جعلت حياتنا أكثر سهولة ومناعة وسلامة وإنتصارا على عوامل الهدم والتخريب، طبيعية أو صناعية.

على أن هذه الحضارة الإنسانية هى محصلة لنجاحات متنوعة فى مجالات متعددة تحققت على أيادى النوابغ، فى كل علم وفن وصناعة... فى الهندسة، والطب، وفى الفيزياء والكيمياء، والفلك والأدب والموسيقى، وفى الفلسفة والمنطق، وعلوم النفس والروح، ثم فى أنواع الحرف والصناعات اليدوية وغير اليدوية، وفى الزراعة والتجارة والتربية، وغير ذلك من ضروب النشاطات البشرية والإنسانية.

على أن الحضارة الإنسانية عمل كبير وبناء شامخ أسهم فى إقامته وتشييده ورفعه، سواعد عدة، وعقول كثيرة، وأيادى متنوعة، تضافرت وتعاونت وتساندت، فأقامت هذه العمارة الشامخة بكل مكوناتها.

وإذن فهى ليست من صنع إنسان واحد. إن فى كل جيل، وفى كل أمة، وفى كل مكان تحت الشمس نوابغ، لهم مواهب وقدرات روحية وعقلية وبدنية، صقلوها بالعمل والكفاح ومواصلة الجهاد فاستطاعوا أن يحققوا شيئا جديدا، وأن يخطوا خطوة أو خطوات إلى الأمام، فلمعوا وأناروا للبشرية طريقا صاعدا إلى المجد وإلى الكرامة، ثم إلى التطور والإرتقاء بفضل الروح الإنسانية التى أودعها الخالق فيهم، هذه الجوهرة الغالية التى نفخها الله فيهم وهى على صورة الله ومثاله، فهى بما أودع الله فيها من قدرات لا تتوقف عن الابتكار والإبداع والخلق، والتطور بالعلم والعمل، فتحقق هدف الله من خلقة الإنسان، وهو العمل لمد آفاق الخير والجمال فى كل الوجود، ومد سلطان الله فى المكان والزمان إلى أبد الدهور.

على أن الإنسان بوصفه ذلك المخلوق المحدود أمكنه ويمكنه بفضل الروح التى نفخها الله فيه، أن يصنع شيئا أو أشياء... ولكن مهما يكن من أمر فإنه ما من إنسان استطاع أن يصنع كل شيء... فالفارق كان وسيظل إلى الأبد عظيما بين الإنسان وخالقه، بين المحدود وغير المحدود.

نعم عرفت الإنسانية علماء بلغوا القمة فى ميدان أو آخر من ميادين العلم والعمل حتى تحولوا فى نظر الأجيال إلى آلهة وأبطال يشاد بهم، ويعقد عليهم البنان وصاروا نجوماً لامعة فى سماء الإنسانية، ومع ذلك فهم بالنسبة للخالق الأعظم هم كواكب أو أقمار يدورون حول الشمس يأخذون منها وعنها، وبنورها يتوهجون، لأنهم من دونها هم أجسام معتمة، إذ النور الذى فيهم ليس منهم، وإنما قد انعكس عليهم من النور الأعظم للخالق الأعظم.

لقد عرف التاريخ ـ أشخاصا من بنى البشر وصفوهم بأنهم آلهة فى الطب أو فى الهندسة، أو الفن، أو الموسيقى أو التصوير، أو فى الصناعة، أو علوم التنجيم أو الكف أو الباراسيكولوجى أو غير ذلك، وقدسهم الناس فى جيلهم وما بعد جيلهم من الأجيال اللاحقة أو السابقة وتحولوا فى أنظار الناس إلى أبطال أو آلهة صغار ومع ذلك سيبقى الفرق عظيما بين العبد والرب، بين المخلوق والخالق.

الإنسان يمكن أن ينمو بالعلم والعمل فيصير قادرا على شىء أو أشياء، لكنه لن يكون قادرا على كل شىء. الله وحده هو القادر على كل شىء.

كان السحر الأبيض عند قدماء المصريين علما يدرسونه على المعلمين والعلماء، ويمارسونه وبالتداريب والرياضات الروحية والبدنية والذهنية حتى بلغوا فيه شأوا كبيرا. وقد قيل عن النبى موسى «تأدب موسى بحكمة المصريين كلها، وكان مقتدرا فى أقواله وأعماله» (أعمال الرسل ٧: ٢٢).

ولكن لما تلقى موسى فى برية سينا بعد خروجه من مصر، أمرا من الله أن يخرج بنى إسرائيل من مصر، وزوده الله بالقدرة على عمل المعجزات حتى تكون لبنى إسرائيل فى مصر، البينة والبرهان على أن الله هو الذى أرسله، فيصدقوه:

«فقال له الرب: «ما هذه فى يدك». فقال «عصاً». فقال: «اطرحها إلى الأرض». فطرحها إلى الأرض، فصارت حية. فهرب موسى منها. ثم قال الرب لموسى: «مد يدك وأمسك بذنبها». فمد يده وأمسك به فصارت عصاً فى يده. لكى يصدقوا أنه قد ظهر لك الرب إله آبائهم، إله إبراهيم، «وإله إسحق وإله يعقوب». ثم قال له الرب أيضا «أدخل يدك فى عبك». فأدخل يده فى عبه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له «رد يدك إلى عبك». فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه وإذا هى قد عادت مثل جسده. «فيكون إذا لم يصدقوك ولم يسمعوا لصوت الآية الأولى أنهم يصدقون صوت الآية الأخيرة. ويكون إذا لم يصدقوا هاتين الآيتين ولم يسمعوا لقولك أنك تأخذ من ماء النهر وتسكب على اليابسة فيصير الماء الذى تأخذه من النهر دما على اليابسة». (الخروج ٤: ١- ٩).

«وكلم الرب موسى وهرون قائلا: «إذا كلمكما فرعون قائلا: هاتيا عجيبة، تقول لهرون «خذ عصاك واطرحها أمام فرعون فتصير ثعباناً. فدخل موسى وهرون إلى فرعون وفعلا هكذا كما أمر الرب، طرح هرون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده، فصارت ثعبانا. فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ففعل عرافوا مصر أيضا بسحرهم كذلك. طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين. ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم» (الخروج ٧: ٨- ١٢).

ثم قال الرب لموسى... «إذهب إلى فرعون في الصباح. إنه يخرج إلى الماء، وقف للقائه على حافة النهر والعصا التي تحولت حية تأخذها في يدك، وتقول له.. ها أنا أضرب بالعصا التي في يدي على الماء الذي في النهر فيتحول دماً... ففعل هكذا موسى وهرون كما أمر الرب. رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر أمام عيني فرعون وأمام عيون عبيده. فتحول كل الماء الذي في النهر دماً... وفعل عرافوا مصر كذلك بسحرهم...» (الخروج ٧: ١٥- ٢٢).

فقال الرب لموسى: «قل لهرون: مد يدك بعصاك على الأنهار والسواقي والآجام، وأصعد الضفادع على أرض مصر. فمد هرون يده على مياه مصر. فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر. وفعل كذلك العرافون بسحرهم، وأصعدوا الضفادع على أرض مصر» (الخروج ٨: ٥- ٧)

ثم قال الرب لموسى: «قل لهرون: مد عصاك واضرب تراب الأرض ليصير بعوضا في جميع أرض مصر». ففعلا كذلك. مد هرون يده بعصاه، وضرب تراب الأرض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم. كل تراب الأرض صار بعوضا في جميع أرض مصر. وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا... فقال العرافون لفرعون: «هذا أصبع الله...» (الخروج ٨: ١٦- ١٩).

* * *

والمعنى من كل ذلك أن حكماء المصريين والعرافين استطاعوا بما مارسوه من السحر الأبيض أن يصنعوا المعجزات، ففعل ما فعله موسى وهرون فحولوا عصيهم إلى ثعابين، وضربوا النهر فتحول إلى دم، وأمكنهم بالسحر أن يصعدوا الضفادع على أرض مصر.. **وعند هذا الحد وقفت قدراتهم، فلم يقدروا على ما هو أبعد من ذلك مما صنعه موسى وهرون بقدرة الله من المعجزات الأخرى**. يقول الكتاب المقدس بالنسبة للمعجزة الرابعة معجزة صيرورة التراب بعوضا في جميع أرض مصر، وفعل كذلك العرافون بسحرهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا، ثم أقروا بعجزهم واعترفوا لفرعون أن ما صنعه موسى وهرون هو بقدرة الله التي تفوق قدرتهم: قالوا لفرعون صراحة: «**هذا أصبع الله**».

سلطان المسيح الشامل

إن من يتتبع حياة المسيح له المجد، فى فترة وجوده على الأرض يتبين سلطانه الشامل على كل شىء، وأن قدرته غير محدودة، فى عالم الروح وفى عالم المادة، فهو بحق وصدق أثبت أنه **القادر على كل شىء.**

لقد شمل سلطانه كل شىء، شمل المادة بجميع صورها، كما شمل النبات، وشمل الحيوان، وشمل الإنسان وشمل عالم الأرواح.

* * *

سلطان المسيح على المادة

يظهر سلطان المسيح على المادة فى جميع صورها وأشكالها الجامدة والسائلة والغازية.

* * *

سلطان المسيح على المادة الجامدة

- ١ -

يظهر هذا السلطان على المادة الجامدة مثلاً فى معجزة **إشباع خمسة آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال من خمس خبزات وسمكتين.**

جاء فى الإنجيل:

«واجتمع الرسل إلى يسوع وأخبروه بكل ما عملوا وعلموا، فقال لهم: «تعالوا أنتم وحدكم إلى موضع قفر واستريحوا قليلا» لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين، فلم تكن تتاح لهم فرصة حتى ليأكلوا، فمضوا بالسفينة وحدهم إلى موضع قفر (عند مدينة تدعى بيت صيدا) . فرأتهم الجموع وهم يمضون، وعلم بالأمر كثيرون، فأسرعوا سيرا على الأقدام من كل المدن حتى سبقوهم إلى هناك.

«فلما خرج يسوع من السفينة ورأى جمعا عظيما (مقبلا إليه) أشفق عليهم، إذ كانوا كغنم بغير راع، فطفق يعلمهم فى أمور كثيرة، (وكلمهم عن ملكوت الله والمحتاجون منهم إلى الشفاء شفاهم)، حتى إذا إنقضى جزء كبير من النهار تقدم إليه تلاميذه الإثنى عشر قائلين: « إن

المكان قفر، وقد تأخر الوقت، فاصرفهم (اصرف الجموع) ليذهبوا إلى الضياع والقرى القريبة(ليبيتوا هناك ويجدوا طعاما) ويشتروا لأنفسهم مايأكلون، (لأننا هنا فى مكان قفر) فقال لهم يسوع: «لا حاجة بهم لأن يذهبوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا». فقال لفيلبس: «من أين نشترى خبزا ليأكل هؤلاء؟» وإنما قال هذا ليمتحنه، لأنه كان يعلم ما كان هو نفسه مزمعا أن يفعل. فأجاب فيلبس قائلا: «إن خبزا بمائتى دينار لا يكفى لينال كل واحد منهم قدرا ضئيلا». وقال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس. «إن هنا غلاما معه خمس خبزات من الشعير وسمكتان. ولكن ما عسى أن تكون هذه بالنسبة لكل هذا الجمع؟» فقالوا: «ليس لدينا غير خمس خبزات وسمكتين إلا أن نذهب ونبتاع لهذا الشعب كله طعاما، إذ كانوا نحو خمس آلاف رجل». فقالوا له: «أنذهب ونشترى خبزا بمائتى دينار ونعطيهم ليأكلوا؟» فقال لهم كم من الخبز عندكم؟ إذهبوا وانظروا». فلما تأكدوا قالوا: «خمس خبزات وسمكتان» فقال: «هاتوها إلى هنا».

فقال يسوع: «اجعلوا الناس يجلسون» وكان ثمة عشب كثير فى المكان فجلسوا عليه. (فأمر بأن يجلس الكل فى جماعات على العشب الأخضر، فجلسوا فى حلقات، مائة مائة، وخمسين خمسين) (ففعلوا ذلك، وأجلسوهم جميعا). (وأخذ الخبزات الخمس والسمكتين ورفع عينيه نحو السماء وبارك وكسر الخبزات، وأعطى تلاميذه الخبزات ليناولوهم) (ليقدموا للجمع) (وقسم السمكتين أيضا على الجميع) (بقدر ما رغب كل منهم) (فأكلوا كلهم وشبعوا جميعا) (حتى إذا شبعوا قال يسوع لتلاميذه: «اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شىء منها»). (ثم رفعوا مما تبقى من كسر الخبز والسمك) (فجمعوها، وملأوا إثنتى عشرة قفة من الكسر التى فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير). (وكان الذين أكلوا خمسة الآف رجل، غير النساء والأطفال).

(مرقس ٦: ٣٠- ٤٤)، (متى ١٤: ١٥- ٢١)، (لوقا ٩: ١٠- ١٧)، (يوحنا ٦: ٥- ١٣).

* * *

وهنا نلاحظ:

أولا: أن الآكلين من خمس الخبزات كانوا كثيرين.

يقول الإنجيل: «فرأتهم (المسيح وتلاميذه) الجموع وهم يمضون، وعلم بالأمر كثيرون، (فأسرعوا سيرا على الأقدام من كل المدن حتى سبقوهم إلى هناك) (فلما خرج يسوع من السفينة ورأى جمعا عظيما مقبلا إليه فأشفق عليهم) (مرقس ٦: ٣٣- ٣٤) «وإذ سمع الشعب

تبعوه ماشين من المدن. فلما خرج يسوع ورأى جمعا عظيما تحنن عليهم، (متى ١٤: ١٣، ١٤) «غير أن الجموع علموا بذلك فتبعوه، فاستقبلهم... (لوقا ٩: ١١)، «فرفع يسوع عينيه ورأى جمعا عظيما مقبلا إليه، فقال لفيلبس: من أين نشترى خبزا ليأكل هؤلاء؟».. فأجاب فيلبس قائلاً: «إن خبزا بمائتى دينار لا يكفى لينال كل واحد منهم قدرا ضئيلا.. وقال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس: «إن هنا غلاما معه خمس خبزات من الشعير وسمكتان. ولكن ما عسى أن تكون هذه بالنسبة لكل هذا الجمع؟» (يوحنا ٦: ٥- ٩).

وأضاف الإنجيل أن عدد الآكلين كانوا خمس آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال «وكان الذين أكلوا **خمسة آلاف رجل، غير النساء والأطفال**» (متى ١٤: ٢١)، (مرقس ٦: ٤٤)، (لوقا ٩: ١٤)، (يوحنا ٦: ١٠).

أما كيف تحققوا من عدد الآكلين، فلأن الرب يسوع أمر تلاميذه «أن يجلس الجمع على العشب» (متى ١٤: ١٩) «فأمر بأن يجلس الكل فى جماعات على العشب الأخضر. فجلسوا فى حلقات، مائة مائة، وخمسين خمسين» (مرقس ٦: ٣٩، ٤٠) «فقال لتلاميذه أجلسوهم جماعات خمسين خمسين» ففعلوا ذلك، «وأجلسوهم جميعا» (لوقا ٩: ١٤، ١٥) فقال يسوع: «اجعلوا الناس يجلسون وكان ثمة عشب كثير فى المكان فجلسوا عليه...» (يوحنا ٦: ١٠).

وإذن فقد **أمكن إحصاء عدد الآكلين من الرجال**، بعدد الحلقات التى أجلسوا الجموع فيها، «مائة مائة وخمسين خمسين».

أما النساء فلم يكن من اللياقة أن يدخل الرسل فى حلقات النساء ليعرفوا عددهن. وأما الأطفال فكانوا غالبا مع النساء فلم يُحص لهم عدد.

وإذن فقد كان عدد الآكلين خمسة آلاف رجل، فيما عدا النساء والأطفال.

ثانيا: إنهم جميعا أكلوا، ولم يتخلف عنهم أحد، وهذا يؤكد عظمة المعجزة من حيث عدد الآكلين «**فأكلوا كلهم**» (مرقس ٦: ٤٢)، (متى ١٤: ٢٠)، «**فأكلوا جميعا**» (لوقا ٩: ١٧)، (يوحنا ٦: ١١، ١٢).

ثالثا: ثم إنهم أكلوا بقدر ما شاءوا، أى أنهم أكلوا كثيرا، وقد كانوا جائعين، يقول الإنجيل «ثم قسمها على الجالسين، وكذلك السمكتين **بقدر ما رغب كل منهم**» (يوحنا ٦: ١١).

رابعا: وتوكيدا لكمية ما أكلوا يقرر الإنجيل أنهم أكلوا وشبعوا «فأكلوا كلهم وشبعوا» (مرقس ٦: ٤٢).

خامسا: ثم ما أروع ما حدث بعد كل ذلك أن يأمر المسيح له المجد تلاميذه أن يجمعوا الكسر بعد أن أكلت الجموع من الخبز والسمك، وأكلوا بقدر ما شاءوا، ثم شبعوا، فإذا بالكسر المتبقية تملأ إثنتى عشرة قفة مملوءة

حتى إذا شبعوا قال يسوع لتلاميذه: «اجمعوا ما فضل من الكسر لئلا يضيع شيء منها» فجمعوها، «وملأوا إثنتى عشرة قفة من الكسر التى فضلت عن الآكلين من خمسة أرغفة الشعير» (يوحنا ٦: ١٢، ١٣) «ثم رفعوا من الكسر التى تبقت إثنتى عشرة قفة ممتلئة» (متى ١٤: ٢٠) «ثم رفعوا مما تبقى من كسر الخبز والسمك إثنتى عشرة قفة ممتلئة» (مرقس ٦: ٤٣)، (لوقا ٩: ١٧).

وهنا التساؤل الذى يقف أمامه العقل حائرا: كيف لخمس خبزات من الشعير وسمكتين لا تشغل أكثر من جزء فى قاع قفة واحدة، تأكل منها جموع من الناس قُدِّر عددهم بخمسة آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال، يأكلون بقدر ما رغب كل منهم ويشبعون، ثم يتبقى من كسر الخبز والسمك إثنتى عشرة قفة مملوءة.؟

لا جواب على هذا إلا أنها قدرة المسيح وسلطانه وهو الله الكلمة الذى «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان» (يوحنا ١: ٣).

نعم أنه القادر على كل شيء.

إنه (بارك وكسر الخبزات وأعطى تلاميذه الخبزات ليناولوهم، وقسم السمكتين أيضا على الجميع) (مرقس ٦: ٤١)، (لوقا ٩: ١٦)، (متى ١٤: ١٩).

والبركة معناها الإنماء والزيادة والإكثار. ولا شك أنها (قدرة إلهية).

ولذلك عرفت هذه المعجزة بمعجزة (البركة)، وعرف فصل الإنجيل الذى روى المعجزة العظيمة بأنه (إنجيل البركة).

- ٢ -

ومن البينات على سلطان المسيح على المادة أيضا إشباعه جمعا كثيرا من أربعة آلاف رجل، غير النساء والأطفال، من سبع خبزات وقليل من صغار السمك، «فأكلوا جميعاً وشبعوا، ثم رفعوا مما تبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة».

جاء فى الإنجيل: «وفى تلك الأيام حدث أن اجتمع إليه جمع عظيم جداً، ولم يكن لديهم ما يأكلون». فدعا يسوع إليه تلاميذه وقال لهم: «إننى أشفق على هذا الجمع لأن لهم الآن معى ثلاثة أيام، وليس لديهم ما يأكلون. ولو أننى صرفتهم إلى بيوتهم بغير طعام خارت قواهم فى الطريق، لأن بعضا منهم قد جاءوا من بعيد» فأجابه تلاميذه قائلين: «من أين يتسنى لأحد أن يشبع هؤلاء بالخبز هنا فى القفر؟» فسألهم «كم من الخبزات لديكم؟» قالوا «سبع وقليل من صغار السمك». فأمر الجمع بأن يتكئوا على الأرض ثم أخذ **السبع الخبزات** وشكر وكسر وأعطى تلاميذه كى يضعوا أمامهم، فناولوا الجمع. وكان لديهم كذلك قليل من صغار السمك. فباركه وأمر بأن يضعوه كذلك أمامهم. «**فأكلوا جميعا وشبعوا ثم رفعوا مما تبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة. وكان الذين أكلوا نحو أربعة آلاف. ثم صرفهم**» (مرقس ٨: ١- ٩). (متى ١٥: ٣٢- ٣٨)، (متى ١٦: ١٠).

* * *

هذه المعجزة الأخرى، معجزة إشباع جمع من أربعة آلاف رجل فيما عدا النساء والأطفال، هى بينة أخرى على سلطان المسيح على المادة، فقد أشبع المسيح له المجد هذا العدد الغفير من الرجال والنساء والأطفال «ثم رفعوا مما تبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة»، بينما أن عدد الخبزات قبل أن يباركها المسيح له المجد كان «سبع خبزات وقليل من صغار السمك»، لا تشغل أكثر من جزء من قفة واحدة، فكيف، تأكل هذه الأعداد الغفيرة من الناس (أربعة آلاف من الرجال فيما عدا النساء والأطفال) ثم إنهم **أكلوا وشبعوا**، علما بأنه كما قال المسيح له المجد بحنانه الأبوى «إننى أشفق على هذا الجمع لأن لهم الآن **معى ثلاثة أيام وليس لديهم ما يأكلون**» (ولا أريد أن أصرفهم صائمين لئلا تخور قواهم فى الطريق)، أى لابد أنهم أكلوا كثيرا لأنهم كانوا جائعين ولهم ثلاثة أيام ولم يأكلوا شيئا، ثم أكلوا وشبعوا **ومع ذلك يتبقى من الكسر سبع سلال ممتلئة؟**

إن هذه معجزة أيضا إلهية بكل المقاييس، ولا يمكن تفسيرها بمنطق العقل، أو القوانين الطبيعية، إلا أنها برهان قدرة المسيح وسلطانه المطلق الإلهى «إنه بارك وكسر وأعطى تلاميذه، وتلاميذه بدورهم ناولوا الجمع»، إنه له المجد «بارك» السبع خبزات والقليل من صغار السمك. ومعنى أنه بارك، أنه أنمى، وأكثر. والإنماء والإكثار هو نوع من الخلق، والإيجاد، وهو ما لا يقوى عليه إلا الله الواحد وحده، فهو القدير وحده، **والقادر على كل شىء**.

* * *

- ٣ -

ويدخل فى نطاق سلطان المسيح على المادة **خروجه بالميلاد من بطن العذراء الطاهرة مريم وختوم البكارة مصونة.**

وهو أمر يستحيل حدوثه بالنسبة لأى إنسان كائنا من كان. فما من إمرأة يمكن أن تلد طفلا من غير أن يجرح خروجه منها بكارتها ويمزق غشاء بتولتها.

إن المسيح وحده هو الذى خرج من بطن العذراء مريم من دون أن يفض بكارتها أو يحل ختوم بتولتها. وهذا مرده إلى سلطانه المطلق الشامل.

* * *

- ٤ -

ومن بينات سلطان المسيح على المادة **دخوله إلى العلية، «وكانت الأبواب مُغلَقَة»** حيث كان التلاميذ مجتمعين خوفا من اليهود، جاء يسوع ووقف فى وسطهم وقال لهم «السلام لكم» «ففزعوا وارتعبوا، وقد **ظنوا أنهم يرون روحا**». فقال لهم: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ **انظروا إلى يدى وإلى قدمى. إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى.** وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه» «فقدموا له بعضا من السمك المشوى وشهد العسل، **فأخذ وأكل أمامهم**» (يوحنا ٢٠ : ١٩)، (لوقا ٢٤ : ٣٦- ٤٣).

* * *

- ٥ -

كذلك من بينات سلطان المسيح على المادة **خروجه من القبر فى اليوم الثالث لدفنه، والقبر مغلق.**

يقول القديس افرآم السريانى إن المسيح خرج من القبر، وأختام القبر عليه ليبرهن على أنه خرج من بطن العذراء وأختام البكارة مصونة.

* * *

وأخيرا، وليس آخراً، **إن صعود المسيح له المجد بجسده إلى السماء فى اليوم الأربعين لقيامته المجيدة مخترقا قانون الجاذبية الذى يشد المادة إلى أسفل بينة أخرى على سلطانه على عالم المادة.** فالمعروف أنه لا يمكن أن يصعد أحد بجسده إلى فوق ما لم يحمله كائن آخر، فالعذراء الطاهرة مريم مثلاً أصعد جسدها فى اليوم الثالث لوفاتها محمولاً على أجنحة الملائكة ورؤساء الملائكة كما يروى التقليد المقدس وآباء الكنيسة.

وفيلبس الذى عمد الوزير الحبشى يروى عنه سفر أعمال الرسل: «ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس... وأما فيلبس فوجد نفسه فى أشدود» (أعمال الرسل ٨: ٣٩، ٤٠) أى أنه حمله ملاك الرب من غزة وذهب به إلى أشدود..

وكذلك حمل الملاك حبقوق النبى من فلسطين «بجمته وحمله بشعر رأسه ووضعه فى بابل عند الجب حيث كان دانيال محبوسا فى جب الأسود» فنادى حبقوق قائلا يادانيال يادانيال خذ الغذاء الذى أرسله لك الله «وقام دانيال وأكل ورد **ملاك الرب** حبقوق من ساعته إلى موضعه» (دانيال ١٤: ٣٢- ٣٨).

وكذلك جاء عن إيليا النبى أنه عندما صعد فى العاصفة إلى السماء، أنه اختطفته مركبة من نار وخيل من نار (٢. الملوك ٢: ١١، ١٢).

جاء فى الإنجيل عن المسيح له المجد أنه «**ارتفع إلى السماء**، وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦: ١٩) «ثم خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم افترق عنهم **وصعد إلى السماء**» (لوقا ٢٤: ٥١) «وبعد أن قال هذا **ارتفع إلى العلاء** وهم ينظرون إليه، وأخذته سحابة عن أعينهم. وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق، إذا برجلين بملابس **بيضاء قد ظهرا لهم**. وقالا لهم: «أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين **تتطلعون** إلى السماء. إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيجىء ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق إلى السماء» (أعمال ١: ٩- ١١).

سلطان المسيح على المادة السائلة

وكما أثبت المسيح له المجد سلطانه الشامل على المادة في صورتها الصلبة، كذلك أظهر سلطانه على المادة في صورتها السائلة.

من ذلك ما ورد عنه في أكثر من موضع، أنه **مشى على الماء**، والمشي على الماء ليس في مقدور الإنسان، ذلك لأن كثافة الماء أقل من كثافة الأجسام الصلبة، وجزئياته متخلخلة، فالأجسام الصلبة تغوص في الماء. لذلك لا يمكن للإنسان أن يمشي على الماء، **فإذا وقف على الماء فلا بد له أن يغوص فيه**. من هنا صنع الإنسان القارب والسفينة تمثلاً بالسمك ليتغلب على صعوبة عدم إمكانه المشي على الماء.

قال الإنجيل، بعد أن روى معجزة إشباع المسيح له المجد للجموع من خمسة أرغفة الشعير وصغار السمك.

«وما لبث يسوع أن ألزم تلاميذه بأن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى الضفة الأخرى ريثما يصرف الجموع، حتى إذا صرف الجموع صعد إلى جبل منفردا ليصلي. فلما جاء المساء كان هناك وحده. أما السفينة فكانت في وسط البحر وقد ابتعدت عن البر نحو خمس وعشرين غلوة، وكانت تتقاذفها الأمواج، إذ كانت الريح مضادة لها» (وإذ رآهم يعانون في التجذيف لأن الريح كانت مضادة لهم). «وفي الهزيع الرابع من الليل، ذهب يسوع إليهم **ماشيا على البحر**» (وكان مزمعاً أن يتجاوزهم).

«فلما رآه تلاميذه ماشياً على البحر اضطربوا قائلين: » «أنه شبح» «وصرخوا من الخوف» (لأنهم رأوه كلهم واضطربوا). (فكلمهم يسوع في الحال قائلاً: اطمئنوا. أنا هو. لا **تخافوا**) (**واتجه نحوهم وركب السفينة، فسكنت الريح. فذهلوا ذهولاً عظيماً. وقد استولت الدهشة عليهم**. إذ لم يكونوا قد فهموا مغزى معجزة الخبزات، لأن قلوبهم كانت متبلدة) (فجاء الذين كانوا في السفينة وسجدوا له قائلين: «**حقا أنت ابن الله**») (متى ١٤: ٢٢-٣٣)، (مرقس ٦: ٤٥-٥٢).

* * *

وإذ لم يكن شيئا عاديا أن يرى التلاميذ، يسوع **ماشيا على البحر** (فظنوه شبحا) (فصرخوا لأنهم رأوه كلهم واضطربوا قائلين «إنه شبح» وصرخوا من الخوف). فلما تبينوا أنه لم

يكن شبحا، بل هو يسوع المسيح بشخصه وخاطبهم على الفور قائلا لهم: «اطمئنوا. أنا هو. لا تخافوا» واتجه نحوهم وركب السفينة، فسكنت الريح، ذهلوا ذهولاً عظيما، وقد استولت الدهشة عليهم، وإذ تبينوا أنه هو الرب يسوع بذاته، والذى بسلطانه سكنت الريح جاءوا كلهم (الذين كانوا فى السفينة وسجدوا له) سجود العبادة (قائلين: **حقا أنت ابن الله**) لأنهم تبينوا أنه لا يقدر على ذلك إنسان عادى لذلك **جاءوا وسجدوا له قائلين**: «حقا أنت ابن الله» إنه (الباسط السماوات وحده **والماشى على أعالى البحر**). (أيوب ٩: ٨) «**الجاعل السحاب مركبته الماشى على أجنحة الريح**» (مزمور ١٠٣: ٣).

* * *

تحويل الماء إلى خمر:

ومن بينات سلطان المسيح على الماء معجزة تحويله الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل.

قال الإنجيل:

«كان ثمة عرس فى قانا الجليل. وكانت أم يسوع هناك. وكان يسوع وتلاميذه مدعوين إلى العرس. فلما نفدت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لديهم خمر». فقال لها يسوع: «ما شأنى يا سيدة وشأنك فى هذا؟ إن ساعتى لم تأت بعد» فقالت أمه للخادمين: «**ما يأمركم به فافعلوه**». وكانت هناك ست قدور من الحجر موضوعة للتطهير وفقا لسنن اليهود، يسع كل منها بثين أو ثلاثة. فقال لهم يسوع: «**املأوا القدور ماءً**» فملأوها إلى أعلاها. فقال لهم: **اغترفوا الآن وقدموا إلى رئيس الوليمة**، فقدموا. فلما ذاق رئيس الوليمة **الماء الذى تحول إلى خمر**. ولم يكن يعلم من أين هو، وإن كان الخادمون الذين جلبوا الماء يعرفون، دعا رئيس الوليمة العريس، وقال له: كل إنسان يقدم للمدعوين الخمر الجيدة أولاً، حتى إذا سكروا قدم لهم ما هو دونها جودة. **أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة** إلى الآن. «وقد كانت هذه هى المعجزة الأولى التى صنعها يسوع فى قانا الجليل، وأظهر مجده. فآمن به تلاميذه» (يوحنا ٢: ١ - ١١).

* * *

يبدو واضحاً فى هذه المعجزة سلطان المسيح وقدرته. إنه بكلمة من فيه للخادمين فى العرس: «املأوا القدور ماء»، فملأوها إلى أعلاها. ثم قال لهم أى للخادمين:

«اغترفوا الآن وقدموا إلى رئيس الوليمة»، فقدموا. **فقد تحول الماء بكلمة الأمر إلى خمر. إنه له المجد لم يمارس ضراعة أو ابتهالاً استمدادا لقوة خارجة عن ذاته، لأن له القوة**، وفيه القوة والقدرة. وفي الحال، وفي غير زمن، تحول الماء إلى خمر فوراً، وكانت خمراً جيدة كما صرح بذلك **رئيس الوليمة**، وقال للعريس: «كل إنسان يقدم للمدعوين الخمر الجيدة أولاً، حتى إذا سكروا قدم لهم ما هو دونها جودة. أما أنت فأبقيت **الخمر الجيدة** إلى الآن» ولابد لصانع الخيرات أن يصنع بسلطانه ليس خمراً جيدة فحسب، وإنما أيضا خمراً مفيدة وبانية لصحة الروح والذهن والبدن.

* * *

إنتهار البحر الهائج فيصمت فورا:

من البينات على سلطان المسيح له المجد على المادة في صورتها السائلة أنه ينتهر البحر الهائج فيصمت البحر فورا، ويهدأ في الحال.

جاء في الإنجيل:

«وذات يوم ركب سفينة مع تلاميذه، وقال لهم: «لنعبر إلى الضفة الأخرى للبحيرة». فاقلعوا **(ثم هبت عاصفة ريح شديدة) (وإذا البحر قد اضطرب اضطراباً عظيماً، حتى غمرت الأمواج السفينة) (فأخذت الأمواج تنهال على السفينة بقوة حتى أوشكت أن تمتلىء)** (وأحاطت بهم فغمرتهم بالمياه ومن ثم صاروا في خطر). (وكان هو في مؤخرها نائماً على وسادة) (فتقدم إليه تلاميذه وأيقظوه قائلين: «يارب نجنا. **لقد هلكنا يا معلم. يا** معلم أما تبالي بأننا نهلك؟»... (وحينئذ قام **وانتهر الرياح والبحر والأمواج) (وقال للبحر «اصمت اسكت» فسكنت الريح) (فحدث هدوء عظيم)، (وساد هدوء عظيم)** (فخافوا خوفاً عظيماً)، (وذهلوا وقال بعضهم لبعض: «**أى إنسان هذا الذي حتى الرياح والبحر تطيعه؟» «من عساه أن يكون هذا الذي حتى الريح والبحر يطيعانه؟». «من هو هذا يا ترى؟ فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه**». (متى ٨: ٢٣- ٢٧)، (مرقس ٤: ٣٥- ٤١)، (لوقا ٨: ٢٢- ٢٥).

* * *

أليس حقا أمراً مذهلاً لعقل الإنسان أن البحر يضطرب إضطرابا عظيما بفعل عاصفة ريح شديدة، والأمواج تنهال على السفينة، حتى غمرت المياة السفينة، حتى أيقن التلاميذ أنهم صاروا فى خطر، بل لقد صرخوا لمعلمهم الرب يسوع «يارب نجنا، **لقد هلكنا**» فيستجيب لإستغاثتهم به، فيقوم له المجد **ثم ينتهر الرياح والبحر والأمواج، ويقول للبحر «اصمت. اسكت»، فيطيعه البحر على الفور، فيصمت ويسكت فى الحال بل وقد ساد هدوء عظيم**، الأمر الذى ذهل له التلاميذ وجميع الذين كانوا فى السفينة، لأنهم تيقنوا أنه لا يمكن أن يكون إنساناً كسائر الناس. فقالوا بعضهم لبعض **«أى إنسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه؟ من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه؟ من هو هذا يا ترى، فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه؟»**.

* * *

نعم، إن هذه الواقعة هى إحدى البينات على سلطان المسيح على المادة السائلة، إنها تستجيب لأمره وسلطانه، لأنه هو له المجد سيد الطبيعة كلها، وكما جاء فى سفر المزامير **«أبصرتك المياه يا الله. أبصرتك المياه ففزعت، وارتعدت أيضا اللجج»** (مزمور ٧٦: ١٦) «أيها الرب إله الجنود من مثلك. إنك قوى يارب، وحقك من حولك. **إنك متسلط على طغيان البحر. أنت تسكن أمواجه عند ارتفاعها»** (مزمور ٨٨: ٨، ٩) **«المسكن عجيج البحار، عجيج أمواجها»** (مزمور ٦٤: ٧) «يهدىء العاصفة فتسكن، **وتسكت أمواجها»** (مزمور ١٠٦: ٢٩).

* * *

سلطان المسيح على الهواء

ولقد أثبت المسيح له المجد سلطانه أيضا على المادة فى صورتها الغازية، فالمادة صورها ثلاث الصلبة، والسائلة والغازية.

ونحن نتبين سلطان المسيح على المادة فى صورتها الغازية، إذ نرى **سلطانه على الهواء وعلى الرياح.**

لقد (ركب سفينة مع تلاميذه... **ثم هبت عاصفة ريح شديدة**)، (فاضطرب البحر إضطرابا عظيما...) (فأخذت الأمواج تنهال على السفينة بقوة) (حتى غمرت الأمواج السفينة) (وأحاطت بهم فغمرتهم بالمياه، ومن ثم صاروا فى خطر)، فلما استغاث التلاميذ بالمعلم وقالوا (يارب نجنا، لقد هلكنا). (**حينئذ قام وانتهر الرياح... فسكتت الريح**، (**فحدث هدوء عظيم**). فخاف الذين كانوا فى السفينة (خوفا عظيما، وذهلوا وقال بعضهم لبعض: «**أى إنسان هذا الذى حتى الرياح والبحر تطيعه؟**» (**من عساه أن يكون هذا الذى حتى الريح والبحر يطيعانه؟**) (من هو هذا يا ترى؟ **فإنه يأمر حتى الرياح والمياه فتطيعه**) (متى ٨: ٢٣- ٢٧)، (مرقس ٤: ٣٥- ٤١)، (لوقا ٨: ٢٢- ٢٥).

* * *

ومن بينات سلطانه على الرياح أنه بعد أن صنع معجزة إشباع الألوف من الخمس الخبزات، وأمر تلاميذه أن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى الضفة الأخرى، ففعلوا. وإذ صارت السفينة فى وسط البحر، وكانت تتقاذفها الأمواج، إذ كانت الريح مضادة لها... (**ففى الهزيع الرابع من الليل ذهب يسوع إليهم ماشياً على البحر**، ثم اتجه نحوهم وركب السفينة، **فسكتت الريح**، فذهلوا ذهولاً عظيماً، وقد استولت الدهشة عليهم لأنه بمجرد دخوله السفينة وكانت تتقاذفها الأمواج، **سكتت الريح** فى الحال، من دون أن يكلم الريح أو ينهرها أو يأمرها، سكتت وهدأت، وصمتت عن زئيرها وعنفها وشدتها، **إنها عرفته، فهدأت وصمتت فى حضرته تأدباً وخشوعاً وإجلالاً واحتراما**، الأمر الذى دعا الذين فى السفينة وأثارهم وأذهلهم فجاءوا إليه وسجدوا له متعبدين قائلين: «حقا أنت ابن الله» (متى ١٤: ٢٢- ٣٣)، (مرقس ٦: ٤٥-٥٢).

أليس حقاً أنه «**الذى طأطأ السماوات ونزل، وضباب تحت رجليه.. وهفّ على أجنحة الرياح**» (مزمور١٧: ٩، ١٠)؟ «الجاعل السحاب مركبته، «الماشى على **أجنحة الريح**» (مزمور١٠٣: ٣).

* * *

سلطان المسيح على النبات

كما أظهر المسيح له المجد سلطانه على المادة فى صورها جميعا، الصلبة والسائلة والغازية، كذلك أظهر المسيح **سلطانه على النبات.**

ومن البينات على ذلك ما يرويه الإنجيل أنه له المجد بعد أن دخل الهيكل فى أورشليم وطرد كل الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب مناضد الصيارفة ومقاعد بائعى الحمام، ثم تركهم وخرج من المدينة إلى بيت عنيا، وبات هناك، يقول: «وفيما كان عائدا فى الصباح إلى المدينة» (وفى الغد حين غادروا بيت عنيا) جاع. (وإذ رأى عن بعد شجرة تين مورقة اتجه إليها لعله يجد فيها شيئا). (بيد أنه حين دنا منها لم يجد فيها إلا الورق) (فقط)، (إذ لم يكن أوان التين بعد، فقال لها يسوع: «**لا يخرج منك ثمر بعد إلى الأبد**» «فسمع تلاميذه ما قال» (**ففى الحال جفت شجرة التين**. فلما رأى التلاميذ ذلك دهشوا قائلين: «**كيف جفت فى الحال شجرة التين؟**»

وفى الصباح، فيما كانوا عابرين رأوا شجرة التين **وقد يبست من جذورها**. فتذكر بطرس وقال له: «**يا معلم ها إن شجرة التين التى لعنتها قد يبست**».

(متى ٢١: ١٢، ١٨– ٢٠)، (مرقس ١١: ١١، ١٢– ١٤، ٢٠– ٢١).

إن بتأملنا ما ذكره الإنجيل المقدس عن هذه الواقعة يستثير إهتمامنا قوله (وفيما كان عائدا فى الصباح من بيت عنيا إلى المدينة أورشليم جاع) ولا بد أن يكون هذا الجوع (تدبيرياً)، بمعنى أنه له المجد **أدخل على ذاته الجوع قصداً وتدبيراً لهدف روحى حكيم**، كما فعل مثلاً على جبل التجربة ليتيح لإبليس فرصة ليجربه «فصام أربعين نهاراً وأربعين ليلة، وأخيرا جاع. فجاء إليه المجرب..» (متى ٤: ١– ٣)، وكما أدخل على ذاته (العطش) ليبرر سؤاله للمرأة السامرية (فقال لها يسوع: «أعطينى لأشرب» (يوحنا ٤: ٧)، فقد كان عطشه إلى خلاص أهل السامرة لا إلى الماء المادى فإنه كما قال له المجد للسامرية «لو كنت تعرفين عطيه الله، **ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب، لطلبت أنت منه، فأعطاك ماءً حيّاً**» (يوحنا ٤: ١٠).

كذلك جوع المسيح له المجد وهو عائد فى الصباح من بيت عنيا إلى أورشليم، كان (**جوعا تدبيريا**)، **فقد أدخل على ذاته الجوع ليكون تبريراً مناسبا**، ليصنع المعجزة التى أثبت بها **سلطانه على النبات.**

ثم إن الإنجيل يذكر أن المسيح له المجد لم يجد فى شجرة التين شيئا عندما دنا منها، إلا ورقا فقط (**إذ لم يكن أوان التين بعد**)، فإذا كان قد لعن شجرة التين، وقال: **لا يخرج منك ثمر بعد إلى الأبد**، فلا يمكن أن يفهم من هذا أن المسيح يعاقب شجرة التين، وهى نبات، على أمر طبيعى، لا ذنب لها فيه، ولا خطأ منها (**إذ لم يكن أوان التين بعد**). فلا بد أن نفهم من هذا أن المسيح له المجد، وهو المعلم الأعظم، قد اتّخذ من شجرة التين وسيلة إيضاح يشير بها إلى الأمة اليهودية التى جاء إليها فلم يجد فيها ثمراً، فعاقبها بحكم أصدره عليها بقوله: «**لا يخرج منك ثمر بعد إلى الأبد**» وهو من قبيل الحكم الذى أصدره على القيادات اليهودية فى مثل الكرم والكرامين. «فماذا يفعل بهم رب الكرم؟ إنه يأتى فيهلك أولئك الكرامين ويعطى الكرم لآخرين» إنه سيهلك أولئك الأشرار شر هلاك، ثم يؤجر الكرم لكرامين آخرين يعطونه الثمار فى حينها... لذلك أقول لكم «إن ملكوت الله سينزع منكم وتعطاه أمة تؤدى أثماره». (لوقا ٢٠: ١٥– ١٩)، (متى ٢١: ٤٠– ٤٣)، (مرقس ١٢: ٩).

على أن أهم ما يثير التأمل هو نفاذ الحكم من فم المسيح له المجد فوراً، ومن دون إمهال، «**ففى الحال جفت شجرة التين**». فلما رأى التلاميذ ذلك دهشوا قائلين: «**كيف جفت فى الحال شجرة التين**. وفى الصباح فيما كانوا عابرين رأوا شجرة التين، **وقد يبست من جذورها**». فتذكر بطرس وقال له: «يا معلم. **ها إن شجرة التين التى لعنتها قد يبست**».

وإذن فبمجرد أن لفظ المسيح له المجد الحكم على شجرة التين **جفت فى الحال**، ثم أنها أكثر من ذلك «**قد يبست من جذورها**». فالمعروف أن كل شجرة تسقط منها أوراقها فى الخريف، ولكنها لا تلبث فى الربيع أن تنبت أوراقها من جديد، طالما أن جذورها حية. أما شجرة التين التى لعنها المسيح **فلم تجف فقط ولكنها فضلاً** عن ذلك **قد يبست من جذورها**، فانقطع إلى الأبد كل أمل فى حياتها، وبالتالى فى أن تثمر ثمرا بعد.

لهذا دهش التلاميذ قائلين: «**كيف جفت فى الحال شجرة التين**؟ ثم أنها **أيضاً يبست من جذورها**».

ومهما يكن من أمر فهذه **إحدى البينات على سلطان المسيح على النبات**.

* * *

سلطان المسيح على الحيوان

وكما أظهر المسيح له المجد سلطانه الشامل على المادة فى جميع صورها الصلبة والسائلة والغازية، وسلطانه على النبات، كذلك أيضا أظهر سلطانه على الحيوان. والحيوان هو كل حى. ومع أن النباتات بأنواعها تدخل فى نطاق الكائنات الحية لأنها (تتنفس، وتتغذى، وتنمو وتتكاثر، وتحس)، وهو ما يعرف بالإدراك الحسى PERCEPTION وهو غير الإدراك العقلى CONCEPTION الذى يتميز به الإنسان. على أن تعبير (الحيوان) ينطبق على الحيوانات العجماوات بما فيها المواشى بأنواعها، والأسماك، والطيور، والحشرات، والميكروبات، وهى هذه الكائنات الصغيرة جداً، فضلاً عن الإنسان، ولكن تمييزاً له عن سائر الكائنات الحية، يوصف الإنسان بأنه (حيوان ناطق) أى حيوان (عاقل).

وقد أثبت المسيح له المجد سلطانه على عالم الحيوانات العجماوات بأنواعها فى مناسبات مختلفة، منها ما ذكره الإنجيل فى معجزة (السمك الكثير).

«وإذ كانت الجموع تتزاحم حوله لسماع كلمة الله، وهو واقف عند بحيرة جنيسارت، رأى سفينتين راسيتين فى البحيرة، وقد خرج الصيادون **يغسلون شباكهم، فاعتلى إحدى السفينتين**، وكانت لسمعان، وطلب إليه أن يبتعد بها قليلاً عن البر، ثم جلس يعلم الجموع من فوق السفينة، حتى إذا فرغ من الكلام، قال لسمعان: «**تقدم إلى العمق وألقوا شباككم للصيد**».

فأجاب سمعان وقال له «يا معلم قد تعبنا الليل كله، فلم نحصل على شىء، ولكننا على كلمتك سنلقى الشباك. فلما فعلوا ذلك **حصلوا على عدد عظيم من السمك، حتى لقد أخذت شباكهم تتمزق**. فأشاروا إلى رفاقهم الذين كانوا فى السفينة الأخرى ليأتوا ويعاونوهم، **فأتوا وملأوا السفينتين، حتى كادتا أن تغرقا**. فلما رأى سمعان بطرس ذلك خر عند ركبتى يسوع قائلاً «**امض من عندى يارب**، لأننى رجل خاطىء» إذ أرتعب هو وكل الذين كانوا معه لكثرة السمك الذى حصلوا عليه. كما حدث ذلك ليعقوب ويوحنا ابنى زبدى اللذين كانا رفيقين لسمعان. فقال يسوع لسمعان «لا تخف، وإنك منذ الآن ستكون صياد بشر». ولما جاءوا بسفينتهم إلى البر تركوا كل شىء وتبعوه» (لوقا ٥: ١– ١١).

تكشف هذه المعجزة أموراً غريبة تستثير الانتباه وتثير التأمل مما يبرز بوضوح عظمة المعجزة، وتكشف بالتالى سلطان المسيح له المجد.

أما أولاً، فالمعجزة تمت (**فى الصباح المتأخر، أو قل فى الضحى**)، ذلك أن المسيح صنعها بعد أن علم الجماهير المزدحمة عند بحيرة جنيسارت وهى بحيرة طبرية والمعروفة أيضا ببحر الجليل. ولا نعرف على وجه الدقة كم من الوقت استغرقته عظة المسيح وتعليمه لهذه الجماهير المزدحمة وعلى حد تعبير الإنجيل «**كانت الجموع تتزاحم حوله لسماع كلمة الله**»، وهو واقف عند بحيرة جنيسارت. وليس الأمر يقتضى استخدام كثير من الذكاء حتى يحكم الإنسان على أن عظة المسيح وتعليمه قد استغرق بضع ساعات لإشباع هذه الجموع التى كانت (تتزاحم حوله لسماع كلمة الله).

وإذن فقد (**تمت المعجزة فى الصباح المتأخر أو فى الضحى، وربما نحو الظهر**)

أما **ثانيا**، فإن الصيادين غسلوا شباكهم، وهذا يؤكد من جهة على توقيت المعجزة بأنها تمت فى وضح النهار، وكان الصيادون قد غسلوا شباكهم.

وهذا اعتراف مزدوج: اعتراف بتوقف الصيادين عن الصيد، واعتراف بفشلهم عن محاولة الصيد من جديد، وهو مايؤكده تقرير سمعان بطرس وهو الصياد المخضرم «**يا معلم قد تعبنا الليل كله، فلم نحصل على شىء**».

أما أن يأمر المسيح له المجد سمعان بطرس بعد أن فرغ من تعليم الجموع، وفى وقت الضحى القريب من الظهر، «**تقدم إلى العمق وألقوا شباككم للصيد**» فأمر المسيح يشذ عن القواعد المألوفة فى فن الصيد للسمك، إذ المعروف أن الصيد الناجح يكون **ليلاً، ولا يكون نهاراً**. ثم أن السمك فى النهار يذهب بعيدا إلى عمق البحر لذلك فإن الصيد الناجح يكون ليلاً، حيث يكون السمك بالقرب من شاطىء البحر أو البحيرة. أما أن المسيح يأمر سمعان بطرس قائلا: «**تقدم إلى العمق وألقوا شباككم للصيد**» فهو أمر بارتكاب المستحيل الذى يتعارض مع القوانين الطبيعية، ولذلك أجاب سمعان بطرس على سيده فورا «**يامعلم قد تعبنا الليل كله، فلم نحصل على شىء**» فبالأحرى فى وضح النهار لا نحصل على شىء. وكأنه يقول لسيده إنك تأمر بالمستحيل الذى يتعارض مع المألوف، وفقا لما درسناه فى فن الصيد، ومع طول خبرتنا التى اكتسبناها مع الأجيال.

ومعنى ذلك أن سمعان بطرس عجز عن أن يفهم معنى الأمر الصادر إليه من السيد المسيح، فإنه يتعارض مع علمه وخبرته، ولذلك تعبيرا عن عدم قناعته بالأمر الصادر من المسيح له

المجد، أجاب سيده ومعلمه بقوله: «**لكننا على كلمتك سنلقى الشباك**» أى أننا سنصنع ما أمرتنا به من منطلق الطاعة فقط، لأمر منك يخترق قوانين الطبيعة فى كل شيء، وهو ما لا يقبله المنطق، ولا يسيغه عقل الإنسان.

ولاشك أن تعارض أمر المسيح له المجد مع قوانين الصيد الطبيعية المستقرة، أبرزت عظمة المعجزة، والمعجزة معناها أمر خارق للطبيعة، وهو ما يعجز عنه البشر، ومن هنا فهذا هو معنى المعجزة. هى معجزة بالنسبة للإنسان، لا يقدر الإنسان على أن يصنعها، ولكنها غير معجزة بالنسبة لله وهو سيد الطبيعة، القادر على كل شيء، ولا يحول دون قدرته شيء.

فلما أطاع سمعان بطرس أمر المسيح حدث فى الحال ما بهر له سمعان «**فلما فعلوا ذلك حصلوا على عدد عظيم من السمك، حتى لقد أخذت شباكهم تتمزق**. فأشاروا إلى رفاقهم الذين كانوا فى السفينة الأخرى ليأتوا ويعاونوهم، فأتوا وملأوا السفينتين حتى كادتا أن تغرقا».

وهنا يتساءل الإنسان: **من أين أتى هذا العدد الكبير من السمك، الذى امتلأت به السفينتان** (حتى كادتا أن تغرقا) ؟

إن السمك الذى عصى الصيادين المخضرمين ولم يستجب لمحاولاتهم (الليل كله) كيف تدفق على السفينة الأولى، ثم السفينة الثانية، بهذه الكثرة. أليس حقا إنه أطاع الأمر الصادر من المسيح له المجد، واستجاب للأمر بصورة لم يعرفها سمعان بطرس ورفاقه من قبل، وهو ما ذُهل له سمعان بطرس حتى أنه «**خر عند ركبتى يسوع قائلا: امض من عندى يارب، لأننى رجل خاطئ**» إذ ارتعب هو وكل الذين كانوا معه لكثرة السمك الذى حصلوا عليه. كما حدث ذلك ليعقوب ويوحنا ابنى زبدى اللذين كانا رفيقين لسمعان».

وإذا كان سمعان بطرس من فيض ذهوله تجاسر وقال للرب يسوع «امض من عندى يارب» وهو تعبير يبدو فى ظاهره، وكأن سمعان يطرد السيد المسيح من سفينته. ولكن الحقيقة أن سمعان بطرس انسحق قلبه تواضعا أمام سيده وأحس أنه غير مستحق لهذه الكرامة العظيمة، وغير جدير لشرف وجود المسيح له المجد فى سفينته، وقد أعقب قوله «امض من عندى يارب» بقوله «**لأننى رجل خاطئ**». وإذن فمقولة سمعان بطرس كانت من منطلق احساسه العميق بحقارته ووضاعته أمام المسيح فى عظمته وجلاله وسلطانه. ولذلك فإن سمعان بطرس على ما

يقول الإنجيل «خر عند ركبتي يسوع قائلا: **امض من عندى يارب، لأننى رجل خاطىء**» وهذا إقرار منه بربوبية المسيح وألوهيته «امض من عندى يارب» وإقرار فى الآن نفسه بصغارته هو، أى سمعان، وحقارته، وعدم استحقاقه لشرف وجود المسيح فى سفينته. ولذلك فإن السيد المسيح لم يغضب من سمعان، ومن تعبيره الذى يبدو فى ظاهره أنه تعبير تجاوز فيه سمعان الأدب اللائق نحو سيده وسيد الخليقة كلها، وإنما على العكس عطف عليه لأنه يعلم قلب سمعان، وأنه من عمق إحساسه بجلال سيده ومعلمه قال ما قال، فقال يسوع لسمعان «**لا تخف، وإنك منذ الآن ستكون صياد بشر**».

أما السمك فكيف استجاب لأمر المسيح له المجد ولم يكن هناك أمر صريح منه للسمك؟

أيكون هذا معناه أن السمك عرف لغة سيده وسيد الطبيعة، على الرغم من أن الأمر مُوَجَّه إلى سمعان بطرس، فتحرك من تلقاء ذاته حباً وطاعة وتعبدا وإستجابة لخالق الطبيعة؟

ويبقى السؤال قائماً: **هل السمك يتعامل مع سيد الطبيعة وخالقه بلغة لا يفهمها الناس، ولكنها لغة حقيقية**؟ وهو ما يذكرنا بقول الرب الإله لإيليا النبى «**وقد أمرت الغربان أن تعولك**» (١. الملوك ١٧ : ٤).

وبعد، أليست هذه معجزة حقيقية بكل المقاييس؟ ثم أليست هذه بينة حقيقية على سلطان المسيح على السمك، وعلى الحيوان، وعلى كل الحيوانات العجماوات؟

إنه على الرغم من كل الظروف غير المواتية، وعلى الرغم من كل المعقول والمقبول فى عالم الإنسان، يصنع المسيح المعجزة التى يتخطى بها كل المعقول والمقبول، برهاناً على سلطانه المطلق على الطبيعة، الحية فضلاً عن المادة، وعلى النبات.

«**إنه يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر** (أيوب ٤٢ : ١) **هل يستحيل على الرب شىء؟**» (التكوين ١٨ : ١٤)

انظر (إرميا ٣٢ : ٢٧)، (لوقا ١٨ : ٢٧)، (متى ١٩ : ٢٦)، (مرقس ١٠ : ٢٧)، (١٤ : ٣٦)، (رومية ٤ : ٢١).

* * *

وثمت بينة أخرى على سلطان المسيح على الحيوان أظهرها له المجد بعد قيامته من بين الأموات.

قال الإنجيل:

«كان سمعان بطرس وتوما المدعو ديديموس، ونثنائيل الذى من قانا الجليل وابنا زبدى وإثنان آخران من تلاميذه مجتمعين معاً».

فقال لهم سمعان بطرس: «إننى ذاهب لأصطاد سمكاً». فقالوا له «ونحن أيضا نذهب معك»، ثم خرجوا وركبوا السفينة، إلا إنهم **لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئاً**، حتى إذا طلع الصباح، وقف يسوع على الشاطىء، ولكن التلاميذ لم يعلموا أنه هو يسوع. فقال لهم يسوع «يافتيان ألديكم شيء يؤكل؟» أجابوه «لا» فقال لهم: «**ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا**» **فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك**. فقال التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس «**إنه الرب**». فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه لأنه كان عريانا، ثم ألقى بنفسه فى البحر. وأما التلاميذ الآخرون، فجاءوا بالسفينة التى لم تكن تبعد عن الشاطىء إلا نحو مائتى ذراع، ثم أخذوا يجرون شبكة السمك. فلما جاءوا إلى الأرض تطلعوا فرأوا جمراً، وسمكا موضوعا عليه وخبزا. وقال لهم يسوع: «قدموا من السمك الذى اصطدتم الآن» فصعد سمعان بطرس وجر الشبكة إلى الأرض وهى **مكتظة سمكا كبيراً، مائة وثلاثاً وخمسين سمكة، ومع كثرة هذا العدد لم تتخرق الشبكة**. فقال لهم يسوع «هلموا تناولوا الطعام». ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله: «من أنت؟» **لأنهم عرفوا أنه هو الرب**. ثم تقدم يسوع وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك» (يوحنا ٢١: ١– ١٤).

هنا أيضا فى تلك الحادثة، سبعة من تلاميذ المسيح خرجوا للصيد فى بحر طبرية، وعلى الرغم من أن موعد الصيد الناجح للسمك يكون ليلاً «إلا أنهم **لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئا**، أفهل هرب السمك أيضا كما فى المرة الأولى حتى يستجيب لأمر سيده حين يأمر تلاميذه «**ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة فتجدوا**»؟. فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك.

أليس حقاً شيئا عجيبا وغريبا أن التلاميذ حاولوا محاولتهم ليلا وهو الموعد الطبيعى الذى

يكون فيه السمك قريبا إلى الشاطىء، «إلا أنهم لم يصيدوا فى تلك الليلة شيئا». أما عندما أصدر المسيح له المجد أمره إلى تلاميذه بأن يلقوا الشبكة من الجانب الأيمن للسفينة، لا يجدون فقط، على الرغم من أنه كان قد طلع الصباح، حيث يذهب السمك بعيدا عن متناول الصيادين، وإنما **يندفع السمك إلى الشبكة بكثرة عظيمة حتى أن التلاميذ لم يستطيعوا بعد أن أطاعوا أمر معلمهم أن يجذبوا الشبكة إلى فوق من كثرة السمك؟**

وإذن فبأى منطق نفهم تدفق السمك بهذه الكثرة بينما أنه قبل صدور الأمر من فم المسيح لم تكن ثمت إستجابة لمحاولات التلاميذ، وفى الوقت المعتاد للصيد وهو ليلاً، إلا أن يكون السمك قد استجاب تلقائيا لأمر المسيح بوصفه صاحب السلطان الذى تخضع لأمره الطبيعة كلها، والحيوان والسمك من بينها؟

هو سؤال مطروح: **من هذا الذى استجاب السمك لصوته، وأطاع بمجرد صدور الأمر للتلاميذ؟**

والجواب هو بفم يوحنا التلميذ الذى كان يسوع يحبه «إنه الرب». نعم إنه الرب، رب الناس والحيوان، رب الخلق جميعا، وسيد الوجود «**الكلمة الذى كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان. وفيه كانت الحياة**» (يوحنا ١ : ٣، ٤).

ويقول الإنجيل: ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله: «من أنت؟» «لأنهم عرفوا أنه هو الرب، فإنه **من هو الآخر الذى تستجيب الطبيعة لأمره**؟»

«أيها السيد الرب ها إنك قد صنعت السماوات والأرض بقوتك العظيمة وبذراعك الممدودة، **لا يعسر عليك شىء**» (إرميا ٣٢ : ١٧) «**لأنه ليس ثمة مستحيل على الله**» (لوقا ١ : ٣٧).

* * *

وبينة أخرى للدلالة على سلطان المسيح على الحيوانات العجماوات:

جاء فى الإنجيل:

«ثم عبروا إلى الضفة الأخرى للبحر، وجاءوا إلى أرض الجرجسيين، فما أن غادر السفينة حتى اتجه نحوه رجل خارج من بين القبور، فيه روح نجس، وكان يقيم بين القبور، ولم يكن أحد يستطيع تقييده ولو بالسلاسل، لأنه كثيرا ما كبلوه بالسلاسل والأغلال... فما كان فى

مقدور أحد أن يقهره. وكان لا يكف عن الصياح ليلاً ونهاراً فى القبور وفى الجبال وهو يجرح بالحجارة جسمه (ولم يكن يرتدى ثوبا، ولا يقيم فى بيت، وإنما فى القبور) فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له، (وارتمى عند قدميه) ثم صرخ بصوت عظيم قائلاً له «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى؟ أستحلفك بالله ألا تعذبنى» إذ كان يسوع قد قال له «اخرج من الرجل أيها الروح النجس» (وكان قد استحوذ عليه منذ زمان طويل، فكانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال، فيحطم القيود ويسوقه الشيطان إلى البرارى. فسأله يسوع قائلاً: «ما اسمك؟») فأجاب قائلاً: (اسمى فيلق لأننا كثيرون، لأن شياطين كثيرين كانوا قد دخلوا فيه) «وتوسل إليه فى إلحاح ألا يطردهم خارج تلك الأرض» (وقد توسلوا إلى يسوع ألا يأمرهم بالذهاب إلى الغور الذى لا قرار له) وكان ثمة قطيع كبير من الخنازير يرعى عند الجبل، فتوسل إليه الشياطين قائلين: أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم يسوع، (فقال لهم «اذهبوا») فخرجت الشياطين (الأرواح النجسة) على الفور ودخلت فى الخنازير، «فاندفع القطيع الذى كان عدده نحو الألفين وهوى من فوق الجوف فغرق فى البحر»، (ومات فى المياه) (وإذ رأى الرعاة ما حدث هربوا ومضوا إلى المدينة) «وأذاعوا الأمر فى كل المدينة وفى الضياع (وأخبروا بكل شىء وبما جرى)، فخرج الناس (أهلها) ليروا ما حدث» (فإذا المدينة كلها قد خرجت لملاقاة يسوع) «وأتوا إلى يسوع، فشاهدوا الرجل الذى كانت الشياطين فيه»، جالسا عند قدمى يسوع «مرتديا ثيابه سليم العقل، فخافوا. وقد أخبرهم الذين كانوا شهودا بما حدث للذى كانت الشياطين فيه وبما حل بالخنازير» فراحوا يطلبون إليه أن ينصرف عن نواحيهم» (إذ اعتراهم خوف عظيم، فركب السفينة ورجع. وقد توسل إليه الرجل الذى خرجت منه الشياطين أن يلازمه) «ولكن يسوع لم يأذن له وإنما قال له: عد إلى بيتك وإلى ذويك وأخبرهم بما صنع الرب معك وبرحمته لك».

«فمضى وأخذ ينادى فى العشر المدن بما صنع يسوع معه. فكان الجميع يتعجبون» (مرقس ٥: ١- ٢٠)، (لوقا ٨: ٢٦- ٣٩)، (متى ٨: ٢٨- ٣٤).

* * *

سلطـان المسيـح الشامل على الإنسان

وكـمـا أثبت السيـد المسيح له المجد سلطانه المطلق والشامل على المادة فى كـافـة صـورها: الصلبة، والسائلة، والغازية...

وأثبت أيضا سلطانه على النبات،

وأثبت كذلك سلطانه على الحيوان،

هكذا أيضا أثبت بالبيـنات الواضحة **سلطانه الشامل والمطلق على الإنسان.**

ومن آيات ذلك سلطانه على شفاء جميع أمراض الناس بكل صورها

والأمراض أنواع:

ولعل أبرزها وأوضحها ما يعرف **بالأمراض الجسدية**، ومنها ما يصيب البدن كله بالوهن والضعف والهزال، والشلل...

ومنهـا مـا يـصـيب عـضوا أو أكـثـر من أعـضـاء الجـسد فى الإنسان، كـالعين والأنف والأذن والحنجرة واللسان، والأمراض الجلدية والتناسلية، والحميات بأنواعها وأمراض الكبد والكلى، وأمـراض العظام والمفـاصل، وأمراض الجـهـاز الهـضـمى، وأمـراض الجـهـاز الدمـوى، والقلب والشرايين... والسكر والضغط... ثم السرطان بأنواعه...

تلك وغيرها ما يسمى بالأمراض الجسدية مما يدخل فى إختصاصات الطب البشرى بكافة أنواعه وفروعه وتخصصاته...

ولـكـن هـنـاك مـن الأمـراض مـا يـسـمى **بالأمـراض النفـسيـة والنفـس جسـمية** Psychosomatics

وثمة أيضا أنواع أخرى من الأمراض، منها ما يسمى **بالأمراض العقلية**، ومنها ما يسمى **بالأمراض العصبية.**

وفضلا عن كل ذلك فهناك الأمراض المتسببة عن مس **الشياطين والأرواح النجسة وإمتلاكها للروح والجسد** فى الإنسان، **وربطها للجسم كله أو بعض أعضائه.**

ولكل هذه الأنواع من الأمراض أطباء مختصون.

فالطب البشرى يعالج الأمراض الجسدية بأنواعها.

ثم **الطب النفسى** له إخصائيون، وكذلك **الطب العقلى والعصبى، والطب الروحى**

الذى يعالج المصابين بمس من الشياطين والجان والأرواح النجسة.

وعلى الإنسان المريض بأى من تلك الأمراض، أن يذهب إلى الطبيب المختص بنوع المرض الذى أصابه. وقد يختلف إلى عدد من الأطباء، وقد يضل الطريق إلى أن يهتدى أخيراً إلى الطبيب الإخصائى الذى يمكنه من واقع خبرته ودراساته النظرية والعملية أن يشخص المرض، ويصف العلاج...

على أنه فى غير مقدور أحد من الأطباء مهما بلغت مهارته وخبرته فى فنه وعمله أن يعالج جميع الأمراض.

* * *

أما السيد المسيح له المجد فهو وحده الذى أثبت سلطانا مطلقا وشاملاً على شفاء جميع الأمراض كافة، على إختلاف أنواعها، جسدية، ونفسية وعصبية وعقلية، وكذلك جميع الأمراض المتسببة عن مس الشياطين والأرواح النجسة، وإمتلاكها للإنسان كله روحا وجسداً، وربطها له، وإخضاعه لسيطرتها.

ليس ثمت مرض واحد استعصى على المسيح له المجد، أياً كان نوع هذا المرض، جسديا أو نفسيا، أو عِصبيا، أو روحيا. جميع الأمراض بلا إستثناء خضعت لسلطانه ولم تخرج عن دائرة إختصاصه. وهو أمر ينفرد به المسيح له المجد. فما من طبيب من بنى البشر يمكنه أن يعالج كل مرض. **المسيح وحده هو الذى عالج كل مرض**، وليس مجرد علاج، ولكنه **كان يشفى جميع الأمراض وبكافة أنواعها**، ويشفى شفاء تاما، ويشفى فورا، وفى الحال، وبدون إبطاء.

لقد ذكر الإنجيل المقدس بعض معجزات الشفاء ولكنه لم يذكر جميع تلك المعجزات، لأنها كثيرة ولا يحصيها العد، ولم يكن فى الإمكان تسجيلها تفصيلاً أو إجمالاً.

قال الإنجيل للقديس يوحنا فى ختام الإنجيل

«وثمة أشياء كثيرة أخرى صنعها يسوع لو أنها كتبت واحدة فواحدة فلا أظن أن العالم نفسه يسع الكتب التى تكتب» (يوحنا ٢١ : ٢٥).

وقال أيضا «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه **آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب**، «وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إن آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (يوحنا ٢٠ : ٣٠، ٣١).

وما أكثر ما ورد فى الإنجيل من إشارات إلى شفاء المسيح له المجد للمرضى من كل نوع، وبسلطان مطلق وشامل لجميع المرضى ولجميع الأمراض.

جاء فى الإنجيل قوله:

«وكان يسوع يطوف فى الجليل كله، يعلم فى مجامعهم وينادى ببشارة الملكوت، **ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب**. فذاعت شهرته فى سوريا كلها، فكانوا يجيئون إليه **بكل المعذبين بأمراض وأوجاع مختلفة والذين تسكنهم الشياطين والمصابين بالصرع والفالج، فكان يشفيهم**» (متى ٤: ٢٣، ٢٤)

وجاء فى الإنجيل قوله:

«وقام يسوع وخرج من المجمع، ثم دخل بيت سمعان. وكانت حماة سمعان (مطروحة) قد أصيبت بحمى شديدة، فتوسلوا إليه من أجلها. فاقترب منها (فلمس يدها) **وزجر الحمى ففارقتها، وقامت على الفور وراحت تخدمهم**. وعند غروب الشمس كان **جميع الذين لديهم مرضى بعلل مختلفة قد جاءوا بهم إليه**، (وقد اجتمعت المدينة كلها عند الباب) **فكان يضع يديه على كل منهم فيشفيهم. (وجاءوا إليه بكثيرين ممن بهم شياطين. فكان يطرد الأرواح بكلمة منه، ويشفى جميع المرضى**، لكى يتم ما قيل بفم إشعياء النبى القائل «إنه أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا») (لوقا ٤: ٣٨- ٤١)، (متى ٨: ١٤- ١٧)، (مرقس ١: ٣٢- ٣٤)، (١: ٣٩).

أليس مما يثير الإنتباه حقا إنه له المجد كان **يشفى جميع المرضى ممن تقدموا إليه وممن قدموهم إليه ؟**

«**إنه حقا يستطيع كل شىء ولا يعسر عليه أمر**» (أيوب ٤٢: ٢)

ويقول الإنجيل أيضا فى موضع آخر:

«وكان يسوع يطوف بكل المدن والقرى يعلم فى مجامعهم، **ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب**..» (متى ٩: ٣٥)

«ومن ثم إزداد أمره ذيوعاً **فتوافدت جموع عظيمة ليستمعوا إليه وينالوا الشفاء به من أمراضهم**» (لوقا ٥: ١٥) «جاءوا من كل بلاد الجليل واليهودية وأورشليم، **وقد حلت قوة الرب لشفائهم**» (لوقا ٥: ١٧).

كذلك يروى الإنجيل أن يوحنا المعمدان وكان مسجونا بالسجن فأرسل إثنين من تلاميذه إلى المسيح له المجد يقولان له: «أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟» ويبدو أن هذين التلميذين من تلاميذ يوحنا كانا الوحيدين اللذين لم يتبعا المسيح له المجد، فأراد يوحنا المعمدان، وهو على أهبة نهاية حياته ينتظر، وهو فى السجن، الحكم عليه بالإعدام (أن يحث هذين التلميذين على أن يتبعا سيده المسيح كما فعل الآخرون من تلاميذ يوحنا، ولكنه أراد لهما أن يذهبا إلى المسيح يسوع ويسمعا منه ويشهدا معجزاته، فيؤمنان به بإختيارهما وإرادتهما، فأرسلهما إلى السيد المسيح يسألانه: أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ «**والسؤال هو سؤال التلميذين** وقد أرسلهما يوحنا إلى المسيح ليسمعا من فم الرب يسوع الجواب المقنع، فيؤمنا به. فذهبا بالفعل وسمعا الجواب عمليا إذ شاهدا بعيونهما أعمال قوته ومعجزاته، «وفى تلك الساعة **شفى كثيرين من أمراضهم وعللهم ومن الأرواح الشريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين**، فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأخبرا يوحنا بما تريان وما تسمعان: **العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون،** ومغبوط من لا يشك فى» (لوقا ٧: ١٨- ٢١)، (متى ١١: ١- ٥)

وهكذا يظهر سلطان المسيح المطلق على **شفاء جميع الأمراض، وجميع المرضى على إختلاف أمراضهم الجسدية والروحية «العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون» أى جميعهم، وبدون إستثناء.**

ويقول الإنجيل أيضا إن المسيح يسوع «إذ علم أن الفريسيين تآمروا عليه لكى يهلكوه.. انصرف من هناك **وتبعته جموع عظيمة فشفاهم جميعاً**» (متى ١٢: ١٤، ١٥).

وجاء فى الإنجيل أيضا قوله:

«مضى (يسوع) من هناك فى سفينة إلى موضع قفر منفرداً. وإذ سمع الشعب تبعوه ماشين من المدن. فلما خرج يسوع، **ورأى جمعاً عظيماً. تحنن عليهم وشفى مرضاهم**» (متى ١٤: ١٣، ١٤)

«وحين عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت. فلما عرفه أهل ذلك المكان أرسلوا إلى كل النواحى المحيطة بتلك الجهة **وأحضروا إليه كل المرضى**، وتوسلوا إليه أن يلمسوا ولو طرف ردائه، **فشفى كل الذين لمسوه**» (متى ١٤: ٣٤- ٣٦)

ويقول الإنجيل أيضا «وجاء (يسوع) بالقرب من بحر الجليل وصعد إلى جبل وجلس هناك. **فأقبل عليه جمع عظيم وقد جاءوا معهم بمقعدين وعميان وصم وخرس وذوى عاهات وآخرين كثيرين وألقوا بهم عند قدمى يسوع، فشفاهم حتى لقد دهش الجمع، إذ رأوا الخرس يتكلمون، وذوى العاهات يبرأون، والمقعدين يمشون، والعميان يبصرون، والصم يسمعون**، فمجدوا إله إسرائيل» (متى ١٥: ٢٩– ٣١)

وهكذا نقرأ أيضا فى الإنجيل قوله:

«ولما أتم يسوع هذه الأقوال غادر الجليل وجاء إلى نواحى اليهودية عبر الأردن، **فتبعته جموع عظيمة فشفاهم هناك**» (متى ١٩: ١، ٢)

كذلك جاء عنه أنه إذ دخل هيكل الله وطرد كل الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب مناضد الصيارفة ومقاعد بائعى الحمام،... «**تقدم إليه فى الهيكل العمى والمقعدون فشفاهم**» (متى ٢١: ١٢– ١٤)

وجاء فى الإنجيل قوله:

«**وكان قد شفى كثيرين، ومن ثم كانوا يتهافتون عليه ليلمسه كل من به مرض. أما الأرواح النجسة فكانت حين تراه تخر ساجدة له وتصرخ قائلة: إنك أنت هو ابن الله**» (مرقس ٣: ١٠، ١١)

وفى موضع آخر يقول الإنجيل:

«**فأسرعوا من كل الأنحاء المحيطة حاملين المرضى على الأسرة إلى حيث سمعوا أنه هناك. وحيثما دخل فى القرى أو المدن أو الضياع، كانوا يضعون المرضى فى الشوارع والأسواق، ويتضرعون إليه أن يلمسوا ولو طرف ردائه، فكان كل من يلمسه يشفى**» (مرقس ٦: ٥٤– ٥٦)

وقد دهشوا أشد الدهشة قائلين «إنه أبدع فى كل ما فعل **وقد جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون**» (مرقس ٧: ٣٧)

«**وجمهور عظيم من الشعب جاءوا من كل اليهودية وأورشليم، ومن ساحل صور وصيداء، ليسمعوه وليبرئهم من أمراضهم. والذين كانت تعذبهم الأرواح النجسة كان يشفيهم. وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوة كانت تخرج**

منه فتبرئهم جميعا، (لوقا ٦: ١٧– ١٩)

انظر أيضا (لوقا ٨: ٢، ٣)، (لوقا ٩: ١١)، (يوحنا ٦: ٢)

وجاء فى سفر أعمال الرسل قوله:

«يسوع الناصرى الذى جاء يعمل الخير ويجول من مكان إلى آخر، **ويشفى جميع الذين تسلط عليهم إبليس،** (أعمال الرسل ١٠: ٣٨)

أليس هذا هو ما أنبأ عنه الأنبياء بروح القدس: «**هو يأتى ويخلصكم. حينئذ تتفتح عيون العمى وآذان الصم تتفتح. وحينئذ يطفر الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأبكم (الأخرس)** لأنه قد انفجرت فى البرية مياه وأنهار فى القفر، (نبوءة إشعياء ٣٥: ٤– ٦).

* * *

وأضاف المسيح له المجد على بينات سلطانه الشامل على **شفاء جميع الأمراض بأنواعها، جسدية وروحية،** أنه أعطى تلاميذه الإثنى عشر **سلطانا على شفاء جميع الأمراض،** وهذه **بينة كبرى على ألوهته وربوبيته، فإنه يملك لذاته هذا السلطان بل يملك أيضا أن يمنحه لمن يشاء أن يمنحه إياه.**

من ذلك ما ذكره الإنجيل المقدس:

«ثم دعا تلاميذه الإثنى عشر **وأعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة ليطردوها، ويشفوا كل مرضٍ وكل ضعفٍ،** (متى ١٠: ١)، (مرقس ٣: ١٤، ١٥)

ولاشك أن هذا النص المقدس يبرهن برهانا قاطعا على سلطان المسيح الشامل، **فإنه يملك هذا السلطان ليس لذاته فقط، ولكنه يمنحه للإثنى عشر. وما منحه لتلاميذه الإثنى عشر ليس سلطانا محدوداً أو مقيدا، وإنما هو سلطان شامل أيضا لشفاء كل مرض، وكل ضعف، ثم سلطان شامل على الأرواح النجسة ليخرجوها ويطردوها،** وهو هذا السلطان الذى أشار إليه صراحة القديس بطرس عندما شفى الرجل الأعرج من بطن أمه بقوله له: «لا فضة عندى ولا ذهب، ولكننى أعطيك ما عندى: **باسم يسوع المسيح الناصرى:** قم وامش، ثم أمسكه بيده اليمنى وأنهضه. ففى الحال اشتدت قدماه وكعباه، ووقف واثبا وطفق يمشى، ودخل الهيكل معهما ماشيا وهو يطفر ويسبح الله. فأبصره

الشعب كله وهو يمشي ويسبح الله وعرفوا أنه هو الذى كان يجلس عند الباب الجميل للهيكل، يلتمس الصدقة، فامتلأوا رهبة ودهشا مما جرى له. وبينما هو يلازم بطرس ويوحنا، تراكض إليهم الشعب كله نحو الرواق المسمى رواق سليمان، وهم فى ذهول. فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب قائلا: أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من ذلك؟ **ولماذا تتفرسون فينا هكذا كأننا بقدرتنا أو تقوانا جعلنا هذا يمشى؟** إن إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، إله آبائنا، قد مجد ابنه يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه فى حضرة بيلاطس وطالبتم بأن يطلق لكم رجل قاتل. **أما رئيس الحياة فقتلتموه**... ونحن شهود له. **وبالإيمان باسمه تقوى هذا الذى أنتم ترونه وتعرفونه، واسمه شدده. والإيمان به هو الذى منحه هذه الصحة الكاملة أمامكم جميعاً،** (أعمال الرسل ٣: ٦- ١٦)

وبهذا السلطان الممنوح من المسيح له المجد شفى القديس بطرس إنسانا اسمه إينياس وكان معوقا منبطحاً كسيحا يلزم الفراش منذ ثمانى سنين، وكان مفلوجاً (مشلولا). فقال له بطرس: «يا إينياس شفاك يسوع المسيح، فقم وأصلح فراشك بيدك. **فقام للوقت**، ورآه جميع سكان لده وشارون» (أعمال الرسل ٩: ٣٢- ٣٥) لم يكن هذا السلطان الذى استخدمه القديس بطرس الذى شفى به مريضا منذ ثمان سنين، فقام فى الحال، **لم يكن سلطان بطرس وإنما كان سلطان المسيح الموهوب والممنوح لبطرس مع سائر التلاميذ**، وكذلك ما صنعه القديس بطرس مع طابيثا إذ أقامها من الموت بعد أن ماتت وغسلوها ووضعوها فى علية، إذ جثا على ركبتيه وصلى ثم إلتفت إلى الجثمان، وقال: **«يا طابيثا قومى. ففتحت عينيها**. ولما أبصرت بطرس جلست، فمد إليها يده وأنهضها ثم دعا القديسين والأرامل وأحضرها حية» (أعمال الرسل ٩: ٣٦- ٤١)

ولم يكن سلطان بطرس الذى كان يشفى المرضى فى الكنيسة الأولى **«حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً فى الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة، حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم**. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم **حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم»** (أعمال الرسل ٥: ١٥، ١٦) وإنما بالأحرى كان **هو سلطان المسيح الذى منحه المسيح له المجد إلى الإثنى عشر رسولاً ومنهم مار بطرس أحد الإثنى عشر...**

* * *

طرائق الشفاء

وكما أظهر المسيح له المجد سلطانه الشامل فى شفاء جميع الأمراض على مختلف أنواعها، جسدية ونفسية وروحية، ولم يعص عليه مرض من أى نوع، الأمر الذى لم يحدث مثله فى كل تاريخ الإنسانية.

كذلك كانت طرائقه فى الشفاء متنوعة بحسب غنى نعمته ورحمته.

– ١ –

كان يشفى المرضى بوضع يديه

فما أكثر ما كان يشفى المسيح المرضى بوضع يده أو كلتا يديه على المريض أو على العضو المريض فيشفى، من دون ضراعة أو ابتهال أو استمداد قوة من خارج ذاته، مما يدل على أن له القوة والقدرة وفيه القوة والقدرة، ولا يستمدها من مصدر آخر، أو كائن آخر.

جاء فى الإنجيل

«وقام يسوع وخرج من المجمع... وعند غروب الشمس كان جميع الذين لديهم مرضى **بعلل مختلفة** قد جاءوا بهم إليه. **فكان يضع يديه على كل منهم فيشفيهم**» (لوقا ٤:٤٠)

ومعنى ذلك أنه **مهما كان نوع المرض، عضويا أو شاملا البدن كله، فكان يشفيه له المجد بوضع يديه على رأس المريض أو على عينيه أو أذنيه أو بدنه كله أو جزء منه فيشفيه فوراً.**

وفى كفر ناحوم «**وضع يديه على المرضى فشفاهم**» (مرقس ٦ : ٥)

وفى بيت صيدا قدموا إليه أعمى وتوسلوا إليه أن يلمسه «**فوضع يديه على عينيه فتطلع بقوة فشفى، ورأى كل شىء بوضوح**» (مرقس ٨ : ٢٢– ٢٥)

وإمرأة كان قد استولى عليها روح أصابها بمرض منذ ثمانية عشر عاماً، فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البتة. فلما رآها يسوع دعاها إليه وقال لها: أيتها المرأة إنك محلولة الوثاق من مرضك. «**ووضع يديه عليها، ففى الحال انتصبت قائمة ومجدت الله**» (لوقا ١٣ : ١١– ١٣)

ومرّ فى صيدا نحو بحر الجليل... فأحضروا إليه أصمّ أخرس وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه فانتحى به بعيداً عن الجمع ووضع أصابعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه... وقال «إفتح أى انفتح. فانفتحت فى الحال أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة» (مرقس ٧: ٣١– ٣٥).

وبناء على هذا، عندما مرضت إبنة يايروس رئيس المجمع لما رأى يايروس المسيح له المجد «خر عند قدميه وأخذ يضرع إليه فى إلحاح قائلاً: إن ابنتى مشرفة على الموت. تعال ضع يدك عليها، فتنجو وتحيا» فذهب معه (مرقس ٥: ٢٢– ٢٤)، (لوقا ٨: ٤١، ٤٢).

– ٢ –

وكان يشفى المرضى بلمسة من يده

يقول الإنجيل:

«ودخل إحدى المدن، **فإذا رجل يملأ البرص جسده**، حين رأى يسوع، خر على وجهه (وسجد له) (وجثا على ركبتيه أمامه) وتوسل إليه قائلاً (فى ضراعة): «يارب، إن كنت تريد فأنت قادر على أن تطهرنى، فأشفق عليه يسوع **ومد يسوع يده ولمسه** قائلاً له: «**أريد فأطهر، ففى الحال ذهب عنه البرص (طهر من برصه)**» (لوقا ٥: ١٢، ١٣)، (متى ٨: ٢، ٣)، (مرقس ١: ٤٠– ٤٢)

إن الرب يسوع شفى الأبرص الذى كان البرص يملأ جسده كله، **بلمسة من يده وبكلمة منه (أريد فأطهر) ومن دون ضراعة أو ابتهال**. هل رأت البشرية فى كل تاريخها طبيبا يشفى مريضاً غطى البرص كل جسده، بلمسة من يديه، من دون أن يستخدم وسيلة ما من وسائل العلاج، ودون أن يستمد قوة خارجاً عن ذاته، ثم يتم الشفاء فى الحال «**فى الحال طهر من برصه**» **ودون إبطاء أو إمهال؟**

وحادثة أخرى

يقول الإنجيل:

ولما مضى يسوع من هناك، تبعه أعميان يصرخان قائلين: «يا ابن داود ارحمنا» حتى إذا دخل البيت جاء الأعميان إليه فقال يسوع لهما: «أتؤمنان بأنى قادر أن أفعل هذا؟» فقالا له. «نعم يارب».. «**فلمس أعينهما.. فانفتحت أعينهما**» (متى ٩: ٢٧– ٣٠)

وجاء فى الإنجيل أيضا

«وفيما هم خارجون من أريحا، تبعه جمع عظيم، وإذا أعميان كانا جالسين على جانب الطريق»، سمعا أن يسوع مجتاز، فصرخا قائلين: «يا ربنا يا بن داود ارحمنا» فانتهرهما الجمع

ليسكتا، ولكنهما إزدادا صراخا قائلين: «ياربنا يا بن داود ارحمنا»، فتوقف يسوع ودعاهما وقال: «مَاذا تريدان أن أفعل لكما؟» قالا له: «ياربّ أن **تفتح أعيننا**»، فتحنن يسوع **ولمس أعينهما، ففى الحال أبصرا** وتبعاه» (متى ٢٠: ٢٩– ٣٤)

وجاء فى الإنجيل أيضا

«ثم غادر حدود صور، ومر فى صيدا نحو بحر الجليل.. فأحضروا إليه أصم أخرس وتوسلوا إليه **أن يضع يده عليه. فانتحى به بعيدا عن الجمع ووضع أصابعه فى أذنيه وتفل ولمس لسانه.. فانفتحت فى الحال أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة»** (مرقس ٧: ٣١– ٣٥)

كذلك جاء عن شفائه لحماة سمعان:

«وبعد أن خرجوا من المجمع، دخلوا بيت سمعان وأندراوس، ومعهم يعقوب ويوحنا، وكانت حماة سمعان (مطروحة) ترقد محمومة (**قد أصيبت بحمى شديدة**) فتوسلوا إليه من أجلها). فاقترب منها وزجر الحمى (فلمس يدها)، وأمسك بيدها وأنهضها ففارقتها الحمى فى الحال، (**وقامت على الفور وراحت تخدمهم**) (مرقس ١: ٢٩– ٣١)، (لوقا ٤: ٣٨، ٣٩)، (متى ٨: ١٤، ١٥).

ولهذا كانت جماهير المرضى تتهافت على أن تلمسه «**وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه فتبرئهم جميعا**» (لوقا ٦: ١٩).

– ٣ –

الشفاء بالتفل والطين

وهذه الطريقة استخدمها المسيح له المجد فى شفاء المولود أعمى، وقد كان هذا الرجل أعمى تماما. كانت مقلتاه فارغتين أى لم تكن له عينان، وفى هذا يختلف عن عميان آخرين، ممن لهم عينان ولكن العصب البصرى تالف أو معطل. فالمسيح له المجد شفاه بأن تفل على الأرض ثم صنع من التفل طينا ووضعه على عينى الأعمى، وبذلك خلق له عينين من الطين.

قال الإنجيل:

«وفيما هو مجتاز، رأى رجلا أعمى منذ ولادته... ثم تفل على الأرض وصنع من التفل طينا ووضعه على عينى المولود أعمى». وقال له: «اذهب فاغسل وجهك فى بركة سلوام... فذهب وغسل وجهه وعاد بصيراً» (يوحنا ٩: ١– ٧).

نعم، لو كان للمولود أعمى عينان فى مقلتيه وكانت علته هى تلف أو عطل فى العصب البصرى لكان يكفى أن يلمسه المسيح له المجد بيده أو بكلتا يديه كما فعل مع آخرين ومنهم بارتيماوس الأعمى ابن تيماوس الذى ما إن سمع أن يسوع الناصرى مقبل حتى طفق يصرخ قائلا: «يا يسوع بن داود ارحمنى». فوقف يسوع، وكان خارجا من أريحا وقال: «ادعوه» فدعوا الأعمى قائلين له: «اطمئن. قم وتعال، فإنه يدعوك» فوثب طارحاً عنه رداءه وجاء إلى يسوع. فقال له يسوع «ماذا تريد أن أفعل لك؟» قال له الأعمى «يارب، أن أبصر» فقال له يسوع: «اذهب» «**فأبصر على الفور**» (مرقس ١٠: ٤٦- ٥٢)

أو كما فعل المسيح له المجد مع أعميين كانا جالسين على جانب الطريق، سمعا أن يسوع مجتاز، فصرخا قائلين: «ياربنا يابن داود، ارحمنا» فتوقف يسوع ودعاهما وقال: «ماذا تريدان أن أفعل لكما؟» قالا له: «يارب أن تفتح أعيننا»، «**فتحنن يسوع ولمس أعينهما. ففى الحال أبصرا وتبعاه**» (متى ٢٠: ٢٩- ٣٤).

أو كما فعل له المجد مع أعميين كانا يصرخان قائلين: «يا ابن داود ارحمنا» حتى إذا دخل البيت جاء الأعميان إليه فقال يسوع لهما: «أتؤمنان بأنى قادر أن أفعل هذا؟» فقالا له: «نعم يارب»، **فلمس أعينهما** «**فانفتحت أعينهما**» (متى ٩: ٢٧- ٣٠).

أما أن المسيح له المجد يشفى المولود أعمى بأن يتفل على الأرض ويصنع من التفل طينا ويضع الطين على عينى الأعمى، فهذا دليل ضمنى على أن الرجل **لم تكن له عينان فى مقلتيه، لذلك وضع الطين على موضع العينين ليخلق له من الطين عينين، إثباتا على أنه له المجد هو الكلمة الخالق الذى «كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيئا مما كان»** (يوحنا ١: ٣). وهكذا صنع الرب الإله فى خلق آدم الإنسان الأول «وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة» (التكوين ٢: ٧) ولهذا السبب سمى الإنسان الأول (آدم)، أى أنه من «التراب الأحمر».

وجاء فى سفر نبوءة إشعياء توكيدا على نفس المعنى «ويل لمن يخاصم جابله، **وهو خزفة من خزف الأرض.** أيقول **الطين لجابله** ماذا تصنع أو عملك ليس له يدان» (إشعياء ٤٥ : ٩)

وجاء فى نفس المعنى قوله: «والآن يارب أنت أبونا. **نحن الطين وأنت جابلنا،** ونحن كلنا عمل يديك» (إشعياء ٦٤ : ٨)

انظر أيضا (إشعياء ٢٩ : ١٦) ، (إرميا ١٨ : ١ – ٦) ، (رومية ٩ : ٢٠ ، ٢١) .

وجاء فى سفر أيوب قوله للرب «يداك جبلتانى وصورتانى بجملتى... **أذكر أنك قد صورتنى كالطين»** (أيوب ١٠ : ٨، ٩) **«أنا أيضا من الطين تقرصت»** (أيوب ٣٣ : ٦)، (٤ : ١٩)

* * *

وإذن فهذا هو السبب لماذا شفى المسيح المولود أعمى بهذه الطريقة: أن يتفل على الأرض، ويصنع من التفل طينا، ويضع التفل على عينى الأعمى. فإنه بهذا أظهر المسيح له المجد سلطانه على الشفاء، **كما أظهر سلطانه على الخلق من عدم، فقد خلق للأعمى عينين من الطين بيانا على قدرته على الخلق من عدم «لأن به خلق العالمين»** (العبرانيين ١ : ٢) .

فإنه فيه خلق الكل ما فى السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى.. الكل به وله قد خلق، الذى هو قبل كل شىء، وفيه يقوم الكل (كولوسى ١ : ١٦ ، ١٧) .

وبهذا شهد المولود أعمى، أن ما صنعه المسيح لا يصنعه بشر، فقال لليهود **«وما سمعنا منذ بدء الزمان أن إنسانا فتح عينى مولود أعمى»** (يوحنا ٩ : ٣٢) ولذلك فإنه عندما لقيه المسيح له المجد وقال له: «**أتؤمن بابن الله**؟» أجاب وقال: «من هو يا سيدى فأؤمن به؟» فقال له يسوع: «إنك تراه، وهو هو الذى يكلمك» فقال «**أؤمن ياسيدى، ثم سجد له»** (يوحنا ٩ : ٣٥ – ٣٨) .

لقد أدرك المولود أعمى أن ما صنعه المسيح معه هو برهان لاهوته، **إذ خلق له عينين،** الأمر الذى لا يقدر عليه إنسان، وهو المعنى الذى عبر عنه بعض اليهود فى معجزة إقامة لعازر من الموت بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام قال بعض منهم: **«أما كان هذا الذى**

فتح عينى الأعمى منذ ولادته قادرا على أن لا يترك هذا أيضا يموت؟، (يوحنا ١١ : ٣٦، ٣٧)، وهذا إقرار منهم على أن معجزة تفتيح عينى المولود أعمى برهان على ألوهة المسيح وقدرته على الخلق، وهى بهذه **تفوق فى دلالتها على ألوهة المسيح، معجزة إقامة لعازر من الموت**، إذ أن إقامة لعازر هى استدعاء لروحه من عالم الموتى، أما جسده فموجود فى القبر. بيد أن معجزة تفتيح عينى المولود أعمى هى معجزة خلق وإيجاد من العدم، **فهى أقوى دلالة على ألوهة المسيح وبرهان على قدرته على الخلق، الذى هو بينة جلية على ألوهته.**

– ٤ –

التفل فى العضو المريض مع وضع اليدين

جاء فى الإنجيل:

«وجاءوا إلى بيت صيدا، فقدموا إليه أعمى وتوسلوا إليه أن يلمسه. فأمسك بيد الأعمى ومضى به إلى خارج القرية، **ثم تفل فى عينيه ووضع يديه عليه**، وسأله هل يرى شيئا؟ فتطلع وقال: «أرى الناس كأنهم أشجار يمشون» **ثم عاد ووضع يديه على عينيه ثانية، فتطلع بقوة فشفى، ورأى كل شىء بوضوح**» (مرقس ٨: ٢٢– ٢٥)

ولسنا نعرف على وجه الدقة لماذا أمسك المسيح له المجد بيد الأعمى ومضى به إلى خارج القرية. لابد أن له فى ذلك حكمته. ولا نعرف كذلك لماذا شفى الأعمى على مرحلتين: فى المرحلة الأولى «**تفل فى عينيه ووضع يديه عليه**»، وسأله هل يري شيئا، فتطلع وقال: «أرى الناس كأنهم أشجار يمشون» وفى المرحلة الثانية: «**وضع يديه على عينيه ثانية**، فتطلع بقوة، فشفى ورأى كل شىء بوضوح». أفهل أراد أن يتدرج مع الأعمى، فيجعل شفاءه على مرحلتين ليثيره نفسيا ويحرك دوافعه الوجدانية والشعورية والذهنية، فينتقل إيمانيا وبالتدريج، إنتقالاً باطنيا وروحيا، ويصعد به خطوة خطوة، ويرتقى به فى إختبار الإيمان بعمل الله وقدرته وحكمته؟!

ومهما يكن من أمر فالشفاء للأعمى قد تم، وتطلع بقوة ووضوح تام فى الرؤية وشفى تماما شفاء كاملا بفعل قدرة المسيح له المجد، ومن دون أن يستمد المسيح قدرة خارجاً عن ذاته، فإنه منه القوة، وله القوة والقدرة.

- ٥ -

التفل مع اللمس للعضو المريض

ومرة أخرى يشفى المسيح رجلاً أصم وأخرس بأن **تفل ولمس** لسانه.

جاء فى الإنجيل:

«ثم غادر حدود صور، ومر فى صيدا نحو بحر الجليل مجتازا بين حدود العشر المدن، فأحضروا إليه **أصم أخرس** وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه. فانتحى به بعيدا عن الجمع، **ووضع أصابعه فى أذنيه، وتفل ولمس لسانه. ثم رفع عينيه نحو السماء متنهدا وقال: «إفتح» «أى انفتح. فانفتحت فى الحال أذناه وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة»** (مرقس ٧: ٣١-٣٥)

وهنا لابد أن نثق أن للمسيح له المجد حكمته فى أن ينتحى بالرجل الأصم الأخرس بعيدا عن الجمع، تمشيا مع سياسته فى التكتم، وإخفاء قدراته عن الجمع وعن الشيطان خصوصا وقد قال الإنجيل صراحة بعد أن صنع المعجزة «فأوصاهم ألا يقولوا لأحد» (مرقس ٧: ٣٦) ثم إنه (**تفل ولمس لسان الرجل، وقال «إفتح» أى انفتح** وحدثت المعجزة، **فانفتحت فى الحال أذناه، وانحلت عقدة لسانه وتكلم بطلاقة»**).

فهنا فى هذه المعجزة تم الشفاء بالتفل مع لمس اللسان مع الأمر الصادر «افتح» أى انفتح. نعم بالتفل مع اللمس ثم الأمر الإلهى، من دون أن يستمد القوة خارجاً عن ذاته، لأن منه وله القوة (لوقا ٦: ١٩)، (٨: ٤٦)، (٢٢: ٤٣).

- ٦ -

الشفاء بلمس المريض للمسيح له المجد

وهذه طريقة جديدة: **المريض يتم شفاؤه بلمسه للسيد المسيح.**

من ذلك ما يقوله الإنجيل:

«وأما يسوع فانصرف مع تلاميذه إلى البحر، وتبعه جمع عظيم من الجليل واليهودية وأورشليم وأدومية وعبر الأردن،كما تبعه جمع عظيم آخر من أهل الجهات المحيطة بصور وصيدا، إذ كانوا قد سمعوا بما صنع فجاءوا إليه... لأنه كان قد شفى كثيرين، «**ومن ثم كانوا**

يتهافتون عليه ليلمسه كل من به مرض» (مرقس ٣: ٧- ١٠)

ويقول الإنجيل أيضا:

«وحيثما دخل فى القرى أو المدن أو الضياع، كانوا يضعون المرضى فى الشوارع والأسواق.. **فكان كل من يلمسه يشفى»** (مرقس ٦: ٥٦)

وجاء فى الإنجيل أيضا:

«وحين عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت، فلما عرفه أهل ذلك المكان أرسلوا إلى كل النواحى المحيطة بتلك الجهة، وأحضروا إليه كل المرضى... **فشفى كل الذين لمسوه»** (متى ١٤: ٣٤- ٣٦).

وجاء فى الإنجيل أيضا:

«ثم نزل معهم ووقف فى منبسط من الأرض هو وجماعة من تلاميذه، وجمهور عظيم من الشعب جاءوا من كل اليهودية وأورشليم ومن ساحل صور وصيدا، ليسمعوه وليبرئهم من أمراضهم... **وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه فتبرئهم جميعاً»** (لوقا ٦: ١٧- ١٩).

- ٧ -

الشفاء بلمس هدب ثوب المسيح له المجد

جاء فى الإنجيل:

«وإذا إمرأة كانت مصابة بنزف دم منذ إثنى عشر عاماً، وقد عانت كثيرا من أطباء كثيرين، (وأنفقت كل ما تملك على الأطباء فلم يستطع أحد شفاءها)، فلم تجد أى فائدة، وإنما بالأحرى إزداد حالها سوءا. فلما سمعت عن يسوع جاءت من خلفه فى الزحام ولمست طرف ردائه، لأنها قالت فى نفسها: (لو أننى لمست فقط رداءه لشفيت. «**فجف معين نزفها فى الحال، فتوقف على الفور نزفها»**). **وأحست فى جسمها بأنها قد برئت من ذلك الداء. وعلى الفور علم يسوع فى نفسه بالقوة التى خرجت منه**، فأدار عينيه فى الجمع، وقال: من لمس ثيابى؟ (فأنكر الجميع). وقال بطرس والذين معه يا معلم إن الجمع يتزاحمون من حولك ويضغطون عليك ثم تقول من لمسنى؟ فقال يسوع «إن ثمة من لمسنى لأننى **عالم بالقوة التى خرجت منى»**. أما هو فكان يتطلع ليرى تلك التى فعلت هذا. فخافت المرأة وارتعدت لأنها كانت تعلم ما حدث لها. (فلما رأت المرأة أن أمرها لم يكن خافياً عليه،

جاءت مرتعدة وارتمت على قدميه) ثم تقدمت وخرت عند قدميه وأفضت إليه بالحقيقة كلها. (ثم اعترفت أمام كل الشعب بالسبب الذى من أجله لمسته، **وكيف أنها شفيت على الفور**). فقال لها: «تشجعى يابنتى، إن إيمانك قد خلصك، (شفاكِ) فاذهبى بسلام وكونى معافاة من دائك». «**فشفيت المرأة منذ تلك الساعة**» (مرقس ٥: ٢٥- ٣٤)، (لوقا ٨: ٤٣- ٤٨)، (متى ٩: ١٩- ٢٢).

وجاء فى الإنجيل أيضا:

«وحين عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت، فلما عرفه أهل ذلك المكان أرسلوا إلى كل النواحى المحيطة بتلك الجهة **وأحضروا إليه كل المرضى، وتوسلوا إليه أن يلمسوا ولو طرف ردائه، فشفى كل الذين لمسوه**» (متى ١٤: ٣٤- ٣٦).

«وحيثما دخل فى القرى أو المدن أو الضياع، كانوا يضعون المرضى فى الشوارع والأسواق، ويتضرعون إليه **أن يلمسوا ولو طرف ردائه. فكان كل من يلمسه يشفى**» (مرقس ٦: ٥٦).

- ٨ -

الشفاء للمرضى عن بعد

ومن بينات سلطان المسيح على شفاء المرضى أنه يرسل أمره بالشفاء للمريض، وهو بعيد عنه، **أى من غير أن يضع يديه عليه، ومن غير أن يلمسه، فيشفى المريض فوراً، ويشفى شفاء تاما.**

من ذلك شفاؤه لعبد قائد المائة الرومانى فى كفر ناحوم.

جاء فى الإنجيل:

«وكان لقائد مائة عبد مريض قد أشرف على الموت، وكان عزيزا عليه. فلما سمع بيسوع أوفد إليه شيوخ اليهود يسألونه أن يأتى ويشفى عبده. فجاءوا إلى يسوع وتوسلوا إليه بإلحاح قائلين: «إنه يستحق منك هذا الصنيع. لأنه يحب أمتنا، وهو الذى بنى لنا المجمع (ثم جاء إليه قائد المائة وتضرع إليه قائلا: «يارب. إن غلامى منطرح فى البيت مفلوجاً معذباً أشد عذاب» فقال له يسوع: «أنا أجىء وأشفيه») فمضى يسوع معهم، حتى إذا أصبح غير بعيد من البيت أرسل إليه قائد المائة بعض الأصدقاء قائلا له: «**يارب لا تتعب نفسك. فإننى لستُ مستحقا أن تدخل تحت سقف بيتى**، ومن ثم لست أجدنى مستحقا أن أجىء إليك. لكن

قل كلمة فيشفى غلامى. لأننى أنا أيضا رجل خاضع لسلطان، ولى جند تحت أمرى، فأنا أقول لهذا اذهب فيذهب، ولذاك ايتِ فيأتى، ولعبدى افعل هذا فيفعل». فلما سمع يسوع ذلك تعجب منه، والتفت إلى الجمع الذى كان يتبعه وقال: «الحق أقول لكم إنى لم أجد لدى أحد فى كل إسرائيل إيماناً بهذا القدر». (وأنى أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشرق والمغرب، ويجلسون إلى المائدة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب فى ملكوت السماوات، أما بنو الملكوت فيطرحون فى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء والصرير على الأسنان. ثم قال يسوع لقائد المائة: اذهب وعلى حسب إيمانك فليكن لك. فشفى غلامه فى تلك الساعة). فلما رجع الموفدون إلى البيت «وجدوا أن العبد المريض قد شفى» (لوقا ٧: ١- ١٠)، (متى٨:٥- ١٣).

ففى هذه الواقعة شفى المسيح له المجد عبد قائد المائة من بعد، فلم يضع يده عليه ولم يلمسه، وإنما قال لقائد المائة اذهب، فشفى الغلام فى تلك الساعة. فلما رجع الموفدون إلى البيت وجدوا أن العبد المريض الذى كان منطرحا فى البيت مفلوجا معذبا أشد عذاب قد شفى تماما. فياله من سلطان إلهى!

* * *

كذلك صنع المسيح له المجد معجزة أخرى فى كفر ناحوم وهى شفاؤه لابن أحد رجال الحاشية الملكية وكان مشرفا على الموت، شفاه من بعد، وهو فى قانا الجليل بكلمة الأمر إلى أبيه، اذهب إن إبنك حى.

قال الإنجيل:

«وقد جاء يسوع ثانية إلى قانا الجليل»...

«وكان لأحد رجال الحاشية الملكية ابن مريض فى كفر ناحوم. فما إن سمع أن يسوع جاء من اليهودية إلى الجليل حتى انطلق إليه، وتوسل إليه أن يجىء ويشفى إبنه، إذ كان مشرفا على الموت». فقال له يسوع: «لا تؤمنون ما لم تروا آيات وعجائب. قال الرجل: هيا يا سيدى قبل أن يموت إبنى، فقال له يسوع: «اذهب، إن إبنك حى». فوثق الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع وذهب. وفيما هو ذاهب قابله خدمه وبشروه قائلين: «إن ابنك حى». فاستفسر منهم عن الساعة التى بدأ فيها يسترد صحته، فقالوا له: «بالأمس فى الساعة السابعة زالت عنه الحمى، فأدرك أبوه أنها هى تلك الساعة التى قال له يسوع فيها: «إن إبنك حى، فآمن هو وكل أهل بيته» (يوحنا ٤: ٤٦- ٥٣).

المسيح ليس شافيا فقط
بل خالقا أيضا

كم من مرة شفى المسيح عميانا؟!. كثيرا جدا...

فكم من مرة يذكر الإنجيل أنه **شفى بالجملة عميانا كثيرين**... من ذلك قوله:

«فأقبل عليه جمع عظيم وقد جاءوا معهم بمقعدين **وعميان**... كثيرين وألقوا بهم عند قدمي يسوع، فشفاهم حتى لقد دهش الجمع إذ رأوا الخرس يتكلمون... **والعميان يبصرون**... فمجدوا إله إسرائيل» (١).

«وتقدم إليه في الهيكل **العمي** والمقعدين فشفاهم» (٢).

وعندما أرسل يوحنا المعمدان إثنين من تلاميذه يقولان للرب يسوع: «أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟»، أجاب يسوع وقال لهما: أذهبا وأخبرا يوحنا بما تريان وما تسمعان: **العمي يبصرون**...» (٣).

وغير ذلك كثير (٤).

على أنه كان يشفي العميان عادة بأن يلمس بيديه عينيهم، أو بكلمة من فيه يصدرها إليهم، بالإبصار. وفي بعض الأحيان كان العمى في بعضهم ناتجاً عن ربط الشيطان، وفي هذه الحالة كان إذا طرد الشيطان من الأعمى، أبصر في الحال.

الشفاء باللمس:

من أمثلة الحالة الأولى، الشفاء باللمس، الأعميان اللذان شفاهما المسيح مخلصنا في البيت، في كفر ناحوم، وبعد أن سألهما: «أتؤمنان بأني قادر أن أفعل هذا؟» فقالا له: «نعم يارب»، فلمس أعينهما قائلا: «على حسب إيمانكما فليكن لكما»، **فإنفتحت أعينهما**» (٥).

وكذلك فعل في شفاء الأعميين اللذين كانا جالسين على جانب الطريق في أريحا «فتحنن يسوع **ولمس أعينهما**، ففي الحال أبصرا وتبعاه» (٦).

---

(١) متى ١٥: ٣٠، ٣١.
(٢) متى ٢١: ١٤.
(٣) متى (١١: ٢-٥)، (لوقا ٧: ٢١، ٢٢).
(٤) أنظر (لوقا ٤: ١٨)، (يوحنا ١٠: ٢١).
(٥) متى ٩: ٢٧- ٣٠.
(٦) متى ٢٠: ٢٩- ٣٤.

وكذلك أعمى بيت صيدا، لما قدموه إليه وتوسلوا إليه أن يلمسه، أمسك بيده ومضى به **إلى** خارج القرية، **ثم تفل فى عينيه ووضع يديه عليه**، وسأله هل يرى شيئاً؟، **فتطلع وقال** «أرى الناس كأنهم أشجار يمشون». ثم عاد **ووضع يديه على عينيه ثانية، فتطلع بقوة** فشفى، ورأى كل شيء بوضوح» (١).

الشفاء بالأمر:

ومن أمثلة الحالة الثانية، وهى شفاء الأعمى بكلمة أمر يصدرها من فيه، ماصنعه له **المجد** فى شفاء بارتيماوس بن تيماوس:

«ثم جاءوا إلى أريحا، وفيما كان خارجاً من أريحا مع تلاميذه يصحبهم جمع غفير **كان** الأعمى بارتيماوس بن تيماوس جالساً على جانب الطريق يستعطى. فما أن سمع أن **يسوع** الناصرى مقبل حتى طفق يصرخ قائلاً: يايسوع بن داود ارحمنى». فانتهره كثيرون ليسكت، ولكنه راح يصرخ أكثر وأكثر قائلاً: «ياابن داود ارحمنى»، فوقف يسوع وقال: «ادعوه»، **فدعوا** الأعمى قائلين له: «اطمئن. قم وتعال، فإنه يدعوك»، فوثب طارحا عنه رداءه وجاء إلى يسوع. فقال له يسوع: «ماذا تريد أن أفعل لك؟» قال له الأعمى: «ياربِ، أن أبصر»، فقال له يسوع: «أبصر. **اذهب فإن إيمانك قد خلصك**»، فأبصر على الفور، وتبع يسوع فى الطريق، **وهو** يمجد الله. وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله» (٢).

الشفاء بطرد الشيطان:

ومن الأمثلة على شفاء العمى الناتج عن ربط الشيطان رجل جيء به إلى الرب يسوع «**وكان** به شيطان وكان أعمى وأخرس، **فشفاه، حتى إن الأعمى الأخرس أبصر وتكلم**» (٣).

شفاء المولود أعمى

هذه المعجزة، معجزة شفاء المولود أعمى، إذن مختلفة تماماً عن غيرها من معجزات الشفاء، ومختلفة بالذات عن كل معجزة أخرى صنعها الرب يسوع فى شفاء العميان الآخرين، مختلفة من حيث الموضوع، ومختلفة أيضاً من حيث الشكل والكيفية.

---

(١) مرقس ٨: ٢٢– ٢٥.

(٢) (مرقس ١٠: ٤٦– ٥٢)، (لوقا ١٨: ٣٥– ٤٣).

(٣) متى ١٢: ٢٢.

أما من حيث الموضوع، فالعميان الآخرون الذين شفاهم رب المجد كانت لهم عيون، ولكنها ضعيفة وعاجزة عن الإبصار، مثلهم مثل سائر العميان ممن نراهم، ممن أصيبوا بالعمى نتيجة مرض كالرمد الصديدى أو الحبيبى، ولم يجدوا العلاج الناجح والعناية الكافية، أو أهمل الوالدين علاجهم أو قصروا فيه، وقصروا فى تهيئة وسائل النظافة، فتراكم الذباب عليهم، أو أضرهم التراب وغيره ... وطال بهم المرض فاستفحل الداء، وأكل الصديد العين وتمزقت شبكيتها، وإنطفأ منها النور، وشيئا فشيئاً ماتت، مع بقائها فى المقلة بارزة أحياناً، وغائرة أحياناً، لكنها موجودة فى صورة تالفة.

ومن العميان من ولدوا بعيون سليمة، لكنها اختفت أثناء نزول الجنين من بطن أمه فى ولادة عسرة أضرت بالعصب البصرى، أو بالمقلة أو بالعدسة.

ومن العميان أيضاً من كانت لهم عيون، لكنها تلفت أثناء ولادة الجنين بفعل إفراز من جسم الأم، فقد تكون الأم مريضة بالسيلان، أو الزهرى فإذا نزلت نقطة منه على عينى الجنين أو واحدة منهما، أصيب الجنين بالعمى فى الحال. والعمى هذا يكون عجزاً عن الإبصار مع وجود العين...

أما حالة المولود أعمى الذى شفاه المسيح، فمختلفة عن كل تلك الحالات التى ذكرناها، لأن الرجل لم تكن له عينان فى موضع العينين، أى أنه ولد ناقصا منهما كمثل مايولد طفل بعضو ناقص مثل اليد، أو الرجل أو أحد أصابع اليد أو القدم.

وهذا يتضح من أكثر من قرينة:

أولا ـ أن السيد المسيح شفاه لا باللمس ولا بالأمر كما فعل مع عميان آخرين، وإنما بأن **تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً، وطلى به عينى المولود أعمى...** وهذا معناه أنه خلق له بالطين عينين. فهنا عملية خلق لعضو ناقص بنفس الكيفية التى خلق الله بها آدم، إذ جبله ترابا من الأرض.

وإذن فالرجل لم تكن له عينان أصلاً فى موضع العينين، لم يكن نظير العميان الآخرين الذين أصيبوا بالعمى بعد ولادتهم، إذ كان مولوداً أعمى.

ولم يصبه العمى وهو نازل من بطن أمه بفعل اختناق فى ولادة عسرة، أو نتيجة لمرض خبيث، نزل على عينيه فأتلفهما. لكنه مولود أعمى تنقصه العينان تماما نقصا تشريحياً، وليس

مجرد تعطيل وظيفى فى فسيولوجية العينين، ولذلك فإن المسيح له المجد رد له العينين بأن خلق له عينين من جديد، خلقهما من التراب الذى تفل عليه فصار طينا، خلق به للرجل عينين.

ثانياً - إن المولود أعمى نفسه، برهن بحواره مع الكتبة والفريسيين، أن حادثة شفائه، أو رد البصر إليه، حادثة فريدة من نوعها، لم يسبق لها نظير منذ عاش الإنسان على الأرض ومنذ بدأ الخلق، ومنذ نشأ الوجود، قال: «لم يسمع منذ الدهر أن أحداً فتح عينى أعمى منذ ولادته» (يوحنا ٩: ٣٢).

إن عبارة المولود أعمى تدل على أن الحدث الذى صنعه الرب يسوع حدث فريد من نوعه، لم يسبق إليه منذ بدء الوجود. ولابد أن الرجل سمع من عميان كثيرين شفاهم الرب يسوع بلمسه من يده، أو بأمره، أو بإخراج الشيطان الذى يربط العينين عن الإبصار، ولكنه يقر أن شفاءه هو، أمر جديد كل الجدة، لأنه خلق لعضو ناقص... وبخاصة لأن عملية الخلق تمت بأسلوب الخلق من التراب المخلوط بالتفل، فصار التراب طينا.

ثالثاً - ثم إن الرسول القديس يوحنا هو الوحيد بين جميع الرسل كتبة الأناجيل الذى ذكر هذه المعجزة.

والمعروف أن القديس يوحنا كتب إنجيله، بعد جميع الكتبة الآخرين من الرسل، وكتبه فى وقت كانت قد انتشرت فيه هرطقات وتعاليم مضادة للاهوت المسيح، الأمر الذى نجد الإشارة واضحة إليه فى الرسائل الثلاث التى كتبها فضلا عن سفر الرؤيا، والإنجيل المنسوب إليه «أيها الأولاد هى الساعة الأخيرة. وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة» (١) «فإنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد. هذا هو المضل والضد للمسيح» (٢).

لذلك لم يكتب الرسول يوحنا شيئاً عن ميلاد المسيح الجسدى من العذراء مريم كما فعل القديس متى، والقديس لوقا، وإنما بدأ إنجيله بالحديث عن الوجود الأزلى للمسيح بإعتباره الله الكلمة قبل التجسد، فقال فى مطلع إنجيله «فى البدء (أى فى الأزل) كان الكلمة. والكلمة لدى الله، وكان الكلمة هو الله»... كان منذ الأزل لدى الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. فيه كانت الحياة... كان فى العالم، وكان العالم به... والكلمة اتخذ جسداً (٣).

(١) ١. يوحنا ٢: ١٨.	(٢) ٢. يوحنا: ٧.	(٣) يوحنا ١: ١- ١٤.

ولم يورد الرسول يوحنا فى إنجيله إلا القليل من أعمال المسيح له المجد مما أورده الإنجيليون الآخرون، واكتفى بأن يسرد الوقائع والأقوال من فم المسيح التى يبرز فيها لاهوته، وركز على المعجزات التى أظهر فيها المسيح قدرته اللاهوتية على الخلق، وعلى منح الحياة.

فمن أقواله له المجد مع المرأة السامرية ـ يتضح علمه بماضيها وحاضرها، الأمر الذى ذهلت له المرأة، وقالت له: «يا سيد أرى أنك نبى» (١) . ولم يتركها حتى عرفها بنفسه، أنه هو المسيا المنتظر «أنا الذى أكلمك، هو» (٢) ولم تؤمن المرأة وحدها، بل آمن به أهل السامرة «وجعلوا يقولون للمرأة: «إننا الآن نؤمن لا بسبب كلامك، وإنما لأننا سمعناه بأنفسنا، وقد علمنا أن هذا هو حقا المسيح مخلص العالم» (٣) .

وفى **الفصل الخامس** من الإنجيل نفسه، يروى القديس يوحنا حديث رب المجد يسوع المسيح، عقب معجزة شفائه لمفلوج بيت حسدا، وكيف أكد المسيح سلطانه على الشفاء، بقوله: «إن أبى حتى الآن يعمل، وأنا أيضاً أعمل» (٥: ١٧) . ثم يقول «فاشتدت رغبة اليهود فى قتله، لأنه لم ينقض السبت فحسب، وإنما قال أيضا: الله أبى، مساويا نفسه بالله» (٥: ١٨) ويضيف بعد ذلك قول المسيح عن نفسه وعن الآب «لأن كل ما يعمله الآب، يعمله الابن أيضاً... لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، هكذا الابن يحيى من يشاء» (٥: ١٩ – ٢١) .

ثم يقول «الحق الحق أقول لكم: إن ثمة ساعة تأتى، وقد أتت الآن، يسمع فيها الموتى صوت ابن الله، والذين يسمعون يحيون، لأنه كما أن الآب له الحياة فى ذاته هكذا أعطى الابن أن تكون له الحياة فى ذاته. وقد أعطاه السلطان لأن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة يسمع فيها كل الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (٥: ٢٥ – ٢٩) ، شارحاً بهذا أنه هو والآب، جوهر واحد، وأنهما متساويان فى جميع الكمالات الإلهية، وأن الابن كالآب له الحياة فى ذاته. إذن الحياة فيه، ليست من كائن آخر خارج عن ذاته. وهو نفس المعنى الذى قاله الرسول القديس يوحنا فى مطلع إنجيله، إذ قال عن الله الكلمة «فيه كانت الحياة» (٤) .

---

(١) يوحنا ٤: ١٩.
(٢) يوحنا ٤: ٢٦.
(٣) يوحنا ٤: ٤٢.
(٤) يوحنا ١: ٤.

وفى الفصل السادس، يورد الإنجيلى يوحنا معجزة إشباع الجموع الغفيرة من خمس خبزات وسمكتين، وهى المعجزة التى رواها غيره من الإنجيليين، لكن القديس يوحنا اهتم بالأكثر بإيراد ماعقب به المسيح له المجد على المعجزة، وهو ما أغفله الإنجيليون الآخرون، والتعقيب هو بفم المسيح الرب. الذى اتخذ من المعجزة بينة على سلطانه على المادة، وأن يشبع الناس جميعاً من القليل الذى عندهم، الأمر الذى لا يقدر عليه إلا الله وحده، وأن يولد من خمس الخبزات والسمكتين مايشبع به الألوف ثم يفضل عنهم ما يزيد عن خمسين ضعفا ـ على الأقل ـ من الكمية الأصلية. فقد كانت هذه الكمية لا تبلغ مساحة ما فى قاع قفة واحدة، فلما رفعوا مافضل من الكسر، ملأت الكسر إثنتى عشرة قفة مملوءة (١) حينئذ أضاف الرب يسوع قائلا للجموع المحتشدة «اعملوا لا من أجل الطعام الفانى، بل من أجل الطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الإنسان» (٦: ٢٧)، مبيناً بهذا أن له السلطان أيضاً، لا أن يهب الخبز المادى فقط، بل أيضاً أن يهب طعام الحياة الأبدية. ولا يملك طعام الحياة الأبدية إلا مالك الحياة، ومبدىء الحياة، ورب الحياة. ولما سألوه أن يعطيهم آية ليؤمنوا به، على نظير ما أعطى موسى آية المن من السماء، قال يسوع المسيح: «أنا هو خبز الحياة. من يقبل إلى فلن يجوع، ومن يؤمن بى فلن يعطش إلى الأبد» (٦:٣٥).. إلى أن يقول: «لأنى قد نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى وإنما بمشيئة الذى أرسلنى. وهذه هى مشيئة الآب الذى أرسلنى: أن كل الذين أعطانى لا أفقد منهم أحداً، بل أقيمه فى اليوم الأخير. لأن هذه هى مشيئة أبى الذى أرسلنى: أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير» (٦: ٣٨- ٤٠)، مبيناً بهذا حقيقة وجوده الأزلى قبل تجسده من العذراء مريم، وأن تجسده هو نزوله من السماء، وكاشفاً عن حقيقة وحدانيته مع الآب فى المشيئة، والإرادة، والفعل، لأنهما كائنان معاً فى جوهر واحد، هو جوهر الطبع الإلهى الواحد، وأنه ذو السلطان ليهب الحياة الأبدية لكل من يؤمن به، مما يفيد قطعاً أبديته، وبالتالى أزليته، وهو مالا يتصف به إلا الله وحده. كما أوضح المسيح أيضاً أنه يقيم فى اليوم الأخير الذى يؤمنون به، أى أن له أيضاً سلطان القيامة من بين الأموات. وهذا يؤكد مرة أخرى قوله: «أنا القيامة والحياة» (٢). ولما اعترض اليهود عليه لأنه قال: «أنا هو الخبز الذى نزل من السماء» وقالوا أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذى نحن نعرف أباه

(١) (متى ١٤: ٢٠)، (مرقس ٦: ٤٣)، (لوقا ٩: ١٧)، (يوحنا ٦: ١٣).
(٢) (يوحنا ١١: ٢٥)، (٥: ٢١)، (٦: ٤٤، ٥٤).

وأمه. فكيف يقول هذا أنى نزلت من السماء» (٦: ٤١، ٤٢) عاد يؤكد على نفس المعنى، بقوله: «لا أحد رأى الآب إلا الذى هو من الله. فهذا هو الذى قد رأى الآب» (٦: ٤٦) وقد عنى بذلك شخصه المبارك، لأنه ليس أحد من البشر قد رأى الله الآب. فلا آدم، ولا إبراهيم، ولا اسحق، ولا يعقوب، ولا موسى، ولا صموئيل، ولا إشعياء، ولا أرميا، ولا حزقيال، ولا دانيال... ليس واحد من كل أولئك رأى الله الآب فى ذاته، وحقيقته، وجوهره، وطبيعته الإلهية، لأنه كما قال الله لموسى النبى «لا يقدر إنسان أن يرانى ويعيش» (١). وأكد الرب يسوع على هذا المعنى عينه بقوله: «ولا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن» (٢)، وقوله: «ولا أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن» (٣). وقوله عن الآب: «الذى أرسلنى هو حق، وأنتم لا تعرفونه. أما أنا فأعرفه، لأنى منه» (٤)، وقوله: «كما أن أبى يعرفنى، وأنا أيضا أعرف الآب» (٥)، وقوله «ياأبت البار، إن العالم لم يعرفك. أما أنا فقد عرفتك» (٦). مبيناً بهذا، بكل الوضوح، وحدانيته مع الآب فى جوهر اللاهوت الواحد، الأمر الذى لايشترك فيه أحد آخر غير الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. فالله الابن هو من طبع الآب، ومن جوهره. لذلك، فإن الآب ينفرد بمعرفة الابن كما هو فى حقيقته، ذلك لأنه من طبيعته، ولأنه كائن معه فى ذات جوهره الإلهى. كذلك الابن، لا نظير له فى معرفته بالآب، لأنه كائن مع الآب، وفيه، كما أنه ليس أحد آخر غير الابن يستطيع أن يرى الآب فى ذاته وفى جوهره، رؤية عيانية مباشرة وبغير واسطة، ذلك لأنه منه، وبه، وفيه، منذ الأزل وإلى الأبد.

ثم يقول رب المجد يسوع المسيح: «الحق الحق أقول لكم: إن من يؤمن بى فله الحياة الأبدية. أنا هو خبز الحياة... هذا هو الخبز النازل من السماء، الذى إن أكل منه أحد، لا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، فإن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى سأعطيه أنا، هو جسدى الذى سأبذله من أجل حياة العالم» (٦: ٤٧- ٥١). ولما «خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل؟»، عاد الرب يقرر بكل وضوح: «من يأكل جسدى ويشرب دمى، فله الحياة الأبدية، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير... هذا هو الخبز الذى نزل من السماء.. من يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (٦: ٥٢- ٥٨)، مبينا مخلصنا بهذا أنه هو مانح الحياة الأبدية، وأن منه تنبع الحياة الأبدية. وهذا هو السبب فى أهمية التناول من جسده ودمه، لأن بهما وفيهما الحياة، إذ هو مصدر الحياة ومبدئها.

---

(١) الخروج ٣٣: ٢٠. (٢) متى ١١: ٢٧. (٣) لوقا ١٠: ٢٢.
(٤) يوحنا ٧: ٢٨، ٢٩. (٥) يوحنا ١٠: ١٥. (٦) يوحنا ١٧: ٢٥.

لقد أظهر الرب يسوع، فى هذا الحوار الساخن بينه وبين اليهود، أنه ـ له المجد ـ قد نزل من السماء، أى أنه من قبل أن يتجسد فى الزمان، كان موجوداً بلاهوته منذ الأزل، وأنه فى ملء الزمان نزل من السماء عندما أراد أن ينزل لخلاص آدم وذريته. ثم أظهر فى حديثه، أن فيه، أى فى المسيح، الحياة، وأن الحياة فيه ومنه، ولذلك فإن من يأكل جسده ويشرب دمه ينال منهما وبهما الحياة الأبدية. وبالطبع لا يملك أن يمنح الحياة الأبدية، إلا مالكها ومالك الأبدية. فمن غير المسيح يجرؤ على أن يقول: «أنا هو القيامة والحياة»؟ (١). إنه هنا ينسب إلى ذاته مالاينسب لغير الله وحده.

والفصل السابع من الإنجيل للقديس يوحنا يسجل صراعاً روحياً قوياً، ونقاشاً حامياً، بين المسيح له المجد وبين زعماء اليهود ورؤساء كهنتهم، حول شخصية الرب يسوع، وهل هو المسيح حقا، وكيف أن رؤساء الكهنة أرسلوا من قبلهم رسلا ليعتقلوه ويأتوهم به، فلم يستطيعوا، ولما سألوهم: «لماذا لم تأتوا به؟» أجاب الخدام «ماتكلم إنسان قط بمثل ماتكلم به هذا الرجل». فأجابهم الفريسيون: «ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللتم. هل آمن به أحد من الرؤساء أو من الفريسيين؟ ولكن هؤلاء الغوغاء الذين لا يعرفون الشريعة ملعونون». فقال لهم نيقوديموس الذى كان قد جاء إلى يسوع ليلا، وكان واحداً منهم: «هل تحكم شريعتنا على أحد قبل السماع منه ومعرفة ماذا فعل؟» فأجابوا وقالوا له: ألعلك أنت أيضاً من الجليل؟ ابحث وأنظر. فإنه لا يقوم نبى من الجليل». ومن ثم انصرف كل منهم إلى بيته» (٧: ٤٥– ٥٣).

هذا إلى جانب الحوار المباشر بين المسيح نفسه وبين اليهود فى يوم العيد العظيم ـ عيد المظال ـ وكان حواراً مهماً، أعلن فيه المسيح له المجد، أن اليهود الذين يزعمون أنهم يعرفون الله الآب، هم فى الواقع لا يعرفونه، ولو كانوا عرفوه لعرفوا الابن أيضاً، لأن الابن من الآب، وكائن معه وفيه، قال: «أما أنا فأعرفه لأنى منه» (٧: ٢٩)، معلناً بذلك أنه من طبيعة الآب ومن جوهره، وأن واحداً من البشر لا يعرف الآب فى ذاته، لكن الابن الكلمة هو وحده الذى يعرف الله الآب، المعرفة الكاملة المباشرة وبغير واسطة، ذلك لأنه منه، وكائن معه وفيه. ولذلك فإن اليهود لم يحتملوا أن يسمعوا منه أكثر مما سمعوا، فحسبوا كلامه تجديفاً على الله الآب، فسعوا ليعتقلوه ويقتلوه، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك.

كذلك يسجل الفصل الثامن من الإنجيل للقديس يوحنا، حواراً آخر عنيفاً بين الرب يسوع وبين اليهود. فبعد أن أثبت فادينا علمه الإلهى بماضى كل رجل من الرجال الذين جاءوا إليه

---

(١) يوحنا ١١: ٢٥.

بإمرأة قالوا أنها أمسكت وهى تزنى، حتى فروا جميعاً من حضرته، أخذ يعرفهم بشخصه قائلاً: «أنا هو نور العالم، من يتبعنى لا يسير فى الظلام، بل يكون له نور الحياة» (٨: ١٢). ثم قال لهم: «أنتم من أسفل، وأما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم، وأما أنا فلست من هذا العالم» (٨: ٢٣). ثم يقول أيضاً: « لأنكم إن لم تؤمنوا بأنى أنا هو، ستموتون فى خطاياكم». فقالوا له: «من أنت؟» فقال لهم يسوع: «أنا منذ البدء كما قلت لكم» (٨: ٢٤– ٢٥). ثم يقول: «لأن من الله خرجت وأتيت. وماأتيت من نفسى، وإنما هو الذى أرسلنى» (٨: ٤٢). ويقول: «الحق الحق أقول لكم: إن كان أحد يحفظ كلامى، فلن يرى الموت إلى الأبد» (٨: ٥١) إلى أن يقول لهم صراحة فى نهاية هذا الحوار: «الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن». فإلتقطوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فتوارى وخرج فى الهيكل، وعبر ماشياً فى وسطهم ومضى هكذا» (٨: ٥٨– ٥٩).

وهكذا يطول بنا الحديث لو تناولنا أقوال المسيح له المجد كما أوردها القديس يوحنا فى إنجيله فصلا فصلا إلى الفصل الحادى والعشرين. إنها نصوص فريدة اهتم بتسجيلها الإنجيل للقديس يوحنا، ليؤكد حقيقه الرب يسوع الإلهية، ووحدانيته مع الآب فى الجوهر، ومساواته له فى جميع الصفات والكمالات الإلهية، والأزلية والأبدية...

ولقد انفرد القديس يوحنا بذكر معجزة تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل (١) بكلمة الأمر وحدها، مبرهنا على سلطانه المطلق كإله، يقول للشىء كن فيكون... وانفرد أيضاً بذكر معجزة إقامة لعازر من بين الأموات بعد أن صار مدفوناً فى القبر أربعة أيام، أقامه بكلمة الأمر وحدها: «لعازر هلم خارجاً» (٢)، فخرج الميت على الفور.

والمعجزة الثالثة التى انفرد بذكرها القديس يوحنا هى معجزة المولود أعمى، لأنها ذات دلالة لاهوتية خاصة، صنعها المسيح له المجد ليبرهن على سلطانه على الخلق من الطين بنفس الأسلوب الذى خلق الله به آدم إذ جبله من تراب الأرض.

ويتضح لنا هدف القديس يوحنا من إيراده النصوص والأقوال والمعجزات ذات الدلالة اللاهوتية قوله فى نهاية الإنجيل «وآيات أخر كثيرة صنع يسوع أمام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكى تكون لكم إذا آمنتم الحياة الأبدية باسمه» (٣). مبينا بكل الوضوح، **أن الهدف الأساسى من كل الإنجيل هو بيان أن يسوع المسيح هو المسيح ابن الله**. وهذا مطلب لاهوتى كانت الكنيسة فى حاجة إليه

---

(١) يوحنا ٢: ١– ١١.   (٢) يوحنا ١١: ٤٣.   (٣) يوحنا ٢٠: ٣٠، ٣١.

للرد على الهرطقات التى علمت ضداً للاهوت المسيح. **ولذلك سيظل إنجيل يوحنا أعظم تراث خالد يدافع عن أكبر عقيدة يقوم عليها بناء الكنيسة كله «على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (١) والصخرة هى إيمان الكنيسة بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى» (٢).**

رابعاً- ومما يدل حقاً على أن معجزة شفاء المولود أعمى لم تكن كغيرها من معجزات شفاء الرب يسوع لعشرات من العميان من قبل، أن الجماهير استدلت منها على قدرة المسيح على الخالق. إنه على قبر لعازر وهو مدفون فى القبر لأربعة أيام لم يحجم الناس عن ثقتهم فى قدرة الرب يسوع الخارقة التى ظهرت فى المولود أعمى، أنه لا يبعد عليه أن يقيم لعازر بعد موته ودفنه بأربعة أيام «وقال بعض منهم: ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت»؟ (٣). وهنا يسأل الإنسان لماذا اختص الناس معجزة تفتيح عينى المولود أعمى بالذكر، كدليل على سلطان المسيح المطلق على كل شىء، وعلى الإقامة من بين الأموات بعد أن يتعفن الجسد وينتن، الأمر الذى لم يقدر عليه نبى من قبل، ولا يقدر عليه إلا الله وحده؟ نقول: لماذا اختص الناس معجزة المولود أعمى بالذكر، علماً بأن المسيح فتح عيون الكثيرين من العميان، قبل ذلك؟ **الجواب على ذلك واضح أن هذه المعجزة هى معجزة خلق لعينين، وليست مجرد تفتيح لعينين إنطفأ منهما النور، أو أصابهما العطب أو التلف.**

خامساً- ثم بالإضافة إلى كل ماقلناه، ما أحدثته معجزة المولود أعمى من ردود فعل عنيفة على الكهنة ورؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين، مما لم يكن له نظير فى معجزات الشفاء السابقة للعميان الآخرين.

لقد أخذوا المولود أعمى بعد أن أبصر إلى الفريسيين «فسأله الفريسيون أيضاً: كيف أبصر؟، فقال لهم: «إنه وضع طينا على عينى ثم اغتسلت فأبصرت» (٩: ١٥). وانقسم الفريسيون فيما بينهم بشأن هذه المعجزة، فقوم منهم قالوا عن المسيح «إن هذا الرجل ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت»، ولكن قوماً آخرين من الفريسيين «قالوا كيف يستطيع إنسان خاطىء أن يصنع مثل هذه الآيات، وكان بينهم إنشقاق» (٩: ١٥، ١٦) وعادوا ثانية يسألون الرجل عن رأيه «قالوا أيضاً للأعمى ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك» (٩: ١٧) ثم ظلوا مصرين على عنادهم

---

(١) متى ١٦: ١٨.
(٢) متى ١٦: ١٦.
(٣) يوحنا ١١: ٣٧.

وإنكارهم، واستدعوا أبوى الرجل، لعلهم يجدون منفذا يفلتون منه، بعد أن بهرتهم المعجزة الفريدة التى لم يشهدوا لها نظيراً من قبل «فلم يصدق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر حتى دعوا أبوى الذى أبصر، فسألوهما قائلين أهذا إبنكما الذى تقولان إنه ولد أعمى، فكيف يبصر الآن. أجابهم أبواه وقالا: نعلم أن هذا إبننا وأنه ولد أعمى. وأما كيف يبصر الآن فلا نعلم أو من فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن. اسألوه فهو يتكلم عن نفسه» (٩: ١٨– ٢١) ولما لم يقنع الفريسيون بإجابة أبوى الرجل ولم يجدوا منفذاً لإنكار المعجزة التى أذهلت جميع الناس، دعوا من جديد المولود أعمى ليناقشوه من جديد، وابتدروه برأيهم فى الرب يسوع أنه رجل خاطىء (٩: ٢٤) لعلهم بذلك يؤثرون عليه فينكر المعجزة، أو أن ينكر أنه كان مولوداً أعمى، فلما أجابهم بوضوح وشجاعة قائلا «إنما أعلم شيئاً واحداً أنى كنت أعمى والآن أبصر» (٩: ٢٥) عادوا من جديد مرة ثالثة يسألونه: ماذا صنع بك. كيف فتح عينيك؟ أجابهم الرجل قائلا: قد قلت لكم ولم تسمعوا. فلما قالوا له «وأما هذا فما نعلم من أين هو» أجاب الرجل وقال إن فى هذا عجباً إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عينى... منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عينى مولود أعمى. لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً (٩: ٢٩– ٣٣) ومع ذلك غضب الفريسيون من إجابات الرجل ومافيها من حق وشجاعة وقالوا له: فى الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا، فأخرجوه خارجاً (٩: ٣٤) نعود فنقول إن ردود الفعل العنيفة التى أحدثتها المعجزة عند الفريسيين، قرينة جديدة على أن المعجزة لم تكن معجزة شفاء نظير غيرها مما صنعه الرب يسوع، لكنها تفردت بأنها خلق من جديد لعينين مفقودتين، وإلا فلماذا كانت هذه التحقيقات المتوالية مع الرجل مرات، ومع أبويه، وانتهى الأمر بطرد الرجل من بين المجمع اليهودى!.

المسيح هو الخالق

قلنا أن الرب يسوع شفى المولود أعمى بأسلوب مغاير لأسلوبه فى سائر الأشفية الأخرى التى أجراها، حتى بالنسبة للمصابين بالعمى، ليس فقط لكى يبرهن على سلطانه غير المحدود فى منح الشفاء بكل وسيلة وبكل واسطة يختارها إبرازاً لتنوع إمكانياته وقدراته الإلهية، ولكن لأن فى هذه المرة لم يكن للمولود أعمى عينان فى موضع العينين. **فالمعجزة لم تكن فقط معجزة شفاء وإنما كانت معجزة خلق لعضو مفقود فى كل مقلة.**

ولما كان عمل الخلق قد تم فى الإبتداء بأن جبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، أى أن الرب قد خلق آدم من طين، لذلك اختار المسيح له المجد نفس الأسلوب ليخلق به للمولود أعمى عينين.

يقول أيوب الصديق: «أنا أيضاً من **الطين تقرصت**». (١).

ويقول أيضاً: «يداك كونتانى وصنعتانى كلى جميعاً... أذكر أنك **قد صورتنى مثل الطين**» (٢).

ويقول النبى إشعياء: «والآن يارب أنت أبونا. **نحن الطين وأنت جابلنا ونحن جميعاً عمل يديك**» (٣).

لكن المسيح له المجد ليس خالقاً فقط، إنما هو «**الخالق» لكل الوجود.**

يقول الإنجيل للقديس يوحنا: فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة الله... **كل شىء به كان وبغيره لم يكن شيئاً مما كان**. فيه كانت الحياة... كان فى العالم، **ويه كان العالم**، والعالم لم يعرفه...» (٤).

ويقول النبى فى المزمور: «**بكلمة الرب صنعت السماوات**، وبروح فيه كل جنودها» (٥). **فالله الكلمة هو الخالق.**

ويقول القديس بولس الرسول:

«لنا إله واحد، الآب الذى منه كل شىء، ونحن له. **ورب واحد يسوع المسيح، الذى به كل شىء، ونحن فيه**» (٦).

ويقول: «**الله خالق الجميع بيسوع المسيح**» (٧).

ثم يقول: «الذى لنا فيه الفداء بدمه مغفرة الخطايا، الذى هو صورة الله الغير منظور، وبكر كل خلق، **لأنه به خلق جميع ما فى السماوات وما على الأرض، مايرى ومالايرى**، عروشا كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. **الكل به وله قد خلق**. الذى هو قبل كل شىء، وفيه يقوم الكل» (٨).

---

(١) (أيوب ٣٣ :٦)، (٤ :١٩).
(٢) أيوب ١٠ :٨، ٩.
(٣) (إشعياء ٦٤ :٨) ثم أنظر (إشعياء ٢٩ :١٦)، (٤٥ :٩)، (إرميا ١٨ :٤، ٦).
(٤) يوحنا ١ :١- ١٠.
(٥) مزمور ٣٢ :٦.
(٦) ١ . كورنثوس ٨ :٦.
(٧) أفسس ٣ :٩.
(٨) (كولوسى ١ :١٤- ١٧). قارن (رومية ١١ :٣٦).

وهنا يجب أن نلاحظ أن الكتاب المقدس ينسب إلى المسيح له المجد، الوجود الأزلي قبل الزمان، **وأن العالم قد خلق به. فهو خالق السماوات، وما فيها، من منظور وغير منظور، وخالق الأرض، وماعليها**. وهو سابق في وجوده على كل الوجود، بل إن الوجود كله قائم به. أما قوله إنه «بكر كل خلق» فمعناه أيضاً أنه الكائن الأول قبل الخليقة. وبلغة أخرى، هو البادىء والمبدىء للوجود أي الأول قبل الوجود، أي كان هو أولا، ومن بعده كان الوجود ولذلك فإن الكتاب المقدس يقرر بعد ذلك مباشرة «**الذي هو البداءة**» (١) **أي البدء والمبدأ والبادىء والمبدىء**، والأول الذي لا أول له، والأزلي الذي لا بدء له ولا بداءة.

وبهذا المعنى نفهم ماقيل عن المسيح له المجد، من أنه «**بداءة خليقة الله**» (٢) **أي أنه مبدىء الخليقة أو خالقها. فهو البداءة للخليقة، لكن ليس له بداءة أو بدء، لأنه هو البادىء للخليقة ومبدئها وباريها.**

ويقول الرسول أيضاً في رسالته إلى العبرانيين:

«الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً، بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثا لكل شيء، **الذي به أيضاً عمل العالمين**» (٣).

ويقول «لأنه لاق بذاك (: المسيح) الذي من أجله الكل، وبه الكل» (٤).

ويقول أيضاً «بالإيمان نفهم **أن العالمين أتقنت بكلمة الله**، حتى لم يتكون مايرى مما هو ظاهر» (٥).

ويقول القديس بطرس الرسول:

«إن السماوات كانت منذ القديم والأرض، بكلمة الله قائمة، من الماء وبالماء» (٦).

تلك وغيرها (٧) نصوص تنسب إلى المسيح له المجد، وهو الله الكلمة الذي اتخذ له جسداً، إنه الخالق للعالمين «ولكل الأشياء، وأنها بإرادته كانت، وكائنة، **وأنها به خلقت**» (٨).

---

(١) كولوسي ١ : ١٨.
(٢) الرؤيا ٣ : ١٤.
(٣) العبرانيين ١ : ١، ٢.
(٤) العبرانيين ٢ : ١٠.
(٥) العبرانيين ١١ : ٣.
(٦) ٢. بطرس ٣ : ٥.
(٧) الأمثال ٨ : ٣٠.
(٨) (الرؤيا ٤ : ١١). انظر (أعمال الرسل ١٧ : ٢٣، ٢٤)، (الرؤيا ١٠ : ٦).

المسيح لم يطلب قوة من خارج ذاته

ومما يبرز قيمة المعجزة، ويظهر دلالتها على سلطان المسيح له المجد، وقدرة لاهوته، أنه لم يُصلِ ليطلب العون من قوة خارجة عن ذاته كما يفعل الأنبياء والرسل، وإنما عندما أراد أن يشفي المولود أعمى تفل على الأرض، وصنع من التفل طيناً، ثم طلى به عيني الأعمى أي موضع عينيه، وأمره أن يمضي إلى بركة سلوام ويغسل وجهه، فذهب وغسل وجهه فأتى بصيراً ـ كل هذا صنعه المسيح مبرهنا على أنه صاحب الأمر، ولا يوجد من يمنع يده. وقد تحقق كل شيء كما أراده، وفي الصورة التي أرادها. إن الطين ليس علاجاً لكنه في العادة يضر العيون السليمة فضلا عن المريضة وبخاصة لأن هذا الطين من تراب الأرض الملوثة بأقدام الناس وأحذيتهم وبأرجل الحيوانات. لكن المسيح أراد أن يتخذ من هذه الوسيلة أسلوباً يثبت به قدرته الإلهية وسلطانه الذي لايقهر، والذي يعلو على كل الماديات والحسيات.

ومما تجدر ملاحظته أن المسيح طلى عيني الأعمى بالطين، ولم يمض معه إلى بركة سلوام، ولا أمر أحداً من تلاميذه أو غيرهم بمتابعة الرجل، مما يدل على الثقة التامة للمسيح في قدرته على تحقيق الشفاء بالوسيلة التي إختارها هو، لأن الشفاءَ في نهاية الأمر هو بفعالية كلمته التي تقول للشيء: كن فيكون.

تأملات روحية فى المعجزة
وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته

(يوحنا ٩ : ١)

وفيما هو مجتاز:

قد يبدو من عبارة الإنجيل هذه أن لقاء الرب يسوع مع المولود أعمى كان لقاء عابراً غير مقصود. **ولكننا نستبعد أن يحدث أمر فى الأرض خصوصاً بالنسبة إلى البشر دون أن يكون ذلك فى تدبير الله وحكمته**. إذن لم يكن مرور المسيح الرب بالمكان الذى يقف فيه المولود أعمى أو يجلس، من قبيل الصدفة العابرة. **فليس فى أعمال الله صدفة، لأن كل شيء فى برنامج العناية الإلهية نصيباً من تخطيط.**

«وفيما هو مجتاز رأى إنساناً»

طوبى لذلك الإنسان الذى يكون مستعداً لأن يجتاز الرب به فيراه، لأنه سيهبه نوراً لقلبه، ونوراً لعينيه، فيبصر أموراً ما كان له ليراها لولا نعمة الرب عليه.. ترى لو اجتاز الرب ولم يكن ذلك الإنسان الأعمى فى الطريق، أفهل كان ينال من الرب شيئاً؟ **فلا ينال النعمة من لم يكن مستعداً لها، متأهباً لقبولها، واقفاً على قدميه يصلى، أو جالساً ينتظر بقلب ملتهب، وبيدين مبسوطتين بالضراعة فى إتجاه مانح العطايا حينما يجتاز...**

وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى.

المسيح هو الذى رأى الإنسان. أما الإنسان فلم يره لأنه أعمى. وكل إنسان حتى لو كان مبصراً بعينيه قد يكون أعمى عن أن يرى المسيح لعائق يشغل حواسه، أو يقف حائلا بينه وبين المسيح، فلا يراه. وهذا العائق قد يكون أمراً تعلق به القلب فشغف به، ومن شغفه به شغل كل دائرة الرؤية فى نظره، فلم يعد فى مقدوره أن يرى ماعداه. وقد يكون فكراً شد إنتباهه بقوة، أو مشكلة انحصر فيها كل فكره، أو غماً انقض عليه فأسدل على عينيه غمامة فلم يعد قادراً على أن يرى نوراً... **لكن المسيح يستطيع مع ذلك أن يراه**، لأن المسيح مكشوف العينين وكل شيء، عريان أمامه. والمسيح وحده هو الذى يمكنه أن يعلم بحقيقة العمى الذى أصابه، ومن أى نوع هو، ويمكنه أيضاً بنوره أن ينفذ إلى أعماق العلة، ويستطيع كذلك أن يزيل الغشاوة عن عينيه، بل أن يعطى له عينين آخريين متى أراد. إنما على الأعمى أن يقف فى طريق المسيح، لينتفع بالفرصة الثمينة التى تعرض له عندما يجتاز به.

وفيما هو مجتاز رأى إنساناً:

هذا الإنسان هو واحد من آلاف الناس... من منا حينما يجتاز في الطريق لايرى العشرات والمئات من البشر ممن يعرفهم ومن لايعرفهم؟!. لكنه بعينيه يرى كثيرين ولا يرى واحداً. لكن المسيح «رأى إنساناً» واحداً، رؤية لها معنى، ولها مغزى. هنا قيمة الإنسان عند الله. هذا الإنسان الواحد الذي له عشرات ومئات وألوف النظائر بين البشر يستحق وحده أن يراه المسيح رؤية خاصة نافعة له، ويمكنه لذلك أن يستأثر بعناية المسيح. ليس الإنسان - أي إنسان - شيئاً تافهاً أمام الله. إنه جبله بيديه وركبه ونسج خيوط لحمه وعظامه وجلده، وأودع فيه من روحه نفخة على صورة الله ومثاله. فهو إذن منه، وهو في صفات روحه وعقله ونفسه يشبهه،.. ليس إذن يهمله، ولكن له فيه قصد، عيناه عليه.. هو يراه حتى لو كان مستوراً عن عيون الناس جميعاً، هو يبحث عنه حتى لو كان مغموراً بين الموجودات.. إنه كائن له عند الله قيمة في ذاته، لأنه روح ثمينة مغلفة في جسم أعمى، وعقل ثمين محجوب تحت أثقال اللحم والعظم...

شكراً لك يارب!... نحن نتعلم من فرط رعايتك وجمال عنايتك **أن لانحتقر في الوجود إنساناً**، مهما بدا لنا هذا الإنسان عاديا، وأن نظائره كثيرون، أو لايستحق النظر، لأن هناك من هم أولى منه بالنظر والاعتبار...

ذاك الأعمى الذي قد يستنكف الناس أن ينظروا إليه لفقره أو بؤسه، أو قد يمرون به دون أن يهتموا بالنظر إليه، أو ربما يتحاشون أن يتطلعوا إليه تقززاً... أو لسبب آخر... هذا الأعمى استحق منك أنت أن تراه، فرأيته أنت لا كما يراه الناس، ولا حتى كما كان يرى هو نفسه، ولكنك رأيته أنت في الصورة التي أردته أن يكون عليها... رأيته إبناً لك تائهاً شارداً فأردت أن تضمه إليك... إنه لم يبحث عنك... أنت الذي اجتزت بطريقه لكي تراه... أنت الذي ذهبت إليه حيث كان، وحيث ذهب... لأنه خليقتك، وفيه شيء منك، فيه روحه وهي ثمينة عندك... إن ذلك الأعمى هو صورة الإنسان كله الذي تركت السماء من أجله، ونزلت إليه حيث هو شارد ضال، في الأرض، جئت إليه واجتزت به لكي تراه، وترد إلى عينيه النظر، وإلى قلبه النور...

فسأله تلاميذه قائلين: يامعلم من أخطأ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟

(يوحنا ٩ : ٢)

سأل التلاميذ معلمهم الأعظم والأوحد، ومن لهم بمعلم غيره، أو بمعلم بعده؟ ألم يقل لهم «إن معلمكم واحد وهو المسيح» (١) وسؤالهم كان سؤالا عويصاً حيرهم كما حير الكثيرين من قبل... سؤال عن سر الألم والشقاء فى حياة بعض الناس ممن يولدون معوقين، أو مشوهين، أو ناقصين، أو متخلفين جسمياً أو عقلياً...

هذا الشر الذى يعانونه ماعلته وما هو سببه؟، هل هو عقاباً على خطيئة ارتكبها هؤلاء فى حياة أخرى سبقت هذه الحياة؟، أم هو عقاباً على خطيئة ارتكبها والدوهم تحقيقاً لقوله تعالى فى الوصية الثانية من الوصايا العشر «أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء فى الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع من مبغضى» (٢).

لكن سؤال التلاميذ يثير صعوبة كبيرة.

فإذا كانت خطايا الوالدين تلحق بالأبناء نتائجها كقول الله تعالى إنه «مفتقد إثم الآباء فى الأبناء وفى أبناء الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع» (٣) لكن الصعوبة الكبرى هى فى أن يكون عمى الرجل يرجع إلى خطيئة ارتكبها هو ذاته من قبل أن يولد!! فإن هذا القول يستتبع الاعتقاد بأنه كانت للرجل حياة أخرى سابقة على هذه الحياة الحاضرة، وأنه إرتكب فى حياته الأولى تلك، خطيئة أو خطايا إقتضى التكفير عنها أن يولد أعمى عقاباً له على خطاياه تلك، وهى نظرية التقمص أو تناسخ الأرواح Metempsychosis أو الاستجساد Reincarnation التى قال بها المصريون القدماء، وأخذها عنهم أفلاطون، كما قال بها الهنود، وربما عن طريق المصريين القدماء إنتشرت فى بلاد الشرق القديم ومن بينهما فلسطين، وتسربت إلى تلاميذ المسيح كما يتضح من سؤالهم لمعلمهم. وكما يتضح أيضاً من قول الفريسيين للمولود أعمى فى نهاية حوارهم معه «أجابوا وقالوا له: فى الخطايا ولدت أنت بجملتك» (يوحنا ٩ : ٣٤).

ولقد أخذ العلاّمة أوريجينوس بهذه النظرية وقتاً ما، مؤيداً رأيه بسؤال تلاميذ المسيح عما إذا كان عمى الرجل المولود أعمى عقاباً على خطيئة إرتكبها هو قبل أن يولد، غير أن أوريجينوس عاد وعدل عن هذه النظرية واعترف بخطئه فى الإستنتاج.

أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه.

---

(١) متى ٢٣ : ٨، ١٠.

(٢) (الخروج ٢٠ : ٥)، (التثنية ٥ : ٩).

(٣) الخروج ٣٤ : ٧.

وكانت إجابة المخلص نافية صريحة. ولا يقوى عليها إلا الله، العارف وحده بأسرار البشر فى مولدهم وقبل مولدهم، لأنه هل كان يجرؤ واحد غير المسيح الرب أن يجيب على سؤال التلاميذ إجابة قاطعة واضحة كهذه. ينفى فيها تحت مسئوليته أن تكون علة العمى فى الرجل المولود أعمى مردها إلى خطيئة ارتكبها هو قبل أن يولد، أو إلى خطيئة ارتكبها والداه ؟.

على أن إجابة الرب يسوع فتحت أمامنا منفذاً لتعليل بلايا البشر، وتجاربهم وأحزانهم.

فما كان أسهل على الناس إذا رأوا إنساناً قد إبتلى بمرض، أو نزلت به كارثة موت لإبنه أو إبنته أو أصيب بالفقر أو بخسارة فى تجارته أو زراعته أو احترق بيته أو ماشيته إلى غيرها من الدواهى والكوارث التى تدرك الناس... أن يعزوها إلى خطيئة الرجل...

ألم يقل أحد أصدقاء أيوب، وهو أليفاز التيمانى، وهو يذكر أيوب أن تجربته هى بسبب خطاياه «قد رأيت أن الحارثين إثما والزارعين شقاوة يحصدونها» (١) ألم يقل سليمان الحكيم «الزارع إثما يحصد بلية» (٢).

لكن إجابة مخلصنا أبانت أنه يمكن أن تقع على الإنسان تجربة ومع ذلك لا تكون نتيجة لخطاياه أو لخطايا غيره.

ليس معنى هذا إنكار كل علاقة بين الخطيئة وبين التجارب والآلام من مصائب وأمراض. فالمعروف أن الموت دخل إلى العالم بخطيئة آدم أبى الجنس البشرى «بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس بالذى جميعهم أخطأوا فيه» (٣). ومع الموت جاء المرض، ثم بالخطيئة دخل التعب والشقاء وسائر الآلام...

وصحيح أيضاً أن هناك أمراضاً خاصة تلحق ببعض الناس نتيجة طبيعية لخطاياهم وتعدياتهم على نواميس الطبيعة وقوانين الحياة، ومع الأمراض صنوف أخرى من الآلام وصور الشقاء...

وصحيح كذلك أن هناك أمراضاً يشقى بها أناس بسبب خطايا آخرين مثل الوالدين والجدود، وذلك تبعاً لقانون الوراثة الذى سبق الله فأنذر به فى الوصايا العشر.

ولكن مع ذلك يمكن أن تكون هناك آلام لغير ماذكرنا من أسباب، آلام لا بسبب الخطيئة، بل يشاء الله أن تكون سبباً لمجد إسمه تعالى.

---

(١) أيوب ٤: ٨.
(٢) أمثال ٢٢: ٨- انظر أيضاً (هوشع ١٠: ١٣)، (٨: ٧)، (غلاطية ٦: ٧، ٨).
(٣) رومية ٥: ١٢.

وبنفس المعنى قال رب المجد يسوع المسيح فى تعليل مرض لعازر وآلام أختيه بسببه «هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله ليتمجد الله به» (١) وفعلا تمجد ابن الله بمرض لعازر وموته حين أقامه من بين الأموات، فرأت الأختان مريم ومرثا، ومعهما الجماهير الغفيرة التى شهدت المعجزة الكبيرة، مجد الله (٢)، فآمنوا بالمسيح (٣) وبسلطانه على الموت والحياة (٤).

لذلك يجب أن لايتسرع الإنسان فى أحكامه على بلايا الناس وتجاربهم، ولايندفع ليعزوها إلى خطاياهم، لئلا يكون فى حكمه عليهم قد قسا وتجبر وأساء الظن بهم، وأدانهم، وبدلا من أن يصنع شيئاً يخفف به آلامهم، يزيد جراحهم، بكلام موجع كما فعل أصدقاء أيوب به، حتى تأذى من كلامهم وقال لهم: «معزون متعبون كلكم. هل من نهاية لكلام فارغ... أنا أيضاً أستطيع أن أتكلم مثلكم. لو كانت أنفسكم مكان نفسى، وأنغض رأسى إليكم» (٥)، ثم قال لهم «أطباء بطالون كلكم، ليتكم تصمتون صمتاً» (٦).

وإذن كان العمى فى الرجل المولود أعمى، لابسبب خطاياه هو، ولا بسبب خطايا والديه، ولكن ليكون هو سبباً لمجد الله، حين يتم شفاؤه، ورد البصر إليه فيشكر الناس الله ويسبحونه ويمجدونه. أما الرجل الأعمى نفسه، فقد آمن بالمسيح، ودافع عن قداسته أمام الفريسيين دفاعاً مجيداً، وقد كانوا يريدونه أن ينكر المعجزة، ولما سألوه عن رأيه فى المسيح الذى أبرأه، قال إنه نبى (يوحنا ٩: ١٧)، وإنه من عند الله (٩: ٣٣) حتى طردوه من المجمع أى حرموه من حقوقه الدينية والمدنية (٩: ٣٤). وأخيراً إنتقل إيمانه إلى الاعتقاد فى المسيح أنه ابن الله، عندما وجده الرب يسوع بعد أن طردوه من المجمع «فقال له: أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذاك وقال: من هو ياسيد لأومن به؟. فقال له يسوع: قد رأيته، والذى يتكلم معك هو هو. فقال أؤمن ياسيد وسجد له» (يوحنا ٩: ٣٥- ٣٨).

إذن لم يكن القديس سمعان بطرس هو الوحيد الذى اعترف بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى، ولكن سبقه آخرون، ومنهم يوحنا المعمدان الذى قال: «وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله» (٧)، ومنهم نثنائيل أو برثولماوس الذى قال له «يا معلم أنت ابن الله»، وكثيرون آخرون، من قبل ومن بعد. وها هو المولود أعمى يسأله المخلص قائلاً: «أتؤمن بابن الله؟»، فيجيبه قائلا: أؤمن ياسيد، ثم لا يؤمن فقط، بل ويسجد له أيضاً.

---

(١) يوحنا ١١: ٤.
(٢) يوحنا ١١: ٤٠.
(٣) (يوحنا ١١: ٤٥)، (يوحنا ١٢: ١١).
(٤) (يوحنا ١١: ٣٧)، (يوحنا ١٢: ١٧).
(٥) أيوب ١٦: ٢- ٤.
(٦) أيوب ١٣: ٤، ٥.
(٧) يوحنا ١: ٣٤.

على أن فى إهتمام الرب يسوع بالمولود أعمى بعد أن طرده اليهود من المجمع عزاء للرجل الذى نال غضب اليهود، جزاء دفاعه عن الحق، وكأن الرب يسوع أراد أن يهدىء من روعه، وأن يعزيه عن إضطهاد اليهود له، بأنه قد ربط مصيره بمصير سيده المسيح، وأنه وإن كانوا هم طردوه لكن الرب قد قبله. أما اليهود الذين استغلوا سلطتهم إستغلالا ضد الخير، فهم الذين سيشقون بالقرار الذى أصدروه على أنفسهم. «لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يخرج من المجمع» (يوحنا ٩ : ٢٢).

وبذلك فصلوا هم أنفسهم عن نبع الحياة، فجفوا وسقطوا عن الزيتونة الجيدة والكرمة الحقيقية. وهكذا يصنع فى كل جيل الذين يتخذون من سلطاتهم الدينية سبيلا إلى إذلال الذين يدافعون عن الحق.. فكل قرار يصدرونه على غيرهم بالحرمان، يرتد على رؤوسهم، فيقطعها، وعلى قلوبهم فيصيبها بالموت والجفاف.

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل) تخاطب الأسقف:

«إرع الماشية لابضجر ولا بهزء، كمن لك عليهم السلطان، بل كراع صالح تجمع الخراف إلى حضنك... كن طبيباً صالحاً، باشا، بلا دغل ولا كذب، ولاتكن قاسياً، ولا محابياً، ولا صارما، ولا بغير رحمة، ولا متعالى القلب ولا تهزأ بالشعب الذى تحت يدك... ولا تكن مستعداً أن تخرج بخفة أحداً من الكنيسة، بل تثبت جيداً» (١).

وتقول الدسقولية أيضاً:

«لا تكن مسرعاً إلى القطع، ولا جسوراً، ولا تسارع إلى المنشار الكبير الأسنان» (٢).

وكذلك تقول تعاليم الرسل:

«من يخرج البرىء كأنه مذنب فهو شر من قاتل الإنسان... من يرفض من لا ذنب له، فهو شر من كل قاتل للجسد...» (٣).

إذا سمعتم كلام فريق واحد وحجته فى دعواه التى يدعيها، وأوجبتم قضيته، وقطعتم الحكم بسرعة، والفريق الآخر ليس حاضراً معكم ليجيب عن نفسه، ويحتج عما قرف به، فإنكم تكونون مستحقين للقتل الذى حكمتم به، وتوجدون أمام الله ضابط الكل، شركاء لنصيب الكذاب... إن الله عارف بالحكم الذى تحكمون به، ولا تقدرون أن تخفوه عنه، فإن كان عدلا، نلتم مجازاة حسنة عادلة فى هذا الدهر وفى الآتى. وإن كان ظلماً لقيتم شروراً كثيرة» (٤).

---

(١) الدسقولية ـ الباب الرابع.
(٢) الدسقولية ـ الباب الثامن.
(٣) الدسقولية ـ الباب الخامس: ١، ٢.
(٤) الدسقولية ـ الباب الثامن: ٣١- ٣٤.

فإننى ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام نهار. لأنه سيجيء الليل الذى لا يستطيع أحد أن يأتى فيه عملاً فإننى ينبغى أن أعمل (يوحنا ٩ : ٤).

يالها من حقيقة عظيمة ومهمة: أن الرب يسوع يقرر **أن من واجبه أن يعمل، ولا يتوقف عن العمل... فهو يعمل منذ البدء، وعمله متواصل، والعمل عنده مقدم على كل شيء.**

لقد جاءه مرة تلاميذه يسألونه أن يأكل «قائلين: يامعلم قم تناول الطعام. فقال لهم: إن لى طعاماً آكله لا تعرفونه أنتم» فلما تحيروا من جوابه، وقالوا فيما بينهم: «ألعل أحداً جاءه بما يأكل؟» قال لهم يسوع: «**إن طعامى هو أن أعمل** بمشيئة الذى أرسلنى، وأنجز عمله» (١).

«**إن طعامى هو أن أعمل**».. مبدأ إلهى جبار.. الطعام عمل، والعمل طعام.. لكنه طعام غير مادى.. طعام آخر غير طعام الخبز و «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» (٢).

كما يقرر أيضاً أنه يعمل، ويعمل دائماً عملاً متواصلاً، ولايتوقف عن العمل «إن أبى حتى الآن يعمل، **وأنا أيضاً أعمل**» (٣).

وإذا كان الكتاب المقدس قد قال إن الله بعد خلقه الأيام الستة «وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً» (٤).

فليس الفراغ هنا من عمل الخلقة معناه التوقف عن الأعمال الأخرى، وكذلك الإستراحة المنصوص عليها ليست بمعنى التعطل عن العمل. فالفراغ هو فراغ من نوع واحد من العمل وهو عمل الخلق، لكن الله مازال يعمل. ومن بين أعمال الله تعالى عمل الحفظ. فالله لم يخلق الكون فقط. لكنه حافظه أيضاً، وهو الذى وضع قوانين الطبيعة ويحفظ لهذه القوانين بقاءها وفاعليتها واستمرارها، فلا تتوقف عن العمل. **ولئن كان قد فرغ من عمل الخلق الأول، لكنه فى الواقع مازال يخلق، وذلك بفعل القوانين الطبيعية التى وضعها ويحفظ لها قوتها وفاعليتها واستمرارها**. فالتكاثر فى النبات والحيوان والإنسان هو خلق لكائنات جديدة، وإن كان بفاعلية القانون الطبيعى فى إجتماع الذكر والأنثى.

---

(١) يوحنا ٤ : ٣١- ٣٤. (٢) (متى ٤ : ٤)، (تثنية ٨ : ٣).

(٣) (يوحنا ٥ : ١٧). انظر أيضاً (يوحنا ٥ : ٢٠، ٣٦)، (١٠ : ٢٥، ٣٢، ٣٧، ٣٨)، (١٤ : ١٠، ١١، ١٢)، (١٥ : ٢٤)، (٣ : ٢)، (مرقس ٧ : ٣٧).

(٤) (التكوين ٢ : ٢، ٣)، (الخروج ٢٠ : ١١)، (٣١ : ١٧)، (العبرانيين ٤ : ٤).

وليس «**الخلق**» و«**الحفظ**» وحدهما هما عمل الله الدائم في الوجود، لكن هناك أيضاً **العناية الإلهية بكل شيء**، بحيث لا يحدث أمر في الكون من غير علم الله ومن غير إذنه.

قال المسيح له المجد: «أليس عصفوران يباعان بمليم، ومع ذلك لا يسقط واحد منهما على الأرض بغير مشيئة أبيكم الذي في السموات؟ هكذا أنتم. فحتى شعر رؤوسكم كله معدود» (١). وقال أيضاً: «أليست خمسة عصافير تباع بمليمين، ومع ذلك فواحد منها ليس منسيا أمام الله، بل إنه حتى شعور رؤوسكم معدود كله» (٢).

ينبغي أن أعمل:

وإذا كان السيد المسيح يرى أن العمل واجب بالنسبة له، فالعمل أوجب بالنسبة لنا نحن البشر.

إذا كان العمل واجباً على السيد، فكم بالأحرى يجب على العبد أن يعمل؟!.

«أفيحسب فضل لذلك الخادم أنه فعل ما أمر به؟ لا أظن. هكذا أنتم إذا فعلتم كل ما أمرتم به، فقولوا إننا عبيد لا فضل لنا، لأننا إنما فعلنا ما كان واجباً علينا أن نفعله» (٣).

والعمل المقصود، أولا وبالذات، هو عمل الصالحات، وكل أعمال البر والفضيلة التي تليق ببني الإيمان، «لأن الإيمان بدون أعمال ميت.. لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت». «ترون إذن أنه بالأعمال يتبرر الإنسان **لا** بالإيمان وحده» (٤).

ويقول المسيح له المجد «ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات، بل ذلك الذي يعمل إرادة أبي الذي في السموات» (٥).

ويقول له المجد «ولماذا تدعونني يارب، ولا تعملون بما أقول لكم» (٦).

ثم يقول «إن أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله، ويعملون بها» (٧).

ويقول كذلك: «بل مباركون هم الذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها» (٨).

ويقول الرسول القديس بولس: «فليس الذين يصغون إلى كلام الشريعة هم الأبرار عند الله، بل العاملون بالشريعة هم الذين ينالون البر» (٩).

---

(١) (متى ١٠: ٢٩، ٣٠).
(٢) (لوقا ١٢: ٦، ٧)، (٢١: ١٨).
(٣) لوقا ١٧: ٩، ١٠.
(٤) يعقوب ٢: ٢٠، ٢٦، ١٧، ٢٤.
(٥) متى ٧: ٢١.
(٦) لوقا ٦: ٤٦.
(٧) (لوقا ٨: ٢١)، (متى ١٢: ٥٠)، (مرقس ٣: ٣٥).
(٨) لوقا ١١: ٢٨.
(٩) رومية ٢: ١٣.

ويقول الرسول القديس يعقوب: «كونوا عاملين بالكلمة، لا سامعين لها فقط، فتخدعوا أنفسكم» (١).

على أنه يمكن أن يتسع مفهوم العمل، فيشمل جميع ضروب النشاط التى ينبغى على الإنسان أن يقوم بها، مستغلا مواهبه، ومستثمراً إمكاناته العقلية والذهنية للتفكير والابتكار، وطاقاته وقدراته النفسية والجسمية فى كل أنواع المهارات والحرف والفنون والصناعات، ليجعل حياته أكثر سهولة، وحياة غيره من الناس أكثر متعة وأوفر سعادة فقد خلق الله آدم ووضعه فى جنة عدن «ليفلحها ويحرسها» (٢). أى أن الإنسان الأول خلقه الله ليعمل منذ الإبتداء. «وزاد الرب على ذلك بأن كلفه بالسيادة على الحيوان والنبات، والسيطرة على كل الطبيعة، كنائب عن الله فى حكم الطبيعة الحية والجامدة. «وباركهم الله وقال لهم: أثمروا وأكثروا، واملأوا الأرض، وأخضعوها، وتسلطوا على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى كل حيوان يدب على الأرض» (٣).

فإننى ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى:

إن المسيح له المجد ينسب أعماله إلى الآب، ويصف ذاته **بأنه مرسل من قبل الآب.**

وفى هذا إلحاح مستمر على بيان علاقته الثابتة بالآب.. إنه لا يريد أحداً من الناس أن ينسى علاقة المسيح له المجد بالآب السماوى.. فليس الابن منفصلا عن الآب، ولا هو جاء ليؤكد له كيانا منفصلا عن كيان الآب، حتى لا يقع الناس فى خطأ الاعتقاد بإلهين، أو الاعتقاد بأن المسيح إله جديد يثبت وجوده على حساب الإله القديم، أو يبنى كيانه على أنقاض الإله المعروف عند الناس منذ القديم. حاشا، فإن الله إله واحد، لا إثنان. والعلاقة بين الابن (وهو المسيح) وبين الآب، هى العلاقة بين أقنومين فى ذات إلهية واحدة، أى بين خاصيتين فى جوهر الإله الواحد بعينه (٤).

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يقول فيها المسيح له المجد إنه مرسل من قبل الآب. فما أكثر مايرد هذا التعبير على فمه له المجد، توكيدا منه لتدبير التجسد، وتدبير الفداء، وأنهما تدبير الآب والابن معاً، فهما معاً دائماً منذ الأزل بغير افتراق.

---

(١) يعقوب ١ : ٢٢.

(٢) التكوين ٢ : ١٥.

(٣) التكوين ١ : ٢٨.

(٤) انظر كتاب المؤلف «إمرأة من لبنان» صفحات ١٩ – ٣٠.

ومن ذلك قوله له المجد.

«إن طعامي هو أن أعمل بمشيئة الذى أرسلنى وأنجز عمله» (١).

«لأننى لا أبتغى مشيئتى، بل مشيئة الآب الذى أرسلنى» (٢).

«لأنى نزلت من السماء، لا لأعمل بمشيئتى، وإنما بمشيئة الذى أرسلنى» (٣).

«والآب نفسه الذى أرسلنى هو الذى شهد لى» (٤).

«إن تعليمى ليس من عندى، بل من عند الذى أرسلنى» (٥).

«أنا باق معكم وقتاً قليلاً، ثم أذهب إلى الذى أرسلنى» (٦).

«إن من آمن بى، لا يؤمن بى أنا، وإنما آمن بالذى أرسلنى» (٧).

«ومن رآنى، فقد رأى الذى أرسلنى» (٨).

وفى إلحاح المسيح له المجد على بيان أنه مرسل من قبل الآب (٩)، جمال الإتضاع. إنه ينسب كل الخير إلى الآب، لا إلى نفسه، لأن الآب هو فى أذهان الناس معروف عندهم قبل الابن الذى تجسد فى الزمان. ولعله بذلك يعلمنا كيف ينبغى أن يكرم الابن أباه، والتلميذ معلمه، وكيف يجب علينا أن نكرم الذين سبقونا من الآباء. «فإن آخرين قد تعبوا، وأنتم تجنون ثمرة تعبهم» (١٠). وفى هذا يبرز تواضع المسيح له المجد «تعلموا منى أنا الوديع المتواضع القلب» (١١).

مادام نهار:

والنهار يرمز إلى الوضوح. إن أعمال البر والصلاح والتقى وكل فضيلة يجب أن تكون فى وضوح. وهذا لا ينفى كونها يجب أن تكون أكثرها فى الخفية، فلا تكون لنيل المدح من الناس.. لكنها تكون فى وضوح، بمعنى أنها لاتحاك بالخديعة والغش والإلتواء. فالأبرار لا يعملون

---

(١) يوحنا ٤: ٣٤.

(٢) يوحنا ٥: ٣٠.

(٣) يوحنا ٦: ٣٨.

(٤) يوحنا ٥: ٣٧.

(٥) يوحنا ٧: ١٦.

(٦) يوحنا ٧: ٣٣.

(٧) يوحنا ١٢: ٤٤.

(٨) يوحنا ١٢: ٤٥.

(٩) (متى ١٠: ٤٠)، (مرقس ٩: ٣٧)، (لوقا ٩: ٤٨)، (١٠: ١٦)، (يوحنا ٥: ٢٣، ٢٤، ٣٦، ٣٨)، (٦: ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٧)، (٧: ١٨، ٢٨، ٢٩، ٣٣)، (٨: ١٦ ـ ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٧)، (٨: ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٩، ٤٢)، (١٠: ٣٦)، (١٢: ٤٩)، (١٦: ٥)، (٢٠: ٢١).

(١٠) يوحنا ٤: ٣٨.

(١١) (متى ١١: ٢٩)، (فيلبى ٢: ٨، ٩).

فى الظلام، ولا يخدعون ولا يمكرون، وأعمالهم تتصف بالبساطة والوضوح. وبذلك يصيبون ولا يخطأون.

قال رب المجد يسوع المسيح: «فإن مشى أحد فى النهار لايعثر.. وأما إن مشى فى الليل فإنه يعثر، لأنه ليس فيه النور» (١).

وتبعاً لذلك صار الأبرار يتصفون بأنهم أبناء النهار وأبناء النور (٢)، والأشرار أبناء الليل والظلمة، وصارت صفات أبناء النهار والنور هى القداسة والطهارة والنقاء، بينما أن صفات أبناء الليل والظلمة هى الشر والإثم والنجاسة.

يقول الرسول القديس بولس: «قد تناهى الليل واقترب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة ولنلبس أسلحة النور. لنسلك باللياقة كما فى النهار، لا بالقصوف والسكر، ولا بالمضاجع والعهر، ولا بالخصام والحسد، بل إلبسوا الرب يسوع المسيح، ولا تشغلوا بالجسد لإشباع شهواته» (٣).

ويقول أيضاً «لأنكم جميعاً أبناء النور وأبناء النهار. لسنا نحن من أهل الليل ولا من أهل الظلمة.. أما نحن أبناء النهار فلنكن صاحين، لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة رجاء الخلاص» (٤).

كذلك النهار هنا يرمز إلى فترة الحياة الدنيا المتاحة للإنسان. فطالما أن للإنسان منا فرصة للحياة فى هذا العالم فليستغلها للعمل الصالح والمثمر، لبناء حياته، وإعداد مصيره الأبدى.

سيجىء الليل الذى لا يستطيع أحد أن يأتى فيه عملاً.

وكما أن النهار يرمز إلى الحياة الممتدة على الأرض والتى ينبغى على الناس أن يملؤوها بالأعمال الصالحة، ويشحنوها بأعمال الطاعات والفضائل، وتمجيد الله، وخدمته تعالى، وخدمة عبيد الله رفقائهم فى الكفاح. هكذا الليل يرمز إلى الزمن الذى بعد الموت، حين تغيب حياة الإنسان عن نظر إخوته الذين فى العالم.

حقاً إن للأبرار عملا بعد الموت (٥) فى خدمة الله تعالى وخدمة أرواح القديسين، لكن أعمال التوبة فرصتها هى فى الحياة الدنيا. فإذا فقد الخاطىء فرصة العمل هنا فى هذا العالم، من أجل حياته الأخرى، فقد أضاع حياته ومصيره الأبدى. وبهذا المعنى يقول النبى فى

(١) يوحنا ١١: ٩، ١٠.
(٢) لوقا ١٦: ٨.
(٣) رومية ١٣: ١٢- ١٤.
(٤) ١. تسالونيكى ٥: ٥- ٨.
(٥) (متى ٢٥: ٢١- ٢٣)، (لوقا ١٩: ١٧، ١٩).

المزمور: «لأنه ليس فى الموت من يذكرك، وهل فى الجحيم من يعترف لك» (١). ويقول أيضاً «ليس الأموات يسبحون الرب، ولا من ينحدر إلى أرض السكوت» (٢).

لذلك يقول المسيح له المجد: «فسيروا فى النور مادام لكم النور، لئلا يدرككم الظلام، لأن الذى يمشى فى الظلام لا يدرى إلى أين يسير» (٣).

مادمتُ فى العالم، فأنَا نور العالم.

(يوحنا ٩ : ٥)

هنا يصرح الرب يسوع قائلا: «**أنا هو نور العالم**». نعم، لأنه هو شمس البر، والشفاء فى أجنحتها» (٤). وليست هذه هى المرة الوحيدة التى يصف بها يسوع المسيح ذاته بأنه «نور العالم».

لقد قال مرة قبل ذلك لليهود: «أنا هو نور العالم. من يتبعنى لايسير فى الظلام، بل ينال نور الحياة» (٥).

وقال مرة أخرى يرد على سؤال اليهود: «من هو ابن الإنسان هذا؟»، «قال لهم يسوع: «**إن النور بينكم زمانا يسيراً**، فسيروا فى النور مادام لكم النور، لئلا يدرككم الظلام، لأن الذى يمشى فى الظلام لايدرى إلى أين يسير، مادام النور معكم، فآمنوا بالنور، لتكونوا أبناء النور» (٦).

وقال أيضاً: «**أنا جئت إلى العالم نوراً**، حتى لا يمكث فى الظلام كل من يؤمن بى» (٧).

وقال كذلك: «وهذه هى الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور» (٨).

وفى سفر الرؤيا يصف المسيح له المجد ذاته بقوله: «**أنا يسوع.. كوكب الصبح المنير**» (٩).

* * *

---

(١) مزمور ٦ : ٥.

(٢) (مزمور ١١٤ : ١٧)، (٨٧ : ١١)، (إشعياء ٣٨ : ١٨).

(٣) يوحنا ١٢ : ٣٥.

(٤) ملاخى ٤ : ٢.

(٥) (يوحنا ٨ : ١٢). انظر إشعياء (٩ : ٢)، (٤٢ : ٦)، (٤٩ : ٦)، (٦٠ : ١، ٢، ٣)، (متى ٤ : ١٦)، (لوقا ٢ : ٣٢)، (أعمال ١٣ : ٤٧).

(٦) يوحنا ١٢ : ٣٤- ٣٦.

(٧) (يوحنا ١٢ : ٤٦). أنظر (يوحنا ١ : ٤).

(٨) يوحنا ٣ : ١٩.

(٩) الرؤيا (٢٢ : ١٦)، (٢ : ٢٨)، وكذلك فى (٢. بطرس ١ : ١٩)، (سفر العدد ٢٤ : ١٧)، (متى ٢ : ٢).

وكما قال الرب يسوع لتلاميذه «أنا نور العالم» قال أيضاً لتلاميذه: «**أنتم نور العالم**» (١).

ولكن فرق بين أن يكون ربنا يسوع المسيح «نور العالم»، وبين أن يكون تلاميذ المسيح ورسله «نور العالم» الفرق بين الإثنين عظيم، كالفرق بين نور الشمس ونور القمر. ذلك لأن نور الشمس هو النور الأصيل، بينما أن نور القمر ليس فيه من ذاته، بل هو منعكس عليه من الشمس.

فالقمر جسم معتم، ليس فيه نور من ذاته. فإذا أنار، فبفضل نور الشمس الذى إنعكس عليه فيبدو جسماً منيراً. هكذا نور الرسل وتلاميذ المسيح وسائر القديسين. النور الذى فيهم ليس منهم، لكنه هو نور المسيح «استناروا به» (٢)، فأناروا. ولذلك وصف الإنجيل المسيح له المجد بأنه «**النور الحقيقى**» أى النور الأصيل، والذى ينير من ذاته.

قال الإنجيل: «كان رجل قد أرسل من الله اسمه يوحنا، جاء هذا للشهادة كى يشهد للنور، ليؤمن الكل على يده. لم يكن هو النور، وإنما أرسل ليشهد للنور. كان **النور الحقيقى** الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم» (٣).

وقال الرسول القديس يوحنا فى رسالته الأولى «إن الظلمة قد مضت. **والنور الحقيقى** الآن يضىء» (٤).

لقد وصف الكتاب المقدس يسوع المسيح بأنه «**النور الحقيقى**» تمييزاً له عن نور الرسل والتلاميذ. ونور سائر القديسين.

ولذلك جاء فى «مقدمة قانون الإيمان» تمجيداً للعذراء مريم والده الإله: «نعظمك يا أم النور **الحقيقى**» (٥).

وورد أيضاً فى أولى قطع صلاة باكر، قول المصلى: «أيها النور **الحقيقى** الذى يضىء كل إنسان آت إلى العالم، أتيت إلى العالم بمحبتك للبشر» (٥).

إن المسيح له المجد هو «نور العالم» لأنه هو بذاته «الله الظاهر فى الجسد» (٦). والله فى ذاته «نور»، «**الله نور**» (٧)، وهو «**أبو الأنوار**» (٨)، **ويسكن فى نور لا يقترب منه** (٩).

---

(١) متى ٥: ١٤.
(٢) العبرانيين (٦: ٤)، (١٠: ٣٢).
(٣) يوحنا ١: ٦- ٩.
(٤) ١. يوحنا ٢: ٨.
(٥) انظر كتاب «السواعى» المسمى «الأجبية» وهو كتاب الصلوات اليومية، وكتاب «الخولاجى المقدس».
(٦) (١. تيموثيئوس ٣: ١٦)، (يوحنا ١: ١٤)، (١. بطرس ١: ٢٠)، (١. يوحنا ٣: ٥، ٨).
(٧) ١. يوحنا ١: ٥.
(٨) يعقوب ١: ١٧.
(٩) ١. تيموثيئوس ٦: ١٦.

وجاء فى «قانون الإيمان» عن الله الكلمة أنه «نور من نور» (١).

المسيح له المجد، إذن، هو النور فى ذاته، وهو «النور الحقيقى» والنور الأصيل، والنور الكامل.

ثم هو «نور العالم» **لأنه بتعاليمه أنار العالم وقد دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب»** (٢)، «لأن الله الذى قال: «ليشرق من الظلمة نور» **هو الذى أضاء نوره فى قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله، فى وجه يسوع المسيح»** (٣).

* * *

لهذا صارت كنيسة المسيح أيضاً «**منارة**» لأنها هى التى تحمل إلى العالم «نور المسيح».
وصار للكنيسة فى عمارتها «منارة» يوضع بها «نور» يضىء على الناس، ويجذب إنتباههم من بعيد، وتشير إلى نور المسيح فيها، وكأنها تناديهم برسالة المسيح نورها الحقيقى «إلتفتوا إلى واخلصوا ياجميع أقاصى الأرض، لأنى أنا الله وليس آخر» (٤). وقد قال المسيح له المجد «أنتم نور العالم. لا يمكن أن تخفى مدينة مقامة على جبل، ولا يوقد سراج ثم يوضع تحت مكيال، وإنما على منارة فيضىء لكل من فى البيت. **فليضىء نوركم هكذا أمام الناس»** (٥).

* * *

ولهذا الغرض عينه، **تضاء الكنيسة بالأنوار**. فلا يكتفى بأن تكون لها منارة مضيئة بالنور لتنير للناس من بعد، وترشدهم إليها وإلى طريق الخلاص بالمسيح، وإنما أمر الآباء الرسل أن تضاء الكنيسة من الداخل بالأنوار، لاسيما أثناء قراءة الكتب المقدسة «سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلى» (٦)، «لأن الوصية مصباح والشريعة نور، وتوبيخات الأدب طريق الحياة» (٧).

جاء فى الدسقولية (تعاليم الرسل):

«وأن تكون (الكنيسة) منيرة بأنوار كثيرة كمثل السماء، ولاسيما عند قراءة فصول الكتب المقدسة» (٨).

«وتكون لامعة جداً، بالشمع والقناديل» (٩).

* * *

---

(١) انظر قانون الإيمان النيقاوى فى الخولاجى، وكتب الصلوات.

(٢) (١ . بطرس ٢ : ٩)، (أعمال الرسل ٢٦ : ١٨).

(٣) ٢ . كورنثوس ٤ : ٦.   (٤) إشعياء ٤٥ : ٢٢.

(٥) (متى ٥ : ١٤ – ١٦)، (مرقس ٤ : ٢١)، (لوقا ٨ : ١٦)، (١١ : ٣٣).

(٦) مزمور ١١٨ : ١٠٥.   (٧) أمثال ٦ : ٢٣.   (٨) الدسقولية، الباب ٣٥.

(٩) المجموع الصفوى لجامعه الشيخ الصفى بن العسال، الباب الأول.

وكما قال السيد المسيح لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار: «أنتم نور العالم» (١) . شهد كذلك عن يوحنا المعمدان أنه كان نوراً، وقال: «ذاك كان هو السراج الموقد المنير، وقد كنتم تريدون أن تتهللوا بنوره ساعة» (٢) . وقال الرسول القديس بولس لمؤمنى فيلبى: «لتكونوا بغير لوم، وبغير مكر، وأبناء الله بلاعيب، فى وسط جيل معوج وملتو، **تضيئون فيه ضياء النيرات فى الكون»** (٣) وقال المسيح له المجد عن الصديقين: «حينئذ **يضىء الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم»** (٤).

* * *

من أجل هذا يصور الفنانون القديسين يشع من عيونهم بريق الطهارة والقداسة، وتحيط رءوسهم هالة من النور. هذه الهالة تشير إلى أن الأبرار قد استناروا (٥) بنور المسيح، وبهذا النور الذى اكتسبوه من المسيح أصبحوا هم بدورهم أنواراً مضيئة فى ملكوت المسيح.

* * *

ولقد أمرت الكنيسة المقدسة أن يوقد أمام صورالقديسين المنتقلين وإيقوناتهم، **بالقناديل والشموع**. ذلك لأن القديسين هم كقول المسيح الرب «نور العالم». إنهم عاشوا أنواراً فى العالم، أضاءوا الناس بنور سيدهم، وأناروا العالم بسيرتهم الطاهرة وحياتهم المستقيمة، وبتعاليم مخلصهم وفاديهم، فأرشدوا الكثيرين إلى البر، وإلى الحياة الأبدية.

جاء فى كتب الكنيسة، إن الكنيسة «تكون لامعة جداً بالشمع والقناديل».

ومع أن المصابيح الكهربائية أقوى نوراً من القناديل والشموع وأسطع منها ضياء، لكن الكنيسة الأرثوذكسية تؤثر وضع القناديل والشموع أمام صور القديسين وإيقوناتهم، وأما المصابيح الكهربائية فتستخدمها فى إضاءة سماء الكنيسة ومنارتها، بحيث تتدلى من فوق، من القباب ومن سقف الكنيسة.

إن الشمع أوضح دلالة على سيرة القديسين. فكما أن الشمعة تحترق لتضىء، كذلك القديسون احترقوا بالجهاد والآلام فأناروا الناس وهدوهم إلى طريق الخلاص، والحياة الأبدية.

* * *

(١) متى ٥: ١٤.
(٢) يوحنا ٥: ٣٥.
(٣) (فيلبى ٢: ١٥). انظر ٢. كورنثوس ٦: ١٤.
(٤) متى ١٣: ٤٣.
(٥) (٢. كورنثوس ٤: ١٦)، (العبرانيين ٦: ٤)، (١٠: ٣٢).

هنا يجب أن نتوقف لنسأل أنفسنا أمام الرب.

هل نحن حقاً من «أبناء النور؟» (١).

هل نضيء الناس بسيرتنا؟.

هل نزين تعاليم مخلصنا؟.

هل استطعنا بالفعل أن نمارس قول فادينا: «فليضيء نوركم هكذا أمام الناس حتى يروا أعمالكم الصالحة، فيمجدوا أباكم الذى فى السموات؟» (٢).

يقول الرسول القديس يوحنا: «من قال إنه فى النور وهو يبغض أخاه، فهو فى الظلمة حتى الآن. من أحب أخاه كان مقيماً فى النور، وليس فيه عثار. وأما من أبغض أخاه فهو فى الظلمة، وفى الظلمة يسلك، ولا يدرى إلى أين يتجه، لأن الظلمة قد أعمت عينيه» (٣).

إن الفحم الذى نستخدمه فى المجمرة جسم معتم، بل وأسود، وحالك السواد، ومن مسك به اتسخ. أما إذا اتحد الفحم بالنار، فيحترق ويتوهج ويصير جسما متوهجاً بالحرارة، لامعا بالنور والنار. هكذا نحن البشر، إن لنا أخطاءنا وخطايانا، ونحن مظلمو الفكر (٤). والنفس بالخطيئة. فإذا إلتصقنا بالمسيح وإتحدنا به، فالظلمة التى فينا تتحول إلى نور ونار، نور يضيء، ونار تحرق.

يقول الرسول القديس بولس: «فإنكم كنتم حينا ظلمة، أما الآن فأنتم نور فى الرب فسيروا سيرة أبناء النور» (٥).

ولنقل مع الرسول بولس أيضاً: «قد تناهى الليل، واقترب النهار. فلنخلع أعمال الظلمة، ولنلبس أسلحة النور» (٦).

* * *

فقال يسوع: أتيت أنا دينونةً للعالم حتى يبصر الذين لايبصرون، ويعمى الذين يُبصرون (يوحنا ٩: ٣٩).

هذا كلام رهيب، يقوله الرب يسوع! فما معناه؟.

---

(١) (لوقا ١٦: ٨)، (يوحنا ١٢: ٣٦)، (أفسس ٥: ٨)، (١. تسالونيكى ٥: ٥).
(٢) متى ٥: ١٦.
(٣) ١. يوحنا ٢: ٩- ١١.
(٤) أفسس ٤: ١٨.
(٥) أفسس ٥: ٨.
(٦) رومية ١٣: ١٢.

الذين لايبصرون، هم العميان عن جهل ممن لايعرفون الكتب، مثلهم مثل المولود أعمى، ومن إليه من البسطاء. هؤلاء البسطاء إذا طلبوا الخلاص وجدوه، واستنارت عيون قلوبهم بنور المسيح الحقيقي. **فيصبحون مبصرين**. فكم من الخطاة البسطاء تابوا..، وكم من الجهال الأبرياء عرفوا طريق الخلاص.. وكم من أشرار ومجرمين ندموا على شرهم بعد أن استنارت عقولهم، فتحولوا إلى أبرار وقديسين.. كانوا عميانا فصاروا مبصرين.. وكانوا مظلمين ومعتمين فأصبحوا مستنيرين ومنيرين..

وأما المبصرون فى نظر أنفسهم ممن يقولون إنهم مبصرون، ولكن قلوبهم مفعمة بالعمى الروحى، فهؤلاء، على الرغم من أنهم يزعمون بأنهم مبصرون، لكنهم - لعنادهم وكبريائهم وغرورهم، ولرفضهم لنور المعرفة فى المسيح - سيهملهم الله إهمالاً تاماً لقساوة قلوبهم «وكما أنهم لم يستحسنوا أن يستبقوا الله فى معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض، ليفعلوا مالا يليق» (١). وبذلك يزدادون عمى على عمى، ويفقدون إلى الأبد ما كان لهم من بعض النور فى حياتهم.

* * *

معنى هذا أن النور مع أنه خير وبركة ورحمة، إلا أنه يمكن أن ينقلب إلى دينونة وعقاب، للذين لاينتفعون به. إنه يضيء الطريق أمام الضالين عن جهل، لكن يمكن أن يعشى به الذين لايستحقونه، وهؤلاء هم المعاندون المكابرون والرافضون فيما جاء به الرب يسوع نوراً وخلاصاً وهدى وإرشاداً للتائهين والضالين عن جهل، من أمثال المولود أعمى والسامرية.. لكن أناساً كالكتبة والفريسيين وأمثالهم من رؤساء كهنة اليهود، الذين رفضوا النور، «وأحبوا الظلمة أكثر من النور» (٢)، سيصير لهم نور المسيح سبباً لمضاعفة دينونتهم، وعلة لهلاكهم لأنهم يبصرون، ممن يدعون أنهم يبصرون، ويزعمون أنهم « قادة للعميان، ونور للذين فى الظلمة» (٣)، ولذلك قال الرب يسوع لهم: «تقولون إننا نبصر، فخطيئتكم باقية» (يوحنا ٩ : ٤١). «وهكذا يكون مصير الرافضين النور، المعاندين ضد الحق، «الذين استبدلوا حق الله بالكذب» (٤).

* * *

---

(١) رومية ١ : ٢٨.
(٢) يوحنا ٣ : ١٩.
(٣) رومية ٢ : ١٩.
(٤) رومية ١ : ٢٥.

فلنصلِ لكى تلين قلوبنا أمام نعمته تعالى، وأن تشرق علينا وفينا أضواء رحمته، ولنطلب الخلاص لنفوسنا، وخلاص الله للشعوب.

ولنرتعب أمام جلاله القدوس، ولنطامن أمام عظمة هيبته، ولا نعاند صوته، ولا نقاوم مشيئته، لئلا ندان، فنهلك بسبب قساوة قلوبنا.

«أم تزدرى غنى لطفه وإمهاله وطول أناته، ولاتعلم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة؟ ولكنك بقساوتك وقلبك غير التائب تدخر لنفسك غضباً ليوم الغضب، واستعلان دينونة الله العادلة» (١).

«إنى أقول لكم:.. فإنكم مالم تتوبوا، ستهلكون بالمثل جميعاً» (٢).

فاذكر من أين سقطت وتب واعمل الأعمال الأولى، وإلا فانى آتيك وأزحزح منارتك عن مكانها إن لم تتب» (٣).

ونعمة الرب تشمل جميعنا.

ولعظمته تعالى المجد والإكرام والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الأدهار، آمين.

---

(١) رومية ٢: ٤، ٥.
(٢) لوقا ١٣: ٣، ٥.
(٣) (الرؤيا ٢: ٥)، (متى ٢١: ٤٣، ٤٤).

سلطان المسيح فى إخراج وطرد الشياطين والأرواح النجسة

ما أكثر البينات على سلطان المسيح له المجد على الشياطين والأرواح النجسة، فكان يشفى المرضى ممن كانت الشياطين والأرواح النجسة تتملكهم وتتسلط عليهم، وتعذبهم، بأن يأمر الشياطين والأرواح النجسة بأن تفارقهم، فتمتثل **الشياطين والأرواح النجسة لأمره، وتخرج صارخة مقرة بسلطانه عليها.**

جاء فى الإنجيل:

«وكان يسوع يطوف فى الجليل كله، يعلم فى مجامعهم وينادى ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب... **فكانوا يجيئون إليه بكل المعذبين بأمراض وأوجاع مختلفة والذين تسكنهم الشياطين، والمصابين بالصرع والفالج، فكان يشفيهم**» (متى ٤: ٢٣، ٢٤).

«وفى المساء بعد غروب الشمس شرعوا يحضرون إليه كل المرضى **والذين بهم شياطين**، وقد اجتمعت المدينة كلها عند الباب، **فشفى كثيرين من المصابين** بأمراض مختلفة، **وطرد كثيرين من الشياطين**، ولم يسمح للشياطين بالكلام، إذ عرفوه أنه هو المسيح» (مرقس ١: ٣٢– ٣٤)

«**جاءوا إليه بكثيرين ممن بهم شياطين فكان يطرد الأرواح بكلمة منه، ويشفى جميع المرضى**» (متى ٨: ١٦)

والشياطين والأرواح النجسة إذا سكنت فى الإنسان، فإنها تملكه وتسيطر عليه، وتحكمه، وتعذبه، وتصيبه بأمراض مختلفة، وتقيد حركته وقد تغلق فيه باباً أو أكثر من أبواب المعرفة، وتربط بعض أعضائه، ومنها العينان أو اللسان أو الأذنان، وقد تربط يديه أو رجليه أو ظهره أو عظامه...

جاء فى الإنجيل:

«ثم جيء إليه برجل **كان به شيطان وكان أعمى وأخرس، فشفاه، حتى إن الأعمى الأخرس أبصر وتكلم**» (متى ١٢: ٢٢).

فالعمى والخرس فى ذلك الرجل لم يكن بسبب مرض عضوى فى العينين أو اللسان،

وإنما بسبب الشيطان الساكن فيه وكان قد أغلق عينيه وعقد لسانه، وهذا هو ما يعرف بـ (ربط الشياطين). ولذلك فإنه بمجرد أن **خرج الشيطان من ذلك الرجل، انفتحت عيناه، وانحلت عقدة لسانه، فأبصر وتكلم بطلاقة.**

كذلك ذكر الإنجيل واقعة أخرى عن إمرأة دخلها الشيطان فربط ظهرها، **وأمست منحنية لمدة ثمانية عشر عاما** إلى أن **شفاها المسيح له المجد بطرد الشيطان منها، فانتصب ظهرها وانتصبت هى قائمة.** فلم يكن إنحناؤها عن علة عضوية فى ظهرها، وإنما نتيجة **ربط الشيطان لظهرها.**

قال الإنجيل:

«وإذا إمرأة كان قد **استولى عليها روح أصابها بمرض** منذ ثمانية عشر عاما، **فكانت منحنية ولم تكن لتستطيع أن تنتصب البتة**». فلما رآها يسوع دعاها إليه وقال لها: «أيتها المرأة إنك محلولة الوثاق من مرضك» ووضع يديه عليها، «**ففى الحال انتصبت قائمة ومجدت الله**»، ثم قال المسيح له المجد لرئيس مجمع اليهود وللجمع يشرح حقيقة مرض هذه المرأة «وهذه إبنة إبراهيم **وقد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة**. أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط... فلما قال هذا خزى كل الذين كانوا يقاومونه. وأما الشعب فكان يفرح كله بجميع الأعمال التى كانت تجرى على يديه» (لوقا ١٣: ١١- ١٧).

وذكر الإنجيل أيضا خبر أخريات من النساء **كانت تتملكهن الشياطين والأرواح النجسة، وشفاهن المسيح له المجد بطرد الشياطين عنهن بقوة سلطانه الإلهى...**

«**وبعض النسوة اللاتى كان قد أبرأهن من أرواح شريرة وأمراض**، وهن مريم التى تدعى المجدلية، **وكان قد أخرج منها سبعة شياطين**،... وحنة زوجة خوزا أمين خزانة هيرودس، وسوسنة، وأخريات كثيرات» (لوقا ٨: ٢، ٣).

وجاء فى الإنجيل قوله: جاء إليه بعض الفريسيين وقالوا له: «اخرج وامض من هنا فإن هيرودس يريد أن يقتلك». فقال لهم: اذهبوا وقولوا لهذا الثعلب. **ها أنا ذا أطرد الشياطين وأنجز أعمال الشفاء اليوم وغداً** وفى اليوم الثالث سأكمل. «غير أننى ينبغى لى أن أواصل مسيرتى اليوم وغدا واليوم الذى يليه ثم أمضى» (لوقا ١٣ : ٣١– ٣٣).

* * *

ومن بينات **سلطانه على الشياطين والأرواح النجسة ما صنعه مع مجنون أرض الجرجسيين**

قال الإنجيل:

«ثم أرسوا عند أرض الجرجسيين على الشاطىء المقابل للجليل. فما أن نزل إلى البر حتى اتجه نحوه رجل من المدينة (خارج من القبور) كانت به شياطين منذ زمان طويل (وكان يقيم بين القبور)، ولم يكن يرتدى ثوباً، ولا يقيم فى بيت، وإنما فى القبور فما إن رأى يسوع حتى صرخ وارتمى عند قدميه قائلا له بصوت عظيم «مالك ولى يايسوع ابن الله العلى؟ ألتمس منك ألا تعذبنى». **إذ كان قد أمر الروح النجس بأن يخرج من الرجل**. وكان قد استحوذ عليه منذ زمان طويل، فكانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال، فيحطم القيود، ويسوقه الشيطان إلى البرارى (وكان لا يكف عن الصياح ليلاً ونهاراً فى القبور وفى الجبال وهو يجرح بالحجارة جسمه، فلما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له)، ثم صرخ بصوت عظيم قائلاً «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى؟ أستحلفك بالله ألا تعذبنى» إذ كان يسوع قد قال له: «اخرج من الرجل أيها الروح النجس» فسأله يسوع قائلاً «ما أسمك؟» فقال «فيلق لأن شياطين كثيرين كانوا قد دخلوا فيه. وقد توسلوا **إلى يسوع ألا يأمرهم بالذهاب إلى الغور الذى لا قرار له**. وكان هناك قطيع من الخنازير يرعى عند الجبل **فتوسلوا إليه أن يأذن لهم بالدخول فيها فأذن لهم. فخرجت الشياطين من الرجل (على الفور) ودخلت فى الخنازير**. فاندفع القطيع الذى كان عدده نحو الألفين وهوى من فوق الجوف وغرق فى البحيرة. وإذ رأى الرعاة ما حدث هربوا، وذهبوا وأذاعوا الأمر فى كل المدينة وفى الضياع. فخرج الناس ليروا ما حدث. ولما جاءوا إلى يسوع **وجدوا الرجل الذى خرجت منه الشياطين جالساً عند قدمى يسوع، وقد ارتدى ثيابه واسترد عقله. فخافوا**.

وقد أخبرهم الذين شاهدوا ما حدث كيف شفى ذلك الذى كانت فيه الشياطين وبما حل بالخنازير فطلب إليه كل الذين فى أرض الجرجسيين ونواحيها أن يذهب عنهم، إذ اعتراهم خوف عظيم» (لوقا ٨: ٢٦- ٣٧)، (مرقس ٥: ١- ١٧).

* * *

ويروى الإنجيل للقديس متى قصة رجلين من ذات بقعة الجرجسيين كان بهما شياطين وقد طرد المسيح له المجد الشياطين منهما:

«ولما جاء إلى الضفة الأخرى، إلى أرض الجرجسيين لاقاه رجلان، بهما شياطين، خارجان من القبور. وكان شرسين جداً، حتى لم يكن أحد ليستطيع أن يمر من ذلك الطريق»، وإذا بهما يصرخان قائلين: «**ما شأنك بنا يايسوع ابن الله؟ أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان؟**» وكان هناك على مسافة منهما قطيع من خنازير كثيرة ترعى. **فتوسل الشياطين** إليه قائلين: «**إن كنت ستطردنا فدعنا نذهب وندخل فى قطيع الخنازير**». فقال لهم: «**اذهبوا**» «**فخرجوا ودخلوا** فى قطيع الخنازير. وإذا القطيع كله قد اندفع من فوق الجرف إلى البحر ومات فى المياه. فهرب الرعاة ومضوا إلى المدينة، وأخبروا بكل شىء، وبما جرى لمن كانت بهما الشياطين فإذا المدينة كلها قد خرجت لملاقاة يسوع وحين رأوه طلبوا إليه أن ينصرف عن نواحيهم» (متى ٨: ٢٨- ٣٤).

* * *

إن هذه القصة عن مجنون الجرجسيين الذى كانت به الشياطين منذ زمان طويل وكان يقيم بين القبور ولم يكن يرتدى ثوباً والذى ما إن رأى الرب يسوع حتى صرخ وارتمى عند قدميه قائلاً له بصوت عظيم «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى «ألتمس منك ألا تعذبنى»، قصة تكشف لنا عن **سلطان المسيح له المجد على الشياطين**، فالرجل الذى كانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال، فيحطم القيود، ولا يكف عن الصياح ليلاً ونهاراً، **ما إن رأى الرب يسوع من بعيد، حتى ركض وسجد له وارتمى عند قدميه وصار يتوسل إليه** «ما لك ولى يا يسوع ابن الله العلى، أستحلفك بالله ألا تعذبنى» لقد ارتمى عند قدميه وسجد له وتوسل إليه، بينما لم يكن أحد آخر قبل المسيح قادراً عليه إذ كانوا يكبلونه بالسلاسل ويصفدونه بالأغلال فيحطم القيود، الأمر الذى يكشف الفارق بين نظرته إلى المسيح ونظرته إلى الآخرين

من الناس، بما يؤكد على مكانة المسيح الإلهية وربوبيته. فالرجل وفيه الشياطين يصرخ بصوت عظيم معترفا بأن **يسوع المسيح هو ابن الله الحى**، ولذلك فإنه **ركض نحوه، وسجد له، وارتمى عند قدميه مؤديا واجبات الخضوع والاحترام والعبودية لجلاله.**

وكذلك الحال بالنسبة للرجلين اللذين يصفهما الإنجيل للقديس متى بأنهما (كانا شرسين جداً. حتى لم يكن أحد ليستطيع أن يمر من ذلك الطريق) فلما شاهدا الرب يسوع أخذا يصرخان مقرين بأن **يسوع هو ابن الله العلى**، ويتوسلان إليه بتضرع وابتهال وخشوع وخوف قائلين «ما شأنك بنا يايسوع ابن الله؟ أجئت إلى هنا لتعذبنا قبل الأوان» أى أوان محاكمة الشياطين فى يوم الحساب العظيم. وأضافا إلى إعترافهما، وبالتالى إعتراف الشياطين التى تسكنهما «إن كنت ستطردنا فدعنا نذهب وندخل فى قطيع الخنازير»، **وهذا إقرار ضمنى من الشياطين بأن المسيح يملك أن يطردهم من هذين الرجلين**. وهذا ما حدث فعلاً إذ أمر المسيح له المجد قائلاً: «اخرج من الرجل أيها الروح النجس»، فلم يعترض الروح النجس على الأمر، مع أنه لم يكن روحاً واحداً، وإنما كان «فيلق» أو «كتيبة» وكان (لجيون) وهو مصطلح عكسرى قوامه ٦٦٠٠ جندى ـ هذا العدد الضخم لم يستطع أن يرفض أو حتى أن يعترض على الأمر الصادر إليه من المسيح له المجد، وكل ما هنالك كانوا يتوسلون إلى المسيح له المجد قائلين: «إن كنت ستطردنا فدعنا نذهب وندخل فى قطيع الخنازير» **حقا إن هذه القصة تكشف عن سلطان المسيح على الشياطين والأرواح النجسة، وإقرار الشياطين بهذا السلطان الإلهى المطلق.**

ثم، إن توسل الشياطين إلى المسيح له المجد وتضرعهم إليه بأن لا يأمرهم بالذهاب إلى الغور الذى لا قرار له، يكشف عن **سلطان المسيح على الهاوية أو الجحيم**، لذلك **توسلت إليه الشياطين «أن لا يرسلهم إلى الغور الذى لا قرار له» وهو الجحيم، وهو اعتراف ضمنى صريح بسلطان المسيح على مقر الشياطين والأرواح النجسة**، وأنه كما قال الكتاب المقدس «فإذا كان الله لم يشفق على الملائكة الذين أخطأوا، بل **طرحهم فى أسافل الجحيم**، مقيدين بسلاسل الظلمات محروسين للقضاء والعقاب» (٢. بطرس ٢ : ٤). أليس هو المسيح بعينه الذى يقول للقديس يوحنا فى الرؤيا «أنا الأول وأنا الآخر. والحى، وكنت ميتا، وهاءنذا حى إلى أبد الدهور. **«وبيدى مفاتيح الموت والجحيم»** (الجليان ـ الرؤيا١ :١٨) ؟

ثم أضـافت الشـيـاطين فى توسلهم «أن **يأذن لهم الرب يسـوع** بالدخـول فى قطيع الخنازير». **فـأذن لهم** وقـال «**اذهبوا**». وهذا إعـتراف **وإقـرار بسلطانه له المجد عليهم وعلى الخنازير**، إنهم إذ يسـتـأذنونه، **أى يطلبـون منه أن يـأذن لهم**، وكـأنهم **يقِّرون بأنهم لا يستطيـعـون ذلك ما لم يأذن لهم المسيح بذلك**، فـهذا إعـتراف بسلطانه له المجد عليهم، أى أنهم لا يستطيعون هم أن يدخلوا فى قطيع الخنازير ما لم يأذن لهم. **فلما أذن لهم بذلك، دخلوا فعلاً فى قطيع الخنازير. «فخرجت الشياطين من الرجل على الفور ودخلت فى الخنازير**، فاندفع القطيع الذى كان عدده نحو الألفين وهـوى من فـوق الجـرف وغـرق فى البـحيـرة». فـهـذا الذى حـدث برهـان واضـح علـى سلطان المسيح الإلهى على الطبيعة كلها، كما هو برهان فى الآن نفسه على أن الشياطـين - وهى أرواح لها سلطانها وسطوتهـا - **لا تستطيع أن تتحرك بدون إذن منـه**. أليس هو القـائل «أليس عـصـفـوران يباعان بمليم ومع ذلك لا يسقط واحد منهما على الأرض بغير مشيئة أبيكم الذى فى السماوات» (متى ١٠ : ٢٩)، (لوقا ١٢ : ٦)؟

* * *

ومن آيات سلطان المسيح له المجـد على الشـياطـين والأرواح النجـسة مـا رواه الإنجيل عن الرب يسوع أنه بعد أن نزل من على جبل تابور، جبل التجلى، «استقبله جمع عظيم، وإذا رجل من الجمع (تقدم إليه وسجد له وصرخ قائلاً: يارب ارحم إبنى) أتضرع إليك أن تنظر إلى إبنى، فإنه وحيدى، **(الذى به روح أخرس)، (لأنه مصاب بالصرع، وهو يتعذب عذابا أليما)، وإن روحـاً يتملكه، (حينما يتملكه يصرعه فيزيد) فيصرخ بغتة ويهزه بعنف ويصرعه فيرتمـى وهـو يزبـد (ويصر على أسنانه ويتصلب) (فكثيرا ما يسقط فى النار، وكثيرا ما يسقط فى الماء) ثم لا يغـادره إلا بالجهـد مرضضا إياه»**.

«وقد طلبت من تلاميذك أن يطردوه فلم يستطيعوا»

«فأجـاب يسوع وقـال أحضروه إلىّ» «أحضر لى إبنك هنا» (فأحضروه إليه فما إن رآه الروح حتى صرع الصبى فسقط على الأرض يتمرغ ويزبد). ففيما هو يتقدم إليه صرعه الشيطان، وهو يهزه بعنف. (فسأل يسوع أباه «منذ متى حدث له هذا؟ فقال: منذ طفولته. وكثيرا ما ألقى

به فى النار وفى الماء ليهلكه. فإن كنت تستطيع أن تفعل شيئا فأشفق علينا وأعنا»... وقد رأى يسوع الناس مقبلين وهم يركضون معاً، **فانتهر يسوع الروح النجس قائلا له: «أيها الروح الأخرس الأصم إننى آمرك فاخرج منه ولا تعد تدخله مرة أخرى» (ثم انتهر يسوع الشيطان)**، **(فصرخ وصرعه فى عنف وخرج منه**، وقد صار كالميت، حتى لقد قال كثيرون إنه قد مات. إلا أن يسوع **أمسك يده وأقامه فنهض)**. **«وشفى الغلام منذ تلك الساعة». وسلمه إلى أبيه، فذهل الجميع من عظمة الله»** (لوقا ٩: ٣٧- ٤٢)، (مرقس ٩: ١٥- ٢٦)، (متى ١٧: ١٤- ١٨).

* * *

أليس حقاً مثيرا أن يوجه المسيح له المجد الخطاب إلى الشيطان والروح النجس بهذه اللهجة القوية التى يبدو منها واضحاً سلطانه على الشياطين والأرواح النجسة. إنه ينتهر الروح النجس فى الصبى قائلاً له: **«أيها الروح الأخرس الأصم إننى آمرك فاخرج منه، ولا تعد تدخله مرة أخرى»**. وأما الروح النجس فيستجيب للأمر الإلهى الصادر إليه من السيد المسيح فورا، ومن دون إبطاء، ويخرج من الصبى **فيسلم المسيح الصبى إلى أبيه وقد شفى تماما**، الأمر الذى جعل الجمع كله يذهل من عظمة الله؟

سلطان المسيح فى إخراج الشياطين والأرواح النجسة من بُعد:

من البينات على سلطان المسيح له المجد على الشياطين والأرواح النجسة أنه **كان يخرجها ويطردها بالأمر الصادر منه على بعد المسافات، وكانت تصدع لأمره فوراً.**

من ذلك **طرده للشيطان من إبنة المرأة الكنعانية الفينيقية**، وكانت هذه الإبنة المعذبة فى البيت، وذلك بناء على ضراعة أمها.

قال الإنجيل:

«ثم ذهب يسوع... ومضى إلى نواحى صور وصيدون، وإذا إمرأة كنعانية (وكانت هذه المرأة يونانية، تنتمى بجنسيتها إلى فينيقية السورية)، قد خرجت من تلك النواحى تصرخ قائلة: «ارحمنى يارب، يابن داود، **إن إبنتى بها شيطان يعذبها عذابا أليما**. أما هو فلم يجبها بكلمة وتقدم إليه تلاميذه ورجوه قائلين: «اصرف هذه المرأة فإنها لا تفتأ تصيح فى إثرنا». فأجاب وقال: «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل». فجاءت إليه وسجدت له

قائلة: «يارب أعنى» (**وقد تضرعت إليه أن يطرد الشيطان من إبنتها**). غير أن يسوع قال لها: «دعى البنين يشبعون أولا، لأنه لا يليق أن يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب». فأجابته قائلة: «حقا يارب ولكن الكلاب تأكل تحت المائدة من فتات البنين»، الفتات الذى يسقط من موائد أربابها، فأجاب يسوع وقال لها: «أيتها المرأة عظيم هو إيمانك» (من أجل قولك هذا) «**فليكن لك ما تريدين**» (**اذهبى فقد خرج الشيطان من إبنتك**). **فشفيت إبنتها فى تلك اللحظة نفسها**. (فلما عادت إلى بيتها وجدت إبنتها راقدة على الفراش **وقد خرج الشيطان منها**) (متى ١٥ : ٢١– ٢٨)، (مرقس ٧: ٢٤– ٣٠).

أليس حقا أمراً مثيراً أن يستجيب الروح النجس لأمر المسيح، **فيخرج من الإبنة، إطاعة للأمر على الرغم من بعد المسافات** بين المكان حيث أصدر المسيح أمره، وبين البيت الذى كانت ترقد فيه الإبنة معذبة عذابا شديداً على حد تعبير أمها «ارحمنى يارب، يابن داود، إن إبنتى بها شيطان يعذبها عذاباً أليماً».

هذا إلى أن المسيح له المجد، مع ذلك لم يصدر الأمر مباشرة إلى الروح النجس، كما فعل مع الروح النجس الساكن فى الصبى الذى أتى به أبوه إلى المسيح بعد أن نزل من جبل التجلى. إن الأمر فى حالة الإبنة الصبية لم **يكن مباشراً**، إنه له المجد قال للمرأة الكنعانية «**ليكن لك ما تريدين. إذهبى، فقد خرج الشيطان من إبنتك. فشفيت إبنتها فى تلك اللحظة عينها، وخرج الشيطان منها**»

إن هذه الواقعة دلالة قاطعة على سلطان المسيح على الأرواح النجسة والشياطين. إنها تستجيب لأمره حتى لو كان الأمر الصادر إليها من بعد؟!.

* * *

سلطان المسيح على إقامة الموتى

لقد أظهر المسيح له المجد سلطانه الشامل على الإنسان فى شفاء جميع الأمراض البدنية والنفسية والعصبية والعقلية والروحية، وبكل الطرائق.

على أنه أيضا **أقام الموتى**، وأعاد إلى الحياة كثيرين.

جاء فى الإنجيل عن المسيح له المجد أنه جعل «العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، **والموتى يقومون**» (متى ١١ : ٥)، (لوقا ٧ : ٢٢).

لقد أقام المسيح عدداً من الموتى كثيرين، ولكن الإنجيل ذكر ثلاثة من أحداث القيامة كعينات فقط، وكأمثلة ظهر فيها واضحا سلطانه على الحياة، وهو الذى قال لمرثا أخت لعازر «**أنا هو القيامة والحياة**» (يوحنا ١١ : ٢٥)، وقال فيه الإنجيل للقديس يوحنا «كل شىء به كان، وبغيره لم يكن شىء مما كان. **فيه كانت الحياة**» (يوحنا ١ : ٣، ٤)، وقال: «لأنه كما أن الآب يقيم الموتى ويحييهم، **هكذا الابن يحيى من يشاء**» (يوحنا ٥ : ٢١) ، وقال: «إن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له الحياة الأبدية، **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**» (يوحنا ٦ : ٤٠)، (٦ : ٣٩، ٤٤).

- ١ -

إقامة الصبية إبنة يايروس رئيس المجمع من الموت.

وهى الحادثة الأولى التى أختص بذكرها الإنجيل:

«وجاء إليه أحد رؤساء المجمع اسمه يايروس، ولما رآه خر عند قدمى يسوع»، وأخذ يضرع إليه فى إلحاح قائلاً: «إن إبنتى مشرفة على الموت. تعال ضع يدك عليها، فتنجو وتحيا» فذهب معه، وتبعه جمع كثير متزاحمين عليه... وبينما كان يتكلم جاءوا إلى رئيس المجمع يقولون له «**قد ماتت إبنتك**، فلماذا تتعب المعلم؟» فسجد له قائلا: «**قد ماتت الآن إبنتى** لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا» فلما سمع يسوع الكلام الذى قالوه، قال لرئيس المجمع، لا تخف وإنما آمن فقط. (ولما جاء إلى البيت لم يسمح لأحد بالدخول معه إلا لبطرس ويعقوب ويوحنا وأبى الصبية وأمها) . فلما بلغوا بيت رئيس المجمع رأوهم يضجون ويبكون ويولولون كثيراً. (وكان الجميع يبكون عليها ويندبونها) . فدخل وقال لهم لماذا تضجون وتبكون؟ إن الصبية لم تمت ولكنها نائمة «**فضحكوا ساخرين منه**» (**إذ كانوا يعلمون أنها قد ماتت**. ولكنه

أخرجهم جميعا) ثم أخذ معه أبا الصبية وأمها والذين كانوا يصحبونه، **ودخل إلى حيث كانت الصبية مسجاة.** وأمسك بيد الصبية وقال لها: «**طليثا قومى أى «ياصبية قومى (انهضى)**»، **(فعادت روحها إليها) وفى الحال قامت الصبية ومشت**»، إذ كانت فى الثانية عشرة من عمرها. (وقد استولت الدهشة على أبويها (أعظم الدهشة) «فأمر بأن **يعطوها** لتأكل» (مرقس ٥: ٢٢- ٢٤، ٣٥- ٤٣)، (لوقا ٨: ٤١- ٤٣، ٤٩- ٥٦)، (متى ٩: ١٨- ٢٦).

فالصبية كانت قد ماتت فعلاً، حتى إن المسيح عندما قال عنها إن الصبية لم تمت لكنها نائمة ضحك الناس ساخرين منه، **إذ كانوا يعلمون أنها قد ماتت**، ولذلك كان الجميع يبكون عليها ويندبونها وهم يضجون ويبكون ويولولون كثيراً، فدخل المسيح إلى حيث كانت الصبية مسجاة، **وناداها بالأمر دون ضراعة أو ابتهال أو صلاة: طليثا قومى، أى يا صبية قومى، وأمسك بيدها فعادت روحها إليها بعد أن كانت قد خرجت منها بالموت. وقامت الصبية فى الحال ومشت.** وقد حدث كل هذا أمام أبوى الصبية وأمام ثلاثة من تلاميذه، بطرس ويعقوب ويوحنا، ليكونوا جميعا الشهود على أن الصبية كانت قد ماتت فعلا، **وأن المسيح أقامها من الموت، وأعادها إلى الحياة،** الأمر الذى جعل أبوى الصبية والتلاميذ الثلاثة تستولى عليهم الدهشة أعظم الدهشة. فهذه معجزة حقيقية أثبت بها المسيح له المجد سلطانه على الحياة والموت. حقا كما قال فى الرؤيا: «أنا الأول والآخر. والحى وكنت قد متُّ، وها أنا الحى إلى أبد الدهور، **وبيدى مفاتيح الموت والجحيم**» (الجليان ١: ١٧، ١٨).

– ٢ –

إقامة الشاب ابن أرملة نايين من الموت.

وثمت معجزة أخرى يتضح فيها سلطان المسيح له المجد على إقامة الموتى، وهى معجزة إقامة الشاب ابن أرملة نايين من الموت بعد أن حملوه فى نعش، وذهبوا به إلى خارج المدينة ليدفنوه وكانت أمه تبكى، ويصحبها جمع عظيم.

قال الإنجيل:

«ذهب يسوع إلى مدينة تدعى نايين، وكان يصحبه تلاميذه وجمع عظيم. فلما اقترب من باب المدينة، إذا ميت محمول، كان هو الابن الوحيد لأمه التى كانت أرملة، وكان معها جمع كبير من المدينة. فإذ رآها الرب تحنن عليها وقال لها: «لا تبكى»، ثم تقدم ولمس النعش، فوقف

الذين كانوا يحملونه، فقال «أيها الشاب لك أقول قم، **فجلس الميت ويدأ يتكلم، فسلمه إلى أمه. وقد استولى الخوف على الجميع، ومجدوا الله**... فذاع عنه هذا الأمر فى كل اليهودية والنواحى المحيطة بها» (لوقا ٧: ١١– ١٧)

فى هذه المعجزة أو الواقعة كان الشاب ابن أرملة نايين قد حملوه من البيت إلى المقابر، وهى خارج المدينة، وقد مرت فترة زمانية طويلة حيث تأكدوا من موته، ثم كفنوه، ووضعوه فى نعش، وحملوه إلى خارج المدينة، وكان مع أمه جمع كثير يشيعونه حتى بلغوا به إلى خارج المدينة، وأراد المسيح له المجد أن يلتقى به خارج المدينة وقد أوشك الحاملون أن يودعوا الميت إلى مثواه الأخير بين الموتى فى القبور. وهنا وقف الموت أمام رب الحياة. **إنه له المجد لمس النعش، فوقف الحاملون**، فقد أدركوا بحاستهم أن هذه اللمسة لها ما وراءها، وذلك بناء على أحداث سابقة. أما المسيح له المجد، فقد وجه الخطاب مباشرة إلى الشاب المسجى فى النعش وقال: «**أيها الشاب لك أقول قم**»، **ففى الحال، وفى غير زمن قام الميت على الفور وجلس ويدأ يتكلم**.

وبعد، فهل رأت البشرية منذ وجودها إنساناً له هذا السلطان على أن يحيى الموتى بأمره، ودون صلاة أو ضراعة كأنه يستمد القوة من كائن خارج عن ذاته.

لقد أقام النبى إيليا ابن أرملة صرفة صيدون ولكن بعد ضراعة وابتهال إلى الله «**وصرخ إلى الرب وقال: أيها الرب إلهى، لتعد روح الغلام إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا، وعادت روح الغلام إلى جوفه، وعاد حياً**. فأخذ إيليا الصبى وأنزله من العلية إلى البيت ودفعه إلى أمه... فقالت المرأة لإيليا. الآن علمت أنك رجل الله» (١. الملوك ١٧: ١٧– ٢٤).

كذلك أقام إليشع ابن المرأة الشونمية من الموت ولكن لا بسلطانه هو، وإنما شرع يصلى ويتضرع إلى الله بحرارة. «ودخل إليشع البيت، فإذا بالصبى ميت مضطجع على سريره. فدخل وأغلق الباب عليهما، وصلى إلى الرب. ثم صعد وانبسط على الصبى، ووضع فمه على فمه، وعينيه على عينيه، وكفيه على كفيه، وتمدد عليه، فسخن جسد الصبى ثم عاد وتمشى فى البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك، وصعد وتمدد عليه فعطس الصبى سبع مرات، ثم فتح الصبى عينيه» (٢. الملوك ٤: ٣٢– ٣٥)

لقد أقام أليشع النبى ابن الشونمية بعد أن صلى إلى الرب (٢. الملوك ٤ :٣٣)، وأقام إيليا النبى ابن أرملة صرفة صيدون لا بسلطانه، ولكن بصلاته إلى الله «وصرخ إلى الرب، **وقال أيها الرب إلهى، لتعد روح الغلام إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا، وعادت روح الغلام إلى جوفه، وعاد حياً»** (١. الملوك ١٧: ٢١، ٢٢).

أما المسيح له المجد، فلم يطلب كما صلى النبى إيليا، والنبى إليشع، إنما أقام الشاب المحمول فى النعش بأمره إليه «**أيها الشاب لك أقول قم، فقام الميت فى الحال، وجلس وبدأ يتكلم**. هذا هو الفارق الكبير بين العبد والرب، بين النبى وبين مرسل الأنبياء، **الذى بيده مفاتيح الحياة والموت الذى يقول أنا القيامة والحياة**» (يوحنا ١١: ٢٥).

حقا كما يقول أحد الشعراء المسيحيين

كانت رجـــال اللـــه تحيى ميتا ** بصلاتهـــا ودعائها المتقدم

ونـراه يحيى المائتـين بأمــــره ** فهو الإلـــه ومن يشك فيندم

– ٣ –

معجزة إقامة لعازر من بين الأموات

أما المعجزة الثالثة التى يذكرها الإنجيل، والتى تقدِّم دليلاً آخر على سلطان المسيح على الحياة، وإقامة الموتى، فهى معجزة إقامة لعازر من بين الأموات، بعد أن صار له فى القبر أربعة أيام

يقول الإنجيل:

«وكان رجل مريضاً اسمه لعازر من بيت عنيا قرية مريم وأختها مرثا... وقد أرسلت الأختان إلى يسوع قائلتين «يارب، هوذا الذى تحبه مريض... فلما سمع أنه مريض لبث فى الموضع الذى كان فيه يومين». ثم قال لتلاميذه بعد ذلك: « لنعد إلى اليهودية».. قال هذا، ثم بعد ذلك قال لهم: «إن لعازر حبيبنا قد نام، ولكننى سأذهب لأوقظه»... ومن ثم قال لهم يسوع بصراحة: «**إن لعازر قد مات**. وأنا أفرح من أجلكم - إذ لم أكن هناك - لتؤمنوا. ولكن هلموا نذهب إليه»... **فلما جاء يسوع وجد أن له فى القبر أربعة أيام**... فما سمعت مرثا أن يسوع قادم حتى خرجت تستقبله... وقالت مرثا ليسوع: «يارب لو كنت هنا ما كان أخى قد مات»... فقال لها يسوع: «سيقوم أخوك» قالت له مرثا: «أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير».

فقال لها يسوع: «**أنا هو القيامة والحياة**»... ثم ذهبت ودعت مريم أختها... وأما مريم فحين جاءت إلى حيث كان يسوع ورأته خرت عند رجليه قائلة له: يارب لو كنت هنا ما كان أخي قد مات» فلما رآها يسوع تبكي، ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضا يبكون تألم بالروح واضطرب وقال لهم: أين وضعتموه؟ فقالوا له: «يارب تعال وانظر»... فتحنن يسوع في نفسه، وجاء إلى القبر، وكان مغارة قد وضع على بابها حجر، فقال لهم يسوع: «ارفعوا هذا الحجر» فقالت له مرثا أخت الميت: «**يارب، إنه قد أنتن، لأن هذا هو يومه الرابع**» فقال لها يسوع: «ألم أقل لك إنك إن آمنت ترين مجد الله». فرفعوا الحجر عن باب القبر... ثم صرخ يسوع بصوت عظيم: «**لعازر هلم خارجاً» فخرج الميت مربوطة يداه ورجلاه بأكفان، وملفوفاً وجهه بمنديل**. فقال لهم يسوع: «حلوه ودعوه يمضي» «ومن ثم فإن كثيرين من اليهود الذين كانوا قد جاءوا إلى مريم، إذ رأوا ما فعل يسوع آمنوا به...» (يوحنا ١١: ١- ٤٥).

وقام لعازر من الموت بعد أن صار له في القبر أربعة أيام، وعاش بعد ذلك سنوات طويلة، وبعد قيامة المسيح له المجد، وصعوده إلى السماء، رسمه الآباء الرسل أسقفاً في قبرص، وعاش لعازر بعد قيامته، أسقفاً في قبرص لمدة أربعين سنة (السنكسار تحت ٢٧ بشنس).

* * *

وإذا كان المسيح له المجد قد ناجى الآب السماوى على مسمع من تلاميذه ومن جموع اليهود المحتشدة على قبر لعازر، فقد كانت مناجاته للآب السماوى **لتوكيد حقيقة علاقته الجوهرية بالآب السماوى، وحتى يتبينوا أنه ليس ثمت إله آخر غير الآب السماوى الكائن منذ الأزل مع الابن والروح القدس**، وليس غير إله واحد. على أن المسيح في مناجاته لم يستمد من الآب السماوى قوة خارجة عن ذاته كما طلب إيليا، وإليشع، ولذلك **صرخ بصوت عظيم «لعازر هلم خارجا» فكان نداؤه للعازر، أمرا صريحا مباشراً بالخروج من القبر «فخرج الميت مربوطة يداه ورجلاه بأكفان، وملفوفاً وجهه بمنديل»** (يوحنا ١١: ٤١- ٤٤).

* * *

تلكم المعجزات الثلاثة ذكرها الإنجيل كعينات فقط للتدليل على سلطان المسيح على الموت والحياة: **الأولى معجزة إقامة صبية ماتت، وكانت مسجاة فى البيت، والثانية معجزة إقامة شاب حملوه فى النعش ليدفنوه خارج المدينة نايين. وأما الثالثة فهى معجزة إقامة لعازر الذى صار له فى القبر أربعة أيام... عينات مختلفة** صورها، لكنها وسائل إيضاح للتدليل على **سلطان المسيح له المجد على القيامة وإعادة الحياة للموتى**، الأمر الذى لم يسبق إليه فى كل تاريخ البشر، وكلها بينات على تفرد المسيح بهذا السلطان، لأنه هو الله وقد تلبس بجسد، وظهر فى الهيئة كإنسان من أجل خلاص الإنسان.

* * *

أما المعجزة الأعظم فهى فى قيامة المسيح ذاته من بين الأموات بسلطان لاهوته. لقد قام من القبر، والقبر مغلق، فى فجر الأحد، وهو اليوم الثالث لموته ودفنه وقبره كما أعلن ذلك مراراً من قبل إتمام صلبه (متى ١٦: ٢١)، (١٧: ٩، ٢٣)، (متى ٢٦: ٣٢، ٦١)، (٢٧: ٤٠، ٦٣)، (٢٨: ٧)، (مرقس ٨: ٣١)، (٩: ٩، ١٠، ٣١)، (١٠: ٣٤)، (١٤: ٥٨)، (١٥: ٢٩)، (لوقا ٩: ٢٢)، (١٨: ٣٣)، (٢٤: ٦، ٧)، (يوحنا ٢: ١٩)، (٢٠: ٩).

انظر أيضا (يوحنا ٢: ٢٢)، (أعمال الرسل ١: ٢٢)، (٢: ٣١)، (٤: ٣٣)، (٥: ٣٠)، (١٠: ٤١)، (١٧: ٣١)، (رومية ١: ٤)، (٦: ٥)، (٨: ١١)، (١٤: ٩)، (١. كورنثوس ٦: ١٤)، (١٥: ٤، ١٢، ١٥)، (٢. كورنثوس ٤: ١٤)، (٥: ١٥)، (غلاطية ١: ١)، (أفسس ١: ٢٠)، (فيلبى ٣: ١٠)، (كولوسى ٢: ١٢)، (١. تسالونيكى ١: ١٠)، (٤: ١٤)، (العبرانيين ١٣: ٢٠)، (١. بطرس ١: ٢١)، (٣: ٢١).

* * *

وعندما قام المسيح من القبر، لم يقف على قبره أحد ليقيمه كما وقف هو بعظمته على قبر لعازر، وإنما قام المسيح له المجد بسلطان لاهوته «لأنه لم يكن ممكنا للموت أن يستبقيه أسيراً له» (أعمال الرسل ٢: ٢٤).

التجلى المجيد

تجلى الرب يسوع المسيح بمجده الحقيقى على جبل شاهق، وبذلك كشف عن مجده الأسنى، فتغيرت هيأته متجلياً أمام ثلاثة من أخص تلاميذه الإثنى عشر.. تغير منظر وجهه، فأضاء كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور، متألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، حتى ليعجز أى قصار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها ثم ظهر لهم موسى وإيليا، وقد تراءيا فى مجد، وكانا يتكلمان مع يسوع، عن انطلاقه الذى كان مزمعا أن يتممه فى أورشليم. أما بطرس واللذان معه، فقد كانوا مثقلين بالنوم، فلما أفاقوا رأوا مجده، والرجلين الواقفين معه. وفيما هما منصرفان عنه، قال بطرس ليسوع: يارب، حسن لنا أن نكون هنا، فإن شئت، فدعنا نصنع هنا ثلاث مظال: واحدة لك، وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا. إذ لم يكن يدرى ما هو قائل، فقد استولى عليه رعب شديد. وفيما هو يقول ذلك، إذا سحابة من نور ظهرت وظللتهم، فخافوا وهم يدخلون فى السحابة، وإذا صوت جاء من السحابة يقول: هذا هو ابنى الحبيب، الذى به سررت، فله اسمعوا. فلما سمع التلاميذ هذا سقطوا على وجوههم، وخافوا جداً ، فجاء يسوع إليهم ولمسهم قائلاً: قوموا لا تخافوا، ثم فجأة رفعوا أعينهم، ونظروا حولهم فلم يروا معهم أحداً إلا يسوع وحده. وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. فكتموا هذا الأمر فى أنفسهم متسائلين فيما بينهم: ما القيامة من بين الأموات، ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشيء مما رأوا.

فلِمَا كان التجلى:

كان للتجلى ملابساته وأسبابه، فقد كان السيد المسيح يريد أن يكشف حقيقة من هو لتلاميذه، وللمؤمنين من بعدهم، خصوصا وأنه وهو الله الكلمة ـ قد اتخذ جسداً اتحد به، فصار لاهوته محجوباً بناسوته، فظنه الناس ـ ومن بينهم تلاميذه ـ إنساناً أى مجرد إنسان(١) أو نبياً، أى مجرد نبى (٢) وكأنه أحد الأنبياء(٣) أو على الأكثر نبيا عظيما، أى مجرد نبى عظيم(٤).

---

(١) (يوحنا ٩ : ١١)، (١٠: ٣٣)، (لوقا ٢٤: ١٩).

(٢) (متى ٢١: ١١)، (يوحنا ٤: ١٩)، (٩: ١٧)، (لوقا ٢٤: ١٩).

(٣) (مرقس ٦: ١٥)، (لوقا ٩: ٨، ١٩).

(٤) (لوقا ٧: ١٦).

فكان لابد أن يكشف لهم عن طبيعته في ذاته، ويظهر لهم حقيقة لاهوته المحتجب فى ناسوته، وبالأخص لأنه قد قاربت مهمته على الأرض نهايتها، واقتربت ساعة صلبه وموته لتحقيق الفداء والخلاص الذى من أجله نزل من السماء(١) . قال الإنجيل «ومنذ ذلك الوقت بدأ يسوع يبين لتلاميذه أنه ينبغى أن يمضى إلى أورشليم، ويعانى آلاماً كثيرة من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ثم فى اليوم الثالث يقوم. فأخذه بطرس إليه وراح يكلمه بعنف قائلاً: حاشاك يارب أن يحدث لك هذا فإلتفت وقال لبطرس: اغرب عنى يا شيطان.. لأنك لا تفكر فيما لله بل فيما للناس(٢)».

ولما كان كشف ما سيعانيه من الآلام والصلب والموت محزناً لقلوب تلاميذه، ومؤلما لمشاعرهم، وقاضياً على آمالهم وأحلامهم حتى أن بطرس أحد رسله أخذه على حدة «وراح يكلمه بعنف قائلاً: حاشاك يارب أن يحدث لك هذا»(٣) فقد أراد أن يعزيهم ويطيب قلوبهم ويرفع معنوياتهم، بكشف أمجاده الحقيقية، حتى يطمئنوا أن ما سيكابده من آلام الصلب والموت، هو من أجل خلاص الإنسان، «الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة، التى من أجل الناس(٤) . ولكن سيعقب الموت قيامته من بين الأموات ثم يدخل المسيح إلى مجده (٥) ويعود إلى السماء التى نزل منها (٦) ويجلس على عرش الله فى ملكوت السماوات(٧) .

وتوكيداً لهذه المعانى الكبيرة، وأن المسيح «الذى هو صورة الله غير المنظور(٨) اتخذ جسداً، وبتجسده «أخلى نفسه (من صورة الرب) آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس، إذ وجد فى الهيئة كإنسان(٩) ، وعد تلاميذه والمؤمنين بأنه سوف يأتى مرة أخرى، فى مجيئه الثانى، فى مجد عظيم مع ملائكته القديسين، وعندئذ سيجازى كل إنسان على حسب أعماله(١٠)

---

(١) يوحنا ١٢ : ٢٧ .
(٢) (متى ١٦ : ٢١ ـ ٢٣)، (مرقس ٨ : ٣١ ـ ٣٣)، (لوقا ٩ : ٢٢) .
(٣) (مرقس ٨ : ٣٢)، (متى ١٦ : ٢٢) .
(٤) ١ . بطرس ١ : ١٠ .
(٥) لوقا ٢٤ : ٢٦ .
(٦) (يوحنا ٣ : ١٣، ٣١)، (٦ : ٣٨، ٤٢، ٥١) .
(٧) (العبرانيين ٨ : ١)، (الرؤيا ٤ : ١٠)، (١٩ : ٤) .
(٨) كولوسى ١ : ١٥ .
(٩) فيلبى ٢ : ٦ ـ ٨.
(١٠) متى (١٦ : ٢٧)، (٨ : ٣٨) (لوقا ٩ : ٢٦) .

لذلك رأى تطمينا لتلاميذه أن يريهم شيئاً من مجده الذى أخلى ذاته منه من أجل خلاص الإنسان، والذى سيسترده بعد إنتهاء مهمته فى فداء المؤمنين به من نسل آدم، إذ سيقوم من بين الأموات، ويصعد إلى السماء بعد أن يكون قد أخضع جميع أعدائه تحت قدميه(١). فبعد أن تحدث عن آلامه وموته وقيامته من بين الأموات، ومجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات، ابتدرهم بقوله: الحق أقول لكم إن بعض الحاضرين الواقفين هنا لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا فى ملكوته، ملكوت الله، بقوة (٢)،

والمعنى المقصود هنا هو أنه سيكشف لبعض تلاميذه ممن كانوا حاضرين وواقفين يستمعون له، قبسا من مجده العظيم الذى أخلى نفسه منه، وسيسترده ثانية بعد الفراغ من مهمته على الأرض التى نزل من السماء من أجلها...

وسيكون هؤلاء شهوداً على تجليه، بلمحة من مجده الحقيقى، على جبل التجلى، يتحدثون بما رأوا عنه، ولكن بعد أن يقوم هو من بين الأموات، ويصعد إلى السماء عينها(٣)، فيتشدد إيمانهم به، ويعرفوه على حقيقته الإلهية (٤)، وتقوى معنوياتهم، وبالتالى يشددون بهذه الرؤيا إيمان زملائهم التلاميذ والمؤمنين من بعدهم.

ولقد وفى بما وعد به (بعد ستة أيام) من حديثه الوافى عن مجيئه فى لمحة من مجد ملكوته الآتى، وذلك بتجليه على جبل التجلى الذى صعد إليه مع ثلاثة من تلاميذه، هم : بطرس ويعقوب ويوحنا.

ولما كان التجلى قد حدث فى اليوم الثامن للوعد، وذلك باحتساب يوم الوعد، واليوم الذى تم فيه تحقيق الوعد، مضافا إلى ستة الأيام بينهما، لذلك قال الإنجيل بحسب القديس لوقا «وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام» بينما قال الإنجيل بحسب القديس متى، وبحسب القديس مرقس «وبعد ستة أيام» باحتساب الأيام المتوسطة بين يوم الوعد، ويوم تحقيق الوعد بالتجلى. وبهذا يتضح التوافق بين روايات الأناجيل الثلاثة وعدم التعارض بينها. ويلاحظ على الخصوص دقة تعبير

---

(١) (١ـ كورنثوس ١٥ : ٢٧)، (أفسس ١ : ٢٢) (العبرانيين ٢ : ٨).
(٢) (متى ١٦ : ٢٨)، (مرقس ٩ : ١)، (لوقا ٩ : ٢٧).
(٣) (العبرانيين ٩ : ٢٤).
(٤) يوحنا ١٤ : ٧.

الإنجيل للقديس لوقا فى قوله (بنحو ثمانية أيام، أى أنها ليست ثمانية أيام كاملة، إذا احتسبنا فيها يوم الوعد ويوم التجلى، على أساس أن الوعد قد تم فى جزء من اليوم السابق على ستة الأيام وكذلك تحقيق الوعد قد تم فى اليوم الثامن لإعطاء الوعد، وفى هذا رد على الذين زعموا أن بين الأناجيل تناقضا، مع أنه ليس هناك تناقض على الحقيقة.

وقد يتساءل بعض الناس قائلين: لماذا لم يصعد المسيح على جبل التجلى فور قوله؟ ولماذا تأخر الوفاء بالوعد ستة أيام كاملة أو نحو ثمانية أيام؟. ويجيب آباء الكنيسة بأن التدبير الإلهى اقتضى أن لا يتم هذا الكشف للجميع لئلا تتعطل بذيوع الخبر واتساع دائرة الإعلام، حكمة صلب المسيح «التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد(١)» وقد كان الرب يسوع حريصا على إخفاء سر «الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا» (٢). لذلك قال الإنجيل بعد التجلى «وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. فلزموا الصمت. ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشىء مما رأوا(٣)» أنظر أيضا(٤).

لهذا أخذ المسيح له المجد بعض تلاميذه على جبل التجلى بعد فترة من الوقت، ولم يأخذهم جميعاً، وحتى لا يكون من بينهم رجل مثل يهوذا الاسخريوطى الذى خانه وأسلمه، وحتى لا يثير تساؤلهم - برد فعل مباشر - عن سر هذه التفرقة بين تلاميذه واختيار البعض منهم دون الباقين.

وليس عبثاً أن يقع اختيار المعلم الأعظم على تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا ليكونوا شهوده على التجلى(٥)، فالواضح من الإنجيل أن المسيح له المجد كان يختص هؤلاء الثلاثة بثقته، فهم بعينهم التلاميذ الثلاثة الذين كانوا شهودا من بين تلاميذه فى إقامة إبنة يايروس رئيس المجمع اليهودى من الموت، قال الإنجيل «ولم يسمح لأحد بأن يتبعه سوى بطرس

---

(١) ١. كورنثوس ٢ : ٨.

(٢) ١. كورنثوس ٢ : ٧.

(٣) (متى ١٧ : ٩)، (مرقس ٩ : ٩).

(٤) (متى ٨ : ٤)، (١٦ : ٢٠)، (مرقس ٨ : ٣٠)، (لوقا ٩ : ٢١).

(٥) (متى ١٧ : ١)، (مرقس ٩ : ١)، (لوقا ٩ : ٢٨).

ويعقوب ويوحنا أخى يعقوب... ثم أخذ معه أبا الصبية وأمها(١)». وكذلك أخذ هؤلاء الثلاثة عينهم ليكونوا بالقرب منه فى صراعه ومعاناته فى بستان جثسيمانى «ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا أبنى زبدى وبدأ يحزن ويرتاع ويكتئب. وقال عندئذ لهم: إن نفسى حزينة حتى الموت. فامكثوا أنتم هنا واسهروا معى. ثم ابتعد قليلاً وخر على وجهه على الأرض يصلى(٢)....».

ولابد أن يكون لهذا الاختيار أسبابه عند المسيح، فليس عند الله محاباة(٣). وقد شهد له أعداؤه من اليهود وقالوا له «يا معلم، نحن نعلم أنك لا تحابى وجه إنسان(٤)».

وقال بعض الآباء إن المسيح اختار بطرس لإيمانه وإخلاصه وسلامة اعترافه، فهو صاحب الاعتراف المشهور «أنت هو المسيح الله ابن الله الحى(٥)»، واختار يعقوب ابن زبدى، المعروف بيعقوب الكبير لأنه أول من سيستشهد على اسم المسيح من الرسل الإثنى عشر فقد قتله هيرودس بالسيف فيما بعد (٦)، واختار يوحنا لبتوليته وطهارته، وكان هو أحب تلاميذه إليه وهو الذى اشتهر بأنه التلميذ الذى كان يسوع يحبه(٧). وربما كان هذا الاختيار أيضاً لأن بطرس كان أكبر تلاميذه سناً، وكان يوحنا أصغرهم سناً، وأما يعقوب ابن زبدى، فهو أول شهيد على اسم المسيح من الإثنى عشر.

---

(١) (مرقس ٥: ٣٧، ٤٠).
(٢) (متى ٢٦: ٣٧ ـ ٣٩)، (مرقس ١٤: ٣٣ ـ ٣٥).
(٣) (رومية ٢: ١١).
(٤) (متى ٢٢: ١٦)، (مرقس ١٢ : ١٤) (لوقا ٢٠: ٢١).
(٥) (متى ١٦: ١٦) ، (مرقس ٨: ٢٩) (لوقا ٩: ٢٠).
(٦) (أعمال الرسل ١٢: ١).
(٧) (يوحنا ١٣: ٢٣)، (١٩: ٢٦) ، (٢٠: ٢)، (٢١: ٧، ٢٠).

ولقد عرف بطرس بإيمانه وأنه كان المتقدم فى الكلام. وأما يعقوب ويوحنا ابنا زبدى فاشتهرا بغيرتهما المتقدة، فقد لقبهما الرب يسوع (بوانرجس) أى ابنى الرعد(١)، ومن آيات غيرتهما أنهما طلبا مرة أن تنزل نار من السماء فتفنى أهل قرية للسامريين رفضوا دخول الرب يسوع قريتهم فزجرهما مخلصنا وقال لهما: لستما تعلمان من أى روح أنتما(٢). وإذا كان يعقوب بن زبدى أول من مات من رسل المسيح الإثنى عشر شهيداً، فإن يوحنا هو آخر من مات من الإثنى عشر(٣) فكان آخر شهيد وشاهد من بين الإثنى عشر.

وأما لماذا كان شهود التجلى ثلاثة فلأنه طبقاً للشريعة تقوم كل شهادة على فم شاهين أو ثلاثة(٤).

وكل من الشهود الثلاثة للتجلى عاشوا وماتوا وكانوا كل حياتهم يشهدون لعظمة السيد المسيح وجلاله وجماله وبهائه، فقد آمنوا بلاهوته، إذ رأوا بعيونهم ماوراء الحجاب، واستطاعوا أن يدافعوا عن حقيقة لاهوته المستترة وراء حجاب ناسوته.

أما يعقوب الكبير ابن زبدى، فقد أهلكته غيرته المتقدة، واحترق بنارها، فمات شهيد حبه لمعلمه وسيده ومخلصه، ولم تكن حياته ثمينة لديه، ولابد أن هيرودس ملك اليهود رأى فى يعقوب هذه الغيرة المتآكلة فى حب سيده المسيح، ورأى كراهية اليهود للمسيح وقد انصبت فى يعقوب وعليه أكثر مما انصبت على شخص آخر حتى إنه إذ أراد أن يرضى اليهود، بدأ أول مابدأ بقتل يعقوب لأن فيه تجسمت وتجسدت الغيرة على ديانة المسيح الناشئة التى رأى اليهود فيها الخطر الداهم على ديانتهم العريقة العتيقة. قال سفر أعمال الرسل «وفى ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسىء إلى إناس فى الكنيسة. فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف. وإذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً(٥)».

---

(١) (مرقس ٣: ١٧). (٢) (لوقا ٩: ٥٢ - ٥٦).
(٣) (يوحنا ٢١: ٢٢، ٢٣).
(٤) (التثنية ١٧: ٦)، (١٩: ١٥)، (١. المكابيين ٢: ٣٧)، (متى ١٨: ١٦)، (٢. كورنثوس ١٣: ١)، (١. تيموثيئوس ٥: ١٩)، (العبرانيين ١٠: ٢٨)، (١. يوحنا ٥: ٧، ٨).
(٥) (أعمال ١٢: ١ - ٣).

وأما بطرس فهو الصياد الذى صاده سيده المسيح، ودخل فى شبكة الخلاص سعيداً، وتحول إلى صياد روحانى يصيد الناس إلى شبكة سيده، وكان غيوراً جداً دخل حظيرة الإيمان وشبكة الإيمان مندفعاً إلى العمق بحماسة بالغة، فصار « (الأول) » بين رفاقه التلاميذ(١)، ليس بالنسبة إلى سنه فقط، بل وفى إيمانه بسيده ودفاعه عنه وغيرته عليه واستعداده لأن يموت لأجله لو لزم الأمر (٢)، على الرغم من أن اندراوس أخاه سبقه إلى اتباع المخلص وهو الذى دعاه قائلاً «قد وجدنا المشيح أى المسيح(٣)». ولقد تطور إيمانه ونما وتحول إلى هوى فاعترف اعترافاً صريحاً بقوله لسيده: أنت المسيح الله ابن الله الحى، وذلك بفعل المكاشفة الإلهية التى عبر عنها مخلصنا بقوله: مبارك أنت يا سمعان ابن يونا، لأنه ليس لحما ودما كشف لك هذا، وإنما أبى الذى فى السماوات(٤). وزاد على ذلك بمعاينة مجده الذى رآه رأى العيان على جبل التجلى، وظل طوال حياته يكرز بمجد لاهوته كما يتضح من إحدى رسائله حيث يقول بحرارة الإيمان «لأننا لم نتبع خرافات مصنعه إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل قد كنا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا به سررت. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس(٥)».

وأما يوحنا الحبيب، فهو أيضاً الرسول الذى اضطرم بمحبة سيده، وكان الأقرب إلى قلبه، واتكأ على صدره وفى حضنه(٦)، واشتعل بمحبة سيده، وزاد أوار المحبة بما رآه على جبل التجلى من مجده الأسنى الذى غشيت له عيناه، فتثقل مع رفيقيه بطرس ويعقوب، وسقطوا على وجوههم وقد استولى عليهم خوف شديد ورعب عظيم وذلك من هول ما رأوا من نور وهاج، فقد كان وجه سيدهم يضىء أقوى من الشمس، وثيابه صارت بيضاء كالنور، متألقة ناصعة البياض كالثلج، وليس كبياضها الناصع شىء أبيض فى كل الوجود، فعلم يوحنا ورفاقه أن سيدهم فى

---

(١) (متى ١٠: ٢).
(٢) (متى ٢٦: ٣٥)، (يوحنا ١٣: ٣٧).
(٣) (يوحنا ١: ٤٠ - ٤٢).
(٤) (متى ١٦: ١٧).
(٥) (٢. بطرس ١: ١٦ - ١٨).
(٦) (يوحنا ١٣: ٢٣)، (٢١: ٢٠).

حقيقته «نور من نور» وليس فيه ظلمة البتة(١)»وأنه هو بعينه «الساكن فى نور لا يدنى منه(٢)» ، وأنه هو النور عينه، والنور الحقيقى الذى جاء إلى العالم(٣)». ولهذا أنشد يقول متأثراً بما رأى على جبل التجلى مما أشرق على قلبه من النور الإلهى المنبعث من وجه معلمه الإلهى، قال يصفه بأنه الأزلى الأبدى «الذى كان من البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب، وأظهرت لنا، الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به(٤)». وزاد ما رآه فى رؤياه التى رآها وهو منفى فى جزيرة بطمس فى حكم دومتيانوس من بهاء نور المسيح ومجده على ما رآه مع رفيقه بطرس ويعقوب على جبل التجلى فأنشد يقول : «أنا يوحنا أخوكم وشريككم فى الضيقة وفى ملكوت يسوع المسيح... كنت فى الجزيرة التى تدعى بطمس من أجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح. وصرت فى الروح فى يوم الرب، وسمعت خلفى صوتا عظيماً كصوت بوق، قائلاً: أنا هو الألف والياء، الأول والآخر... فالتفت لأنظر الصوت الذى تكلم معى. ولما التفت رأيت سبع منائر من ذهب . وفى وسط المنائر السبع شبه ابن الإنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين ومتمنطقا عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج وعيناه كلهيب نار. ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون، وصوته كصوت مياه كثيرة... ومن فيه يخرج سيف ماض ذو حدين ووجهه يضىء كالشمس عند اشتدادها فلما رأيته سقطت عند قدميه كالميت، فوضع يده اليمنى على قائلاً لى: لا تخف أنا هو الأول والآخر. والحى، وقد كنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الآبدين، ولى مفاتيح الهاوية والموت(٥)».

وواضح أن من عرف ذاته ليوحنا الحبيب الرائى بأنه «هو الألف والياء، الأول والآخر» هو بعينه يسوع المسيح فى لاهوته المتحد بناسوته الذى تجلى ليوحنا فى (شبه ابن الإنسان متسربلا بثوب إلى الرجلين ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب. ثم يصف أيضاً رأسه وشعره وعينيه

---

(١) (١. يوحنا ١ :٥).

(٢) (١. تيموثيئوس ٦ :١٦).

(٣) (يوحنا ١ :٧، ٨، ٩)، (١. يوحنا ٢ :٨).

(٤) (١. يوحنا ١ :١ ـ ٣).

(٥) (الرؤيا ١ :٩ ـ ١٨).

(كلهيب نار) ورجليه، وفمه ويصف وجهه وأنه يضىء كالشمس عند اشتدادها. ثم يقول إنى رأيته. «ولما رأيته سقطت عند قدميه كالميت» وبعد ذلك يقول إنه وضع يده اليمنى على رأسه.. ثم عاد يكرر ماقاله أولاً للتعريف بذاته «لا تخف أنا هو الأول والآخر والحى وقد كنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الآبدين ولى مفاتيح الهاوية والموت» وليس هناك غير المسيح من يصف ذاته على أنه (الحى وقد كنت ميتا) والإشارة بالطبع إلى موته من أجل الفداء والخلاص، ومع ذلك فهو الحى إلى أبد الآبدين، وله مفاتيح الهاوية والموت.. وهو مالا يجرؤ على أن ينسبه لذاته غير الله وحده.

كيف جرى التجلى

لم يشأ الرب يسوع أن يكون تجليه أمام تلاميذه فى الأرض، وإنما «صعد بهم على إنفراد إلى جبل مرتفع»؟ فالصعود إلى جبل شاهق يتيح الانعزال التام عن جماهير الناس، ويوفر الهدوء والسكون، ويخلق جوا مناسباً للسمو الروحانى، والتسامى النفسى على الأرضيات والترابيات، والاستشراف على المادة، والدخول فى عالم الروح والروحانيات. وهنا الجمال الجميل الذى تحن إليه الروح إذ تعود لتكون قريبة من وطنها الذى هبطت منه، والذى تغربت عنه فى رحلتها الطويلة أو القصيرة على الأرض. لهذا لم يستطع القديس بطرس الرسول أن يكتم شعوره بالسعادة فى ذلك الجو الروحانى والنورانى الذى عاش فيه هو ورفيقاه يعقوب ويوحنا، تلك اللحظات الحلوة، وقد تمنوا جميعاً أن تطول وتدوم إلى الأبد، فصرخ يقول: «يارب، إنه حسن لنا أن نكون هنا»، وإنه (لجميل) البقاء فى هذا الجبل حيث النور والبهاء والجمال، فأرواحنا مخلوقة من نور، ولذلك فالنور طبعها، والنور غذاؤها وطعامها وشرابها، وفى النور لذتها وسرورها ونعيمها، وإن أرواحنا تظل حزينة تائهة شاردة إلى أن تعود إلى النور... وتبقى قلقة حائرة إلى أن تهتدى إلى النور فتجد فيه راحتها.

ولم يكن جبل التجلى أى جبل بل كان جبلاً مرتفعاً، عالياً جداً، شاهقاً. ليتوافر فيه أكثر مما يتوافر فى غيره من الجبال الأقل ارتفاعاً، أكبر قدر ممكن من الهدوء والسكون، والارتفاع فوق الأرض، والاقتراب من السماء. وهو بهذا يكون الجبل الأكثر مناسبة للجو الروحانى المشبع بالروح والروحانيات الخالصة.

ولقد قال بعض علماء الكتاب المقدس إنه جبل (حرمون)(١)، المسمى أيضاً فى الكتاب المقدس باسم جبل سريون(٢) ، أو جبل سيئون(٣)، انظر أيضاً (٤)، وجبل حرمون هو الجبل المعروف بجبل (الشيخ) والذى يصل ارتفاعه إلى ٩١٦٦ قدماً فوق سطح البحر. ولكن بعض

---

(١) (يشوع ١١ : ٣، ١٧).
(٢) (التثنية ٣ : ٨، ٩).
(٣) (التثنية ٤ : ٤٨).
(٤) (يشوع ١٢ : ١، ٥) (١٣ : ٥، ١١)، (١. الأيام ٥ : ٢٣)، (مزمور ٤١ : ٦)، (٨٨ : ١٢)، (١٣٢ : ٣)، (نشيد ٤ : ٨)، (سيراخ ٢٤ : ١٧).

آباء الكنيسة ومنهم القديس كيرلس الأورشليمى (١) يروى عن تقليد قديم أنه طور تابور أو جبل تابور على الرغم من أن ارتفاعه يصل إلى ١٨٤٣ قدماً فوق سطح البحر. ويساند هذا التقليد ما جاء فى ترنيمة أمانة اللص اليمين الذى آمن بالمسيح رباً وملكاً وهو على عود الصليب، وهى التسبيحة التى تنشد فى يوم الجمعة العظيمة، جمعة الصلبوت ؛ فى نهاية صلوات الساعة السادسة؛ حيث يقول المصلى موجهاً الخطاب إلى ديماس اللص اليمين «أيها اللص الطوباوى، ماذا رأيت، وماذا أبصرت، حتى اعترفت بالمسيح المصلوب بالجسد ملك السماء وإله الكل...؟ ما رأيت المسيح الإله متجلياً ⲙⲉⲧⲁⲙⲟⲣⲫⲱⲑⲉⲛⲧⲁ METAMORPHOTHENTA على طور تابور ⲑⲁⲃⲱⲣ THABOR فى مجد أبيه... وإنما رأيته...».

وجاء في ذكصولجية عيد التجلى:

«يسوع المسيح الوحيد، صعد فوق جبل تابور، وأخذ معه تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا، وتجلى أمامهم وكان وجهه يضىء أكثر من الشمس،.. إيليا وموسى القوى نظرا ثيابه فوق تابور...»(٢).

وجاء فى (قسمة) الأعياد السيدية من ترتيب الثلاثة القداسات التى تتلى فى الأعياد السيدية «... الذى تجلى على جبل تابور أمام تلاميذه القديسين وأضاء وجهه مثل الشمس...» (٣).

جاء فى الكتاب المقدس فى مدح جبل تابور «حى أنا يقول الملك، رب الجنود، اسمه كتابور بين الجبال» (٤)، أنظر أيضاً (٥).

---

(١) التعليم المسيحى ١٢، ١٦ .

(٢) عن كتاب الأبصلمودية السنوية.

(٣) كتاب الخولاجى - الثلاثة قداسات.

(٤) إرميا ٤٦ : ١٨ .

(٥) (يشوع ١٩ : ٢٢)، (القضاة ٤ : ٦، ١٢، ١٤)، (٨ : ١٨)، (١ . صموئيل ١٠ : ٣)، (١ . أخبار الأيام ٦ : ٧٧)، (مزمور ٨٨ : ١٢)، (هوشع ٥ : ١).

جاء فى «كتاب الصلاة لإستعمال المؤمنين ذوى الطقس البيزنطى»: فى صلاة الغروب على اللحن السادس قوله فى عيد التجلى (٦ من آب):

«لما أردت أن ترسم قيامتك أيها المسيح الإله، أخذت تلاميذك الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعدت بهم إلى طور تابور. وعندما تجليت أيها المخلص غطى النور طور تابور..».

وجاء فى قطع الأبوستيخون على اللحن الأول:

«إن الذى فى القديم خاطب موسى على جبل سيناء برموز قائلاً أنا هو الكائن، يتجلى اليوم على جبل تابور لتلاميذه..».

وجاء فيها على اللحن السادس قوله:

«أيها الرب أنك اليوم على جبل تابور قد أظهرت مجد صورتك الإلهية لتلاميذك..».

وجاء فى صلاة السحر باللحن الرابع:

«قد تجليت أيها المخلص على طور تابور.

وفى الأودية التاسعة باللحن الثامن:

«أشرقت للرسل ولموسى مع إيليا على تابور بحال لا توصف...».

وفى الأكسابستلارى «أيها الكلمة النور... إننا بنورك الذى ظهر اليوم على تابور... أخذت الذين اخترتهم من تلاميذك الأطهار، وصعدت بهم أيها السيد على طور تابور.. لقد ولدت من سحابة العذراء يارب... وتجليت على طور تابور...».

وجاء فى لازمة الأنديفونة الثانية:

«خلصنا يا ابن الله، يا من تجلى على طور تابور، نحن المرنمين لك هللويا».

ثم فى ترنيمة الدخول للانديفونة الثالثة:

«تابور وحرمون باسمك يتهللان. خلصنا يا ابن الله، يا من تجلى على طور تابور، نحن المرنمين لك هللويا».

وفى الكينونيكون باللحن الثامن فى ترنيمة المناولة:

فى الحل: «... الذى تجلى بمجد على طور تابور أمام تلاميذه الرسل القديسين..».

وهناك تقليد قديم يروى أنه على هذا الجبل إلتقى إبراهيم الخليل بملكى صادق(١).

وتبعاً لذلك التقليد أقيمت على جبل تابور منذ العصور الأولى للمسيحية عدة كنائس وأديرة، بل إنه قبل نهاية القرن السادس لميلاد المسيح بنيت على هذا الجبل ثلاث كنائس تذكاراً للمظال الثلاث التى اقترح القديس بطرس إقامتها على الجانب الجنوبى الشرقى من قمة الجبل. وحديثاً أقام اللاتين كنيسة فاخرة على قمة هذا الجبل، تابور.

وإذا كان الذين قالوا إن جبل التجلى هو جبل (حرمون) بنوا اعتقادهم هذا على أنه الجبل القريب من قيصرية فيلبس حيث جرى الحوار بين المسيح وتلاميذه عن حقيقة من هو، وإنه (المسيح الله ابن الله الحى) وحيث وعد بأن بعضاً منهم سيرونه آتياً فى ملكوته، ذلك لأن جبل (حرمون) يقع إلى الشمال قريباً من قيصرية فلسطين، بينما يقع جبل (تابور) فى جنوب الجليل وبعيدا كثيراً عن قيصرية فلسطين، ويقع على بعد خمسة ونصف ميل نحو الجنوب الشرقى من مدينة الناصرة، ١٢ ميلا جنوب غربى بحيرة جنيسارات.

فإن الذين يرون أن جبل التجلى هو جبل (تابور) يعتبرون هذا البعد عن قيصرية فلسطين سبباً آخر يباعد بين الحدثين فى المكان كما باعد بينهما فى الزمان، حتى إذا اختار المسيح ثلاثة فقط من بين تلاميذه ليصعدوا معه على جبل التجلى، لا يكون هذا الاختيار مدعاة لإثارة التساؤلات والحرج بين التلاميذ الآخرين.

ثم إن الإنجيل أضاف تبريراً جديداً لهذا الاختيار الضيق، وذلك بقوله «وصعد إلى الجبل ليصلى»(٢). والمعروف أن الصلاة تقتضى الإختلاء والاعتزال عن صحبة الكثيرين إلى أقل القليل، كما فعل له المجد فى بستان جثسيمانى حيث جاء معه تلاميذه، فقال لهم: اجلسوا أنتم هنا ريثما أذهب أنا وأصلى هناك... ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا.. ثم أبتعد قليلا... ليصلى(٣).

---

(١) (التكوين ١٤: ١٨ ـ ٢٠).

(٢) (لوقا ٩: ٢٨).

(٣) (متى ٢٦: ٣٦ ـ ٣٩)، (مرقس ١٤: ٣٣ ـ ٣٥). أنظر أيضاً (متى ١٤: ٢٣): (مرقس ١: ٣٥) (٦، ٤٦) (لوقا ٥: ١٦)، (٦: ١٢)، (٩: ١٨).

ومهما يكون من أمر فإن أبهى الرسالات السمائية أعلنت من فوق الجبال العالية(١) .

فمن فوق جبل سيناء (٢) المسمى بجبل الله حوريب(٣) تلقى النبى موسى شريعة الله ووصاياه، وسلمها له منقوشة على لوحى حجر(٤) سميا بلوحى العهد(٥) ولوحى الشهادة(٦) .

ومن فوق جبل المريا (٧)، تلقى إبراهيم الخليل وعد الله بالبركة وأن فى نسله وبنسله تتبارك جميع قبائل الأرض، وعلى هذا الجبل بنى سليمان هيكل الرب، حيث تراءى الرب أيضاً لداود أبيه (٨) .

ومن فوق الجبل أعلن الرب يسوع شريعة العهد الجديد، وألقى موعظة الأجيال التى عرفت بالموعظة على الجبل(٩) .

يقول سفر المزامير «أساسه فى الجبال المقدسة» (١٠) ويقول «أرفع عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى» (١١) .

«ويكون فى آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً فى رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجرى إليه شعوب، وتسير أمم كثيرة، ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب» (١٢) .

ما الذى حدث فى التجلى:

إن التعبير العربى «تجلى» هو بمعنى «ظهر» أو «انكشف». أما التعبير باللغة اليونانية التى كتب بها الإنجيل فهو(μετεμοφώθη) وهى الكلمة التى وردت هكذا فى رواية

(١) (مزمور ١٠٣ : ١٨)، (إشعياء ٢ : ١٤) .
(٢) (الخروج ١٩ : ١١، ١٨، ٢٠، ٢٣).
(٣) (الخروج ٣ : ١).
(٤) (التثنية ٤ : ١٣).
(٥) (التثنية ٩ : ٩) .
(٦) (الخروج ٣٤ : ٢٩).
(٧) (التكوين ٢٢ : ٢) .
(٨) (٢ . أخبار الأيام ٣ : ١) .
(٩) (متى ٥ : ١) .
(١٠) (مزمور ٨٦: ١) .
(١١) (مزمور ١٢٠ : ١) .
(١٢) (ميخا ٤ : ١، ٢).

الإنجيل بحسب ما كتبه القديس متى (١)، والقديس مرقس(٢). والمعنى الحرفى لهذه الكلمة اليونانية هو «تغير الصورة أو الشكل الخارجى». وأما الإنجيل بحسب ما كتبه القديس لوقا (٣) فقد عبر عن الكلمة الاصطلاحية المذكورة بعبارة أطول فقال: «تغير منظر وجهه». والمعنى واحد.

إن أول مظهر للتجلى حدث للسيد المسيح هو تغير فى منظر وجهه، والتغير ليس بمعنى تبدل فى طبيعة الوجه، ولكن بنور غمر الوجه وأضاءه وأشرق منه، فصار الوجه منيراً ومشعاً بالنور. قال الإنجيل «فأضاء وجهه كالشمس(٤). وضياء الوجه كالشمس معناه أن النور فى وجه المسيح كان من شدة اللمعان وقوة الوهج، بحيث يخطف البصر، فلا يقوى أحد على أن يواجهه أو يثبت فيه نظره. ولابد أن النور كان أقوى من نور الشمس، لأن التلاميذ «سقطوا على وجوههم» (٥) وليس أحد يسقط على الأرض بسبب نور الشمس، كما أن عيونهم غشيت من قوة البهاء، فصاروا «مثقلين بالنوم» (٦). وما هو بنوم، ولكنه حالة من العجز التام عن مواجهة النور الوهاج، فتمسى به العين غير قادرة على أن تنفتح لتواجه شدة الضوء، فتضطر إلى أن تنغلق تلقائياً، وكذلك يلحق بالمخ والجهاز العصبى نوع من الشلل، فيفقد الإنسان الحس والإحساس بوجوده، كما أنه يغيب عن الوعى، ويطير منه العقل شعاعاً، بمعنى أنه من فرط قوة أشعة النور عليه، يصيبه شلل، فيفقد الحس والوعى، ويذهب عنه الإدراك بنوعيه: الحسى والعقلى. وهذا هو ما عبر عنه الإنجيل بالنسبة للرسول بطرس «لم يكن يدرى ما هو قائل» (٧)، «ولم يكن يعى ما يقول (٨).

ولعلنا نجد فى وصف القديس يوحنا الرسول فى رؤياه وصفاً يفيدنا فى بيان قوة النور وبهائه عندما رأى المسيح متجلياً: قال «ووجهه يضىء كالشمس عند اشتدادها» (٩). وهذا توكيد على أن نور وجه المسيح فى التجلى كان أقوى من نور الشمس، ولذلك لم يكتف الرسول بأن

---

(١) (متى ١٧: ٢).
(٢) (مرقس ٩: ٢).
(٣) (لوقا ٩ : ٢٩).
(٤) (متى ١٧: ٢).
(٥) (متى ١٧: ٦).
(٦) (لوقا ٩: ٣٢).
(٧) (مرقس ٩: ٦).
(٨) (لوقا ٩: ٣٣).
(٩) (سفر الرؤيا ١: ١٦).

يقول إن وجه المسيح كان «يضيء كالشمس» وإنما أضاف إلى ذلك قوله «وهي عند اشتدادها» أي في قوتها، عندما تكون الشمس عمودية، وغير محجوبة بالسحب. وليس هناك تعبير في لغة البشر، وقريباً إلى فهمهم الحسي، أقوى من هذا التعبير الذي يشبه نور المسيح في وجهه عندما يتجلى وينكشف ويظهر على حقيقته، بنور الشمس في قوتها وعند اشتداد ضيائها ولمعانها وهي في كبد السماء. ويضيف القديس يوحنا الرسول في رؤياه مؤكداً على قوة هذا النور المنبعث من وجه المسيح له المجد، بقوله «فلما رأيته سقطت عند قدميه كالميت» (١)، وهذا أبلغ تعبير في لغة الإنسان، يقرب إليه بلغته، كيف كان النور المنبعث من وجه المسيح من القوة والسطوع بحيث لا يقوى أحد من الناس على أن يواجهه ويظل حياً، إذ هو أقوى من إحتماله. وكما قال الله للنبي موسى في القديم «لا يراني إنسان ويعيش» (٢).

* * *

وشبيه بهذا نور المسيح الذي رآه القديس بولس الرسول وهو في طريقه إلى دمشق.

جاء في سفر الأعمال «أبرق حوله بغتة نور من السماء فسقط على الأرض... فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق. ولبث ثلاثة أيام لا يبصر، ولا يأكل ولا يشرب» ولقد أمر الرب القديس حنانيا أحد السبعين رسولاً أن يذهب إلى شاول الذي هو بولس في الزقاق الذي يقال له المستقيم ليضع يديه عليه لكي يبصر «فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع يديه عليه وقال: أيها الأخ شاول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر...فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال»(٣) .

وقال القديس بولس الرسول نفسه يصف بهاء النور الذي ظهر له «فحدث لي وأنا ذاهب وقد دنوت من دمشق أنه نحو نصف النهار أبرق حولي من السماء بغتة نور عظيم فسقطت على الأرض... والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ... وإذ كنت لا أبصر لبهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق. وإن حنانيا رجلا تقيا بمقتضى الناموس

---

(١) (سفر الرؤيا ١ :١٧).
(٢) (سفر الخروج ٣٣: ٢٠).
(٣) (أعمال الرسل ٩: ٣ ـ ١٨).

ومشهوداً له من جميع اليهود السكان أتى إلىّ ووقف عندى وقال لى أيها الأخ شاول: أبصر. ففى تلك الساعة نظرت إليه... (١).

وقال أيضاً فى خطابه فى حضرة الملك أغريباس: «ولما كنت ذاهباً فى ذلك إلى دمشق بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة، رأيت فى نصف النهار فى الطريق أيها الملك نوراً من السماء يفوق لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى. فلما سقطنا جميعنا على الأرض، سمعت صوتاً يكلمنى...» (٢).

ومن ذلك يتضح أن نور المسيح له المجد والذى أبرق حول القديس بولس أنه كان نوراً من السماء، وأنه كان أشد ضياء من نور الشمس، وأنه بسبب قوة هذا النور سقط هو والذين معه من الرجال إلى الأرض، وأنه من شدة بهاء ذلك النور ظل وهو مفتوح العينين لا يستطيع أن يرى شيئاً لمدة ٣ أيام ولذلك اقتاده الذين معه بيده ودخلوا به إلى دمشق، وبقى فى البيت إلى أن أتى إليه القديس حنانيا الرسول ووضع يديه عليه فأبصر بعد أن سقط منهما شيء كأنه قشور.

* * *

نعم، عندما تجلى المسيح له المجد «تغير منظر وجهه» «فأضاء وجهه كالشمس». وهنا يجب أن نلاحظ أن النور الذى أضاء وجهه لم يكن من خارج، وإنما كان من باطن.... كان منه ولم يكن من غيره... كان منبعثاً منه ولم يكن منعكساً عليه... كان المسيح هو النور، ولم يكن هو عاكساً للنور... كان هو الشمس ولم يكن هو القمر. إن القمر جسم معتم فى ذاته، فإذا كنا نراه منيراً، لكن النور ليس أصيلاً فيه. النور ليس منه، وإنما هو من الشمس، وأما النور الذى فيه فليس هو نوره هو، لكنه نور الشمس منعكساً عليه. فليس هو إذن النور الحقيقى بل هو عاكس للنور...

قلنا إن النور الذى أضاء وجه المسيح لم يكن من خارج، إنما كان من باطن. كان منه ولم يكن من غيره.. كان نابعاً منه..» . وخارجاً ومنبثقاً منه.. لأنه هو النور «والنور الحقيقى الذى يضىء» (٣)، ولذلك أضاء وجهه بلمعان أبهى وأقوى من لمعان الشمس وبهائها، وأضاء كل الوجود من حوله، وكان طبيعياً أن يضىء ثيابه «فصارت

---

(١) (أعمال الرسل ٢٢: ٦ - ١٣).
(٢) (أعمال الرسل ٢٦: ١٢ - ١٤).
(٣) (يوحنا ١: ٨،٩)، (١. يوحنا ٢: ٨).

ثيابه بيضاء كالنور، متألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، حتى ليعجز أى قصار على الأرض عن أن يجعلها فى مثل بياضها، (١).

لقد ذكر الكتاب المقدس عن النبى موسى أنه عندما صعد إلى جبل سيناء، جبل الله حوريب، أنه بسبب وجوده مع الله، وبسبب مواجهته للبهاء الإلهى أن «جلد وجهه صار يلمع من مخاطبة الرب له. فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل إلى موسى وإذا جلد وجهه يلمع، فخافوا أن يدنوا منه... ولما فرغ موسى من مخاطبتهم جعل على وجهه برقعاً. وكان موسى عند دخوله بين يدى الرب ليتكلم معه يرفع البرقع إلى أن يخرج. ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يؤمر به. فكان بنو إسرائيل يرون وجه موسى أن جلده يلمع، فيرد البرقع على وجهه حتى يدخل ليتكلم معه(٢) .

فما أعظم الفرق بين نور المسيح، ونور موسى، كما وكيفا، إن النور الذى كان يلمع من وجه موسى لم يكن منه، إذ «لم يكن هو النور» (٣) .. كان «النور الحقيقى» هو نور الله الذى تجلى له فى الجبل. قال موسى للرب الإله «أرنى مجدك. قال أنا أجيز جميع جودتى أمامك، وأنادى باسم الرب قدامك... أما وجهى فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش. وقال الرب: هوذا عندى موضع. قف على صخرة. ويكون إذا مر مجدى أنى أجعلك فى نقرة من الصخرة، وأسترك بيدى حتى أجتاز، ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى(٤) .

وإذن فالنور الذى لمع من وجه موسى لم يكن فى الواقع نور موسى وإنما كان إنعاكساً على وجهه من فيض البهاء الإلهى الذى سطع على وجهه عندما كان فى نقرة من الصخرة واستطاع أن يلمح شيئاً من البهاء الربانى... أما النور الذى أضاء وجه المسيح وثيابه على جبل التجلى فلم يكن إنعكاساً من كائن آخر خارج عن ذاته، وإنما كان من ذاته، كما ينفجر نور الشمس منها، ومنها إلى غيرها من الكواكب والأقمار التى تقع فى فلكها وتدور فى مدارها.

---

(١) (متى ١٧ : ٢)، (لوقا ٩ : ٢٩)، (مرقس ٩ : ٣).

(٢) (سفر الخروج ٣٤ : ٢٩ ـ ٣٥).

(٣) (يوحنا ١ : ٨).

(٤) (الخروج ٣٣ : ١٨ ـ ٢٣).

لهذا سمى نور المسيح الذى أضاء وجهه وجعل ثيابه بيضاء كالنور متألقة كالبرق ناصعة البياض كالثلج، بالتجلى أو «الجليان»، لأن المسيح كشف على الجبل مجده وبهاءه، وأظهر سناءه، وأزاح الغطاء عن نوره، ورفع الحجاب عن ضيائه، فظهر شخصه على حقيقته، وأبان عن مجد لاهوته الذى كان متحجباً فى ناسوته.

لقد حجب «المسيح الله ابن الله الحى» لاهوته فى ناسوته، بتجسده إذ اتخذ جسداً من طبيعة جسدنا اتحد به واستتر فيه، وكان لابد من أن يحجب لاهوته عندما نزل على الأرض وإلا أحترقت الأرض ومات من وما عليها (١)، «لأن إلهنا هو نار آكلة» (٢)، لأنه «من منا يسكن فى النار الآكلة. ومن منا يسكن فى المواقد الأبدية» (٣)، ولئلا تغيب عن تلاميذ المسيح هذه الحقيقة، ويجهلون من هو المسيح فى حقيقته الباطنة، أراد أن يكشف عنها على الجبل للخاصة من تلاميذه فيكونوا على بينة منه، وعلى يقين من تلك الحقيقة التى عبر عنها القديس بطرس عندما سأل المسيح تلاميذه «وأنتم من تقولون إنى هو؟» (٤) فأجابه «أنت هو المسيح الله ابن الله الحى». فإن هذه الحقيقة هى الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها (٥). ولابد أن يرى بعض التلاميذ بعيونهم بينة عليها، ولمحة منها على قدر ما تحتمل عيونهم أن ترى. ومع ذلك أوصاهم قائلاً: لا تخبروا أحداً بما رأيتم إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات. وذلك حتى يظل فى المفهوم العام بين الناس على الأرض إلى يوم قيامته، فى صورة الإنسان، ابن الإنسان، ابن مريم، إلى أن يتمم عمل الفداء الذى من أجله نزل من السماء، وإلا تعطل الصليب «فإنهم لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (٦). وأما بعد الصليب والقيامة فيسترد صورة البهاء التى أخلى نفسه منها حتى يتم الخلاص ومن ثم «يعود إلى مجده» (٧)، وهى صورة البهاء التى رآه عليها القديس يوحنا الرسول الحبيب، فى رؤياه (٨).

* * *

---

(١) (الخروج ٢٠ : ١٩)، (التثنية ٥ : ٢٥، ٢٦)، (١٨ : ١٦).

(٢) (التثنية ٤ : ٢٤)، (٩ : ٣)، (العبرانيين ١٢ : ٢٩).

(٣) (إشعياء ٣٣ : ١٤). (٤) (متى ١٦ : ١٥). (٥) (متى ١٦ : ١٨).

(٦) (١ . كورنثوس ٢ : ٨). (٧) (لوقا ٢٤ : ٢٦). (٨) (الرؤيا ١).

وشيء جميل آخر حدث على جبل التجلى، شيء يكمل تلك اللمحة المنيرة السعيدة التى شاء المسيح له المجد أن يريها لتلاميذه عن العالم الآخر وأمجاده، فرفع بصرهم فوق العالم المادى، والأرضى إلى السماوات العُلى. لقد حدثهم فى قيصرية فيلبس عن آلامه التى سيكابدها من شيوخ اليهود ورؤساء كهنتهم، وما سيلحق به من الامتهان والصلب والموت، ولكنه حدثهم أيضاً عن قيامته من بين الأموات فى اليوم الثالث لصلبه وموته، ثم وعدهم بمجيئه الثانى فى مجد أبيه مع ملائكته القديسين ليجازى كل إنسان على حسب أعماله. (١).

لذلك اقتضت حكمته، تثبتاً لإيمانهم، أن يريهم لمحة من أمجاد ملكوته بأن يتجلى أمامهم فى صورة البهاء والجمال، التى هى له بطبيعة ألوهتة، وفى هذا الجو الروحانى السماوى المشبع بالمجد والجلال يأتى ليكونا فى شرف حضرته، إثنان من كبار الأنبياء ممن رحلوا إلى العالم الآخر، يمثلان جميع الأنبياء والرسل، وينوبان عنهم فى موكب الملك المسيح، يتحدثان معه فى تدبير الفداء المزمع أن يتممه لخلاصهم وخلاص جميع المنتظرين (٢) من قديسى العهد القديم، هؤلاء الذين «نظروا المواعيد من بعيد وصدقوها وحيوها» (٣).

قال الإنجيل «ثم ظهر لهم موسى وإيليا، وقد تراءيا فى مجد، وكانا يتكلمان مع يسوع عن إنطلاقه الذى كان مزمعاً أن يتممه فى أورشليم. أما بطرس واللذان معه فقد كانوا مثقلين بالنوم، فلما أفاقوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه» (٤).

أما موسى فهو رئيس الأنبياء، وهو أيضاً صاحب الشريعة التى نسبت إليه، فقد تلقاها من السماء على جبل سيناء، ونقلها إلى بنى إسرائيل. وأما إيليا فهو النبى المعروف بغيرته على مجد الله، والذى تحدى أنبياء البعل عباد الأوثان الأربعمائة والخمسين وقتلهم (٥)، فموسى وإيليا يمثلان الشريعة والأنبياء معاً، ووجودهما على جبل التجلى أمام التلاميذ شهادة على أن فى المسيح الرب تركزت آمال الأنبياء وأحلامهم، وفيه كملت الشريعة وما اشتملت عليه

---

(١) (متى ١٦: ٢١ - ٢٧)، (مرقس ٨: ٣١ - ٣٨)، (لوقا ٨: ٢٢ - ٢٦).

(٢) (لوقا ٢: ٣٨، ٢٥).

(٣) (العبرانيين ١١: ١٣).

(٤) (متى ١٧: ٣)، (مرقس ٩: ٤)، (لوقا ٩: ٣٠، ٣١).

(٥) (١. الملوك ١٨: ٤٠).

من طقوس وذبائح ورموز. لقد التقت على جبل التجلى شريعة العهد القديم ممثلة فى النبى موسى الكليم، كما اجتمعت أقوال الأنبياء التى أنبأت بالمسيح الفادى مشتهى جميع الأجيال (١).

فظهور موسى وإيليا مع المسيح الرب على جبل التجلى يتحدثان معه عن انطلاقه الذى كان مزمعاً أن يتممه فى أورشليم، بينة على أن موضوع الفداء والخلاص أمنية ينشدها الجميع وهى تدبير إلهى يشغل اهتمام الله والقديسين، وأن على المسيح، من حيث هو إنسان ينوب عن الناس، ينعقد أمل الخلاص ورجاء الفداء لأنه «ليس بأحد غيره الخلاص» (٢).

ولعله من المثير للانتباه أن يلتقى بالمسيح الرب على جبل التجلى موسى وإيليا، على الرغم من أن موسى قد مات من مئات السنين (٣). أما إيليا فلم يمت، ولكن حملته مركبة من نار وخيل من نار وصعدت به فى العاصفة إلى السماء (٤). وهذا بينة واضحة على أن موسى الذى مات ودفن فى جبل نبو، «ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم» (٥). مازال حياً ولم تذهب روحه إلى العدم، فأرواح الناس خالدة «لأنه إنما خلق الجميع للبقاء» (٦). وقد قال السيد المسيح صراحة للصدوقيين الذين يقولون إنه ليس قيامة ولا روح (٧)، قال «أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. فليس الله إله أموات، وإنما هو إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء» (٨).

ولقد كان أمراً مثيراً حقاً ومشجعاً للإيمان أن يرى التلاميذ الثلاثة بعيونهم، موسى النبى الذى قرأوا عنه، ورددوا اسمه مراراً وتكراراً بإعتباره صاحب الشريعة والناموس وكليم الله، وكاتب التوراة... فيثقوا بأن هناك حياة بعد الموت... ويتبينوا خطأ مذهب الصدوقيين وأنهم كما قال المسيح لهم «على ضلال عظيم» (٩).

---

(١) (١. أخبارالأيام ١٦: ١٥)، (لوقا ١: ٤٨، ٥٠).
(٢) (أعمال ٤: ١٢).
(٣) (التثنية ٣٤: ٥-٨).
(٤) (٢. الملوك ٢: ١١).
(٥) (التثنية ٣٤: ٦).
(٦) (سفر الحكمة ١: ١٤).
(٧) (أعمال ٢٣: ٨).
(٨) (متى ٢٢: ٣٢)، (مرقس ١٢: ٢٦)، (لوقا ٢٠: ٣٧، ٣٨).
(٩) (مرقس ١٢: ٢٧)، متى ٢٢: ٢٩).

كذلك تبينوا أن إيليا النبى الذى لم يره مرفوعاً إلى السماء فى مركبة من نار غير اليشع النبى وحده، رآه التلاميذ الثلاثة رأى العيان، فآمنوا بأنه مازال حياً، وأنه وإن لم يمت، فلأنه محجوزاً لرسالة سينزل لأدائها قبل مجىء يوم الرب العظيم المخوف (١) يوم الدينونة والجزاء الأخروى. ولقد وجدوا أيضاً جواباً على سؤالهم «لماذا يقول الكتبة إذن أن إيليا ينبغى أن يجىء أولاً؟. فأجاب يسوع وقال لهم:.... إن إيليا قد جاء فعلاً فلم يعرفوه، وإنما فعلوا به كل ما أرادوا.. وعندئذ فهم التلاميذ أنه كان يكلمهم عن يوحنا المعمدان» (٢).

فبرؤيتهم إيليا رأى العيان، تبينوا فعلاً أن ما قاله الرب بفم ملاخى النبى عن مجىء إيليا قبل مجىء الرب، يتجه إلى نزوله حياً قبل المجىء الثانى للمسيح، أما لماذا كان هناك الاعتقاد بأن إيليا يأتى قبل مجىء المسيح الأول، فقد وضح أن المقصود به هو يوحنا المعمدان الذى شابه إيليا، وتقدم أمام المسيح الرب «بروح إيليا وقوته» (٣).

وهنا أيضاً فى هذا الظهور لموسى وإيليا على جبل التجلى جواب على الذين يسألون عما إذا كان القديسون الراحلون إلى العالم الآخر يعلمون بما يجرى على الأرض، فلقد ظهر موسى وإيليا مع سيدهم وكانا يخاطبانه ويتكلمان معه عن «انطلاقه الذى كان مزمعاً أن يتممه فى أورشليم» فلم يكونا جاهلين بالأحداث الجارية وإنما كانا يتكلمان فى موضوع معروف لديهما وهما يتابعان من عالمهما كل ما يتصل به عن قرب.

وفى هذا الظهور لموسى وإيليا على جبل التجلى رد على سؤال يثار عادة، ما إذا كان القديسون المنتقلون يلتقون ببعضهم هناك فى عالم الروح. فقد اجتمع موسى وإيليا والتقيا على الرغم مما بينهم من عشرات الميئات من السنين.

ولقد كان اليهود يظنون فى المسيح أنه إيليا، أو إرميا أو واحد من الأنبياء (٤). وقد نقل التلاميذ إلى معلمهم ذلك الاعتقاد عندما سألهم فى قيصرية فيلبس «من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان». ومع أن سمعان بطرس اعترف له بقوله «أنت هو المسيح ابن الله الحى» بيد أنه هو ورفيقاه يعقوب ويوحنا إذ رأوا إيليا على جبل التجلى كما رأوا موسى إزداد يقينهم فى خطأ الظن

---

(١) (ملاخى ٤ : ٥).
(٢) (متى ١٧ : ١٠ - ١٣)، (مرقس ٩ : ٩ - ١٣).
(٣) (لوقا ١ : ١٧).
(٤) (متى ١٦ : ١٤)، (مرقس ٨ : ٢٨)، (لوقا ٩ : ١٩).

الذى ظنه اليهود فيه، وعاينوا بعيونهم أن المسيح ليس هو إيليا، وليس هو إرميا أو موسى أو أحد الأنبياء، إنما هو «رب المجد» وأنه رب الأنبياء وسيدهم وخالقهم.

كذلك عرف التلاميذ الثلاثة مكانة معلمهم وسيدهم بإزاء أعظم الأنبياء موسى وإيليا، والفارق الذى لا يعبر بين مجده ومجدهم، وهو الفارق بين السيد وعبيده.

وبظهور موسى الكليم وإيليا العظيم على جبل التجلى تحقق التلاميذ الثلاثة أن فادينا يسوع المسيح جاء متمما لما قاله الأنبياء من قبله، ومتوجاً ومكللا لشهاداتهم عنه. وإذن فلم يأت المسيح من فراغ، وإنما مكملا للحلقة الأخيرة فى سلسلة التاريخ المقدس فى تدبير الخلاص، إذ هو المخلص الذى رآه الأنبياء قديماً بالروح، أما الآن فقد رآه بالنيابة عنهم موسى وإيليا.

ولسنا نجد صعوبة فى ظهور إيليا فى الجسد على جبل التجلى، ذلك أن إيليا لم يمت، ولقد حملته مركبة من نار وخيل من نار حيا إلى السماء. أما أن يظهر موسى أمام التلاميذ، بعد موته، فى شكل منظور، على الرغم من أنه مات ودفن فى جبل نبو، فهذا يدل على إمكانية الأرواح فى أن تتجسد، غير أن الجسد الذى تتخذه لتظهر فيه، لابد أن يكون جسداً أثيرياً، جسداً شبيهاً بالجسد الذى تتخذه الملائكة عندما تظهر للبشر، كما حدث مثلا لإبراهيم الذى أضاف ملائكة وغسل أرجلهم، وأعد لهم مائدة(١)، وكما حدث ليعقوب عندما ظهر له ملاك فى شكل إنسان وصارعه (٢)، وكما ظهر الملاك لجدعون فى شكل رجل (٣)، وكما ظهر ملاك الرب لأم شمشون فى شكل رجل وبشرها بحبلها بشمشون (٤)، وكما ظهر ملاك الرب جبرائيل لزكريا الكاهن وبشره بحبل إمرأته بيوحنا المعمدان (٥)، وكما ظهر أيضاً ذلك الملاك بعينه للعذراء القديسة مريم (٦).

والجسد الأثيرى ليس من طبيعة أجسادنا، لكن الروح سواء كانت روح ملاك أو روح إنسان، تكونه من الأثير تكوينا مؤقتاً حتى يتحقق به القصد من ظهورها، ثم تصرفه بعد ذلك، ويختفى

---

(١) (التكوين ١٨ : ١٩).
(٢) (التكوين ٣٢ : ٢٤).
(٣) (القضاة ٦ : ١١، ١٢).
(٤) (القضاة ١٣ : ٣ ـ ٢٠).
(٥) (لوقا ١ : ١١ ـ ٢٠).
(٦) (لوقا ١ : ٢٦ ـ ٣٨).

من نـظر البشر الجسـدانيين. ألم يقـل الكتـاب المقدس أنه توجـد «أجسـاد سـماوية وأجسـاد أرضيـة؟ (١)

ولربما يكون من المتعذر علينا، إن لم يكن من المستحيل، أن نتصور السعادة العظمى التى عاشها التلاميذ الثلاثة على جبل التجلى فى حضرة المسيح الرب فى بهائه وجلاله «الأبرع والأبدع والأبهى جمالاً من بنى البشر(٢)»، وقد رأوا معه إثنين من أعاظم القديسين الراحلين، وبذلك أشرفوا على لمحة من سعادة القديسين التى سيحظون بها فى ملكوت السماوات.

لذلك كان بطرس الرسول سعيدا مع رفيقيه يعقوب ويوحنا بالبقاء طويلاً على جبل التجلى، وأبدى رغبة زميليه أن يمكثا على الجبل حيث كل هذه الأمجاد واللذات العقلية والروحانية، فأنشد - وهو الأكبر بينهم - يعبر بالأصالة عن نفسه، وبالنيابة عن شريكيه، عن رغبتهم فى طول الاستمتاع ببهاء المسيح ونور ضيائه قائلاً: «يارب، حسن لنا أن نكون هنا، فإن شئت فدعنا نصنع هنا ثلاث مظال: واحدة لك، وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا، إذ لم يكن يدرى ما هو قائل، فقد استولى عليه رعب شديد».

على أن عبارة «حسن لنا أن نكون هنا» تنم عن إحساس واضح ليس فقط بأن البقاء على جبل التجلى (جميل) فى ذاته، بل وأيضاً على أنه (خير) بالنسبة للتلاميذ أنفسهم ولذلك فإنهم يرحبون بهذا البقاء، ويرغبون فيه، ويتمنونه أن يدوم. ومع ذلك فقد طلب الرسول بطرس أن يسمح الرب لهم بأن يصنعوا ثلاث مظال: واحدة لربهم وسيدهم وواحدة لموسى، وواحدة لإيليا. ولم يطلبوا هذه المظال أو بعضها لأشخاصهم وإنما طلبوها للرب، ولموسى وإيليا. وفى هذا ما فيه من الاعتراف بسعادتهم، كما أن فيه إنكاراً لذواتهم، وبالتالى دليلا على روح الإيثار والغيرية فيهم.

ولا ندرى لماذا كانت الحاجة ماسة إلى مظال على جبل التجلى؟

إن بعض الآباء يقول إن التجلى قد تم ليلا، كما هى عادة المسيح فى خلواته على الجبال.

---

(١) (١ . كورنثوس ١٥ : ٤٠).

(٢) (مزمور ٤٤ : ٢).

يقول الإنجيل عن رب المجد يسوع بعد أن صنع معجزة إشباع الجموع من خمس الخبزات والسمكتين: «ومالبث يسوع أن ألزم تلاميذه بأن يركبوا السفينة ويسبقوه إلى الضفة الأخرى ريثما يصرف الجموع، حتى إذا صرف الجموع صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى. فلما جاء المساء كان هناك وحده (١) . ويقول الإنجيل أيضاً فى مناسبة أخرى «وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى. وقضى الليل كله فى الصلاة» (٢) .

وعلى ذلك فالراجح أن يكون التجلى قد حدث ليلا، لا سيما أن الإنجيل للقديس لوقا يقول «وصعد إلى جبل ليصلى، وفيما هو يصلى تغير منظر وجهه...» (٣) .

فإذا كان التجلى قد صار ليلاً، فماذا كانت الحاجة إلى مظال؟

لعل القديس بطرس عندما رأى فى مبدأ الأمر نور المسيح وقد أضاء وجهه وثيابه حتى صارت متألقة بيضاء ناصعة البياض كالثلج، ظن - وهو فى غيبة عن عقله الواعى «إذ لم يكن يدرى ما هو قائل، فقد استولى عليه رعب شديد» إذ كان مبهوراً بالنور الوهاج - أن النور نور الشمس أو نور نجم آخر أقوى من الشمس وأقرب، فصاح يقول «فدعنا نصنع ثلاث مظال» وهذا بينة فى ذاته على شدة ذلك النور وقوته حتى إنه بدأ فى الليل الحالك وكأنه نور الشمس أو نور نجم أقوى من الشمس وأعظم. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا بينة على لاهوت المسيح. فما من بشر يمكن أن يصدر عنه نور كذاك النور الذى انبعث من المسيح له المجد.

وهناك من المؤلفين والدارسين من عتب على القديس بطرس أو لامه على رغبته فى البقاء على جبل التجلى وقوله «حسن لنا أن نكون هنا» ورأى فى قوله هذا نوعاً من الأنانية تبدو فى نسيانه مسؤولياته التى تقتضيه النزول من جبل التجلى للعمل فى العالم بين الناس والقيام بمقتضيات الخدمة الروحية فى سبيل خلاص النفوس.

ولقد عبر القديس بولس الرسول عن حيرة نفسه بين رغبتين جامحتين تتنازعانه: كل منهما لها فى نفسه جاذبيتها ووجاهتها، قال.. لأن الحياة لى هى المسيح، والموت ربح لى. ولكن إن كانت الحياة فى الجسد هى لى ثمر عملى فلست أدرى ماذا أختار. فإنى محصور بين الإثنين:

---

(١) (متى ١٤: ٢٢، ٢٣) ، (مرقس ٦: ٤٥ - ٤٧)، (يوحنا ٦: ١٥، ١٦) .

(٢) (لوقا ٦: ١٢) .

(٣) (لوقا ٩: ٢٨ ، ٢٩) .

لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح، وذاك أفضل جداً ولكن أن أبقى فى الجسد أشد لزوماً من أجلكم. فإذ أنا واثق بهذا أعلم أنى سأمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان» (١).

ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نلوم القديس بطرس على رغبته فى البقاء على جبل التجلى، فقد سبى جمال الوجود فى تلك الحضرة المقدسة عقله، وانطلق لسانه معبراً عن شعوره بالسعادة القصوى «إذ لم يكن يدرى ما هو قائل». وهذا وحده يكفينا ليصور لنا بلغة واحد منا بشرى، جمال الحياة الأبدية التى سيحياها القديسون فى فردوس النعيم ثم فى الملكوت الأبدى مع الله، والتى رأى القديس بطرس ورفيقاه، لمحة منها على جبل التجلى «كما هو مكتوب مالم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه» (٢).

على أنه كان جميلاً من الرسول بطرس قوله لسيده المسيح: «فإن شئت، فدعنا نصنع». فهو لم يفرض على الرب ما يبدو له حسناً لهم، وإنما ترك الأمر للمشيئة الإلهية. فكثيراً ما يشاء الإنسان غير ما يشاء الله ويشاء الله غير ما يشاء الإنسان. وقد تتفق المشيئتان وتتحدان أحياناً، ولكن قد تختلفان وتفترقان وتتعارضان فى أحيان أخرى. ومن الخير للإنسان التقى البصير الذى يؤمن بعمق حكمة الله وجمال تدبيره وكماله، وشمول خيريته وجودته، وعلمه الكامل بالحاضر والمستقبل، أن يفصح لله عن رغبته ومشيئته، ثم يطرحها فى اتضاع بين يدى خالقه وسيده، ويسأله فى إيمان أن يصنع حسب مشيئته ما يحسن فى عينيه، ويقول «لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك» (٣).

كذلك كان حلوا من بطرس قوله «فلنصنع». إنه لم يشأ أن يستأثر بصنع المظال بمفرده، بل أشرك معه زميليه، فلا يكون له وحده شرف العمل، وإنما جعل نفسه واحداً منهم، ولم يبرز ذاته على حساب رفيقيه. على جبل التجلى، وأمام روعة الجمال الإلهى، نسى بطرس ذاتيته، وأنيته، واندمجت ذاته فى ذوات الجماعة. أما فى ليلة آلام معلمه وسيده فنسى فضيلة فناء الذات، فبرزت ذاته فى حدة الاحساس بها عندما قال للمخلص «إن شك فيك الجميع فأنا لن أشك أبداً» (٤).

---

(١) (فيلبى ١ : ٢١ ـ ٢٥).
(٢) (١ . كورنثوس ٢ : ٩).
(٣) (لوقا ٢٢ : ٤٢)، (مرقس ١٤ : ٣٦)، (متى ٢٦ : ٤٢).
(٤) (متى ٢٦ : ٣٣)، (مرقس: ١٤ : ٢٩).

وقد أخذ من ذلك درساً قاسياً لا ينسى، كان كلما ذكره يبكى ويحزن (١).

ولم يجد بطرس جواباً لسؤاله، إذ هو نفسه «لم يكن يعى ما يقول». ولم تكن ثمة حاجة إلى مظال، فقد كان الوقت ليلاً، كما أن النور لم يكن ساقطاً عليهم من شمس وإنما كان منبعه وإشراقه من المسيح الرب «شمس البر والشفاء فى أجنحتها(٢).

قال الإنجيل المقدس إن التلاميذ الثلاثة من فرط سطوع النور والبهاء «كانوا مثقلين بالنوم، فلما أفاقوا رأوا مجده، والرجلين (موسى وإيليا) الواقفين معه (٣)».

بينما بطرس الرسول يطلب ثلاث مظال، إذا بمظلة كبيرة هى سحابة عظيمة كبيرة من نور ظهرت وظللتهم أو بالأحرى غمرتهم بنور آخر مضاف إلى نور المسيح المشرق من وجهه والذى أضاء ثيابه فصارت براقة كالنور، متألقة ناصعة البياض كالثلج، فأضافت نوراً على نور... ولم تكن هذه السحابة ظاهرة طبيعية، ولم تكن من نوع السحاب الغائم الذى يمنع النور، لكنها كانت سحابة نورانية من عالم الروح، سحابة هى مركبة من نور للجالس على الكاروبيم، ووجودها مظهر للتجلى الإلهى، تجلى الآب السماوى، أنها «مجد الرب قد ظهر فى السحاب» (٤)، فعندما أراد الله أن يتجلى على جبل سيناء ليعطى النبى موسى شريعته «نزل الرب فى السحاب» (٥). ويقول النبى فى مزاميره «أيها الرب إلهى لقد عظمت جداً. مجداً وجلالاً لبست. أنت الملتف بالنور كرداء... الجاعل السحاب مركبة له، السائر على أجنحة الريح» (٦)، ويقول أيضاً «الرب قد ملك ... السحاب والضباب من حوله» (٧). وجاء فى سفر نبوءة ناحوم «الرب فى الزوبعة... والسحاب غبار رجليه» (٨).

---

(١) (متى ٢٦: ٧٥)، (يوحنا ٢١: ١٧).
(٢) (ملاخى ٤: ٢).
(٣) (لوقا ٩: ٣٢).
(٤) (الخروج ١٦: ١٠).
(٥) (الخروج ٣٤: ٥)، (العدد ١٢: ٥).
(٦) (مزمور ١٠٣: ١-٣).
(٧) (مزمور ٩٦: ٢).
(٨) (ناحوم ١: ٣).

أنظر أيضاً (١).

وتوكيداً على أن الرب الإله فى السحاب وأن السحاب بينة على الحضور الإلهى، «وإذا صوت جاء من السحابة يقول: «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. فله اسمعوا». وكان هذا الصوت صوت الله الآب يشهد للابن الملتحف بالنور، والمضىء وجهه بنور أشد لمعاناً من نور الشمس وهى فى اشتدادها: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. فله اسمعوا.

أليست هى بعينها الشهادة التى شهد بها الله الآب عن المسيح فى يوم عماده من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن «وإذا السماوات تنشق، والروح ينزل فى هيئة جسمية، فى شبه حمامة، ويستقر على رأسه، وكان صوت من السماء يقول: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (٢).

إذن قد كان فى التجلى توكيد وتأييد وتكرار للشهادة عينها التى شهد بها الله الآب عن المسيح له المجد أنه: (الابن الحبيب).

وإذا قال (الابن)، فمعنى البنوة هنا هو (البنوة الروحية) لأن الله روح (٣)، ومن ثم فالله لايلد الولادة الجسدانية المادية المعروفة فى عالم الإنسان والحيوان، وإنما البنوة هنا للدلالة على أن (الكلمة المتجسد) هو من طبع الله الآب ومن جوهره (٤)، وأنه ضياء مجده وصورة جوهره. ولذلك قال المسيح «من رآنى فقد رأى الآب (٥) »، فالمسيح هو «صورة الله غير المنظور (٦)»، وبهذا المعنى نفهم البنوة فى قوله «هذا هو ابنى الحبيب».

ويقول بعض آباء الكنيسة، لقد كان التجلى على الجبل فرصة أخرى لتوكيد (الظهور الإلهى) الذى تجلى فى عماد المسيح فى نهر الأردن. فالله الآب يشهد عن المسيح المتجلى «هذا هو ابنى الحبيب...»

---

(١) (إشعياء ١٩ : ١)، (مراثى إرميا ٣ : ٤٤)، (مزمور ١٧ : ٩)، (٩٨ : ٧)، (متى ٢٤ : ٣٠)، (٢٦ : ٦٤)، (مرقس ١٣ : ٢٦)، (١٤ : ٦٢)، (الرؤيا ١ : ٧).

(٢) (مرقس ١ : ١٠، ١١)، (لوقا ٣ : ٢١، ٢٢)، (متى ٣ : ١٦، ١٧).

(٥) (يوحنا ١٤ : ٩).

(٦) (كولوسى ١ : ١٥).

على أن فى التجلى إضافة جديدة لها دلالتها فى قوله «فله اسمعوا». وإذا كان هذا الصوت من الله الآب صوت (شهادة) فهو أيضاً (أمر) للتلاميذ بالطاعة لصوته والعمل بوصاياه، حتى يحملوا رسالته إلى أقطار المسكونة، وأن يكونوا هم بعد صعوده إلى السماء امتداداً لدعوته ورسالته، يسمع الناس منهم تعاليمه التى أودعهم إياها، ويرى الناس فيهم صورته وسيرته. ولقد قال المسيح له المجد لتلاميذه «من سمع منكم فقد سمع منى (١)»، والسمع المقصود هنا ليس مجرد الإصغاء بالآذان، وإنما بالأحرى الطاعة للصوت بالقبول والإذعان (٢).

ولابد أن الصوت الذى سمعه التلاميذ الثلاثة آتياً من السحابة كان رهيباً، لأنه لم يكن صوت إنسان. كان هو صوت الله الآب جل جلاله. وقد وصف القديس بطرس الرسول هذا الصوت الذى سمعوه على جبل التجلى بأنه «من المجد الأسنى» وأنه كان «مقبلاً من السماء». قال يتذاكر التجلى وما كشفه التجلى من عظمة معلمه وجلاله «لأننا لم نتبع خرافات مصنعه، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين جلاله، لأنه أخذ من الله الآب الكرامة والمجد، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. وقد سمعنا نحن هذا الصوت مقبلاً من السماء، حين كنا معه فى الجبل المقدس (٣)».

ونحن لا نستطيع أن نتبين قوة (الصوت) الذى سمعه التلاميذ على جبل التجلى وما صاحبه من جلال وعظمة وجمال وما أحدثه فيهم وفى كل الجبل. إنه أمر نعجز نحن عن تصوره، وليس فى مقدورنا أن نتخيله أو ندركه. أما التلاميذ فقد سمعوه واضحاً قوياً رهيباً، وإن لم ينقلوا إلينا فى كتاباتهم ما يعيننا على تصوره على حقيقته كما سمعوه هم. فالقديس بطرس لم يزد على أن هذا الصوت (من الله الآب) وأنه (صوت من المجد الأسنى) وأنهم عندما سمعوه أدركوا أنه كان (مقبلاً من السماء). والقديس يوحنا لا يزيد على قوله «الذى كان من البدء، الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه، ولمسته أيدينا.... فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذى رأيناه، وسمعناه

---

(١) (لوقا ١٠ : ١٦).
(٢) (متى ١٠ : ٤٠)، (يوحنا ١٣ : ٢٠).
(٣) (٢ . بطرس ١ : ١٦ ـ ١٨).

نخبركم به (١)، وقال أيضاً «وقد أبصرنا مجده (٢)».

غير أننا نقرأ فى الإنجيل أنهم عندما سمعوا الصوت الرهيب ارتاعوا وارتموا على وجوههم سجداً وامتلأوا رعدة وجزعا «فلما سمع التلاميذ هذا سقطوا على وجوههم، وخافوا جداً (٣)».

كذلك قال القديس بولس الرسول «رأيت فى نصف النهار فى الطريق... نوراً من السماء يفوق لمعان الشمس قد أبرق حولى وحول الذاهبين معى.. فسقطنا جميعنا على الأرض (٤)»، ويقول أيضاً «والذين كانوا معى نظروا النور وارتعبوا (٥)». ولقد عبر القديس يوحنا الإنجيلى فى رؤياه تعبيراً أشد روعة عندما رأى المسيح له المجد وسمع صوته «صوتاً عظيماً كصوت بوق (٦)» قال «سقطت عند رجليه كالميت (٧)».

وعلى الرغم من أن يوحنا قد رأى الرب يسوع على جبل التجلى قبل أن يراه فى رؤياه، وكان من المتوقع أن يكون قد ألف بهاءه وجلاله واعتاده، فإنه يصف رؤياه فى المرة الثانية وصفاً أقوى فيقول «سقطت عند رجليه كالميت» مما يدل على أن البهاء الذى رآه القديس يوحنا فى رؤياه كان أعظم من البهاء الذى رآه على جبل التجلى. وهذا بينة على أن المسيح بقدرة لاهوته كان يتحكم فى قدر البهاء والمجد الذى يسمح بظهوره لتلاميذه على قدر ما تحتمل قواهم وعلى قدر ما يريد هو. ثم لأن المسيح عندما رآه يوحنا فى المرة الثانية كان قد صعد إلى السماء بعد أن تمم الخلاص، ودخل إلى مجده(٨)، واسترد صورة البهاء والمجد التى كانت له منذ الأزل (٩)، والتى أخلى نفسه منها (١٠) عندما نزل من السماء (١١) ليقوم بعمل الفداء بديلاً عن الإنسان (١٢).

ولذلك أشفق الرب على تلاميذه الثلاثة بعد أن سقطوا على وجوههم من شدة الخوف، وأخفى بهاءه الذى كشف لهم لمحة منه، وتقدم نحوهم وهم على الأرض مرتعبين مرتاعين

---

(١) (١. يوحنا ١ : ١، ٢).

(٢) (يوحنا ١ : ١٤).

(٣) (متى ١٧ : ٦).

(٤) (أعمال ٢٦ : ١٣، ١٤)، (٩ : ٤)، (٢٢ : ٧).

(٥) (أعمال ٢٢ : ٩).

(٦) (الرؤيا ١ : ١٠)، (٤ : ١).

(٧) (الرؤيا ١ : ١٧).

(٨) (لوقا ٢٤ : ٢٦).

(٩) (يوحنا ١٧ : ٥).

(١٠) (فيلبى ٢ : ٧).

(١١) (يوحنا ٣ : ١٣).

(١٢) (إشعياء ٥٣ : ٥ـ٨).

«فجاء يسوع إليهم ولمسهم قائلاً : قوموا لا تخافوا، حتى إذا رفعوا أعينهم نظروا حولهم فلم يروا معهم أحداً إلا يسوع وحده».

نعم، لقد رأى الرب أن تلاميذه لا يحتملون أكثر من هذا، وأن مزيداً من البهاء والجمال والجلال والصوت الإلهى الرهيب ليس فى مقدورهم إحتماله. لذلك منع ظهور بهائه، وأخفى مجد لاهوته عنهم. فجاء إليهم ولمسهم... ومما تجدر ملاحظته أنه هو الذى جاء إليهم، إذ رآهم فى حاجة إلى مجيئه... تلك هى صورة الحب التى قدمتها لنا المسيحية فى شخص المسيح. لقد كان الله فى مفهوم اليونان والرومان قبل المسيح، إلهاً أو آلهة تسكن أعالى الجبال وما وراء الجبال، ولا تحفل بالبشر ولا تبالى بآلامهم وأحزانهم.

أما المسيحية فقدمت لنا الله الذى جاء إلى البشر، ونزل إليهم، ليشاركهم حياتهم وآلامهم ويتلامس معهم فى أحزانهم فقال المسيح: وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل (١)، وقال الرسول بولس عنه «إذن إذ قد اشترك الأبناء فى اللحم والدم اشترك هو كذلك فيهما(٢) ....».

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى ينزع المسيح الخوف من تلاميذه ويطمئنهم بوجوده معهم بقوله: «لا تخافوا». فمرة «رآه تلاميذه ماشياً على البحر فاضطربوا قائلين: إنه شبح. وصرخوا من الخوف. فكلمهم يسوع فى الحال قائلاً: اطمئنوا. أنا هو. لا تخافوا (٣)».

أنظر أيضاً (٤).

إن المسيح لم يكتف بأن يقول لتلاميذه من بعيد، «لا تخافوا» إنما جاء إليهم بنفسه ولمسهم، وقال «قوموا لا تخافوا»... وبهذا رسم للخدام ولجميع المصلحين والمعلمين أنه لا يكفى أن يلقى الخادم أو المعلم النصح من بعد، ولكن من أهم صفات المعلم الصالح أن يتحرك نحو من يخدمهم، فيجيء إليهم بروح الأبوة، ويقترب إليهم كطبيب، راثيا لحالهم ليرفعهم بيده من الهوة التى ترددوا فيها، ثم يلمسهم بيده حانياً عليهم، يمد يده لمعونتهم ويلمسهم بها لمسة حنان وشفقة

---

(١) (يوحنا ١٠ : ١٠). (٢) (العبرانيين ٢ : ١٤).
(٣) (متى ١٤ : ٢٦، ٢٧) ، (مرقس ٦ : ٤٩، ٥٠)، (يوحنا ٦ : ١٩، ٢٠).
(٤) (لوقا ١٢ : ٣٢) ، (٨: ٥٠) ، (مرقس ٥: ٣٦).

ومودة ورحمة، ومن يده تسرى إليهم محبته فتنعشهم بالأمل وتنفث فيهم الرجاء، تشفيهم وتردهم إلى الحياة.

نهض التلاميذ مبهورين، فآمنوا وأيقنوا وعلموا أن سيدهم ومعلمهم (هو المسيح الله ابن الله الحى)، وأنه حقاً (نزل من السماء)، وأنه (كان ولم يزل على الكل إلهاً مباركاً إلى أبد الدهور(١))، وأن «فيه يحل كل كمال اللاهوت جسدياً (٢)»، وأنه قبل أن يكون (ابن مريم) و(ابن الإنسان) هو الله (الكلمة) وهو (ابن الله) المتجسد. ولكنهم «لزموا الصمت»، كما أوصاهم ولم يخبروا أحداً فى تلك الأيام بشىء مما رأوا «طاعة لأمره»: «لا تخبروا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من بين الأموات». لكنهم وإن كتموا الأمر فى أنفسهم، إلا أنهم «أخذوا يتساءلون فيما بينهم: ما القيامة من بين الأموات»؟

---

(١) (رومية ٩:٥).

(٢) (كولوسى ٢:٩).

عيد التجلى (١)

عيد التجلى هو أحد أعيادنا السيدية نظراً لأن ربنا يسوع المسيح كشف فيه عن جلاله ومجده وجماله. فمعروف أن سيدنا يسوع المسيح من أجل أن يخلص الإنسان نزل من السماء ولكى يجعل فى قدرة الناس أن يروه ولا يحترقوا بلاهوته، احتجب فى جسد إنسان، فصار لاهوته محجوباً عن الإنسان وتمشى بين الناس كأنه إنسان. ولذلك كان دائماً يتكلم عن نفسه بصفته ابن الإنسان أى بصفته ابن مريم الذى أخذ صورة الإنسان. وإذا قاربت مهمة المسيح على نهايتها أراد أن يكشف عن حقيقته لتلاميذه وللمؤمنين به.

قبل الصعود على جبل التجلى سأل المسيح تلاميذه فى نواحى قيصرية فيلبس من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟ فقالوا: إن قوماً يقولون إنك يوحنا المعمدان، وآخرين إنك إرميا أو أحد الأنبياء. فقال لهم: وأنتم من تقولون إنى هو؟ إنه يريدهم أن يعرفوا حقيقته من هو لأنه جاء مختبئا فى جسم البشرية. لكن لأن مهمته كادت أن تنتهى بالصليب فيريد أن يعرفهم بذاته ويكشف لهم عن حقيقته. فسمعان بطرس باعتباره أكبر الرسل سناً ودائماً كان المتقدم فى الكلام قال له: «أنت هو المسيح الله ابن الله الحى. فقال له الرب يسوع. مبارك أنت يا سمعان بن يونا لأنه ليس لحماً ودماً هو الذى كشف لك هذا وإنما أبى الذى فى السماوات. وأيضاً أقول لك أنت بطرس، وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى»، على صخرة الإيمان بحقيقة المسيح أنه ابن الله الحى. ولكن لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان ولكن بمعنى أنه الصورة الحقيقية لله غير المنظور...، إن الله غير المنظور صار منظوراً فى المسيح، فالمسيح إذن هو ابن الله بهذا المعنى، بمعنى أنه من طبيعة الآب، ومن جوهره، نور من نور، إله حق من إله حق. هذا هو معنى أنه ابن الله أى لابمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان حاشا... إنما بمعنى أنه من طبيعة الآب ومن جوهره، وأنه الصورة المنظورة لله غير المنظور. وقد قال المسيح: «الله

---

(١) ألقيت: بكنيسة مارجرجس بدير مارجرجس - بسدمنت صباح يوم الأحد الموافق ١٩ من أغسطس لسنة ١٩٧٩م - ١٣ من مسرى لسنة ١٦٩٥ ش.

لم يره أحـد قط، يعنى أن أحـداً لم ير اللاهوت ولكن الابن الذى فى حـضن الآب أى (فى ذلك الآب) هو الذى خبر أو أنبأ عنه (يوحنا ١ : ١٨) وكما قال الرسول بولس فى رسالته إلى كولوسى والأصحاح الأول إن المسيح هو صورة الله غير المنظور (١ : ١٥) يعنى أن من رآه فقد رأى الله غير المنظور. وهذا ما قاله المسيح نفسه «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ : ٩). من رآنى فقد رأى الآب يعنى بهذا أنه صورة الله غير المنظور. فبطرس الرسول قال أنت هو المسيح ابن الله الحى. بعد هذا الاعتراف الصريح الذى نادى به القديس بطرس الرسول معبراً عن رأى التلاميذ أيضاً تكلم المسيح له المجد مع تلاميذه على أنه ينبغى أن يصلب وأن يمتهن من اليهود وشيوخ الكهنة والكتبة والفريسيين ويحكموا عليه بالموت ثم يقوم من بين الأموات. كلمهم إذن عن صلبه وكلمهم عن قيامته. وبعد ذلك قال لهم سيأتى ابن الإنسان فى مجده مع ملائكته القديسين ويجازى كل واحد على حسب أعماله. أى أنه بعد الإعتراف تكلم عن صلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء وعن مجيئه الثانى الذى فيه يدين الأحياء والأموات. وبعد ذلك أراد أن يعطيهم بينة على هذا المجد الذى له والذى أخلى نفسه منه من أجل أن يخلص الإنسان. فأراد أن يأخذ بعضاً من تلاميذه كعينة ليشاهدوا لمحة من مجده الحقيقى الذى أخلى نفسه منه. وهذا هو السبب الأساسى لماذا صعد المسيح ببعض تلاميذه إلى جبل التجلى ليريهم لمحة من مجده ويعرفهم بحقيقته، توكيداً لما قال لهم قبل ذلك من أنه سيموت وسيقوم من بين الأموات وسيصعد إلى السماء وسيأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، ويأتى فى ملكوته بقوة. وبعد ذلك قال لهم: الحق أقول لكم إن بعض الواقفين الحاضرين هنا لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته. فكان هذا وعداً بأن بعضاً من تلاميذه الواقفين والحاضرين معه سيرون لمحة من مجده، فوفاء بهذا الوعد، وبراً بهذا الوعد، أخذ بعضاً من تلاميذه، ثلاثة منهم، ليريهم لمحة من هذا المجد، ولكنه شاء أن يفى بالوعد بعد ستة أيام من هذا الكلام. أما إنجيل لوقا فقد قال «بنحو ثمانية أيام»، على أساس أنه حسب اليوم الذى وعد فيه المسيح هذا الوعد بأن يكشف عن مجده، وأيضاً اليوم الذى صعد فيه والذى أظهر فيه مجده على جبل التجلى: فأصبح هنا ثمانية أيام:

ستة أيام متوسطة + اليوم الأول الذى وعد به، + اليوم الذى وفى فيه بالوعد، فأصبح ثمانية أيام. وبهذا يتبين أنه لم يكن هناك خلاف بين كتبة الأناجيل فيما يتصل بهذه الأيام التى توسطت بين الوعد وبين تحقيق الوعد.

ولكن لماذا تأخر المسيح عن الوفاء بوعده ستة أيام، ولماذا لم يصعد فوراً على جبل التجلى؟... ذلك لأنه لم يرد أن يأخذ معه كل التلاميذ، لأن هذه المسألة كان يريدها أن تبقى سراً لا يعلم به الكل، إنما يعلم به بعض تلاميذه، ولذلك فقد طلب فعلاً من هؤلاء التلاميذ الثلاثة فيما هم كانوا نازلين من الجبل أن لا يعلموا أحداً بما رأوه إلا متى قام من بين الأموات. لأن السياسة العامة لربنا يسوع المسيح كانت إخفاء لاهوته، لأنهم لو عرفوه على حقيقته لتعطل الصليب، وهذا هو ماقاله الرسول القديس بولس «لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد» (١. كورنثوس ٢ : ٨) فكان لابد أن يخفى لاهوته، وكان لابد أن يخفى تدبيره حتى يتم عمل الصليب. ومع هذا أراد أن يبين لتلاميذه حقيقة من هو. ولكنه لم يكشف هذا لكل تلاميذه، وإنما أراد أن يكشفه لثلاثة منهم. وحتى لا يقع الباقون فى حرج، لذلك أخر الوفاء بالوعد ستة أيام وحتى لا يكون بين هؤلاء يهوذا الاسخريوطى أو الأشخاص الآخرون الذين قد يترتب على معرفتهم إذاعة الخبر. بينما أنه كان فى تدبيره أن لا يذاع هذا الخبر إلا بعدما يقوم من بين الأموات.

وهؤلاء هم التلاميذ الثلاثة الذين كانوا دائماً يختصهم بالأمور التى لها دلالة خاصة. فنحن نرى أنهم التلاميذ الثلاثة الذين سمح لهم أن يدخلوا معه إلى بيت يايرس رئيس المجمع ليقيم ابنة يايرس من بين الأموات. فلم يسمح لأحد أن يدخل معه البيت إلا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبو الصبية وأمها... وهؤلاء هم التلاميذ الثلاثة الذين أخذهم معه فى صراعه فى بستان جثسيمانى. فقد أخذ معه إلى البستان جميع تلاميذه ثم أخذ ثلاثة منهم على مسافة قريبة منهم، وبعد ذلك ابتعد عن تلاميذه هؤلاء الثلاثة وأبتدأ يصلى الصلاة المذكورة قبيل صلبه أو فى ليلة آلامه. وهذا لا يرجع بالطبع إلى نوع من التحيز أو نوع من المحاباة للتلاميذ الثلاثة دون

الباقين، ولكن نظراً لما رآه المسيح فى هؤلاء الثلاثة من إمكانية أن يكونوا موضع ثقته أكثر من الباقين، وذلك لما فيهم من صفات ومؤهلات تجعلهم أكثر التلاميذ أهلية لأن يضع المسيح ثقته فيهم خصوصاً بالنسبة للأمور التى يريدها أن تكون سرية أو محجوبة عن الباقين. ولقد اختصهم أن يكونوا شهوداً على تجليه، أما بطرس فباعتباره أكبر الرسل سناً، وأما يوحنا فلأنه أصغرهم سناً، وأما يعقوب فلأنه أول شهيد من بين الإثنى عشر سيستشهد على اسم المسيح، وهو يعقوب الكبير ابن زبدى. ويمكن أن نقول إن هذا الاختيار مبنى على أن بطرس الرسول معروف بإيمانه ومعروف باعترافه وجرأته فى هذا الاعتراف، وأما يوحنا فمعروف ببتوليته وطهارته، وأما يعقوب فمعروف بغيرته حتى إن المسيح مرة سماه هو ويوحنا (بوانرجس) أى ابنى الرعد. كان هذان الإثنان مشهورين بالغيرة المتقدة الملتهبة... فأساس الإنتقاء والاختيار لهؤلاء التلاميذ إذن هو أن بطرس يتميز بالإيمان والاعتراف الصريح الصحيح السليم، ويوحنا يتميز ببتوليته وصغر سنه، ويعقوب يتميز بغيرته ولذلك كان هو أول شهيد من بين الإثنى عشر قتله هيرودس بالسيف كما يتضح من الأصحاح الثانى عشر من سفر الأعمال.

صعد بهم المسيح له المجد إلى جبل عال، وهذا الجبل عرف بأنه جبل طابور. وفى كتب الكنيسة سمى بطابور، وجبل تابور جبل فى الجنوب بعيد عن قيصرية فيلبس لأن قيصرية فيلبس كانت فى الشمال. وأما جبل طابور فهو فى الجنوب، وهذا سبب آخر لماذا أخر المسيح لمدة ستة أيام تحقيق الوعد الذى وعد به تلاميذه بأن بعضاً منهم لن يذوقوا الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً فى ملكوته...

صعد إلى جبل عال جداً. ويقول الإنجيل إن هيأته تغيرت. والتعبير المستخدم فى الكتاب المقدس عن تغير هيأته معناه تغير منظر وجهه أولاً، فما معنى تغير منظر الوجه؟

معناه أن وجهه أضاء كالشمس، كالشمس وهى فى اشتدادها وقوة سطوعها. ومما تجدر ملاحظته أن إضاءة وجه المسيح لم تأت من خارج وإنما أتت من باطن...

إن موسى النبى صعد على الجبل وكلم الله، فرأى بهاء الله، وسقط على وجهه هذا البهاء، فلمع وجهه. ولكن فرق بين لمعان وجه موسى وبين ما حدث على جبل التجلى بالنسبة للسيد المسيح... لقد لمع وجه موسى لأن البهاء وقع على وجهه،... لأن موسى أخذ الإنارة من الله. أما فى المسيح فشيىء آخر.. لقد تغير منظر وجهه وأشرق وجهه كالشمس.. ولم يقل الكتاب المقدس عن موسى إن وجهه أشرق كالشمس فى شدتها وقوتها، وإنما لمع وجهه... مجرد لمعان لوجهه، نظراً لإنعكاس النور عليه... إنما المسيح كان نوره من باطن، لم يلمع على وجهه نور، وإنما النور أتى منه... لأنه هو النور الحقيقى الذى يضىء لكل إنسان آت إلى العالم.... مثله مثل الفرق بين نور الشمس ونور القمر... فالقمر جسم معتم، فإذا كنا نراه منيراً، فالنور ليس منه، وإنما هو نور الشمس منعكساً عليه... هذا هو بالضبط وضع موسى النبى... إن موسى النبى كإنسان، النور الذى لمع على وجهه ليس منه... إنما كان من الله الذى كان يكلمه لأنه قال له : أنا أجيز جميع جودتى أمامك... ويكون إذا مر مجدى أنى أجعلك فى نقرة الصخرة، وأظللك بيدى حتى أجتاز، ثم أزيل يدى، فتنظر... وأما وجهى فلا يرى... فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش، (الخروج ٣٣ : ١٩ ـ ٢٣) . فمن وقع بهاء الرب على وجه موسى، لمع وجهه. أما المسيح فشىء آخر... إن وجهه أضاء كالشمس لأنه هو النور الحقيقى (يوحنا ١ : ٩)، (١ . يوحنا ٢ : ٨) فالنور آت من باطن، آت منه بإعتباره مصدر النور ونبع النور... وهذا طبعاً يرينا السبب، لماذا رأى المسيح أن يتجلى على الجبل؟ إنه تجلى لكى يكشف عن حقيقته، وهذا هو معنى التجلى.

ما معنى التجلى؟ التجلى معناه الكشف... وتجلى معناه أنه أظهر الشىء المحجوب وكشفه... فالنور الذى كان فى المسيح كان محجوباً، وكان المسيح حاجباً نوره بناسوته، «لأن إلهنا نار آكلة، (التثنية ٤ : ٢٤) وكما يقول الكتاب المقدس «من منا يسكن فى النار الآكلة، ومن منا يسكن فى المواقد الأبدية (إشعياء ٣٣ : ١٤) . فكان لابد لله أن يحتجب. ولكن لما أراد أن يعرف تلاميذه والمؤمنين من هو، كشف هذا الحجاب، فظهر وجهه مضيئاً كالشمس وهى فى

اشتدادها. ويبدو أن النور الذى أضاء من وجه المسيح كان أعظم من الشمس. لأن الكتاب المقدس يقول إن تلاميذه سقطوا على الأرض، علماً بأننا جميعاً نرى الشمس ومع ذلك لا يسقط الإنسان منا على الأرض لذلك يبدو أن نور المسيح الذى ظهر على جبل التجلى كان أعظم من نور الشمس فى اشتدادها، حتى إن تلاميذه من بهائه سقطوا على الأرض وأيضاً تثقلت عيونهم بالنور بمعنى أنه حصل من شدة النور وشدة البهاء أن لم تستطع عيونهم أن تحملق فيه، فأصابهم النوم. وكل هذا يبين لنا كيف رأى التلاميذ الثلاثة عظمة المسيح وعاينوا جلاله، حتى أنهم من جهة سقطوا على الأرض، ومن جهة أخرى فإن عيونهم غشيت... عيونهم غشيت من بهائه... هذا المعنى نتذكره فيما يرويه القديس بولس الرسول لما ظهر له المسيح فى طريقه إلى دمشق فمن شدة البهاء والنور عمى واستمر ٣ أيام أعمى. ماسر هذا العمى؟ سره شدة النور وشدة البهاء التى ليس فى قدرة عين الإنسان أن تواجهها. وهذا بينة على أن نور المسيح كان أشد من نور الشمس.

لقد كشف المسيح له المجد بهاء لاهوته على جبل التجلى ولقد صارت ثيابه بيضاء كالنور ومتألقة كالبرق، ناصعة البياض كالثلج، مشعة بالنور حتى ليعجز أى قصار على الأرض أن يجعلها فى مثل بياضها. وإذن لم يكن هذا البياض من نوع عادى مألوف، وإنما كان براقا ومشعاً بالنور بصورة ليس لها نظير. وهذا كله طبعاً من فيض النور إذ لما أراد المسيح أن يكشف عن حقيقته لتلاميذه وأن يريهم لمحة من مجده أزاح الستار، وكشف الحجاب، وأماط اللثام، عن هذا المجد فظهر النور الحقيقى... هو نور، نعم إن إلهنا نور... إلهنا نور ونار آكلة.. لقد كشف عن هذا المجد بتجليه ولذلك لم يستطع تلاميذه الثلاثة بتاتاً أن ينسوا هذا النور الجميل والبهاء الأسنى من وجهه وثيابه فقد ورد فى فصل الكاثوليكون الذى قرىء اليوم ما قاله القديس بطرس الرسول عن عظمة معلمه وجلاله «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين جلاله لأنه أخذ من الله الآب الكرامة والمجد إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. وقد سمعنا نحن هذا

الصوت مقبلاً من السماء حين كنا معه فى الجبل المقدس» (٢ بطرس ١: ١٦ ـ ١٨) فالقديس بطرس الرسول فى هذه الرسالة يشير إلى التجلى الذى تمتع به هو وزميلاه يعقوب ويوحنا ويقول أننا «قد كنا عاينا مجده، عاينا عظمته وجلاله، إذ كنا معه فى الجبل المقدس... وأصبح لهذا السبب جبل طابور، جبلاً مقدساً لأن الله قد حل عليه، من أجل هذا أيضاً نجد أن المزمور الذى يتلى اليوم قبل قراءة الإنجيل يقول «أساساته فى الجبال المقدسة» (مزمور ٨٦: ١) . هذا الجبل، جبل طابور، الذى صار جبلاً مقدساً، لم نكن نسمع عنه من قبل ما نسمعه عنه الآن وذلك لأن المسيح إذ تجلى عليه اكتسب هذه القداسة وأصبح جبلاً مقدساً. «إذ كنا معه فى الجبل المقدس». فالعبارة نفسها التى قالها بطرس الرسول تدل على مبلغ ما يشعر به من الشرف والكرامة والسعادة إذ يتذكر المجد والجلال والبهاء الذى تمتع به هو وزميلاه يعقوب ويوحنا عندما كانوا معاً مع معلمهم على جبل التجلى، ولذلك يقول فى يقين وفى اعتزاز وانبهار «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه. وبلغه أخرى إننا لم نكن مغفلين، ولا كنا مخدوعين. كلا إننا قد رأينا بأعيننا مجد المسيح وجلاله لما كنا معه فى الجبل المقدس...ما أجمل هذا التعبير! إنه يشير إلى الكرامة التى أخذها الثلاثة الذين تشرفوا وتمتعوا بهذه المتعة المقدسة، وقد استطاعوا أن يروا لمحة من مجده تعالى.

وفى نفس الوقت كان لابد للتلاميذ أن يروا لمحة من الملكوت الآتى. لقد تكلم المسيح عن مجده، وتكلم عن ملكوته وتكلم عن مجيئه الثانى، هذا المجيء الثانى لم يأت زمانه بعد. ومع ذلك فالمسيح له المجد رأى أن يرى تلاميذه لمحة من الملكوت الذى وعد به الأبرار المكملين عندما يأتى فى مجيئه الثانى ليدين الأحياء والأموات، وذلك بعد مئات السنين. لقد شاء المسيح أن يرى التلاميذ الثلاثة لمحة من هذا الملكوت الآتى... ومضة من هذا الملكوت الآتى الذى وعدهم به. وذلك لكى يشجعهم ويملأهم من الحماسة والحرارة والقوة، حتى إذا نزلوا من الجبل وانطلقوا للخدمة بعد قيامته المقدسة، تكلموا عن مجد الملكوت بيقين الإيمان لأنهم رأوا بعيونهم شيئاً من هذا الملكوت.

وإذن فقد كان الهدف الثانى من تجلى المسيح على الجبل أمام ثلاثة من تلاميذه، اختارهم كعينة من بين تلاميذه، هو أن يريهم لمحة من الملكوت الذى نزل منه إلى الأرض، لإتمام عمل الخلاص للإنسان، حتى يلهب قلوبهم بمذاق شىء من المجد الذى سينالونه بعد أن يتمموا جهادهم ويكملوا سعيهم وبعد أن يعملوا عمل الرب، ويسلكوا بحسب الدعوة المقدسة التى دعاهم إليها، خداماً لرسالته الإلهية، فيكون كل منهم بمثابة القديس بولس الذى يقول فى يقين الإيمان «لأننى عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» (٢ . تيموثيئوس ١ : ١٢) . فالتلاميذ الثلاثة عرفوا على جبل التجلى بمن آمنوا به، لأنهم رأوا مجده، وصارت لهم اليقينية الكاملة بحقيقة لاهوته، وأنه الله المتأنس، وأنه ابن الله الظاهر فى الجسد. ثم أصبحوا على يقين من جهة الأبدية السعيدة التى وعدهم الرب بها فقد رأوا على جبل التجلى لمحة من تلك السعادة وذلك المجد، على أنه كما يقول الرسول «إنى موقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» أى أنه موقن من جهة الله وقدرته، على أن يحفظ وديعته إلى يوم المجىء الثانى، ولكنه لا يدعى أنه موقن من جهة نفسه، فهو يعلم أنه يلزمه أن يجاهد وأن يصمد فى جهاده، وأن يثابر على الجهاد حتى لا يحرم من الملكوت. قال الرسول بولس «أقمع جسدى وأستعبده، حتى بعد ماكرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً» (١ . كورنثوس ٩ : ٢٧) .

والخلاصة أننا فى تأملنا لتجلى ربنا يسوع المسيح على الجبل، تبين لنا أن الهدف الأول من هذا التجلى، أن الرب يسوع بعد أن سأل تلاميذه عن اعتقادهم فيه، من هو فى حقيقته، وسمع من القديس بطرس اعترافه بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن رفقائه التلاميذ أنه هو المسيح الله ابن الله الحى، أراد أن يكشف لثلاثة منهم عن حقيقة لاهوته المحتجب فى ناسوته، فلا يكون اعتقادهم فيه مبنياً على كشف الآب السماوى فقط، وإنما بناء على رؤية عيانية، فيرونه بعيونهم فى لمحة من مجد لاهوته، فيصيروا إلى يقينية الإيمان بحقيقته كما هو فى ذاته.

والهدف الثانى أن يريهم لمحة من مجد الملكوت الذى وعدهم به، أن ينالوه فى مجيئه الثانى عندما يأتى ليدين الأحياء والأموات.

وحتى لا يظن التلاميذ أن المسألة مجرد حلم أو رؤيا، تطلعوا فرأوا معهم موسى وإيليا يتكلمان مع سيدهم ومعلمهم، ويخاطبانه في شأن خروجه العتيد إلى أورشليم من أجل إتمام الفداء. فما أعظم دهشتهم وفرحهم إذ يرون بعيونهم موسى رئيس الأنبياء الذى مات منذ مئات السنين ودفن في جبل نبو، ولا يعلم أحد قبره ـ كما يرون بعيونهم إيليا النبى العظيم، والجبار الذى حملته إلى السماء مركبة من نار وخيل من نار، ولم يره أحد فى هذا الاختطاف إلا أليشع وحده.. هذا إيليا يرونه الآن عياناً أمامهم... وإن موسى كرئيس للأنبياء يمثل الشريعة وإيليا أيضاً يمثل الأنبياء. وكأن بظهور موسى وإيليا معاً على جبل التجلى مع المخلص الذى شهدت عنه الشريعة وأنبأت به الأنبياء... توكيد لحقيقية المسيح الفادى، وأن فيه اجتمعت تعاليم الشريعة وأقوال الأنبياء، فهو الهدف الذى إلتقت عنده الشريعة والأنبياء.

على أن فى ظهور موسى وإيليا على جبل التجلى إجابة على سؤال الذين يتساءلون عن إمكانية الإلتقاء واللقاء بين من رحلوا إلى العالم الآخر.

فموسى على الرغم من أنه مات وشبع موتاً منذ مئات السنين، لكنه ظهر حياً مع المسيح على الجبل... وإيليا على الرغم من أنه خطفته مركبة من نار وخيل من نار، وصعدت به فى عاصفة إلى السماء، إلا أنه هو الآخر ظهر جليا على جبل التجلى.. وإذن ففى موسى وإيليا رأى التلاميذ الثلاثة أن الراحلين إلى العالم الآخر مازالوا أحياء أعظم ما تكون الحياة. وهذا مصداق قول الرب «أنا إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب. فليس الله إله أموات، وإنما هو إله أحياء، لأن الجميع عنده أحياء» (متى ٢٢ : ٣٢)، (لوقا ٢٠ : ٣٧، ٣٨). ثم إن إجتماع موسى وإيليا على الرغم مما بينهما من مئات السنين دليل على إمكانية اللقاء بين أشخاص الذين رحلوا من الراقدين المنتقلين، وأنهم يتابعون من عالمهم أحداث الأرض، وأنهم فيها يتحدثون ويتسامرون، وبها يهتمون ويشغلون.

وكل هذا يزيدنا نحن إيماناً ويزيدنا فرحاً وسروراً، ويفتح أمامنا باب الرجاء على مصراعيه. ونحن فى عيد التجلى نتذكر هذه المعانى لكى يتوكد أولاً إيماننا فى المسيح من هو، ونعرفه

على حقيقته، أنه وإن كان قد أخذ صورة الإنسان إنما هو فى حقيقته هو الله نفسه «من رآنى فقد رأى الآب» مبرهنا على أنه فى حقيقته هو ابن الله الحى.

وفى عيد التجلى نتطلع إلى الملكوت الآتى. ونعد أنفسنا للحياة الأخرى، ونجهز أنفسنا لهذا الملكوت، ونتجمل بالفضائل وبالنعمة وبالمعرفة وبالتقوى وبالأعمال الصالحة التى تجعلنا أهلاً لفردوس النعيم وملكوت الله.

عقيدة الثالوث القدوس

القيم الروحية فى عقيدة الثالوث القدوس

نؤمن بإله واحد هو الآب والابن والروح القدس، جوهر واحد ذى أقانيم ثلاثة.

فالذات الإلهية واحدة، لكن لها ثلاث خواص (١) جوهرية أو صفات ذاتية (٢)، هى الأقانيم الثلاثة الكائنة معاً فى الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد. وعلى ذلك فكل أقنوم منها هو الله مع خاصية فى الذات الإلهية، ومع ذلك فالذات الإلهية واحدة، والله ذاته واحد. فلا تعارض إذن بين وحدة الذات وتثليث الأقانيم، وديانتنا المسيحية ديانة توحيد.

هذه العقيدة ليست فلسفة بشرية، وإنما هى حقيقة إلهية أعلنتها الكتب المقدسة فى العهد الجديد (٣)، وأشارت إليها الكتب المقدسة فى العهد القديم (٤). ولم تعلن لنا لتكون سبب جدل ونقاش بين الناس، ولا لتكون علة إختلافات بين البشر، ولا لتكون نظرية عقلية يقبلها البعض ويرفضها البعض الآخر. وإنما أعلنت لنا ليكون فى إعلانها فهم لحقيقة الله وطبيعته، الله الذى أصبحت لنا به فى العهد الجديد علاقة حب، وعلاقة قرب، وعلاقة مثل أعلى نحاول أن نتشبه به.

وهذا هو الفارق بين التوحيد كما تعلم به المسيحية والتوحيد كما تعلم به الديانات التى لا تعرف الأقانيم الثلاثة فى الإله الواحد. الله واحد فى هذه الديانات ولكن وحدانيته وحدانية مصمتة، إذا جاز هذا التعبير، وأما الوحدانية فى المسيحية فوحدانية من طراز آخر، وحدانية فى الذات والجوهر، لكنها وحدانية عاقلة حية فيها تفكير وفيها حياة. والتفكير يقتضى التأمل كما

---

(١) انظر كتاب «كمال البرهان على حقيقة الإيمان» للقديس أثناسيوس الرسولى، الكتاب الأول ـ القسم الثانى. وكتاب «البينات الوافية والبراهين الثاقبة» للأسقف الأنبا إيسذوروس (القاهرة ١٨٨٧) صفحة ٤٢، ٤٣. وكتاب «الدر الثمين فى إيضاح الدين» للأنبا ساويرس بن المقفع، المقالة الأولى (القاهرة (١٩٢٥) صفحات ١٨، ٢٠، ٢٩. وكتاب «نهج السبيل فى تخجيل محرفى الإنجيل» للشماس الشيخ الصفى ابن العسال صفحة ١٤ وما بعدها.

(٢) انظر كتاب «البينات الوافية، والبراهين الثاقبة» صفحة ٤٠. وكتاب «المطالب النظرية فى المواضيع الإلهية» تأليف الأسقف الأنبا إيسيذوروس صفحة ١١٢ وما بعدها. وكتاب «الصحائح فى جواب النصائح» للشيخ الصفى ابن العسال، الأصل التاسع صفحة ٢٣، ٢٤. وكتاب «سلك الفصول فى مختصر الأصول»، لابن العسال، الباب ١٣ الفصل ٧، صفحة ٦٤.

(٣) (متى ٢٨: ١٩)، (يوحنا ١٤: ٢٦)، (يوحنا ١٥: ٢٦)، (٢. كورنثوس ١٣: ١٤)، (غلاطية ٤: ٦)، (يوحنا الأولى ٥: ٧).

(٤) التكوين: (١: ٢٦)، (٣: ٢٢)، (١١: ٧)، (الخروج ٣: ٦)، (مزمور ١١٠: ١)، (إشعياء ٦: ٣).

يقتضى الكلام فى داخل الفكر. والحياة أيضاً تقتضى الحركة والحركة معناها نشاط، وعمل، وإرسال.

والإنسان شبيه بالله لأن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله (١). والإنسان أيضاً ذاته الإنسانية واحدة ومع ذلك فهى ذات عاقلة حية والعقل يقتضى التأمل، والتفكير، والكلام الباطنى، وليس غريباً على الإنسان أن يجرى فى ذاته كلام باطنى. فيكلم نفسه أو يكلم ذاته، ولذلك يقول أحياناً «قلت لنفسى» أو «قلت فيما بينى وبين نفسى»، ومع ذلك فذاته الإنسانية واحدة لم تنقسم ولكنها ليست وحدة مصمته وإنما وحدة حية فيها تفكير، والتفكير يقتضى الكلام الباطنى. والحياة فى الإنسان أيضاً تقتضى الحركة والنشاط والإرسال. ونحن لا نعنى الحركة الخارجية فقط ولكن الحركة الباطنية فى داخل الذات الإنسانية، وهى التى تفسر نشاط الفكر وعمل الحياة العقلية الباطنية. وهذا العمل وذلك النشاط يقتضيان الاتصال والإرسال بين قوى النفس الباطنية.

كذلك وعلى صورة أكمل وأسمى بقدر ما يسمو الله عن الإنسان تقدم المسيحية لنا طبيعة الله تعالى. فهو ذات، لها وجود وكيان عاقل حى. فالآب هو الوجود أو الكيان الإلهى، والابن هو العقل الإلهى، والروح القدس هو الحياة الإلهية. فالله عاقل والعقل يقتضى التفكير والكلام، ولذلك ليس غريباً أن يكلم الله الآب الله الابن، ويكلم الله الابن الله الآب دون أن يكون معنى هذا إنقساما فى الذات أو افتراقا فى الجوهر (٢). والحياة تقتضى الحركة والنشاط والإرسال، ولذلك لا نجد غرابة فى أن يقال فى الكتب المقدسة إن الله الآب أرسل ابنه إلى العالم (٣) أو بذل إبنه من

---

(١) التكوين (١: ٢٦، ٢٧)، (٥: ١)، (٩: ٦)، (كورنثوس الأولى ١١: ٧)، (أفسس ٤: ٢٤)، (كولوسى ٣: ١٠)، (يعقوب ٣: ٩).

(٢) من ذلك مثلاً إن الإبن كلم الآب قائلاً: «أيها الآب نجنى من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجد إسمك». فأجاب الآب الابن من السماء قائلاً «مجدت. وأمجد أيضاً». (يوحنا ١٢: ٢٧، ٢٨). ومن ذلك أيضاً كلام الابن للآب كما ورد فى مواضع متفرقة من الإنجيل (يوحنا ١٧: ١ – ٢٦)، (متى ٢٦: ٣٩، ٤٢)، (مرقس ١٤: ٣٦)، (لوقا ٢٢: ٤٢)، (لوقا ٢٣: ٣٤)، (متى ٢٧: ٤٦)، (مرقس ١٥: ٣٤)، (لوقا ٢٣: ٤٦).

وليس هذا بجديد. فالعهد القديم يشير إلى الكلام بين الأقانيم. «وقال الرب الإله: هوذا آدم قد صار كواحد منا» (التكوين ٣: ٢٢). وعندما شرع بنو آدم فى بناء برج بابل قال الرب «هلم ننزل ونبلبل هناك لغتهم» (التكوين ١١: ٧) كما يشير إلى كلام الآب مع الابن قائلاً «أنت ابنى، وأنا اليوم ولدتك» (مزمور ٢: ٧) (عبرانيين ١: ٥). وقول الرب الآب للرب الابن «قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك» (مزمور ١١٠: ١).

وقد أورد مخلصنا هذا النص مواجهاً به الفريسيين فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة (راجع متى ٢٢: ٤٤ – ٤٦)، (مرقس ١٢: ٣٦، ٣٧)، (لوقا ٢٠: ٤٢ – ٤٤)، (أعمال الرسل ٢: ٣٤، ٣٥)، (عبرانيين ١: ١٣).

(٣) (يوحنا ٣: ١٧)، (يوحنا ٥: ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٣٧)، (٦: ٢٩، ٣٩، ٤٤، ٥٧)، (١٧: ١٨، ٢١)، (غلاطية ٤: ٤)، (يوحنا الأولى ٤: ٩).

أجل حياة العالم (١) والحياة تقتضى الحركة لذلك نزل الابن من السماء (٢) ونزل الروح القدس وحل فى شبه حمامة على الابن الغاطس فى نهر الأردن (٣).

* * *

والمعنى من هذا كله :

١ ـ أن عقيدة الثالوث الأقدس ذات قيمة كبرى، تعيننا على فهم طبيعة الله فهما يجعل الله قريباً من تصورنا، بحيث يمكن أن تنشأ بيننا وبينه علاقة واتصال وشركة.

٢ ـ وعقيدة الثالوث تقربنا إلى فهم علاقة الشبه بيننا وبين الله، وتفسر لنا كيف أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله.

٣ ـ وعقيدة الثالوث القدوس ترفع معنويات الإنسان وقيمته وتجعله يفهم كرامته الإنسانية التى بها يسمو على جميع الكائنات لأنه من دونها جميعاً قد خلقه الله على صورته ومثاله، كما تجعله قريبا من الله فى طبيعته لأنه فى مرتبة تسمح له بهذا الاقتراب.

٤ ـ وعقيدة الثالوث القدوس تيسر للإنسان سبيل التشبه بالله فى صفاته وكمالاته الإلهية، لأنه إذا كان الإنسان قد خلق فى مبدأ الأمر على صورة الله (٤)، فليس عسيرا على الإنسان بعد أن تجددت طبيعته التى سقطت (٥)، وولد من جديد من الماء والروح (٦)، أن يجاهد بالتأمل وسائر الرياضات والمجاهدات الروحية (٧) فيزداد التشابه بينه وبين الله، وأن ينمو عقله إلى مستويات أسمى مما كان عليها يوم خلق. قال القديس يوحنا الرسول أيها الاحياء نحن الآن أبناء الله، ولم يتبين بعد ماذا سنكون، غير إنا نعلم أنه إذا أظهر نكون نحن مثله لأننا سنعاينه كما هو (٨).

---

(١) (يوحنا ٣ : ١٦)، (رومية ٨ : ٣٢).
(٢) (يوحنا ٣ : ١٣)، (٦ : ٣٨، ٤٢).
(٣) (متى ٣ : ١٦)، (لوقا ٣ : ٢٢)، (يوحنا ١ : ٣٢، ٣٣).
(٤) (التكوين ١ : ٢٦، ٢٧)، (٥ : ١)، (٩ : ٦).
(٥) (التكوين ٣ : ٧)، (رومية ١١ : ٢٢)، (غلاطية ٥ : ٤)، (عبرانيين ٦ : ٦).
(٦) (يوحنا ٣ : ٥)، (تيطس ٣ : ٥)، (يعقوب ١ : ١٨)، (بطرس الأولى ١، ٣، ٢٣)، (يوحنا ١ : ١٣)، (يوحنا الأولى ٣ : ٩).
(٧) (كورنثوس الأولى ٩ :٢٧)، (١٠ :١٢)، (فيلبى ٣ :١٢)، (تيموثيئوس الأولى ٤ : ٧، ٨)، (عبرانيين ٥ :١٤).
(٨) (يوحنا الأولى ٣ : ٢).

التوحيد والتثليث فى المسيحية

المسيحية دين توحيد

فقانون الإيمان الذى يردده جميع المسيحيين فى صلواتهم الخاصة والعامة، ويتلونه فى كل خدمة دينية وفى كل قداس، وفى كل صلاة من الصلوات اليومية، باكرا ونهارا وعشية، ويرنمونه ترنيما، منذ القديم، واليوم، وإلى الأبد، يقولون فى مطلعه (**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**) .

والمسيحيون يؤمنون وينادون بأن **الله واحد، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً**، ويقولون: إذا كان هناك إله آخر غير الله، فما عمل هذا الآخر وما هو إختصاصه؟ لأنه مادام الله غير محدود وغير متناه، فلا مجال لإله آخر، لأن وجود هذا الآخر يتعارض مع صفة اللانهائية واللامحدودية فى الله... فإنه طال ما أن الله يتصف باللانهائية واللامحدودية، فوجوده إذن يملأ كل مكان، ولا يخلو منه مكان... فكيف، ولماذا، وأين يوجد الإله الآخر؟ وهل هذا الآخر هو فى الكون أم خارج الكون؟ فإذا كان فى الكون، فهل هو فى كل مكان فى الكون، أم فى مكان دون مكان؟ فإذا كان فى كل مكان، فهو شريك مع الله فى وجوده... وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الآخر... فإذا كان الآخر كائنا فى مكان دون مكان، فيترتب عليه أن يكون كل منهما محدودا فى المكان، وهذا يتعارض مع كونه الإله الحقيقى الكائن فى كل مكان ولا يخلو منه مكان.

ثم لما كان الله قادرا على كل شئ، فلماذا يكون ثمت إله آخر؟ وما هو إذن عمل هذا الآخر؟... هل يأخذ هذا الآخر شيئا من إختصاص الله؟... لو كان الأمر كذلك لترتب عليه أن يكون الله غير قادر على كل شئ أو يكون قادرا على أشياء دون أشياء، لأن هذه الأشياء تدخل فى إختصاص الإله الآخر المزعوم...

وهكذا يمكن منطقيا وعقليا رفض القول بأكثر من إله واحد... واعتباره محالا، لا يقبله العقل ولا يسيغه.

ولقد كتب آباء الكنيسة المسيحية إلى الوثنيين قديما، يثبتون لهم بالدليل العقلى أن الله واحد، **ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً، وأن القول بأكثر من إله لا يقبله العقل...**

وكان لابدّ لآباء الكنيسة أن يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد، بالدليل العقلى والمنطقى، ولا يكتفون بالأدلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة، لأن الوثنيين **لا** يؤمنون بالكتب المقدسة.

وقال المسيحيون إن **(الواحد) هو أصل الوجود، عليه يقوم كل شئ، وإليه يرتد كل شئ، ومنه يتركب ويتكون كل الوجود... ولا يوجد قبل (الواحد) شئ فهو الأصل، أو هو أصل الوجود... وإذن فالواحد هو الله، والله واحد، ولا يمكن إلاّ أن يكون واحداً، ولا يوجد غير إله واحد.**

إنّ آباء الكنيسة ومعلّمى البيعة بذلوا جهودا كبيرة فى إثبات وحدانية الله ومحاربة الأثنينية وتعدد الآلهة توكيدا لأخص المبادئ المسيحية، وهو التوحيد، ضد المبادئ الوثنية المختلفة التى كانت منتشرة قبل المسيحية. ومنها ما كان يقول بإلهين إثنين، إله للخير وإله للشر، كالديانة الفارسية مثلا، ومنها ما كان يقول بآلهة متعددة كاليونان والرومان ومن إليهم...

وقد وضع الآباء كتبا ورسائل، ومن بين هذه الكتب، كتاب «**الدفاع عن المسيحيين**» الذى كتبه الأستاذ الفيلسوف أثيناغوراس مدير المدرسة اللاهوتية بالأسكندرية فى القرن الثانى للميلاد، فقد خص فصولا من كتابه لإثبات وحدانية الله، وتُعدُ كتاباته أول محاولة من نوعها أثبت فيها أثيناغوراس بالأدلة العقلية البحتة فضلا عن الكتابية. أن الأثنينية مستحيلة، وأن تعدد الآلهة أيضا محال ، **وأن وحدانية الله هى المبدأ الوحيد الصحيح الذى لا مفر منه...**

وليس هنا مجال التفصيل فى بيان هذه الأدلة العقلية والنقلية، وكل مرادنا أن نقول **إن آباء الكنيسة ومعلّميها لم يؤمنوا بوحدانية الله فقط، وإنما هم الذين علّموا الناس بأن الله لا يمكن إلا أن يكون واحدا. فإذا كان بعض الناس يتهمون المسيحية بالشِرك، فقد نسوا فضل الذين علّموهم أول درس فى التوحيد...**

وأضاف المسيحيون إلى الأدلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين أدلة أخرى اقتبسوها من أسفارهم المقدسة، وكانوا ـ ومازالوا ـ يبرزونها للمؤمنين من المسيحيين، ولغير المسيحيين ممن يسألونهم عن أسانيدهم فى إعتقادهم بوحدانية الله.

ومن هذه النصوص :

(الرب هو الإله، ليس آخر سواه) (التثنية ٤: ٣٥).

(الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه) (التثنية ٤: ٣٩).

(الرب إلهنا رب واحد) (التثنية ٦: ٤).

(الرب وحده... وليس معه إله) (التثنية ٣٢: ١٢).

(أنا أنا هو، وليس إله معى) (التثنية ٣٢: ٣٩).

(لأنه ليس غيرك) (١. صموئيل ٢: ٢).

(وأعدوا قلوبكم للرب، واعبدوه وحده) (١. صموئيل ٧: ٣).

(قد عظمت أيها الرب الإله، لأنه ليس مثلك، وليس إله غيرك) (٢. صموئيل ٧: ٢٢).

(لأنه من هو إله غير الرب) (٢. صموئيل ٢٢: ٣٢).

(الرب هو الله، وليس آخر) (١. الملوك ٨: ٦٠).

(أيها الرب... أنت هو الإله وحدك) (٢. الملوك ١٩: ١٥).

(أنت الرب الإله وحدك) (٢. الملوك ١٩: ١٩).

(يارب، ليس مثلك، ولا إله غيرك) (١. أخبار الأيام ١٧: ٢٠).

(أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات، وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، وجند السماء لك يسجد) (نحميا ٩: ٦).

(إنك أنت الإله الواحد فى الأرض كلها) (طوبيا ٨: ١٩).

(لا إله قادرا على كل شئ سواه) (طوبيا ١٣: ٤).

(وسجدوا لإله السماء الواحد) (يهوديت ٥: ٩).

(إنك أنت الإله وليس آخر سواك) (يهوديت ٩: ١٩).

(الباسط السماوات وحده) (أيوب ٩: ٨).

(**الله، وليس آخر. ليس إله غيره**) (إشعياء ٤٥: ١٤).

(خالق السماوات هو الله، مصوّر الأرض وصانعها... **أنا الربُّ وليس آخر**) (إشعياء ٤٥: ١٨).

(أنا الربّ، **ولا إله آخر غيرى... ليس سواى**) (إشعياء ٤٥: ٢١).

(التفتوا إلىّ واخلصوا... **فإنى أنا الله وليس آخر**) (إشعياء ٤٥: ٢٢).

(**لأنى أنا الله، وليس آخر، أنا الله وليس مثلى**) (إشعياء ٤٦: ٩).

(أنا هو. **أنا الأول وأنا الآخِر**) (إشعياء ٤٨: ١٢).

(**إنه لا نظير لك ياربّ**) (إرميا ١٠: ٦).

(ألستُ مالىء السماوات والأرض، يقول الربّ) (إرميا ٢٣: ٢٤).

(هذا هو إلهنا، **ولا يُعتبر حذاءه آخر**) (باروخ ٣: ٣٦).

(**فلستَ تعرف إلها غيرى، وليس مخلِّص سواى**) (هوشع ١٣: ٤).

(أليس إله واحد خلقنا) (ملاخى ٢: ١٠).

انظر أيضا سفر الخروج (٣: ١٤)، (٨: ١٠)، (٩: ١٤)، التثنية (٦: ١٣)، (٧: ٩)، (١٠: ١٧)، (يشوع ٢٢: ٢٢)، (١ـ صموئيل ٧: ٤)، (١ـ الملوك ١٨: ٣٦، ٣٩، ٢١، ٢٤)، (الحكمة ١٢: ٢٧)، (إرميا ١٠: ١٠ – ١٢).

ومن تلك النصوص يتبين أنّ الله تعالى **هو الإله وحده، ولا شريك له، وليس كمثله شئ... هو الله، وليس غير الله إله، لم يكن قبله إله، ولا يكون بعده إله... هو الواحد والوحيد والمتفرّد بالألوهة... هو الواحد الأحد، والرب الصمد، والسرمد والسرمدى، الأزلى الذى لابداءة له، والأبدى الذى لا نهاية له.**

قال الإنجيل المقدس :

(للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد) (متى ٤: ١٠)، (لوقا ٤: ٨).

(فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ **الله الواحد وحده**؟) (مرقس ٢: ٧)، (لوقا ٥: ٢١).

(ليس الصالح إلاّ **واحد هو الله**) (مرقس ١٠: ١٨)، (لوقا ١٨: ١٩)، (متى ١٩: ١٧).

(إن الرب إلهنا **هو رب واحد**) (مرقس ١٢: ٢٩)، (متى ٢٢: ٣٧، ٣٨)، (لوقا ١٠: ٢٧).

(وواحد كوّنّا فى الرحم) (أيوب ٣١: ١٥).

(لأنه من هو إله غير الرب) (مزمور ١٧: ٣١).

(من مثلك يا الله) (مزمور ٧٠: ١٩).

(إنك اسمك يهوه وحدك العلىّ) (مزمور ٨٢: ١٨).

(عظيم أنت... أنت الله وحدك) (مزمور ٨٥: ١٠).

(منذ الأزل إلى الأبد أنت الله) (مزمور ٨٩: ٢).

(ليسبّحوا اسم الرب، لأنه قد تعالى اسمه وحده) (مزمور ١٤٧: ١٣).

(ليس إله إلا أنت) (الحكمة ١٢: ١٣).

(الاسم الذى لا يُشرِك فيه أحد) (الحكمة ١٤: ٢١).

(لا إله إلاّ أنت يارب) (يشوع بن سيراخ ٢٦: ٢، ٥).

(إنك أنت الرب إله الدهور) (يشوع بن سيراخ ٣٦: ١٩).

(يارب الجنود... أنت هو الإله وحدك) (إشعياء ٣٧: ١٦).

(إنك أنت الرب وحدك) (إشعياء ٣٧: ٢٠).

(أنا الرب، أنا الأول والآخِر، أنا هو) (إشعياء ٤١: ٤).

(أنا الرب، هذا اسمى، ومجدى لا أعطيه لآخر) (إشعياء ٤٢: ٨).

(إنى أنا هو. لم يُكَوّن إله قبلى، ولا إله بعدى) (إشعياء ٤٣: ١٠).

(أنا أنا الربّ، وليس غيرى) (إشعياء ٤٣: ١١).

(أنا الأول وأنا الآخِر، ولا إله غيرى) (إشعياء ٤٤: ٦).

(هل يوجد إله غيرى ؟) (إشعياء ٤٤: ٨).

(أنا الرب صانع كل شئ، ناشر السماوات وحدى، باسط الأرض. من معى ؟) (إشعياء ٤٤: ٢٤).

(أنا الرب وليس آخر. ولا إله سواى) (إشعياء ٤٥: ٥).

(إنه ليس غيرى. أنا الربّ، وليس آخر) (إشعياء ٤٥: ٦).

(**إن الله واحد، وليس آخر سواه**) (مرقس ١٢: ٣٢).

(كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض، وأمّا المجدُ الذى من **الله الواحد وحده**، فلا تبتغونه) (يوحنا ٥: ٤٤).

(وهذه هى الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت **الإله الحقيقى وحدك**) (يوحنا ١٧: ٣).

(**لأن الله واحد**) (رومية ٣: ٣٠).

(**للجميع ربٌّ واحد**) (رومية ١٠: ١٢).

(**لا إله إلاّ واحد**) (١. كورنثوس ٨: ٤).

(**لنا إله واحد**) (١. كورنثوس ٨: ٦).

(**الله واحد** الذى يعمل الكلّ فى الكلّ) (١. كورنثوس ١٢: ٦).

(**الله واحد**) (غلاطية ٣: ٢٠).

(**واحد هو الله**، أبو الكل، الذى هو فوق الكل) (أفسس ٤: ٦).

(اهتديتم إلى الله، وتركتم الأوثان، لتعبدوا **الله الحىّ الحقيقى**) (١. تسالونيكى ١: ٩).

(ملك الدهور الذى لا يفنى، ولا يُرى، **الله وحده**، له الإكرام والمجد إلى دهر الدهور) (١. تيموثيئوس ١: ١٧).

(**لأنَّ الله واحد**) (١. تيموثيئوس ٢: ٥).

(أنت تؤمن بأن **الله واحد**، فقد أصبتَ. والشياطين أيضا يؤمنون ويرتعدون) (يعقوب ٢: ١٩).

(**واحد هو واضع الشريعة، وهو الديّان**، الذى يقدر أن يخلّص ويهلك) (يعقوب ٤: ١٢).

(**للإله الوحيد** مخلّصنا... المجد، والعظمة، والعزة والسلطان، قبل كل زمان والآن، وإلى جميع الدهور) (يهوذا : ٢٥).

(**أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية، يقول الرب الإله**) (الرؤيا ١: ٨)، (٢٢: ١٣).

(**أنا هو الأول والآخِر**) (الرؤيا ١: ١٧).

التثليث المسيحى

أماَ التثليث المسيحى فلا يتعارض مع الإيمان بالتوحيد.

فالمسيحيون يؤمنون **بإله واحد، أحدىّ الذات مثلث الأقانيم والخاصيات.**

فالتوحيد للذات الإلهية، وأما **التثليث** فللأقانيم. والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية أى بها تقوم الذات الإلهية.

فالله الواحد هو (أصل) الوجود، ولذلك فهو **(الآب)**. والآب لفظة سامية بمعنى (الأصل).

والله الواحد هو **(العقل)** الأعظم، ولما كانت المسيحية تنادى بأن الله قد ظهر وتجلّى فى المسيح، على نظير ما ظهر للنبى موسى فى العليقة، وتجلّى فى المكان دون أن يحده المكان، لذلك كان **المسيح هو (الكلمة). قال الإنجيل (فى البدء كان الكلمة)** (يوحنا ١ : ١). والكلمة تجسيد (للعقل) فإن (العقل) غير منظور، ولكنه يظهر فى (الكلمة) وهو أيضا **(الابن)** لا بمعنى الولادة فى عالم الإنسان، بل لأنه **(صورة الله الغير المنظور)** (كولوسى ١ : ١٥).

والله الواحد هو **(الروح)** الأعظم، وهو (أبو جميع الأرواح) (سفر العدد ١٦ : ٢٢)، (٢٧ : ١٦)، (العبرانيين ١٢ : ٩) ولهذا فهو (الروح القدس)، لأن الله قدّوس (سفر اللاويين ١١ : ٤٤، ٤٥)، (٢٠ : ٢٦)، (١ . بطرس ١ : ١٦).

* * *

إنّ التثليث حقيقة مسيحية معروفة، وهى **حقيقة دينية** وليست فلسفية... **جاءتنا من الوحى الإلهى** ولم نأتِ نحن بها من بنات أفكارنا أو ابتكار عقولنا...

إذن **هى تعليم إلهى**، وليست من عند الناس، فلسنا أحرارا فى أن نقبلها أو أن نرفضها، فهى حقيقة من حقائق الديانة المسلّمة لنا من الله... ومن يرفضها فقد رفض الله، وأنكر الحق الإلهى... يقول القديس أثناسيوس (كل من يروم أن يخلص، يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان... **ومن لا يحفظه بأكمله، ومن غير تعديل فيه يموت موتا أبديا...**).

من أين جاء التعليم بالتثليث؟؟

التثليث جاء القول فيه، فى الكتاب المقدس، وفى التقليد، وفى قوانين الإيمان، وفى المجامع المسكونية، وفى أقوال الآباء.... .

أولاً - من الكتاب المقدس :

لم يأتِ التعليم بالتثليث لفظا، وإنما أتى فيه معنى، فكلمة الثالوث لم ترد بالنص فى الكتاب المقدس، ومع ذلك ورد التعليم نفسه، وأسماء الأقانيم نفسها فى العهد الجديد... .

قال السيد المسيح لتلاميذه الأطهار: اذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدّوهم **باسم الآب والابن والروح القدس** (متى ٢٨ : ١٩).

١ - فى قصة البشارة والميلاد :

تحددت الأقانيم الإلهية على النحو الآتى :

أ - **الله (الآب)** أرسل رئيس الملائكة المبشر جبرائيل (غبريال).

ب - **الله (الابن)** هو الذى بُشِّرَت العذراء بميلاده منها: وها أنت ذى ستحبلين وتلدين ابنا تسمينه يسوع. وسيكون عظيما، **وابنَ العلى** يدعى (لوقا ١ : ٣١، ٣٢).

(ها إنّ العذراء تحبل وتلد ابنا، ويُدعى **اسمه عِمانوئيل**، الذى تفسيره: **الله معنا**) (متى ١ : ٢٣)، (إشعياء ٧ : ١٤).

جـ - الله (الروح القدس) : قال الوحى عن العذراء: (لأن الذى سيولد منها إنما هو من (روح القدس) (متى ١ : ٢٠)، (إن روح القدس سيحل عليك) (لوقا ١ : ٣٥).

٢ - فى قصة العماد أو الغطاس :

أو ما يسمى بالظهور الإلهى حيث ظهرت الأقانيم الثلاثة :

أ- اقنوم (**الآب**) - ينادى من السماء هذا هو ابنى الحبيب (متى ٣ : ١٧)، (لوقا ٣ : ٢٢).

ب - اقنوم (**الابن**) - هو المعنىّ بالقول: (هذا هو ابنى الحبيب).

جـ - اقنوم (**الروح القدس**) - هو الموصوف فى حادثة العماد بأن السماء انفتحت لنزوله فى

صورة جسم يشبه حمامة، وأتى على الأقنوم الثانى المتجسد والغاطس فى نهر الأردن، وهو الذى سمّى فى (متى ٣ : ١٦) إنه (**روح الله**) وسمى فى (لوقا ٣ : ٢٢) أنه (**الروح القدس**) .

٣ ـ وفى وعود السيد المسيح عن عمل الروح القدس بعد صعوده إلى السماء :

(وأما المعزّى (**الروح القدس**) الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يعلّمكم) (يوحنا ١٤ : ٢٦) .

(ومتى جاء المعزّى الذى سأرسله أنا إليكم، من الآب (روح الحق) الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى) (يوحنا ١٥ : ٢٦) .

فهنا الأقانيم الثلاثة : (**الآب**) الذى يبثق الروح القدس، (**الابن**) الذى باسمه يرسل الآب الروح القدس. و(**الروح القدس**) المرسل من الآب ليشهد للابن.

٤ ـ وقد أورد القديس بولس الرسول، فى ختام رسالته الثانية إلى كنيسة كورنثوس صيغة البركة الرسولية التى تستعمل فى الكنيسة الأرثوذكسية، باسم الأقانيم الثلاثة: (نعمة (**ربّنا يسوع المسيح**) ، ومحبة الله (**الآب**) ، وشركة (**الروح القدس**) معكم جميعا) (٢ . كورنثوس ١٣ : ١٤) .

٥ ـ وفى رسالته إلى كنيسة غلاطية يتكلم عن مسحة الروح القدس للمؤمنين قائلاً: (ثم بما أنكم أبناء، أرسل **الله روح ابنه** إلى قلوبنا) (غلاطية ٤ : ٦) فالله (**الآب**) هو المرسِل، و(**الروح القدس**) هو المرسَل، و (**الابن**) هو سر هذه الإرسالية...

٦ ـ ويقول الرسول يوحنا (فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: **الآب ، والكلمة ، والروح القدس**. وهؤلاء الثلاثة **هم واحد**) (١ . يوحنا ٥ : ٧) .

* * *

ثانياً ـ من التقليد :

ويتضح إيمان الكنيسة بحقيقة التثليث أيضا من التقليد الذى عاش مع الكنيسة فى كل الأجيال، وفى كل مكان امتدت إليه كرازة الإيمان المسيحى، حتى أصبح القول بالتثليث من أخص عقائد الديانة المسيحية التى تميزت بها وعرفت عنها من أصحاب الديانات الأخرى.

ويظهر هذا التقليد واضحا:

١ ـ فى **البَسملة** التى يبدأ بها المسيحيون صلواتهم ويستخدمونها فى سّر العماد وسائر طقوس

الصلوات وهى (**باسم الآب والابن والروح القدس**) .

٢ ـ وفى الذكصولوجيات والتسابيح والألحان: (**المجدُ للآب والابن والروح القدس..**) .

٣ ـ كذلك يظهر أيضا فى قوانين الإيمان الثلاثة المعروفة ابتداء من العصر الرسولى الأول... .

أ ـ قانون إيمان الرسل :

وهو القانون الموجز : والمعروف بنسبته إلى الرسل فى جميع الكنائس شرقا وغربا... .

(**أؤمن بالله العظيم، الآب**، خالق السموات والأرض، **وبيسوع المسيح ابنه الوحيد**، ربنا الذى حبل به من الروح القدس، وولد من العذراء مريم... وأؤمن **بالروح القدس...**) .

ب ـ قانون الإيمان النيقاوى :

(**بالحقيقة نؤمن بإله واحد: الله الآب** ضابط الكل... ونؤمن **بربٍ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد**، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق ـ واحد مع الآب فى الجوهر... ونؤمن **بالروح القدس** الرب المحيى، المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن...) .

جـ ـ قانون الإيمان الأثناسيوسى :

(كل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان. ومن لا يحفظه بأكمله ومن غير تعديل فيه يموت موتا أبديا... وهذا الإيمان هو أن **نعبد إلها واحدا فى ثالوث، وثالوثا فى وحدانية**، من غير اختلاط فى الأقانيم ولا تقسيم فى الذات. لأن **اقنوم الآب هو غير اقنوم الابن، وغير اقنوم الروح القدس، ولكن الآب والابن والروح القدس ليسوا إلا إلها واحدا**، ومجدا واحدا، وعظمة أبدية واحدة...) .

ثالثا ـ تاريخ الكنيسة والمجامع المسكونية:

لقد ظهرت فى تاريخ الكنيسة هرطقات متنوعة ضد سر التثليث منها: بدعة أريوس الذى أنكر أزلية الابن مع الآب، ومنها بدعة مقدونيوس الذى أنكر ألوهية الروح القدس. ومنها بدعة

سابيليوس الذى أنكر التثليث وزعم أن الله اقنوم واحد، ظهر مرة على أنه الآب، وأخرى على أنه الابن، وأخرى على أنه الروح القدس.

وبسبب هذه البدع جرت مناقشات، وعُقدت مجامع مسكونية حكمت فيها الكنيسة المقدسة بسلطانها المعطى لها من الله على هذه الهرطقات بأنها إنحرافات عن الإيمان الرسولى الأول. وحكمت على أصحاب هذه الهرطقات بالحرمان من شركة الكنيسة، كما تحددت فى المجامع المسكونية عقيدة الإيمان فى صيغ محددة دقيقة جامعة مانعة، هى التى عُرفت بقانون الإيمان. فبسبب أريوس ومقدونيوس معا وضعت صيغة قانون الإيمان الرسولى، فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م.

* * *

الواحد فى الثالوث

ليس ثمت تناقض فى الإيمان المسيحى بين القول بالوحدانية، والقول بالثالوث القدوس... فالله واحد فى جوهره وذاته العلية... ولكن يوجد فى هذا الجوهر الواحد ثلاثة أقانيم... والأقنوم... هو خاصية أو صفة ذاتية فى الله... أى صفة أو خاصية تقوم بها الذات الإلهية، وبدونها تنعدم الذات الإلهية... .

وعلى ذلك **ففى الجوهر الإلهى ثلاث خاصيات أو صفات ذاتية:**

الخاصية الأولى هى خاصية الوجود..

ذلك أن **الله هو أصل الوجود**، وهو واجب الوجود، وبدونه لا يمكن تفسير الوجود، فإذا لم تكن لله صفة الوجود... فيكون الله معدوما... .

هذه الصفة الذاتية فى الله هى التى تسمى **(الآب)** ... .

والآب كلمة سامية سريانية معناها الأصل أو الوجود أو الكيان الإلهى... .

والخاصية الثانية... هى خاصية العقل والحكمة..

ذلك أن **الله عاقل**، وهو مصدر العقل والحكمة فى كل الوجود سواء فى الكائنات العاقلة أو فى الكائنات غير العاقلة التى تحكمها القوة العاقلة فى الكون المنظم الجميل... والذى ينطق جماله ونظامه بأن وراء الطبيعة عقلا جباراً هو عقل مهندس الكون الأعظم... .

فإذا لم يكن الله عاقلا فليس لله وجود، لأن الله عقل كله وليس فيه جسم.. هذه الصفة الذاتية، صفة العقل أو الحكمة فى الله هى التى نسميها **(الابن) أو الكلمة**.. .

والخاصية الذاتية الثالثة هى خاصية (الحياة):

ذلك أن **الله حى**، وهو مصدر الحياة فى كل الوجود... فإذا لم يكن الله حيا، كان ميتا... وبالتالى ليس له وجود... فالله إذن حى، وهو الحياة..

هذه الخاصية الذاتية فى الله.. هى خاصية الحياة.. هى التى نسميها **(الروح القدس)** لأن الروح هى الحياة.. .

ومن هذا كله نتبين:

١ - **أنَّ الأقانيم خاصيات فى ذات الإله الواحد**، وعلى ذلك فالجوهر واحد، لكن الخاصيات الذاتية ثلاث.... .

٢ - إنّ الأبوّة بالنسبة للآب، والبنوّة بالنسبة للابن لا علاقة لهما بالأبوّة والبنوّة كما نفهما فى عالم الحس أو فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان.... .

أ - ذلك أن البنوّة فى عالم الحيوان أو الإنسان بنوّة حسية مادية جسدية لحمية تقتضى الذكر والأنثى والتوالد الجنسى.... .

بينما أنّ البنوّة فى الثالوث القدوس ليست مادية على الإطلاق... هى **بنوّة روحية عقلية**، لأن الله روح وعقل وليس فيه مادة... .

ب - والبنوّة فى عالم الحيوان أو الإنسان تقتضى الزمان، بحيث أن الوالد يكون أولاً ثم بعد ذلك يجئ الولد. الوالد إذن أسبق فى الزمان على ولده.... .

أما البنوّة فى الثالوث القدوس فليست زمانية على الإطلاق. وهنا خطأ أريوس وخطأ شهود يهوه، لأن هؤلاء الأريوسيين فهموا البنوّة فى الثالوث القدوس على نفس المستوى مع البنوّة فى عالم الحيوان، لذلك يقولون إنه جاء وقت كان (الآب) فيه كائناً ولم يكن (الابن) كائناً معه. فالابن عند الأريوسيين وشهود يهوه ليس أزليا مع الآب... لأنهم قالوا مادام آب وابن، وولادة، فالآب أسبق فى الزمان، وفاتهم أنّ الألفاظ المستعملة بالنسبة إلى الثالوث القدوس بعيدة كل البعد عن معانيها فى اللغة البشرية... **(فالآب)** معناه كما قلنا **الأصل** أى **أصل الوجود** أو بالأحرى **إن الله هو أصل الأصول**، و **(الابن)** معناه **العقل الإلهى**، وكما أن العقل ينبع من الوجود ولكن ليس فى زمان، كذلك الله الابن مولود من الله الآب ولكن ليس فى زمان. بل إنه لم يمر زمان كان الآب كائنا، ولم يكن الابن كائنا معه، وإلا كيف يمكن أن نتصور الله كائنا لحظة واحدة من الزمان من دون أن يكون عاقلا بالاقنوم الثانى **(الابن)** أو حيا **(بالروح القدس)**.

(فالابن) إذن كائن مع (الآب) فى الذات الإلهية منذ الأزل وكذلك (الرُّوح القدس) كائن مع الآب والابن فى الذات الإلهية منذ الأزل... .

جـ - والبُنُوَّة فى عالم الحيوان أو فى عالم الإنسان تقتضى الانفصال والاستقلال بعد الولادة... فالولد يخرج من جسم أمه. ويصبح جوهرا جديدا وحيوانا جديدا مستقلا تماما عن أبيه وأمه بحيث قد يموت الأب أو تموت الأم ويبقى ولدهما حيا... .

أما البُنُوَّة فى الثالوث القدوس فليس فيها إنفصال ولا إستقلال عن الجوهر الإلهى والذات الإلهية. فالابن قائم مع الآب وفى الآب، (أنا فى أبى وأبى فىّ) (يوحنا ١٤ : ١٠) وكما أنّ الابن كائن مع الآب فى الذات الإلهية منذ الأزل كذلك الابن كائن مع الآب، والروح القدس، فى الذات الإلهية **إلى الأبد...** .

وإذن فالبُنُوَّة فى الثالوث القدوس لا تربطها بالبنوة اللحمية أو الجسدية أو المادية أية رابطة، **فهى بُنُوَّة روحية، وبُنُوَّة عقلية، تناسب الذات الإلهية. والله روح ليس فيه مادة، وعقل وليس فيه جسم.. كما أنّ الله كائن لا فى زمان أو مكان. لأنّ أبعاد الزمان والمكان هى فقط بالنسبة للكائنات المادية والمحدودة. أما الله فهو غير متناه، وغير محدود.. وبسيط ليس فيه تركيب.. .**

وهنا ننبه إلى تحذير آخر... .

د - إنّ البُنُوَّة فى الثالوث القدوس مع هذا ليست بُنُوَّة بالوضع وإنما هو بُنُوَّة (بالطبع) . فآدم مثلا سمى (ابن الله) ولكن بالوضع لا بالطبع. وكذلك المؤمنون بالمسيح المعَمّدون باسم الثالوث القدوس صاروا أبناء الله (وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم السلطان لأن يكونوا أبناء الله، أولئك هم المؤمنون باسمه، الذين وِلدوا لا من دم، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة إنسان، وإنما من الله وُلِدوا) (يوحنا ١ : ١٢، ١٣) لكنّ هذه البُنُوَّة بُنوَّة بالوضع لا بالطبع كما قلنا. مثلها فى عالمنا الحاضر مثل الذى ليس له ولد من صلبه، فيتبنّى ولدا ينفق عليه ويعوله ويربيه، كأنه إبنه، ولكن ليس هو إبنه على الحقيقة.

أمّا البُنُوة فى الثالوث القدوس فليست بُنُوة بالوضع أبداً، وإنّما هى بنوة (**بالطبع**)... أى أن (**الابن**) **هو من ذات جوهر** (**الآب**) **وطبيعته**، (يوحنا ٧ : ٢٩) (نور من نور، إله حق من إله حق) إنه والآب (**جوهر واحد**) وطبيعة واحدة.. .

وعلى العموم يجب أن نُطلّق من أذهاننا كل تصوّر بشرى وكل فهم مادى عندما نتأمل علاقة الأقنوم الثانى بالأقنوم الأول فى الثالوث القدوس.. إنها بنوة فريدة من نوعها.. ليس لها نظير أبدا فى عالم المادة. ولذلك سمّى الكتاب المقدس الأقنوم الثانى أنه **(الابن الوحيد الجنس)** (يوحنا ١ : ١٨)، (١ : ١٤)، (٣ : ١٦، ١٨)، (١. يوحنا ٤ : ٩).

لماذا سُمِّىَ الأقنوم الثانى بالابن؟

فإذا لم يكن الأقنوم الثانى إبنا بالمعنى اللفظى الحسّى المفهوم فى عالمنا المادى، فلماذا سمّاه الكتاب المقدس بالابن، وابن الله، وابن الله الوحيد؟ ولماذا خلق الكتاب المقدس لنا هذا الارتباك الذى قد يقود إلى الهرطقة والزيغان عن الإيمان؟؟

الواقع أنّ السبب مرجعه إلى **ضيق لغة البشر**... واللغة البشرية ليست ضيقة فقط، ولكنها مادية أيضا، بمعنى أن اللغة فى نشأتها محاكاة لأصوات الطبيعة. ولذلك فإن معانى الكلمات فى أصلها مادية، وبعد ذلك تجئ الاستعمالات المعنوية والاستعارات والمعانى المجردة. وهذا هو السبب فى أن لفظاً واحدا قد يأتى فى جملة ما بمعنى خاص، بينما يأتى فى جملة أخرى بمعنى آخر.. والذى يدعونا إلى الأخذ بهذا المعنى وترك المعنى أو المعانى الأخرى إنما هو السياق والقرائن التى يستعمل فيها اللفظ.. .

فإذا كنا نجد هذه الصعوبة فى المعانى البشرية كما ترد فى كتب العلماء والفلاسفة والمفكرين، فكم تكون الصعوبة إذن فى التعبير عن الطبيعة الإلهية؟؟..

عندما تكلم مخلّصنا مع نيقوديموس عن الولادة من فوق، وقع معلّم الناموس فى حيرة، ولم يفهم، فسمع القضية من المعلّم الأعظم، «إن كنتُ قد كلمتكم عن الأرضيات، ولم تؤمنوا، فكيف تؤمنون إن كلّمتكم عن السمائيات؟» (يوحنا ٣ : ١٢) فإذا كانت الولادة الثانية التى من فوق، تُعدُّ فى نظر مخلّصنا من الأرضيات، بمعنى أنها فى مستوى حياتنا الأرضية ولغتنا البشرية، فكم تكون حقا الأمور السمائية..؟ وكم يكون أصعب منها التعبير عن طبيعة الذات الإلهية التى لا يمكن أبداً إداركها ولا فهمها، أو حتى الاقتراب منها؟؟..

لهذا فإنّ الوحى عبر عن العلاقة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثانى بلفظى **(الآب)**، و**(الابن)**، وذلك فقط لأنهما اللفظان البشريان المناسبان، والقريبان إلى لغتنا، وإلى فهمنا. ومع

ذلك **فالفرق واسع جدا** بين معنى اللفظ فى لغتنا البشرية وبين الحقيقة كما هى فى طبيعة الله نفسه.

وهناك سبب واحد.. لاستعمال لفظ الآب والابن بالنسبة للأقنوم الأول والثانى ذلك هو سر **التجسد**... الذى عن طريقه ظهر الأقنوم الثانى فى عالمنا. ولما كان الأقنوم الثانى المتجسد **قد** أظهر لنا فى شخصه صفات الله الغير المنظور، بحيث أننا فى شخص الأقنوم الثانى **عرفنا** صفات الله الغير المنظور، لذلك عبر الكتاب المقدس عن الأقنوم الثانى **بالابن** وعن الأقنوم الأول **بالآب**، تماما كما يحدث لنا عندما نعرف إنسانا من ابنه عن طريق الصفات المشتركة بينهما فى السحنة والشكل... ولعل هذا هو السبب فى أن سر التثليث لم يُعلَن إلاّ فى العهد الجديد بعد التجسد. وهناك سبب آخر هو أن اليهود فى العهد القديم كانت أذهانهم قريبة من فكرة تعدد الآلهة، فإعلان حقيقة الثالوث لم يكن مناسبا فى العهد القديم.

* * *

وعلى ذلك **فإيمان المسيحيين بالتثليث لا يتعارض مع إيمانهم بالتوحيد. لأن التثليث ليس تثليث ذوات، لكنه تثليث أقانيم**، والأقانيم صفات وخاصيات فى الإله الواحد، لكنها صفات وخاصيات ذاتية وليست مجرد صفات نسبية. **والصفات والخاصيات الذاتية ما تقوم به الذات.**

وعندهم **إن الله الواحد كائن بذاته، ناطق بكلمته، حىّ بروحه**. ولذلك يقولون فى البسملة (**باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد**).

والخلاصة، إنّ المسيحية قدمّت عن الله درسين متممين الواحد للآخر: **الدرس الأول عن التوحيد، والدرس الثانى عن التثليث، والدرسان لا يتعارضان**، وإنما الدرس الثانى ينبنى على الدرس الأول، وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد، إذ يدخل بنا إلى طبيعته وصفاته. ولم تُقدَّم الدرس الثانى إلاّ بعد أن استقر الدرس الأول فى أذهان الناس: **إنّ الله واحد أحد، وليس غيره إله.**

مقتبسات

من كتب ومصادر كنسية

١ ـ مطلع قوانين المجمع الإكليريكى العام
فى عهد البابا كيرلس الثالث

جاء فى مطلع القوانين التى أقرها المجمع الإكليريكى العام برئاسة البابا كيرلس بن لقلق، البابا الخامس والسبعين من بطاركة الكرسى المرقسى (١٢٣٥ - ١٢٤٣م) :

«باسم الله الأَحَدِىّ الذات، المثلّث الصفات، خالق الأرض والسماوات..»

«هذا المكتوب صادر عنى أنا الحقير كيرلس عبد يسوع المسيح المدعو بنعمة الله وأحكامه بطريركاً على الكرسى المرقسى...» (١)

---

(١) (انظر كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ الصفّى العالم ابن العسال من كتب القوانين وألفه فى سنة ٩٥٥ للشهداء الأبرار ـ طبعة الأنبا إيسيذوروس سنة ١٩٢٧م ـ الملحق صفحة ٩) .

٢ ـ كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لابن كبر

جاء فى كتاب «مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة» (١) لأبى البركات المعروف بابن كبر.

الباب الأول ـ فى الاعتقاد وأصوله

أ ـ فصل فى الذات ومعانى الصفات.

ذات البارى تعالى جوهر واحد موصوف بثلثة أقانيم، وهى التى يعبر عنها النصارى بالآب والابن والروح القدس. فالآب هو الجوهر مع صفة الأبُوَّة، والابن هو الجوهر مع صفة البُنُوَّة، والرّوح القدس هو هذا الجوهر الواحد مع صفة الانبثاق. فالموضوع أعنى الذات واحد، والمحمول أى الصفات المعَبر عنها بالأقانيم، ثلثة. والجوهر قائم بذاته والأقانيم قائمة بالجوهر.

ب ـ فصل فى معنى الأقانيم وهى الصفات وأنها غير الذات مع تعلقها به.

«... القُنوم هو مجموع الجوهر الواحد مع الصفة المخصوصة وهو اسم مشترك لأنه يُشار به تارة إلى الآب، وتارة إلى الابن، وتارة إلى الروح القدس... والأقانيم الثلثة هى الصفات الشرعية التى أمرنا الشارع بإعتقادها بقوله لرسله المؤيدين: علّموا الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس».

جـ ـ فصل فى وجود وصف البارى تعالى بالتوحيد والتثليث الذى وصفه به النصارى.

«... ولما ثبت أن البارى تعالى جوهر واحد بطل أن يكون ذاته وكلمته وحياته ثلثة أكيان أو ثلث قوى مركبة أو ثلثة أعراض. وثبت أنها ثلثة أقانيم. ولما كانت حكمته وحياته ذاتيتين غير منفصلتين من ذاته ولا متبعضتين من كيانه صح أن صفاته الثالوثية ذاتية».

---

(١) «كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة» لأبى البركات المعروف بابن كبر ـ صفحات ٦٠، ٦١، ٦٢، ٧٢.

٣ ـ كتاب تفسير سفر التكوين لآباء الكنيسة

جاء فى كتاب «**تفسير التكوين**» **لآباء الكنيسة (١) :**

الله واحد أحدىّ الذات مثلّث الأقانيم والصفات.

«وروح القدس الذى هو روح الله المنبثق منه ليس هو نسمة غريبة من الله يتنسم بها من خارج كما نتنسم نحن بالهواء، ولا هى مضمحلة تدخل وتخرج مثل نسمتنا نحن الغريبة منا، بل هى منه منبثقة دائما ذاتيا من ذاته بلا إنقطاع، صفة تامة كصفته التى هى منبثقة منه ذات وجود وقدوة كالآب والكلمة. وبهذا علمنا وتحققنا أنّ **الله عز وجل ثلاث صفات كاملة تامّة ذاتية غير مضمحلة ولا زائلة ولا منفصلة ولا مختلطة إختلاطا يضيع به وجود الصفات، بل كل واحدة منها غير مفارقة للأخرى. فالكلمة والروح، الآب علتهما. وهما منه لم يزالا موجودين وجودا بغير إنفصال. الابن والروح هما يداه اللذان بهما يفعل كلّ أفعاله.. ليس هما كيدينا أجزاء أو أبعاض بل هما صفتان كاملتان ككمال الصفة التى هما منها، ثلاث صفات كاملات دائمات الوجود، حالة فى بعضها بعضا بغير تشويش، مثل قول الابن: أنا فى أبى وأبى فىّ. ذات واحدة، ومشيئة واحدة، وفعل واحد، وقوة واحدة لاهوتية واحدة، وربوبية واحدة» (١).**

(١) تفسير سفر التكوين لآباء الكنيسة مخطوط رقم ٩ ـ لاهوت.

٤ ـ من رسالة البابا زكريا

وهو الرابع والستون من بطاركة الكرسى المرقسى (١٠٠٤ – ١٠٣٢)م إلى البطريرك يوحنا الأنطاكى:

«نؤمن أن الله جوهر واحد فى ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس.. الثالوث القدوس الواحد باللاهوت.. ملكه وسلطانه وفعله واحد، مسجود له ومعبود **بتثليث أقانيمه، توحيد كامل بتثليث كامل...» (١).**

٥ ـ من رسالة البابا شنوده الثانى

(وهو الخامس والستون من بطاركة الكرسى المرقسى ـ ١٠٣٢ ـ ١٠٤٦)م إلى البطريرك ديونيسيوس الرابع الأنطاكى.

«إننا نؤمن بالآب والابن والروح القدس، الثالوث القدوس... الجوهر المسجود له، المعبود... الخالق، غير المخلوق، الأزلى الذى لا إبتداء له ولا إنقضاء، صانع كل ما يرى وما لا يرى، القوة العزيزة التى لا يقدر أحد أن يقاومها، المدبر سائر الخليقة الحسية والعقلية، العلّة الأزلية التى لا علّة قبلها، التى ليست من علّة أخرى ولا من سبب آخر، الماسك الكلّ، الذى يحوى الكلّ ولا يحويه شئ. النور الأزلى الذى لا يعلم أحد ماهيته ولا كيفيته، ولا تُدركه العقول، ولا تحيط به الأفكار، الذى يرى الكلّ وهو لا يُرى. الذى لا شبه له ولا مثيل، الحىّ الغير المائت... الذى هو أبعد من الكل وقريب من الكل، المفهوم والمعقول من المخلوقين، وهو أفضل من كل ما يُعقل. **نؤمن ونعترف ونسجد لهذا الجوهر الأزلى الثالوث القدوس.. الواحد بالجوهر الإلهى،** الذى يتنزه عن الإنقسام وعن الحصر **الموحد بالتثليث، والمثلّث بالتوحيد...** ولهذا نقول **إن الله واحد، جوهر واحد، ثالوث قدوس الآب والابن والروح القدس...» (٢).**

---

(١) عن كتاب «إعترافات الآباء» انظر الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة لمؤلفه الأنبا ايسيذوروس، الجزء الثانى ـ القاهرة ١٩٢٣ صفحة ٣٣١.

(٢) عن «إعترافات الآباء» الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة، للأنبا ايسيذوروس ـ الجزء الثانى، طبعة القاهرة ١٩٢٣ صفحة ٣٣٥ – ٣٣٦...).

٦ ـ من كتاب «صلاح المؤمنين»

للأنبا يوساب الأبح

جاء فى كتاب **«صلاح المؤمنين»** (١) للأب المكرم الطاهر الأنبا يوساب أسقف مدينة جرجا وإخميم.

«المجد لله الواحد بالذات المثلث بالأقانيم والصفات، الجوهر الواحد الواجب الوجود، الإله الخالق لكل الخلائق، العالى المعبود، **المتفرد بالوحدانية، المثلث بالصفات الإلهية، الأقانيم. وفى الجوهر معروف بالوحدانية المسمّى بالذات والنطق والحياة، الذى لا إله سواه... الذات معروفة بالآب... والنطق معروف بالابن، والحياة معروفة بالروح القدس...**

هكذا نعتقد نحن فى **الإله أنه ذو ثلاث خواص: ذات ثم نطق ثم حياة...** فقد تبين لنا الآن أن **الإله** الذى كوّن العالم وأحدث المخلوقات أنه **جوهر واحد حاوٍ ثلاث صفات** وإن شئت ثلاث خواص، وإن أردت **ثلاثة أقانيم... أعنى الأبُوّة والبُنُوّة، والانبعاث أعنى الآب والابن... والروح القدس.**

---

(١) مخطوط لكتاب «صلاح المؤمنين» للأنبا يوساب أسقف مدينة جرجا وإخميم المعروف بالأبح من آباء القرن الثالث عشر.

٧ ـ من كتاب «نفى الشك والكفر عن النصارى» للعلامة بطرس السدمنتى

يقول العلامة القس بطرس السدمنتى من آباء وعلماء القرن الثالث عشر فى مقال له **«فى نفى الشك والكفر عن النصارى الموحِّدين»** (١).

«كثير من الخارجين عنا فى الأمانة، إذا سمعونا نقول **«الآب والابن والروح القدس»** ينسبونا إلى الشرك والكفر. ويعتقد من يسمع هذا القول أنا نعتقد ثلاثة أرباب. ومن يسمع أن المسيح ابن الله، يعتقد أن الله تزوج وولد المسيح. معاذَ الله من هذا الكلام القبيح الردئ! جل الله تعالى عن كل ذلك، وعلا علوا كثيرا.

معنى الأقانيم الثلاثة أن **علّة العلل موجود... هذا الموجود بسيط، غير مركب، وأنه ناطق بغير لغة، ولا لسان**، فلما حكم القياس العقلى بأن الله **موجود (كائن بذاته)**، وبأنه **ناطق**. أوجب حكم القياس أيضا **أن يكون حيا، وأن حياته فى روحه**.

«**كما سميت هذه الثلاث الصفات (أى الموجود (الكائن)، الناطق، الحىّ) الآب والابن والروح القدس**. **فهذه أسماء صفات الخالق الذاتية**.

وأما أن المسيح ابن الله فهو أن كلمة الله وُلِد... مثل مولد الكلمة من العقل، والضوء من الشمس، والنور من النور... وليس فى هذه الولادة شئ من مخالطة البشر، جلّ الله عن ذلك، وعلا علوا كثيرا.

أمانة النصارى الموحِّدين:

وهذه أمانتنا فى **توحيد الخالق، وتثليث صفاته**، والإبعاد عنا كل شرك والإقرار بالوحدانية.

---

(١) نقلا عن مخطوطة الفاتيكان رقم ١٢٦ عربى ـ وهى مخطوطة قبطية نسخت سنة ١٦٨٧م ـ نشرها الأب المحترم سمير خليل اليسوعى فى مجلة (صديق الكاهن) ـ التى يصدرها المعهد الإكليريكى للأقباط الكاثوليك بالمعادى ـ السنة التاسعة عشرة ـ العددان الأول والثانى ـ يناير وأبريل ١٩٧٩ صفحة ٤٤ — ٦٠.

وهكذا نقول معشر النصارى الموحِّدين:

نؤمن برب واحد، الإله الأزلى، خالق الأشياء، ما يُرى وما لا يُرى. ليس له مثال فى الذاتية ولا نظير فى الربوبية، ولا صاحب يعاونه، ولا ضدّ يقاومه، ولا ندٌّ ينازعه. وأنه غير جسم وغير مركب، وغير مؤلف، وغير محسوس، وغير متجزئ وغير متبعض، وغير مستحيل، لا يشغل حيزًا ولا يقبل عرضاً، ولا يحويه مكان، ولا يحصره زمان، قديم بلا إبتداء، باق بغير إنتهاء، خفّى فى ذاته، ظاهر فى أفعاله، متفرِّد بالقدرة والكمال، موحّد بالعظمة والجلال، معدن النعم وينبوع الحكم، مُحْدِث كلّ شئ لا من شئ، ومنشئ الموجودات من غير مادة... **إله واحد، معبود واحد، خالق واحد، لا إله قبله ولا بعده، ولا خالق إلاّ هو، ولا معبود سواه.**

ونعتقد أن الثلاث صفات، أعنى الوجود والنطق والحياة جوهر واحد، ثلاثة أقانيم، وصفها الشرع بالآب والابن والروح القدس...

ونتبرأ من كل من يعتقد أن هذا الجوهر مخلوق، أو أن هذه الأقانيم ثلاثة جواهر، أو ثلاثة أرباب... أو ثلاثة أجزاء متبعضة مما يقتضى التجزؤ والتبعض..».

٨ ـ أرجوزة الشيخ الأسعد ابن العسال

جاء فى مطلع أرجوزة **للشيخ الأجل الأسعد ابن العسال** تتضمن ميراث النصارى (١):

الشكر لله الوحيد الذات		سبحانه مثلث الصفات

٩ ـ أرجوزة فى الاعتقاد

نظم القديس أنبا بطرس السدمنتى (٢)

**أحمد من انفرد بالذات		والأحدية مع الصفات**

وإنما صفاته الذاتية		كثيرة كذلك الفعلية

**تعمها ثلاثة فى الحق		وجُودُهُ والروح والنطقُ**

وما بقى من سائر الصفات		قد أدمجت فى تلك ياساداتى

---

(١) «كتاب القوانين لابن العسال طبعة جرجس فيلوثاؤس عوض صفحة ٤٣٢.

(٢) انظر كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ الصفىّ العالم ابن العَسّال ـ طبعة الأنبا إيسيذوروس سنة ١٩٢٧ الملحق صفحة ٥٣.

١٠ ـ أرجوزة للمرحوم عبد الله أفندى فريج
الشاعر المشهور (١)

المجـــد للـه الـقـــديم الأزلـى — ذاك الــذى لـيــس لـــه أول
فــهـــو الإلـه الـواحــد الجليل — من ليس له فى خلق له مــثـيل
وإنما صــفـــاته **الذاتيــة** — **ثلاثة** لازمـــة أصليـــة
ثـلاثـة قـــامـت بـهـنّ الـذات — **وجـــوده والنطق والحـيـــاة**
مـنـزه عـن ســائـر الأضــداد — ومـــا لـه فـى الخـلـق مـن أنـداد
هيــهـــات أن يحــدّه الزمـــان — كـــلا ولا يحــصــره المكان
فــالآب والابن كـلاهمـا مـعـاً — بذلك **الروح المعزى** اجتـمـعـا
ويـدون أن يـزد شـى فـى الـعـــد — سـبـحـانـه فـقل هو **الفرد الصمد**
سـرّ به **التثليث والتوحيد** — حــارت به الأحــرار والعــبـيـد
لـكـنـه عـنـد ذوى الـعــقــول — لم يعـتـرهم فـيــه من ذهول
فــمـن تراه منكرا ذا المعـتـقـد — وقـال مـهـلا كـيـف تثليث الأحـد
قل صــاح هذا حق مــا فـيــه خلل — واضــرب له بالشـمس ذياك المثل
جـــرم ونور مع حـــرور زائدة — **ثلاثة والكل شـمس واحـدة**
مـتـحـد جـمـيـعـهـا إتحـادا — بلا إنفـصــال يقـبل الأعــدادا

---

(١) كتاب القوانين الذى جمعه الشيخ الصفى العالِم ابن العسال ـ طبعة الأنبا إيسيذوروس ١٩٢٧ الملحق صفحة ٥٧.

مقالات للمؤلف

١ ـ من الذى قام بخلّق العالم؟ (١)

لئن كان الله واحداً فى جوهره إلا أنّ أقانيم الثالوث القدوس متمايزة فى العمل. فإذا كان الآب قد أراد خلق العالم، فإن الابن هو الذى قام بعملية الخلّق، والروح القدس هو الذى بَثّ الحياة فى المادة.

ودليلك على ذلك أنّ نصوص الكتاب المقدس واضحة فى إجماعها على نسبة الخلق للابن أو الكلمة (اللوجوس) أو الأُقنوم الثانى من الثالوث القدوس.. وأنها إذا نسبت الخلّق إلى الآب فبوصفه الإرادة أو المشيئة، ولكنها تعود فتنسب عملية الخلّق بالفعل إلى الأقنوم الثانى أى الابن.

من ذلك قول القديس يوحنا الإنجيلى «فى البدء كان الكلمة (اللوجوس) ... **كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان**... كان فى العالم، **وكان العالم به**» (يوحنا ١ : ١، ٣، ١٠).

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثالثة ـ العدد الثانى (مايو لسنة ١٩٤٩) صفحتى ٣٣، ٣٤.

عمل الروح القدس (١)

من الإصحاح الثانى من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل فيلبى بركاته علينا. آمين.

فإن كان وعظ ما فى المسيح إن كانت تسلية ما للمحبة، إن كانت شركة ما فى الروح إن كانت أحشاء ورأفة، فتمموا فرحى حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة بنفس واحدة، مفتكرين شيئاً واحداً، لا شيئاً بتحزب أو بعجب، بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسكم، لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً، فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً، الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس، وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب. إذاً يا أحبائى كما اطعتم كل حين ليس كما فى حضورى فقط، بل الآن بالأولى جداً فى غيابى تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة، افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة، لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو يضيئون بينهم كأنوار فى العالم، متمسكين بكلمة الحياة لإفتخارى فى يوم المسيح بأنى لم أسع باطلاً ولا تعبت باطلاً، لكننى وإن كنت انسكب أيضاً على ذبيحة إيمانكم وخدمته أسر وأفرح معكم أجمعين. وبهذا عينه كونوا أنتم مسرورين أيضاً وافرحوا معى على أنى أرجو فى الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس لكى تطيب نفسى إذا عرفت أحوالكم، لأن ليس لى أحد آخر نظير نفسى يهتم بأحوالكم بإخلاص، إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح، وأما اختباره فأنتم تعرفون أنه كولد مع أب خدم معى لأجل الإنجيل. هذا أرجو أن أرسله أول ما أرى أحوالى حالاً وأثق بالرب أنى أنا أيضاً سآتى إليكم سريعاً، ولكنى حسبت من اللازم أن أرسل إليكم أفرودتس أخى والعامل معى والمتجند معى ورسولكم والخادم لحاجتى إذ كان مشتاقاً إلى جميعكم ومغموماً لأنكم سمعتم أنه كان مريضاً، فإنه مرض قريباً من الموت لكن الله رحمه وليس إياه وحده بل إياى أيضاً لئلا يكون لى حزن على حزن، فأرسلته إليكم بأوفر سرعة حتى إذا رأيتموه تفرحون

(١) عظة لأسرة القديس بولس الرسول الجامعية (كلية التجارة) فى مساء الأحد الموافق ٥ يونيه ١٩٧٧م - ٢٨ بشنس ١٦٩٣ ش بمبنى الأنبا رويس بالعباسية.

أيضاً وأكون أنا أقل حزناً، فاقبلوه في الرب بكل فرح وليكن مثله مكرماً عندكم، لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مخاطراً بنفسه لكي يجبر نقصان خدمتكم لي. نعمة الله الآب فلتحل على أرواحنا آمين.

الموضوع الذي سنتكلم عنه الليلة إن شاء الله: عمل الروح القدس.

من هو الروح القدس؟:

الروح القدس هو الله، لأن الله روح، والقدس، لأنه قدوس، «نظير القدوس الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين في كل سيرة». «القدوس المولود منك يدعى ابن الله» فالله هو روح، هو الروح القدس، أو الروح القدس هو الله، لِماً نقول الروح القدس هو الله، لأن الله واحد، لكن عندما ننظر إلى الله من حيث هو أصل الحياة وباعث الحياة ومبدئ الحياة فهو الروح القدس. يعني أحياناً نقول الله هو الآب، وأحياناً نقول الله هوالكلمة، وأحياناً نقول الله هو الروح القدس، لكن ليس ثلاثة آلهة، ولكن من أي زاوية ننظر إلى الله ومن أي خاصية، وعن أي خاصية في الله نتكلم، فحينما نتكلم عن خاصية الحياة في الله. فالله هو أصل الحياة أو حسب التعبير الذي نجده في الكتاب المقدس رئيس الحياة، هو رأس الحياة، أصل الحياة، مبدئ الحياة، باعث الحياة، هو الذي بدأ الحياة، لم يكن قبله حياة فهو بادئ الحياة وأصل الحياة وباعث الحياة، فمن هذه الزاوية الله هو الروح القدس، لأن الله روح وليس مادة، هو روح مثل ما قال مخلصنا له المجد للمرأة السامرية كما تجدونه في يوحنا ٤ عدد ٢٤ «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا» الله روح ليس مادة وليس جسد، والقدس، لأنه قدوس، كلمة قدوس لا تطلق إلا على الله، يقولوا الإنسان قديس إنما الله هو القدوس، ولذلك إشعياء النبي رأى الملائكة في السماء كانوا ينشدون قائلين «قدوس قدوس قدوس»، وطبعاً كما نرى في سفر الرؤيا، الملائكة في السماء تنشد قائلة «قدوس قدوس قدوس»، ونحن نرددها في الكنيسة عدداً من المرات بنفس الطريقة التي سمعها إشعياء النبي والتي سمعها أيضاً يوحنا الرسول، أن الملائكة تنشد لله مسبحة قائلة قدوس قدوس قدوس، فمن حيث أن الله روح، ومن حيث أنه قدوس فهو الروح القدس، لا يوجد غيره، لأن الله إله أرواح جميع البشر، كل واحد فينا له روح، والملائكة أرواح مرسلة للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص، الملائكة أرواح هذا تعريف الكتاب المقدس للملائكة أنهم أرواح مرسلة للخدمة، وكل منا له روح، وفي الكتاب المقدس يكلم الله «يا إله أرواح جميع بني البشر»، إذن إله الأرواح لابد أن يكون روح، فاقد الشئ لا يعطيه، إذن هو الروح الأعظم. لأن منه تنبع

كل الأرواح، هو الروح الأعظم وهو القدس لأنه قدوس، قدوس لأنه كلى النقاء كلى القداسة، «إلى ملائكته ينسب حماقة» حتى الملائكة ليسوا أطهار أمامه، أو بإزائه أو بالنسبة إليه فهو وحده القدوس، إذن الله هو الروح القدس أو الروح القدس هو الله.

الفرق بين الروح القدس كأقنوم والروح القدس كمواهب:

وهنا نحب فى مقدمة الحديث أن نفرق ما بين الروح القدس كأقنوم والروح القدس كمواهب وعطايا.

الروح القدس هو الله، هنا المعنى الأقنومى باعتبار أننا نتكلم عن هذه الخاصية، الله هو باعث الأرواح، أصل الأرواح، مبدئ الحياة وأصل الحياة ورأس الحياة. هذا هو معنى الروح القدس أقنومياً، وطبعاً الله واحد، وثلاثة أقانيم بمعنى ثلاثة خاصيات، فى الذات الإلهية الواحدة، فإذن عندما نتكلم عن الروح القدس أقنومياً نتكلم عن الله من حيث هو أصل الحياة، وباعث الحياة ورأس الحياة، وخالق الأرواح أو الروح الأعظم، وإذا تكلمنا عن مواهب الروح القدس، فالروح القدس يمنح عطايا وهبات وهذه العطايا والهبات هى قوات وقدرات، لذلك عندما تقرأوا فى الكتاب المقدس يقول : وامتلأ فلان من الروح القدس، امتلأ بطرس مثلاً من الروح القدس أو انسكب الروح القدس على الرسل فى يوم الخمسين أو حل الروح القدس على العذراء مريم.

هذا الحلول هو حلول لنعمة من قبل الروح القدس، وليس الروح القدس أقنومياً إنما من قبل الروح القدس، من نحن لكى يحل علينا الروح القدس أقنومياً؟ مستحيل ... من فينا يستطيع أن يسع الروح القدس؟ لا يمكن للإنسان أن يحتمل حلول الروح القدس أقنومياً؟ أحياناً أجد بعض الناس يسألوا هذا السؤال، مستحيل وليس من المعقول أن الذى حل على السيدة العذراء أو على الرسل الروح القدس أقنومياً، ولكن الذى حل عليهم هى قوة من الروح القدس، موهبة من الروح القدس، عطية من الروح القدس، جزء بسيط من طاقة الروح القدس، على قدر ما يحتمل الإنسان، الإنسان لا يحتمل حرارة الشمس رغم المسافة التى بيننا وبين الشمس ٩٣ مليون ميل، والإنسان لا يطيق الأشعة الآتية من الشمس، نحن نقول حرارة الشمس، أشعة الشمس، ضوء الشمس، القوة الآتية من الشمس، لكن الجرم نفسه، الشمس نفسها لو قربت أقل من ٩٣مليون ميل ماذا يحدث؟! نحن نرى أشعة الشمس تعطينا الضوء وتعطينا الحرارة والدفء لكن لا نرى الشمس نفسها، هذه الأشياء منها، لكن الجرم نفسه يساوى مليون مرة وثلث من الأرض، الأرض

ليس لها قيمة بجوار الشمس، فليس من المعقول أن تنزل الشمس على الأرض.. ومع ذلك هناك نسبة معقولة ما بين الأرض والشمس، لكن ما هى نسبتنا نحن إلى الله، نسبة غير معقولة، لا يمكن أن تحسب، نسبة الأرض واحد على مليون وثلث من الشمس، لكن أنا وأنت ماذا نساوى بالنسبة للروح القدس ذاته، بالنسبة لله ذاته لأن الروح القدس هو الله، ماذا نساوى؟ أنا أجاوب على سؤال يتردد كثيراً فى أذهان الناس، ونريد أن نصحح هذا التفكير. الكتاب المقدس عندما يقول الروح القدس حل على التلاميذ، أو الروح القدس حل على العذراء مريم، أو الروح القدس يحل عليك، هنا فيه حاجة مستترة، فالمقصود قوة من الروح القدس وليس الروح القدس ذاته، العذراء لا تحتمل الروح القدس ذاته، ماذا تساوى العذراء بالنسبة للروح القدس؟ إذن هى قوة من قبل الروح القدس، ولذلك اللغة القبطية لغة دقيقة جداً، يمكن أحسن لغة استطاعت أن تعبر بدقة، عندما يقول الروح القدس حل على العذراء يقول «أو ابنفيما اثؤواب» أو «ابنفما اثؤواب» يعنى روحاً مقدساً أو روح القدس، لكن فى الترجمة الحديثة التى تطبعها دار المعارف قلنا روح القدس، وليس الروح القدس، روح القدس كلمة روح هنا غير معرفة، القدس معرف، روح القدس وليس الروح القدس، لكى نكون أكثر دقة الذى حل على العذراء والذى حل على التلاميذ والذى حل على أى واحد من الرسل، والذى نأخذه فى سر الميرون هو روح القدس يعنى قوة من الروح القدس، طاقة من الروح القدس، موهبة من الروح القدس، عطية من الروح القدس، يقولوا حل الروح القدس كنوع من أنواع الاختصار، لكن مفروض أنه واضح مجمل وجوباً أنه ليس المقصود الروح القدس أقنومياً، إنما موهبة الروح القدس، ولذلك الكاهن عندما يدهن الإنسان بالميرون بعد المعمودية يقول: ختم موهبة الروح القدس، ختم موهبة هو الذى يحل على أعضاء الإنسان ٣٦ عضو لكى يدشنها ويقدسها، ولكى يحصل الامتلاء من الروح القدس، وبتدشين أعضاء الإنسان تصبح أعضاء المسيح مقدسة، له ختم موهبة الروح القدس أو ختم الموهبة من قبل الروح القدس فالمحصلة واحد، هذه عطية من الروح القدس، هذا هو الفرق ما بين الحلول الأقنومى وحلول الموهبة، فبالنسبة للبشر عموماً ابتداء من الست العذراء إلى أى إنسان آخر، هى قوة من الروح القدس التى يأخذها الإنسان. ولا نتكلم عن الروح القدس أقنومياً إلاّ حينما نتكلم عن الثالوث القدوس. وإلاّ عندما نتكلم عن الله ذاته، عندما نقول الآب والابن والروح القدس معاً فى جوهر واحد، هنا الروح القدس «بى ابنفيما اثؤواب» «بى» أداة التعريف الـ روح القدس، فعندما نتكلم عن الثالوث القدوس وعن الذات الإلهية هنا فى هذه الحالة نتكلم عن الروح القدس

أقنومياً، وفيما عدا ذلك حينما نتكلم عن حلوله على الرسل أو على العذراء أو على أى إنسان آخر، فنتكلم عن حلول عطية من عطايا الروح القدس على هذا الإنسان. مثل ما يقول الكتاب «أنواع مواهب مختلفة ولكن الروح واحد»، نحن نأخذ مواهب مختلفة فى أسرار الكنيسة، يوجد سبعة مواهب، كل سر له موهبة، كل سر فيه عطية من عطايا الروح القدس، ففى المعمودية فيه عطية من الروح القدس، هذه العطية تنسكب وتنحدر على مياه المعمودية فيتكهرب الماء بكهرباء الروح القدس ويصير الماء خلاقاً، وكما أن الروح القدس خلق من المياه فى العهد القديم الأسماك والطيور، هكذا فى العهد الجديد الروح القدس فى حلوله على مياه المعمودية حينما ينحدر عليها بصلوات الكهنة، يكهرب المياه ويكسبها القدرة الخلاّقة، فتخلق الإنسان خلقاً جديداً ويتم الميلاد الثانى.

وفى سر الميرون تنحدر موهبة أخرى من مواهب الروح القدس على أعضاء الإنسان، لكى تصبح مدشنة مكرسة مخصصة مكرسة لله، مثل ما قال الرسول «هل آخذ أعضاء المسيح واجعلها أعضاء زانية» فتصبح أعضاء المسيح بحلول الروح القدس عليها.

والروح القدس أيضاً ينحدر على العناصر الخبز والخمر فى سر الإفخارستيا، ويحول وينقل هذه العناصر إلى جسد الرب وإلى دمه، وفى سر التوبة أيضاً ينحدر الروح القدس ليمنح الغفران، وفى سر مسحة المرضى يمنح الشفاء من الأمراض الجسدية المتسببة عن علل روحية ونفسية، وفى سر الزيجة ينحدر على العروسين ليربط بينهما ويجعل منهما جسداً واحداً، وفى سر الكهنوت يحل الروح القدس على الشخص المدعو، ليعطيه موهبة بها يكون قادراً على خدمة المؤمنين وتوزيع مواهب الروح القدس على الآخرين. يكفى هذا لبيان التفرقة ما بين الروح القدس باعتباره الذات الإلهية، وباعتباره خاصية الحياة فى الله وأنه باعث الحياة وأصل الحياة، وبين مواهب وعطايا الروح القدس التى تنسكب على الناس.

ما الذى انحدر على المسيح فى نهر الأردن:

واحد يسأل سؤال ويقول ما الذى انحدر على المسيح فى نهر الأردن؟

عندما يقول الكتاب المقدس حل الروح القدس على المسيح، المسيح يجمع بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً. فإذا تكلمنا عن المسيح من حيث هو إله، فلا نستطيع أن نتكلم عن حلول الروح القدس، مستحيل لأن حلول الروح القدس هنا معناه أن المسيح لم يكن فيه الروح القدس وحل عليه، وهذا خطأ لأن الروح القدس أقنومياً مع الآب والابن منذ الأزل.

فإذن لا نستطيع أن نتكلم بالنسبة للمسيح كإله عن حلول الروح القدس، إنما ممكن نتكلم عنه من حيث هو إنسان. لا من حيث هو إله، من حيث هو إله الروح القدس معه منذ الأزل فلا يوجد حلول، لا يوجد شئ جديد، الحلول معناه شئ لم يكن موجود وحل، لكن إذا كان الروح القدس منذ الأزل مع الآب والابن أقنومياً فلا نتكلم إذن عن حلول للروح القدس على المسيح كإله أبداً. وفى هذه الحالة ممكن أن نتكلم عن الذى حدث فى يوم الغطاس ونسميه ظهور الروح القدس، ولذلك يسمى عيد الظهور الإلهى، عندما نتكلم عن المسيح كإله ونتكلم عن حلول الروح القدس هنا لانعنى الحلول بمعنى أنه لم يكن موجود، وإنما بمعنى ظهر، ولذلك يسمى عيد الغطاس عيد الظهور الإلهى، بمعنى أنه أمام الناس، الآب يتكلم ويقول هذا هو ابنى الحبيب، والابن فى الماء، والروح القدس مثل حمامة ومستقر عليه، فهذا هو الظهور، كلمة ظهور يعنى يبدى، يكشف للعيان وللناس عن حقيقة التثليث، الآب والابن والروح القدس معاً، من هذه الزاوية يسمى عيد الظهور الإلهى. لكن إذا تكلمنا عن المسيح إنسانياً من حيث هو إنسان، لأننا نقول المسيح يجمع بين كونه إلهاً وبين كونه إنساناً، فمن حيث هو إله لا يحل عليه الروح القدس. إنما كإنسان حبل به فى البطن، وكإنسان ولد، وكإنسان نما قليلاً قليلاً، وكإنسان كان لابد أن يحل عليه الروح القدس، ولذلك نحن قياساً على المسيح بعد المعمودية نمسح بمسحة الروح القدس وهى الميرون، مثل ما حدث بالنسبة للمسيح، فكإنسان نعم حل عليه الروح القدس.

عمل الروح القدس فى العهد القديم:

بعد هذا التعريف نتكلم عن عمل الروح القدس.. هناك بعض الناس يفتكروا أن الروح القدس بدأ يوم الخمسين، لكن الذى يقرأ منكم الإصحاح الأول من سفر التكوين، والعدد ٢، «وكان روح الله يرف على وجه المياه»، إذاً روح الله منذ ابتداء الخليقة، وهو الذى خلق من المياه الأسماك والزحافات البحرية والطيور.

إذن الروح القدس يعمل منذ الابتداء، وأتذكر فى المزمور الخمسين تقولوا «روحك القدوس لا تنزعه منى»، فإذن الروح القدس كان موجود فى العهد القديم، كذلك فى المزمور نقول «روحك القدوس يهدينى إلى الاستقامة»، الروح القدس إذن عمله منذ الابتداء. أولا الروح القدس مثل ما قلنا هو الله من حيث هو اقنوم، ومن حيث عمله فى الخليقة منذ ابتداء الخليقة وما قبل الخليقة، لأنه مثل ما قال المسيح «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل»، فعمل الله قديم ولا زال العمل مستمر، فإذن عمل الروح القدس منذ الابتداء، ويوجد مسحة الروح القدس التى كان يمسح بها الملوك

والأنبياء والكهنة فى العهد القديم، كان الملك يسكبوا عليه ما يعرف بدهن المسحة، ودهن المسحة كان يتركب تركيب معين من أشياء معينة، مازالت فى العهد الجديد يتركب منها ما يعرف بالميرون. وهى مسحة الروح القدس كما جاء عنها فى رسالة يوحنا الرسول الأولى «وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ، ولستم فى حاجة أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها، وهى حق وليست كذباً كما تعلمكم هكذا تثبتون فى الحق».

فهناك مسحة الروح القدس فى العهد الجديد وهناك أيضاً مسحة الروح القدس فى العهد القديم، وكانت مسحة الروح القدس فى العهد القديم لها تركيب معين، وفيها موهبة غيرمنظورة، وهى القوة الإلهية التى تنحدر من خلال أو عن طريق هذه المسحة، فإذا سكبت هذه المسحة على إنسان يمتلئ من الروح القدس، مثل ما قال الكتاب إن شاول مسح وبعد المسحة تنبأ، فقالوا أشاول بين الأنبياء، ولما مسح صار ملكاً وأصبح يسمى مسيح الرب، حتى أن داؤد النبى لما كان شاول يطارده وتمكن منه مرة وكان يمكن أن يقتله قال: كيف أمد يدى إلى مسيح الرب؟ مسيح الرب هو ممسوح من الرب والممسوح من الرب هو الذى دهن بالمسحة فحل عليه الروح القدس، فالأنبياء والملوك والكهنة ، حتى الكاهن فى العهد القديم على الرغم من أنه من نسل هرون كان لابد بعد اختياره لكى يكون بلا عيب من الناحية الجسدية، أن يدهنوه ويسكبوا عليه من دهن المسحة فينحدر عليه الروح القدس، وكان محتوم عليه أنه يستمر سبعة أيام فى الهيكل لا يفارقه حتى لو مات أبوه أو أمه أو أحد أقاربه، لايخرج أبداً لأى ظرف لمدة سبعة أيام على الأقل.

إذن الروح القدس كان يعمل منذ الابتداء من أول أيام الخليقة، مثل ما قلنا كان روح الله يرف على وجه المياه وكان روح الله يخلق من المياه، خلق من المياه كل الزحافات والأسماك والطيور وهى الحيوانات البحرية، وحتى التى يسموها البرمائية مثل الضفادع والتماسيح وما إليها، ثم الروح القدس يشار إليه فى المزامير، ويشار إليه فى أسفار الأنبياء، ويشار إليه فى الأسفار التاريخية، وكان يحل على الأنبياء والملوك والكهنة.

عمل الروح القدس فى العهد الجديد:

إن عمل الروح القدس فى العهد الجديد ابتداء من يوم الخمسين، هنا علامة محددة، هنا خط فاصل، هنا فارق بين عمل الروح القدس فى العهد القديم، وبين عمل الروح القدس فى العهد الجديد، فى العهد القديم كان يحل على أشخاص معينين لهم مهام معينة ومسئوليات محددة إما نبى أو ملك أو كاهن. أما فى العهد الجديد «اسكب من روحى على كل بشر» هنا اسكب من

روحى على كل بشر ويتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى، الشيوخ والشباب والعبيد والإماء لا يوجد فرق بين رجل وإمرأة فى حلول الروح القدس، لا يوجد فرق بين شيخ وشاب أو بين عبد وحر. العبيد والأحرار الكل سواء، موهبة الروح القدس تنحدر عليهم جميعاً، هنا الفرق، هنا العلامة المميزة بين عمل الروح القدس قديماً وعمل الروح القدس جديداً لأنه فى القديم كان يعمل الروح القدس فقط فى إناس لهم مهام ومسئوليات مخصوصة، أما فى العهد الجديد فهناك فيه فيض، هذا الفيض «من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من باطنه أنهار ماء حى»، هنا الفرق بين الروح القدس كعطية تعطى محدودة لإناس معينين بمهام مخصوصة وبقدر، وبين الروح القدس الذى يعطى بغنى على كل البشر ما دام البشر مؤمن، ومادام البشر يرغب، «افغر فاك فأملأه». كل بشر مستعد لقبول هذه النعمة يأخذها، من آمن بى تجرى من باطنه أنهار ماء حى، ومَنْ البشر؟ على كل البشر على العبيد وعلى الإماء يرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً، على كل البشر على البنين والبنات، لم يكن الروح القدس فى العهد القديم يحل على المرأة، لأنه لا يوجد لها مهام معينة، إنما فى العهد الجديد حل الروح القدس على ستنا مريم، وكل إنسانة تدهن بالميرون بعد المعمودية، فهنا العلامة المميزة الفرق بين عمل الروح القدس قبل يوم الخمسين وعمل الروح القدس بعد يوم الخمسين.

فأولاً عمل الروح القدس: فى العماد تدفق سيل جارف من النعم والمواهب والامتلاء، ولذلك كل واحد يتعمد يمسح بالميرون بعد المعمودية مباشرة ويأخذ مسحة الروح القدس، ونصبح بموجب هذه المسحة أنبياءً وملوكاً وكهنة، كل مسيحى يمسح بالروح القدس يصبح نبى وملك وكاهن، طبعاً بالمعنى العام وليس بالمعنى الخاص. فنبى بمعنى اطلاعنا على أسرار العهد الجديد، فلا يوجد فى العهد الجديد معلومات معينة تقال لمسيحى دون مسيحى آخر. كل علم الكتاب المقدس والمعرفة الروحية ممكن تعطى لكل واحد. هذا معنى النبوءة، كذلك ملك بالمعنى العام للكلمة بمعنى ملك على ذاته أنه يصبح سيد نفسه، وضابط روحه كما يقول سليمان الحكيم خير من فاتح مدينة، يملك ذاته يملك لسانه فيصبح الإنسان ملكاً، ملكاً على ذاته لا يملكه أحد لا يسيطر عليه أحد، لا يملكه الشيطان، هو سيد ذاته. وكاهن لأنه يقدم ذبيحة حية مقبولة أمام الله، وكاهن لأنه يقدم ذبيحة الصلاة، والصلاة ذبيحة بهذا المعنى، ثم كاهن لأنك تقدم أيضاً ذبيحة العطاء مثل ما قال الرسول بولس لا تنسوا فعل التوزيع والعطاء لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله، فكأن العطايا والقرابين التى نحن نعطيها للفقراء والمساكين والملاجئ وللمحتاجين هذا

العطاء ذبيحة، فالصلاة ذبيحة، والعطاء لله ذبيحة، وأيضاً أن يقدم الإنسان ذاته ذبيحة حيّة مقدسة عبادتكم العقلية هذه ذبيحة، وهذا ما يسمى بالكهنوت العام، جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه، كما جاء فى سفر الرؤيا. الكهنوت العام لجميع المسيحيين بالمسحة المقدسة، بالميرون كل واحد يصبح كاهناً، الكهنوت العام غير الكهنوت الخاص الذى يعطى بموهبة أخرى، وعطية أخرى وهو سر الدرجة وسر الكهنوت، الذى يعطى لبعض الناس لكى يقدروا به أن يمارسوا عمل الخدمة وتوزيع مواهب الروح القدس على الآخرين، وهذا هو الفرق بيننا وبين البلموس الذين يسموا أحياناً بالأخوة، أنهم يقولوا كلنا كهنة، نحن نقول أن المؤمنين المسيحيين المعمدين الممسوحين بمسحة الروح القدس لهم الكهنوت العام، وهو غير الكهنوت الخاص الذى يعطى لأشخاص لكى يتأهلوا بهذه الموهبة الخاصة وهى سر الدرجة أو سر الكهنوت ليقوموا بالخدمة لآخرين. لأن هناك بعض الناس فى العهد القديم لما سمعوا ربنا يقول أنتم كهنوت مقدس وأمة مقدسة، قام جماعة قورح وداثان وابيرام قالوا خلاص الأمة كلها مقدسة، لا يوجد ميزة، تساوت الرؤوس، لا داعى أبداً لموسى ولا للكهنوت ولا لهارون. فاغتاظ موسى وصرخ لربنا فقال له الله اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم. فدخل إلى الهيكل ٢٥٠ واحد وكل واحد أخذ مجمرة أو مبخرة (شورية) وهم يبخروا، فنزلت عليهم نار من السماء وأحرقتهم جميعاً وماتوا، فموسى قال لهارون دع اللاويين يشدوهم ويخرجوهم ثم دفنوهم ثم كان هناك آخرين متعصبين ثائرين وأصبح فيه مظاهرة، لأنه لم يكن الـ ٢٥٠ فقط لوحدهم، ولكن كان معهم آخرين بعائلاتهم وأولادهم متعصبين معهم، فربنا قال لهم اعتزلوا هؤلاء، ففتحت الأرض فاها وابتلعتهم جميعاً، فنزلوا كما قال الكتاب أحياء إلى الهاوية، وكان هذا درس أعطاه الله فى العهد القديم للذين تعدوا على الكهنوت، أو يزعموا أنهم يستطيعوا بناء على سوء فهمهم بكلمة كلكم كهنوت وأمة مقدسة، أن كل الناس سواء، كل الناس كهنة، فبنفس الفكرة فى العهد الجديد. فى سفر الرؤيا قال الرسول «كهنوت مقدس» فلا يفهم منه ما فهمه البلموس، وإنما يفهم منه كما فهمته الكنيسة باستمرار، أنه يوجد الكهنوت العام وهذا الكهنوت العام يعطى لجميع الذين يمسحون بمسحة الروح القدس، وهذا غير الكهنوت الخاص.

اضرام المسحة المقدسة:

المهم أنه بعد ذلك هذه المسحة المقدسة تحتاج إضرام، يقول «اضرم موهبة الله التى فيك» اشعلها، عندك نور، عندك نار، لازم أولاً تحافظ عليها، عندك لمبة لازم تضع لها وقود وإلاّ

الوقود ينتهى، لازم تنظف مفاتيح اللمبة حتى الغبار لا يعوق مرور النور، لازم تصلح الفتيل، تسقط الأشياء المحترقة من الفتيل لئلا تمنع توهج الضوء، فلكى تضمن أن اللمبة تستمر والضوء يبقى متوهج، أولاً لازم تزودها بالوقود، ويكون لها نصيب من الأوكسجين مستمر، لأنك لو كتمت على اللمبة من فوق ومنعت عنها الأوكسجين تنطفئ. لابد أيضاً تنظف المفاتيح، ولازم تنظف الفتيل، أى هناك عمليات ثانية ، الأول الشعلة، وبعد الشعلة محتاج إنك تحافظ عليها وتنميها، إذن نحن أخذنا مسحة الروح القدس لكن لازم ننمى عطية الله، وهذا هو دور العبادة، هذه هى خدمة العبادة التى تضرم موهبة الروح القدس، تشعل موهبة الروح القدس، الصلاة، والقراءات، والتأملات المقدسة، والتأمل فى سير القديسين، ومراقبة النفس مراقبة مستمرة، ومحاسبتها محاسبة مستمرة، ودوام الاعتراف، والتناول، التقدم للأسرار المقدسة، كل هذا يشعل ويضرم موهبة الله وينظف أول بأول الفتيل ويشعل ويعطى وقود مستمر، يضمن استمرار الموهبة وإلاّ تنطفئ يقول «لا تطفئوا روح الله». إذن فى إمكاننا أن نطفئ، تقدر أن تطفئ وتقدر أن تضرم، الإشعال هنا هو دور العبادات أو الرياضات الروحية، المقصود بها أنت وقد أخذت موهبة الروح القدس فى سر الميرون، مطلوب منك وسائط الخلاص التى تكون لإضرام وإشعال وإلهاب وتطهير وتنقية جسمك، وتنقية الأشياء المعطلة التى تعطل عمل الروح القدس.

إذا أضرمت عمل الروح القدس، يتولد عنه روح السلام، وروح المحبة، روح الإيمان الذى بلا فحص، يزداد عندك روح الرجاء الذى لا ينقطع ولا يخيب، روح الحب الذى يرتفع للعالم كله، ومواهب الخدمة تتوالد، وموهبة تميز الأرواح تتولد، موهبة الإفراز، موهبة العلم الإلهى، ويكون الجميع متعلمين من الله العلم الذى يسموه العلم اللدونى الذى من لدن الله، مثل ما يقول «ولستم فى حاجة أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها وهى حق وليست كذباً» ومثل ما قال سيدنا له المجد عن الروح القدس: «ويعلمكم كل شئ ، ويعلمكم» تجد فيه نور فى الداخل ينير القلب، يرشدك لحالة لم تكن تعرفها، نوع من بثق المعرفة فى قلبك نتيجة إضرام موهبة الروح القدس التى أخذتها، عندما تنير تكشف أولاً ما فى قلبك من خبايا، تعرفك بالنقائص التى فيك، تنور شعورك وإحساسك ومحبتك، تجد نفسك ازددت حساسية وازددت رقة فى نظرتك إلى الأمور وفى نظرتك إلى الآخرين، وحتى فى نظرتك إلى الحيوان وإلى الحشرات تمتلئ بالعطف على الخليقة، تمتلئ بالعطف على الحيوان، كل هذه مواهب تتولد، تتولد شيئاً فشيئاً روح القداسة، روح القداسة ينمو فيك، غيرتك الروحية على القداسة والطهارة والنقاء، كراهيتك

تخطيئة وكراهيتك للشر، «كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير»، هذه الكراهية تتولد عن الروح القدس إذا أُضرم، لكن ما لم يضرم الروح القدس تظل فيك حياة الصراع بين الخير والشر، وتستمر تميل للشر وقلبك متعلق به، لكن كل ما أُضرم بالعبادة عمل الروح القدس فى القلب يزداد، تجد قلبك نفسه أصبح يكره الخطيئة مثل ما يكون قطعة لحم معفنة لا تطيقها، تكون كريهة بالنسبة لك كونوا كارهين الشر ملتصقين بالخير.

فعمل الروح القدس باضرام بالعبادات الروحية يصل بنا إلى المواهب والعطايا، يصل بنا إلى الإيمان الذى بلا فحص، إلى الرجاء، إلى الحب، يصل بنا إلى عمل المعجزات، أحياناً يخبركم بأمور آتية، فى بعض القديسين العاديين ليسوا من الكهنة ولا من رجال الدين ولا من الرهبان، تجد الروح القدس يكشف لهم المستقبل إلى أمور آتية، مثل قطار السكة الحديد لما الكشاف يرمى كيلو أمامه، فيستطيع السائق أن يرى الذى أمامه، فالروح القدس يتحول إلى نور يرمى للأمام، يجعل الإنسان يرى أشياء فى المستقبل، وهى روح النبوءة بالمستقبل، وهكذا مواهب مختلفة يعطيها الروح القدس بعد الإضرام بالعبادات والرياضات الروحية.

نكتفى بهذا ونعمة الرب تشملنا جميعاً، ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد آمين.

شرح مبسط
لقانون الإيمان

شرح قانون الإيمان

مقدمة تاريخية عامة عن قانون الإيمان

ومن الذى وضعه

قانون الإيمان الذى مطلعه «نؤمن بإله واحد». كل الناس المؤمنين بالمسيح يعرفونه ويرددونه، شرقاً وغرباً. إنه معروف فى كل العالم المسيحى، معروف عند الشرقيين وعند الغربيين أيضاً.

إنه يرجع فى تاريخه إلى عام ٣٢٥م، وهى السنة التى انعقد فيها المجمع المسكونى الأول المعروف بمجمع نيقية، وهى مدينة من مدن آسيا الصغرى (وهى الآن تركيا) بدعوة من الامبراطور قسطنطين الكبير للنظر فى بدعة أريوس الرجل الذى كفر بلاهوت السيد المسيح، وزعم أنه ليس أزلياً مع الآب. فانعقد هذا المجمع من ٣١٨ أسقفاً، من أبرز وأعلم أساقفة العالم المسيحى يمثلون جميع البلاد المسيحية. وقد حضر هذا المجمع من بلادنا المصرية البابا الكسندروس الأسكندرى (وهو التاسع عشر فى سلسلة باباوات الأسكندرية وبطاركة الكرازة المرقسية)، وتلميذه الشاب البطل الغيور القديس الشماس أثناسيوس الذى صار فيما بعد بابا الأسكندرية الملقب بالبابا أثناسيوس الرسولى (وهو العشرون فى سلسلة باباوات الإسكندرية). (٢٩٩ – ٣٧٣)م.

انحرف أريوس عن الإيمان الأرثوذكسى فى السيد المسيح، وقال إن المسيح ليس أزلياً، فراجعه البابا الكسندروس مبيناً له التعليم الصحيح الذى تسلمته الكنيسة منذ تأسيسها، وهو أن السيد المسيح هو الله الظاهر فى الجسد، وأن السيد المسيح له وجودان، وجود قبل الزمان أى منذ الأزل، ووجود آخر فى الزمان عندما حل بلاهوته فى سيدتنا مريم العذراء، واتّخذ منها جسداً بشرياً كاملا. وإذن فربنا يسوع المسيح كان كائناً قبل ظهوره فى الجسد، كان كائناً قبل خلق العالم، وقبل كل الدهور، وهو مع الآب والروح القدس إله واحد، كائن منذ الأزل وإلى الأبد.

وفى سنة ٣٨١م انعقد المجمع المسكونى الثانى، المعروف بمجمع القسطنطينية المسكونى بسبب بدعة أثارها رجل اسمه مقدونيوس، وأكمل هذا المجمع الجزء الثانى من قانون الإيمان فى صيغته الحالية، شارحاً الكلام عن أقنوم الروح القدس ولاهوته وتحدث أيضاً عن علامات

الكنيسة الأربع ولقبها بالكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية وعن سر المعمودية المقدس، وعن عقيدة قيامة الموتى والحياة الأخرى.

وعلى ذلك فقانون الإيمان وضعه مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ وأكمله مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١م.

نص قانون الإيمان

نؤمن بإله واحد.

الله الآب، ضابط الكل (القادر على كل شيء)، خالق السماء والأرض، ما يرى وما لا يرى.

و (نؤمن) برب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر، الذى به كان كل شيء، هذا الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء. تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى، وتألم وقبر، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات، الذى ليس لملكه إنقضاء.

و (نؤمن) بالروح القدس، الرب المحي، المنبثق من الآب. نسجد له ونمجده مع الآب والابن، الناطق فى الأنبياء.

وبكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية.

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.

وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آميـن.

وفيما يلى شرح لنصوص هذا القانون، وأهم ما يشتمل عليه من عقائد:

أولا - الله والخليقة

نظام العالم وقوانين الطبيعة برهان قاطع على وجود الله.

نقول فى قانون الإيمان «نؤمن بإله واحد» وهذه العبارة تنطوى على حقيقتين.

الحقيقة الأولى: إننا نؤمن بوجود الله.

والحقيقة الثانية: إن الله واحد.

ونتناول هنا الكلام عن وجود الله.

يقول العامة «الله لا يره أحد، ولكن الناس عرفوه بالعقل» وهذا صحيح، بمعنى أنه ليس فى مقدور الإنسان فى إمكانياته الحاضرة أن يشاهد لاهوت الله كما هو فى حقيقته، ولكنه يمكن أن يحكم بعقله أن الله كائن، وهو الذى أوجد العالم وخلقه من العدم.

ويقول الرب نفسه لموسى النبى عندما اشتهى موسى أن يراه «لا تستطيع أن ترى وجهى لأنه لا يرانى إنسان ويعيش» (سفر الخروج ٣٣: ٢٠). وقال عنه مار بولس «الذى له وحده الخلود، ساكناً فى نور لا يقترب منه، الذى لم يره أحد من الناس، ولا يقدر أن يراه» (١ . تيموثيئوس ٦: ١٦).

نعم نحن لا نقدر الآن أن نرى الله، ولكننا سنراه فيما بعد، عندما نترك هذا الجسد وهذه الحواس الجسدية المحدودة وهى الحواس الخمس: النظر والسمع والشم والذوق واللمس، عن طريق العين والأذن والأنف واللسان واليد، ونذهب إلى العالم الباقى بعد الموت.

أما ونحن فى هذا الجسد الحاضر، وبهذه الحواس المحدودة، فلا نستطيع أن نرى الله، لأنه إذا كنا لا نستطيع أن نرى الأشياء البعيدة جداً، ولا نستطيع أن نسمع الأصوات من مسافات بعيدة، لأن عيوننا وآذاننا ليس فى مقدورها ذلك، فبالأحرى لا نستطيع أن نرى الله بعيوننا.

لكننا نفهم بعقولنا أن الله كائن.

فأنت لا ترى الهواء لكنك تؤمن بوجوده عندما يتحرك فيحرك الشباك أو الباب أو ورق الأشجار ويثير التراب فى الجو.

فإذا أردت أن ترى الله هنا فى هذا العالم، فيمكنك أن **تراه فى مصنوعاته وخلائقه، وفى نظام الكون العجيب، وفى قوانين الطبيعة**، لأن كل هذه الأشياء تبرهن على وجود إله ذى عقل جبار صنع كل شيء بحكمة وترتيب محكم جميل.

تأمل **نجوم السماء** وهى كثيرة جداً لا يحصيها العد، وكل نجم منها أكبر كثيراً من الأرض التى نعيش عليها، ومع ذلك فهذه النجوم التى تزيد فى عددها عن الملايين تدور حولنا وتتحرك بسرعة هائلة، وعلى الرغم من أنها معلقة فى الفضاء الواسع بدون أعمدة تسندها ولا حبال تربطها، ولكنها ثابتة لا تسقط على الأرض، ولا تصطدم ببعضها بعضاً ولا تصطدم بالأرض، لأن الله الذى خلقها وضع لها مسارات محددة لا تتعداها ولا تتخطاها.

تأمل كذلك **الشمس** التى تشرق علينا بنورها فتضيء الكون كله، وترسل لنا الحرارة والدفء اللازمين لحياة النبات والحيوان والإنسان، هى أيضاً تبعد عن أرضنا بمسافة تبلغ نحو ٩٣ مليون ميل. فلو أن هذه المسافة نقصت إلى ٩٢ مليون ميل لاحترقت الأرض وما عليها بفعل حرارة الشمس المحرقة. ولو أن هذه المسافة زادت عن وضعها الحالى لتجمدت الأرض

وماتت الناس والحيوانات والنباتات من شدة البرد. ومعنى ذلك أن الشمس تبعد الآن عن الأرض المسافة اللازمة لحفظ الحياة على الأرض. وهذا يدل على أن هذه المسافة هى من تدبير العقل الإلهى الذى يحكم الكون بحكمة مذهلة.

تأمل أيضاً هذه الشمس المشرقة، كيف أن الأرض تدور حولها، ونتيجة لهذا الدوران تتكون فصول السنة الأربعة من ربيع إلى صيف إلى خريف إلى شتاء، كل منها يمتد إلى ثلاثة شهور كاملة. والربيع يجىء دائماً فى ٢١من مارس، والصيف فى ٢١من يونيه، والخريف فى ٢٣من سبتمبر، والشتاء فى ٢٢من ديسمبر. وهذه الفصول تذهب وتجىء فى كل عام فى أوقاتها المحددة بلا تخلف، مما يدل على أن حركة الأرض حول الشمس حركة منظمة. وبناء عليها يصير طول النهار كطول الليل فى الاعتدال الربيعى (٢١من مارس) والاعتدال الخريفى (٢٣من سبتمبر)، بحيث يكون النهار ١٢ساعة والليل ١٢ساعة مثله. أما النهار فى ٢١يونيه فيبلغ فى بلادنا ١٤ ساعة، بينما الليل يبلغ ١٠ساعات والعكس فى ٢٢من ديسمبر فيصير الليل ١٤ساعة والنهار ١٠ساعات.

وتأمل القمر أيضاً الذى يضىء علينا بالليل وكيف يدور حول الأرض كل شهر دورة تكتمل فى نحو ٢٩يوماً. تأمله وهو هلال صغير يكبر ضوؤه يوماً فيوماً إلى أن يبلغ كماله فى الرابع عشر من الشهر، فيصير بدراً تاماً. ثم يأخذ فى النقص حتى يصير فى المحاق. كل هذا يحدث فى كل شهر بنظام ثابت دقيق لا يتغير ولا يتبدل مما يدل على قوة جبارة، وعقل كبير يحكمه، وهو عقل الله الذى يملأ مجده السماوات والأرض.

وهذا القمر الذى يدور حول الأرض يعكس علينا نور الشمس فى الأوقات التى يختفى ضوؤها عنا حتى لا تحرم من النور أثناء الليل، ألا يدلنا هذا على رعاية الله لنا وعنايته بنا؟

وهذا القمر يبعد عن أرضنا نحو ٣٠٠,٠٠٠ ميل أو على الدقة ٢٧٦,٠٠٠ ميل، وهو لذلك يحفظ وضع المحيطات والبحار فى أماكنها. فلو أن القمر اقترب إلينا أكثر من وضعه الحالى فماذا كان يحدث؟ سوف يجذب المياه إليه، ويحدث نتيجة هذا ما يسمى بالمد، ولكنه سيكون فى هذه الحالة مداً عظيماً جداً بحيث تخرج المياه من المحيطات والبحار وتغرق الأرض كلها، فيموت الناس والحيوان ويموت النبات أيضاً، ولكن قوة الله هى التى رسمت أن يبعد القمر عن الأرض مسافة معينة محدودة، هى المسافة التى تحفظ حياة البشر وحياة سائر الكائنات.

وتأمل **النبات** أيضاً فماذا ترى؟

ألا ترى أن الأرض واحدة ومع ذلك تنبت عليها نباتات متنوعة من الحشائش والأشجار والخضروات والبقول والفواكه، وكل نوع منها يتميز بمميزات خاصة يعرف بها بحيث يمكن أن نقول إن هذه برتقالة، وهذه بصلة، وهذه جزرة، وهذه بطيخة.. الخ لأن كلا منها له صفات معينة يتميز بها فى حجمه، وشكله، ولونه، وطعمه، ورائحته، وكل منها ينتسب إلى عائلة نباتية معينة.

خذ على سبيل المثال الرمانة وتأمل تركيبها وفصوصها، وكيف أن حباتها متجاورة بنظام هندسى خاص تفصل بينها فواصل بيضاء رقيقة وتضمها جميعها قشرة من نوع خاص ولها صلابة خاصة،وشكل خاص تتميز به عن البرتقالة أو عن الكمثرى أو عن جوز الهند أو الفجل أو الطماطم. ألا يدل هذا كله على عقل عظيم صنع كل شىء بنظام وحكمة عالية؟

ثم انظر كيف أن كل نبات يمتص من الأرض الأملاح التى تناسبه، وبالمقادير التى يحتاج إليها بالضبط، وهكذا يأخذ من الشمس النور، والحرارة، واللون، والطعم، والرائحة.

خذ مثلا التفاحة أو البطيخة، أو واحدة من الطماطم، تجدها تمتص من التربة شيئا من السكر، وشيئا من الملح، وشيئا من الكربون، وغيره، بمقادير معينة تختلف فى التفاح، عنها فى البطيخ، عنها فى الطماطم، مما يدل على أن هناك عقلا يحكم هذا التركيب الكيميائى.

وما نقوله عن النباتات نقوله عن **الحيوانات** ونقوله أيضاً عن تركيب **جسم الإنسان**.

تأمل كيف يتكون **جسم الإنسان** من أعضاء كالعينين والأذنين والأنف والفم واليدين والرجلين وتأمل تركيبه الداخلى كالقلب والرئتين والمعدة والأمعاء والكبد والكليتين إلى غيرها من الأعضاء الصغيرة والشرايين والأوردة والأعصاب والعضلات والعظام. كل منها مركب تركيباً فنياً يدل على حكمة عالية وغاية سامية لمصلحة الجسم كله، وهى تتعاون معاً فى تآلف وانسجام تحت رقابة العقل. الذى يشرف عليها ويوجهها.

خذ مثلا **العين** وتأمل تركيبها وكيف تستقبل صور المرئيات من خلال عدستها. وفى سبيل الإبصار تتعاون أجزاؤها المختلفة كالقرنية والقزحية والشبكية والعصب البصرى، كل جزء منها يؤدى عملا يختلف عن الآخر.

وتأمل **المخ** وكيف يستقبل المعلومات والأخبار والمعارف المختلفة فى شتى أنواع العلوم والدراسات، ومع ذلك تصير هذه المعلومات متميزة غير مختلطة بحيث يمكن للإنسان أن يسترجعها عندما يريد.

وهكذا قل عن **الأذن** التى تتألف من أذن خارجية، وأذن وسطى، وأذن داخلية وستة آلاف وتر، **واللسان** الذى يتألف من تسة آلاف حلمة، بعضها يختص بمذاق الأشياء الحلوة، وبعضها لتذوق الأشياء المرة، وبعضها الثالث لتذوق الأشياء الحاذقة أو الحريفة. **وتأمل الأسنان** وعددها فى كل إنسان، اثنتان وثلاثون سنة، فى كل فك أربعة قواطع لتقطيع الطعام وقضمه، ونابان لتمزيقه وأربعة ضروس أمامية لمضغه، وستة ضروس خلفية لطحنه.

وقل مثل ذلك فى كل عضو من أعضاء الجسم، وفى كل جهاز من أجهزته المختلفة، ففى كل منها يبدو النظام والتوافق كما تبدو الحكمة العجيبة فى تركيبه وفى عمله.

وبالإجمال، إن التأمل فى الطبيعة الجامدة والحية، والنظر فى السماوات والأرض وما اشتمل عليه كل ذلك من نظام بديع يدلنا على وجود خالق حكيم، أبدع السماوات والأرض بهندسة رائعة وفن عظيم ودقة كاملة.

لذلك قال سفر المزامير «**السماوات تنطق بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه**» (مزمور ١٨ : ١).

وجاء فى سفر أيوب «**اسأل البهائم فتعلمك، وطيور السماء فتخبرك، استفهم الأرض فتلقنك وأسماك البحر تحدثك، من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد الرب صنعت هذا**» (أيوب ١٢ : ٧).

ويقول القديس أوغسطينوس « سألت الأرض فأجابت لست أنا هو الله. سألت البحر وأعماقه وما فيه من زواحف وأحياء فأجابتنى كلها: لست أنا الله. سألت النسيم العليل والعاصفة العاتية والهواء وما فيه من عناصر فقيل لى أنت مخطىء أنا لست الله. سألت السماء والشمس والقمر والكواكب فأجابتنى كلها: لست أنا مطلبك. ناجيت جميع الخلائق التى تحيط بمنافذ حواسى الجسدية فقالت لى: إن الله ليس هنا. إذن نبئينى أين هو؟ **فصرخت كلها بصوت واحد: هو الذى صنعنا** ». (١)

---

(١) كتاب «الاعترافات» للقديس أوغسطينوس، الكتاب العاشر الفصل السادس.

ثانيا ـ وحدانيـة اللـه

يقول البند الأول من قانون الإيمان «نؤمن **بإله واحد**». وهذا معناه أن الكنيسة المسيحية تؤمن بوحدانية الله، وأن الله إله واحد، وليس غيره إله، وهي في هذا ترفض مبدأ الشرك، مبدأ الذين يقولون بآلهة كثيرة، وهم الوثنيون الذين يقولون بتعدد الآلهة.

١ ـ ولقد اهتم آباء الكنيسة بنشر مبدأ الوحدانية والدفاع عنه، وذلك في كل العصور ولا سيما العصور الأولى حيث كان الوثنيون ينادون بآلهة متعددة. وأخذ الآباء يبرهنون للوثنيين بالدليل العقلي على أن الشرك محال لا يقبله العقل السليم، **وأن الله يجب أن يكون واحداً، ولا يمكن إلا أن يكون واحداً**. وقد وضعوا في هذا مؤلفات تعد الآن تراثاً ثميناً للكنيسة.

نصوص الكتاب المقدس:

٢ ـ ونصوص الكتاب المقدس صريحة في تقرير مبدأ الوحدانية.

يقول النبي موسى «اعلم اليوم وردد في قلبك أن الرب هو الإله في السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل، **ليس سواه**» (التثنية ٤ : ٣٩).

ويقول الرب «إني أنا هو **ولا إله معي**» (التثنية ٣٢ : ٣٩) ويقول أيضاً «أنا الأول وأنا الآخر **ولا إله غيري**» (إشعيا ٤٤ : ٦). «أنا الرب وليس آخر ولا إله سواي» (إشعيا ٤٥ : ٥) «أنا الرب ولا إله آخر غيري. إله بار ومخلص، ليس سواي» (إشعيا ٤٥ : ٢١).

٣ ـ وجاء أيضاً في العهد الجديد توكيداً لوحدانية الله.

«إن **واحداً** هو الصالح وهو الله» (إنجيل متى ١٩ : ١٧)، (مرقس ١٠ : ١٧)، (لوقا ١٨ : ١٩).

«فإن **الله واحد**» (رومية ٣: ٣٠).

«**لا إله غير واحد**» (١ . كورنثوس ٨: ٤).

«لنا **إله واحد** الآب الذي منه كل شيء» (١ . كورنثوس ٨ : ٦).

«لكن **الله واحد**، الذي يعمل الكل في الكل» (١ . كورنثوس ١٢ : ٦).

«**إله واحد** وآب واحد للكل الذي على الكل» (أفسس ٤ : ٦).

البسملة :

٤ ـ ولا تنس ـ وأنت ترسم الصليب على وجهك، أنك تعترف بهذه الوحدانية. فأنت تضع أصبعك السبابة على جبهتك إشارة إلى أن الله فوق جميع الخلائق، وتقول: «باسم الآب». وتنزله على صدرك وتقول: «والابن» إشارة إلى نزول المسيح من السماء وتجسده. ثم تضعه على كتفك الأيسر وتنقله إلى الأيمن وأنت تقول: «والروح القدس»، إشارة إلى انتقالنا بعمل الروح القدس فى المعمودية من أهل اليسار إلى أهل اليمين. ثم تختم بقولك: «الإله الواحد» توكيداً لعقيدة التوحيد...

٥ ـ وهكذا أيضاً تردد دائما فى صلواتك الخاصة فى البيت وفى الكنيسة، قانون الإيمان فتبدأ بهذه العبارة «نؤمن بإله واحد».

وفى صلوات القداس يردد الكاهن فى أوشية السلام قوله «اقتننا لك يا الله مخلصنا، فإننا لا نعرف (إلها) آخر سواك»

الله واحد فى الجوهر
مثلث الأقانيم

١ ـ بعد أن عرفنا أن الله واحد، شاء الله نفسه أن يكشف لنا عن طبيعته، ويدخل بنا خطوة أخرى متقدمة فى سبيل فهم طبيعة هذه الوحدانية، فعلمنا عن تثليث أقانيمه. والأقانيم جمع أقنوم وهى كلمة سريانية سامية دخلت إلى العربية واستخدمت فى استعمال خاص بالنسبة لله ـ فالأقانيم صفات وخاصيات تقوم عليها الذات الإلهية، ومن دونها لا تقوم الذات الإلهية.

٢ ـ والتثليث تعليم سماوى أعلنه الله نفسه لنا فى كتابه المقدس. وقد أشار إليه أولا فى العهد القديم وتحدث عنه صريحاً فى العهد الجديد.

ففى العهد الجديد أعلنه المسيح له المجد بنفسه عندما أمر تلاميذه القديسين ورسله الأطهار قائلا «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (الإنجيل للقديس متى ٢٨ : ١٩) فالآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم فى الله الواحد، ولذلك لم يقل «بأسماء» الآب والابن والروح القدس بل قال «باسم الآب والابن والروح القدس» نظراً لأن الله واحد.

٣ ـ وقد ظهر الثالوث القدوس علناً عند عماد السيد المسيح فى نهر الأردن، فبعد أن غطس يسوع المسيح فى ماء نهر الأردن وصعد منه، إذا السماوات قد انفتحت له، والروح القدس ينزل عليه من السماء بهيئة جسمية، مثل حمامة واستقر عليه، وصوت ينادى من السماء ويقول «هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (متى ٣ : ١٦، ١٧)، (مرقس ١ : ٩ـ ١١)، (لوقا ٣ : ٢١، ٢٢)، (يوحنا ١ : ٣٢ـ ٣٤). لذلك يسمى «عيد الغطاس» عندنا بعيد «الظهور الإلهى» (الابيفانيا) أيضاً، لأن الله الواحد ظهر فيه بأقانيمه الثلاثة، الآب من السماء يقول «هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت»، والابن هو الكلمة المتجسد، الغاطس فى نهر الأردن، وأما الروح القدس فقد ظهر بهيئة جسمية مثل حمامة واستقر على رأس الكلمة المتجسد. والواقع أن الروح القدس كائن مع الابن وكذلك الآب كائن مع الابن والروح القدس. وأما هذا الحلول فهو «ظهور» من أجل الناس الذين كانوا يشاهدون، ومن أجلنا نحن أيضاً لكى نعرف من هو المسيح المحتجب لاهوته فى الجسد.

٤ ـ وكذلك ينص على القول به صراحة ماريوحنا الرسول فى رسالته الأولى بقوله «فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة، والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد.» (رسالة يوحنا الأولى ٥: ٧).

٥ ـ على أنه ليس هناك تعارض أو تناقض بين القول بالوحدانية والقول بالتثليث. كان يمكن أن يكون هناك تناقض لو قلنا بثلاثة آلهة، لكنه ثالوث أقانيم فى الإله الواحد. فالوحدانية من جهة، وأما التثليث فمن جهة أخرى. الله واحد لأن اللاهوت واحد، والجوهر الإلهى واحد، والذات الإلهية واحدة. إنه تثليث أقانيم وليس تثليث ذوات أو جواهر.

٦ ـ ونحن عندما نرسم الصليب نذكر الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، لكننا نختم بترديد هذه العبارة المهمة «**الإله الواحد**» فنحن على الرغم من تثليث الأقانيم نؤمن إذن **أن الله واحد**.

٧ ـ ومع ذلك فليس التثليث معناه أن الله منقسم إلى ثلاثة أقانيم، لأن الله روح بسيط لا يقبل الانقسام لأنه ليس جسمانياً ولا مادياً، لكن كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة هو الله نفسه متميزاً بخاصية معينة. **فالآب هو الله** من حيث هو أصل الوجود. **والابن هو الله** من حيث هو حكمة الله وهو القوة العاقلة العظمى. **والروح القدس هو الله** من حيث هو أصل الحياة وباعث الحياة فى كل الوجود.

٨ ـ ونحن نردد فى قانون الإيمان اعتقادنا بالإله الواحد المثلث الأقانيم. فبعد أن نقول «نؤمن **بإله واحد**» نقول:

الله الآب ضابط الكل:

وصف قانون الإيمان الله الآب بأنه (ضابط الكل) لأنه هو الذى يحكم الكون ولا يقع فيه شىء من دون علمه، ولا يحدث شىء من غير إذنه وسماحه. **فهو القدير، القادر على كل شىء.**

خالق السماء والأرض؛ ما يرى وما لا يرى:

وهو أيضاً الخالق للسماوات وللأرض وكل ما فيها من كائنات وموجودات حية، مرئية وغير مرئية. أما الموجودات المرئية فى الأرض فهى الجبال والبحار والنباتات والحيوانات والناس. وأما الموجودات غير المرئية فهى الملائكة والأرواح الناطقة العاقلة التى لا جسد لها من طبيعة جسدنا، وقد تظهر أحياناً لبعض الناس فى بعض الظروف ولكنها فى طبيعتها غير منظورة.

و (نؤمن) برب واحد يسوع المسيح:

بعد أن تكلم قانون الإيمان عن الأقنوم الأول، انتقل إلى الكلام عن الأقنوم الثانى وهو الرب يسوع المسيح، وهو رب واحد لأننا لا نؤمن إلا بإله واحد ورب واحد وهو يسوع المسيح الذى هو كلمة الله ظاهراً فى الجسد.

ابن الله الوحيد:

يسوع المسيح هو ابن الله لأننا رأينا فيه الله الغير المنظور، وهو ابن الله لأنه فى لاهوته من طبيعة الله وجوهره. وليس فى لغة البشر غير تعبير «الابن» للدلالة على المطابقة التامة بين «الرب يسوع المسيح» وبين «الله الآب». ولهذا السبب قال المسيح له المجد لفيلبس تلميذه «من رآنى **فقد رأى الآب**... صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فيّ» (يوحنا ١٤ : ٩– ١١) ويقول «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠).

وهو ابن الله « **الوحيد**» لأنه ليس له نظير فى هذه البنوة. لأن البنوة المقصودة فى الوحدة الثالوثية ليست كالبنوة الطبيعية فى مملكة الحيوان أو فى مملكة الإنسان.

فالبنوة فى عالم الحيوان أو الإنسان بنوة مادية جسمانية تقتضى التوالد كما أنها تقتضى أن يكون الوالد أسبق من ولده فى الزمن. فإذا قلنا إسحق بن إبراهيم فمعروف أن إبراهيم كان موجوداً أولا ثم جاء إسحق بعد ذلك. أما الابن فى الوحدة الثالوثية فهو أزلى مع الآب ولا يمكن أن نتصور لحظة واحدة من الزمان كان فيها الآب ولم يكن الابن كائناً معه.

المولود من الآب قبل كل الدهور:

وإذن فالابن كائن قبل التجسد، وقبل الخليقة، وقبل كل الدهور. هو إذن كائن منذ الأزل.

نور من نور:

إن هذه البنوة ليست بنوة جسدية ولا بنوة زمنية بل هى بنوة روحانية هى كولادة النور من النور.

يقول الأنبا ساويرس بن المقفع من آباء القرن العاشر: «تريد الآباء فى هذا الموضع أن تبين لنا كيفية ولادته من الآب قبل كل الدهور، فقالوا أن مولده من الآب كتولد النور من النور، تعنى بقولها أن هذا الضوء الذى نراه ونشاهده، متولد من النور بلا زمان، وبلا انفصال، وأنه يوجد أبداً بوجوده. وأيضاً فإن شعاع الشمس متولد من ذات الشمس، وضوء النار متولد من النار.

فولادة الابن من الآب هو على هذه الجهة، وإن كان أعلى من كل صفة، وفوق كل معرفة. فمن أراد أن يفهم ولادة ابن الله فليفهمه على الوجه الذى ذكره معلمونا الفاضلون أئمة الدين، لا على وجه ولادة المخلوقين. وقد شبه بعض آبائنا أيضاً بتولد الكلمة من العقل والنطق من النفس» (١).

إله حق من إله حق:

لأن الابن هو من طبيعة الآب ومن جوهره. فالمسيح ابن الله ليس كما سمى آدم ابن الله، وليس كما ندعى نحن أولاد الله بالتبنى عن طريق سر المعمودية، لأن بنوتنا نحن أبناء الله بنوة غير طبيعية أو قل هى بنوة نسبية بالتبنى. أما المسيح فبنوته من نوع آخر أى بنوة طبيعية، بمعنى أن لاهوته هو بعينه لاهوت الآب وجوهره والابن إله حقيقى كما أن الآب إله حقيقى، ومع ذلك ليس هناك إلهان بل إله واحد.

مولود غير مخلوق:

إن الابن قد تجسد فى الزمان، لكنه بلاهوته غير مخلوق. هو مولود بأسلوب يعلو عن أفهامنا وبصورة لا نفهمها. لأنه ليس لها نظير فى عالم الموجودات، ومع ذلك فهو غير مخلوق لأنه أزلى مع الآب والروح القدس.

واحد مع الآب فى الجوهر:

لقد قال له المجد: «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) وبمعنى آخر أنا والآب جوهر واحد، لاهوت واحد، ذات إلهية واحدة. وليس هناك إلا جوهر واحد، هو جوهر الآب والابن والروح القدس معاً. وإذن فالابن قائم مع الآب والروح القدس فى جوهر واحد.

الذى به كان كل شىء:

وهذا معناه أن الابن هو الخالق، وهى ذات الصفة التى يتصف الله بها، لأن الآب «خالق السماء والأرض ما يرى وما لا يرى». وأما عن الابن فقد قال الكتاب «فى البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله، **كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان**، فيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ١- ٤) وقال ماربولس الرسول

---

(١) عن مختصر من شرح الأمانة للأسقف ساويرس بن المقفع أورده ابن كبر فى كتاب «مصباح الظلمة» الباب الأول صفحة ١٤٣، ١٤٤، ١٢٦ Patrologia Orientalis XXp. 717, 718, 700.

«الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شىء، الذى به أيضاً عمل العالمين» (العبرانيين ١ : ١، ٢).

هذا الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء:

تلك البنود السابقة ينص فيها قانون الإيمان عن المسيح قبل التجسد، وبعدذلك يتكلم عنه من حيث التجسد. فالمسيح الذى نؤمن به أزلى، وهو كائن قبل كل الدهور، لكنه أراد أن يخلص آدم من خطاياه ويخلصنا من الخطيئة الأصلية التى تلوثنا بها عن طريق الوراثة، بولادتنا بالطريق الطبيعى من أبينا آدم وهو أبو الجنس البشرى، لذلك نزل الكلمة من السماء وأخذ صورة البشر، وصار له كيان جسدى منظور ومحسوس وملموس، ولكن هذا الجسد لم يأت بالتوالد الطبيعى كأجسادنا نحن، بل جاء من الروح القدس ومن مريم العذراء. فالروح القدس حل على سيدتنا مريم العذراء، وكون من دمها ولحمها جسداً ذا نفس ناطقة، واتّحد به لاهوت الكلمة. فصار الإله متأنساً، وولد من مريم العذراء الإله المتأنس. ولهذا استحقت مريم لقب (والدة الإله) لابمعنى أنها أصل اللاهوت الذى حل فيها، بل لأنها حملته فى أحشائها بصورة تعلو عن التصور، وولدته بصورة تسمو عن كل تعبير.

تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يأتى فى مجده ليدين الأحياء والأموات:

وهذا اعتراف بعمل الفداء الذى قام به المسيح الرب. فقد صلب حقاً وتألم فى الجسد، وقبر من غير أن يفارق لاهوته ناسوته، ثم قام منتصراً على الموت فى اليوم الثالث لدفنه. وبعد أربعين يوماً صعد إلى السماوات وهو الآن فى أسمى مكان فى السماء، فى الأعالى، يراقبنا ويقبل صلواتنا. وفى اليوم الأخير المعين يأتى فى مجيئه الثانى للدينونة وللحساب، فيدخل الأبرار إلى النعيم الأبدى فى ملكوت السماوات، والأشرار إلى العذاب الأبدى فى جهنم النار.

الذى ليس لملكه انقضاء:

وهذا معناه أن المسيح كما هو أزلى لا بداءة له، كذلك هو أبدى لا نهاية له. وقد قال عنه الملاك غبريال (جبرائيل) يوم أن بشر العذراء مريم «ولن يكون لملكه انقضاء» (لوقا ١ : ٣٣)

وقال عنه النبي دانيال في رؤياه «سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض» (دانيال ٧: ١٤) والأزلية والأبدية لا يتصف بهما غير الله وحده. وهذا يدل على أن المسيح هو الله ظاهراً في الجسد أو هو الله المتأنس.

و (نؤمن) بالروح القدس، الرب المحيى المنبثق من الآب:

هذا هو الأقنوم الثالث وهو الروح القدس. والروح القدس هو الله لأن «الله روح» ولأنه قدوس كامل القداسة لذلك فهو الروح «القدس». وهو الله من حيث هو أصل الحياة، وباعث الحياة، وهذا معنى أنه الرب المحيى، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. وأما أنه منبثق من الآب فلأن الله ذاته جوهر واحد، والابن والروح القدس قائمان معه في هذا الجوهر. مثل الثلاثة الأقانيم مثل الشمس: قرصها (أو جرمها) وأشعتها وحرارتها شمس واحدة وليست ثلاث شموس، ومع ذلك فالقرص متميز عن الأشعة وعن الحرارة، ولو أن الأشعة متولدة عن القرص، والحرارة منبعثة من القرص، لكنها منذ وجودها قائمة كلها معاً، فلا يمكن أن نتصور قرص الشمس من غير أشعة ومن غير حرارة، هكذا الله وإن كان ليس له شبيه ومثال، ولكن مَثَل الشمس يقرب لنا تثليث الأقانيم مع وحدانية الجوهر. وكيف أن ولادة الابن من الآب، وانبثاق الروح القدس من الآب ليس معناها أن الله الآب أسبق في الزمن على الابن والروح القدس، لأنه لا يمكن أن نتصور لحظة زمانية كان فيها الآب وحده ولم يكن الابن والروح القدس معه.

وإذن فالأقانيم الثلاثة كائنة معاً في جوهر اللاهوت الواحد منذ الأزل وإلى الأبد.

نسجد له ونمجده مع الآب والابن:

لأن الله واحد، والثالوث إله واحد، فنحن نسجد للروح القدس مع الآب والابن سجوداً واحداً للإله الواحد.

الناطق في الأنبياء:

والروح القدس هو الذي ألهم الأنبياء ويلهمهم، وأوحى إليهم ويوحى إليهم، لأنه هو سر الحياة وسر الحرارة الروحية، وسر الفعالية المقدسة في كل واحد من الأنبياء والقديسين، وهو الذي أوحى إليهم فكتبوا أسفار الكتاب المقدس.

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية:

١ ـ كنيسة واحدة:

إن وحدة الكنيسة تقوم فى أن جميع المؤمنين المتفرقين على وجه الأرض، يتكون منهم جسد واحد، والمسيح هو رأس هذا الجسد. «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه». (أفسس ٥: ٣٠).

«لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة. (أفسس ٥: ٢٣).

ويجب أن يكون لجميع المؤمنين إيمانا واحد مستقيم الرأى، ويتجه إلى غاية واحدة هى الخلاص النهائى. لذلك فإنه لوحدة الكنيسة يجب أن يتوافر أمران:

أولهما: اتفاق الاعتقادات القويمة ووحدتها.

ثانياً: ألفة المؤمنين ومحبتهم بعضهم لبعض.

يقول ماربولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس: «فاطلب إليكم، أنا الأسير فى الرب، أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم بها، بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد، كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة. إله واحد وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى كلكم». (أفسس ٤: ١ - ٦).

ولكن كما أنه إذا انفصل عضو عن الجسد فإنه لا يمكن أن يعد هذا العضو جسداً آخر بل عضواً منفصلاً. كذلك فإنه إذا خرج أناس على الكنيسة، وعاشوا بمعتقد آخر غير المعتقد الأول الأصيل، فإنه لا يمكنهم أن يكوّنوا كنيسة جديدة، بل يعدون هراطقة منفصلين عن الكنيسة الأم، كنيسة المسيح.

قال ماربطرس الرسول فى رسالته الثانية: «ولكن كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك. وإذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً. وسيتبع كثيرون تهلكاتهم. الذين بسببهم يجدف على طريق الحق. وهم فى الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس». (٢. بطرس ٢: ١ - ٣).

وقال ماريوحنا الرسول: «منا خرجوا. لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا» . (١ . يوحنا ٢ : ١٩) .

إن وحدة الكنيسة هى مسرة قلب المسيح الذى قال: «ليكونوا جميعهم فى وحدة، كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا أيضاً فيك، ليكونوا هم أيضاً فى وحدة فينا، كى يؤمن العالم بأنك أنت الذى أرسلتنى» (يوحنا ١٧ : ٢١) .

٢ ـ مقدسة :

فقد نص عنها الرسول بقوله: « ... أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة. لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شىء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب» (أفسس ٥ : ٢٥– ٢٧) .

٣ ـ جامعة :

فهى تشبه الشبكة المطروحة فى البحر جامعة من كل نوع (متى ١٣ : ٤٧) ومن كل جنس ولون ولسان أى أن رسالتها إلى كل العالم، كما أنها باقية على مر الأزمان.

٤ ـ رسولية :

وذلك لأن كنيسة المسيح الحقيقية يجب أن تكون هى المبنية «على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» . (أفسس ٢ : ٢٠) .

لذلك فإن من يدعى لنفسه الكهنوت دون أن توضع عليه اليد من رؤساء شرعيين رسوليين متصلة سلسلة خلافتهم بالرسل أنفسهم فإنه لا يمكن الاعتراف بدرجته الكهنوتية. كما أوصى مجمع نيقية فى قراراته بإعادة معمودية من عمدوا بيد هراطقة.

٥ ـ ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا :

قال السيد المسيح لنيقوديموس: «الحق الحق أقول لك إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» . (يوحنا ٣ : ٥) .

وقال أيضاً لتلاميذه قبيل صعوده للسماء: «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩) .

وقال الرسول بولس: «رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة» (أفسس ٤ : ٥) . والمعمودية لا تعاد لأنها مثل موت الرب ودفنه وقيامته من بين الأموات. قال معلمنا بولس أيضاً «مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من بين الأموات». (كولوسى ٢ : ١٢) .

٦ ـ وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين:

نحن نؤمن أن نفوسنا روحانية، وأنها خالدة لا تموت، وأنها بالموت تنفصل عن أجسادها. فبينما يرقد الجسد فى القبر تصعد النفس إلى الفردوس أو تهبط إلى الجحيم. وتظل كذلك إلى يوم الدينونة العامة حين يبوق رئيس الملائكة فتدخل الأرواح فى أجسادها ويقوم الموتى فى المسيح أولاً، وتتغير أجساد الأحياء، ويختطف هؤلاء وأولئك ـ أعنى القديسين ـ لملاقاة الرب فى الهواء، ويأتى ربنا يسوع المسيح فى مجيئه الثانى ومعه جمهور الملائكة والقديسين الذين اختطفوا فى السحب، ويجلس على عرش مجده، ويدين جميع الناس بحسب ما صنعوا فى الجسد خيراً كان أو شراً، ويرسل الأشرار إلى العذاب الأبدى فى جهنم النار كما يرسل الأبرار إلى الحياة الأبدية. وفضلا عن كون هذه العقيدة هى الحقيقة، فإن لها فوائد عظمى بالنسبة للفرد والمجتمع، كما أنها نافعة للحياة الحاضرة والمستقبلة أيضاً.

قانون إيمان الرسل (١)

١ ـ أؤمن بإله واحد.

٢ ـ الله الآب الضابط الكل (القادر على كل شيء).

٣ ـ وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا.

٤ ـ والروح القدس المحيى.

٥ ـ وقيامة الجسد.

٦ ـ والواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسولية، الكنيسة.

٧ ـ آميـن.

---

(١) ويسمى فى الكنيسة الغربية: Symbolum Apostolicum

يرد هذا القانون فى كتاب (المعمودية المقدسة) ويردده المؤمن الذى يطلب العماد، فى أثناء ممارسة طقس (جحد الشيطان) وقبل نزوله فى جرن المعمودية.

قانون إيمان أورشليم (١)

يرجع إلى عام ٣٤٨م

ويقوم أساساً على تعليم القديس كيرلس الأورشليمى

(٣١٥- ٣٨٦)م

نؤمن بإله واحد، الآب القادر على كل شيء (ضابط الكل)، خالق السماء والأرض، وكل ما يرى ومالا يرى.

وبرب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، وهو إله حق قبل كل الدهور، به كان كل شيء.

تجسد، وتأنس، وصلب، ودفن، وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الآب، وسيأتى فى مجد ليدين الأحياء والأموات، وليس لملكه انقضاء.

وبالروح القدس، المعزى (الباراقليط)، الناطق فى الأنبياء.

وبمعمودية واحدة للتوبة لمغفرة الخطايا.

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة.

وبقيامة الجسد.

وبالحياة الدائمة إلى الأبد.

---

(١) انظـــر:

CREEDS, COUNCILS, AND CONTROVERSIES,
edited by J. STEVENSON, London, 1972 p. 26.
EARLY CHRISTIAN CREEDS, By J. N. D. KELLY, London, 1971.

قانون الإيمان الأثناسيوسى (١)

١ ـ كل من يروم أن يخلص يجب عليه أولا وقبل كل شىء أن يحفظ الإيمان الجامع الشامل ويتمسك به.

٢ ـ ومن لا يحفظ هذا الإيمان بأكمله ومن غير إفساد أو تعديل فيه يهلك هلاكاً أبدياً.

٣ ـ والإيمان الجامع الشامل هو أن نعبد إلهاً واحداً فى ثالوث ونعبد الثالوث فى وحدانية.

٤ ـ ويجب ألا نخلط بين الأقانيم، ولا أن نفصل فى الجوهر أو نقسم الذات.

٥ ـ فإن للآب أقنوماً، وللابن أقنوماً آخر، وللروح القدس أقنوماً آخر.

٦ ـ ولكن الآب والابن والروح القدس، ليسوا إلا إلهاً واحداً ومجداً واحداً وعظمة أبدية واحدة.

٧ ـ وكما هو الآب كذلك الابن وكذلك الروح القدس.

٨ ـ فالآب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.

٩ ـ الآب غير محدود، والابن غير محدود، والروح القدس غير محدود.

١٠ ـ الآب سرمدى، والابن سرمدى، والروح القدس سرمدى.

١١ ـ ومع ذلك فهم ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمدى واحد.

---

(١) المعروف أن هذا القانون كتب أولا باللغة اللاتينية
MIGNE, PATROLOGIA LATINA, 88, 575
وترجم بعد ذلك إلى اليونانية.
MIGNE, PATROLOGIA GRAECA, 38, 1582- 1583.

وأما الترجمة العربية فلم تعرف قبل القرن الثامن عشر، وهى موجودة فى مخطوط بالمتحف القبطى بمصر القديمة عنوانه: «اعتقاد مار أثناسيوس الرسولى» (مخطوط رقم ٧٤ـ لاهوت ٣٤٩ـ صفحات ٢٢ـ ٢٦).

انظر: مرقس سميكة باشا: فهارس المخطوطات القبطية والعربية، الجزء الأول صفحة ٣٨ ثم جبرائيل روفائيل الطوخى: كتاب حامى الإيمان القويم، القاهرة ١٩٣٣ صفحات ١٤١ـ ١٤٣.

أما عند الغربيين، فيرد القانون الأثناسيوسى فى كتاب السواعى (الأجبية) اللاتينية فى صلاة الساعة الأولى من يوم الأحد PRIME كما يرد استخدامه فى طقس جحد الشيطان وصلوات التعزيم على الأرواح النجسة.
EXCORCISMUS OBSESSORUM.

انظر مقالا للأب المحترم جيرارفيو راعى كنيسة فاقوس الكاثوليكية تحت عنوان (قانون الإيمان المنسوب إلى القديس أثناسيوس الرسولى) بمناسبة الذكرى المئوية السادسة عشرة لوفاة القديس أثناسيوس الرسولى.

١٢ ـ وكذلك ليسوا ثلاثة غير محدودين، ولا ثلاثة غير مخلوقين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدود.

١٣ ـ كذلك الآب قادر على كل شيء، والابن قادر على كل شيء، والروح القدس قادر على كل شيء.

١٤ ـ ومع ذلك ليسوا ثلاثة قادرين على كل شيء بل واحد قادر على كل شيء.

١٥ ـ فالآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله.

١٦ ـ ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.

١٧ ـ كذلك الآب هو الرب، والابن هو الرب، والروح القدس هو الرب.

١٨ ـ ولكن ليسوا ثلاثة أرباب، بل رب واحد.

١٩ ـ وكما أن الديانة المسيحية تأمرنا بأن نعترف بأن كل أقنوم من الأقانيم هو بذاته إله ورب، كذلك تنهانا عن القول بثلاثة آلهة أو ثلاثة أرباب.

٢٠ ـ والآب لم يكونه أحد آخر، وهو غير مصنوع، وغير مخلوق، وغير مولود.

٢١ ـ والابن مولود من الآب وحده، وهو غير مصنوع، وغير مخلوق، بل مولود.

٢٢ ـ والروح القدس منبثق من الآب، ولم يكن مصنوعاً ولا مخلوقاً، ولا مولوداً.

٢٣ ـ فالآب إذن واحد، لا ثلاثة آباء. والابن واحد لا ثلاثة أبناء. والروح القدس واحد، لا ثلاثة أرواح قدس.

٢٤ ـ وليس فى هذا الثالوث من هو أسبق من الآخر فى الزمن أو متخلف عنه أو أكبر منه، أو أصغر منه، وإنما الأقانيم الثلاثة جميعاً سرمدية ومتساوية.

٢٥ ـ ولهذا فى جميع الأمور كما ذكرنا ينبغى أن يُعبدَ الثالوث فى وحدانية، والوحدانية فى ثالوث.

٢٦ ـ فمن شاء إذن أن يخلص، عليه أن يكون هذا هو اعتقاده فى الثالوث.

٢٧ ـ كذلك يلزم للخلاص الأبدى أن نؤمن عن يقين بتجسد ربنا يسوع المسيح.

٢٨ ـ لأن الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونعترف بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله، هو إله وإنسان معاً.

٢٩ ـ هو إله مولود من جوهر الآب قبل العالمين. وهو إنسان مولود من جوهر أمه فى العالم.

٣٠ ـ هو إله تام، وهو إنسان تام ذو نفس ناطقة وجسد بشرى ذو كيان (ووجود).

٣١ ـ هو مساوى للآب بحسب لاهوته، وهو دون الآب بحسب ناسوته.

٣٢ ـ وهو ـ وإن يكن إلهاً وإنساناً معاً ـ لكنه ليس اثنين وإنما هو مسيح واحد.

٣٣ ـ هو واحد لا بتحول اللاهوت إلى ناسوت، وإنما باتخاذ اللاهوت للناسوت.

٣٤ ـ هو واحد فى الجملة، لكنه لا باختلاط الجوهر وإنما بوحدانية الأقنوم.

٣٥ ـ لأنه كما أن النفس الناطقة والجسد هما معاً إنسان واحد، كذلك الإله والإنسان هما معاً مسيح واحد.

٣٦ ـ هو الذى تألم لأجل خلاصنا، وهو الذى نزل إلى الجحيم (الهاوية) وهو الذى قام من بين الأموات فى اليوم الثالث.

٣٧ ـ وهو الذى صعد إلى السماوات، وجلس عن يمين الله الآب القادر على كل شىء. ومن هناك سوف يأتى ليدين الأحياء والأموات.

٣٨ ـ وعند مجيئه يقوم جميع الناس بأجسادهم، ويؤدون أمامه الحساب عن أعمالهم الخاصة.

٣٩ ـ فالذين عملوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون إلى النار الأبدية.

٤٠ ـ هذا هو الإيمان الجامع الشامل الذى لا يستطيع الإنسان أن يخلص دون أن يؤمن به يقيناً.

مجمع القسطنطينية المسكونى

فى مثل هذا اليوم (اليوم الأول من أمشير) من سنة ٣٨١ لميلاد المسيح، انعقد المجمع المسكونى الثانى فى مدينة القسطنطينية (الآن استنبول) فى عهد الأمبراطور ثيئودوسيوس الكبير (٣٤٦– ٣٩٥)م من مائة وخمسين أسقفاً من مختلف بلاد العالم يمثلون جميع كنائس المسكونة للنظر فى بدعة مقدونيوس MACEDONIUS بطريرك القسطنطينية.

وكان من أبرز الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع، الأنبا تيموثيئوس الأول (٣٧٩– ٣٨٥)م بابا الأسكندرية الثانى والعشرون، وكان له دور طليعى وقيادى فى إدارة المناقشات وفى مقارعة مقدونيوس - وفى مقدمة الحضور أيضاً الأنبا كيرلس بطريرك أورشليم، والأنبا بطرس بطريرك أنطاكية. وأما الأنبا داماسوس DAMASUS بابا روما (٣٦٦– ٣٨٤) فدعى ولكنه لم يتمكن من الحضور، فأرسل نواباً عنه.

وفى عام ١٩٨١- احتفل العالم المسيحى بمرور ستة عشر قرناً على هذا الحدث التاريخى، وهو انعقاد مجمع القسطنطينية المسكونى، الذى ثبت وأيد قرارات المجمع المسكونى الأول الذى انعقد فى نيقية سنة ٣٢٥م من ٣١٨ أسقفاً من أساقفة المسكونة للنظر فى بدعة أريوس القسيس الليبى ثم وضع ما يعرف بـ (قانون الإيمان) الذى يرتله اليوم وقوفاً كافة المسيحيين شرقاً وغرباً ويرددون فيه «نؤمن بإله واحد» مثلث الأقانيم: الآب والابن والروح القدس، وإن الأقانيم الثلاثة خاصيات فى الذات الإلهية الواحدة، وليست أجزاء فيه، لأن الله واحد، ووحدانيته بسيطة لا تقبل التقسيم أو التجزئة. وأن المسيح وهو الله الكلمة قبل الزمان، اتّخذ له فى الزمان جسداً من مريم العذراء ظهر فيه، وتمم به وفيه الحكم بالموت الذى كان قد أصدره الله على آدم وذريته. وبهذا الموت فى الصليب، كان المسيح هو الفادى الذى «ليس لأحد بغيره الخلاص» (أعمال ٤ : ١٢). فالمسيح هو الله الكلمة (يوحنا ١ : ١)، ومن ثم فهو «الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥) وقد صار منظوراً فى الجسد، فهو إذن «الله الظاهر فى الجسد» (١. تيموثيئوس ٣ : ١٦)، وليس ميلاده من العذراء مريم غير «تجسد». أما وجوده فهو أزلى قبل الزمان (ميخا ٥ : ٢)، (متى ٢ : ٦)، «الأول قبل كل خليقة» (كولوسى ١ : ١٥)، (الرؤيا ٣ : ١٤) و «قبل كل الدهور».

وكان مجمع نيقية قد ختم قانون الإيمان بإله واحد أحد، مثلث الأقانيم: الآب والابن والروح القدس، بقوله: «نعم نؤمن بالروح القدس» فرأى مجمع القسطنطينية بعد أن ثبت قانون الإيمان

النيقاوى أن يضيف سبع عبارات، هى بنود تكميلية، فصارت خاتمة قانون الإيمان الذى أصبح يعرف بقانون الإيمان النيقاوى القسطنطينى على النحو الآتى:

و (نؤمن) بالروح القدس.

الرب المحيى.

المنبثق من الآب.

نسجد له ونمجده مع الآب والابن.

الناطق فى الأنبياء.

وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية.

ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا.

وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتى آمين.

وكان مقدونيوس قد أنكر لاهوت الروح القدس وزعم أنه مخلوق، فأثار بذلك ثائرة الآباء الأمناء على التراث المسيحى، الحارسين للإيمان الأرثوذكسى بإله واحد، أحدى الذات مثلث الأقانيم والخاصيات، واعتبروا تعليم مقدونيوس هرطقة خرج بها على الإيمان، فلزم مواجهته ومجادلته وإقناعه بالعدول عن تعليمه الفاسد، فإذا لم يقتنع اتخذوا قراراً بعزله، وتجريده من جميع درجاته الكهنوتية، وأعلنوا أن تعليمه شاذ ورديئ، تعليم انحرف بعيداً عن التعليم المسيحى الأصيل.

وقد كان. وإذ أن بدعة مقدونيوس - وهو بطريرك العاصمة - قد أثارت اعتراضاً عاماً وشاملاً من جانب أساقفة العالم المسيحى، فلم يجد الأمبراطور ثيئودوسيوس الكبير مفراً من ضرورة عقد مجمع مسكونى من جميع كنائس المسكونة للنظر فى هذا التعليم الجديد الذى علم به مقدونيوس. فوافق على عقد هذا المجمع بناء على نصيحة الناصحين المخلصين. ولا بد أنه بصفته الامبراطور خشى من أثر هذه البدعة على مملكته أن تنشق عنه بسبب تعليم جديد يدعو له بطريرك العاصمة.

فانعقد المجمع المسكونى فى مدينة القسطنطينية ذاتها، واجتمع الآباء الآساقفة وبينهم مقدونيوس وناقشوه رأيه، وقارعوه الحجة، وأثبتوا له من نصوص الكتاب المقدس والتراث

المسيحى أن الروح القدس هو روح الله، أو هو الله ذاته، لأن «الله روح» (يوحنا ٤ : ٢٤)، (٢. كورنثوس ٣ : ١٧) وهو (الروح الأعظم)، وهو لذلك «إله أرواح جميع البشر» (سفر العدد ١٦ : ٢٢)، (٢٧ : ١٦) لأن بيده تعالى «نفس كل حى، وروح كل بشر» (أيوب ١٢ : ١٠)، (دانيال ٥ : ٢٣)، وهو أيضاً «أبو الأرواح» (العبرانيين ١٢ : ٩)، بمعنى أنه أصلها أى (خالق الأرواح) وجابلها وصانعها (الجامعة ١٢ : ٧)، (إشعيا ٤٢ : ٥)، (٥٧ : ١٦)، (زكريا ١٢ : ١).

الله إذن هو (الروح القدس)، و (الروح القدس) هو الله. ذلك لأنه بطبيعته الإلهية روح، بل هو «الروح» الأول - معرفاً بالألف واللام - لأن جميع الأرواح هى منه، فهو خالق الأرواح الملائكية والأرواح الآدمية، فهو إذن أبوها لأنه (الأصل) فيها، ومنه صارت وبه وجدت، إذ هو العلة الأولى لكل روح. وليس يمكن تفسير وجود الروح فى الإنسان أو فى الملائكة إلا بأن خالقها هو (الروح الأعظم) الذى أبدعها وأوجدها، وهو الله.

على أن الله هو الروح الكامل، الكلى الكمال، فلا يشوبه نقص من أى نوع. ومن هنا فإنه (الروح القدس)، لأنه (قدوس)، والكلى القداسة (اللاويين ١٩ : ٢)، (إشعياء ٥٧ : ١٥)، (مزمور ١١٠ : ٩)، (لوقا ١ : ٤٩)، (١. بطرس ١ : ١٥).

وبما أن الله هو الروح القدس، والروح القدس هو الله، فالروح القدس (ليس مخلوقاً)، بل (هو الخالق).

وإذن فالروح القدس ليس غريباً عن الله، وإنما هو (أقنوم الحياة الإلهية).

ونحن نعلم أن (الله حى)، «حى أنا يقول الرب» (العدد ١٤ : ٢٨) «حى أنا يقول رب الجنود» (صفنيا ٢ : ٩)، (وهو الحى الأول) و «وفيه كانت الحياة» (يوحنا ١ : ٤) و (الحى منذ الأزل) قبل الوجود، و «الحى إلى الأبد»، (دانيال ٤ : ٣٤)، (١٢ : ٧) و «الحى إلى أبد الآبدين» (الرؤيا ٤ : ٩، ١٠)، (١٠ : ٦).

وإذن فالله روح، وهو حى فى ذاته وبذاته، لم يستمد حياته من كائن آخر، وإذن فهو (حى بروحه). وعلى ذلك فالروح القدس هو الله الحى بروحه، وهو (أقنوم الحياة الإلهية). والأقنوم خاصية فى الذات الإلهية. والأقانيم الثلاثة هى الخاصيات الثلاث الإلهية، التى بها تقوم الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

ذلك أن أقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) الإلهى، لأن الله موجد الوجود، (أو أصل) الوجود. ولفظ (الآب) فى اللغات السامية والشرقية معناه (الأصل)، ومنها أخذت جميع اللغات. (فالآب) ليس جزءاً من الله، وإنما (الآب) هو الله ذاته لأنه هو (أصل) الوجود. فأقنوم (الآب) هو خاصية (الوجود) فى الله باعتباره (أصل) الوجود.

و (الابن)، وهو (الكلمة)، هو (العقل) الإلهى. والعقل الإلهى ليس جزءاً من الله، ولكنه هو الله من حيث هو (العقل) الأعظم. فالعقل الإلهى خاصية فى الذات الإلهية لا يمكن أن يكون لله وجود بغيرها، ولا يمكن أن نتصور الله من دونها، وإلا كيف نفسر وجود الحكمة والعقل فى الكائنات العاقلة ما لم يكن الخالق ذاته الذى خلقها هو العلة الأولى العاقلة. ولما كان العقل غير منظور، ولكنه يتجسد فى (الكلمة)، لذلك (فالكلمة) و (العقل) بمعنى واحد: أحدهما ظاهر والآخر غير ظاهر، لكنهما فى الحقيقة واحد. لذلك وصف الأقنوم الثانى فى الذات الإلهية بأنه (الكلمة) لأن العقل الإلهى قد تجسد فى المسيح. فالمسيح إذن ليس جزءاً من الله، لكنه الله ذاته: العقل والعاقل والمعقول لذاته، وقد تجسد. وهو بهذه الصفة يسمى (الابن) بمعنى أن من رآه فقد رأى الله الآب (يوحنا ١٤ : ٩).

و (الروح القدس) هو الله ذاته الحى بذاته أى بروحه، لأن الله روح. وإذن فالروح القدس ليس جزءاً من الله، إذ أن الله لا يتجزأ، ولكنه هو الله من حيث هو الحى الأول، وأصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة.

وبعد، فهل يمكن أن يكون لله وجود من غير أقانيمه الثلاثة؟

هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الوجود أو أقنوم الوجود (وهو الآب) باعتبار أنه تعالى هو أصل الوجود؟

و هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية (العقل) أو أقنوم العقل (أو الكلمة) باعتبار أنه تعالى هو العقل الأعظم؟

و هل يمكن أن يكون لله وجود، إذا لم تكن له خاصية الحياة أو أقنوم الحياة وهو (الروح القدس) باعتبار أنه تعالى هو (الروح الأعظم)؟

فالأقانيم الإلهية الثلاثة هى الخاصيات الإلهية الثلاث التى تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا وجود للذات الإلهية.

والأقانيم الإلهية الثلاثة هى إذن الخاصياتُ الذاتية التى يقوم عليها وبها كيان الذات الإلهية، وهى تتميز عن سائر الصفات الإلهية الكثيرة الحسنى.

والفرق بين الأقانيم والخاصيات الإلهية الثلاث، وسائر الصفات الإلهية الكثيرة: أن هذه الصفات الأخيرة يمكن أن نتصور الله بها أو بغيرها دون أن يتأثر بها الكيان الإلهى بزيادة أو بنقص. أما الأقانيم الإلهية الثلاثة فهى الخاصيات الذاتية التى تقوم بها وعليها الذات الإلهية، ومن دونها لا يمكن أن يكون لله وجود أو كيان. وهذا هو معنى الأقنوم أو الهيبوستاس HYPOSTASIS (به وعليه تقوم الذات الإلهية الواحدة).

انبثاق الروح القدس من الآب

يتلخص موقف الكنيسة الأرثوذكسية بالنسبة لقضية انبثاق الروح القدس من الآب، ورفضها إضافة (والابن) التى أدخلتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على قانون الإيمان، فى النقاط الآتية:

أولا - إن المسيح له المجد عندما تكلم عن موضوع الانبثاق، قال صراحة «ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحق **الذى من عند الآب ينبثق**، فإنه سيشهد لى» (يوحنا ١٥ : ٢٦).

ويلاحظ أن هذا النص هو الوحيد الذى يرد فيه تعبير (الانبثاق) بالنسبة للروح القدس والآب.

ولقد ورد فى الإنجيل أن (الابن) (يرسل) الروح القدس فى المواضع الآتية:

لوقا ٢٤ : ٤٩

«وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد بى أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى».

يوحنا ١٥ : ٢٦

«ومتى جاء المعزى سأرسله أنا إليكم من عند الآب...»

يوحنا ١٦ : ٧

«إن لم أنطلق لن يأتيكم المعزى. ولكننى إن مضيت أرسله إليكم»

يبقى بعد ذلك أن (**الانبثاق**) هو غير (الإرسال). **أما الانبثاق فلم ينسب إلا إلى الآب**. وهو ما نطق به فم المسيح له المجد.

وإذن فتعبير الانبثاق من الآب، أو انبثاق الروح القدس من الآب هو التعبير الإنجيلى السليم والمنطوق به على فم المسيح له المجد.

وقد يكون التعبير سليماً لو قلنا «نعم نؤمن بالروح القدس المرسل من الآب والابن» أما إذا أردنا أن نلتزم بتعبير (الانبثاق) فليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس أنه (منبثق) من الآب والابن. إذ نكون هنا لم نلتزم بنص الإنجيل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نكون قد خلطنا مفهوم (الانبثاق) بمفهوم (الإرسال)، وجعلنا منهما مفهوماً واحداً. وهذا ليس من حقنا خصوصاً

وأن الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التى تعلو عن تصورنا ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها، فهى أعلى من منالنا، ولا بد لنا ولا مفر من أن نلتزم فى التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته.

هذا إلى أن (الانبثاق) من الآب فعل (أزلى) أى أن الروح القدس ينبثق من **الآب منذ الأزل**. أما (ارسال) الروح القدس على التلاميذ، فهو فعل **زمنى**، وعد الآب به ثم تحقق فى يوم الخمسين لقيامة المسيح الرب من بين الأموات.

ثانياً - إن من الخطورة بمكان عظيم أن يكون فى تعليمنا المسيحى أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، إذ ينطوى هذا القول ضمناً على وجود مصدرين فى الثالوث القدوس (لبثق) الروح القدس، الآب والابن، وبالتالى يؤدى إلى معنى الاثنينية فى الله الواحد، وهو أمر مرفوض فى المسيحية، ونحن نجاهر بقولنا «نؤمن بإله واحد» كما نقول إن هناك مصدراً واحداً للألوهة. فى الله، πηγή θεότητος هو الآب. فالروح القدس ينبثق من الآب.

ثالثاً - إن قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ وثبته مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١ والمجامع التالية، إلتزم بنص الإنجيل كما علم به المسيح له المجد، قال: «**نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب**».

وليس هناك أدنى شك فى أن الآباء فى تلك العصور القديمة الذين كانوا موعبين بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولى لم تغب عن بالهم النصوص الواردة فى الإنجيل عن (إرسال) الروح القدس من الآب والابن. ولكنهم كانوا حريصين على أن ينسبوا (الانبثاق) للروح القدس من الآب، على حسب ما قال المسيح.

رابعاً - سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم، حريصة على الالتزام بنص الإنجيل ونص مجمعى نيقية والقسطنطينية المسكونيين قروناً كثيرة. ومن الثابت تاريخياً أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان، جاء متأخراً، وكان سبباً رئيسياً فى انشقاق مجموعة الكنائس الشرقيةوالتى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية البيزنطية من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى عام ١٠٥٤ لميلاد المسيح.

والمعروف أن البطريرك فوتيوس PHOTIUS بطريرك القسطنطينية المسكونى (٨١٠ - ٨٩٥)م هاجم إضافة (والابن) مهاجمة عنيفة، وفى منشور بطريركى أصدره سنة ٨٦٧

شرح اعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية. وفى هذه السنة عينها عقد مجمعاً أصدر فيه قراراً بشجب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان، وحرم الحبر الرومانى.

وإلى اليوم تشكل هذه القضية سبباً للانفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة والكنائس الخلقيدونية البيزنطية من جانب آخر.

خامساً - يصرح اليوم عدد من كبار اللاهوتيين فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بأن هذه المسألة ينبغى أن لا تكون موضوعاً للخلاف، ولا يليق أن تكون عقبة فى طريق وحدة الإيمان بين الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، ويدللون على ذلك بأن هذه الإضافة (والابن) اعترض عليها الحبر الرومانى نفسه ليو الثالث LEO III (٧٩٥- ٨١٦)م وبالتالى اعتبرت إضافة مستحدثة، تثبتت، فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بنفوذ الملك شارلمان، CHARLEMAGNE (٧٤٢- ٨١٤)م ولذلك فإن اللاهوتيين اليوم فى داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يحاولون التخلص من النتائج اللاهوتية المنطقية لهذه الإضافة بأن يقدموا تفسيراً أو تأويلا جديداً لهذه الإضافة بقولهم «إن الروح القدس منبثق من الآب عن طريق الابن».

سادساً - مع أن هذا التأويل الجديد يعد إسهاماً طيباً لحل مشكلة خلقتها إضافة (والابن)، ويعتبر دليلا على إدراك اللاهوتيين لنتائج هذه الإضافة وما انطوت عليه من أخطار لاهوتية لم تخدم الإيمان وإنما أضافت عقبة فى طريق الكنيسة، وأدت إلى انشقاق محزن - إلا أن هذا التأويل لا يحل المشكلة لاهوتياً، ولا لغوياً...

(أ) أما لاهوتياً - فلأن (انبثاق الروح القدس من الآب عن طريق الابن) لا سند له فى الكتاب المقدس، فضلا عن أنه يجر إلى سلسلة من النتائج التى تضر إيماننا فى وحدانية الله، وإلى التمايز الأونتولوجى بين الأقانيم الإلهية، وإلى نوع من الترتيب بين الأقانيم شبيهة بتعليم (الصدور) الذى قالت به بعض المذاهب الفلسفية، وترفضه المسيحية.

(ب) هذا إلى أنه من الوجهة اللغوية لا يستطيع أحد أن يوافق على أن الإضافة FILI-OQUE باللاتينية تعنى (عن طريق الابن). فالمعروف أن حرف (que) باللاتينية حرف إضافة يقابله فى العربية (حروف الواو - للإضافة والجمع). وكذلك الحال بالنسبة لجميع اللغات التى ترجم إليها النص اللاتينى فى جميع البلاد التابعة لإيمان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

سابعاً - ليس لنا بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية اللاهوتية العقائدية إلا أن نؤكد على أنه فى سبيل إزالة العقبات أمام طريق الوحدة الإيمانية بين كنيستنا الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية يجب أن نلتزم بنص الإنجيل وبنص المجمع النيقاوى الذى ثبته مجمع القسطنطينية المسكونى وحمله إلينا عبر العصور تقليد الكنيسة الجامعة الرسولية.

إن هذه الصيغة الإنجيلية التى صرح بها المسيح له المجد، والتى نص عليها قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى وضعته الكنيسة الجامعة فى نيقية والقسطنطينية، هى الصيغة التى نستخدمها فى سر العماد، والتى تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى العماد، وباعترافهم بالإيمان المسيحى الذى يؤهل المعتمد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثانى.

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الاعتراف، وأرثوذكسية الإيمان - وتعوق عند الأرثوذكس قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التى بإضافتها (والابن)، أحدثت فى صيغة الإيمان إضافة، جعلت الاعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما عن الاعتراف الذى تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد.

منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

موسوعة الأنبا غريغوريوس

٦- اللاهوت العقيدى «الجزء الأول»

لاهوت السيد المسيح

للمتنيح الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية

والبحث العلمي

موضوعات
وإجابات على أسئلة

موضوعات وإجابات على أسئلة : ٥٧٩
١ ـ حول الأقانيم الثلاثة. ٥٨٠
٢ ـ الثالوث القدوس. ٥٨٢
٣ ـ المسيح الكلمة صورة الله الغير منظور. ٥٨٤
٤ ـ التثليث المسيحى. ٥٨٧
٥ ـ من آيات التلاقى بين المسيحية والاسلام. ٥٩٠
٦ ـ العلاقة بين الأقانيم الثلاثة. ٥٩٨
٧ ـ خطاب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى. ٥٩٩

صفحة

٨ ـ خطاب إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ٦٠٤
٩ ـ تعقيب على تعقيب. ٦٠٦
١٠ ـ إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ٦١٠
١١ ـ خطاب إلى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر. ٦١٧
١٢ ـ الله واحد والأقانيم خاصيات. ٦٢٠
١٣ ـ الله وأقانيمه وهى صفاته الذاتية. ٦٢١
١٤ ـ الثالوث القدوس والثالوث الأقدس. ٦٢٤
١٥ ـ الروح القدس لاهوتيا. ٦٢٦
١٦ ـ انبثاق الروح القدس من الآب. ٦٢٩
١٧ ـ موهبة من لدن الروح القدس. ٦٣٢
١٨ ـ التجديف على الروح القدس. ٦٣٤
١٩ ـ قد يحل الروح القدس للإقناع والإهتداء. ٦٣٨
٢٠ ـ عمل الروح القدس فى العهدين. ٦٤١
٢١ ـ عمل الروح القدس فى العهد الجديد ٦٤٦
٢٢ ـ التثليث فى المسيحية وعند الفراعنة. ٦٥٠
٢٣ ـ ولادة الابن وانبثاق الروح القدس. ٦٥١
٢٤ ـ هل للسيد المسيح روح؟. ٦٥٢
٢٥ ـ كيف ينمو المسيح فى الحكمة وهو الإله الكامل؟. ٦٥٣
٢٦ ـ هل كان مترددا؟. ٦٥٩
٢٧ ـ ألا يعرف المسيح اليوم والساعة؟. ٦٦١
٢٨ ـ حول لاهوت المسيح ٦٦٤
٢٩ ـ ابن الإنسان وابن الله. ٦٦٨
٣٠ ـ أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والأخر. ٦٧٢
٣١ ـ لمن يصلى؟. ٦٧٤
٣٢ ـ هل كان فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد؟. ٦٧٨
٣٣ ـ مسيحى زوجته من شهود يهوه. ٦٧٩
٣٤ ـ قدوس الحى الذى لا يموت. ٦٨٠
٣٥ ـ مولود غير مخلوق. ٦٨٢
٣٦ ـ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمها أحد ٦٨٥
٣٧ ـ الله الغير منظور صار منظورا فى المسيح. ٦٨٦
٣٨ ـ أبعد عن هذه الكأس. ٦٨٧

صفحة

٣٩ ـ المسيح وهو أقنوم الرحمة هو الذى سيدين بالعدل. ٦٨٩
٤٠ ـ عن السنكسار: المسيح ابن الله، بنوة روحية أزلية. ٦٩١
٤١ ـ من التاريخ: المسيح روح الله وكلمته وليس نبياً فقط. ٦٩١
٤٢ ـ خطاب أرسلناه لرئيس حزب الأحرار. ٦٩٢
٤٣ ـ أين كان المسيح من سن ١٢ إلى ٣٠؟. ٦٩٤
٤٤ ـ أأنت هو الآتى أم ننتظر أخر؟. ٦٩٩
٤٥ ـ المسيح صعد إلى السماء عينها واستوى على عرش العظمة فى الأعالى. ٧٠٥
٤٦ ـ هل صعد إلى السماء بجسده؟. ٧٠٩
٤٧ ـ واحد مع الآب فى الجوهر. ٧١٤
٤٨ ـ اتّخذ المسيح وهو الإله إنسانية كاملة من روح ومن جسد. ٧١٦
٤٩ ـ المسيح كلمة الله مبدىء كل خليقة. ٧٢١
٥٠ ـ سلطان المسيح الشامل لشفاء جميع الأمراض. ٧٢٣
٥١ ـ المسيح يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً. ٧٢٦
٥٢ ـ ما معنى كلمة «أبى أعظم منى»؟. ٧٢٩
٥٣ ـ جلوس المسيح عن يمين الله. ٧٣٠
٥٤ ـ سؤال له جواب. ٧٣٣
٥٥ ـ سؤال من أحد أبنائنا فى المهجر. ٧٣٤
٥٦ ـ عيد الغطاس المجيد ـ عيد الظهور الإلهى. ٧٤١
٥٧ ـ المسيح هو الله الكلمة. ٧٤٦
٥٨ ـ دراسة بعض معجزات المسيح. ٧٥١
٥٩ ـ المسيح حسب الجسد هو رب داود وهو الله بذاته وقد اتّخذ جسداً. ٧٦٤
٦٠ ـ جسد المسيح محدود أما بهاء اللاهوت المتحد به فيملأ السموات والأرض. ٧٦٦
٦١ ـ فى المسيح اتّحد اللاهوت بالناسوت وناسوته من جسد وروح إنسانية. ٧٦٩
٦٢ ـ للمسيح من حيث هو إنسان روح إنسانية. ٧٧١
٦٣ ـ لماذا نزل إلى الجحيم؟. ٧٧٣
٦٤ ـ نزل المسيح إلى العالم السفلى ونقل الأبرار إلى الفردوس. ٧٧٨
٦٥ ـ المسيح جالسا على العرش. ٧٨١
٦٦ ـ المسيح وجسده المجيد. ٧٨٢
٦٧ ـ المسيح هو ابن الإنسان وهو الله وابن الله. ٧٩٠
٦٨ ـ هل فارق اللاهوت الناسوت؟. ٧٩٣
٦٩ ـ هل اللاهوت انفصل عن الناسوت. ٧٩٩

صفحة

٧٠ ـ تفسير «صار جسداً» ٨٠٠
٧١ ـ صلاة السيد المسيح ٨٠١
٧٢ ـ كيف يسمح المسيح لتوما بأن يلمسه ويمنع مريم؟ ٨٠٢
٧٣ ـ هل يصدر الشر عن الله؟ ٨٠٣
٧٤ ـ معجزة تحويل الماء إلى خمر غير مسكرة ٨٠٩
٧٥ ـ طبيعته لا تمكنه أن يعاين ملكوت الله ٨١١
٧٦ ـ يا أبتاه اغفر لهم ٨١٣
٧٧ ـ علم الله السابق ٨١٥
٧٨ ـ تفسير «ومتى أخضع له الكل» ٨١٦
٧٩ ـ هل جسد السيد المسيح محدود؟ ٨١٩
٨٠ ـ نور من نور ٨٢٢
٨١ ـ الجسد الأثيرى ٨٢٤
٨٢ ـ تفسير قول يوحنا المعمدان «أنا لم أكُن أعرفه» ٨٢٦
٨٣ ـ لماذا لم تذكر الأناجيل طفولة السيد المسيح؟ ٨٢٨
٨٤ ـ من يقول الناس أنى أنا؟ ٨٣٣
٨٥ ـ الله يظهر لآدم وحواء فى الجنة ٨٣٦
٨٦ ـ ظهور الله لابراهيم ٨٣٨
٨٧ ـ ظهور الله ليعقوب أبى الأسباط فى المغارة ٨٤٢
٨٨ ـ ظهور الله لموسى النبى فى العليقة فى سينا ٨٤٥
٨٩ ـ الله يظهر فى صورة رئيس جند الرب ٨٤٧
٩٠ ـ الله يظهر لموسى النبى فى صورة مجسمة ٨٥٠

١ - حول الأقانيم الثلاثة (١)

سؤال: من أحد القراء:

نحن نقول إن الله جل شأنه ذات وكلمة وروح، وإن الذات سُمّى أباً، والكلمة تجسد ودعى ابناً لأنه صادر عن الآب، ثم الروح سُمّى الروح القدس لطهارته، فهؤلاء ثلاثة أقانيم لله الواحد، ولكن كيف تدعى ذات الله ذاتاً إذا لم تكن ناطقة أو حية، أى ذات روح؟ وكيف نجرد ذات الله عن النطق والحياة ثم ندعوها بعد ذلك ذاتاً؟ ولو قلنا إن الذات تُدعى ذاتاً بالكلمة والروح لما كان من داع لتكرار أقنومية الكلمة والروح، حينئذ يصير الله أقنوماً واحداً!!

ثم كيف ندعو الكلمة أقنوماً وهو مجرد عن الذات؟ أليس له وجود؟ وهل هو مجرد عن الروح، أليست له روح؟ فيتحتم أن يكون للكلمة ذات وروح. وكذلك الروح القدس يتحتم أن يكون له ذات وكلمة. ومن ثم يستنتج بأن كل أقنوم ذات وكلمة وروح. وهذا يقتضى وجود تسعة أقانيم، وحاشا لله من ذلك.

«وإذا قلنا إن ذات الله واحدة فى ثلاثة الأقانيم لأنها غير محدودة ولا منفصلة، فيتحتم أن تندمج الكلمة أيضاً فى الذات، وكذلك الروح. ولكننا نرى السيد المسيح له المجد يخاطب الآب والآب يرد عليه. وفى هذا التخاطب إثبات لوجود ذاتين. أو بعبارة أوضح إثبات لوجود إلهين كاملى الصفات، لكل منهما ذات وكلمة وروح، وحينئذ تتعدد الذات والكلمة والروح؟!

الجواب:

الله وجود عاقل حىّ، أو هو ذات حيّة ناطقة (عاقلة)، أو هو كائن بذاته، حى بروحه، ناطق بكلمته، فالوجود، والنطق (العقل) والحياة **صفات ذاتية**، بمعنى أنها **قائمة فى الله قياماً ذاتياً** لا عرضياً، بحيث تنعدم الذات الإلهية بانعدام أى منها. فلو انعدمت صفة **الوجود** عن الله لم يعد بعد إلهاً، ولو انعدمت صفة **العقل**، فلا يمكن أن يعد إلهاً من لا عقل له، إذ أنّ الله **هو العقل الأعظم وعلة جميع العقول**، ولو انعدمت صفة **الحياة** عن الله، لما أمكن أن يُحسب إلهاً، إذ كيف يكون الإله بلا حياة، وهو المصدر الذى يفسر لنا وجود الحياة فى الكون؟!

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الخامسة - العدد السابع - (أغسطس - آب لسنة ١٩٥١م) صفحتى ٣٢، ٣٣.

فصفات **الوجود، والعقل، والحياة صفات ذاتية** بهذا المعنى، أى أنه **لا غنى للذات الإلهية عن أى منها ولا قيام لها إلا بها جميعاً**، وتمييزاً لها عن صفات أخرى كالمقدرة والخلق والرحمة والعدل والخير.. مما لا حصر له من الصفات النسبية، خصّ آباء الكنيسة الصفات الذاتية بكلمة الأقانيم. فهى اصطلاح فريد يقال عن الصفات الذاتية فى الله.

من هنا يبدو لك جلياً أن **الذات الإلهية واحدة، ولكن الأقانيم ثلاثة**. ولا يمكن أن يكون معنى الوجود هو معنى العقل أو الحياة، لأنه يمكن تصور موجودات بلا عقل أو حياة كالجمادات. ولا يجوز أن يختلط فى ذهنك معنى العقل والحياة، لأنه توجد كائنات حية ولكن لا عقل لها كالحشرات والحيوانات العجماوات.

وإذن فلا بد من أجل إيضاح حقيقة قيام هذه الصفات الثلاثة معاً فى الله من أن نفرق بينها هذه التفرقة، ولا ندمج إحداها فى الأخرى، لأن لكل منها وظيفة خاصة فى الله تختلف عن وظيفة الأخرى. **فالوجود** هو الوجود بغض النظر عن صفة العقل، **والحياة** هى الحياة بغض النظر عن صفة العقل، وإن كانت **جميعها صفات لذات واحدة، أو قائمة فى ذات واحدة**.

فليس صحيحاً ما ذهب إليه فهمك من أن الله أقنوم واحد، مادمنا قد آمنا أن المقصود بالأقانيم هو الصفات الذاتية، **فهو حقاً ذات واحدة لكنه أقانيم ثلاثة**.

وليس صحيحاً أيضاً أن للكلمة ذاته وروحاً، إنما الصحيح أن **الكلمة هو العقل، قائم أو كائن فى الذات حىّ بالروح**. هذا الروح الذى هو صفة ذاتية أى قائم فى الذات لكنه ليس له كلمة ولا روح، ولو صح استنتاجك هذا لكانت لدينا عدة ذوات، وهذا كفر وشرك، لأنه بمثابة تقول بتعدد الآلهة، وأنت تعلم أن **المسيحية تقول بالتوحيد ، وتنكر التعدد فى الذات الإلهية**. وما أبعد الفرق بين تعدد الذوات وتعدد الأقانيم!

أما أن الآب يخاطب الابن، والابن يخاطب الآب، فليس فى هذا التخاطب ما يدل على أن هناك ذاتين. فكثيراً ما يرجع الإنسان إلى نفسه، أو يناجى نفسه، أو يراجع عقله أو يستشير عقله، وهى كلها عبارات مألوفة فى استعمالنا اللغوى دون أن تدل على أكثر من ذات فى الإنسان نفسه، فهل تستبعد بعد هذا أن يخاطب الابن الآب أو يكلم الآب الابن بهذا المعنى؟!

والخلاصة أن **مصدر الارتباك فى فهم التثليث المسيحى هو الخلط بين معنى الذات الإلهية ومعنى الأقانيم**، وهو ما نرجو أن يكون قد أوضحناه فى هذا العرض إيضاحاً كافياً.

٢ ـ الثالوث القدّوس (١)

إن الثالوث الذى تقول به المسيحية هو ثالوث أقانيم وليس ثالوث آلهة. والتعليم بالتثليث لا يتعارض مع الاعتقاد بالتوحيد لأن التوحيد هو من جهة الجوهر الإلهى، وأما التثليث فمن جهة الأقانيم التى يقوم عليها وبها الجوهر الإلهى الواحد، ومع ذلك فالأقانيم ليست أجزاء أو أقساماً فى الجوهر الواحد، لأن الله جوهر بسيط كامل لا يقبل التجزئة ولا يقبل التقسيم. ولئن كان عدد من آباء الكنيسة شرح الأقانيم بأنها خاصيات للذات الإلهية أو صفات لها، وقال بعضهم إن الله أحديّ الذات مثلث الصفات، لكن الأقانيم ـ فى الواقع ـ ليست مجرد خاصيات أو صفات لئلا نقع فى خطأ الخلط بين **الصفات الذاتية** (التى تقوم عليها الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود)، وبين سائر الصفات التى يتصف بها الله، وهى كثيرة. لذلك رأى آباء الكنيسة أن يستعيروا لفظاً سريانياً (وهو **أقنوم** وجمعه: **أقانيم**) وصاروا يستعملونه اصطلاحياً بمعنى خاص به فى دائرة العلوم اللاهوتية للدلالة على المفهوم الأحد الذى تتميز به الأقانيم فى الجوهر الإلهى.

ولقد استخدم آباء الكنيسة لفظاً آخر أخذوه من اليونانية التى كان يستعملها العالم المسيحى كله فى العصور الأولى، خصوصاً أثناء المناقشات اللاهوتية والجدلية، ونقلوه إلى جميع لغات العالم بنطقه اليونانى للدلالة على الأقانيم الإلهية وقيامها فى الجوهر الإلهى. وهذا اللفظ اليونانى هو ὑπόστασις (HYPOSTASIS) وهو كما نرى يتألف من مقطعين: الأول Hypo ὑπό أى «تحت» والثانى stasis στάσις بمعنى «قيام» أو «كيان» واللفظ بمقطعيه يفيد ما «تحت القيام» أو «ما يقوم عليه الكيان». وعلى ذلك **فالأقانيم هى «ما يقوم عليه الكيان الإلهى»** أى **«ما يقوم به وعليه الجوهر الإلهى»**. وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى فى العهد الجديد. انظر الرسالة إلى العبرانيين (١:٣)، (٣: ١٤)، (١١ : ٢١)، ثم (٢ ـ كورنثوس ٩ : ٤)، (١١ : ١٧).

وهنا يجب التفريق بين خصائص وصفات يقوم بها وعليها الكيان الإلهى ذاته بحيث لا يقوم لله وجود بغيرها، وبين صفات وخصائص أخرى كثيرة تُنسب إلى الله عادة ولكن لا يقوم عليها

---

(١) عن مقال كتب بتاريخ ٣١ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٧٢م ـ ٢٤ من أبيب لسنة ١٦٨٨ش وأرسل إلى مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (القاهرة ـ نيويورك) رقم ١٠٨١ شارع كورنيش النيل ـ بجاردن ستى ـ بناء على طلب المؤسسة .

كيان الله ووجوده، ولعلّه من بينها قولنا إن الله لطيف ـ جميل ـ حسن .. إلخ. وللإيضاح يمكن ـ مثلاً ـ بالنسبة إلى الإنسان نفسه أن نميز بين صفات للإنسان تقوم بها إنسانيته، وبين صفات أخرى يمكن أن يوصف بها ومع ذلك لا يقوم عليها كيانه البشرى. نقول فى تعريف الإنسان «إنه حيوان ناطق» أى (عاقل). فهو أولاً كائن ذو وجود منظور، ثم هو حىّ، ثم هو عاقل. هذه الخصائص الثلاث تجمع كل ما يتصف به «الإنسان» وبها تتميز «إنسانيته» ومن دون هذه الخصائص الثلاث لا يكون إنساناً.

ومع ذلك فهناك صفات أخرى غير هذه يمكن أن يوصف بها إنسان ما، فقد يوصف بأنه صالح ـ طاهر ـ سليم ـ جميل ـ لطيف ـ ودود .. إلى آخر هذه الصفات الطيبة. على أن هذه الصفات ليست صفات ضرورية لكيان الإنسان، فقد يوصف شخص آخر بأنه شرير ـ نجس ـ مريض ـ قبيح ـ شرس ـ حقود.. إلخ أفهل تخرجه هذه الصفات المضادة من دائرة المملكة الإنسانية؟ بالطبع لا.

وإذن فالصفات الذاتية للكائن هى ما تقوم عليها وبها ذاته وكيانه، ومن دونها لا يكون لذاته قيام أو وجود...

بهذا التحديد نفهم لماذا شرح بعض آباء الكنيسة الأقانيم الإلهية بأنها خصائص وصفات ذاتية بها تقوم الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية كيان أو وجود.

٣ ـ المسيح الكلمة صورة الله الغير المنظور (١)

سؤال: من السيد بهيج جاب الله كندس ـ البلينا.

كيف نوفق بين قول السيد المسيح «أنا والآب واحد» وقوله «أبى أعظم منى». وكيف تقول باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد؟

الجواب:

ليس بين هذه النصوص والأقوال تناقض أو تعارض أو تضاد أو اختلاف. إنها جميعاً حقيقة واحدة، وعقيدة إيمانية واحدة، تقوم **على الإيمان بإله واحد مثلث الأقانيم والصفات**، وبعبارة أخرى **إننا كمسيحيين نؤمن بإله واحد، أحدىّ الذات، مثلث الصفات والخاصيات. إن الله واحد فى جوهره، وحقيقة ذاته، وألوهته، لكن هذه الوحدانية وحدانية حية عاقلة**. ليست وحدانية الله وحدانية صماء مصمتة ميتة، وإنما هى وحدانية حية، وليست وحدانية جامدة، وإنما هى وحدانية عاقلة مدبرة.

فالله الواحد، هو أصل الوجود، ولذلك يوصف بأنه (الآب) والآب فى لغة البشر، وفى اللغات السامية على الخصوص، هو (الأصل)، ومن هذه التسمية يُسمّى والد الطفل (بالأب) لأنه (أصل) وجوده.

والله الواحد هو **العقل الأعظم**، وهو الكلىّ الحكمة، والكلىّ العلم، وهو الخالق لكل العقول، فى كل الكائنات العاقلة. ولما كان العقل الإلهى يظهر ويتجلى فى نظام الكون وجمال الطبيعة وفى قوانين الكون وهى تنطق بعظمة (العقل الأعظم)، وتشير إليه وتدل عليه، وتتحدث عنه، لذلك سمى بعض الفلاسفة اليونان نظام العالم، وقوانين الطبيعة، وجمال الكون، باسم (اللوغوس) أو (**الكلمة**) لأنها **تجسيد للعقل الأعظم**، أو هى (الكلمة). لأن العقل الإلهى غير منظور، لكنه يبدو منظوراً فى نظام العالم وقوانين الطبيعة.

ولقد استعار الإنجيل المقدس تعبير (**الكلمة**) أو (اللوغوس) للدلالة على الكيان المنظور للإله الغير المنظور، والكيان المنظور متجسداً فى (المسيح) هو (الكلمة)، أو هو العقل الإلهى متجسداً فى (الكلمة) لأن العقل غير منظور، ولكنه يصير منظوراً ومتجسداً فى الكلمة.

(١) نشر بجريدة (وطنى) ـ الأحد ١٥ من يناير (كانون ثان) ١٩٧٨م ـ ٧ طوبة ١٦٩٤ش.

وهذا هو معنى أن المسيح ابن الله، لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، معاذ الله! لكنه ابن الله بمعنى أن الله الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح. فالمسيح إذن هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور. ولذلك قال المسيح له المجد «إن من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ : ٩)، (١٤ : ٧)، (١٢ : ٤٥) وقال الكتاب المقدس أيضاً إن «المسيح صورة الله» (٢. كورنثوس ٤ : ٤) وقال كذلك إنه «صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥).

المسيح إذن هو «كلمة الله» «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله» (يوحنا ١ : ١).

وهو «**حكمة الله**» (١. كورنثوس ١ : ٢٤)، (لوقا ١١ : ٤٩).

وهو «**صورة الله**» (٢. كورنثوس ٤ : ٤)، (كولوسى ١ : ١٥). وهو لذلك «**ابن الله الحى**» (متى ١٦ : ١٦).

وإذا كان يسمى بالأقنوم الثانى، فليس لأنه أقل من الآب فى الجوهر ولا لأنه متأخر عنه فى الزمان، حاشا، ولكن هذا الترتيب هو بالنظر إلى معرفة البشر بالله، فهم يعرفون الله بصفة كونه الآب، قبل أن يعرفوه بصفة كونه «الابن»، ذلك لأن التجسد جاء متأخراً فى الزمان.

وكذلك **الروح القدس**، الأقنوم الثالث، لا بترتيب الأسبقية ولا بترتيب الزمان ذلك لأن الروح القدس أزلى أبدى، والروح القدس هو الله ذاته، لأن الله روح وهو قدوس، فهو الروح القدس. وهو الله ذاته من حيث هو الحى الأول، والحى القيوم، الحى الذى به وعليه يقوم الوجود. فهو الحى، وهو الحياة ذاتها، وباعث الحياة فى الوجود، وأصل الحياة، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة.

ليس الله إذن ثلاثة جواهر، لكنه «جوهر واحد» أو «واحد فى الجوهر» إنما ثلاثة أقانيم (لا ثلاثة جواهر) والأقانيم خاصيات، وصفات ذاتية أى صفات تقوم عليها وبها الذات الإلهية الواحدة، ومن دونها تنعدم الذات الإلهية ولا يكون لها وجود.

ولسنا نحن المسيحيين الذين ابتكرنا عقيدة الوحدة الثالوثية أو الإله الواحد أحدىّ الذات **مثلث الأقانيم والصفات**، لكن هو الله ذاته الذى أعلن عن ذاته فى الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وقد قال المسيح له المجد لتلاميذه ورسله الأطهار «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩).

وعلى ذلك فقول المسيح «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) معناه أن **(الابن)** و**(الآب) جوهر واحد، وإله واحد، وذات إلهية واحدة**. وهذا هو مبدأ التوحيد الذى نقرره فى قانون الإيمان «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**».

أما قوله «**أبى أعظم منى**» (يوحنا ١٤ : ٢٨) فالإشارة هنا إلى الفرق فى عظمة (الحال). فإن الابن «اتّخذ صورة العبد صائراً فى شبه الناس» (فيلبى ٢ : ٧) ففيما هو «صورة الله الغير المنظور» قد أخلى نفسه من صورة الرب، واتّخذ صورة العبد، (وصورة الرب) أعظم من (صورة العبد). ويلاحظ أن السيد المسيح قال إن (أبى أعظم منى) لأنه كان فى صدد تعزية تلاميذه عن مفارقته لهم بالجسد، عند مغادرته لهم بصعوده إلى السماء. فقد قال لهم «قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجئ ثانية إليكم. فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى أبى، لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ : ٢٨) فالآب ليس أعظم من الابن فى الجوهر، **لأن الآب والابن جوهر واحد، وفى جوهر واحد، وواحد فى الجوهر**. لكن الابن وهو على الأرض لابساً (صورة العبد فى شبه الناس) كان فى (حال) من الكرامة والبهاء والمجد أقل من (حال) الآب وهو فى كمال البهاء والمجد، فإذا عاد الابن إلى السماء استرد البهاء والمجد الذى كان له «من قبل كون العالم» (يوحنا ١٧ : ٥).

٤ ـ التثليث المسيحى (١)

يواصل الأستاذ أحمد حسين مهاجمته للمسيحية تحت ستار دعوته إلى الإسلام فى خطاب يوجهه إلى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية. وفى غير صدق وفى غير حق، يعمد إلى السخرية بالعقيدة المسيحية، وتقديمها بصورة شوهاء، ومع بالغ الأسف، مدعياً العلم، على الرغم من أن معلوماته فى الموضوع، معلومات سطحية خاطئة مبتورة، ولغته جارحة مؤلمة، وأسلوبه كله تحقير وازدراء، مشحون كراهية، وهو يرشق المسيحية والمسيحيين بألفاظ مثيرة، يقول: « **وقد فزعت المسيحية للكنيسة من القول بتعدد الآلهة، فاخترعت لذلك تعبير الأقانيم الثلاثة وإنها مظاهر لله الواحد. وضربوا لذلك الأمثلة، ولكن مضمون هذه الأقانيم يدل على أن الذوات متباينة. فالقول على أنه فى يوم الدينونة يجلس الابن على يمين الآب لمحاكمة البشر ومحاسبتهم، أى أنه يوجد للابن دور خاص يقوم به وتشخيص متميز، يبدو عليه. وهكذا نرى أن «حيلة» الآب والابن والروح القدس الكل إله واحد، لا تخرجنا من دائرة تعدد الآلهة الذى هو عقيدة وثنية، وأسطورة أوزوريس وإيزيس وحورس، هى عقيدة مصرية قديمة، وقد سادت عبادة إيزيس حوض البحر الأبيض المتوسط قبيل ظهور المسيحية.. إلى أن يقول «ولمّا كان لم يوجد أحد من المسيحيين قد اجترأ على القول بالثالوث فإن مجمع نيقية لم يتحدث إلا عن ألوهية الآب والابن، ثم رؤى فى لاحق، أن يلحق بهما روح القدس. وهكذا كانت الأقانيم الثلاثة.. والمهم أن القول بتعدد الآلهة، هو قول للكنيسة تبرأ منه المسيحية».**

ماذا نقول لهذا الرجل الذى أباح لنفسه عن حقد وعن جهل أن يتّهم المسيحية بأنها تقول (بتعدد الآلهة)، وأن الكنيسة (اخترعت) تعبير الأقانيم الثلاثة، وأن القول بالآب والابن والروح القدس (حيلة) لا تخرجنا عن دائرة تعدد الآلهة، وهى عقيدة وثنية، وأنه (لم يوجد أحد من المسيحيين قد اجترأ على القول بالثالوث) وأن مجمع نيقية لم يتحدث إلا عن ألوهية الآب والابن.

هل يوجد تشويه فى الدنيا كمثل هذا التشويه؟ لماذا هذا الافتراء؟ وهذا التطاول؟ وكيف أجزت لنفسك أن تردد عدداً من الافتراءات والأغاليط والأخطاء والأكاذيب فى فقرة واحدة؟ ولماذا هذا؟

(١) مقال بين عدد من مقالات كانت رداً على مقال للأستاذ أحمد حسين ـ نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٠ من أغسطس ـ أب لسنة ١٩٧٨م ـ ١٤ من مسرى لسنة ١٦٩٤ش.

وهل تظن أنك بهذا التشويه وهذه الافتراءات تستطيع أن تقنع المسيحيين بترك دينهم؟

إنه لحرام عليك كل هذا الشر.. وهذا الإيلام، وهذا الإتلاف..

من قال لك يا رجل إن المسيحية تقول بتعدد الآلهة؟ وقانون إيماننا الذى يتلوه المسيحيون فى صلواتهم الخاصة والعامة يصرخ بالحق «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**» ونحن إذ نقول باسم الآب والابن والروح القدس نتبعه بالقول «**الإله الواحد**» ونحن توكيداً لهذه الوحدانية نبدأ البسملة (**باسم**) ولا نقول (بأسماء) لأننا نشير إلى اسم الإله الواحد... وكيف تفرض أنت على المسيحيين القول بتعدد الآلهة، وفى كتابهم المقدس **عشرات ومئات النصوص الصارخة بأن الله واحد ولا يمكن إلا أن يكون واحداً**. ولقد أوردنا على صفحات هذه الجريدة (وطنى)، ثلاث مقالات ذكرنا فيها عشرات الآيات الناطقة بوحدانية الله (١).

أريدك أن تعرف أن المسيحيين قد تعلّموا من الله هذا الدرس، منذ ألوف السنين، **وقد علّموه للناس** ولقّنوه لجميع الخلق.. ولقد وقفت المسيحية ورجالها وقفات كثيرة قوية ضد تعدد الآلهة عند الوثنيين، وضدّ القائلين بإلهين: أحدهما إله الخير والثانى إله الشر، وأنكرت على هؤلاء وأولئك القول بغير إله واحد، ودعت إلى تحطيم التماثيل والأوثان، **ونادت بروحانية الله وكمال صفاته..**

هذا هو الدرس الأول، وقد وعيناه وحفظناه **ولسنا فى حاجة إلى من يعلمنا هذا الدرس الأولىّ، فقد علّمناه لغيرنا**.. ولكن الله أراد بنا خيراً، إذ شاء أن يعطينا درساً آخر بعد أن حفظنا الدرس الأول ووعيناه..

والدرس الأول هو التوحيد، وأمّا الدرس الثانى فهو تثليث الأقانيم أو الصفات الذاتية فى الله الواحد. والدرس الثانى يدخل بنا إلى طبيعة الله وصفاته الذاتية.. والدرس الثانى لا يتعارض مع الدرس الأول ولكنه يكمله. فهو لا على نقيضه بل على امتداده. ومثل البشرية بالنسبة للدرسين مثل من أتمّوا المرحلة الابتدائية فانتقلوا إلى المرحلة الثانوية. **والمرحلة الثانوية أرقى من المرحلة الابتدائية، وهى امتداد لها، وتقوم عليها..**

---

(١) جريدة (وطنى) فى أعدادها الصادرة صباح الأحد ١٤ من مايو ـ أيار ثم ٢٨ من مايو ـ أيار ثم ١١ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٧٨م.

كان يمكن أن يقال إنّ هناك تناقضاً بين الدرسين وبين المرحلتين لو أننا قلنا فى المرحلة الأولى بإله واحد، ثم قلنا فى المرحلة الثانية بثلاثة آلهة.. لكن هذا لم يحدث .. إنّ ما تقوله أنت على المسيحية هو محض افتراء، ومحض تشويه، ومحض اختلاق.. وماذا أقول: إنك تدّعى الفهم والمعرفة، ولكن فهمك لهذا الموضوع فهم بعيد عن الحق والصواب.. إننا نقول «بإله واحد» **ولكن لهذا الإله الواحد ثلاثة أقانيم (وليست آلهة) والأقانيم صفات ذاتية تقوم بها الذات الإلهية الواحدة..** وإذا كانت أقانيم.. فيكفى أن تعرف أنها **صفات ذاتية**، وليست آلهة..

وليس المسيحيون هم الذين اخترعوا القول بتثليث الأقانيم، إنما هو المسيح له المجد هو الذى علّمنا عن الذات الإلهية وقال لتلاميذه «اذهبوا إذن **وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس**» (متى ٢٨ : ١٩).

وكيف تدّعى أيها الأخ أن مجمع نيقية الذى انعقد سنة ٣٢٥م لمناقشة بدعة أريوس، لم يتحدث إلا عن ألوهية الآب والابن، ثم رئى فى مجمع لاحق أن يلحق بهما روح القدس!،،.. مع بالغ الأسى والأسف إن كلامك غير صحيح.. فمجمع نيقية قال «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد، الله الآب ونؤمن برب واحد يسوع المسيح.. ونؤمن بالروح القدس**». لقد تحدث عن أقنومى الآب والابن، ولم يهمل الكلام عن أقنوم الروح القدس.. وكل ما هنالك أنه لم يفصل القول عن أقنوم الروح القدس كما فصل القول عن أقنوم الآب والابن، وذلك لأن بدعة أريوس كانت ضد أقنوم الابن.. وفى ختام القانون قال «**نعم نؤمن بالروح القدس**» ولما جاء مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م فصل الكلام عن الروح القدس، وذلك رداً على بدعة رجل اسمه مقدونيوس ظهر بعد أريوس...

أما قولك «إنه فى يوم الدينونة يجلس الابن على يمين الآب لمحاكمة البشر ومحاسبتهم أى أنه يوجد للابن دور خاص يقوم به وتشخيص متميز يبدو عليه. وهكذا نرى أن حيلة الآب والابن والروح القدس الكل إله واحد لا تخرجنا من دائرة تعدد الآلهة الذى هو عقيدة وثنية وأسطورة أوزوريس وإيزيس وحورس» ففيه خلط واضح، فالمسيحيون لا يقولون إنه في يوم الدينونة يجلس الابن على يمين الآب لمحاكمة البشر ... إنما يقولون ما قاله المسيح له المجد عن يوم الدينونة والحساب إنه هو بذاته المسيح الديّان.. «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، يجلس عندئذ على عرش مجده، وتجتمع أمامه كل الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض كما يفرز الراعى الخراف من الجداء ثم يقيم الخراف عن يمينه. وأما الجداء فعن يساره...» (متى ٢٥ : ٣١ – ٤٦).

٥ ـ من آيات التلاقى بين المسيحية والإسلام (١)

لعله مما يخدم قضية الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين، وهم أبناء بلد واحد، مصر الحبيبة ذات الحضارة التليدة بل منبع الحضارات، وملتقى الديانات، أن يتبين أبناء هذا البلد الأمور التى تجمع بينهم، روحيا وعقائديا مما يدعم المحبة بينهم، ويوطد وشائج المودة، ويقوى أواصر الوحدة، فيجعل منهم أمة لا تدحر، صُلبة لا تقهر.

ليست هذه دعوة إلى نبذ الخصائص المميزة للإسلام أو للمسيحية، ولا هى مناداة بنوع من الميوعة الدينية العقائدية، معاذ الله! فما قصدنا إلى شيء من هذا!

إنما جُلُّ قصدنا أن نهدىء من حرارة حمى الخلافات العقائدية بين الإسلام والمسيحية، حتى لا يتصاعد منها بخار خانق لمحبتنا، ونحن أبناء عائلة واحدة، ويتحول إلى غمام قاتم يحجب رؤيتنا لما يجمع بيننا فى الواقع فى أصول واحدة مشتركة عزيزة على جميعنا.

أفهل هناك من شكٍ فى أن المسيحية والإسلام تدعوان إلى عبادة الله الواحد الأحد الصمد، الذى لم يكن له كفوا أحد، والذى ليس كمثله شيء، السميع، البصير، الغفور، الرحمن، الرحيم، القوى، العزيز، رب العرش الكريم، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم؟، وأنهما تأمران بالخير والمعروف وإقامة الصلاة، وتنهيان عن الفحشاء والمنكر والبغى والإثم والعدوان؟

أليس الإسلام والمسيحية يأمران بإكرام الوالدين ويناديان أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا؟

ألا يدعو دين المسيح ودين محمد بالنهى عن القتل والزنى والسرقة والكذب وشهادة الزور وأن لا يجعل المؤمنون الله عرضة لإيمانهم؟

ألا يأمر الدين الإسلامى والدين المسيحى المؤمنين أن أركعوا واسجدوا واعبدوا وافعلوا الخير، وأن يقضوا بالحق، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل؟

ألا يتفق الدين المسيحى مع الدين الإسلامى على أن متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، والدار الآخرة خير للذين يتقون، وأن المتقين هم أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة،

---

(١) نشر بمجلة (الهلال) فى عدد يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٨٠م، وبجريدة (وطنى) صباح الأحد ٩ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٨٠م – ٣٠ من أمشير لسنة ١٦٩٦ش.

وأن الآخرة هى دار القرار، وأن الآخرة خير وأبقى؟

فى كل أولئك يلتقى المسلمون والمسيحيون، يؤمنون بالله واليوم الآخر، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويرجون الله واليوم الآخر.

والمعروف أن الإسلام دين توحيد. والدعوة الإسلامية دعوة للإيمان بالله الواحد، وعبادته، وعدم الإشراك به، وما أكثر النصوص القرآنية التى تدعو إلى التوحيد صراحة، وتضمينا:

«وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم» (١٦٣م البقرة ٢)

«إنما الله إله واحد» (١٧١م النساء ٤)

«وما من إله إلا إله واحد» (٧٣م المائدة ٥)

«قل إنما هو إله واحد وإننى برىء مما تشركون» (١٩ك الانعام ٦)

«قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار» (١٦م الرعد ١٣)

«وليعلموا إنما هو إله واحد» (٥٢ك ابراهيم ١٤)

«إلهكم إله واحد» (٢٢ك النحل ١٦)

«وقال الله لا تتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد» (٥١ك النحل ١٦)

«إنما إلهكم إله واحد» (١١٠ك الكهف ١٨) - (١٠٨ك الانبياء ٢١) - (٦ك فصلت ٤١)

«فإلهكم إله واحد» (٣٤م الحج ٢٢)

«إن إلهكم لواحد. رب السموات والأرض وما بينهما» (٤ك الصافات ٣٧)

«وما من إله إلا الله الواحد القهار» (٦٥ك ص ٣٨)

«سبحانه هو الله الواحد القهار» (٤ك الزمر ٣٩)

«لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» (١٦ك غافر ٤٠)

«قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق إلها واحداً» (١٣٣م البقرة ٢)

«وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو» (٣١م التوبة ٩)

كذلك المسيحية دين توحيد:

فقانون الإيمان الذى يردده جميع المسيحيين فى صلواتهم الخاصة والعامة ويتلونه فى كل

خدمة دينية وفى كل قداس، وفى كل صلاة من الصلوات اليومية، باكرا ونهارا وعشية، ويرنمونه ترنيما، منذ القديم، واليوم، وإلى الأبد، يقولون فى مطلعه «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

والمسيحيون يؤمنون وينادون بأن الله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون واحدا، ويقولون: إذا كان هناك إله آخر غير الله، فما عمل هذا الآخر؟ وما هو اختصاصه؟ لأنه ما دام الله غير محدود وغير متناه، فلا مجال لإله آخر، لأن وجود هذا الآخر يتعارض مع صفة اللانهائية واللامحدودية فى الله... فإنه طال ما أن الله يتصف باللانهائية واللامحدودية، فوجوده إذن يملأ كل مكان، ولا يخلوا منه مكان... فكيف، ولماذا، وأين يوجد الإله الآخر؟ وهل هذا الآخر هو فى الكون أم خارج الكون؟ فإذا كان فى الكون، فهل هو فى كل مكان فى الكون، أم فى مكان دون مكان؟ فإذا كان فى كل مكان، فهو شريك مع الله فى وجوده... وبذلك يصبح وجود الواحد منهما فضلة زائدة مع الآخر... فإذا كان الآخر كائنا فى مكان دون مكان، فيترتب عليه أن يكون كل منهما محدودا فى المكان، وهذا يتعارض مع كونه الإله الحقيقى الكائن فى كل مكان ولا يخلو منه مكان.

ثم لما كان الله قادرا على كل شيء، فلماذا يكون ثمت إله آخر؟ وما هو إذن عمل هذا الآخر؟... هل يأخذ هذا الآخر شيئا من اختصاص الله؟... لو كان الأمر كذلك لترتب عليه أن يكون الله غير قادر على كل شيء، أو يكون قادرا على أشياء دون أشياء، لأن هذه الأشياء تدخل فى اختصاص الإله الآخر المزعوم...

وهكذا يمكن منطقيا وعقليا رفض القول بأكثر من إله واحد... واعتباره محالا، لا يقبله العقل ولا يسيغه.

ولقد كتب آباء الكنيسة المسيحية إلى الوثنيين قديما، يثبتون لهم بالدليل العقلى أن الله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون واحدا، وأن القول بأكثر من إله أمر لا يقبله العقل... وكان لا بد لآباء الكنيسة أن يكتبوا للوثنيين مدافعين عن عقيدة التوحيد، بالدليل العقلى والمنطقى، ولا يكتفون بالأدلة النقلية المقتبسة من نصوص الكتب المقدسة، لأن الوثنيين لا يؤمنون بالكتب المقدسة.

وقال المسيحيون إن (الواحد) هو أصل الوجود، عليه يقوم كل شيء، وإليه يرتد كل شيء، ومنه يتركب ويتكون كل الوجود... ولا يوجد قبل (الواحد) شيء، فهو الأصل، أو هو أصل الوجود... وإذن فالواحد هو الله، والله واحد، ولا يمكن إلا أن يكون واحدا، ولا يوجد غير إله واحد.

وأضاف المسيحيون إلى الأدلة العقلية والمنطقية التى واجهوا بها الوثنيين أدلة أخرى اقتبسوها من أسفارهم المقدسة، وكانوا - ومازالوا - يبرزونها للمؤمنين من المسيحيين، ولغير المسيحيين ممن يسألونهم عن أسانيدهم فى اعتقادهم بوحدانية الله.

ومن هذه النصوص:

«الرب هو الإله. ليس آخر سواه» (التثنية ٤ : ٣٥)

«الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه» (التثنية ٤ : ٣٩)

«الرب إلهنا رب واحد» (التثنية ٦ : ٤)

«الرب وحده ... وليس معه إله» (التثنية ٣٢ : ١٢)

«أنا أنا هو، وليس إله معى» (التثنية ٣٢ : ٣٩)

«لأنه ليس غيرك» (١ . صموئيل ٢ : ٢)

«وأعدوا قلوبكم للرب، واعبدوه وحده» (١ . صموئيل ٧ : ٣)

«قد عظمت أيها الرب الإله، لأنه ليس مثلك، وليس إله غيرك» (٢ . صموئيل ٧ : ٢٢)

«لأنه من هو إله غير الرب» (٢ . صموئيل ٢٢ : ٣٢)

«الرب هو الله، وليس آخر» (١ . الملوك ٨ : ٦٠)

«أيها الرب... أنت هو الإله وحدك» (٢ . الملوك ١٩ : ١٥)

«أنت الرب الإله وحدك» (٢ . الملوك ١٩ : ١٩)

«يارب، ليس مثلك، ولا إله غيرك» (١ . أخبار الأيام ١٧ : ٢٠)

«أنت هو الرب وحدك. أنت صنعت السماوات وسماء السماوات وكل جندها، والأرض وكل ما عليها، والبحار وكل ما فيها، وأنت تحييها كلها، وجند السماء لك يسجد» (نحميا ٩ : ٦)

«إنك أنت الإله الواحد فى الأرض كلها» (طوبيا ٨ : ١٩)

«لا إله قادرا على كل شيء سواه» (طوبيا ١٣ : ٤)

«وسجدوا لإله السماء الواحد» (يهوديت ٥ : ٩)

«إنك أنت الإله وليس آخر سواك» (يهوديت ٩ : ١٩)

«الباسط السماوات وحده» (أيوب ٩: ٨)

«وواحد كوننا فى الرحم» (أيوب ٣١: ١٥)

«لأنه من هو إله غير الرب» (مزمور ١٧: ٣١)

«من مثلك ياالله» (مزمور ٧٠: ١٩)

«إنك اسمك يهوه وحدك العلى» (مزمور ٨٢: ١٨)

«عظيم أنت... أنت الله وحدك» (مزمور ٨٥: ١٠)

«منذ الأزل إلى الأبد أنت الله» (مزمور ٨٩: ٢)

«ليسبحوا اسم الرب، لأنه قد تعالى اسمه وحده» (مزمور ١٤٧: ١٣)

«ليس إله إلا أنت» (الحكمة ١٢: ١٣)

«الاسم الذى لا يشرك فيه أحد» (الحكمة ١٤: ٢١)

«لا إله إلا أنت يارب» (يشوع بن سيراخ ٢٦: ٢، ٥)

«إنك أنت الرب إله الدهور» (يشوع بن سيراخ ٣٦: ١٩)

«يارب الجنود... أنت هو الإله وحدك» (إشعياء ٣٧: ١٦)

«إنك أنت الرب وحدك» (إشعياء ٣٧: ٢٠)

«أنا الرب، أنا الأول والآخر، أنا هو» (إشعياء ٤١: ٤)

«أنا الرب، هذا اسمى، ومجدى لا أعطيه لآخر» (إشعياء ٤٢: ٨)

«أنى أنا هو. لم يكون إله قبلى، ولا إله بعدى» (إشعياء ٤٣: ١٠)

«أنا أنا الرب، وليس غيرى» (إشعياء ٤٣: ١١)

«أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيرى» (إشعياء ٤٤: ٦)

«هل يوجد إله غيرى» (إشعياء ٤٤: ٨)

«أنا الرب صانع كل شيء، ناشر السماوات وحدى، باسط الأرض. من معى» (إشعياء٤٤: ٢٤)

«أنا الرب وليس آخر. ولا إله سواى» (إشعياء ٤٥ : ٥)

«إنه ليس غيرى. أنا الرب، وليس آخر» (إشعياء ٤٥ : ٦)

«الله، وليس آخر. ليس إله غيره» (إشعياء ٤٥ : ١٤)

«خالق السماوات هو الله. مصور الأرض وصانعها... أنا الرب وليس آخر» (إشعياء ٤٥ : ١٨)

«أنا الرب، ولا إله آخر غيرى... ليس سواى» (إشعياء ٤٥ : ٢١)

«التفتوا إلى واخلصوا... فإنى أنا الله وليس آخر» (إشعياء ٤٥ : ٢٢)

«لأنى أنا الله، وليس آخر، أنا الله وليس مثلى» (إشعياء ٤٦ : ٩)

«أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر» (إشعياء ٤٨ : ١٢)

«إنه لا نظير لك يارب» (إرميا ١٠ : ٦)

«ألست مالىء السماوات والأرض، يقول الرب» (إرميا ٢٣ : ٢٤)

«هذا هو إلهنا، ولا يعتبر حذاءه آخر» (باروخ ٣ : ٣٦)

«فلست تعرف إلها غيرى، وليس مخلص سواى» (هوشع ١٣ : ٤)

«أليس إله واحد خلقنا» (ملاخى ٢ : ١٠)

انظر أيضا سفر الخروج (٣ : ١٤)، (٨ : ١٠)، (٩ : ١٤)، التثنية (٦ : ١٣)، (٧ : ٩)، (١٠ : ١٧)، (يشوع ٢٢ : ٢٢)، (١. صموئيل ٧ : ٤)، (١. الملوك ١٨ : ٣٦، ٣٩، ٢١، ٢٤)، (الحكمة ١٢ : ٢٧)، (إرميا ١٠ : ١٠ - ١٢).

* * *

ومن تلك النصوص يتبين أن الله تعالى هو الإله وحده، ولا شريك له، وليس كمثله شيء... هو الله، وليس غير الله إله، لم يكن قبله إله ولا يكون بعده إله... هو الواحد والوحيد والمتفرد بالألوهة... هو الواحد الأحد، والرب والصمد والسرمد، الأزلى الذى لا بداءة له والأبدى الذى لا نهاية له.

قال الإنجيل المقدس:

«للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (متى ٤ : ١٠)، (لوقا ٤ : ٨)

«فمن يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده؟» (مرقس ٢ : ٧)، (لوقا ٥ : ٢١)

«ليس الصالح إلا واحد هو الله» (مرقس ١٠ : ١٨)، (لوقا ١٨ : ١٩)، (متى ١٩ : ١٧)

«إن الرب إلهنا هو رب واحد» (مرقس ١٢ : ٢٩)، (متى ٢٢ : ٣٧، ٣٨)، (لوقا ١٠ : ٢٧)

«إن الله واحد، وليس آخر سواه» (مرقس ١٢ : ٣٢)

«كيف يمكنكم أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض وأما المجد الذى من الله الواحد وحده، فلا تبتغونه» (يوحنا ٥ : ٤٤)

«وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك» (يوحنا ١٧ : ٣)

«لأن الله واحد» (رومية ٣ : ٣٠)

«للجميع رب واحد» (رومية ١٠ : ١٢)

«لا إله إلا واحد» (١ . كورنثوس ٨ : ٤)

«لنا إله واحد» (١ . كورنثوس ٨ : ٦)

«الله واحد الذى يعمل الكل فى الكل» (١ . كورنثوس ١٢ : ٦)

«الله واحد» (غلاطية ٣ : ٢٠)

«واحد هو الله، أبو الكل، الذى هو فوق الكل» (أفسس ٤ : ٦)

«اهتديتم إلى الله، وتركتم الأوثان، لتعبدوا الله الحى الحقيقى» (١ . تسالونيكى ١ : ٩)

«ملك الدهور الذى لا يفنى، ولا يرى، الله وحده، له الإكرام والمجد إلى دهر الدهور» (١ . تيموثيئوس ١ : ١٧)

«لأن الله واحد» (١ . تيموثيئوس ٢ : ٥)

«أنت تؤمن بأن الله واحد، فقد أصبت. والشياطين أيضا يؤمنون ويرتعدون» (يعقوب ٢ : ١٩)

«واحد هو واضع الشريعة وهو الديان، الذى يقدر أن يخلص ويهلك» (يعقوب ٤ : ١٢)

«للإله الوحيد مخلصنا... المجد، والعظمة، والعزة والسلطان، قبل كل زمان والآن، وإلى جميع الدهور» (يهوذا : ٢٥)

«أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية، يقول الرب الإله» (الرؤيا ١ : ٨)، (٢٢ : ١٣)

«أنا هو الأول والآخر» (الرؤيا ١ : ١٧)

أما التثليث المسيحى فلا يتعارض مع الإيمان بالتوحيد:

فالمسيحيون يؤمنون بإله واحد، أحديّ الذات مثلّث الأقانيم والخاصيات.

فالتوحيد للذات الإلهية، وأما التثليث فللأقانيم. والأقانيم خاصيات وصفات ذاتية أى بها تقوم الذات الإلهية.

فالله الواحد هو (**أصل**) الوجود، ولذلك فهو (**الآب**). والآب لفظة سريانية بمعنى (**الأصل**).

والله الواحد هو (**العقل) الأعظم**، ولما كانت المسيحية تنادى بأن الله قد ظهر وتجلى فى المسيح، على نظير ما ظهر للنبى موسى فى العليقة، وتجلى فى المكان دون أن يحده المكان، لذلك كان المسيح هو (**الكلمة**)، قال الإنجيل «فى البدء كان الكلمة». والكلمة تجسيد (للعقل) فإن (العقل) غير منظور، ولكنه يظهر فى (الكلمة). وهو أيضا (الابن) لا بمعنى الولادة فى عالم الإنسان، بل لأنه «صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥).

والله الواحد هو (**الروح**) الأعظم، وهو «أبو جميع الأرواح» ولهذا فهو (**الروح القدس**)، لأن الله قدوس.

وعلى ذلك **فإيمان المسيحيين بالتثليث لا يتعارض مع إيمانهم بالتوحيد. لأن التثليث ليس تثليث ذوات، لكنه تثليث أقانيم، والأقانيم صفات وخاصيات فى الإله الواحد**، لكنها صفات وخاصيات ذاتية وليست مجرد صفات نسبية. والصفات والخاصيات الذاتية ما تقوم به الذات.

وعندهم أن الله الواحد كائن بذاته، ناطق بكلمته، حى بروحه.

ولذلك يقولون فى البسملة «باسم الآب والابن والروح القدس، **الإله الواحد**».

والخلاصة أن المسيحية قدمت عن الله درسين متممين الواحد للآخر:

الدرس الأول عن **التوحيد**، والدرس الثانى عن **التثليث. والدرسان لا يتعارضان.** وإنما الدرس الثانى ينبنى على الدرس الأول، وهو يكمل معرفتنا عن الله الواحد، إذ يدخل بنا إلى طبيعته وصفاته. ولم تقدم الدرس الثانى إلا بعد أن استقر الدرس الأول فى أذهان الناس: **إن الله واحد أحد، وليس غيره إله.**

٦ ـ العلاقة بين الأقانيم الثلاثة (١)

سؤال : من الأخ لويس شاكر بشبرا.

نقول نحن فى تفسيرنا المنطقى للأقانيم الثلاثة هكذا : الله موجود بذاته : الآب. والله ناطق بكلمته : الابن. والله حي بروحه : الروح القدس ولكننا نعلم أن كل أقنوم من هذه الأقانيم لازم الوجود والنطق والحياة، وإذن فكل أقنوم يساوى ثلاثة وهكذا.. فكيف السبيل إلى ذلك؟!.

الجواب :

إذا كان الله موجودا بذاته، ناطقاً بكلمته، حيا بروحه، فالله واحد، والأقانيم ثلاثة : الآب هو الوجود، والابن (الكلمة) هو النطق أو العقل أو الحكمة، والروح القدس هو الحياة.

والآب كائن بذاته، ناطق بالكلمة، حى بالروح القدس : هو الأصل، والد الكلمة، وباثق الروح القدس.

والكلمة هو عقل الله : كائن بالآب، وحى بالروح القدس. فهو مولود من الآب. والروح القدس هو الحياة فى الله : كائن بالآب، وناطق بالكلمة.

وإذا كان يمكن تصور الآب بلا عقل ولا روح فقد تجرد الآب عن صفتين ذاتيتين فيه، من دونهما ينعدم وجوده وجوهره. وكيف يمكن تصور باثق الحياة فى المادة، ومبدع العقل فى الوجود، بلا حياة أو عقل؟!.

فإذا كان ذلك مستحيلا فقد تبين حقيقة الجوهر الواحد فى الأقانيم الثلاثة. فليس بين الأقانيم إنفصال بل هى صفات ذاتية فى جوهر الله. على أن كل أقنوم يتميز عن الأقنومين الآخرين بصفة ينفرد بها، أو وظيفة يقوم بها، لكنه فى الآن نفسه مرتبط فى الجوهر الإلهى بالأقنومين الآخرين، اللذين ينفرد كل منهما بصفة أو وظيفة تخصه ولكنه مرتبط أيضاً فى الجوهر الإلهى بالأقنومين الآخرين : الآب هو الوجود الإلهى، والابن هو العقل الإلهى، والروح القدس هو الحياة فى الله.

يقول القديس أثناسيوس الرسولى فى قانونه المسمى باسمه «وكل من يروم أن يخلص يتحتم عليه أولا وقبل كل شئ أن يحفظ الإيمان، ومن لا يحفظه بأكمله، من غير تعديل فيه، يموت موتاً أبدياً. وهذا الإيمان هو أن يعبد إلهاً واحداً فى ثالوث وثالوثاً فى واحدانية، من غير اختلاط فى الأقانيم ولا تقسيم فى الذات. لأن أقنوم الآب هو غير أقنوم الابن وغير أقنوم الروح القدس. ولكن الآب والابن والروح القدس إله واحد».

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٤ عدد ١٠ ديسمبر ١٩٥٠ م.

٧ ـ خطاب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى (١)

ما كان يخطر لبالى يوما من الأيام أننى سأضطر إلى أن أكتب إلى الشيخ محمد متولى الشعراوى خطابا مفتوحا يُنشر فى صحيفة عامة، ولكن الذى حملنى على أمر لا أريده، ولا أؤمن بجدواه، أن الشيخ سمح لنفسه أن يستغل التليفزيون ـ وهو أداة إعلامية عامة ليست قاصرة على واحد من عنصرى الأمة ـ لتشويه العقيدة المسيحية ومهاجمتها بأسلوب ساخر، ويظهر أن الشيخ قد بلغ من كمال المعرفة والحكمة والفهم بحيث صار من السهل عليه أن ينقد المسيحية فى صميم معتقداتها، وكأنه يكلم أطفالا صغارا يلقنهم ـ وهو العالم الكبير ـ حروف الهجاء، أو يخاطب أناسا بلهاء فاقدى الوعى وكأنه هو العالم وحده المحيط بكل الأسرار، وهو لذلك يهتاج وينفعل، ثم يندهش لأن المسيحيين وأهل الكتاب (أغبياء وحمقى) فلم يستطيعوا أن يرتفعوا إلى شئ من القامة العالية التى بلغها سيادته.

ولقد ذهب الشيخ فى غلواء التطرف إلى السخرية من عقيدة المسيحيين فى المسيح أنه ابن الله، وأنه الله المتجسد، والسخرية من التثليث المسيحى، والسخرية من التجسد، ومن الصلب والفداء وكل عقائد المسيحية العظمى والاستهزاء أيضا بمعنى المعمودية المسيحية... الخ وإذ وجد من يمدحه بأنه الداعية الإسلامى الكبير، فمن فرط إنفعاله بالمدح ذهبت به غلواؤه فى ثقته بنفسه أن يسخر حتى بالمسيح، الأمر الذى ينفرد به الشيخ، فلم نر ولم نقرأ ولم نسمع شيئا من هذا القبيل من أى من إخوتنا المسلمين القدماء والمحدثين. ونحن لا نريد أن نردد هنا ما قاله ويقوله الشيخ عن المسيح لئلا يفرح الشيطان بترويجنا لأفكار شريرة من خلال ردنا عليه، وهو المنهج الذى اتبعه الإمام الغزالى، فقد قال الشيخ الغزالى (١٠٥٩ – ١١١١) أنه لا يريد أن يذكر آراء كثير من الفرق التى انحرفت عن تعاليم الإسلام لئلا يعلق بأذهان من يقرأون كتابه الأفكار الضالة والمنحرفة أكثر مما يعلق بأذهانهم رده الصائب عنها.

لقد كنا نرجو للشيخ الشعراوى أن يقصر شروحه على الإسلام. أما أن يتجاوز شرح الإسلام إلى مهاجمة المسيحية والسخرية بعقائد المسيحيين، فهذا أمر لا يقره ضمير منصف، أن ينزل الرجل إلى حلبة للتحدى فى ميدان عام لا يقف آخر ينازله، ليقارعه الحجة بالحجة والدليل بالدليل.

---

(١) يرجع تاريخ هذا المقال الذى لم ينشر إلى أواخر سنة ١٩٨٠.

ونحن كمسيحيين لا نكاد نفهم لماذا سمح الشيخ لنفسه أن يدخل فى هذا التحدى وهو يعلم أنه ليس أمامه فى التليفزيون شخص آخر مقابله. فكيف يثبت الشيخ نجاحه فى هذا التحدى، دون أن يكون له فى هذا المضمار شخص آخر يقف ضده ؟ إن المحاربين منذ أقدم العصور كانوا يثبتون كفاءتهم القتالية بأن يعرضوا بشرف استعدادهم وترحيبهم بمنافسيهم وذلك ليستمتع المتفرجون بهذه الرياضة المزدوجة بين فريقين، يبذل كل فريق جهده للانتصار على غريمه. وفى هذا تشجيع وتقوية للروح الرياضية فى المجتمع وما تعود به على المجتمع من فوائد روحية وإجتماعية وبدنية، وفيه أيضا متعة نفسية للمشاهدين، وتربية وجدانية، وذهنية وعاطفية للجماهير.

لسنا نفهم كيف غاب عن عقل الشيخ أن البرنامج الدينى فى التليفزيون ليس هو المجال الطبيعى المناسب للدخول فى هذا التحدى السافر للمسيحية فى صميم عقائدها العظمى، وكيف قبل على نفسه أن يدخل فى تحد علنى وجهارى وليس أمامه فى المضمار إنسان آخر، يمكنه على الأقل أن يدخل معه فى هذا الحوار أو هذا التحدى.

لسنا نفهم هذا الأمر من جانب الشيخ الشعراوى. **على أنه إذا كنا نعرف لماذا انزلق الشيخ إلى هذا المنزلق ليجرح مشاعر المسيحيين، فإننا لا نكاد نفهم الموقف كله من جانب المسئولين عن البرنامج الدينى فى هيئة تليفزيون جمهورية مصر العربية حتى لو قيل إن الشيخ لا يتعرض للمسيحية إلا من خلال شرحه للنصوص القرآنية التى تتناول العقائد المسيحية. فقد يكون لهذا المنطق ما يبرره بعض التبرير لو كان هذا الشرح مقصورا على أحد المساجد، أو فى حلقة من حلقات الأزهر. أما أن يتناول الشرح تشويه المسيحية ومهاجمة عقائدها فى التليفزيون وهو أداة عامة لجميع المواطنين، فالمسيحيون يفهمون أن هذا تحرش بهم، وإثارة لها أخطارها الكبيرة على سلامة جبهتنا الداخلية، وهو أسلوب سيعود بنا إلى عقلية العصور الوسطى ومنهجها فى التشهير بعقائد الآخرين.**

إننا نتساءل مرة أخرى هل المسؤولون فى هيئة التليفزيون، عن البرنامج الدينى يعلمون أن الشيخ متولى الشعراوى يتحرش فى شروحه بالمسيحية والمسيحيين ويؤذى مشاعرهم فى المسيح وعقائد المسيحية العظمى، وبهذا يُنشئ

ويخلق حربا دينيـة، أو أنهم لا يعلمـون؟. وإذا كـانوا يعلمـون، فلمـاذا؟ وإذا لم يكونوا يعلمون، فما هو موقفهم بعد أن علموا؟!.

هل يتوقع الشيخ الشعراوى أن المسيحيين سيقفون مكتوفى الأيدى إزاء هذا التحدى الصارخ للعقيدة المسيحية والسخرية بها... هل يتوقع أنهم سيرفعون الراية البيضاء ويستسلمون لمنطقه، ويقولون إن ديانتهم العريقة خاطئة وأن عقائدهم متهافتة؟... إن هذا الأسلوب المثير لن يجدى فى كسب المسيحيين إلى الإسلام. إنه سيثيرهم بالأكثر وسيحفزهم إلى الرد على الشيخ، بما يعرفون. وأما من لا علم لهم فسيلجأون إلى علمائهم ورجال الدين عندهم يسألونهم عن صحة ما قاله ويقوله الشيخ الشعراوى، وسيرتد كل ذلك بالخير على المسيحية والمسيحيين، وكما يقولون «رب ضارة نافعة» «فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا». وفى الكتاب المقدس عبارة فى هذا الصدد «من الآكل خرج أكل، ومن الجافى خرجت حلاوة» (القضاة١٤:١٤) وأيضاً «أن كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله الذين هم مدعوون حسب قصده» (رومية ٨ : ٢٨).

إننا نريد أن نطمئن الشيخ محمد متولى الشعراوى أننا غير منزعجين ولا مضطربين مما قاله أو يقوله... إننا نتوقع منه المزيد، ونحن مطمئنون تماما إلى ديانتنا ونعرف حقيقة الأرض الصلبة القائمة عليها مسيحيتنا. وكما قال الرسول القديس بولس «لهذا السبب أحتمل هذه المحن أيضا، غير أنى لا أستحيى بها، لأنى عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم» (٢. تيموثيئوس ١ : ١١، ١٢).

وكل ما نريده أيها الشيخ أن تبقى كما أنت فى مكانتك العلمية والدينية التى تحتلها، ولا تنزل عنها. وأعتقد أنك تعلم أن العالِم يظل عالما حين يتكلم بما يعلم... أما إذا أقحم نفسه فبدأ يتكلم بما لا يعلم فهنا، وهنا يبدأ العالِم أن ينزل عن مستواه.

والواضح وضوح الشمس فى رائعة النهار أنك فى كل ما قلته عن المسيحية أنك لا تعرف عن المسيحية شيئاً إلا من خلال النصوص القرآنية التى حصرت ذاتك فيها، وهى نصوص لا تخصنا نحن المسيحيين.

هل تعلم أيها الشيخ أنك فى كلامك عن المسيحية تردد أقوال النساطرة الذين كانت لهم أديرتهم ورهبانهم فى بلاد العرب أثناء الدعوة الإسلامية. وما تقوله أنت الآنِ فى الربع الأخير من القرن العشرين كان يقوله النساطرة، ومنهم الراهب النسطورى المدعو (بحِيرا) والمعروف عنه أنه كان يتعاطى النجامة والسِحْر (انظر معجم المنجد) و (الموسوعة العربية الميسرة) بإشراف محمد شفيق غربال صفحة ٣٣٠، ١٦٥٧.

لقد كان النساطرة - ومازال لهم وجود ضعيف هزيل فى العراق - مطرودين محرومين من الكنيسة المسيحية لأنهم إنحرفوا فى فهم المسيحية فاستقروا فى بلاد العرب، ولم يهدأوا، بل كانوا موتورين، وصاروا يهاجمون المسيحية الأرثوذكسية، ولكى يسهل عليهم نقد المسيحية، كانوا يشوهون تعاليمها ليسهل عليهم نقدها والتشهير بها.

فأنت إذ تردد «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» و «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة» و «يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله» و «إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد» و «بديع السموات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة».

كل هذه النصوص وأمثالها مما تردده، ليست جديدة علينا، إنها بعينها الاتهامات التى كان يُرددها النساطرة أثناء نشأة بدعتهم فى القرن الخامس والتى انعقد بسببها المجمع المسكونى الثالث فى أفسس فى سنة ٤٣١م، والذى رأسه البابا كيرلس الأول المسمى عمود الإيمان، وهو الرابع والعشرون من بطاركة الكرسى المرقسى والذى يعتبره المسيحيون اليوم شرقاً وغرباً بأنه (الأب لجميع المسيحيين) الأرثوذكس منهم والكاثوليك، وقد احتفل العالم المسيحى فى عام ١٩٤٤ بمرور ستة عشر قرنا (١٦٠٠سنة) على وفاته وقد كانت - ومازالت - تعتبر رسائله العقائدية الثلاثة دستورا للإيمان وتعليما يلتزم به المسيحيون جميعا شرقاً وغرباً، وكتاباته تعد أصدق تعبير عن العقيدة المسيحية... أما النساطرة، أيها الشيخ، فهم الذين حرمهم مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م، ومازالوا محرومين، وقد نفى نسطور زعيمهم إلى مدينة أخميم فى صعيد مصر، إذ وجد الإمبراطور أن خير مكان ينفى إليه نسطور هو أخميم حيث كان الأقباط بزعامة الراهب شنوده المعروف برئيس المتوحدين فى مستوى إيمانى بلاهوت المسيح بحيث لا يستطيع نسطور بكل بلاغته أن يزحزح منه شيئا. وأما قومه فنفوهم خارج حدود الإمبراطورية الرومانية فاستقروا فى بلاد العرب، وصارت لهم فى بلاد العرب أديرتهم...

هؤلاء النساطرة كانوا فى دعوتهم يعملون كل جهدهم على تشويه المسيحية، وهم الذين كانوا يرددون هذه الأقوال، تشويها للمسيحية الأرثوذكسية ودفاعا عن أنفسهم، وترويجا لمبادئهم الضالة المنحرفة عن المفهوم المسيحى السليم.

لذلك فإن كل ما قلته وما تقوله فى مهاجمتك للمسيحية، معروف لدينا سابقا، ومعروف أن مصادره نسطورية، وهى بدعة وهرطقة مسيحية، أراد دعاتها أن يوسعوا من قاعدة المؤمنين، بمذهبهم، فليس ما يقوله ويردده الشيخ محمد متولى الشعراوى إلا امتداداً للنسطورية.

إنه ليس علينا بجديد. فهون على نفسك. وليس من الإنصاف الذى يتصف به كل عالم حقيقى أن يتبنى رأيا دون أن يعرف ما وراءه وما تحته من أسانيد وبراهين روحانية عقلانية، ودون أن يعود إلى التاريخ، لئلا ينزلق فى مطب، حيث يدخل فى خصومة مع غيره من دون داع ومبرر، خصوصا وأن هذا الأمر لن يحدث من ورائه لك أو للمسلمين من فائدة حقيقية. أما الذين سوف يستفيدون حقا من هذا الجدل العقيم فهم الملحدون وأعداء الدين، كل دين.

إن جوهر الدين - أى دين - هو دعوة روحية لعبادة الله الواحد الأحد، ونشر الخير بين الناس والدعوة إلى الفضيلة، الأمر الذى كنا نود أن توليه إهتمامك، فإن الناس فى زماننا أحوج ما يكونون إلى من يدعوهم إلى الفضيلة وإلى العمل الصالح، بدلا من أن توزع جهودهم فى مهاجمة الأديان الأخرى.

٨ ـ خطاب إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (١)

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هل يسمح فضيلتكم أن أناقش معكم تعبيراً وتفسيراً تكرر منكم عشرات المرات فى كتاباتكم ومقالاتكم فى (اللواء الإسلامى) والتى يسجلها عنكم فى يوميات جريدة (الأخبار) الأستاذ أحمد زين مدير تحرير الأخبار، فضلاً عن حلقاتكم ولقاءاتكم بالتليفزيون.

لقد تكرر عشرات المرات قولكم فى نقد إعتقاد النصارى فى المسيح (أيوجد ابن بلا أب) وردكم المألوف (لقد جاء بدون أب.. لكن آدم جاء بدون أب وبدون أم).

وإنى أسألكم يا فضيلة الشيخ الشعراوى : ما وجه الغرابة فى أن يجئ آدم بدون أب وبدون أم، حيث أن أدم هو أول إنسان خلقه الله تعالى؟

ومع ذلك يبقى السؤال قائماً، وعليكم أن تردوا عليه الجواب : هل حدث من بعد آدم أن جاء إنسان من غير أب إلا المسيح عيسى أو يسوع ؟

ما هو جوابكم على هذا السؤال ؟

ألم يخطر ببالكم ولو مرة واحدة هذا السؤال ؟ وبعد، فما هو جوابكم ؟

نريد منكم جواباً يرضى العقل والقلب غير قولكم المتكرر (إنها طلاقة القدرة).

لا جدل فى أن الله تعالى كلى القدرة، لكن لماذا كان المسيح عيسى (يسوع) وحده هو الذى يجئ بغير أب من الناس ؟

ما معنى هذا ؟

ولماذا كان هذا ؟

ثم أريد أن أسالكم، أو بالأحرى أن أسأل العقل والقلب فى فضيلة الشيخ الشعراوى.

هل حدث فى كل تاريخ الإنسانية منذ آدم إلى اليوم : أن وليداً ينادى أمه من تحتها ساعة مولده ؟

(١) أرسل بتاريخ ٤ من نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٨٥م.

ألم يقل القرآن فى سورة مريم : (٢٣) (فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا(٢٤) وهزّى إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيا (٢٥) فكلى واشربى وقرى عينا فإما ترينّ من البشر أحداً فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) .

وهل حدث فى كل تاريخ البشر على وجه الأرض أن وليدا يكلم الناس وهو فى المهد، فى يوم ميلاده ؟

ألم يقل القرآن فى سورة مريم.

(٢٦) فأتت به قومها تحمله قالوا يمريم لقد جئت شيئا فريا.

(٢٧) يأخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا.

(٢٨) فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا.

(٢٩) قال إنى عبد الله اتنى الكتب وجعلنى نبيا (٣٠) وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصنى بالصلوة والزكوة ما دمت حيا (٣١) وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً (٣٢) والسّلمَ على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) .

يا فضيلة الشيخ الشعراوى.

إنى لا أتوقع أن ترد علىّ بخطاب، فالنصارى فى نظرك كفار ومشركون وقد حرفوا كتب أنبيائهم ولذلك ـ أعدت لهم جهنم مقراً ومستقراً ـ وأما أنتم فالمؤمنون وحدكم، ولكم وحدكم الجنة ... إنما هذا سؤالى أوجهه إلى ضميركم الباطن المستور عن عيون الناس، فإن الروح الإنسانية فيكم التى خلقها الله وأودعها فيكم تطلب جواباً مريحاً عن هذا السؤال. فهل لكم أن تجيبوا على السؤال إجابة مرضية مقنعة شافية بكل الأمانة التى يتطلبها ضمير أهل الجنة ؟

مع تمنياتى لفضيلتكم بالخير ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٩ ـ تعقيب على تعقيب (١)

كتب فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف الأسبق فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٨٥ تعقيباً على ما كتبه الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى الشقنقيرى عن السيد المسيح، فى تفسير أن المسيح كلمة الله وروح منه، وانبرى سيادته يناقش عقيدة المسيحيين فى ألوهية المسيح، ويورد صريح ما نص عليه القرآن الذى يكفر من يقول بألوهية المسيح «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد» (٧٢، ٧٣ من سورة المائدة) ويقول (القرآن) «إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه» ١٧١ من سورة النساء.

ولو أن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر اكتفى بما أورده القرآن صراحة فى تكفير من يقول بألوهية المسيح لبيان عقيدته الإسلامية فى السيد المسيح، لما كان لنا أن نناقشه أو نراجعه فيما قال... إلا أنه شاء أن يضيف من عنده أنه «قد جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية «عدم ألوهية المسيح، واقتصاره على الرسالة فحسب». ثم يورد فضيلته بضع نصوص مبتورة من الأناجيل انتزعها سيادته انتزاعاً متعمداً مما قبلها ومما بعدها، وعزلها عزلاً تاماً عن سياقها فى جرأة شديدة، وليصل بسرعة هائلة إلى النتيجة التى ترضيه إذ يقول فضيلته «جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح». ثم يضيف قائلاً : «وبذلك تتلاقى هذه النصوص الإنجيلية مع القرآن فى نفى الألوهية عنه... والقرآن يكفر من يقول ذلك».

فإذا كان القرآن يقول صراحة «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» فمعناه أن **الاعتقاد فى ألوهية السيد المسيح ليس بدعة جديدة استحدثها المسيحيون، لكنها عقيدة قديمة كانت معروفة قبل القرن السابع للميلاد**، وقد كفر القرآن القائلين بها، فكيف جاز لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أن يزعم أنه قد «جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح»؟ وما يكرره بعد إيراد ما شاء أن يورده من بعض النصوص الإنجيلية مما ظنه «يتلاقى مع القرآن فى نفى الألوهية عنه».

ألا يؤمن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر بالقرآن ؟

لقد قال القرآن صراحة «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» إذن هناك من قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وهؤلاء كافرون أو كفار، فكيف ينفى الإنجيل ألوهية السيد المسيح التى يكفر القرآن من يقول بها، ومع ذلك «تتلاقى النصوص الإنجيلية مع القرآن فى نفى الألوهية عن السيد المسيح»؟!!

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى ٧ من يوليو ١٩٨٥م ـ ٣٠ من بؤونه ١٧٠١ ش.

شكراً لله أولا وقبل كل شئ، فإن القرآن بقوله «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» أعفانا من التدليل على أن ما يقوله المسيحيون عن ألوهية السيد المسيح هو بعينه ما كانوا يقولونه من قبل القرن السابع للميلاد، فلم يستحدث المسيحيون عقيدة ألوهية السيد المسيح، وإنما هى عقيدتهم بعينها منذ الابتداء، وهى عقيدة المسيحيين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم. إنها عقيدتهم بالإجماع شرقاً وغرباً، سواء الأرثوذكس منهم أو الكاثوليك أو البروتستانت... لا خلاف بينهم على أن المسيح هو «الله الكلمة متجسداً» (يوحنا ١ : ١٤) «الله الظاهر فى الجسد» (١. تيموثيئوس ٣ : ١٦) الله وقد تجلى فى كيان منظور هو المسيح، وهذا هو معنى أنه (ابن الله)، لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، معاذ الله من ذلك، لكنه هو ابن الله بمعنى أنه «صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥)، أى أن الله وهو الغير المنظور بطبيعته (يوحنا ١ : ١٨) قد تلبس بإنسانيتنا، ليصير منظوراً للناس. فالمسيح هو الله الغير المنظور وقد صار منظوراً. ولماذا صار منظوراً؟ لينجز مهمة الفداء والخلاص التى ما كان يمكن لغير الله أن يقوم بها. فالله قد تجسد فى المسيح من أجل الفداء والخلاص. فالفداء كان هو الغاية، والتجسد كان هو الوسيلة.

أما النصوص الإنجيلية التى انتزعها فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر، من سياقها فيحتاج الأمر فى شرحها إلى بيان طويل ليس هنا مجاله، وقد كتبنا فى الموضوع سلسلة كتب تحت عنوان «أنت المسيح ابن الله الحى» أخرجنا منها حتى الآن ستة أجزاء... (١)

وملاك القول إننى أريد أن أؤكد لفضيلة الدكتور عبد المنعم النمر، إننا سعداء بقول القرآن «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم».. هذه عقيدتنا ونحن سعداء بها، ونحن لا نغضب أن يقال عنا من جانب الذين لا يعرفون المسيح على حقيقته، إننا كفار... فالمسيحيون كفار وكافرون بعقيدة من لا يؤمن بلاهوت المسيح.

لابد أن يعلم فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أن قضية طبيعة المسيح، وأنه فى ذاته وحقيقته هو الله وقد تجسد، وأنه لذلك هو الله وهو ابن الله فى الآن نفسه... هى نقطة الخلاف الكبرى والعظمى بين الإسلام والمسيحية ؟، إنها كانت ومازالت، وستظل إلى يوم الدين، هى جوهر الخلاف ومحور الإختلاف بين الدينين، بل أقول إن رسالة الإسلام الأولى التى نهض من أجلها، هى مناهضة العقيدة المسيحية فى لاهوت المسيح التى فهمت على أنها تتعارض مع (التوحيد)

(١) وصل عددهم إلى تسعة أجزاء وقد تم تجميعهم فى هذا المجلد.

والتوحيد هو الإسلام، والإسلام هو التوحيد.

فكيف إذن نغضب نحن المسيحيين من قول القرآن «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» ؟

ثم أسأل فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر : إذا كان حقاً ما يقوله فضيلته «إن النصوص الإنجيلية تتلاقى مع القرآن فى نفى الألوهية عن المسيح»، فلماذا أورد فضيلته بعض النصوص بعد أن انتزعها من سياقها، ودفعها دفعاً، وهى نصوص لو أنه تأملها سيادته بأمانة لخرج بنتيجة تتعارض جذرياً مع ما توصل إليه فضيلته من نتيجة سريعة. وهو ماشرحه علماء المسيحيين فى كتاباتهم وتواليفهم بمقارنة النصوص، وفهمها فى سياقها الصحيح...

لكننا مع ذلك نسأل فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر، إذا كان حقاً ما يقوله من أن النصوص الإنجيلية تتلاقى مع القرآن فى نفى الألوهية عن المسيح، فما رأى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فى قول الإنجيل للقديس يوحنا فى مطلعه «**فى البدء كان الكلمة**. والكلمة كان لدى الله. **وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان**. كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم. **كان فى العالم، وكان العالم به**، والعالم لم يعرفه. إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله...» (الإنجيل للقديس يوحنا ١ : ١ – ١١) ؟

وما قول فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فيما قاله المسيح له المجد لتلاميذه فى ليلة آلامه التى صلب فى غدها «أنا هو الطريق والحق والحياة. لا يأتى أحد إلى الآب إلا بى. لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى (الآب السماوى) أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه. **وقد رأيتموه (فىّ)** فقال له فيلبس : يارب أرنا الآب وكفانا. قال له يسوع : **أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس ؟ من رآنى فقد رأى الآب**، فكيف تقول أنت أرنا الآب؟. ألا تؤمن بإنى فى أبى، وأن أبى فىّ. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، **وإنما الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل الأعمال. صدقونى **أنى فى أبى، وأن أبى فىّ**، وإلا فصدقونى من أجل الأعمال نفسها» (يوحنا ١٤ : ٦ – ١١).

وماذا يقول فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر فى قول المسيح له المجد **وهو ينسب إلى ذاته ما لا ينسب إلا إلى الله الواحد وحده : «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية،.. الكائن والذى كان والدائم، والقادر على كل شئ»** وقوله «**أنا هو الأول والآخر، والحى**، وكنت قد مت (بالجسد فى الصلب) **وها أنا الحى إلى أبد الآبدين**، ولى مفاتيح الهاوية والموت» (سفر الرؤيا ١ : ١٠، ١٧، ١٨) ؟

والآن هل من شك فى أن المسيحيين كافرون وكفار لأنهم كانوا ومازالوا وسيظلون يعتقدون فى لاهوت المسيح ؟

أرجو أن يعلم فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر أن **عقيدة لاهوت المسيح، وأنه هو الله وقد ظهر فى الجسد، وقد تجلى فى إنسانية الناس من أجل خلاص آدم وذريته، هى الصخرة التى بنى عليها المسيح كنيسته**. قال السيد المسيح له المجد : «**وإنى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**» (متى ١٦ : ١٨). وقال الملاك جبرائيل وهو يبشر العذراء مريم بالحمل الإلهى منها «**القدوس الذى سيولد منك يدعى ابن الله.. فيملك.. إلى الأبد. ولن يكون لملكه إنقضاء**» (الإنجيل للقديس لوقا ١ : ٣٣، ٣٥) ؟

وهنا سؤال عابر، مجرد سؤال :

ألم يقل القرآن عن المسيح فى سورة مريم ١٦ : ١٩ : ٢٣ – ٢٥ «فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتكِ سريا. وهزى إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطباً جنيا. فكلى واشربى وقرى عينا، فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا».

أفهل حدث فى تاريخ البشرية منذ آدم أن فتاة تلد وهى عذراء؟ هل حدث ذلك يوما ما؟ ثم إذا كان لكل إنسان أب، والمسيح كإنسان ولد من أم بغير زرع رجل، فمن يكون أباه؟ ثم هل حدث فى كل التاريخ الإنسانى منذ آدم إلى يومنا هذا أن وليدا فى اللحظة الأولى لولادته ينادى أمه من تحتها ويكلمها على النحو الذى رواه القرآن ؟

ثم هل حدث فى كل تاريخ البشرية أن وليدا يكلم الناس إذ أتت به مريم قومها تحمله فقد جاء فى القرآن «فأشارت إليه، قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً. وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً. والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا» (١٦ : ١٩ : ٢٨ – ٣٢).

إنه مجرد تساؤل : **هل حدث هذا لنبى أو غير نبى؟ من قبل أو من بعد ؟** أعرف إجابتكم على هذا السؤال مسبقاً : أقصد إجابتكم التقليدية. ستقولون إن هذا مرده إلى طلاقة القدرة الإلهية.. ومع ذلك يبقى السؤال قائماً : **لماذا هذا ؟ وهل حدث مثله بالنسبة لكائن آخر نبياً أو غير نبى، فى كل التاريخ منذ آدم وقبل آدم؟. لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ وما معنى هذا؟**

إنه مجرد سؤال مطروح ؟

١٠ ـ إلى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى (١)

يواصل الشيخ محمد متولى الشعراوى بغير هوادة هجومه فى جريدة (اللواء الإسلامى) وفى حلقاته التليفزيونية، على إعتقاد المسيحيين فى لاهوت المسيح، ويهزأ ويسخر من حقيقة صلب المسيح وعمل الفداء.

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبت لفضيلتكم قبل الآن خطاباً بتاريخ ١٩٨٥/١١/٤ ورجوتكم فيه أن تسألوا العقل فيكم والضمير، لماذا كان المسيح عيسى وحده بحسب ما جاء عنه فى القرآن كلم والدته العذراء الطهور مريم ساعة ميلاده منها (فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا. وهزى إليك بجزع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا) الأمر الذى لم يسبق إليه عند أحد من بنى آدم من يوم الخليقة حتى الآن، سواء كان نبياً أو غير نبى ؟

وسألت فيكم العقل والقلب والضمير أن تجيبوا بكل الأمانة التى يقتضيها ضمير أهل الجنة، هل حدث من يوم أن خلق الله آدم أن يتكلم أحد وهو فى المهد كلاماً كثيراً كذلك الذى رواه القرآن عن المسيح يسوع عيسى (فأتت به قومها تحمله قالوا يمريم لقد جئت شيئاً فريا. يأخت هرون ما كان أبوك أمرأ سوء وما كانت أمك بغياً. فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبياً. قال إنى عبد الله. أتنى الكتب وجعلنى نبيا. وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا، والسلّم علىّ يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيا) ؟

واليوم أضيف إلى ما سبق سؤالاً ثالثاً أوجهة أيضاً إلى ضميركم : لماذا وصف القرآن المسيح عيسى، وحده، بأنه كلمة الله وروح منه ؟ (إذ قالت الملئكة يمريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم) (٤٥ م آل عمران ٣) (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقَها إلى مريم وروح منه) (١٧١ النساء ٤).

(١) أرسل بتاريخ ٧ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٨٦م ـ ٢ من الشهر الصغير (النسئ) لسنة ١٧٠٢)ش.

هل قيل هذا الوصف عن شخص آخر منذ بدء الخليقة، نبياً أو غير نبى؟

وإذا لم يكن قد قيل عن شخص آخر عن المسيح فلماذا؟ وما دلالة هذا ؟ هل يمكنك وأنت الداعية الإسلامى الكبير أن تجد تفسيراً لهذا ؟

وسؤال آخر أسأله للعقل فيك والضمير يا من جندت ذاتك لمحاربة لاهوت المسيح، والاستهزاء بتعبير (ابن الله) ؟ وتقول إن من يقول هذا قد ارتكب شيئاً إدّاً أى فظيعاً.

سؤال يا فضيلة الشعراوى :

المسيح عيسى كإنسان ظهر فى الهيئة والوجود كإنسان، فمن هو أبوه ؟

كل إنسان من بعد آدم لابد أن يولد من أب. ولم يحدث بتاتاً أن وجد إنسان بعد آدم من غير أن يكون له أب ؟

والمسيح عيسى من حيث هو إنسان ولد من إمرأة، لكن من هو أبوه ؟

ستقول إجابتك المعهودة المتكررة التى تحاول أن تقنع بها ذاتك وتقنع بها من يسمعونك من الناس مسلمين وغير مسلمين (إنها طلاقة القدرة).

هل هذه إجابة مقنعة ؟ وهل يمكن أن تريح عقلك ؟

لا شك فى أن الله كلىّ القدرة ولكن الحق يسوس العالم والخليقة بالقوانين، والقوانين الطبيعية حتمية، ولا تتخلف. وقانون التوالد لم يحدث فيه غير مرة واحدة أن وليدا ولد من غير أب - وإلا فهل فى استطاعتك أيها الداعية الإسلامى الكبير أن تأتينا بمثل واحد غير المسيح يسوع ولد من غير أب ؟

إذن لماذا تتعجب، وتنذهل، وتعتبر من الكفر أن يقال عن المسيح يسوع من حيث هو إنسان (ظهر فى الهيئة كإنسان) (فيلبى ٢ : ٨) ليس له أب لأن إنسانيته لم تأت من زرع رجل كما هو الحال بالنسبة لكل بشر آخر. إذن ما هو وجه العجب، إذا لم يكن للمسيح يسوع عيسى أب من الناس، أن يكون الله الآب وهو أصل الوجود، هو أباه، بمعنى أن المسيح عيسى ليس له أب من بين الناس؟ فيكون الله الآب أباه، ويكون هو ابن الله بهذا المعنى ؟

ما هو وجه الغرابة ؟ وما هو الكفر فى هذا ؟

لماذا تسخِّر قلمك ولسانك لمحاربة عقيدة المسيحيين فى لاهوت المسيح ؟

لماذا يكون مفهوم البنوة عندكم يقتضى الذكر والأنثى ؟

لماذا يكون معنى البنوة لله أن الله تكون له صاحبة كما تكون للرجل صاحبة، ومنها يلد الولد؟

لماذا يقتصر معنى الولادة عندكم على المفهوم المادى الحسى والجنسى ؟

حاشا لله أن يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان ؟

ولماذا لا يتسع مفهوم الولادة فيصير معنوياً وروحياً ؟

إذا كان المسيح عيسى أو يسوع قد وصف بأنه (كلمة الله وروح منه) - ومادام الله هو العقل الأعظم، فلماذا لا تكون بنوته للآب السماوى كبنوة الكلمة للعقل ؟ والعقل كما تعلم فضيلتكم قوة غير منظورة أو محسوسة، ولكنه يظهر فى الكلمة. فالكلمة تجسيد للعقل. والكلمة تتولد من العقل من دون أن يكون هناك الذكر والأنثى، أو الرجل وصاحبته.

لماذا تحصرون مفهوم البنوة فى هذا المفهوم الحسى الضيق، ومن هنا تتهمون المسيحيين بأنهم (أغبياء) ينسبون إلى الله التزاوج، من حيث أن البنوة عندكم لها مفهوم واحد ضيق، هى بنوة الإنسان للإنسان وبنوة الحيوان للحيوان؟!

يا فضيلة الشيخ الشعراوى !

ألا يتولد الماء من النبع ؟

ألا يتولد النور من الشمس ؟

ألا تتولد الحرارة من النور ومن النار ؟

إذا قال المسيحيون إن المسيح ابن الله، فالبنوة هنا بنوة حقيقية لا نسبية، لكنها ليست جسدية أو مادية.

إنها على نظير ولادة الماء من النبع، وولادة النور من الشمس، وولادة الحرارة من النور ومن النار.

إنها نوع من الانبعاث أو الصدور التلقائى من غير زمان.

فنحن لا نستطيع أن نتصور فارقاً زمنياً بين الشمس والنور المتولد منها، لأنه منذ أن كانت الشمس شمساً فمنها يصدر النور، وإلا فكيف تكون شمساً ولا يصدر منها نور ؟

كما إننا لا نستطيع أن نتصور لحظة من الزمن كان النبع ولم يكن ينبع منه الماء. فالماء ينبع من النبع منذ أن كان النبع نبعاً.

هذا هو مفهومنا المسيحى بالنسبة للمسيح، ابن الله، فإنه لم تمر لحظة واحدة من الزمان كان فيها الله ولم يكن الابن قائماً معه وفيه ومنه، وإلا كان الله الآب كائناً من غير أن يكون عاقلاً، علما بأن الله هو العقل الأعظم.

فالمسيح قبل التجسد هو العقل الإلهى. فلماذا تجسد، أو تلبس بصورة الإنسان، سمى بالكلمة من حيث أنه تجسد. قال الإنجيل (**فى البدء كان الكلمة. والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة**، والحياة كانت نور الناس) (الإنجيل للقديس يوحنا ١ : ٤).

يا فضيلة الشيخ الشعراوى !

إن الأقانيم الإلهية الآب والابن والروح القدس ليست أقساماً أو أجزاء فى الذات الإلهية، معاذ الله ؟ لأن الذات الإلهية واحدة لا تنقسم ولا تتجزأ، كما تزعم وكما كتبتم فى (اللواء الإسلامى : بتاريخ ١٧ من يوليو - تموز لسنة ١٩٨٦).

فالآب ليس جزءاً من الله وإنما الله ذاته هو الآب، لأنه أصل الوجود، بل أصل الأصول. فالأب كلمة شرقية فى جميع اللغات تفيد (الأصل) ومنها : أبو الإنسان أى والده لأنه هو سبب وجوده. أما أصل الوجود كله فهو (الآب) ممدودة.

والروح القدس ليس جزءاً من الله، حاشا!، وإنما الله هو الروح الأعظم وهو القدوس. فالروح القدس هو الله من حيث هو منشئ الحياة، وأصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة.

ولما كان الله هو العقل الأعظم، وهو الخالق للوجود - والعقل الأعظم قد تجسد فى المسيح. فالمسيح إذن هو (الكلمة) أو هو العقل الإلهى متجسداً. قال

الوحى الإلهى (عظيم هو سر التقوى. الله ظهر فى الجسد) . فالمسيح إذن هو ابن الله بمعنى أنه (التجلى الأعظم لله) أى أن الله ظهر فى المسيح.

ليست الأقانيم الإلهية إذن غير صفات الله الذاتية أى التى تقوم عليها الذات الإلهية، **ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود أو كيان. هذه الصفات الذاتية هى الآب والابن والروح القدس. فالله هو الآب لأنه أصل الوجود، والابن هو العقل الأعظم للذات الإلهية، والروح القدس هو الروح الأعظم القدوس.**

أما الصفات الأخرى الكثيرة، فهى صفات نسبية لكنها لا تقوم عليها الذات الإلهية ومنها أنه رحمن، ورحيم، وجميل...

والفرق بين الصفات الذاتية والصفات النسبية يمكن أن نجد له نظيراً فى الإنسان. فالإنسان يوصف بأنه حيوان ناطق عاقل أو ذات حية عاقلة.

أما أن يقال عن (زيد) من الناس إنه رحيم أو خير فليست الرحمة أو الخيرية من الصفات الضرورية فى كيان الإنسانية، فقد يكون (عمرو) غير رحيم أو غير خير- ومع ذلك فهو إنسان لأن له ذاتاً حية عاقلة.

من هنا قال آباء الكنيسة فى تحديد عقيدة المسيحيين فى الذات العلية : **(الله أُحدّى الذات، مثلّث الأقانيم والصفات) .**

يا فضيلة الشيخ الشعراوى.

أنت لا تكف عن مهاجمة عقيدة المسيحيين فى لاهوت المسيح، فى حلقاتك التليفزيونية وفى مقالاتك المتتابعة بجريدة (اللواء الإسلامى).

من أجل الله، ومن أجل مصر، أرجو أن تتوقف عن هذا الخط الهدّام. إن تعاليمك وكلماتك يحملها بعض الناس فى كتب ونشرات يرسلونها إلى الكهنة فى كنائسهم وإلى المسيحيين فى بيوتهم، ويدعونهم إلى (ترك ديانة الكفر إلى الإسلام)، وهم يستخدمون ذات الكلمات التى تستخدمونها (إن الرسالات السابقة على الإسلام قد انتهت بمجئ القرآن!) والمفاد من هذا كله أن الإسلام قد ألغى وأبطل الديانات السابقة، والقرآن أيضاً ألغى وأبطل الكتب المقدسة السابقة!

إلى من نشكوك أيها الشيخ الشعراوى ؟

إننا نشكوك أولاً إلى ضميرك الإنسانى والوطنى.

ثم نشكوك إلى أصدقائنا الكثيرين من شيوخ المسلمين الأحياء والسابقين، ثم نشكوك إلى ضمير مواطنينا من المسلمين المعتدلين، وهم بحمد الله كثيرون.

فإذا كنت لاتزال مصرا على أن تحمل لقب (خومينى) مصر، وعلى أن تحمل لقب (الأب الروحى) للمتشددين، فعزاؤنا كمسيحيين إننا نستقبل قريباً المجئ الثانى للمسيح له المجد، وهو الملك الديان الذى سيدين الأحياء والموتى.

وأعلم أيها الشيخ الشعراوى أن ظهور العذراء منذ الثانى من إبريل لسنة ١٩٦٨ إلى اليوم فى حلقات متتابعة إنما هو بهدف كبير هو التحضير للمجئ الثانى للمسيح، كما أرسل يوحنا المعمدان للتحضير لمجيئه الأول فى الجسد.

وعندما يجئ المسيح الرب فى المجئ الثانى سيأتى بمجد عظيم وجميع الملائكة القديسين معه (متى ٢٥ : ٣١) . وعندما يأتى سيظهر أمامه الصليب من نور لأن الصليب هو علَمه، وعلم مملكته (متى ٢٤ : ٣٠) فهو فخرنا وعزنا وكرامتنا، ولن نقبل بالصليب بديلاً أيها الشيخ الشعراوى. وسيجلس المسيح الإله على عرش مجده وتجتمع أمامه جميع الشعوب ليدينهم، وأنت منهم، لأنه وحده الديان (متى ٢٥ : ٣١) .

تقول أنت أيها الشيخ الشعراوى فى اللواء الإسلامى أن المسيح عيسى (سيصلى خلف واحد من أمة محمد بن عبد الله، وبعد ذلك يكسر الصليب ويقتل الخنزير (اللواء الإسلامى بتاريخ ١٧/ يوليو ١٩٨٦) وقلتم هذا الكلام مراراً فى اللواء الإسلامى وفى حلقاتكم التليفزيونية.

لا وكلا، وألف كلا، أيها الشيخ الشعراوى !

سوف يأتى المسيح فى مجيئه الثانى لا ليصلى كعبد وابن بشر بل ليدين الأحياء والأموات، وأنت منهم. وسوف لا يكسر الصليب كما تزعم أيها الشيخ الشعراوى، وإنما سيجلس على كرسيه للقضاء، وفى المكان عينه الذى انتصب فيه صليبه لعمل الفداء والخلاص. وحينئذ سيرتعب غير المؤمنين بالصليب وعمل الفداء، والذين لا يستحقون الخلاص، (وسيقولون للجبال والصخور سقطى علينا وللآكام غطينا واخفينا عن وجه الذى على العرش استوى. لأنه جاء يوم غضبه العظيم، فمن يطيق الوقوف!) (سفر الرؤيا ٦ : ١٦) ، (لوقا ٢٣ : ٣٠) ، (هوشع ١٠ : ٨) .

أعلم أيها الشيخ الشعراوى، أنك لن تستطيع أن تهدم إعتقاد المسيحيين فى لاهوت المسيح، وفى عمل الصليب والفداء والخلاص، لأن لاهوت المسيح هو الصخرة التى بنى المسيح كنيسته عليها (وأبواب الجحيم لن تقوى عليها) (متى ١٦ : ١٨).

وأعلم أيها الشيخ الشعراوى أنك وضعت ذاتك وبإرادتك ومشيئتك فى مركز صعب وخطير، ولسوف تذهب يوماً إلى مصيرك المحتوم الذى اخترته لنفسك - وستمضى كما مضى من قبلك الذين سبقوك ممن ظنوا مثلك أنهم علماء - وتحدوا لاهوت المسيح وأنكروا الصليب. أما المسيح له المجد فسيظل وحده الدائم إلى الأبد.

يا فضيلة الشيخ الشعراوى.

إنى أذكرك بقول المسيح له المجد، حتى لو كنت لا تؤمن به.

(من يؤمن بالابن له الحياة الأبدية. ومن لا يؤمن بالابن لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله) (الإنجيل للقديس يوحنا ٣ : ٣٦).

والسلام عليكم ورحمته تعالى...

١١ ـ خطاب إلى فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر (١)

الصديق العزيز فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر.

السلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

أكتب لفضيلتكم هذا الخطاب تحية وشكراً على خطابكم المفعم مودة، وتقديراً للروح الكريمة التى كتبتم بها.

جميل منكم قولكم (الذى يهمنى هو أن يتكاتف أهل الأديان لغرس الأخلاق وحماية أتباعهم من الإلحاد الذى ينهشهم جميعاً، ويشد البساط من تحت أرجلهم) هذا قول عذب. كنت دائماً ومازلت أعتقد بما عبرتم عنه بصدق وحق (لأنها (أى المناقشة لعقيدة المسيحيين) لا تعنينى الآن، وليس من ورائها جدوى مطلقاً اللهم إلا الشر.. فلكم دينكم ولى دين) إنى أتفق قلبياً مع فضيلتكم أنه (لا جدوى من هذا الجدل الدينى العقيم الذى لن يفيد منه الإسلام ولن تفيد منه المسيحية، إنما يفيد منه أعداء بلدنا الذين يتفرجون علينا فيشمتون). وقد كانت هذه عبارتى كما نطق بها لسانى فى الندوة التى دعت إليها منظمة تضامن الشعوب الأفريقية والأسيوية، والتى عُقدت بنقابة الصحفيين فى ١١ من فبراير ـ شباط لسنة ١٩٨١ وكان زميلى فى الندوة آنذاك فضيلة الدكتور عبد الله عبد الشكور وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة.

لقد كان هذا منهجى منذ شبابى المبكر، إنى لا أرضى ولا أقبل فى أى مناقشة دينية أن أهاجم المسلمين فى عقيدتهم الإسلامية. كنت دائماً أحرص على أن أجيب على من يسألنى عن عقيدتى المسيحية فى المسيح، وفى التثليث، وفى التجسد، والفداء، والمصير الأخروى، بما فى المسيحية وكتابها المقدس من معطيات دون أن أتعرض بهجو أونقد للإسلام. وشكراً لله إننى فى كل موقف كسبت صداقة إخوتنا المسلمين ومحبتهم.

وفى كل كتاب ومقال، كنت أشرح عقيدتنا المسيحية دون أن أتعرض لعقيدة المسلمين، لإننى أؤمن أننا على قول فضيلتكم، قد تجاوزنا هذه المرحلة الجدلية، وأولى بنا أن نوفر جهودنا للإيجابيات النافعة البانية، ونركز على القيم الروحية والأبدية التى يجب ولا سيما الآن، أن نعمل على تثبيتها وترسيخها فى نفوس شبابنا.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٢١ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٨٥م – ١٤ من أبيب لسنة ١٧٠١ش.

وأصارحكم القول إنه على الرغم من العتب فى قلبى على الكثير مما يكتبه الكتاب والمؤلفون ممن يسمونهم بالكتاب الإسلاميين من نقد واضح يصل أحياناً إلى السخرية بعقائد المسيحيين، وعلى الرغم من التنوية صراحة وتضميناً فى كتاباتهم إلى أن الكتاب المقدس كتاب حرفه أهل الكتاب، وعلى الرغم من الهجوم الصريح من المتحدث الدينى فى التليفزيون على المسيحية وعقائدها وكتابها المقدس، ووصفهم بالكفار، ومن الدعوة الصريحة لإلزامهم بدفع الجزية لأنهم فى حماية المسلمين، وعلى الرغم من السخرية العلنية بالمعمودية المسيحية، ويسر المائدة الربانية، وما إلى ذلك من عقائد المسيحية وممارستها.

أقول على الرغم من هذا كله، وأنه فى مقدورنا أن نرد ـ على الأقل فى كنائسنا ـ على هذا الهجوم المتوالى فى وسائل الإعلام، هجوماً مباشراً وغير مباشر، وعلى الرغم من أننا أصبحنا نسمع فى التليفزيون أن الإسلام قد صفى الأديان السابقة عليه، وأن القرآن قد صفى الكتب السابقة عليه، والتصفية هنا معناها الإلغاء والإبطال، حتى إن بعض المتطرفين اقتبس هذه التعبيرات عينها، وأرسلها إلى المسيحيين فى بيوتهم وكنائسهم فى خطابات يدعو فيها المسيحيين إلى أن يتركوا كفرهم إلى الإيمان بالإسلام، فإن الإسلام قد صفى الأديان السابقة، وعليهم أن يتركوا كتابهم فهو محرف ويكتفوا بالقرآن فهو الكتاب الأوحد الذى أنزله الله، وقد صفى ما سبقه من كتب...

كل هذا بتنا نقرأه ونسمعه من وسائل الإعلام، من صحافة إلى إذاعة إلى تليفزيون بأسلوب جارح، ويكبرياء الذين يعتقدون فى نفوسهم أنهم قد وصلوا إلى الحقيقة المطلقة الكاملة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

أقول، على الرغم من كل ما بتنا نسمعه ونقرأه فى كل يوم، وعلى الرغم من أننا قادرون بإذن الله على الرد روحياً وعلمياً، لكننا لا نفعل ذلك إيماناً منا بأن بلدنا مصر فى حاجة إلى الاستقرار والأمان، فلنتجنب من جانبنا كل سبب للإثارة حتى لو كان الرد دفاعاً عن النفس، والدفاع عن النفس من حقوق الإنسان.

أما لماذا كتبت مقالى تعقيباً على مقالكم فلأنكم تجاوزتم فى تصحيحكم لمسلم (على حد تعبيركم) إلى إتهام الإنجيل بأنه يؤيد القرآن فى عدم ألوهية المسيح. **هنا كان لابد لنا أن نتكلم وأن ننطق،** لأن مقالكم قد تجاوز تصحيح عقيدة مسلم فى الإسلام إلى إتهام الإنجيل بأنه يؤيد القرآن الذى يكفر القول بألوهية المسيح.

لذلك قلت فى مقالى :

(لو أن فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر اكتفى بما أورده القرآن صراحة فى تكفير من يقول بألوهية المسيح لبيان عقيدته الإسلامية فى السيد المسيح، لما كان لنا أن نناقشه أو نراجعه فيما قال... إلا أنه شاء أن يضيف من عنده أنه (قد جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح، واقتصاره على الرسالة فحسب) ثم يورد فضيلته بضع نصوص مبتورة فى الأناجيل انتزعها سيادته انتزاعاً متعمداً مما قبلها ومما بعدها، وعزلها عزلاً تاماً عن سياقها فى جرأة شديدة، وليصل بسرعة هائلة إلى النتيجة التى ترضيه، إذ يقول فضيلته (جاء فى الأناجيل ما جاء فى القرآن من ناحية عدم ألوهية المسيح) ثم يضيف قائلاً : (وبذلك تتلاقى هذه النصوص الإنجيلية مع القرآن فى نفى الألوهية عنه....)

وفى نهاية هذا الحديث، أعود لأشكر فضيلتكم لإهتمامكم بتوضيح موقفكم وبيان أنكم ما قصدتم إلا (تصحيح ما ذكره الأستاذ المسلم أو ما جاء فى الترجمة عن عقيدة المسلمين) على نحو ما جاء بمقالكم.

وفقنا الله جميعاً، مسلمين ومسيحيين، إلى طاعة الله والعمل بوصاياه وإعداد أنفسنا، روحياً وذهنياً، للأيام المقبلة التى سيمتحن فيها الإيمان إمتحاناً قاسياً وشديداً، فنتأهل للجزاء الأخروى للصالحين العاملين بتقوى الله ومخافته.

١٢ ـ الله واحد، والأقانيم خاصيات

سؤال : من الابن نادر راشد.

إذا كان الله له ذات وكلمة وروح، فبأى معنى نقول عن السيد المسيح أنه هو الله ؟.

الجواب :

اعلم أيها الابن أن الله واحد، وأما **الأقانيم الثلاثة فهى خاصيات فى الذات الإلهية، تقوم عليها وبها الذات الإلهية الواحدة.**

فالله بوصفه أصل الوجود، فهو (الآب) (بمد الألف) .

إن لفظ الأب فى اللغات الشرقية يعنى (الأصل) . فأبو الإنسان هو أصل وجوده. أما (**الآب**) السماوى (بمد الألف) فهو أصل الأصول.

والله أيضاً هو **العقل الأعظم**. ولما كان الله قد تجسد فى المسيح. فالمسيح هو (**الكلمة**) ، لأن الكلمة تجسيد للعقل الذى لا يرى. وهو أيضا (**الابن**) لأن فيه تجلى الله. فالمسيح هو الله ذاته متجسدا (حقاً عظيم هو سر التقوى : **الله ظهر فى الجسد**) (١. تيموثيلوس ٣ : ١٦). وقال المسيح له المجد (**من رآنى فقد رأى الآب**) (يوحنا ١٤ : ٩).

والله أيضا هو **الروح الأعظم**، وهو أبو الأرواح جميعا، أرواح الملائكة والناس، وهو لذلك (**الروح القدس**) لأنه القدوس.

فالآب والابن والروح القدس خاصيات فى الذات الإلهية الواحدة، من غير إنفصال أو تجزئة.

الله هو بذاته (الآب) ، وهو بذاته (الابن) ، وهو بذاته (الروح القدس) .

١٣ ـ الله وأقانيمه وهى صفاته الذاتية

سؤال : من الابن ف. أم. ل محافظة قنا.

يقول : لماذا يقال فى المسيحية عن العقل الإلهى إنه هو الله ؟ كما يقال عن الذات الإلهية إنها الله، وكذلك يقال عن الروح القدس إنه هو الله ؟

الجواب :

نعم، أيها الابن، لأن الله واحدا ولا يتجزأ، لكن الله جل جلاله، خصائصه وصفاته الذاتية، التى تقوم عليها ذاته الإلهية، ثلاثة، متميزة ولكنها غير منفصلة.

فالله تعالى أَحَدِىُّ الذات، أى أن ذاته واحدة، ولا تتعدد، وهو أصل الوجود (كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان) (يوحنا ١ : ٣). وبهذا المعنى هو (الآب)، أى أنه يسمى (الآب) لأنه أصل الوجود. و (الآب) لفظ شرقى يعنى (الأصل) فى كل شئ. (الآب) إذن هو الله من حيث هو أصل الوجود، وأصل الأصول.

فالآب ليس جزءاً من الله، لأن الله لا يتجزأ ولا ينقسم. إنما الله كله هو (الآب).

ثم إن الله هو (الروح) الأعظم وأبو جميع الأرواح. وهو (الروح القدس) لأنه (القدوس). (اللاويين ١١ : ٤٤)، (١٩ : ٢)، (٢٠ : ٢٦).

وإذن فالروح القدس ليس جزءاً من الله. وإنما الله كله هو (الروح القدس)، من حيث هو (أبو الأرواح) (العبرانيين ١٢ : ٩) وهو أصل الحياة، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة (فيه كانت الحياة) (يوحنا ١ : ٤).

وعلى ذلك فالله هو (الآب) بصفته أصل الوجود.

والله هو (الروح القدس) بصفته منشئ الحياة، وهو الحى القيوم.

وهنا نلاحظ أن صفته أنه (الآب) أصل الوجود تتميز عن صفته (الروح الأعظم) باعتبار أنه الحى الأعظم، ومنشئ الحياة، ومبدئ الحياة وأصل الحياة، والحى الأول، والحى القيوم، وواهب الحياة.

وكذلك الله هو (العقل الأعظم) بصفته مهندس الكون الأعظم، ومدبر الوجود، كلى الحكمة، وكلى العلم، والعليم والعارف بكل شئ.

وأما أنه تعالى هو (العقل الأعظم) فهذه صفته التى تتميز عن صفته باعتباره (أصل الوجود)، كما تتميز عن صفته باعتباره (الحى بذاته)، لأنه لا يستمد حياته من كائن آخر، فهو الحى الأول، المنشئ الحياة فى كل كائن حى.

ومع ذلك فهذه (الصفات الذاتية) أو (الأقانيم) التى تقوم عليها (الذات الإلهية) ليست منفصلة، ولكنها متميزة.

وليس غريبا أن يجتمع فى الكائن الأول فى الوجود وهو الله، أكثر من صفة يعرف بها، ومع ذلك فالله واحد أحد لا يتعدد.

ألا ترى إلى أن (الله ذات حية عاقلة) لقد اجتمع فى **ذاته أنه حى** وأنه **عاقل**، ومع أن صفة (الحياة) متميزة عن صفة (العقل)، مع ذلك **فالحياة فيه لا تنفصل عن ذاته، والعقل فيه لا ينفصل عن ذاته. فهو الذات العلية، وهو بعينه العقل الأعظم، وهو بذاته الحى الأول، منشئ الحياة.**

ولما كان العقل الأعظم وهو الله قد تجسد، أو اتّخذ جسداً (يوحنا ١ : ١٤) فى الزمان، لذلك سمى فى الكتاب المقدس بـ (الكلمة) لأن الكلمة تجسيد للعقل. فالعقل غير منظور، لكنه يتجلى ويظهر ويتجسد فى (الكلمة).

وبين العقل والكلمة علاقة (بنوة) لأن (الكلمة) من (العقل) وبالعقل.

لذلك وصف العقل الإلهى متجسداً بأنه (ابن الله). على أن البنوة هنا بمعنى (التجلى أو الظهور). فالله وهو غير منظور بطبيعته لكنه بالتجسد صار منظوراً فى المسيح. **فالمسيح هو الله وقد صار منظوراً. فهو الله فى حقيقته، وهو (ابن الله)** لأنه التجلى الأعظم لله الذى لا يرى (**عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد**) (١. تيموثيئوس ٣ : ١٦).

ولذلك فلا فرق بين قول المسيحيين عن المسيح إنه الله، وفى نفس الوقت هو (ابن الله) لكن البنوة ليست كما هى فى عالم الإنسان أو عالم الحيوان. **البنوة فى الثالوث القدوس هى الظهور الإلهى أو هى التجلى الإلهى** فى الكون.

المسيح هو الله وقد اتّخذ جسداً.

المسيح هو الله وقد تلبّس فى صورة إنسان.

المسيح هو الله وقد استتر فى إنسانيتنا.

المسيح هو الله وقد احتجب لاهوته في ناسوته لأن (إلهنا نار آكلة) (التثنية ٤ : ٢٤) ، (٩ : ٣) ، (العبرانيين ١٢ : ٢٩) .

فكيف يظهر في الأرض، وكيف يتجلى بين الناس مالم يحتجب في جسد، وإلا احترق الوجود كله من (بهاء مجده) (العبرانيين ١ : ٣) ؟

(مَن مِنا يسكن في نار آكلة؟ مَن مِنا يسكن في وقائد أبدية) ؟ (إشعياء ٣٣ : ١٤) .

١٤ - الثالوث القدوس والثالوث الأقدس (١)

سؤال : من الابن رفعت خليل باسيلى - سوهاج.

يقول سمعتُ أحد الناس يعبر عن الثالوث القدوس بقوله (الثالوث المقدس) وآخرين يقولون (الثالوث الأقدس) فأيها الأصح ؟

الجواب :

إن التعبير الأكثر لياقة بالله هو (**الثالوث القدوس**) أما المقدس والأقدس فيمكن أن يعبر بها عن غير الله العلى. فيقال (**الكتاب المقدس**) (**والكنيسة المقدسة**)، وكذلك لفظ (الأقدس) تقال فى الألحان والمردات عن (البطريرك) فيوصف بأنه (الأب الأقدس) (Agiotatos).

أما لفظ (**القدوس**) **فلا يقال إلا عن الله**. من ذلك قول الوحى الإلهى (إنى أنا الرب إلهكم.. وكونوا قديسين فإنى أنا **قدوس**) (سفر اللاويين ١١: ٤٤، ٤٥) ، (وكونوا لى قديسين لأنى **قدوس أنا الرب**) (سفر اللاويين ٢٠ : ٢٦) ، (يشوع ٢٤ : ١٩) ، (١. صموئيل ٢ : ٢)، (مزمور ٩٨ : ٣، ٥، ٨) ، (١١٠ : ٩) (نبوءة دانيال ٩ : ٢٤) ، (لوقا ١ : ٤٩) ، (أعمال٢ :٢٧)، (١٣ : ٣٥) ، (العبرانيين ٧ : ٢٦) ، (الرؤيا ١٥ : ٤) ، (طوبيا ١٠ : ١١) ، (سيراخ ٤٧ : ٩، ١٢) ، (٤٨ : ٢٢).

(**فإن الرب إلهنا قدوس**) (مزمور ٩٨ : ٩) ، (باروخ ٤ : ٢٢ ، ٣٧) ، (٥ : ٣٥).

(**قدوس قدوس قدوس رب الجنود** الأرض كلها مملوءة من مجده) (إشعياء ٦ : ٣)

(**قدوس قدوس، قدوس الرب الإله القدير**) (الرؤيا ٤ : ٨).

وكذلك قال الملاك جبرائيل للسيدة العذراء عن المسيح له المجد (**القدوس** الذى سيولد منك يدعى ابن الله) (لوقا ١ : ٣٥).

(أنتم أنكرتم **القدوس البار** وطالبتم أن يُطلق لكم رجل قاتل) (أعمال الرسل ٣ : ١٤).

(فإنه حقاً تحالف فى هذه المدينة (أورشليم) على ابنك **القدوس يسوع**.... هيرودس وبيلاطس البنطى) (أعمال ٤ : ٢٧).

---

(١) كتب فى ١١ من مارس لسنة ١٩٩٢م - ٢ برمهات لسنة ١٧٠٨ ش.

(كما أن الذى دعاكم هو قدوس ، فكذلك كونوا أنتم أيضا قديسين فى سيرتكم كلها. لأنه مكتوب : (كونوا قديسين لأنى أنا قدوس) (١. بطرس ١ : ١٥، ١٦).

(إليك ما يقول **القدوس الحق** الذى بيده مفتاح بيت داود) (الجليان - الرؤيا ٣ : ٧).

(إلى متى، ياسيدنا **القدوس الحق**، لاتدين الساكنين على الأرض) (الجليان - الرؤيا ٦ : ١٠).

لذلك نرى أنه من الأفضل والأليق أن نصف الله بأنه (**الثالوث القدوس**) وهو التعبير الذى ينفرد الله به وحده، ولا يقال عن غير الله.

* * *

وبالمثل نقول إن لفظ (الآب) بمد الهمزة يجب أن يختص به الله وحده. فنقول عن والد الإنسان إنه (الأب) بقطع الهمزة لأنه الأصل فى وجوده، وكذلك يقال عن الكاهن أنه (الأب) الروحى بقطع الهمزة، وكذلك الأسقف أو المطران أو البطريرك.

الله وحده هو (الآب) (بمد الهمزة) لأنه وحده أصل الأصول، إذ أن كلمة (أب) فى اللغات السامية والشرقية تعنى (الأصل) - أما الله فهو أصل الأصول ولذلك فهو وحده (**الآب**).

١٥ ـ الروح القدس لاهوتيا (١)

الروح القدس هو الله ذاته (فالرب هو الروح) (٢. كورنثوس ٣ : ١٧)، بل هو (إله أرواح جميع البشر) (العدد ١٦ : ٢٢) ، (٢٧ : ١٦) ، (أبو الأرواح) (العبرانيين ١٢ : ٩).

والله ذاته هو الروح القدس، لأنه القدوس (وتكونون قديسين، لأنى أنا قدوس) (اللاويين١١ :٤٤، ٤٥) ، (١٩ : ٢٠) ، (١. بطرس ١ : ١٥ ، ١٦).

أما أن الروح القدس ينطق باسمه بعد الآب والابن، فليس بين الأقانيم الإلهية أسبقية وجودية، لأن الآب والابن والروح القدس كيان واحد منذ الأزل وإلى الأبد. فالأقانيم خاصيات ذاتية فى جوهر الإله الواحد الأحد. فالله هو الآب من حيث هو أصل الوجود، والابن هو الله الخالق «كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان» (يوحنا ١ : ٣)، لكنه (اتخذ جسداً) (يوحنا١ :١٤)، (وظهر بهيئة إنسان) (فيلبى ٢ : ٨)، فهو (الله الذى ظهر فى الجسد) (١. تيموثيوس ٣ : ١٦)، وهو المسيح له المجد، ولأنه (الصورة المنظورة لله الآب الذى لا يرى) ـ (كولوسى ١ : ١٥)، فسمى (بالابن) لأنه هو الذى أظهر لنا نور الآب، وقال لذلك (إن من رآنى فقد رأى الآب). (يوحنا ١٤ : ٩). وأما أن الله هو الروح القدس فلأن (فيه كانت الحياة) (يوحنا ١ : ٤).

وإذن فالله واحد، وأقانيمه ثلاثة، والأقانيم هى الخاصيات الذاتية التى تقوم عليها الذات الإلهية. وبعبارة أخرى، الله هوالكائن بذاته، والناطق بكلمته، والحى بروحه القدوس.

ولذلك، ولأن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله (التكوين ١ : ٢٦، ٢٧) ، (١. كورنثوس ١١ : ٧) فهو يتميز عن سائر الخلائق بأنه ذات ناطقة حية. فالإنسان واحد، له ذات، وهو ناطق وحى بروحه. فبالأحرى، خالق الإنسان، وهو الحى الأول، والحى القيوم، هو أيضا (الكائن بذاته، والناطق بكلمته والحى بروحه)، فهو بذاته الآب، وهو بذاته الابن، وهو بذاته الروح القدس.

ولما كان الله هو الروح الأعظم، الذى فيه الحياة، ومنه الحياة، فى كل كائن حى، فهو العامل والفاعل فى الإنسان وفى كل الوجود. لذلك كان الروح القدس وهو الروح الأزلى، والبدء الذى لابداءة له وهو المبدئ للحياة وأصل الحياة (ورئيس الحياة) (أعمال ٣ : ١٥)، يعمل مع الإنسان وفى الإنسان، منذ الخلق، وقبل الخلق، وبعد الخلق.. وعمل الروح القدس فى الإنسان هو معوناته

---

(١) تقديم لكتاب للدكتور سمير هندى ـ فى ١٢ من يناير ١٩٩٣م ـ ٤ من طوبه لسنة ١٧٠٩ش.

وقدراته وطاقاته وفعاله وأفاعيله في روحه وجسده وكيانه، وهى ما يسمى بمواهب الروح القدس، وعطاياه. وهى متنوعة (هناك مواهب متنوعة، ولكن الروح واحد) (١ .كورنثوس١٢:٤).

لذلك يلزم التمييز بين الروح القدس ذاته وبين مواهبه وعطاياه. فالروح القدس هو مانح المواهب والعطايا، والروح القدس هو الواحد، أما عطاياه فمتعددة، ومتنوعة.

ومن بينات الجمال فى اللغة القبطية التمييز الواضح بين الروح القدس ذاته، من حيث هو أصل الحياة، وبين مواهب الروح القدس. فحيثما يكون المقصود هو الروح القدس، فيرد اسم (الروح القدس) معرفا بأداة التعريف ⲡⲓⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ من ذلك قول المسيح له المجد (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ⲡⲓⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉⲑ-ⲟⲩⲁⲃ (متى٢٨ : ١٩) بينما يقول الإنجيل إنه بعد أن قام المسيح له المجد من بين الأموات إنه (نفخ فى وجوه تلاميذه وقال لهم : (اقبلوا روح القدس) (يوحنا ٢٠ : ٢٢) فى هذا النص المقدس يرد باللغة القبطية (روح القدس) مسبوقا بأداة التنكير على هذا النحو ⲟⲩⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉϥⲟⲩⲁⲃ

هذه التفرقة وهذا التمييز بين أقنوم الروح القدس وبين مواهب الروح القدس نجده واضحاً فى عديد من النصوص المقدسة باللغة القبطية.

١٦ - انبثاق الروح القدس من الآب

يتلخص موقف الكنيسة الأرثوذكسية بالنسبة لقضية انبثاق الروح القدس من الآب، ورفضها لإضافة (والابن) التي أدخلتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على قانون الإيمان، في النقاط الآتية:

أولاً : أن المسيح له المجد عندما تكلم عن موضوع الانبثاق، قال صراحة «ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب روح الحق **الذى من عند الآب ينبثق**، فإنه سيشهد لى» (يوحنا ١٥ : ٢٦).

ويلاحظ أن هذا النص هو الوحيد الذى يرد فيه تعبير (الانبثاق) بالنسبة للروح القدس والآب.

ولقد ورد فى الإنجيل أن (الابن) (يرسل) الروح القدس فى المواضع الآتية :

لوقا ٢٤ : ٤٩

«وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى».

يوحنا ١٥ : ٢٦

«ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب...».

يوحنا ١٦ : ٧

«إن لم أنطلق لن يأتيكم المعزى. ولكننى إن مضيت أرسله إليكم».

يبقى بعد ذلك أن (الانبثاق) هو غير (الإرسال) . **أما الانبثاق فلم ينسب إلاّ إلى الآب**. وهو ما نطق به فم المسيح له المجد.

وإذن فتعبير الانبثاق من الآب، أو انبثاق الروح القدس من الآب هو التعبير الإنجيلى السليم والمنطوق به على فم المسيح له المجد.

وقد يكون التعبير سليما لو قلنا «نعم نؤمن بالروح القدس المرسل من الآب والابن» أما إذا أردنا أن نلتزم بتعبير (الانبثاق) فليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس أنه (منبثق) من الآب والابن.. إذ نكون هنا لم نلتزم بنص الإنجيل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نكون قد خلطنا مفهوم (الانبثاق) بمفهوم (الإرسال)، وجعلنا منهما مفهوما واحدا. وهذا ليس من حقنا خصوصا

وأن الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التى تعلو عن تصورنا، ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها، فهى أعلى من مثالنا، ولابد لنا ولا مفر من أن نلتزم فى التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته.

هذا إلى أن (الانبثاق) من الآب فعل (أزلى) أى أن الروح القدس ينبثق من الآب **منذ الأزل**. أما (إرسال) الروح القدس على التلاميذ، فهو فعل **زمنى**، وعد الآب به ثم تحقق فى يوم الخمسين لقيامة المسيح الرب من بين الأموات.

ثانيا : إن من الخطورة بمكان عظيم أن يكون فى تعليمنا المسيحى أن الروح القدس ينبثق من الآب والابن، إذ ينطوى هذا القول ضمنا على وجود مصدرين فى الثالوث القدوس (لبثق) الروح القدس، الآب والابن، وبالتالى يؤدى إلى معنى الإثنينية فى الله الواحد، وهو أمر مرفوض فى المسيحية، ونحن نجاهر بقولنا «بالحقيقة نؤمن بإله واحد» كما نقول أن هناك مصدرا واحدا للألوهة فى الله، πηγή θεότητος هو الآب. فالروح القدس ينبثق من الآب.

ثالثا : أن قانون الإيمان الذى وضعه مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ وثبته مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١ والمجامع التالية، إلتزم بنص الإنجيل كما علم به المسيح له المجد، قال : «**نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب**».

وليس هناك أدنى شك فى أن الآباء فى تلك العصور القديمة الذين كانوا موعبين بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولى لم تغب عن بالهم النصوص الواردة فى الإنجيل عن (إرسال) الروح القدس من الآب والابن. ولكنهم كانوا حريصين على أن ينسبوا (الانبثاق) للروح القدس من الآب، على حسب ما قال المسيح.

رابعا : سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم، حريصة على الإلتزام بنص الإنجيل ونص مجمعي نيقية والقسطنطينية المسكونيين قرونا كثيرة. ومن الثابت تاريخيا أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان، جاء متأخرا، وكان سببا رئيسيا فى إنشقاق مجموعة الكنائس الشرقية والتى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية البيزنطية من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية فى عام ١٠٥٤ لميلاد السيح.

والمعروف أن البطريرك فوتيوس PHOTIUS بطريرك القسطنطينية المسكونى (٨١٠-٨٩٥)م هاجم إضافة (والابن) مهاجمة عنيفة، وفى منشور بطريركى أصدره سنة ٨٦٧

شرح إعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية. وفى هذه السنة عينها عقد مجمعا أصدر فيه قرارا بشجب إضافة (والابن) إلى قانون الإيمان، وحرم الحبر الرومانى.

وإلى اليوم تشكل هذه القضية سببا للإنفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة والكنائس الخلقيدونية البيزنطية من جانب آخر.

خامسا : يصرح اليوم عدد من كبار اللاهوتيين فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بأن هذه المسألة ينبغى أن لا تكون موضوعا للخلاف، ولا يليق أن تكون عقبة فى طريق وحدة الإيمان بين الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية، ويدللون على ذلك بأن هذه الإضافة (والابن) اعترض عليها الحبر الرومانى نفسه ليو الثالث LEO III (٧٩٥ – ٨١٦)م وبالتالى اعتبرت إضافة مستحدثة، تثبتت فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بنفوذ الملك شارلمان CHARLEMAGNE (٧٤٢ – ٨١٤) م ولذلك فإن اللاهوتيين اليوم فى داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يحاولون التخلص من النتائج اللاهوتية المنطقية لهذه الإضافة بأن يقدموا تفسيرا أو تأويلا جديدا لهذه الإضافة بقولهم «أن الروح القدس منبثق من الآب عن طريق الابن».

سادسا : مع أن هذا التأويل الجديد يعد إسهاما طيبا لحل مشكلة خلقتها إضافة (والابن)، ويعتبر دليلا على إدراك اللاهوتيون لنتائج هذه الإضافة وما انطوت عليه من أخطار لاهوتية لم تخدم الإيمان وإنما أضافت عقبة فى طريق الكنيسة، وأدت إلى إنشقاق محزن. إلا أن هذا التأويل لا يحل المشكلة لاهوتيا، ولا لغويا...

أ. أمّا لاهوتيا. فلأن (انبثاق الروح القدس من الآب عن طريق الابن) لا سند له فى الكتاب المقدس، فضلا عن أنه يجر إلى سلسلة من النتائج التى تضر إيماننا فى وحدانية الله، وإلى التمايز الأونتولوجى بين الأقانيم الإلهية، وإلى نوع من الترتيب بين الأقانيم شبيه بتعليم (الصدور) الذى قالت به بعض المذاهب الفلسفية، وترفضه المسيحية.

ب. هذا إلى أنه من الوجهة اللغوية لا يستطيع أحد أن يوافق على أن الإضافة FILIOQUE باللاتينية تعنى (عن طريق الابن). فالمعروف أن حرف (que) باللاتينية حرف إضافة يقابله فى العربية (حرف الواو. للإضافة والجمع). وكذلك الحال بالنسبة لجميع اللغات التى ترجم إليها النص اللاتينى فى جميع البلاد التابعة لإيمان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

سابعا : ليس لنا بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية اللاهوتية العقائدية إلا أن نؤكد على أنه فى سبيل إزالة العقبات أمام طريق الوحدة الإيمانية بين كنيستنا الأرثوذكسية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية يجب أن نلتزم بنص الإنجيل وبنص المجمع النيقاوى الذى ثبته مجمع القسطنطينية المسكونى وحمله إلينا عبر العصور تقليد الكنيسة الجامعة الرسولية.

أن هذه الصيغة الإنجيلية التى صرح بها المسيح له المجد، والتى نص عليها قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى وضعته الكنيسة الجامعة فى نيقية والقسطنطينية، هى الصيغة التى نستخدمها فى سر العماد، والتى تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى العماد، بإعترافهم بالإيمان المسيحى الذى يؤهل المعتمد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثانى.

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الإعتراف، وأرثوذكسية الإيمان - وتعوق عند الأرثوذكس قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التى باضافتها (والابن)، أحدثت فى صيغة الإيمان إضافة، جعلت الاعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما عن الاعتراف الذى تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد.

١٧ ـ موهبة من لدن أقنوم الروح القدس

سؤال : من الأب الموقر القمص دوماديوس بخيت عبد النور.

كاهن دير الشهيد ماريقطر ـ حجازة ـ قوص.

يقول : هل كان حلول روح القدس على السيدة العذراء مريم وقت البشارة حلول مواهب أم هو حلول أقنومي، وما هو عمل الروح القدس ؟

الجواب :

إن حلول الله الكلمة فى أحشاء العذراء مريم يقتضى أن يُكَوِن منها، أى يصوغ من دمها، جسداً يستتر به لاهوته، وإلا احترقت العذراء بحلول الله الكلمة فيها (فإن إلهنا نار آكلة) (العبرانيين١٢ :٢٩) ، (التثنية ٤ : ٢٤)، (٩ : ٣). ويقول الوحى الإلهى (من منا يسكن فى نار آكلة. من منا يسكن فى وقائد أبدية) (إشعياء ٣٣ : ١٤). إذن كان لابد أولا أن يعد الجسد الذى سيتخذه الله الكلمة، قبل حلوله بالفعل، حتى يكون الحلول الإلهى فى بطن العذراء ممكنا، من دون أن تحترق العذراء وكل الأرض معها بحلول الله (وهو نار آكلة) (إشعياء ٦٦ : ١٥) ، (مزمور ٤٩ : ٣) ، (٩٦ : ٣)، (٢. تسالونيكى ١ : ٨).

لذلك قال المسيح له المجد عند دخوله العالم، بالتجسد (ما أردت ذبيحة ولا قربانا، لكنك **هيأت لى جسداً**) (العبرانيين ١٠ : ٥) ، (مزمور ٣٩ : ٦).

فالجسد تهيأ أولاً قبل حلول الله الكلمة، ليكون للاهوت حجابا وستارا يخفى به لاهوته لئلا تحترق العذراء بنار اللاهوت.

وكيف يتهيأ الجسد من دم العذراء، من دون زرع رجل؟ هنا حل الروح القدس بنعمته على العذراء مريم ليصوغ من دمها الجسد الذى يستتر فيه اللاهوت. وهذا هو جواب الملاك جبرائيل على العذراء مريم عندما جاء يبشرها بالحبل الإلهى فاعترضته هى فى دهشةٍ قائلة (كيف يكون لى هذا، وأنا لا أعرف رجلاً؟) (لوقا ١ : ٣٤) (أجاب الملاك وقال لها : **إن روح القدس** سيحل عليك وقوة العلى ستظللك) (لوقا ١ : ٣٥).

وروح القدس هنا فى هذا النص القدسى هو (قوة) **من قبل الروح القدس** الكفيلة بأن تصوغ من دم العذراء الجسد الذى يتخذه الله الكلمة حجابا وستاراً وهكذا كل حلول للروح القدس على أى بشر لا يكون أقُنوميا إنما هو حلول (**القوة**) **من قبل اقنوم الروح القدس**.

ولذلك فإن المقابل باللغة اليونانية، وكذلك باللغة القبطية يبين بوضوح أن (**روح القدس**) **الذى حل على العذراء مريم هو (قوة) من قبل اقنوم الروح القدس** بدليل أنه أورد الاسم فى صيغة التنكير وغير معرف بأداة التعريف. ومن الملاحظ أن النص القبطى على الخصوص يورد الاسم مسبوقا بأداة التعريف عندما يكون المقصود (**أقنوم**) **الروح القدس** أى PIPNEYMA ETHOYAB **πιπ̅ν̅ᾱ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ**، كما فى قوله (عمدوهم باسم الآب والابن **والروح القدس**) (متى ٢٨ : ١٩). أما عندما يكون المقصود هو (**موهبة**) **الروح القدس** فيرد الاسم فى صيغة التنكير أى بدون أداة التعريف وذلك فى مواضع متفرقة، ومن بينها النص : فى قول الملاك جبرائيل (روح القدس يحل عليك) فالاسم يرد فى صيغة التنكير على النحو الآتى OYPNEYMA EFOYAB **ⲟⲩⲡⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉϥⲟⲩⲁⲃ** ويلاحظ أيضاً نفس الشئ فى صفة (القُدُس) فإنها ترد فى صيغة التنكير EFOYAB **ⲉϥⲟⲩⲁⲃ** كذلك، بينما عندما يكون المقصود هو اقنوم الروح القدس ذاته، ترد على نحو متميز ومختلف أى فى صيغة ETHOYAB **ⲉϥⲟⲩⲁⲃ**.

١٨ ـ التجديف على الروح القدس

سؤال : من السيد د. ج. ر. ـ ميت غمر.

ماذا يقصد السيد المسيح بقوله «إن كل خطيئة وكفران يغفر للناس، أما الكفران بالروح القدس فلن يغفر للناس، ومن قال كلمة ضد ابن الإنسان يغفر له، أما من تكلم ضد الروح القدس فلا يغفر له، لا فى هذا الدهر ولا فى الآتى»؟ (متى ١٢ : ٣١، ٣٢).

الجواب :

إن التجديف على ابن الإنسان، وهو المسيح يسوع الذى أخذ صورة الإنسان وولد من إنسان وهو مريم العذراء، يغفر، بشرط التوبة طبعا، لأن من يجدف على ابن الإنسان جهلا بحقيقة لاهوته، ثم يقدم توبة عن خطيئته التى صنعها بجهل، فإن مراحم الرب تشمله.

ألم يجدف شاول الطرسوسى، الذى هو بولس الرسول، على الرب يسوع؟

لقد شهد القديس بولس الرسول عن نفسه قائلا : «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذى قوانى، أنه حسبنى أمينا إذ جعلنى للخدمة. أنا الذى كنت قبلا مجدفا ومضطهدا ومفتريا ولكننى رحمت لأنى فعلت بجهل فى عدم إيمان» (١. تيموثيئوس ١ : ١٢، ١٣).

ولم يكن شاول الطرسوسى مجدفا فقط، بل كان يضطر المسيحيين إلى التجديف على اسم المسيح يسوع. قال القديس بولس فى إعترافاته «فأنا ارتأيت فى نفسى أنه ينبغى أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى. وفعلت ذلك أيضاً فى أورشليم، فحبست فى سجون كثيرين من القديسين، آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة... وفى كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة، واضطرهم إلى التجديف» (أعمال الرسل ٢٦ : ٩ – ١١).

فخطيئة التجديف عن جهل، يمكن أن تغفر، إذا ما تاب عنها الإنسان مستغفرا، ومعترفا بخطيئته تلك. قال الرسول القديس بولس «لأنى أصغر الرسل، أنا الذى لست أهلا لأن أدعى رسولا، لأنى اضطهدت كنيسة الله» (١. كورنثوس ١٥ : ٩)، وقد صلى مستغفرا (أعمال٩ :١١)، ثم اعتمد من القديس حنانيا الرسول أحد السبعين، وبالمعمودية غسل خطاياه داعيا باسم الرب (أعمال ٢٢ : ١٦).

أما خطيئة التجديف على الروح القدس، فهى خطيئة روحية باطنية، ولا تحدث أبدا عن جهل، إنها خطيئة يصنعها صاحبها عن علم وعن عمد، وإصرار. خطيئة التجديف على الروح

القدس هى خطيئة الرفض التام للنداءات الباطنية، الداعية إلى الخير وتجنب الشر، هى خطيئة إنكار الحق الواضح، بإصرار وعناد، تشبثا بالشر والإثم، وتعلقا بمحبة الخطيئة، وكراهية للحق.

ولعل المثل الواضح على خطيئة التجديف هو مثل الكتبة والفريسيين ورؤساء كهنة اليهود، الذين جاءهم حراس قبر المسيح وأعلموهم بأن يسوع المسيح قد قام من بين الأموات، فلم يقبلوا شهادتهم عنادا ومكابرة. قال الإنجيل بحسب ما كتبه القديس متى «إذا بعض الحراس قد جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما حدث، فاجتمعوا بالشيوخ وتشاوروا، ثم أعطوا الجند مالا كثيرا قائلين: «قولوا أن تلاميذه قد أتوا ليلا وسرقوه فيما نحن نيام. فإذا بلغ مسامع الوالى أقنعناه ودفعنا عنكم الأذى «فأخذوا المال وقالوا كما لقنوهم» (متى ٢٨ : ١١ – ١٥).

فقد كان المفروض فى رؤساء كهنة اليهود، إذا كانوا مخلصين للحق، أن يندموا على خطيئتهم، ويكفروا عنها بعد أن تحققوا من قيامة المسيح، بأدلة من شهود كثيرين، من بينهم حراس القبر مجتمعين، فضلا عن شهادة رجال كثيرين ونساء كثيرات، بل كان يمكنهم أن يتحققوا بأنفسهم ويشهدوا المسيح بعد قيامته كما رآه الكثيرون. لكنهم بإصرار وعناد وكبرياء ومكابرة رفضوا الحق الواضح، وحجبوا نور الشمس بأيديهم بعد أن أغمضوا عيونهم، فأنكروا القيامة، ورشوا الجند بالمال ليقولوا كما لقنوهم أن تلاميذ المسيح أتوا ليلا وسرقوه والحراس نيام. ولو كانوا مخلصين للحق، فلماذا يرشون الحراس بالمال الكثير؟ أن المفروض أنهم يعاقبون الحراس على غفلتهم ولا يرشونهم، لأنهم هم الذين طلبوا أولئك الحراس من بيلاطس البنطى، ففى صباح السبت، تالى يوم الصلب «اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون عند بيلاطس قائلين: «إننا نذكر يا سيدنا أن ذلك المضل قال وهو حى أنى بعد ثلاثة أيام أقوم، فاصدر أمرك بحراسة القبر حراسة محكمة حتى اليوم الثالث، لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من بين الأموات فتكون الضلالة الأخيرة شرا علينا من الأولى. فقال لهم بيلاطس: «أن عندكم حراسا فاذهبوا واحرسوه كما يبدو لكم»، فذهبوا وأحكموا إغلاق القبر وختموه وأقاموا الحراس عليه» (متى ٢٧ : ٦٢ – ٦٦).

ولو كانوا مخلصين للحق لما سقطوا فى هذا الغباء، ولما نسبوا إلى تلاميذ المسيح أنهم أتوا ليلا وسرقوه والحراس نيام، وقد فاتهم وهم الذين طلبوا الحراس من بيلاطس الوالى أن تلاميذ المسيح كانوا فى حالة يأس ومرارة، وقد أغلقوا من دونهم الأبواب خوفا من اليهود (يوحنا ٢٠ : ١٩). وكيف لتلاميذ المسيح أن يسرقوا جثة لميت؟ وما هى منفعتهم بها؟ ثم إذا كان الحراس نياما

فكيف وهم نيام علموا أن الذين سرقوا الجثة كانوا تلاميذ المسيح؟ وكيف لرؤساء الكهنة أن يكافئوا الحراس على غفلتهم وإهمالهم لمهمة الحراسة التى أنيطت بهم رسميا، بأن يعطوهم مالا كثيراً، ويتولوا الدفاع عنهم أمام الحاكم الرومانى ليدفعوا عنهم الأذى؟؟؟

تلك على كل الأحوال، صورة لخطيئة التجديف على الروح القدس، خطيئة الإنكار للحق الواضح، والإصرار على الإنكار بعناد ومكابرة، والرفض الدائم لنداءات الضمير، وصوت الروح القدس.

وقد سبق لمخلصنا أن نسب إلى الكتبة والفريسيين ورؤساء الكهنة أنهم سقطوا فى خطيئة التجديف على الروح القدس، إذ قالوا عن المسيح الرب «أن هذا لا يطرد الشياطين إلا ببعل زبول رئيس الشياطين (متى ١٢ : ٢٤) ، (٩ : ٣٤) ، (مرقس ٣ : ٢٢) فقال : «الحق أقول لكم أن كل خطيئة وكل كفر سيغفر لبنى البشر. وأما الذى يكفر بالروح القدس فلا مغفرة له إلى الأبد، وإنما يستوجب دينونة أبدية. قال ذلك لأنهم كانوا يقولون أن به روحا نجسا» (مرقس ٣ : ٢٨ – ٣٠).

وعلى ذلك فخطيئة التجديف على الروح القدس هى خطيئة رفض النور الباطنى، والإصرار على الخطأ الواضح، وهى العناد بالباطل. ولا مغفرة لهذه الخطيئة، لأن صاحبها سوف لا يطلب التوبة عنها. وكيف يطلب التوبة من لا يعترف بخطيئته، ولا يندم عليها، ولا يرجع عنها. إن صاحبها يفقد الإحساس نهائيا بالإثم، وتنقلب أمام عينيه المعايير، فيمسى عنده الخير شرا، والشر خيرا، لأنه فقد البصيرة، وأصابه عمى القلب، فصار كالسفينة التى ضاعت ابرتها أو بوصلتها أو خريت، ولذلك لا مفر من أن يتخبط فى الظلام الدامس.

ولقد قال آباء الكنيسة، ومنهم القديس يوحنا ذهبى الفم «لا توجد خطيئة بلا مغفرة إلا التى ليس لها توبة» ومعنى ذلك أن الذين سقطوا فى خطيئة التجديف على الروح القدس، لا مغفرة لهم، لأنه ليست لهم توبة. وهم لا توبة لهم لأنهم لا ندامة لهم على خطيئتهم، إذ هم مكابرون معاندون رافضون لصوت الحق دائما بإصرار. قال ربنا يسوع المسيح «أما الكفران بالروح القدس فلن يغفر للناس» (متى ١٢ : ٣١) وقال «وأما الذى يكفر بالروح القدس فلا مغفرة له إلى الأبد» (مرقس ٣ : ٢٩) (لوقا ١٢ : ١٠) وقال القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة لليهود «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان، أنتم دائما تقاومون الروح القدس» (أعمال الرسل ٧ : ٥١).

على أن فى تصريح مخلصنا يسوع المسيح «أما من تكلم ضد الروح القدس فلا يغفر له، لا فى هذا الدهر ولا فى الدهر الآتى» (متى ١٢ : ٣٢) دليلا على أن هناك مغفرة فى الدهر الآتى. وهذا هو أحد البينات التى تستند إليها كنيستنا الأرثوذكسية فى حكمة الصلاة من أجل الراقدين، فما دامت ثمت إمكانية للغفران فى العالم الآتى، فلماذا لا تنتهز الكنيسة المجاهدة هذه الفرصة، وتستغلها فى طلب المغفرة عن الخطايا غير المميتة التى ربما اقترفها المؤمنون قبل الموت، ولم يمارسوا قانون التوبة عنها. والخطايا غير المميتة هى خطايا الملل، والضجر، والتوانى، والكسل، والتفريط، والخطايا الخفية والمستترة عن الضمير، والخطايا التى يصنعها المؤمنون بغير إرادة، أو بغير معرفة، وما إليها من الهفوات والسهوات التى يندر من يشعر بها (مزمور ١٨ : ١٢).

قال الكتاب المقدس «إن رأى أحد أخاه يخطئ خطيئة ليست للموت، يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت... وتوجد خطيئة للموت» (١ . يوحنا ٥ : ١٦، ١٧). أما الذين يموتون متلبسين بخطيئة مميتة، أى ماتوا وهم متعلقون بالخطيئة، متشبثون بها، عن معرفة وعلم ومحبة للخطيئة، فهؤلاء لا منفعة لهم بالصلاة عنهم بعد الموت. يقول الكتاب المقدس «توجد خطيئة للموت، ليس لأجل هذه أقول أن يطلب» (١ . يوحنا ٥ : ١٦، ١٧).

١٩ ـ قد يحل روح القدس للإقناع والاهتداء (١)

سؤال : من أحد القراء :

هل الروح القدس حل على بيت كرنيليوس قبل عمادهم (أعمال الرسل : ١٠) فكيف ذلك والكنيسة تمارس سر العماد أولاً ثم سر الميرون بعد ذلك ؟

الجواب :

قد يحل روح القدس على الشخص عدة مرات، ولكنه في كل مرة يهب للنفس منحة وموهبة خاصة تتميز في نوعها وأثرها عن سائر مواهب الروح القدس وعطاياه. فالروح القدس يحل على المعتمد المصطبغ في مياه المعمودية ليهبه نعمة التجديد، والتبرير، والميلاد الثاني من الله... ويحل عليه في سر الميرون، ليهبه نعمة الثبات وقوة للكفاح ضد الشيطان، وليرتقي من مرتبة ابن في ملكوت الله إلى مرتبة جندي متسلح في جيش الخلاص. والفرق واضح بين المواطن والجندي في أية مملكة... ويحل على الخبز والخمر في المائدة الربانية لينقلهما إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين... ويحل على المعترف في سر التوبة ليمنحه الحل والغفران... ويحل على المريض الممسوح بزيت القنديل ليمنحه الشفاء روحا وجسداً.. ويحل على العروسين في سر الزواج ليربط بين روحيهما ويؤلف بين جسديهما فيصيران جسداً واحداً... ويحل على المرشح لإحدى درجات الكهنوت لينال بوضع اليد نعمة وسلطانا على النفوس ليعلّمها ويرعاها ويدبرها ويكون وكيلا لله مؤتمنا عليها.

فالروح القدس واحد. ولكن مواهبه كثيرة ومتنوعة. وفضلا عن المواهب العامة التي يمكن أن تكون من نصيب كل من يتقدم إلى أسرار الكنيسة، فثمة مواهب أخرى تفيض من الروح القدس عينه، ولكنها لا تعطى للجميع، بل بحسب مشيئة الله يعطيها كما يشاء بحكمته لتدبير الكنيسة. ولولا ذلك لما قال الوحي على فم القديس بولس الرسول (وهناك مواهب كثيرة متنوعة. ولكن الروح واحد.. فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر، كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر (يُعطى) إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات،

---

(١) نشر بمجلة (مدارس الأحد)، السنة الثانية، العدد السادس، (نوفمبر ـ تشرين ثان لسنة ١٩٤٨م ـ هاتور لسنة ١٦٦٥ش) صفحة ٢٧ – ٢٩.

ولآخر نبوءة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع ألسنة، ولآخر ترجمة ألسنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء) (١. كورنثوس ١٢ : ٤ – ١١).

على أن روح القدس يحل على غير المؤمن، لا ليهبه إمتيازات المؤمنين ومواهب المؤمنين، بل لكى يخضع قلبه لنور الإيمان ويشعره بقيمة الإيمان الذى يدعى إليه. أو بعبارة أدق، لكى يقنعه بقوة الإيمان، ويفحمه بصحته وسلامته وضرورة إعتناقه والاستمساك به. وهذا هو بالضبط ما يعنيه الرسول بقوله (ولا يقدر أحد أن يقول إن يسوع هو الرب إلا بروح القدس) (١. كورنثوس ١٢ : ٣) فالروح القدس إذن يعمل فى غير المؤمنين لكى يقنعهم ويؤثر فيهم، ويجعل للتبشير بالمسيح قوة فى قلوبهم. ويلح عليهم بضرورة الإيمان بالمسيح والإنضمام إلى رعوية الكنيسة المسيحية. وبهذا المعنى كان حلول روح القدس على كورنيليوس سابقا على نيله لسر المعمودية، لأنه كان من الطبيعى أن يستضئ قلبه بنور الإيمان قبل أن يقتبل سر المعمودية.

بيد أن موهبة التكلم بالألسنة أو اللغات التى نالها كورنيليوس. وجميع الذين كانوا يستمعون إلى ما كان يقوله القديس بطرس، كانت برهاناً قاطعاً على عمل الله فى قلوب الناس جميعاً، يهوداً كانوا أو من الأمم غير اليهودية. ذلك أن مبدأ قبول الأمم من غير اليهود فى حظيرة الإيمان المسيحى لم يكن قد تقرر فى نفوس المسيحيين حتى إن القديس بطرس قد اضطر أن يفتتح خطابه التبشيرى لكورنيليوس ومن اجتمع إليه من الأمم بقوله (أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى أو يأتى إليه. وأما أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس. فلذلك جئت من دون مناقضة إذ قد استدعيتمونى) (أعمال الرسل ١٠ : ٢٨ و ٢٩).

فكان لابد من إعلان سماوى يظهر إرادة الله فى قبول الأمم من غير اليهود فى الإيمان المسيحى، وكان هذا الإعلان هو موهبة التكلم بالألسنة أو اللغات التى يعرف المسيحيون أجمعون أنها موهبة مسيحية، ولو لم يعلن الله قبوله للأمم غير اليهودية بهذا الأسلوب المعجزى الظاهر، لما أمكن أن يرضخ المؤمنون من اليهود لهذه الفكرة. والدليل على ذلك أنهم إذ سمعوا الأمم من غير اليهودية يتكلمون باللغات كما تكلم بها المسيحيون من اليهود، لم يقتبلوا هذه الحقيقة قبولاً عادياً بل بدهشة وعجب. ولذلك قال الكتاب (فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان، كل من جاء مع بطرس، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً، لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله)(أعمال ١٠ : ٤٥ و ٤٦).

وأما هذا الوضع الإلهى فلم يستطع القديس بطرس وسائر المؤمنين من اليهود إلا أن يقبلوه بدون معارضة، حتى لأمكن أن يشعر الجميع بأهلية الأمم غير اليهودية لقبول سر العماد. حينئذ تكلم بطرس وقال : (أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين نالوا الروح القدس مثلنا نحن) (أعمال ١٠ : ٤٧).

والخلاصة أن موهبة الروح القدس قد حلت على كورنيليوس والمؤمنين من الأمم من غير اليهود أولا قبل العماد لإقناعهم بضرورة الإيمان بالمسيح، وبطريقة ظاهرة لإقناع القديس بطرس والمؤمنين من اليهود، بمبدأ قبول الله الأمم غير اليهودية حتى يدخلوا فى حظيرة المسيح. وأنه يمكنهم أن ينالوا سر العماد، كما يناله المؤمنون من اليهود سواء بسواء. فإذا كان الله قد أعطاهم الموهبة عينها التى أعطاها لنا نحن الذين آمنا بالرب يسوع المسيح، فمن أكون أنا لأخالف الله (أعمال ١١ : ١٧) (راجع أعمال ١٠ : ٤٧) ، (١١ : ٤٧).

وبعد ذلك الإعداد من الروح القدس نالوا أيضاً سر العماد (وأمر أن يعتمدوا باسم الرب) (أعمال ١٠ : ٤٨) بفاعلية الروح القدس فى هذا السر، ولاشك أنهم نالوا من بعد ذلك موهبة التثبيت بوضع أيدى الرسل كما كان يحدث ذلك دواماً أن ينال المعمدون سر المسحة بالروح القدس بعد المعمودية مباشرة. من ذلك ما حدث مع المؤمنين بأفسس الذين عمدهم القديس فيلبس (أعمال ٨ : ١٤ – ١٧) ، (أعمال ١٩ : ١ – ٦).

٢٠ ـ عمل الروح القدس فى العهدين

ليس معنى حلول روح القدس على تلاميذ المسيح ورسله والمؤمنين به فى يوم الخمسين، بناء على وعد المسيح له المجد لهم، أن الروح القدس لم يبدأ العمل مع تلاميذ المسيح إلاّ فى يوم الخمسين، فلقد منح المسيح موهبة روح القدس لتلاميذه قبل ذلك، واهبا إياهم سلطان الحل لخطايا الناس وعقدها وإمساكها عليهم، وذلك فى مساء يوم قيامته المجيدة عندما ظهر لهم فى العلية، وكانت أبوابها مغلقة خوفاً من اليهود وقال لهم : السلام لكم... ولما قال هذا نفخ فى وجوههم وقال لهم : اقبلوا روح القدس. من غفرتم لهم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتموها عليهم تمسك عليهم، (يوحنا ٢٠ : ٢١، ٢٢) ، ومعنى هذا أن حلول روح القدس فى يوم الخمسين، هو منحهم مواهب جديدة من مواهب الروح القدس الكثيرة.

أما عمل الروح القدس فهو قديم وسابق على يوم الخمسين.

والمسيحيون يعلمون أن الروح القدس هو الله ذاته : فالله هو الروح (بالألف واللام) لأن الله فى طبيعته (روح) كما قال المسيح له المجد (يوحنا ٤ : ٢٤) وهو (الروح الأعظم)، وهو «أبو الأرواح» (العبرانيين ١٢ : ٩) بمعنى أنه أصل الأرواح وخالقها ومبدئها، بل هو «إله الأرواح» (سفر العدد ١٦ : ٢٢) ، (٢٧ : ١٦) ثم أن الله هو الروح القدس لأنه «قدوس» (اللاويين ١١ : ٤٤، ٤٥) ، (٢٠ : ٢٦) ، (١. بطرس ١ : ١٦).

فإذا كان الروح القدس هو الله، فالروح القدس أزلى، ليس له بداءة كما أن ليس له نهاية وبالتالى، فإن عمله أزلى، ليس له بداءة.

وبالنسبة للكون، بدأ عمل الروح القدس فيه منذ بداءة الخلق.

جاء فى سفر التكوين «فى البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه» (التكوين ١ : ١ ، ٢) أى أن عمل الروح القدس فى الكون بدأ بالتكوين والخلق، فقد كان يرف على وجه المياه فيخلق منها وفيها كل ذى نفس حية من الأسماك والطيور والزحافات البحرية، فضلا عن النباتات والحيوانات البرية والبرمائية.

وعمل الروح القدس فى الخلق مقرر فى غير موضع من أسفار الوحى الإلهى :

جاء فى سفر أيوب : «روح الله صنعنى، ونسمة القدير أحيتنى» (أيوب ٣٣ : ٤).

وجاء فى سفر المزامير «ترسل روحك فتخلق، وتجدد وجه الأرض» (مزمور ١٠٣ : ٣٠).

وجاء فى سفر حزقيال النبى «وأجعل فيكم روحا فتحيون» (حزقيال ٣٧ : ٦، ٩، ١٠، ١٤)، (٣٦ : ٢٧).

وعمل الروح القدس فى الناس أيضاً قديم فقد كان روح القدس يحل على الناس ذوى المهام الإلهية ليتزودوا بقوة وسلطان ونعمة تكفل لهم القيام بالمهام الموكولة إليهم والمسئوليات المناطة بهم، وهم على الخصوص : الأنبياء والملوك والكهنة.

فلقد شهد الكتاب المقدس عن موسى النبى أنه كان عليه روح القدس، ولما أراد الرب أن يريح عبده موسى من مهمته الثقيلة ويشرك معه فى هذه المسئولية سبعين شيخا من شيوخ بنى إسرائيل، قال له «فأنزل أنا وأتكلم معك هناك، وآخذ من الروح الذى عليك، وأضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب، فلا تحمل أنت وحدك» (العدد ١١ : ١٦، ١٧) «فنزل الرب فى سحابة وتكلم معه، وأخذ من الروح الذى عليه، وجعل على السبعين رجلا الشيوخ. فلما حلت عليهم الروح، تنبأوا» (العدد ١١ : ٢٥).

وكذلك بالنسبة إلى يشوع بن نون الذى حمل المسئولية بعد موسى النبى، وضع موسى يده عليه كأمر الرب، فحل عليه روح القدس وامتلأ به روح حكمة. «قال الرب لموسى خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه... ففعل موسى كما أمره الرب. أخذ يشوع وأوقفه قدام ألعازر الكاهن... ووضع يديه عليه» (العدد ٢٧ : ١٨ – ٢٣) «ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه» (التثنية ٣٤ : ٩).

وداود النبى والملك، حل عليه روح الله، روح القدس. ولذلك كان يقول فى صلاته : «روحك القدوس لا تنزعه منى» (مزمور ٥٠ : ١١)، (٥٠ : ١٠) وقال : «روحك الصالح يهدينى» (مزمور ١٤٢ : ١٠).

وقد كان إنسكاب روح القدس على الأنبياء والملوك والكهنة يتم بوضع اليد أو اليدين ممن فيه روح الرب كما حدث بالنسبة ليشوع بن نون إذ وضع موسى يديه عليه ثم ينضح المسحة المقدسة على رأس الممسوح، ولهذا يسمى «مسيح الرب». (١ . صموئيل ١٢ : ٣)، (٢٤ : ٦)،

(٢٦ : ٩، ١١، ١٦) ، (٢. صموئيل ١ : ١٤). ولما كان الممسوح بالمسحة المقدسة يصير بالمسحة معينا فى إحدى الوظائف الثلاث، نبيا أو ملكا أو كاهنا، صارت كلمة المسيح لها معنى «المعين» من الله نبياً أو ملكاً أو كاهناً.

١ ـ فالأنبياء يحل عليهم روح القدس، وبروح القدس يتنبأون (١ .صموئيل ١٠ : ٥، ١٠-١٣)، (١٩ : ٢٠ - ٢٤).

قال الكتاب المقدس عن السبعين شيخا الذين أخذ الرب من الروح الذى على نبيه موسى وسكب على السبعين فتنبأوا «فنزل الرب فى سحابة، وتكلم معه، وأخذ من الروح الذى عليه وجعل على السبعين رجلا الشيوخ. فلما حلت عليهم الروح تنبأوا» (العدد ١١ : ٢٥) ، (١١ : ٢٦ - ٢٩).

ولذلك جاء فى قانون الإيمان عن الروح القدس أنه «الناطق فى الأنبياء» وقال الكتاب المقدس «لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون محمولين بالروح القدس» (٢. بطرس ١ : ٢١).

أنظر (٢. صموئيل ٢٣ : ٢) ، (متى ٢٢ : ٤٣).

٢ ـ والملوك أيضاً كانوا يمسحون، فيحل عليهم روح القدس ليتزودوا بقوة فيحكموا بالحق والعدل والخير والبر، مزودين بنعمة من الله (١. صموئيل ٢ : ١٠).

فشاول مسحه صموئيل النبى «فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله. وقال أليس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيساً» (١. صموئيل ١٠ : ١) ، (٩ : ١٦).

وكذلك فعل صموئيل بالنسبة إلى داود، إذ مسحه ملكا بعد شاول «فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط إخوته، وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً». (١. صموئيل ١٦ : ١٣، ٣، ١٢) ، (٢. صموئيل ٣ : ٣٩) ، (٥ : ٣) ، (١٢ : ٧) ، (١ .أخبار الأيام ١٤ : ٨) ، (مزمور ٢٢ : ٥) ، (٨٨ : ٣٠).

وكذلك سليمان بن داود مسحه صادوق الكاهن وناثان النبى ملكا على إسرائيل. «فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان» (١. الملوك ١ : ٣٤، ٣٩).

وكذلك ياهو مسحه أليشع النبى ملكا على إسرائيل «فقام ودخل البيت فصب الدهن على رأسه وقال له : هكذا قال الرب إله إسرائيل قد مسحتك ملكا على شعب الرب إسرائيل» (٢. الملوك ٩ : ١ – ٦) ، (٢. أيام ٢٢ : ٧).

٣ ـ والكهنة أيضاً كانوا يمسحون بالمسحة المقدسة فيحل عليهم روح الرب لتقديسهم.

فهرون الكاهن مسحه النبى موسى. قال الرب «وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه» (الخروج ٢٩ : ٧) ، (مزمور ١٣٢ : ٢). «وتمسح هرون وبنيه وتقدسهم، فيكهنوا لى» (الخروج ٣٠ : ٣٠) «ثم أخذ موسى دهن المسحة... وصب من دهن المسحة على رأس هرون ومسحه لتقديسه» (اللاويين ٨ : ١٠ – ١٢) ، (٦ : ٢٠) ، (١٠ : ٧) ، (٢١ : ١٢) ، (٤ : ٢).

إذن قد كان للروح القدس عمل فى القديم فهو الذى خلق ويخلق فى تكوين الكون والخليقة، وهو الذى كان يحل على الأشخاص ذوى المهام الإلهية من أنبياء وملوك وكهنة ليرشدهم ويلهمهم ويقدسهم.

أما فى العهد الجديد، فصار عمل الروح القدس له من الشمول بحيث صار يحل على كل بشر، طالما كان قابلا لهذا الحلول، مستعدا له، مهيأ لفعاليات النعمة المنحدرة عليه.

وعن هذا الحلول بالشمول قال النبى يوئيل متنبئا عن عمل الروح القدس فى العهد الجديد، عهد النعمة :

«ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلاما، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضاً، وعلى الإماء أسكب روحى فى تلك الأيام... ويكون أن كل من يدعو باسم الرب، يخلص» (يوئيل ٢ : ٢٨، ٢٩) ، (أعمال الرسل٢ :١٧–٢١).

فى هذا النص يتضح الفرق بين عمل الروح القدس فى العهد القديم، وعمله فى العهد الجديد. فبينما كان حلوله فى العهد القديم قاصرا على الأنبياء والملوك والكهنة، أصحاب المهام الإلهية، صار حلوله فى العهد الجديد ممكنا على كل مؤمن، لا فرق فى ذلك بين ملك ورعيته، أو بين ذكر وأنثى، أو بين سيد وعبد، أو بين شيخ وشاب أو بين بالغ وطفل.. «كل بشر...».

وفعاليات هذا الحلول تشمل الشيوخ والشباب،... البنين والبنات... السادة والعبيد والإماء... الرجال والنساء، الذكور والإناث.

ولذلك فإن جميع الذين يؤمنون بالمسيح، ويعتمدون باسم الثالوث القدوس، يمسحون بالمسحة المقدسة (الميرون) حال خروجهم من جرن المعمودية، فيحل عليهم روح القدس، ويثبتهم، ويقدسهم، ويدشن أعضاءهم فتصير أعضاؤهم للمسيح (١ . كورنثوس ٦ : ١٥)، ويمتلئون من نعمة الروح القدس حتى يفيض عنهم كما قال المسيح له المجد «من آمن بي فكما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حيّ. وإنما قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه، لأن الروح لم يكن قد أعطى بعد، إذ لم يكن يسوع بعد قد تمجد» (يوحنا ٧ : ٣٨، ٣٩).

٢١ ـ عمل الروح القدس فى العهد الجديد

إذا كان الروح القدس هو الله ذاته من حيث هو أصل الحياة، وباعث الحياة، ومبدئ الحياة... وهو الحياة ذاتها.. وهو (الروح الأعظم). وهو (أبو جميع الأرواح)، و (إله كل الأرواح).. فالروح القدس هو (الروح الأزلى الأبدى).. الروح السرمد والسرمدى.. ليس له بداءة، وليس له نهاية.. وهو لذلك (الحى الأول)، الذى منه تصدر الحياة فى كل حى وإلى كل حى... وهو إذن (الحى القيوم) الذى به تقوم الحياة، وعليه يقوم الوجود وكل موجود... به نحيا، وبه نتحرك، وبه نوجد (أعمال الرسل ١٧ : ٢٨).

وإذا كان الروح القدس هو الروح الأزلى فعمله قديم وأزلى.. هو روح الحياة فى الذات العلية، لأن (**الله حى بروحه**)... وناطق بكلمته... والموجود بذاته.

فالروح القدس يعمل فى الوجود منذ إبتداء الوجود، أى أن الروح القدس يعمل (خالقاً) منذ بدء الكون (وروح الله يرف على وجه المياه) (التكوين ١ : ٢) فهو الذى خلق من المياه الأسماك والطيور وكل الزحافات البحرية والحيوانات البرمائية، (التكوين ١ : ٢٠ – ٢٣) وخلق من تراب الأرض النبات والحيوانات البرية والبهائم والوحوش ثم الإنسان (التكوين ١ : ٢٤ – ٢٨). (٢ : ٧). يقول أيوب الصديق (روح الله صنعنى، ونسمة القدير أحيتنى) (أيوب ٣٣ : ٤).

وكان الروح القدس (**يعمل فى الناس**) أيضا، يحركهم، ويثيرهم، وينيرهم، ويرشدهم، ويوحى إليهم، ويهديهم... من حيث هم أرواح خلقت على صورة الله ومثاله.. ولكنه كان يعمل بالأكثر والأولى والأحرى مع الذين تؤهلهم صفاتهم الأخلاقية وفضائلهم الروحية، لإقتبال إلهاماته ونفحاته وفيوضاته.. وهؤلاء عادة هم (**الأنبياء والملوك والكهنة**) **أصحاب المهام الإلهية**.

وظل الأمر كذلك طوال حقبة طويلة من الزمان هى التى عرفت بالعهد القديم.. كان فيها الروح القدس يعمل مع الناس من خلال أناس منهم يحل الروح القدس عليهم بواسطة (**مسحة مقدسة**) أمر الله بتركيبها من الدهن والأطياب، من بينها زيت الزيتون، يضاف إليه مر قاطر، وقرفة عطرة، وقصب الذريرة، وسليخة (الخروج ٣٠ : ٢٢ – ٣٣) وكانت بعد تقديسها (الخروج ٣٧ : ٢٩) تودع فى قرن بهيمة ويسمى لذلك (قرن الدهن) (١. الملوك ١ : ٣٩) وكان يسكب منه على رأس (**المعين**) **نبياً أو ملكاً أو كاهناً**. ولم يكن هذا الحلول للروح القدس يجرى

على هذا النحو، إلا بالنسبة (لأصحاب المهام الإلهية). فهم وحدهم أصحاب هذا الإمتياز، وكان السكب من دهن المسحة على رؤوسهم علامة إلهية واضحة أمام الشعب على تعيينهم لتلك المهام الإلهية، فيرى الشعب ويخضع لإرادة الله وإختياره، ويعترف بهم، وبوظائفهم ويحترم إختصاصهم ويتعامل معهم على أنهم معينون من قبل الله، وليسوا هم أدعياء من قبل أنفسهم.

على أن الله تعالى أراد أن يعمم هذا الإمتياز ويجعله شاملا لكل أحد طالما أنه قابل ومستعد باطنيا بالتقوى والعبادة لعمل الروح القدس، فوعد على يد النبى يوئيل، وبفمه، أن يحل بروحه القدوس (**على كل بشر**)، فليس عند الله محاباة، وليس فضل لإنسان على آخر إلا بما ينطوى عليه قلبه وروحه من تقوى صادقة، وإيمان بلا فحص، ومحبة لله، ورغبة فى نعمته، فقال: (ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى **على كل بشر**، فيتنبأ **بنوكم وبناتكم**، ويحلم شيوخكم أحلاما، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد. وعلى **الإماء** أسكب روحى فى تلك الأيام) (يوئيل ٢ : ٢٨، ٢٩).

هذا الوعد بحلول الروح القدس حلولاً عاما **شاملا على جميع الناس**، وليس فقط على أصحاب المهام الإلهية من الأنبياء والملوك والكهنة، هو النقلة الجديدة إلى العهد الجديد الذى يصير فيه الإمتياز القديم إمتيازا لكل أحد طال ما أن هذا الأحد قابل ومستعد ومهيأ روحيا ونفسيا وذهنيا لهذا الحلول.

... وليست هذه **الأرستوقراطية الروحية** مبنية على إمتياز الحسب والنسب، ولا على قانون الوراثة، ولا على إمتياز الفهم والإدراك والعلم والعرفان... ولا على إمتياز الجنس.. أو السن... ولكنها **أرستوقراطية روحية مبنية على تسليم القلب والروح لعمل الروح القدس بغير مقاومة، وبغير معارضة، وبغير مجادلة، وبغير محاسبة، «فإن الله يعطيه الروح بغير مقدار** (يوحنا ٣ : ٣٤) **(ومن ملئه نحن جميعنا أخذنا. ونعمة أخذنا بدلاً من نعمة)** (يوحنا ١ : ١٦)... **إنها أرستقراطية روحية مبنية على تقبل الإنسان لعمل الروح القدس فى باطنه من غير عائق منه**، من خطيئة تعلق بها القلب أو إعتراض يثيره العقل المادى أو المنطق الحسى واللحمى...

ولقد بر الله بوعده، ووفى بكلمته على فم نبيه... ووكّده المسيح له المجد بقوله **(من آمن بى كما قال الكتاب ستجرى من باطنه أنهار ماء حى. وإنما قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به عتيدين أن ينالوه**. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد، إذ لم

يكن يسوع بعد قد تمجد) (يوحنا ٧ : ٣٨، ٣٩). وقال (وسأطلب إلى الآب، فيعطيكم معزيا آخر ليقيم معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه، ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه يقيم معكم ويكون فيكم... حتى إذا جاء المعزى وهو الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فسيعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ما قلته لكم) (يوحنا ١٤ : ١٦، ١٧، ٢٦) (ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند أبى، روح الحق المنبثق من الآب فهو يشهد لى) (يوحنا ١٥ : ٢٦) (لأننى إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. أما إذا مضيت فإننى أرسله إليكم) (يوحنا ١٦ : ٧) (فمتى جاء ذاك الذى هو روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم من عنده.. وسيخبركم بأمور آتية) (يوحنا ١٦ : ١٣).

ولما قام المسيح من بين الأموات، واجتمع بتلاميذه لمدة أربعين يوما يكلمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله. قال لهم وهو يودعهم قبيل صعوده إلى السماء (وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا بقوة من الأعالى) (لوقا ٢٤ : ٤٩) وجاء فى سفر الأعمال (اليوم الذى صعد فيه إلى السماء بعد أن أصدر أوامره بالروح القدس إلى الرسل الذين اختارهم... وفيما هو يأكل معهم أوصاهم بألا يبرحوا أورشليم قائلا : انتظروا موعد الآب الذى سبق أن سمعتموه منى. فإن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستعمدون بروح القدس، بعد أيام غير كثيرة... لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم) (أعمال الرسل ١ : ٢، ٤، ٥، ٨).

قلنا لقد بر الله بوعده ووفى بكلمته... فأرسل على التلاميذ والرسل روح القدس فى يوم الخمسين لقيامة المسيح المجيدة.

قال الكتاب المقدس (ولما حل يوم الخمسين كانوا كلهم مجتمعين فى مكان واحد. وبغتة حدث صوت جاء من السماء كأنه دوى ريح عاصفة، وملأ كل البيت الذى كانوا موجودين فيه وظهر لهم ما يشبه ألسنة من نار منقسمة وحلت على كل واحد منهم. فامتلأوا جميعا من روح القدس، وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى غير لغتهم حسبما وهبهم الروح أن يجهروا بالكلام) (أعمال الرسل ٢ : ١ – ٤). ولما ذهل الناس المجتمعون ـ وهم يهود أتقياء من كل أمة تحت السماء ـ وقالوا : (فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته هو التى ولد فيها) ونشأ عليها، شرح القديس بطرس ما حدث بأنه تحقيق لوعود سابقة من الله (ولكن هذا هو ما قيل بفم يوئيل النبى القائل : وسيحدث فى الأيام الأخيرة هكذا قال الله إنى سأسكب من روحى على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم،

ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاما. وعلى عبيدى وإمائى سأسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون..) (أعمال الرسل ٢ : ٦، ٨، ١٦ – ١٨).

فإذا كان الروح القدس هو الله ذاته، وإذا كان يعمل منذ الأزل، ويعمل منذ إبتداء الخليقة فى الكون، وفى الناس، فلماذا كان الوعد بحلول جديد للروح القدس ؟

إذن فى العهد الجديد، ليس الروح القدس غيره فى العهد القديم، وإنما هو الروح القدس بعينه الأزلى العامل فى الكون، وفى الناس.. **وكل الفارق بين العهدين، لا فى الروح القدس ذاته، بل فى المواهب والعطايا التى يمنحها للناس... ففى القديم كان يمنح عطايا ومواهب... وفى العهد الجديد صار يمنح بالإضافة إلى العطايا والمواهب الأولى، عطايا ومواهب جديدة وفيوضات جديدة...**

الفرق إذن بين عمل الروح القدس فى العهدين هو فرق فى نوع المواهب التى يمنحها (إن للمواهب أنواعا. أما الروح فواحد) (١. كورنثوس ١٢ : ٤)، (العبرانيين ٢ : ٤).

الفرق إذن بين العهدين هو فرق فى مواهب الروح القدس من حيث عدد المواهب، ومن حيث نوعياتها، ومن حيث مدى شمولها بالتخصيص أو التعميم..

وبعبارة أخرى الفرق بين عمل الروح القدس فى العهدين هو فرق فى مواهب الروح القدس، من حيث الكم والكيف والمدى. أما الروح القدس فهو هو ذاته لم يتغير، ولا ولن يتغير، لأنه هو بشخصه وأقنومه هو الله. والله أزلى أبدى. ليس له بداءة وليس له نهاية، كما أنه لا يتغير.

٢٢ - التثليث فى المسيحية وعند الفراعنه

سؤال :

البعض يأخذ على المسيحية أن فيها بعض العقائد التى يوجد مثلها فى الديانات الوثنية، مثل عقيدة التثليث عند المسيحيين والتثليث عند الفراعنة.. فما هو ردكم ؟

الجواب :

نحن قلنا أن هناك بعض المعتقدات توجد فى الديانة الوثنية، مثل الإيمان بالله، الإيمان بالتعبد أو الرهبنة وهى موجود مثلها فى البوزية مثلا، الرهبنة موجودة فى كل شعوب العالم. ووجودها فى مصر القديمة قبل المسيحية، أيضاً موضوع التثليث وجوده فى الديانات الأخرى يثبت حقيقة التثليث ولا يكون ضدها، ولكن مع التحفظ أن التثليث المسيحى لابد أن نعبر عنه تعبيرات دقيقة، لا نخلط بينها وبين التثليث الوثنى، فمثلا عند الفراعنة عندما نقول الثالوث «إيزيس وأوزوريس وحورس» الأب والابن والمرأة، يمكن أن يجد الواحد نظائر له فى كل عائلة، رجل وابن وإمرأة، لكن الفرق بعيد جدا جدا جدا بين هذا التثليث والتثليث المسيحى، لأن الله واحد والتثليث تثليث خصائص، وليس تثليث الزواج، وهذا هو الخلط الذى يحدث عند البعض فيقول أن الله لم تكن له صاحبه، هذا كلام عند الوثنيين، نحن لا يوجد عندنا فى التثليث المسيحى مثل هذا الكلام، هذا من سوء الفهم والتشويه. فإذا وجد تثليث فى الديانات الأخرى، هذا لا يكون ضد فكرة التثليث المسيحى ولكن بالعكس يثبتها، كل ما هنالك أن المسألة تحتاج إلى تنقية لكى نميز بين التثليث المسيحى، والتثليث الذى وجد فى العالم القديم أو فى العالم الوثنى.

٢٣ ـ ولادة الابن وانبثاق الروح القدس

سؤال :

يقول نشوء الابن عن الآب يسمى ولادة، ونشوء الروح القدس يسمى إنبثاق فلماذا هذا الإختلاف؟

الجواب :

الحقيقة هذا اصطلاح ليس لنا يد فيه، هذا التعبير قاله السيد المسيح نفسه، كلمة الروح القدس المنبثق من الآب، إنما آباء الكنيسة وجدوا مثال يوضح ذلك، مجرد تقريب للحقيقة العالية، فمثلا الشمس ذاتها، النجم على بعد ٩٣ مليون ميل، إنما ترسل أشعتها، فالأشعة التى هى النور تتولد من الشمس، فهنا نوع من الميلاد أو الولادة، ولادة النور، المهم الولادة بالنسبة لله أزلية، بمعنى كما أن النور منذ أن كانت الشمس شمسا فالنور كان يخرج منها، وإلا لا يكون هناك شمس، فلا يوجد فرق زمنى بين الشمس نفسها، وبين النور الخارج منها، هكذا نسب إلى الابن الأقنوم الثانى أنه مولود من الآب، أما الروح القدس مثل الحرارة والدفء تنبثق من الشمس وأيضاً بدون فارق زمنى، لأنه منذ أن كانت الشمس شمسا النور موجود وكذلك الدفء أو الحرارة المنبثقة، إنما فيه مسميات كلمة الشمس هو النجم نفسه، ثم النور مولود من الشمس، ثم الدفء والحرارة منبثقة، يقول تعال نجلس فى الشمس، على الرغم أننا لا نجلس فى النجم نفسه، إنما فى النور والأشعة الواصلة إلينا إلى الأرض. وفى الصيف يقول ابعد من الشمس، وحتى الكتب الصحية يقول اجلس فى الشمس، وأبعد من الشمس، فنحن لا نستطيع أن نفصل بين الشمس والنور وأيضاً الحرارة.

كذلك الله، الله واحد والأقانيم هذه خصائص فى الذات الإلهية، الآب يمثل العدل، الابن يمثل الرحمة، الروح القدس هو الحياة فى الله، لأن الله حى وحى قيوم، فهذه خصائص وليست كيانات مستقلة، وهذا ما يفرق بين التثليث المسيحى والتثليث فى الديانات السابقة أو فى الوثنية ففى الديانات السابقة يوجد أزوريس وإيزيس وحورس فهنا يوجد أشخاص وكيانات، كل واحد منهم كيان لوحده، إنما بالنسبة للآب والابن والروح القدس لا يوجد كيان لكل واحد منهم، حتى سيدنا له المجد فى تصريحاته يقول «الآب الحال فىّ» لكى يبين أنه لا يوجد كيانات مختلفة، هو كيان واحد، على كل حال تعبير الإنبثاق هذا، تعبير المسيح نفسه استخدمه.

٢٤ ـ هل للسيِّد المسيح روح؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

هل للسيِّد المسيح له المجد روح؟ أم أنّ لاهوته هو روحه؟

الجواب :

لربِّ المجد إنسانية كاملة كأىّ واحد منا، أى له روح وجسد بخلاف لاهوته. وقد زعم أبوليناريوس (فى أواخر القرن الرابع) أنّ الكلمة الأزلى اتّخذ من السيدة العذراء جسداً بلا روح أو نفس أو عقل فكان لاهوته بدلاً من النفس. ولكنّ الكنيسة الجامعة المقدسة فندت هذا الزعم الخاطئ وحرمته، لأنّ اللاهوت اتّحد بناسوت كامل وقد أسلم السيد روحه على الصليب دون أن يفارق اللاهوت ناسوته.

---

(١) مقال نُشِر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثانية العدد ٤ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٤٨م صفحة ٤٣.

٢٥ ـ كيْفَ ينمو المسيحُ فى الحكمة وهو الإلهُ الكاملُ؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

قال الكتاب المقدس «وكان يسوع ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس» (لوقا ٢ : ٥٢).

فكيف ينمو المسيح فى الحكمة وهو الإله الكامل فى حكمته؟

الجوابُ :

لم يكن المسيح يكتسب شيئاً من الحكمة بالتعلم من مصدر خارج عن ذاته، لأن الحكمة والعلم قائمان فيه من حيث هو الكلمة الأزلى، ومن حيث هو حكمة الله، ومن حيث هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، ومن حيث هو الإلهُ المتجسد.

ولم يكن المسيح فى حاجةٍ إلى عِلْم ومعرفة تأتيه من خارج، وإنما كان يُظهِر من الحكمة الكامنة فيه، والمختزنة فيه بسر التجسّد كلّما نما قدّه، وازدادت قامته، فتأهلت لإبراز هذه الحكمة المكتومة.

فإذا خفى عليك أمر هذا الكُمُونُ والظهور، فسأقرِّب لك تصوره بالكلام عن الإنسان: وأظنك تَعلَم أنَّ فى الإنسان ميولاً طبيعية وغرائز موروثة لا تظهر فى سلُوكه إلا فى زمن معين أو مرحلة من حياته تلائم ظهور هذه الغرائز، مع أنها فى الحقيقة كامنة فيه كُموناً غريزياً وقائمة فيه وفى الجِنْسِ البشرى بأسره. ذلك لأنَّ ظهور هذه الغريزة أو تلك، فى حياة الفرد، يتوقف على نموه الجسمانى واكتمال نضج الأعضاء الخاصة بالغريزة. وكذلك الحال فى الاستعدادات العقلية والملكات الذهنية، فإنها تتفتح وتتكشف كلما نما الجسم وتهيأ لظهورها. وقد تتوقف عن الظهور فى شخص إذا تعطل نُمُوهُ الجسمانى. حتى إنه على الرغم من بلوغه سناً كبيرة، لايزال فى تفكير الطفل وإدراكه. وقد يختل جهاز الغدد الصمّاء فى الجسم، فينمو البدن أو بَعْضُ

---

(١) مقال نُشِر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثالثة العدد ٨ (أكتوبر ـ تشرين أول لسنة ١٩٤٩م) صفحة ١٠ – ١٤.

أعضائه ومع ذلك يظل النموّ العقلي معطلاً... فكأنّ الإتحاد القائم بين النفس والجسد يجعل كلاً منهما يتأثر بالآخر، ينمو بنموه، ويذبل بذبوله وضعفه.

وإذا كان هذا كله يصدق على الإنسان، فهو يصدق أيضاً على مُخلّصنا من حيث أنه اتّخذَ له ناسوتاً كاملاً، والناسوت يتألف من جسم وروح، وهذان ينموان على غرار ما ينمو جسم الإنسان وروحه، ونحن نعلم أن الإنسان يكتسب العِلْم:

١ - إما من ملاحظة الظواهر الطبيعية ومحاولة استنباط قوانينها (كما فى علوم الفلك والطبيعة والكيمياء والطب والهندسة.. والاجتماع وما إلى ذلك).

٢ - أو من التَعلّم والاكتساب من معلّم أو مُربٍ خارج عن ذاته.

٣ - أو مما ينبثق فى نَفْسِه بفعل التأمُّل من معرفة باطنية.

٤ - أو مما يهبط على قلب ذوى الإشراق الإلهى من معرفة لدنّية (من لدن الله) وبما يكتسبونه من قدرة على التبصر وكشف الحجب والتنبؤ والتكلّم باللغات وسائر المواهب الروحانية والإلهية، بعد أن تصفو نفوسهم من أدرانها، وتطهر قلوبهم من أكدارها، وتستضئ عقولهم حين تتخلّص من تعلقات المادة، وتسمو عن شواغل الحس وترقى على عالم الشهادة والتجربة الحسية.

وكذلك المسيح له نفس أو روح بشرية خالصة تختلف إختلافاً طبيعياً، وجوهرياً، وذاتيا، عن اللاهوت المتحد بها إتحاداً لم يلاشِ أو يغير صفات أيهما، وإنما احتفظ الاتحاد بينهما بالتمايز بينهما فى جميع الخصائص والصفات التى تتميز بها كل من الطبيعتين قبل الاتحاد.

وعلى ذلك فالنفس البشرية فى المسيح كالنفس البشرية فينا قبل أن يدخل عليها النقص والفساد بالخطيئة، أو كالنفس البشرية فى آدم الأول يوم أن خلقه الله بغير فساد وبغير شر. ويوم ذاك كانت نفس آدم طاهرة صافية تتصف بالحكمة والعلم والعرفان. ومن هنا لم يكن عبثاً أن يذكر الكتاب المقدّس عن آدم أنّ الله أحضر إليه كل حيوانات البرية، وكلّ طيور السّماء، ليرى ماذا يُسَمِّيها، «فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السّماء وجميع حيوانات البرية. «وكل ما دعا به آدم ذاتَ نفسٍ حيّةٍ فهو اسمُها» (التكوين ٢ : ١٩ ، ٢٠).

فلا غرابة إذن فى قول الكتاب المقدّس عن المسيح إنّه كان ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس (لوقا ٢ : ٥٢) أو قوله قبل ذلك «وكانَ الطِّفلُ ينمو ويَتَقَوّى بالرُّوحِ، مُمْتَلِئاً حِكمَةً،

وكانت نِعمةُ الله عليه» (لوقا ٢: ٤٠). فالكلام هنا ينصرف على الناسوت فى المسيح، والذى لا يفترق مطلقاً عن طبيعتنا البشرية فيما عدا أنه طاهر، عار عن الشر والخطأ والفساد والنقص الذى دخل على طبيعتنا بالخطيئة. أما من حيث خصائصها ومقوماتها وطبيعة تكوينها، وقابليتها لسائر الإحساسات (من جوع وعطش وتعب وألم..)، وجميع المشاعر والوجدانات والإنفعالات (من فرح وحزن وغضب..) وشتّى العواطف (من حب وعطف..) ففى هذا كلّه قد اشترك المسيح معنا بناسوته كاملاً من غير أن يداخله فساد أو يعتوره إلتواء أو إنحراف.. وكذلك الأمر فى المسيح من حيث العِلْم الطبيعى: نفس المسيح هى النفس المخلوقة على صورة الله ومثاله، فهى نفس ناطقة، طاهرة، حكيمة، صافية، مضيئة، مشرقة، نافذة، عارفة.

ولسنا نفتكر فى كمال الناسوت، وننسى أنّه مُتّحد باللاهوت اتحاداً بلا إفتراق، ولا إنفصال. وإذا كان اللاهوت هو النور، وهو العِلْم، وهو الحقّ، ففى هذا أيضاً يفترق عِلْم المسيح الإلهى عن عِلْم الإنسان الإلهى. فالإنسان بصفاء النفس وتحررها من شواغل المادة ورغبات الحواس وعلائق الجسم، وبالتأمل العقلانى والنظر الرُوحانى، يصل إلى الله ويبلغ الاتحاد به، فيعرفه ويستضئ بإشراقه ووحيه. ولكن ما فيه من العلم الإلهى قد أخذه لا من نفسه، بل من طبيعة الله التى تفترق عن طبيعته هو إفتراقاً وجودياً وليس اعتبارياً فحسب.. وأما العِلْم الإلهى فى المسيح فهو علم بالاتحاد الطبيعى الذى تمّ فى سرّ التجسُد بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية فى أقنوم واحد وطبيعة واحدة بغير إفتراق ولا إنفصال.

وإذن يُمكِن القول إنّ المسيح كان ينمو ويتقوّى بالروح ممتلئاً حكمة، أو كان ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس، لا بمعنى أنه كان يتلقى هذه الحكمة من مصدر آخر خارج عن ذاته الإلهية كلّية الحكمة، ولا بمعنى أنه لم يكُنْ فى طفولة إنسانيته مكتملاً كلّ مكنونات العِلْم والحكمة من حيث هو إله، بل بمعنى أنّ ناسوت المسيح «كان يزداد حكمة من قبَلِ الكلمَة المتّحد به، من حين إلى حين على ما يقول القديس أثناسيوس الرّسولى، والقدّيس كيرلس الكبير عمود الإيمان، وبعبارة أخرى إنّ هذه الحكمة المكنونة والمدّخرة فى أقنوم ذاته كإله متأنس، كانت تبدو وتظهر كلّما تقدّم سنه الناسوتى واكتملت قامته الإنسانية. وكان لابدّ لهذه الحكمة أن تظَلّ مَخْفيّةً وأن تظهر بالتدريج باطّراد نموه الجسمانى، لأنه شاء بتدبيره من أجل خلاص البشرية أن يستر لاهوته

ويخفيه، كما إنه لم يدع طبع اللاهوت فيه أن يوقف أو يبطل طبع الناسوت، وإنّما ترك للناسوتية أن تتجلى فيه بصورة طبيعية بحتة، وأن يمر هو بجميع مراحلها وأطوارها، وأن يجتاز بحركاتها ودوافعها، ويختبر فى شخصه جميع إنفعالاتها ومشاعرها، دون أن يُخِلّ هذا كله أو يحل عقدة الإرتباط الوثيق التام، والإتحاد الكامل بين اللاهوت والناسوت. وبهذا كان المسيح إلهاً كاملاً، ولكنه كان أيضاً إنساناً كاملاً دون أن يكون كمالُ ناسوته بفعل (أو بفضل) لاهوته، وإن كان يُعَدُّ دليلاً على حقيقة لاهوته، من حيث أنّ الكمال التام لم يتوافر فى شخص مخلوق بمثل ما توافر فى المسيح، فهو فى المسيح دليل سُمّوه على جميع المخلوقين والمحدودين..

وإذا كان كمال ناسوت فادينا طبيعياً وأدبياً، فهو من هذه الجهة مَثَلُ الإنسانية الأعلى، يجب أن نقتفى أثر خطواته، ولا يصح أن نعتذر بالعجز والقصور عن متابعته بحجة أنه إله، فلقد أيّنّا أنّ الكمال فى المسيح لا من حيث هو إله فحسب (فهو تحصيل حاصل) بل من حيث هو إنسان أيضاً.

وعلى ذلك فالحكمة، وكذلك النِّعمة، فى المسيح تختلف عنها فى الناس، من حيث أنها فى المسيح طبيعية بينما فى الناس مُفاضة عليهم من الله وهى عالية عن طبيعتهم، وهى فى المسيح خير محض بينما هى فى الناس من أجل أن تعلو على الفساد فيهم، وهى فى المسيح كاملة بينما فى الناس بحسب درجات صفائهم واقترابهم من الله، وهى فى المسيح لا تنقص ولا تزيد، وإن كانت تظهر بالتدريج بينما فى الناس قابلة للزيادة والنقصان تبعاً للمجاهدات الباطنية والرياضات الروحية.

* * *

أجل لقد رأى بعض الهراطقة (الخوارج) أنّ فى قول الكتاب المقدّس عن المسيح «وكان الطِّفْلُ يَنْمو وَيَتَقَوى بالرُّوح، ممتلئاً حِكمة، وكانَتْ نعمة الله عليه» (لوقا ٢ : ٤٠) وقوله «وكان يسوع ينمو فى القامة والحكمة والنعمة عند الله والناس» (لوقا ٢ : ٥٢) ما يطعن فى حقيقة لاهوت السيد المسيح. أو تعبيراً لا يليق بابن الله لو كان حقاً أنه إله وكأن الإنجيل لم يفرق بينه وبين يوحنا

المعمدان الذى قال عنه أيضاً «أما الطفل فكان ينمو ويزداد قوةً فى الروح» (لوقا ١ : ٨٠).

ولكن هذا التعبير ذاته الذى سوى بين المسيح وبين عبده يوحنا، قد أبرز حقيقة ناسوته. وأكد أنه **عاش بين البشر كواحد منهم، وأنه أخضع نفسه بفعل تدبيرى لكل ما يخضعون له، مما يُعَدُّ برهاناً قاطعاً** على خطأ مذهب بعض الهراطقة الذين ظهروا فى صدر المسيحية مثل الدوكيتيين DOCETISM الذين أنكروا أن يكون جسد المسيح حقيقياً ومادياً، وادّعوا أنه جسد خيالى وهمى. ومثل الغنوسيين GNOSTICS الذين زعموا أنه هبط من السماء مركباً من عناصر سماوية وأنه مر ببطن العذراء مريم كما يمر الماء بالقناة، دون أن يولد منها على الحقيقة، أو يتّخذ من جسْمها ودمائها شيئاً... نقول إنّ عبارة الوحى عن نمّو المسيح فى القامة تؤكد **حقيقة الجَسَد الذى اتّخذه المسيح، وأنه مادىّ، وقابل للنمو، وأنه لم يهبط من السماء كبيراً بل وُلِد على غرار البشر.**

وعلى النقيض من هؤلاء الهراطقة، هراطقة آخرون لم ينكروا الجسد وإنما أنكروا النفس البشرية فى المسيح. فذهب الأريوسيون إلى أنّ اللاهوت يقوم مقام النفس فى المسيح، ورأى أبوليناريوس أنّ فى المسيح نفساً غير أنها حيوانية بهيمية تصدر عنها أفعال الحس والحركة والنمو. أما أفعال النطق والعقل فتصدر عن اللاهوت.

ولكن الكتاب المقدّس إذ ينسب للمسيح أنه كان ينمو ممتلئاً حكمة ونعمة فقد أبان أن له **نفساً بشرية تتصف بالحكمة وتقتبل النعمة مع تقدم السِنّ والقامة وتطور النمو الجسمانى.**

كل ما هنالك من فارق، أنّ نُمُوّ يوحنا بالروح كان من أجل نفسه، وأما نمو المسيح فهو من أجلنا، بإعتباره مظهراً لسر التجسد الذى كان أيضاً سبيلاً لتحقيق عمل الفداء والخلاص.

ونحن نميل إلى ما ذهب إليه بعض الآباء من أنّ أبانا آدم الأول خُلِقَ فى الثلاثين من عمره كاملاً فى نفسه وجسده ممتلئاً حكمة وعرفاناً. لكنه سَقَطَ فى الخطيئة ففقد إمتيازاته السامية. وإذ أراد المسيح أن يُعيد إلينا ما فقدناه بالمعصية، لم يظهر فى الثلاثين من عمره. بل بدأ طريقه من قبل ذلك بثلاثين عاماً. **بدأه منذ الحمل به فى أحشاء الطوباوية مريم إلى أن وُلِدَ فنما رضيعاً فطفلاً، فصبياً، فغلاماً، فيافعاً، فشاباً، فرجلاً... رجع إلى الوراء**

ليخط بنفسه طريق الكمال من جديد. ويعين فى كل مرحلة من مراحل حياته على الأرض المثل الأعلى للإنسان على الأرض، بعد أن فقد الإنسان فى شخص آدم الأول صفات الكمال، وطريق الكمال.

وإذا كانت «النِّعْمَةُ» هى الفضل أو اللطف الإلهى مفاضاً على طبعنا البشرى، فليست كذلك النعمة فى المسيح. وإنّما هى مجد الله ظاهراً فى المسيح، وفضل الله على الجنس البشرى معطىً فى شخص المسيح وما قام به من أجلنا. أو بعبارة أخرى هى صفات الله وكمالاته وقدراته ظاهرة فى المسيح الذى هو صورة الله فى الجسد. وربما يبدو ذلك أولاً فى عصمته من الشّر وثانياً فى ضروب المعجزات وخوارق العادات التى يُجريها بسلطانه الذاتى، وفى ذلك يختلف عن الأنبياء الذين يجرون بعضها بعد الإستغاثة بالله والصلاة إليه، مستمدين من الله سلطاناً لم يكن لهم كبشر فانين ومخلوقين.

٢٦ ـ هل كان المسيح متردداً؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

«قرأت فى أحد الكتب الإسلامية بعنوان «نظرة فى كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية» فن علم الكلام ب رقم ١٩٥٩٥ مطبوع بدار الكتب الأهلية بميدان أحمد ماهر. وقد شحن هذا الكتاب بالانتقادات، واسترعى نظرى فى إطلاعى عليه إستغلال الآيات الواردة بإنجيل (يوحنا ٧: ٦، ٨، ١٠) فى إظهار أنّ يسوع ليس إلهاً وقال ما ملخصه «إن كان هناك لاهوت مع ناسوته، فلماذا لم يقدر هذا اللاهوت أن يعرف أذاهب هو أم لا، ولكنه كان متردداً...

أرجو رجاء حاراً كقارئ مسيحى أن تكتبوا لنا ما يوضح هذا الغموض..؟»

الجواب :

لابد لنا هنا من أن نثبت نصوص هذه الآيات ونَرْدُفُها بالتعليق عليها :

«فقال لهم يسوع: إنّ وقتى لم يأت بعد. وأما أنتم فوقتكم مُهيأٌ فى كل حين. إنّ العالم لا يمكن أن يبغضكم. أمّا أنا فيبغضنى، لأنى أشهد عليه بأن أعماله شريرة. فاصعدوا أنتم إلى العيد، وأما أنا فلن أصعد الآن إلى هذا العيد، لأن وقتى لم يحن بعد. قال لهم هذا ومكث فى الجليل. ثم بعد أن صعد إخوته صعد هو أيضاً إلى العيد، ولكن ليس علانيةً بل كمستتر» (يوحنا ٧: ٦ – ١٠).

أفهل يرى القارئ ما رآه صاحب كتاب **«عقائد النصرانية»** من أنّ هناك دليلاً على نقص المعرفة فى المسيح؟ قطعاً لا، لأنّ المسيح لم يتردّدْ أو لم يَعدِلْ عن رأيه الأول، بل كشف لأقاربه الذين عرضوا عليه أن يصعد إلى أورشليم علانيةً ويعلن نفسه للعالم «إن كنت تعمل هذه الأعمال فأظهر نفسك للعالم» (يوحنا ٧: ٤) فأجابهم بأنّ وقته لم يَحِنْ بَعْدُ، لأنه كإلهٍ عالم بكل شئ قد اختط خطة ووضع تدبيراً لا ينقض، ورتب لكل شئ وقته المناسب. ولو أنه تعالى أجاب مطلبهم وصعد إلى الهيكل علانية، لثار عليه اليهود وصلبوه، بينما أنّ وقت تسليم نفسه للصلب

---

(١) مقال نُشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الخامسة العدد السابع (أغسطس ـ آب لسنة ١٩٥١م) صفحتى ٣٤ – ٣٥.

وبجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٣١ أغسطس ـ آب لسنة ١٩٨٠م ـ ٢٥ من مسرى لسنة ١٦٩٦ش.

لم يحن بعد، ولابد من أن لا يتعجّل هذا الوقت لأنه لابد أن يتمم رسالته فى الدعوة إلى الإنجيل، وهذا تعليم ثمين للإنسان أن يتريث فلا يندفع وراء التضحية بحياته من غير موجب. فقد يكون بقاء الإنسان فى الحياة لازماً له أو لإتمام رسالته بين الناس، على ما يقول مار بولس الرسول : «فإنى محصور بين الإثنين: لى إشتهاء أن أنطلق لأكون مع المسيح، وذلك هو الأفضل جداً غير أن بقائى فى الجسد أشد ضرورة لكم من أجلكم. فإذ أنا واثق بهذا، أعلم أنى أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان» (فيلبى ١ : ٢٣ – ٢٥) .

فإذا كان المسيح لم يصعد إلى أورشليم علانية وفى أول أيام العيد، إلا أنه صعد بعد ذلك عندما إنقضت نصف أيام العيد» (يوحنا ٧ : ١٤) فى الخفاء وظهر بغتة فى الهيكل وصار يُعلّم هناك، أى أنه لم يدخل الهيكل بمجد ظاهر كما حدث ذلك فيما بعد قُبيل آلامه حيث أثار ذلك حقد كهنة اليهود الكامن فهاجوا عليه وصلبوه... وهذا يكشف لنا عن غرضه فى رفض العرض الذى عرضه عليه بعض أقاربه.

ومهما يكن من أمر، فليس فى النصوص التى يدور حولها محور حديثنا، ما يدل على أنَّ المسيح كان متردداً أو كانت تنقصه المعرفة، بل على العكس، تدل على معرفة تامة بالتدبير الحكيم الذى كان يُدبِّر به مدة بقائه على الأرض وبالزمن الملائم لكل خطوة من خطوات هذا التدبير المحكم الدقيق.

أيا يسوع المسيح ربى، علمنا كيف نسلك بالحكمة والتعقل، فلا يخلبنا المجد ولا نجرى وراء المديح والتهليل، كما أبيت أنت أن تظهر أمام الجماهير، لتعرفنا كيف ينبغى أن نختفى عندما تثور من حولنا العواصف والأنواء، فليس من الحكمة أن نجابه الشرور دائماً، شروراً ظاهرة كانت أو شروراً باطنة!!

٢٧ ـ ألا يعرف المسيح اليوم والساعة؟ (١)

سؤال: من أحد القراء.

جاء فى الإنجيل: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب» (مرقس ١٣ : ٣٢).

أليس المسيح هو الله؟ فكيف لا يعرف اليوم والساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان ثانيا؟

الجواب :

هذه الآية على جانب كبير من الأهمية، فقد استند إليها أريوس فى دعواه بأنّ المسيح أقل من الآب فى الجوهر نظراً لما رآه فيها من الإشارة إلى نقص العلم فى الابن بالنسبة إلى الآب، كما يعتمد عليها اليوم فريق من الهراطقة المعروفين «بشهود يهوه» هؤلاء الذين جددوا فى دعواهم مذهب أريوس الهرطوقى، وعادوا يجاهرون بإنكار لاهوت المسيح ومساواته للآب، ووحدته فى الجوهر مع الآب والرُوح القُدُس كما تُعلّم به الكنيسة الأرثوذكسية متنكّرين لكل هذا التاريخ الطويل، ومتجاهلين الجدل العنيف الذى صرعت به الكنيسة هذه البدعة الأريوسية الدقيقة، فى مجمع نيقية، وظلت تقاومها بعد ذلك بزعامة البابا أثناسيوس الرسولى نحو نصف قرن من الزمان حتى قضت عليها نهائياً؟ فأثارها جماعة شهود يهوه مرة أخرى، فى وقت فترت فيه الرُوحانية، لعلّ الشّيطان يصل إلى غاية مرامه بالقضاء على الصخرة التى بنيت عليها البيعة المسيحية عندما ينجح فى إبطال عقيدة لاهوت المسيح طبقاً لما قال رب المجد نفسه «وإنّى على هذه الصخرة سأبنى كنيستى» (متى ١٦ : ١٨).

ونحن نجيب على الأريوسيين، وخلفائهم من شهود يهوه، بأنّ أوّلَ قاعدة من قواعد التفسير التى ينبغى أن يلتزم بها من يروم أن يكون أميناً فى تفسيره للكتاب المقدّس، هى أن لا يتشبّث بنصّ واحدٍ بعينه ويهمل سائر النصوص، فالكتاب المقدّس يجب أن يُنظر إليه ككل، ولابد من فهم كل جزء من اعتبار الكل. ولسنا فى ذلك نقرر أمراً شاذاً، بل هذا هو المبدأ الذى يراعى فى

(١) نُشِر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الخامسة العدد الثانى (فبراير ـ شباط لسنة ١٩٥١م) صفحة ٣٦ – ٤٠.

شتى العلوم والمعارف الإنسانية، بل وأيضاً فى فهم أى نص من النصوص الأدبية أو العلمية، أو الدستورية أو القانونية. يجب أن لا تقوم الحقائق العلمية على واقعة جزئية، ولا تقام القوانين والمبادئ العامة على نص واحد يفهم مستقلاً عن غيره من النصوص. نعم يجب للمبدأ العام أن يُفَسِّر جميع الجزئيات التى تدخل فى نطاقه، ولكن يجب أن لا يُستقرأ القانون العام من ظاهرة مفردة لا تجمعها مع الظواهر الأخرى أصول عامة مشتركة.

وإذا راجعنا تاريخ المسيحية منذ نشأتها لم نجد بدعة من البدع ظهرت فى وقت ما إلا كانت وليدة تجاهل هذه القاعدة المهمة من قواعد التفسير.

والقاعدة الثانية أنّ كل نص فى الكتاب المقدّس يجب أن يؤخذ أولاً على معناه الحرفى إلا إذا كانت هناك قرينة تمنع من قبول هذا المعنى الحرفى، كأن يكون مضاداً للعقل أو مضاداً للواقع أو مضاداً لنصوص أخرى واضحة فى لفظها أو معناها.

بناء على هاتين القاعدتين ينبغى أن نراجع الآية التى نحن بصددها «وأما ذلك اليومُ وتلك السّاعةُ، فلا يعلَمُهُما أحدً، ولا الملائكة الذين فى السمّاء ولا الابن، إلا الآبُ».

قد يفهم من حرفية النص أنّ المسيح لا يعلم باليوم والساعة التى تكون فيها نهاية العالم، ولكن هذا المعنى الحرفى لا يستقيم مع النصوص الأخرى التى تتحدّث عن أُلوهية المسيح، وتصوره بأنه كائن مع الآب وفى الآب (يوحنا ١ : ١) وأنه هو الله الظاهر فى الجسد (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) وأنّ كُلّ شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ مما كان (يوحنا ١ : ٣) وأنه هو والآب معاً واحد (يوحنا ١٠ : ٣٠) وقد أجاب على طلب فيلبس عندما سأله «يارب أرنا الآب وكفانا» بقوله «أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ **مَنْ رآنى فقد رأى الآب** فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألا تؤمن **بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ**. إن الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى أنا وحدى، وإنما **الآب الكائن فىّ** هو الذى يعمل أعماله، صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ٨ – ١١). وقال أيضاً «لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومنذ الآن تعرفونه، **وقد رأيتموه**» (يوحنا ١٤ : ٧) وكلها نصوص ترينا فى أجلى بيان أن الاتحاد قائم بين أقنومى الآب والابن، فكيف يمكن أن نحمل قوله إنّ الابن لا يعرف اليوم والساعة على المعنى الحرفى؟

ثمَّ إذا كان الكتاب المقدّس عينه ينسب للمسيح الأزلية فيقول: «مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (ميخا ٥: ٢) كما ينسب له الأبدية في قوله: «يولد لنا ولد، ونعطى إبناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً قديراً، أبا الأبد، رئيس السلام» (إشعياء ٩: ٦) فإذا كان المسيح أزلياً وأبدياً، فهو الله. وإذا كان هو الله فكيف تخفى عليه تدبيراته؟؟ !!

ثمَّ إنَّ المسيح نفسه يقول صراحة «فإنَّ الآب يُحبُّ الابن، وهو يريه كُلَّ ما يَعْمَلَ...» (يوحنا ٥: ٢٠) فكيف إذن يَعْلَمُ الآبُ بيوم القيامة وساعتها، ولا يعلم بهما الابن، وهما جوهر واحد، وكيان واحد، وذات إلهية واحدة؟؟!!

كما أنَّ الكتاب المقدّس في مواضع كثيرة جداً ينعت المسيح بأنه حكمة الله وأنه المذّخر والذى تكمن فيه جميع كنوز الحكمة والمعرفة (كولوسى ٢: ٣)، (١. كورنثوس ١: ٢٤)، (٢: ٦، ٧)، (١٢: ٦) (أفسس ١: ٨).. ويكفى أنه دُعِي «الكلِمَة» (يوحنا ١: ١). (والكلمة) هنا ترجمة للكلمة اليونانية (اللوجوس). واللوجوس في الفلسفة اليونانية هو العقل الإلهى مُعْلَنَاً في الكون.. فإذَن الابنُ هو حكمةُ الله أو هو عقلُ الله، والله يعرف ويعلَم بالعقل أو اللوجوس أو الابن. **فليست إذن معرفة في الآب إلا وهي في الابن.** ومن تحصيل الحاصل أن نورد نصوصاً من الكتاب المقدّس تبيِّن كيف امتد علِمْ المسيح إلى كل شئ، وكيف كان يعرف خفايا القلوب، ويُنْبئ بالغيب المستور، بل وفى ذات الموضع الذى وردت فيه الآية التى نحن بصدد مناقشتها، يتنبأ السيد المسيح بمستقبل الأيام بصورة العالم بكل ما سيحدث. وحقاً إنه لأمر عجيب أن نتصوَّر أنه لا يعرف الوقت، وقد تَحَدَّث عن كل ما يسبق القيامة ويلحق بها!!

فإذا كانت كُلُّ هذه قرائن تمنع من أن تؤخذ هذه الآية على معناها الظَّاهر، فقد تعيَّن علينا أن نوضِّح ما يمكن أن تشير إليه.

ويبدو لنا من مراجعة نص الآية باللغات اليونانية والقبطية فضلاً عن اللاتينية والألمانية والفرنسية.. أن المقصود بالابن «المسيح نفسه»: وأن الآب هو الأقنوم الأول.

فكيف نفي المسيح عن نفسه المعرفة؟ ذلك بإعتبارين:

أمَّا أوَّلاً، فلأنَّ المسيح كما هو ابن الله كذلك هو ابن الإنسان. وهو يعرف اليوم والساعة **بصفته كائناً فى الآب ومتَّحداً معه فى الجوهر والذات ولكنه لا يعرفهما بوصفه ابن الإنسان.**

ولو كان يقصد الابن من حيث هو أزلى، ففى قوله «إلا الآب» كأنه ينفى المعرفة عن الروح القدس وهو الأقنوم الثالث من اللاهوت، وهو روح الله، وكيف يمكن أن نتصور الله يعرف أمراً لا يعرفه روحه؟؟ وإذن فالمسيح لا يتكلم عن نفسه من حيث هو إله، ولكنه من حيث هو إنسان، وابن إنسان، فبهذه الصفة لا يعرف زمن القيامة.

حقاً إنّ المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، وأنه لا إنقسام فى شخصه، فإذا كان يعلم بالساعة من حيث هو إله، فهو عالم بها على كل حال، ولا فرق، ولكنه يمكنه بهذه الصورة أن ينكر المعرفة عن نفسه دون أن يكون فى هذا الإنكار تجاوز للحقيقة، أو مخالفة للواقع: فقد يجمع الشخص بين صفتين مختلفتين أحياناً ويتصرف وفقاً لكل صفة تصرفاً قد يتعارض أو يتناقض مع تصرفه بالصفة الأخرى: مثله فى ذلك مثل المعلّم الذى يجيب على تلميذ يسأله ساعة الإمتحان عن أمر لا يجوز أن يجيب عنه بشئ، أو بعد الإمتحان عن نجاحه أو سقوطه.. بقوله «لا أعلم». أو مثل السياسى الحصيف الذى يُجيب على أسئلة السائلين بقوله: «لا أعلم» بمعنى (لا أريد أن أصرح)، لما فى التصريح من أضرار فردية أو إجتماعية. وهذا التعبير أصبح مألوفاً عند جميع الناس، حتى صار من الصيغ المقررة التى يمكن أن يفهمها الإنسان كما هو الحال بالنسبة إلى كلمات كثيرة فى جميع اللغات: يكون لها أكثر من معنى، يمكن التوصل إليه بحسب ملابسات اللفظ والظروف التى يقال فيها.

قال القدِّيس أثناسيوس الرسولى: إجابة على إعتراض أريوس «إنّ السيِّد المسيح قال لتلاميذه عن يوم وساعة مجيئه إنه لا يعرفهما أحد ولا الابن، لئلا يسألوه عن هذا السر الذى لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه كما يقول صاحب السرّ إنى لا أعلم هذه المسألة، أى لا أعلمها علماً يُباح به، لأن بطرس قال له «يارب أنت تعلم كل شئ».

أمّا لماذا أنكر المسيح عن نفسه هذه المعرفة، فلأن لله حكمة فى أن يظلّ يوم الساعة مخفياً عن النّاس حتى لا يتوانوا عن الجهاد والعمل والنشاط كالمعلّم الذى يُنبئ التلاميذ بإمتحان يعقده فى يوم مجهول، حتى يكون التلاميذ فى حالة إستعداد دائم.

وقد بادرهم الربُّ يسوع بهذه العبارة لكى لا يدع لهم فرصة فيسألوه.

ومما يلفت النظر حقاً أنّ كلمة «ولا الابن» لم ترد فى غير إنجيل مارمرقس، فقد وردت هذه

العبارة بتمامها فى إنجيل القديس متى (٢٤ : ٣٦) خلوا من هذه اللفظة. قال «وأمّا ذلك اليوم وتلك السّاعة فلا يَعْلَمُهُما أحد ولا حتّى ملائكةُ السّماوات، إلا الآب وحده». فربما كان هنا قصد من إيرادها فى إنجيل كتب إلى الرومان، وهم الذين أذاع فيهم سيمون الساحر الشك فى إنسانية السيِّد المسيح، وكأن المسيح لاهوت صرف، وليس الجسد فيه إلا خيال بحت، فمثل هذه العبارة التى ينفى بها المسيح المعرفة عن نفسه، من شأنها أن تؤكد الناسوت فى المسيح، وأن تشير إلى مشاركته لنا فى طبعنا البشرى وعلمنا المحدود، وأنه شَابهنا فى كل شئ ماعدا الخطيئة وحدها.

المسيح إذَن من حيثْ هو إله يَعْلَمُ باليوم والسّاعة التى ينحلُّ فيها الكون، ولكنه مع ذلك ينكر المعرفة عن نفسه بوصفه إنساناً بناسوتية كاملة حقيقية، ومن الخير لنا أن يظلّ يوم النهاية مجهولاً لنا حتي نكون على أهبة الرحيل فى كلّ حين: وليتداركنا الإله برحمته لنلتفت إلى ما فى هذه الآية الرهيبة من معان روحية مثيرة.

٢٨ ـ حول لاهوت المسيح (١)

سؤال: من السيد بولس حنا ـ بقلوصنا.

كيف نُفَسِّر قول معلمنا بولس الرسول: «لا أزال شاكراً من جهتِكُم وذاكراً إياكم فى صلواتى، كى يُعْطِيكُم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان فى معرفته» (أفسس ١: ١٦، ١٧)؟

الجواب :

لا يزعجك هذا التعبير، مادمت تعرف أنَّ الرَّسول يتكلم هنا عن «ربنا يسوع المسيح» أى أنه لا يتكلَّم عن «الابن» أو «الأقنوم الثانى» مجرَّداً عن الناسوت، بل عن «يسوع المسيح» الإله المتأنس. فهو إله من حيث لاهوته، وإنسان من حيث ناسوته، **وإذا كنا نؤمن أنَّ ربنا يسوع المسيح ذو ناسوتية كاملة، فبصفة الناسوتية يُعَدُّ الله الآبُ إذن إلهاً له بهذه الصفة، وإن كان بصفة اللاهوتية يُعَدُّ الابن واحداً مع الآب والروح القدس فى الجوهر الإلهى أو الذات الإلهية.**

ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة التى تكلَّم فيها الوحى عن ربنا يسوع المسيح بهذه الصفة، فقد قال السيد نفسه مرة لمريم «لكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إننى سأصعد إلى أبى الذى هو أبوكم، **وإلهى الذى هو إلهكم**» (يوحنا ٢٠: ١٧)، علماً بأنه فرق هنا تفرقة واضحة بين علاقته بالآب، وعلاقة التلاميذ بالآب، وإلا لكان يقول: «أبينا، وإلهنا»؟!!

ستقول إذن: لكن الرسول لا يقول «إله الناسوت» بل إله ربنا يسوع، فأجيب بأن الكتاب المقدَّس ينسب ما هو للناسوت «ليسوع المسيح» أو «للربِّ يسوع» لأن اللاهوت متحد فيه بالناسوت، إتحاداً تاماً بغير إفتراق أو إنفصال لحظة واحدة أو طرفة عين. وهذا دليل على خطأ القائلين بالإنفصال بين الطبيعتين، لأنه لو كان ثمة إنفصال لما جاز أن يُقال عن الآب إنه «إله ربنا يسوع المسيح»!! إذ أنه إلهه من حيث الناسوت فقط، لكن الاتحاد التام هو الذى يُجيز للرسول أن يسمى الآب « إله ربنا» ومن هنا أيضاً نفهم لماذا نسمى السيدة العذراء والدة الإله، مع أنها

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) ـ السنة السادسة العدد الأول ـ يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٥٢م صفحة ٢٥، ٢٦.

ليست أصلا للاهوت، ولكن اللاهوت قد حل في أحشائها، واتخذ منها الناسوت، فهي والدة الناسوت، كما أنها والدة اللاهوت باعتبار الاتّحاد القائم بين اللاهوت والناسوت وأنه اتحاد تام بغير إفتراق، لأن الذي خرج من أحشائها عند الولادة، إله متأنس وليس إنساناً فقط.

وليس يخفى عليك أنه يمكن أن تكون للكائن الواحد صفتان بغير تعارض. فالجمر مُحرق ومُحترق في آنٍ واحد. هو مُحرِق من حيث أنه نار تَحَرِقُ، ومحترِق من حيث هو خشب أو فحم، وقد احترق باتّحاده بالنارِ المحرِقة.

هكذا ربنا يسوع المسيح، إله متأنس. فهو إله من حيث لاهوته، ولكنّ له إلهاً من حيث ناسوته، وهذا الإله هو الكائن في السماء أو هو المتحد بالناسوت أيضاً، ولا فرق.

٢٩ ـ ابن الانسان وابن الله

سؤال: من السيد / فنيار جرجس عياد ـ ديروط.

ما الفرق بين ابن الإنسان، وابن الله ؟

الجواب :

المسيح له المجد جمع بين كونه ابن الإنسان، وابن الله معاً. فهو ابن الإنسان، لأنه نزل من السماء، واتّخذ صورة الإنسان. فعندما أراد أن يتجسد من أجل خلاص البشرية، حل بلاهوته فى بطن العذراء مريم، واتّخذ منها جسداً بروح عاقلة، واتّحد به اتحاداً كاملاً، وبعد تسعة شهور كاملة، خرج به من بطن العذراء مريم، إلهاً متأنساً، أى أنه إله ظهر فى إنسانية كاملة. فظهر طفلاً وهو الله الكلمة (يوحنا ١ :١) . إذن مع أنه إله لكنه اتحد بالناسوت، وظهر إنساناً كاملاً، مثله مثل أى إنسان آخر، فى كل ما للإنسان من صفات الإنسانية وخصائصها. وعلى هذا النحو، صار إنساناً، وابن إنسان لأنه ابن مريم، إذ أنه ولد منها، وخرج من أحشائها إنسانا كاملاً.

وقد حرص المسيح له المجد على أن يلقب ذاته بأنه ابن الإنسان، توكيداً لحقيقة تجسده تجسداً كاملاً، وبياناً منه له المجد، بأنه اتخذ له جسداً من طبيعة جسدنا، فلم يكن جسده شبحاً أو خيالاً، أو شبه جسد. ولم يكن جسده جسداً أثيرياً، وإنما كان جسداً مطابعاً لجسدنا، جسداً من مادة جسدنا، ومن طبيعته. فقد شابهنا فى كل شئ (العبرانيين ٢ :١٧) فيما عدا الخطيئة وحدها.

يقول الكتاب المقدس «والكلمة اتّخذ جسداً» (يوحنا ١ :١٤) ومعناه أن الكلمة أخذ جسداً أو «صار له جسد» .

ويقول «إذن إذ قد اشترك الأبناء فى اللحم والدم، اشترك هو كذلك فيهما، لكى يبطل بموته من كان له سلطان الموت أعنى إبليس» (العبرانيين ٢ :١٤) .

ويقول أيضاً إنّ الله «أرسل ابنه فى شبه جسد الخطيئة» (رومية ٨ :٣) .

ويقول «فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً، الذى إذ هو فى صورة الله، لم يكن يعتد مساواته لله إختلاساً، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وظهر بهيئة إنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (فيلبى ٢ :٥-٧) .

ويقول «من بولس عبد يسوع المسيح، المدعو ليكون رسولاً، المفروز لإنجيل الله، الذى وعد به من قبل على ألسنة أنبيائه فى الكتب المقدسة، عن ابنه، الذى صار من ذرية داود، بحسب الجسد» (رومية ١:١-٣).

ويقول «فلما تَم الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من إمرأة» (غلاطية ٤:٤).

ويقول «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد» (١. تيموثيئوس ١٦:٣). أنظر أيضاً (أعمال ٢:٣)، (١. يوحنا ١:٢)، (٢:٤).

هذا هو المعنى من أن المسيح يلقب **بابن الإنسان**، لأنه وهو الله الكلمة، ولد من مريم وهى إنسان، ولأنه اتخذ صورة الإنسان، وشكل الإنسان، وجسد الإنسان.

وقد كان المسيح له المجد حريصاً على هذا اللقب، لأنه برهان حبه للإنسان.

«وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلاً: من تقول الناس إنى هو، أنا ابن الإنسان؟» (متى ١٦:١٣).

«ومتى جاء **ابن الإنسان** فى مجده وكل الملائكة القديسين معه، يجلس عندئذ على عرش مجده» (متى ٢٥:٣١).

«وحينئذ سيرون **ابن الإنسان** آتياً على السحاب بقوة عظيمة ومجد» (مرقس ١٣:٢٦).

«سعداء أنتم إذا أبغضكم الناس ونبذوكم وعيَّروكم وأهانوا اسمكم مفترين الشر عليكم من أجل **ابن الإنسان**» (لوقا ٦:٢٢).

«ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، **ابن الإنسان** الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣:١٣).

«وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يرفع **ابن الإنسان**» (يوحنا ٣:١٤).

«ونحن لا نستطيع أن نحصى المواضع التى وردت فى الإنجيل والتى لقب فيها المسيح له المجد ذاته بلقب «**ابن الإنسان**» إنها كثيرة جداً.

أنظر على سبيل المثال (متى ٨:٢٠)، (٩:٦)، (١٠:٢٣)، (١١:١٩)، (١٢:٨، ٣٢، ٤٠)، (١٣:٤١)، (١٦:٢٧، ٢٨)، (١٧:٩، ١٢، ٢٢)، (١٨:١١)، (١٩:٢٨)، (٢٠:١٨، ٢٨)، (٢٤:٢٧، ٣٠، ٣٧، ٣٩، ٤٤)، (٢٥:١٣)، (٢٦:٢، ٢٤، ٤٥، ٦٤).

وغير ذلك، وعشرات النصوص فى الأناجيل الأخرى.

وأما أن المسيح هو **ابن الله**، فلأنه صورة الله الغير المنظور (كولوسى ١ :١٥)، (٢. كورنثوس ٤ :٤)، (فيلبى ٢ :٦)، (العبرانيين ١ :٣)، أى أن الله وهو الغير المنظور صار **منظوراً** فى المسيح. وتوكيداً لذلك قال المسيح له المجد «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤ :٩)، (يوحنا ١٢ :٤٥).

ثم إنّ المسيح هو **ابن الله**، لأنه من حيث لاهوته هو من طبع الله الآب، ومن جوهره، **أى** أنه من ذات طبيعته، ومن ذات جوهره. هو منه، وفيه، بغير إفتراق. وقد قال المسيح له المجد عن ذاته من حيث لاهوته «**أنا وأبى نحن معاً واحد**» (يوحنا ١٠ :٣٠)، (يوحنا ١٧ :١١، ٢٢)، (١٤ :٢٠).

* * *

معاذ الله أن يلد الله كما يلد الإنسان أو كما يلد الحيوان. فإن الولادة فى عالم الإنسان والحيوان تقتضى الجسد، بينما أن الله روح (يوحنا ٤ :٢٤).

إنما المسيح ابن الله، لأننا رأينا فيه الله الذى لا يرى، قال الإنجيل «الله لم يره أحد قط، **الابن الوحيد** الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ :١٨). **وحضن الآب هو** ذات الآب، وجوهره.

وبهذا المعنى ورد عن المسيح أنه ابن الله فى ما لا حصر له من النصوص المقدسة.

قال الملاك جبرائيل للعذراء مريم «إنّ روح القدس سيحل عليكِ، وقوة العلى ستظللكِ ولذلك فإن القدوس الذى سيولد منكِ، يدعى **ابن الله**» (لوقا ١ :٣٥).

«أما يسوع فظل صامتاً. فأجاب رئيس الكهنة وقال له: أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا: **هل أنت المسيح ابن الله**؟ فقال له يسوع: نعم أنا هو كقولك» (متى ٢٦ :٦٣، ٦٤).

وجاء فى الإنجيل للقديس مرقس «هذه بداية بشارة **يسوع المسيح ابن الله**» (مرقس ١ :١).

وجاء فى الإنجيل للقديس لوقا «وكانت الشياطين تخرج من كثيرين، وهى تصرخ قائلة: **أنت هو المسيح ابن الله**» (لوقا ٤ :٤١).

وجاء فى الإنجيل للقديس يوحنا: «وقد صنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة، لم تكتب فى هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا بأن يسوع **هو المسيح ابن الله**» (يوحنا ٢٠:٢٣، ٣١).

وجاء فى رسالة القديس يوحنا الرسول الأولى: فكل من اعترف بأن يسوع **هو ابن الله**، أقام الله فيه وهو يثبت فى الله» (١ . يوحنا ٤:١٥).

«من ذا الذى يغلب العالم إلا ذاك الذى يؤمن بأن يسوع هو ابن الله» (١ . يوحنا ٥:٥).

أنظر أيضاً (متى ٣:١٧)، (٤:٣)، (١٤:٣٣)، (١٦:١٦)، (١٧:٥)، (٢٨:١٩) (مرقس ١:١١)، (٣:١١)، (٩:٧)، (لوقا ٩:٣٥)، (يوحنا ١:٣٤، ٤٩)، (٦:٦٩)، (٩:٣٥، ٣٧)، (١٠:٣٦)، (١١:٢٧)، (أعمال الرسل ٨:٣٧)، (٩:٢٠)، (١٣:٣٣) (رومية ١:٣، ٤)، (١ . يوحنا ٥:١٣).

٣٠ ـ أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر

سؤال: من أحد القراء.

ما المقصود من قول السيد المسيح «أنا هو البداءة والنهاية، الألف والياء» مع أن الله ليس له بداءة ولا نهاية؟

الجواب :

لقد قال السيد المسيح «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية»، في مواضع متفرقة (الرؤيا ١ : ٨)، (٢١ :٦)، (٢٢ :١٣).

وقال أيضاً «أنا هو الأول والآخر» (الرؤيا ١ : ١٧)، (٢ : ٨)، (٢٢ : ١٣). والمعنى من قوله له المجد «أنا هو الألف والياء، البداءة والنهاية» أنه الأول الذى لا أول له، والآخر الذى لا آخر له ـ وبلغة أخرى أنه الأزلى الأبدى، السرمدى والسرمد. هو مبدىء الوجود، وأصل الحياة، فهو الأول الذى لم يسبق وجوده شئ، أى أنه الأول الذى أبدأ غيره، وأوجد غيره، لكنه لم يبدئه أحد. هو الألف، لأنه ليس هناك حرف آخر قبل الألف. وإذن فهو الأول الذى ليس له بداءة، لأنه لو كانت له بداءة، لكان مخلوقاً، أبدأه غيره. فلا بد أن يكون إذن هو الأول، ولا يسبقه فى الوجود آخر. ثم هو الياء، والياء هى نهاية الأبجدية، وليس ثمت بعدها حرف آخر. فهو الياء أى هو النهاية. لكنه هو لا ينتهى، لأنه لو كانت له نهاية لكانت له بداءة، وبذلك يكون مخلوقاً. ولو كانت له نهاية، لكان هناك آخر أقوى منه يضع له نهاية، وبالتالى يبقى بعده.

إذن هو الياء، وهو النهاية، وليست بعده نهاية. وهذا معناه أنه أبدى، والأبدى ما لا نهاية له، ولكنه هو يكون النهاية لكل كائن آخر غيره، أى هو الباقى دائماً، أى الأبدى.

إذن فالقول بأن المسيح هو الألف والياء، هو كقوله: أنا هو البداءة والنهاية، وهو كقوله «أنا هو الأول والآخر» أى أنه الأزلى الأبدى، الأزلى الذى لا بداءة له، والأبدى الذى لا نهاية له.

وهى الصفات التى لا يتصف بها إلا الله وحده. وهذا التعبير، قاله الله عن نفسه بفم إشعياء النبى:

«أنا الرب، الأول ومع الآخرين أنا هو» (إشعياء ٤١: ٤).

«قبلي لم يُصوَّر إله، وبعدي لا يكون» (إشعياء ٤٣: ١٠).

«أنا الأول، وأنا الآخِر، لا إله غيري» (إشعياء ٤٤: ٦).

«أنا هو، أنا الأول، وأنا الآخِر» (إشعياء ٤٨: ١٢).

وفي سفر الرؤيا يجمع المسيح له المجد جميع تلك الصفات، التي لا تنسب لغير الله تعالى، وينسبها إلى ذاته، فيقول:

«أنا الألف والياء، البداءة والنهاية، الأول والآخِر» (الرؤيا ٢٢: ١٣).

٣١ ـ لمن يُصلّى ؟

سؤال: من السيد / عبد الملاك جريس برايا ـ شبرا مصر.

أعتقد أن السيد المسيح عندما كان يُصلّى، كان الناسوت يُصلّى إلى الله، فهل الله يصلى، ولمن يُصلّى، لأنه هو فوق الجميع ونحن الذين نصلّى إليه ؟

الجواب :

نعم إن السيد المسيح عندما كان يُصلّى، كان يُصلّى كإنسان، لأنه أخذ إنسانية كاملة. وللإنسانية روح وجسد، وكما يُصلّى الإنسان بروحه (١ ـ كورنثوس ١٤:١٤) كان المسيح يُصلّى بروحه الإنسانية.

وأكثر ما ورد عن صلاة المسيح جاء على الخصوص فى الإنجيل للقديس لوقا، لأنه الإنجيل الذى اهتم إهتماماً واضحاً بإبراز الصفة الناسوتية فى المسيح، وأنه أخذ إنسانية كاملة، وبها شاركنا فى كل شئ، فيما خلا الخطيئة وحدها. ولما كان الإنجيل للقديس لوقا قد كُتب لليونان أولاً، وكانت اليونان تستثيرهم الفضائل الإنسانية، فقد قدم المسيح لهم من هذه الزاوية، مشاركاً للإنسانية فى كل شئ إنسانى، ما عدا الخطيئة. والصلاة إحدى الخصائص الإنسانية لأنها الصلة بين الإنسان وخالقه. والصلاة أنواع، منها صلاة التسبيح، وصلاة التمجيد، وصلاة التأمل، وصلاة الشكر، وصلاة الاسترحام، وصلاة الطلب، وصلاة الشفاعة، فى الآخرين...

فقد ورد عن المسيح أنه صلّى، وهو ينال العماد من يوحنا المعمدان «وفيما كان يُصلّى انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس فى صورة جسم يشبه الحمامة» (لوقا ٣: ٢١).

كما ورد عنه أيضاً أنه «كان يعتزل فى القفار ويُصلّى» (لو ٥: ١٦).

وفى الليلة السابقة على إختياره لتلاميذه الإثنى عشر، ورد:

«وفى تلك الأيام صعد إلى الجبل ليُصلّى. وهناك قضى فى الصلاة إلى الله الليل كله. فلما طلع النهار دعا إليه تلاميذه، واختار منهم إثنى عشر» (لوقا ٦: ١٢، ١٣).

وقبيل سؤاله لتلاميذه عمن يكون هو فى حقيقته:

«وفيما كان يُصلّى على إنفراد وكان تلاميذه معه، فسألهم قائلاً: من تقول الناس إنى أنا؟» (لو ٩: ١٨).

وعندما صعد إلى جبل التجلى:

«وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا، وصعد إلى الجبل ليُصلّى» (لوقا ٩ : ٢٨).

وقبل أن يُعلّم تلاميذه الصلاة الربانية:

«وكان يُصلّى فى بعض المواضع، فلما فرغ قال له أحد تلاميذه: «يارب، علّمنا أن نُصلّى، كما علّم يوحنا تلاميذه». فقال لهم: «متى صلّيتم فقولوا: أبانا الذى فى السماوات» (لوقا ١١ : ١، ٢).

وبعد أن صنع معجزة إشباع الجموع من خمس الخبزات والسمكتين، وصرف الجماهير وألزم تلاميذه أن يسبقوه إلى عبر بحيرة طبرية:

«حتى إذا صرف الجموع صعد إلى الجبل، منفرداً، ليُصلّى. فلما جاء المساء كان هناك وحده» (متى ١٤ : ٢٣)، (مرقس ٦ : ٤٦)، (يوحنا ٦ : ١٥).

وورد عنه أيضاً فى موضع آخر:

«وفى الصباح نهض مبكرا جدا، وخرج ومضى إلى موضع قفر ومكث هناك يُصلّى» (مرقس ١ : ٣٥)، (لوقا ٤ : ٤٢، ٤٣).

ولئن لم يرد فى جميع النصوص الآنفة الذكر منطوق الصلوات التى صلاها المسيح، كما لا نعرف من أى طراز كانت تلك الصلوات: أكانت صلوات تأمل، أو تمجيد، أو تسبيح، أو شكر، ولكنها على جميع الأحوال كانت (**مناجاة**). على أننا نلتقى فى بستان جثسيمانى، وفى ليلة آلامه، بصلاة طلب صريحة، وكانت مصحوبة بجهاد وعرق.

قال الإنجيل:

«ثم جاء معهم يسوع إلى ضيعة تدعى جثسيمانى، وقال لتلاميذه: «اجلسوا أنتم هنا ريثما أذهب أنا وأُصلّى هناك. ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا إبنى زبدى وبدأ يحزن ويرتاع ويكتئب. وقال عندئذ لهم: إن نفسى حزينة حتى الموت. فامكثوا أنتم هنا واسهروا معى. ثم ابتعد قليلاً نحو رمية حجر، وخرّ على وجهه على الأرض، وصلّى لكى تعبر عنه الساعة إن أمكن، قائلاً: أبتِ، أيها الآب، إن كل شئ مستطاع لك، إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس. ولكن لا

كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت. ثم جاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً، فقال لبطرس: أنائم أنت يا سمعان؟ أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟ اسهروا، وصلّوا لئلا تدخلوا فى تجربة. إنّ الروح نشيط مستعد وأما الجسد فضعيف. ثم ذهب ثانية وصلّى قائلاً: يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس ولم يكن بد من أن أشربها فلتكن مشيئتك. ثم عاد فوجدهم نياما أيضاً، إذ كانت أعينهم مثقلة بالنعاس، فلم يدروا بماذا يجيبونه، فتركهم وذهب أيضاً وصلّى للمرة الثالثة قائلاً، تلك الكلمات بعينها. وإذ كان يكابد آلاماً عنيفة أخذ يصلّي بأشد حرارة وهو جاث على ركبتيه، وكان عرقه كقطرات الدم يتساقط على الأرض، ثم نهض من الصلاة وجاء إلى تلاميذه» (متى ٢٦: ٣٦ – ٤٥)، (مرقس ١٤: ٣٢ – ٤١)، (لوقا ٢٢: ٣٩ – ٤٥).

على أنه مما تجدر الإشارة إليه وتقريره بوضوح، **أن المسيح فى بستان جثسيمانى قد صلّى كإنسان صلاة الطلب، لأنه كان فى تدبير الفداء بديلاً عنا، أى أنه صلّى كنائب عن البشرية وشفيع فيها، وفادٍ لها.**

وفيما عدا ذلك، تكون صلاته إلى الآب السماوى، من حيث لاهوته الكائن مع الآب فى جوهر الذات الإلهية، من قبيل المناجاة بين أقنوم الابن وأقنوم الآب فى داخل الوحدة الثالوثية، على غرار المناجاة التى تدور فى داخل الإنسان بينه وبين نفسه، فيقول مثلاً: «قلت لنفسى، أو قلت فيما بينى وبين نفسى». **لأن الابن - من حيث لاهوته ليس أقل من الآب فى الجوهر** حتى يطلب منه كما يطلب العبد من الرب. وقد قال المسيح له المجد صراحة فى ذلك «ولا أقول لكم إنّنى سأطلب إلى الآب من أجلكم» (يوحنا ١٦: ٢٦).

ولبيان **الوحدة الجوهرية بين أقنوم الابن وأقنوم الآب**، قال المسيح له المجد «إنّنى لست وحدى لأن أبى معى» (يوحنا ١٦: ٣٢) وقال أيضاً «من رآنى فقد رأى الآب. إنّى أنا في أبى وأن أبى فىّ... صدقونى إنى فى أبى، وإن أبى فىّ... فكل ما تطلبون باسمى أنا أفعله لكم لكى يتمجد الآب فى الابن. فإن طلبتم شيئاً بإسمى أفعله...» (يوحنا ١٤: ٩ – ١٤)، وقال أيضاً «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠: ٣٠) **أى أن الابن والآب قائمان معاً فى جوهر واحد، وذات إلهية واحدة.**

ومن قبيل المناجاة بين أقنوم الابن وأقنوم الآب فى داخل الوحدة الثالوثية، قول المسيح ينادى الآب على مسمع من تلاميذه ومن الجماهير المحيطة به، «يا أبتاه مجِّد إبنك. فجاء صوت من السماء يقول: قد مجَّدت، وسأظل أُمجِّد. فلما سمع الجمع الذين كانوا واقفين قالوا: إنه رعد قد أرعد. وقال آخرون إن ملاكاً هو الذى كلَّمه. فأجاب يسوع وقال: ليس من أجلى كان هذا الصوت ولكن من أجلكم» (يوحنا ١٢ : ٢٨ – ٣٠).

إن هذه المناجاة ليست طلباً، لكنها مخاطبة باطنية تجرى بين أقنومين فى جوهر واحد، متساويين فى جميع الصفات والكمالات الإلهية، لأن الله واحد، ووحدانيته ليست وحدانية مصمتة بل هى وحدانية حية ذات خاصيات ثلاث متميزة، هى الأقانيم الثلاثة فى الإله الواحد.

٣٢ ـ هل كان فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد؟

سؤال: من السيد يوحنا شكرى معوض يوسف ـ قنا.

كيف كان السيد المسيح فى السماء وعلى الأرض فى وقت واحد، وهل خلا كرسى عظمته فى السماء أثناء تجسده على الأرض؟

الجواب :

السيد المسيح كائن بلاهوته منذ الأزل، أى أنه كان يملأ بوجوده السماوات والأرض قبل أن يتجسد وقبل أن يصير له كيان منظور محسوس. وعندما تجسد كان ولم يزل يملأ السماوات والأرض من وجوده، وكان بلاهوته يملأ كل مكان، أى أنّه عندما كان بكيانه المحسوس على الأرض كان ولم يزل بلاهوته يملأ السماوات. وبعبارة أخرى كان فى الأرض، ومع ذلك كان جالسا على العرش فى السماء يدير حركة الكون ويدبر شئون الأحياء فى كل الوجود.

وعن هذه الحقيقة الإلهية يقول الرب يسوع نفسه «ما من أحد صعد إلى السماء، إلا ذلك الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء» (يوحنا ٣ : ١٣).

والمعنى من ذلك أنّ السماء العليا، أو سماء السماوات، حيث العرش الإلهى، لم يصعد إليها بعد أحد من الناس. إنّما المسيح، مع أنّه فى صورة الإنسان، هو الوحيد الذى يملك أن يصعد إليها، لأنّه نزل منها، وهو كائن فيها على الرغم من أنّه فى نفس الوقت قائم على الأرض بكيانه المحسوس.

ومثل المسيح فى كيانه المحسوس على الأرض مثل المصباح المتوهج بالنور. فعلى الرغم من أنّ له جسما، لكن النور ينفذ من خلال الجسم الزجاجى وينتشر فى المحيط الخارجى فى جميع الجهات، شرقا وغربا وشمالاً وجنوباً.

ولا ننسى أن نذكر فى هذا الصدد قصة العلّيقة التى رآها موسى النبى تشتعل بالنار، وصوت الله يكلمه منها قائلا: «اخلع نعلك من رجليك، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة... أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب» (الخروج ٣ : ٥، ٦)، فهل أخلى الله السماء من وجوده عندما كلّم موسى فى العليقة؟ كلا، فإن ظهور الله وتجلّيه بصورة محسوسة منظورة فى مكان ما لا يبطل وجوده فى السماء فى نفس الوقت، مثله مثل النور فى المصباح، لا يحده المكان ولا يحجبه. هكذا المسيح له المجد، كان بتجسده كائناً على الأرض، وهو بلاهوته كائن فى السماء فى الوقت الذى كان على الأرض وفى كل مكان.

٣٣ ـ مسيحى زوجته من شهود يهوه

سؤال: من أحد المسيحيين فى بلاد المهجر.

الجواب :

قرأت أكثر من مرة خطابك المؤرخ ٢ من سبتمبر لسنة ١٩٨٠ وتألمتُ كثيرا للمشكلة التى تعيشها. إنّ قلبى معك، وأحسُ بإحساسك. لقد أخذتم درسا عمليا فى نتائج الزواج بإمرأة تختلف عنك عقيدةً وإيمانا. إن شهود يهوه يكفرون بالمسيح ولا يؤمنون به إلها، وهم يعرفون عند الشرقيين والغربيين بالأريوسيين، ويعرف مذهبهم بالأريوسية الجديدة New Arianism ولذلك فإن مجلس الكنائس العالمى رفض إنضمامهم إليه على أساس أنهم غير مسيحيين. إنهم فى حقيقتهم يهود، ويهود صهاينة. يريدون العودة إلى اليهودية، وينكرون التثليث، والحياة الآخرة، ويتنكرون لكل ما جاء به المسيح له المجد فى العهد الجديد.

فإن أصرّت هذه الزوجة على مبادئها، يمكنك أن تطلب التطليق منها، ليس مدنيا فقط، بل كنسياً أيضا. ذلك لأنّها تحسب أنها قد اعتنقت دينا آخر. ويمكنك بعد ذلك أن تستصدر من الكنيسة تصريحا بالزواج بأخرى، أرثوذكسية. أمّا أولادك منها فإن لم تستطع أن تضمهم إليك ـ وأحسب أنّ ذلك ممكن نظرا لأن الزوجة صارت تتبع دينا غير الدين المسيحى ـ فأنصح أن يكون للكنيسة دور إيجابى فى تربية الأولاد على المبادئ المسيحية الأرثوذكسية. ولابدّ للآباء الكهنة أن يعاونوك فى حلّ رباطك من هذه الزوجة، وأن يتعهدوا أولادك بالرعاية الأبوية.

٣٤ ـ قدوس الحيّ الذى لا يموت

سؤال: من الإكليريكى غطاس زكى حنا.

يتساءل كثير من الناس قائلين: كيف نوفق بين قولنا فى تسبيحة (الثلاثة التقديسات). «قدوس الله، قدوس الحيّ الذى لا يموت»، وبين قولنا فى تسبيحة أخرى فى نفس القداس «بموتك يارب نبشر..» ؟

الجواب :

عندما نقول «قدوس الله، قدوس الحيّ الذى لا يموت» فالمعنى المقصود يتجه إلى المسيح **من حيث لاهوته**. أمّا عندما نقول «بموتك يارب نبشر» فنحن نتجه إلى المسيح **من حيث ناسوته. فالمسيح الإله (قد ذاق الموت بالجسد)**.

نعم، إنّ المسيح له المجد هو الله ذاته متجسدا. وهو لذلك يجمع بين كونه إلها، وبين كونه إنسانا. فهو إله كامل فى ألوهته، وفى نفس الوقت إنسان كامل فى إنسانيته. ولاهوته قد اتّحد بالناسوت الذى اتّخذه من العذراء مريم من طبيعة جسدنا فى كل شئ، فيما عدا الخطيئة وحدها. وبقوة هذا الاتّحاد صار المسيح هو الله متأنسا، طبيعة واحدة من طبيعتين، أى طبيعة واحدة لها خصائص وصفات الطبيعتين مجتمعة معا، بغير اختلاط ولا امتزاج، ولا تغيير.

ولما كان اتّحاد اللاهوت بالناسوت اتّحادا حقيقيا وكاملا، فهو اتّحاد لا يقبل الانفصال أو التجزئة أو التقسيم.

ولذلك يمكن أن نقول عن المسيح إنّه (حيٌ لا يموت)، إذا قصدنا الكلام عن لاهوته، إذ أنّ لاهوته هو بعينه لاهوت الآب والروح القدس، لاهوت واحد، لأن الله واحد، والله حيّ لا يموت.

أمّا إذا قلنا «بموتك يارب نبشر» فالموت هنا، ليس للاهوت لأن اللاهوت لا يموت، ولكن الموت للناسوت. وموت الناسوت مثله مثل الموت فى كل إنسان، هو افتراق الروح من الجسد. فكما أن الإنسان تفترق بالموت روحه عن جسده، هكذا المسيح قد ذاق الموت فى جسده، فافترقت روحه الإنسانية عن جسده مع دوام اتّحاد كل من روحه الإنسانية وجسده بلاهوته الذى لا يموت.

لذلك لما قال الإنجيل، عن المسيح وهو على الصليب أنه «أسلم الروح» (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦) كان المقصود بهذه الروح، ليس اللاهوت، وإنّما الروح الإنسانية، لأن المسيح لم يتخذ جسدا بدون روح، بل **اتّخذ له إنسانية كاملة من روح وجسد معا.**

وإذن اللاهوت لم يفارق الناسوت على الصليب، وإنما المفارقة كانت بين الروح الإنسانية والجسد. ولذلك ظل جسد المسيح حياً باللاهوت، على الرغم من مفارقة الروح الإنسانية له. وهذا هو سبب تدفق الدم والماء من جنبه عندما طعنه الجنديّ بعد أن أسلم الروح (يوحنا ١٩ : ٣٤)، الأمر الذى لا يحدث بتاتا لميت، ولذلك فإنّ الجنديّ صرخ قائلا: «حقا كان هذا الإنسان هو ابن الله» (مرقس ١٥ : ٣٩)، (متى ٢٧ : ٥٤).

وملاك القول أنّ المسيح من حيث لاهوته (هو الحىّ الذى لا يموت)، وأمّا من حيث ناسوته فقد (ذاق الموت بالجسد). ولاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين.

٣٥ ـ مولود غير مخلوق (١)

سؤال : من الأب الموقر القمص ميخائيل منصور كاهن كنيسة السيدة العذراء بأبو المطامير ـ بحيرة.

يقول : (ما معنى قول قانون الإيمان «إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق»، وهل تنطبق هذه العبارة على المسيح أم على لاهوته أم على ناسوته) ؟

الجواب

إن المسيح له المجد مولود غير مخلوق، أولا من حيث لاهوته. على أنه لما كان لاهوته متحدا بناسوته اتحادا تاما، فما يقال على اللاهوت قبل التجسد يقال على مخلصنا وفادينا يسوع المسيح من غير تفريق بين لاهوته وناسوته، حيث أن فيه اتحد اللاهوت بالناسوت اتحادا كاملا من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

ولا يخفى أن قانون الإيمان قد وضعه آباء مجمع نيقية ليكون تحديدا للعقيدة الأرثوذكسية فى لاهوت السيد المسيح له المجد، ردا على أريوس الهرطوقى الذى أنكر أزلية المسيح يسوع ووجوده السابق على تجسده المنيف.

وعلى ذلك اهتم المجمع النيقاوى بإبراز وجود الله الكلمة، وهو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس، منذ الأزل، قبل كل الدهور. ولا شك أن **المقصود هو الإلحاح على أزلية الابن، وأنه لم يبدأ وجوده من مريم العذراء، وإنما كان كائناً بلاهوته قبل كون العالم، لأن مخارجه منذ القدم، منذ أيام الأزل** (ميخا ٥ : ٢). وكما يقول الإنجيل «فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله» (يوحنا ١ : ١). والبدء فى هذا النص القدسى هو الأزل الذى لا بدء له.

ولما لم يكن عند أريوس والأريوسيين شك فى ميلاد المسيح الجسدى من الروح القدس ومريم العذراء، وكانت البدعة الأريوسية منصبة على وجود المسيح السابق على التجسد، لذلك فإن

---

(١) مقال للمؤلف نشر فى مجلة (الكرازة) السنة الثالثة ـ عدد ١، ٢ ـ يناير ـ فبراير لسنة ١٩٦٧م.

عبارة «مولود غير مخلوق» تتجه أصلا وبالذات إلى لاهوت المسيح، وأنه أزلى، وبالتالى فهو «غير مخلوق».

ودليلنا على هذا مفهوم البدعة الأريوسية من جهة، ثم منطق وتسلسل التحديد العقيدى الوضاح فى العبارات السابقة على عبارة «مولود غير مخلوق». يقول القانون النيقاوى «نؤمن برب واحد يسوع السيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، **مولود غير مخلوق**، واحد مع الآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ، الذى من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء...».

فواضح من هذا المنطق والتسلسل المتتابع أن السياق العام السابق واللاحق لعبارة **«مولود غير مخلوق» يقتضى أن يكون معناها منصبا على الله الكلمة، الأقنوم الثانى قبل التجسد، من حيث لاهوته الأزلى الكائن قبل كل الوجود، وقبل كل الدهور.** وفى هذا التوكيد رد مباشر على البدعة الأريوسية والأريوسيين ومن يذهب مذهبهم فى إنكار أزلية المسيح ووجوده السابق على التجسد منذ الأزل، من أمثال شهود يهوه، وهم أصحاب الأريوسية الجديدة. وبديهى أن تعبير «مولود» **مقصود به لا الميلاد الزمنى من الروح القدس ومريم العذراء، وإنما المقصود به أولا الميلاد الأزلى حيث أن الله الكلمة هو الابن، والابن الوحيد لله الآب، ولكنه مولود لا كما يولد الإنسان من الإنسان أو الحيوان من الحيوان، وإنما كما يولد النور من النور، ولذلك شرح القانون حقيقة هذا الميلاد بقوله «نور من نور».**

وأما قوله «غير مخلوق» فهو رد مباشر على أريوس الذى زعم أن الله قد خلق المسيح، وأنكر بذلك لا أزلية الابن فقط بل أنكر عقيدة الثالوث القدس أيضا، وأراد أن يجعل من المسيح مخلوقا مثل سائر الناس، الأمر الذى رفضه آباء مجمع نيقية فى شدة وفى حزم، لأنه يخالف نصوص الكتب المقدسة وتعاليم الرسل المستقرة بالتقليد فى الكنيسة المقدسة.

وهنا نجيب على سؤال آخر :

هل جسد المسيح مخلوق ؟

أقول نعم إن الجسد من حيث هو جسد، مخلوق، وقد تكوّنِ بالروح القدس من مريم العذراء، من دمها ولحمها.. «فلذلك يقول عند دخوله العالم : ذبيحة وتقدمة لم تشأ لكنك هيأت لى جسدا» (العبرانيين ١٠ : ٥) أنظر (يوحنا ١ : ١٤) ، (العبرانيين ٢ : ١٤) ، (٥ : ٧) ، (١ . بطرس ٢ : ٢٤) .

ومع ذلك بعد التجسد لا نجرؤ على أن نفصل بين ناسوت المسيح ولاهوته، لأنهما منذ التجسد قد اتحدا بغير افتراق ولا انفصال، ولا يجوز بتاتا أن نميز أو نفصل بين الناسوت واللاهوت أو نفرق بينهما، وإذا فصلنا بين خصائص الناسوت وخصائص اللاهوت، فنفصل بين الخصائص فصلا ذهنيا فقط، لا فصلا واقعيا، لأنه فى الواقع لم يعد فى الإمكان أن نفصل بينهما بعد الاتحاد، لأنه اتحاد كامل لا يقبل الانفصال أو الافتراق.

٣٦ ـ ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمهما أحد (١)

سؤال : من الابن محسن مقار برتى.

نجل الدكتور برتى جندى صاحب الصيدلية الجديدة ـ بأبو تيج.

يسأل عن تفسير قول المسيح له المجد «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد، ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن، إلا الآب» (مرقس١٣ :٣٢).

الجواب :

وللإجابة أقول ـ أنت تعلم أن المسيح يجمع فى شخصه المبارك بين اللاهوت والناسوت، فهو باللاهوت متحد مع الآب ومع الروح القدس، وبالناسوت متحد مع الناس فى الإنسانية. فالمسيح لا يعلم يوم القيامة بصفة ناسوته، ولكنه يعلم يوم القيامة بصفة لاهوته.

وللمسيح إلهنا قصد فى هذا التعبير حتى يخفى معرفة يوم القيامة عن التلاميذ وعن سائر الناس ليكونوا دائماً مستعدين لهذا اليوم وتلك الساعة.

ومثل المسيح له المجد فى ذلك مثل المعلم الذى يرفض الإفضاء بنتيجة تلميذه فى الامتحان قبل أن تعلن رسميا بمعرفة إدارة المدرسة، ولو أنه أفضى بها قبل إعلانها رسميا لكان بذلك متجاهلا الحكمة فى عدم إعلانها قبل أن تستكمل من جميع الوجوه. فلله حكمة فى أن يظل يوم القيامة مجهولا، وإعلان المسيح عن هذا اليوم يتعارض مع هذه الحكمة. لذلك وحتى يغلق الباب أمام تلاميذه فلا يسألونه، قال : إنه لا يعلمها، أى لا يعلمها العلم الذى يفضى به إليهم أو إلى الجماهير. وهو فعلا لا يعلمها بصفته الناسوتية وإن كان يعلمها بصفته اللاهوتية (٢).

---

(١) تاريخ الجواب على الخطاب ٩ من مارس لسنة ١٩٧٠م ـ ٣٠ من أمشير لسنة ١٦٨٦ش.
(٢) لقد عالجنا هذا الموضوع بتفصيل أكثر فى إجابة السؤال رقم ٢٧ ص ٦٥٥ – ٦٥٩.

٣٧ ـ الله الغير المنظور صار منظوراً فى المسيح (١)

سؤال : من السيد اسحق سدرة القمص ـ شارع رقم ٤٢ سيدى بشر ـ بالأسكندرية.

يقول : لقد عاش السيد المسيح ثلاثين سنة على الأرض، وقد رآه الناس.. والمسيح هو الله... والله لم يره أحد.. أرجو التكرم بتوضيح ذلك.

الجواب :

لقد قال الإنجيل للقديس يوحنا : «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

وقال الوحى الإلهى على فم القديس الرسول بولس أيضا «الذى وحده له عدم الموت ساكنا فى نور لا يدنى منه، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه» (١. تيموثيئوس ٦:١٦)
وقال الوحى الإلهى على فم القديس يوحنا الرسول «الله لم ينظره أحد قط» (١. يوحنا ٤ : ١٢).

والكلام هنا منصرف إلى اللاهوت قبل التجسد، أى إلى اللاهوت من دون الناسوت.

وهذا هو السبب فى أن الله ليجعل نفسه منظورا احتجب لاهوته فى الناسوت واستتر به واختفى فيه. فالسيد المسيح وهو الإله المتأنس. فيه اللاهوت محتجب فى الناسوت. ولذلك فهو الله الغير المنظور، وقد صار منظورا. يقول الرسول بولس «الذى هو صورة الله الغير المنظور» (كولوسى ١ : ١٥) أى أن السيد المسيح هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور.

لذلك قال الرب يسوع لفيلبس «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ : ٩) أى أن الآب غير منظور، ولا يرى لأنه غير متجسد، لكن التجسد جعل الله وهو الغير المنظور، منظورا. فمن رأى المنظور فقد رأى فى نفس الوقت الغير المنظور. لأن المنظور للناس هو فى حقيقته وجوهره الغير المنظور بعد أن احتجب فى الناسوت، وصارت رؤيته ممكنة للناس.

---

(١) مقال للمؤلف نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٥ من يناير ـ كانون ثان ـ لسنة ١٩٧٥م ـ ٢٧ كيهك لسنة ١٦٩١ش.

٣٨ ـ أبعد عنى هذه الكأس (١)

سؤال : من الابنة آمال فـ. ش. بشبرا.

صلى السيد المسيح فى بستان جثسيمانى قائلا :

«أبتِ، أيها الآب، إن كل شئ مستطاع لك، فأبعد عنى هذه الكأس، ولكن لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» (مرقس ١٤ : ٣٦)، فلماذا يطلب المسيح ذلك، وقد جاء من السماء لهذا الغرض؟

الجواب :

إن السيد المسيح هو الإله المتأنس، أى أنه يجمع بين كونه إلها وبين كونه إنسانا. فمن حيث هو إله كان له نفس تدبير الآب من أجل خلاص الإنسان. ولذلك فقد نزل خصيصا من السماء لتحقيق الخلاص، واتّخذ شكل الإنسان، ليكون بديلا عن الإنسان، فيفديه، بأن يحتمل فى جسده الحكم الذى حكم به العدل الإلهى على الإنسان.

ثم هو، من حيث أنه أخذ صورة الإنسان، فبهذه الصفة يتكلم أى بصفته إنسانا، معبرا عن فداحة الألم الذى احتمله فى إنسانيته، حيث أنه قد اتّخذ إنسانية كاملة غير ناقصة فى شئ، فكان لابد أن يتألم آلاما حقيقية. ولما كان عالما بهذه الآلام النفسية والجسدية التى احتملها، والتى هو مقدِم عليها كما يقول الإنجيل «فخرج يسوع وهو عالم بكل ما سيأتى عليه» (يوحنا ١٨ : ٤)، فكان لابد له كإنسان أن يرتاع، وأن يحزن، وأن يكتئب» (متى ٢٦ : ٣٧)، (مرقس ١٤ : ٣٣). مما هو مقدِم عليه، لأنه اتّخذ إنسانية مطابعة لإنسانيتنا، أى من ذات طبيعتنا، وإذن لم يكن قوله، له المجد، «أبعد عنى هذه الكأس»، استعفاء من الصليب، وإنما كان قوله فى الواقع بيانا وإفصاحا عن حقيقة آلامه، وأنها كانت آلاما مريعة تفزع منها طبيعة الإنسان نظرا لقسوتها، وإن كانت ضرورية ولازمة لخلاص آدم وذريته، من عقوبة الموت الأبدى، ولرفع الحكم الذى أصدره العدل الإلهى على الجنس البشرى بأسره.

ومن هذا القبيل ما عبر عنه الرب يسوع مرة أخرى قبل صلبه «نفسى الآن قد اضطربت، فماذا أقول؟ يا أبتاه، نجنى من هذه الساعة، ولكننى من أجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يوحنا ١٢ : ٢٧).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ١٦من مايو ـ آيار لسنة ١٩٧٦م ـ ٨ من بشنس لسنة ١٦٩٢ش.

أما قوله «ولكن لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» فلا يفهم منه أن مشيئة الابن تغاير مشيئة الآب، أو تختلف عنها، أو تتعارض معها، لأن المسيح له المجد سبق فأبان أنه وضع ذاته ضحية عن البشر وفداء عنهم، بمحض إرادته ومشيئته، فقد قال : «ما من أحد ينتزعها منى، وإنما أبذلها أنا وحدى من ذاتى. فلى سلطان أن أبذلها، ولى سلطان أن أستردها» (يوحنا ١٠ : ١٨).

وإذن فمشيئة الابن هى مشيئة الآب، وليس هناك انقسام ولا اختلاف بين مشيئتين، لأن للابن والآب مشيئة واحدة، إذ هما أقنومان فى جوهر واحد غير منقسم. وقد قال المسيح له المجد «أنا وأبى نحن معا واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) أى أن الابن والآب جوهر واحد، وذات إلهية واحدة، وإله واحد، لأنه لا يوجد غير إله واحد (١. كورنثوس ٨ : ٤، ٦)، (رومية ٣ : ٣٠)، (غلاطية ٣: ٢٠).

إنما قول المسيح «لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» بيان وإيضاح لوحدانية المشيئة بالفعل، وأن هذه المشيئة هى مشيئة الآب، لكنها أيضا فى نفس الوقت مشيئة الابن».

كذلك قول المسيح له المجد بيان لوحدانية المشيئة فى ناسوت الرب يسوع ولاهوته. فليس للاهوت مشيئة، وللناسوت مشيئة أخرى. إنما مشيئة اللاهوت هى المشيئة الفاعلة، ومشيئة الناسوت متحدة مع مشيئة اللاهوت، لأن الناسوت واللاهوت طبيعة واحدة من طبيعتين، فمشيئة الرب يسوع هى مشيئة واحدة من مشيئتين، وكما أن الناسوت اتحد باللاهوت فى تجسد الكلمة، اتحادا جوهريا كاملا وتاما، بحيث لم يعد فى المسيح طبيعتان، وإنما طبيعة واحدة لها جميع خصائص الطبيعتين معا، كذلك اتحدت مشيئة الناسوت مع مشيئة اللاهوت، فصار لهما بالاتحاد مشيئة واحدة غير منقسمة.

وإذا كان قول المسيح له المجد «لا كمشيئتى أنا، بل كمشيئتك أنت» يظهر فيه تفرقة بين مشيئتين، فهذه التفرقة تفرقة ذهنية وليست واقعية أو فعلية، شأنها شأن التفرقة بين اللاهوت والناسوت، فهى تفرقة ذهنية على ما يقول البابا كيرلس الأول عمود الإيمان «أما فى المسيح بالفعل فلا نستطيع أن نفرق أو نفصل بين اللاهوت والناسوت، لأن المسيح إله متأنس، يجمع بين اللاهوت والناسوت، لا على سبيل المصاحبة بل بفعل الاتحاد. واتحاد الإثنين يجعلهما واحداً. وإلآ فلا يكون الاتحاد حقيقيا».

٣٩ ـ المسيح وهو أقنوم الرحمة هو الذى سيدين بالعدل (١)

سؤال : من السيد / نادر فرنسيس ميخائيل وقرينته السيدة / هلجا أمان.

ردا على خطابكم واستفساركم عما قاله لكم شهود يهوه، أرجو أولا أن تقرأوا ما كتبناه فى موضوع «أنت هو المسيح ابن الله» فى هذا الجزء من الموسوعة.

غير أنكم ذكرتم فى خطاباكم أنكم تودون تفسير ما ورد فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى كورنثوس ابتداء من عدد ٢٠ – ٢٨ إلآ إنكم لم تذكروا الإصحاح.

ولكن ربما تقصدون ما ورد فى الأصحاح الخامس عشر «ومتى أخضع له كل شئ، فحينئذ سيخضع الابن هو نفسه لذاك الذى أخضع له كل شئ، فيكون الله كل شئ فى كل شئ» (١ .كورنثوس ١٥ : ٢٨).

وبصفة مؤقتة وموجزة، أقول فى تفسير هذه الآية، إن الرسول يتكلم عن سيادة الله تعالى وسلطانه المطلق على الخليقة وعلى الشيطان وسلطانه على الموت. والمعروف أن الله هو واحد، ولكن صفاته الذاتية، أو أقانيمه ثلاثة، كما علمنا المسيح له المجد «عمدوهم باسم الآب والابن. والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩). لكنه فى تدبير الفداء والخلاص للبشرية اشترك بأقانيمه الثلاثة فى تدبير هذا الفداء. فالآب (وهو الله من حيث هو أصل الوجود، وهو دائما يمثل الحاكم العادل ـ وهو أيضا الذى أصدر حكمه على الإنسان بالموت عندما أخطأ). والابن (وهو الله ذاته من حيث هو حكمة الله ورحمته) هو الذى قام بعمل الفداء بأن اتّخذ إنسانيتنا وتجسد... وصلب ومات... وقام وصعد إلى السماء، ودخل فى السماء بذبيحة نفسه، فوجد بصفته نائبا عن البشرية الفداء، وحقق لنا الخلاص. والروح القدس (وهو الله من حيث هو أصل الحياة وباعث الحياة)، أخذ استحقاقات المسيح الفادى ونقلها إلينا فى قنوات الأسرار المقدسة كالمعمودية والتناول وباقى الأسرار.

أما خضوع الابن للآب، فهو معنوى، بمعنى خضوع صفة الرحمة التى يمثلها الله الابن، لصفة العدل التى يمثلها الله الآب.

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) صباح الأحد ٦ من فبراير ـ شباط لسنة ١٩٧٧م ـ ٢٩ من طوبه لسنة ١٦٩٣ش.

ذلك لأن الله، وإن كان رحم البشر، وفداهم، لكنه عين أخيرا يوما للحساب والدينونة. فهل الحساب سيكون حسب الرحمة أم سيكون حسب العدل؟ طبعا سيكون حسب العدل. إذن عمل الرحمة ممثلا فى الله الابن سينتهى بالدينونة والحساب وهو عمل الله الآب. لأن الله بصفته الآب قد حكم على جنس البشر بالموت، وهو الذى تطلب الفداء لخلاص الإنسان وعودته إلى الفردوس، وهو الذى سيتطلب العدل فى محاسبة المخلَّصين فى يوم الدين والحساب.

هذا هو معنى خضوع الابن للآب، أى خضوع الرحمة للعدل، ليتم الحساب حسب عدل الله لا على حسب رحمته، لأنه «سيجازى كل واحد على حسب أعماله» (متى ١٦ : ٢٧) ، (رومية٢ : ٦).

ومع ذلك، فالله الابن هو الذى سيتولى الدينونة والحساب، على الرغم من أنه هو الله الفادى. يقول الإنجيل للقديس متى «ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده... يجلس عندئذ على عرش مجده، وتجتمع أمامه كل الشعوب، فيفرز بعضهم من بعض.. إلخ» (متى ٢٥ : ٣١، ٣٢). وإذن فالله هو العادل وهو الرحيم وهو الديان أيضا. هو الحاكم أولا بصفته الله الآب، والرحيم بصفته الله الابن، والديان بصفته الآب. لكن الله الابن هو الذى سيقوم بالدينونة وبالمجازاة. قال المسيح «فإن الآب لا يدين أحداً، وإنما سلم القضاء كله للابن، ليمجد الجميع الابن كما يمجدون الآب» (يوحنا ٥ : ٢٢، ٢٣).

٤٠ ـ عن السنكسار ـ تحت اليوم السابع عشر من شهر أمشير
المسيح ابن الله بنوته روحية أزلية

القديس مينا وكان راهبا متعبدا قبل أن يملك العرب. فلما ملك العرب البلاد وسمع بأنهم ينكرون أن يكون لله ابن من طبيعته ومن جوهره، مساو له فى الأزلية، عز عليه هذا القول واستأذن رئيس الدير، وذهب إلى الأشمونين، وتقدم إلى قائد العسكر هناك، وقال له : أحقا تقولون إنه ليس لله ابن من طبيعته وجوهره. فقال له : نعم، نحن ننفى عن الله هذا القول، ونتبرأ منه. فقال له القديس : إنما **يجب أن تتبرأ منه إذا كان ذلك عن طريق التناسل الأبوى، ولكن اعتقادنا أن الرب يسوع إله من إله نور من نور...** فقال له القائد : هذا فى شريعتنا كفر. فقال له القديس اعلم أن الإنجيل يقول «من يؤمن بالابن له الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (١) فغضب القائد جدا من هذا القول، وأمر جنوده فقطعوا القديس بالسيوف إربا إربا، وطرحوه فى البحر. فجمع المؤمنون أجزاء جسده، وكفنوه ودفنوه (٢).

٤١ ـ من التاريخ :
المسيح روح الله وكلمته وليس نبيا فقط

«قال البابا البطريرك الأنبا يوحنا الخامس البابا ٧٢ من بطاركة الكرسى المرقسى (١١٤٧ – ١١٦٦)م، للصالح الوزير : ما قولكم فى موسى فى نظر المسلمين؟ قال إنه نبى. قال : وما قولكم فى المسيح؟ قال : (روح الله وكلمته). قال البطريرك : **هل تستطيع أن تقول إن روح الله وكلمته نبى؟ قال : لا.** قال البطريرك : **إن روح الله وكلمته أعظم وأشرف من الأنبياء، لأنه خالق الخلائق كلها بكلمته، الذى قال بها لكل الخلائق : كونى، فكانت كلمح البصر، فالكلمة خالقة الخلائق والأشياء كلها،** فسكت الوزير (٣).

---

(١) (يوحنا ٣ : ٣٦).
(٢) السنكسار تحت يوم ١٧ من أمشير.
(٣) عن كتاب «تاريخ البطاركة» ـ المجلد الثالث ـ الجزء الأول صفحة ٥٥.

٤٢ ـ خطاب أرسلناه لرئيس حزب الأحرار في ٢١ من يونيه ـ حزيران لسنة ١٩٨٣

السيد الأستاذ الكبير مصطفى كامل مراد رئيس حزب الأحرار ورئيس مجلس إدارة جريدة (الأحرار).

السيد الأستاذ وحيد غازى رئيس تحرير (الأحرار)

تحية طيبة وبعد :

لقد لفت نظرى ما كتبته جريدة الأحرار فى عددها رقم ٢٥٤ بتاريخ ١٩٨٣/٦/٦ تحت عنوان (توحيد الله وتنزيهه) قول صاحب المقال الذى لم يذكر اسمه :

«(لم يلد ولم يولد) ينزه الله عن أن يلد أحد، ويشير إلى فساد رأى القائلين بأن له إبنا أو بنات ـ وهم **مشركو** العرب والهند **والنصارى** وغيرهم... وهو جل شأنه ـ منزه عن ذلك. (لم يولد) يصرح ببطلان **ما يزعمه بعض أرباب الأديان أن ابنا لله يكون إلها ويُعبد عبادة الإله**، ويقصد فيما يقصد إليه الإله، **بل لا يستحى المغالون منهم أن يعبروا عن والدته «بأم الله القادرة»** فإن المولود مادى ودعوى أنه **أزلى مع أبيه مما لا يمكن تعقله ولا** تغير عن حقيقة الأمر شيئا».

ونحن لا نريد أن نرد على هذا الكاتب الذى يهاجم العقيدة المسيحية وهو لم يدرسها ولم يفهمها، ويخيل إليه فى زعمه الساذج أن المسيحيين بهذه الدرجة من الغباء حتى يعتقدوا أن الله يلد كما يلد الإنسان والحيوان. ويسرنى أن أرسل لسيادتكم نسخة من الحلقة الرابعة من كتابنا (أنت المسيح ابن الله الحى) وفيه أجبنا على هذا السؤال **«لماذا سمى يسوع المسيح ابن الله»** (١) ولكننا قبل هذه الصفحة أوضحنا مفهوم البنوة عند المسيحيين وهو بعيد كل البعد عن ذلك المفهوم الأشوه الذى يتصوره كاتب المقال.

---

(١) ابتداء من ص ٢٠٤ – ٢٠٩ فى هذا الكتاب.

فهو قد وصف تارة بأنه «النجار»، كما وصف أيضاً بأنه «ابن النجار» (متى١٣ :٥٥) وليس فى هذا تعارض، لأنه النجار وابن النجار معاً. خصوصاً إذا عرفنا أن يوسف توفى عندما بلغ ١١١ سنة وعندما توفى كان للمسيح فى الجسد ١٦ سنة، فصار يسوع فى هذه السن هو عائل الأسرة، فاشتغل بالنجارة.

أما زعم القائلين بأن المسيح قد غادر فلسطين بعد سن الثانية عشر، فهو زعم خاطئ لا أساس له من الصحة.

١ ـ فليس هناك دليل واحد يساند هذا الزعم لا فى كتب اليهود ولا فى كتب الهنود، ولا فى أقوال المؤرخين. ولا يستطيع المدعون أن يؤيدوا صحة دعواهم بدليل واحد.

٢ ـ وإذا راجعنا نصوص الأناجيل المقدسة بتدقيق، تبين لنا أن مخلصنا كان مصرا على أن يلتزم الإقامة فى فلسطين، وقال صراحة «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» (متى ١٥ : ٢٤).

بل إنه لم يسمح لتلاميذه حتى أن يدخلوا مدينة للسامريين، مع أن السامريين كانوا يسكنون بالقرب من اليهود، وكانت السامرة قريبة جداً من أورشليم وإقليم اليهودية : «هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : «إلى طريق الوثنيين لا تتجهوا، وفى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٠ : ٥، ٦).

٣ ـ ويظهر إصرار السيد المسيح على البقاء فى بلاد فلسطين من قصة (أبجر) ملك الرها، وهى أوديسا Odessa على البحر الأسود، وكان يلقب «بملك الأسود» الذى أرسل رسولاً من قبله إلى السيد المسيح وطلب منه أن يذهب إليه فى الرها، بحجة أن اليهود يطلبون قتله على ما تناهى إلى سمعه، وأما الرها فهى مدينة هادئة يحسن أن يهرب إليها من أعدائه اليهود، ثم إنه بمجيئه إلى الرها يصنع خيراً بملك الرها ويشفيه من مرضه العضال، وفيها أيضاً يمكنه أن يدعو أهلها إلى دعوته السمائية حيث يجد عندهم آذاناً صاغية وأرضاً مستعدة، وهم فى ذلك يختلفون عن اليهود الأشرار، المتمردين العصاة. **فأبى المخلص أن يقبل دعوة إيجاروس، ورفض أن يغادر فلسطين**، وقال لرسول الملك : إنه سيبقى فى فلسطين إلى أن يتم رسالته، وبعد صعوده إلى السماء سيرسل إلى الملك وأهل الرها أحد تلاميذه، فيشفى الملك من دائه

٤٣ ـ «أين كان المسيح من سن ١٢ إلى سن ٣٠» (١)

سؤال : من الإكليريكى الإيبودياكون د. ج. د

يقول : سألنى بعض الناس : أين كان السيد المسيح بعد ظهوره فى الهيكل فى سن الثانية عشرة من عمره إلى أن بلغ الثلاثين، حيث بدأ خدمته العلنية جهراً، إنى أريد أن أعرف جواباً شافياً أكثر مما قدمت للذين سألونى.

الجواب :

نحن نعلم أن بعضاً من غير المسيحيين زعموا أن مخلصنا غادر بلاد فلسطين واليهودية فى هذه الفترة إلى بلاد أخرى تلقى فيها العلم من بعض المصادر الشرقية القديمة وخصوصاً بلاد الهند.

ولكننا نستطيع أن نجزم بأن فادينا لم يغادر بلاد فلسطين قط فى هذه الفترة، بل وإلى يوم صلبه وقيامته وصعوده إلى السماء، وإنما ظل فى «الناصرة حيث نشأ» (لوقا ٤ : ١٦) ساكناً مع والدته العذراء مريم وخطيبها يوسف النجار (متى ٢ : ٢٣) ولابد أنه كان يختلف إلى كُتَّاب أو مدرسة القرية الملحقة بالمجمع اليهودى شأنه فى ذلك شأن أطفال القرية.

ولابد أنه بعد ذلك إحترف حرفة النجارة مساعداً للبار الصديق يوسف الذى كان متقدما فى السن. وقد كان أمراً مفروضاً على كل صبى يهودى أن يتعلم حرفة : فقد ذاع بين اليهود المثل القائل «من لم يعلم ابنه حرفة، فقد ورثه الفقر». فحتى لو كان الصبى ابنا لأب غنى، كان العرف السائد، والشرعة المتبعة بين الجميع على حد سواء، أن يعلم الوالد ابنه حرفة ما، يقى بها نفسه غائلة الفقر إذا ما ضاقت يده فى مستقبل الأيام. وهذا هو ما عرف عن السيد المسيح، ووصفه به اليهود: «أليس هذا هو النجار ابن مريم» (مرقس ٦ : ٣)

(١) نشر فى جريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٠ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٧٧م – ١١ من برمهات لسنة ١٦٩٣ش ـ وعددها الصادر فى ٢٧ من مارس ـ آذار لسنة ١٩٧٧م ـ ١٨ من برمهات لسنة ١٦٩٣ش.

فهو قد وصف تارة بأنه «النجار»، كما وصف أيضاً بأنه «ابن النجار» (متى١٣ :٥٥) وليس فى هذا تعارض، لأنه النجار وابن النجار معاً. خصوصاً إذا عرفنا أن يوسف توفى عندما بلغ ١١١ سنة وعندما توفى كان للمسيح فى الجسد ١٦ سنة، فصار يسوع فى هذه السن هو عائل الأسرة، فاشتغل بالنجارة.

أما زعم القائلين بأن المسيح قد غادر فلسطين بعد سن الثانية عشر، فهو زعم خاطئ لا أساس له من الصحة.

١ ـ فليس هناك دليل واحد يساند هذا الزعم لا فى كتب اليهود ولا فى كتب الهنود، ولا فى أقوال المؤرخين. ولا يستطيع المدعون أن يؤيدوا صحة دعواهم بدليل واحد.

٢ ـ وإذا راجعنا نصوص الأناجيل المقدسة بتدقيق، تبين لنا أن مخلصنا كان مصرا على أن يلتزم الإقامة فى فلسطين، وقال صراحة «ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل» (متى ١٥ : ٢٤).

بل إنه لم يسمح لتلاميذه حتى أن يدخلوا مدينة للسامريين، مع أن السامريين كانوا يسكنون بالقرب من اليهود، وكانت السامرة قريبة جداً من أورشليم وإقليم اليهودية : «هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : «إلى طريق الوثنيين لا تتجهوا، وفى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» (متى ١٠ : ٥، ٦).

٣ ـ ويظهر إصرار السيد المسيح على البقاء فى بلاد فلسطين من قصة (أبجر) ملك الرها، وهى أوديسا Odessa على البحر الأسود، وكان يلقب «بملك الأسود» الذى أرسل رسولاً من قبله إلى السيد المسيح وطلب منه أن يذهب إليه فى الرها، بحجة أن اليهود يطلبون قتله على ما تناهى إلى سمعه، وأما الرها فهى مدينة هادئة يحسن أن يهرب إليها من أعدائه اليهود، ثم إنه بمجيئه إلى الرها يصنع خيراً بملك الرها ويشفيه من مرضه العضال، وفيها أيضاً يمكنه أن يدعو أهلها إلى دعوته السمائية حيث يجد عندهم آذاناً صاغية وأرضاً مستعدة، وهم فى ذلك يختلفون عن اليهود الأشرار، المتمردين العصاة. **فأبى المخلص أن يقبل دعوة إيجاروس، ورفض أن يغادر فلسطين**، وقال لرسول الملك : إنه سيبقى فى فلسطين إلى أن يتم رسالته، وبعد صعوده إلى السماء سيرسل إلى الملك وأهل الرها أحد تلاميذه، فيشفى الملك من دائه

ويهديه هو وأهل الرها إلى الإيمان الحقيقى. (يوسابيوس : تاريخ الكنيسة، الجزء الأول، فصل ١٣ : فقرة ١ – ٢٢).

٤ ـ كذلك لم يذكر البشيرون الأربعة صراحة ولا تضمينياً، أن المسيح له المجد غادر فلسطين إلى الهند أو إلى غيرها فى الفترة بعد سن الثانية عشرة ولم يذكروا غير مجيئه إلى مصر (متى٢ : ١٣ – ١٥) وهو طفل لم يتجاوز السنة الثانية من عمره مع أمه العذراء مريم ويوسف، هاربين من وجه هيرودس ملك اليهودية، وبمجرد أن مات هيرودس ظهر الملاك ليوسف فى حلم وأمره أن يأخذ الطفل الإلهى وأمه ويعود به إلى أرض فلسطين (متى ٢ : ١٩ – ٢٣) وسكنوا جميعاً فى الناصرة بإقليم الجليل، ولو كان المسيح قد غادر فلسطين بعد ذلك لكان البشيرون ذكروا ذلك كما ذكر القديس متى قصة مجيئه إلى مصر.

٥ ـ إن القديس لوقا البشير لم يذكر شيئاً عن مغادرة مخلصنا لبلاد فلسطين بعد سن الثانية عشرة مع أنه أخذ يروى فى إنجيله «قصة تلك الأحداث التى جرت بيننا كما تسلمناها من أولئك الذين رأوا بأعينهم، وكانوا خداما للكلمة، رأيت أنا أيضاً، إذا قد تتبعت كل شئ منذ الابتداء بتدقيق» (لوقا ١ : ١ – ٣).

٦ ـ ثم هل هناك ما يدعو السيد المسيح إلى أن يسافر إلى بلاد الهند؟ هل كانت تعوزه حكمة أم كانت تنقصه معرفة؟ ألم يكن وهو فى سن الثانية عشرة موضع دهشة العلماء وحيرتهم؟ إذ كان فى الهيكل «جالساً فى حلقة العلماء، يستمع إليهم ويسألهم. وكان الذين يسمعونه مشدوهين من علمه وأجوبته» (لوقا ٢ : ٤٦، ٤٧).

٧ ـ يذكر القديس لوقا الرسول عن المسيح له المجد، بعد أن روى قصته مع علماء الشريعة فى الهيكل وهو فى سن الثانية عشرة أنه «جاء إلى الناصرة حيث نشأ. وذهب كعادته إلى المجمع فى يوم السبت، وقام ليقرأ» (لوقا ٤ : ١٦) وهذه بينة من الإنجيل، ومن كاتب الإنجيل الذى تتبع كل شئ منذ الابتداء بتدقيق، وكتب قصة حياة المسيح عن مصادرها الأصيلة «كما تسلمناها من أولئك الذين رأوا بأعينهم وكانوا خداما للكلمة» (لوقا ١ : ٢) على أن السيد المسيح قد نشأ أى تربى فى الناصرة. ولو كان المسيح غادر الناصرة لذكر القديس لوقا ذلك، لأن عمل التربية لا ينتهى عند سن الثانية عشرة بل يمتد إلى الثلاثين حيث كان الاعتقاد منذ القديم ومازال إلى

اليوم، أن الطفل يظل ولداً حتى يبلغ الثلاثين من عمره، وهو سن اكتمال الرجولة كما يقرر علماء النفس وعلماء التربية معاً.

ثم إن القديس لوقا يضيف أن السيد المسيح «ذهب كعادته إلى المجمع فى يوم السبت» مقرراً بهذا أن ذهاب المسيح إلى المجمع فى كل يوم سبت كان عادة، والعادة لا تسمى كذلك إلا إذا كانت عملاً يتكرر. ولابد أن هذه العادة تنسحب على الفترة قبل سن الثلاثين لأنه بعد الثلاثين كان المسيح لا يقيم فى مدينة بعينها بل «كان يسوع يطوف بكل المدن والقرى، يعلم فى مجامعهم» (متى ٩ : ٣٥) ، (٤ : ٢٣) ، (مرقس ١ : ٢١، ٣٩) ، (٦ : ٦) ، (لوقا ٤ : ١٥، ٤٤)، (١٣ : ٢٢).

٨ ـ ثم إن اليهود أنفسهم كانوا يعرفون حياة السيد المسيح وكانوا يتابعون سيرته ولا سيما أهل إقليم الجليل، وأهل بلدته بالذات وهى الناصرة التى سميت بوطنه، ومع ذلك لم ينسب واحد منهم إليه أنه غادر بلاد فلسطين إلى الهند أو إلى غيرها، ولو عرفوا ذلك عنه لعيروه بذلك، ولذكروا ذلك فى حديثهم إليه أو عنه. قال عنه أهل الناصرة عندما كان يعلم فى مجمع مدينتهم الناصرة «من أين له هذه الحكمة وهذه القدرات؟ أليس هذا هو ابن النجار؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا» (متى١٣ : ٥٥، ٥٦) ، (مرقس ٦ : ١ – ٣) ، (لوقا ٤ : ٢٢) . وقالوا أيضاً «أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن نعرف أباه وأمه، فكيف يقول الآن : إنى نزلت من السماء؟» (يوحنا٦ :٤٢) .

فلو كان أهل الناصرة ـ وهم أهل مدينته التى نشأ وتربى بها، وهم يعرفونه جيدا، ويعرفون أنه النجار وابن النجار، وأن أمه مريم، وأنه ابن يوسف وأن إخوته هم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، (وهم فى الحقيقة أولاد خالته مريم زوجة كلوبا ـ وأولاد العمومة والخؤولة يدعون عند الشرقيين إخوة) وأن له أخوات معروفات عند أهل الناصرة وفى إقليم الجليل ـ نقول لو كان أهل الناصرة يعلمون أن السيد المسيح قد غادر فلسطين إلى بلاد الهند مدة ثمانى عشرة سنة كما يزعم بعض الناس، كيف يتكلمون عن الرب يسوع بهذا اليقين وبهذا الوضوح فى المعرفة، وكيف لم ينسبوا إليه أنه غادر مدينتهم أو بلادهم وذهب إلى الهند ليتلقى العلم هناك ؟

٩ ـ والغريب أننا لا نقرأ فى العهد الجديد شيئاً عن حكمة بلاد الهند. لقد تكلم السيد المسيح عن «ملكة سبا ملكة الجنوب» «التى أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان» (متى١٢ :٤٢)، (لوقا ١١ : ٣١) ... ولم يذكر شيئاً عن حكماء من الهند ولا شيئاً من حكمتهم.

إن السيد المسيح اقتبس الكثير من أقوال الأنبياء السابقين، وذكر إبراهيم وموسى وداود وسليمان وإشعياء وإرمياء ودانيال، ولم يذكر فى حديث له أى زعيم هندى ولم يذكر حديثاً واحداً لأى منهم ولا مثلاً واحداً مأخوذاً من حكماء الهند ولا شيئاً من أقوالهم.

١٠ ـ ولقد اتهم اليهود الرب يسوع اتهامات كثيرة، ونسبوا إليه أنه سامرى وبه شيطان وقالوا له : «ألم نكن على صواب إذ قلنا إنك سامرى، وبك شيطان؟» (يوحنا ٨ : ٤٨). وكان إتهامه بأنه سامرى إهانة بالغة، فهو إتهام له بأنه وثنى كالسامريين، وهو نوع من السب والشتم والتحقير نظراً لأن بين اليهود وبين السامريين عداوة شديدة (يوحنا ٤ : ٩)، (لوقا ٩ : ٥٢-٥٦) ولو كان اليهود ولا سيما أهل الناصرة يعلمون أنه غادر فلسطين إلى بلاد الهند، كيف لم يعيروه بأنه هندى، واليهود على ما نعلم قوم متعصبون لبلادهم، وديانتهم ولكل تراثهم، ويحتقرون غيرهم من الشعوب؟

وهل كانوا يقبلون السيد المسيح لو علموا أنه ذهب إلى بلاد الهند وتثقف بثقافة هندية ؟

والخلاصة أن زعم القائلين بأن المسيح غادر بلاد فلسطين بين سن الثانية عشرة والثلاثين زعم باطل، ليس له سند واحد يؤيده أو يسانده، بل هناك من القرائن والبينات ما يجعلنا نؤكد أنه أمر غير مقبول ولا معقول، وهو محال أو مستحيل. ويبقى بعد ذلك أن السيد المسيح قضى هذه الفترة فى بلدته الناصرة بين أهله ومع يوسف ومريم، تلميذاً يذهب إلى مدرسة القرية يتلقى فيها العلم كما كان يتلقاه الأطفال والصبيان من أهل زمانه، ويتعلم بعد ذلك حرفة النجارة على يد يوسف البار، يعاونه فى حانوته يصنع الشبابيك والأبواب وما إليها من أعمال الخشب. ويروى تقليد قديم أن المائدة التى أكل عليها المسيح مع تلاميذه الفصح، وصنع فوقها العشاء الربانى، وجلس إليها يحدثهم حديثه الوداعى ليلة آلامه، كانت أيضاً من صنع يديه.

٤٤ ـ أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ (١)

سؤال : من السيد / عوض منصور أبسخيرون ـ بورسعيد.

جاء فى الأصحاح الحادى عشر من الإنجيل كما كتبه القديس متى البشير قوله «ولما سمع يوحنا (المعمدان) وهو فى السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه يقولان له : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ فأجاب يسوع وقال لهما : «اذهبا وأخبرا يوحنا بما تريان وما تسمعان : العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، وسعيد من لا يشك فىّ» (٢ – ٥) فكيف يشك المعمدان فى المسيح مع أنه هو الذى عمده وأبصر «السماوات قد انفتحت له، ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة ومقبلا عليه، وإذا صوت يجئ من السماء قائلاً : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت» (متى ٣ : ١٥ – ١٧)؟

الجواب :

ليس معقولاً أن يشك يوحنا المعمدان فى حقيقة المسيح، وأنه هو المسيا المنتظر، وإنما الشك كان فى قلب التلميذين اللذين أرسلهما يوحنا المعمدان إلى المسيح. ولقد أرسلهما يوحنا المعمدان لأنهما كان التلميذين الوحيدين الباقيين معه، ولم يتبعا المسيح كما تبعه الآخرون من تلاميذ يوحنا. ولما كان يوحنا المعمدان مسجوناً، وقاربت حياته على نهايتها، وقد أدى رسالته على أحسن ما يكون الأداء، فاقتضاه الإخلاص لرسالته أن يسلم تلميذيه الباقيين لسيده المسيح، على أن يكون ذلك برضاهما واقتناعهما. لذلك أرسلهما إليه يقول بلسان تلميذيه، وكأنه هو الذى يطلب الجواب على السؤال : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟. وكان جواب المسيح على السؤال من شقين : أحدهما عملى، والآخر نظرى. أما العملى فكما يروى الإنجيل كما كتبه القديس لوقا البشير «فجاء الرجلان إليه وقالا : «إن يوحنا المعمدان قد أوفدنا إليك لنسألك : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟. وفى تلك الساعة شفى كثيرين من أمراضهم وعللهم ومن الأرواح الشريرة، ووهب البصر لعميان كثيرين» (لوقا ٧ : ٢٠، ٢١). وأما الجواب النظرى فهو قوله «اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما : العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون،

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى عددها الصادر صباح الأحد ١٨ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٧٧م – ٨ من توت لسنة ١٦٩٤ش.

والموتى يقومون، والمساكين يبشرون، ومغبوط من لا يشك فيّ» (متى ١١ : ٤، ٥)، (لوقا ٧ : ٢٢، ٢٣) ولم يكن الكلام موجها إلى يوحنا المعمدان، ولكنه كان موجها أولا وبالذات إلى تلميذى يوحنا اللذين كانا فى حاجة إلى أن يريا بعيونهما معجزات المسيح الفائقة، فيؤمنان، ويتبعان المسيح شأنهم شأن سائر تلاميذ يوحنا.

قلنا إن يوحنا المعمدان كان يفهم رسالته أن يعد القلوب لربه، ويقدم تلاميذه ليتبعا سيده. وقد ذكر الإنجيل كما كتبه القديس يوحنا الحبيب موقفاً من هذه المواقف، «وفى الغد رأى يوحنا (المعمدان) يسوع مقبلا إليه، فقال : «هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم... ثم فى اليوم التالى كان يوحنا واقفاً مع اثنين من تلاميذه. وإذ أبصر يسوع ماشياً، قال : «هذا هو حمل الله. فلما سمع التلميذان قوله، تبعا يسوع فالتفت يسوع ورآهما يتبعانه، فقال لها : «ماذا تطلبان؟» فقالا له : «رابى - الذى ترجمته «يا معلم» ، أين تقيم؟» فقال لهما : «تعاليا وانظرا» . فأتيا ونظرا أين يقيم، ومكثا عنده ذلك اليوم.... وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد الاثنين اللذين سمعا يوحنا (المعمدان) وتبعا يسوع...» (يوحنا ١ : ٢٩، ٣٥ - ٤٠).

وأغلب الظن أن التلميذ الآخر كان هو يوحنا الحبيب نفسه كاتب الإنجيل، ولم يشأ أن يذكر اسمه تواضعاً، وإنكاراً لذاته.

وليست هذه هى المرة الوحيدة التى شجع يوحنا المعمدان تلاميذه على الاتصال بسيده المسيح، فى حياته وقبل أن يسجن، فقد جاءوا إليه مرة يسألونه فى قضية الصوم. يقول الإنجيل «ثم جاء إليه (إلى الرب يسوع) تلاميذ يوحنا قائلين : «لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً، أما تلاميذك فلا يصومون؟» (متى ٩ : ١٤) ، (مرقس ٢ : ١٨) ، (لوقا ٥ : ٣٣)، وقد سمعوا منه جوابه على سؤالهم.

ومرة أخرى وبعد أن قطع هيرودس رأس يوحنا، ومات يوحنا شهيداً يروى الإنجيل للقديس متى قائلا «وجاء تلاميذه فحملوا الجسد، ودفنوه ثم ذهبوا وأخبروا يسوع» (متى ١٤ : ١٢) ويقول الإنجيل للقديس مرقس «وحين سمع تلاميذه بما حدث جاءوا وأخذوا جثته ووضعوها فى قبر» (مرقس ٦ : ٢٩) وإذ تدل عبارة الإنجيل للقديس مرقس على أن تلاميذ يوحنا كانوا بعيدين عنه عندما قتله هيرودس، تدل عبارة الإنجيل للقديس متى على أن تلاميذ يوحنا كانوا على صلة

وثيقة بالرب يسوع حتى إنهم ذهبوا وأخبروه بما جرى ليوحنا، فقد كانوا قد تبعوه وصاروا له تلاميذ، بعضهم من الاثنى عشر، وبعضهم من السبعين أو ممن كانوا يسمعون تعليمه ويتتبعونه.

والخلاصة أن الرسالة المتبادلة بين القديس يوحنا المعمدان، وبين المسيح له المجد كان المقصود بها تلميذى يوحنا المعمدان اللذين لم يكونا بعد قد تبعا السيح، وكانا يشكان فى حقيقة أنه المسيا المنتظر، لذلك أرسلهما يوحنا المعمدان إلى سيده، ليشاهداه ويشهدا معجزاته وآياته، ويسمعان منه مباشرة، فيؤمنان.

وهل من المعقول أن يشك يوحنا المعمدان فى المسيح، وهو الذى تعين من السماء ليكون صوت الصارخ فى البرية، والسابق الجارى أمام المسيح الرب ليعد الطريق أمامه؟، وقد تنبأ عنه أبوه زكريا بالروح القدس وهو لم يزل فى المهد ابن يوم واحد «وأنت أيها الطفل ستدعى نبى العلى، لأنك ستتقدم أمام وجه الرب لتهيئ طرقه، ولتعطى شعبه معرفة الخلاص» (لوقا ١ : ٧٦، ٧٧). مبيناً أن فيه أيضا تحقيق ما قاله الرب بفم النبى ملاخى «هأنذا أرسل ملاكى فيهيئ الطريق أمامى» (ملاخى ٣ : ١)، بل هذا ما شهده عنه الإنجيل للقديس مرقس (١ : ٢ - ٤) وأكثر من هذا فإن رب المجد يسوع المسيح قال عن يوحنا المعمدان بعد أن مضى تلميذا يوحنا المعمدان إلى معلمهما، فإن هذا هو الذى كتب عنه : ها أنذا أبعث أمام وجهك رسولى الذى يهيئ طريقك أمامك» (متى ١١ : ١٠) ، (لوقا ٧ : ٢٧).

بل إن يوحنا المعمدان نفسه شهد عن المسيح أنه الرب، وأنه، أى يوحنا، قد تعين ليكون صوت الصارخ أمامه يهيئ له الطريق، وقد وضح لليهود وقادتهم مركزه بالنسبة للمسيح، وهو إيضاح من نبى يفهم جيداً مهمته. يقول الإنجيل «وهذه هى شهادة يوحنا (المعمدان)، حين أرسل اليهود إليه من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه «من أنت؟» فاعترف ولم ينكر، وأقر قائلا : «لست أنا المسيح» فسألوه : «ماذا إذن؟ آأنت إيليا؟» قال : «لست إياه» فقالوا له : «فمن أنت لنعطى إجابة للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك؟» قال : «أنا صوت الصارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب، كما قال إشعياء النبى»...

فسألوه قائلين : «لماذا تعمد إذن مادمت لست المسيح...؟ أجابهم يوحنا قائلاً : «أنا أعمدكم بالماء، ولكن بينكم قائم ذلك الذى لستم تعرفونه، الذى وإن أتى بعدى - كان قبلى، وأنا لست بمستحق لأن أحل أربطة حذائه» (يوحنا ١ : ١٩ - ٢٧).

ويضيف الإنجيل أن يوحنا المعمدان كان يؤكد كثيراً أن المسيح هو المسيا المنتظر، وهو حمل الله الذى سيرفع خطيئة العالم.

«وفى الغد رأى يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال: «هوذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم. هذا هو الذى قلت عنه: يأتى بعدى رجل يتقدمنى لأنه كان قبلى. وأنا لم أكن أعرفه، ولكن من أجل أن يظهر لإسرائيل جئت أنا أعمد بالماء». وشهد يوحنا (المعمدان) قائلاً: «إنى قد أبصرت الروح نازلاً عليه من السماء فى هيئة حمامة، واستقر على رأسه. وأنا لم أكن أعرفه، ولكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء هو الذى قال لى: إن الذى تبصر الروح ينزل ويستقر على رأسه هو الذى يعمد بروح القدس. وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله» (يوحنا ١ : ٢٩ – ٣٤).

أفهل يعقل أن يشك يوحنا المعمدان في حقيقة المسيح له المجد، بعد أن شهد عنه هذه الشهادة القوية الواضحة، وأجاب علي اليهود إجابات قاطعة صريحة بأنه أبصر بعينيه روح القدس مستقراً على رأسه، وأنه سمع صوت الآب السماوى يقول هذا هو ابنى الحبيب، بل إن يوحنا أضاف من عنده قائلاً: «وأنا قد أبصرت وشهدت بأن هذا هو ابن الله»؟ وهل لو كان حقاً أن يوحنا المعمدان شك فى حقيقة المسيح بعد كل هذا الذى قاله، هل كان يمكن أن يرده إلى اليقين شهادة تلميذيه اللذين أرسلهما إلى السيد المسيح؟ هذا غير ممكن.

وزاد يوحنا المعمدان على كل أقواله السابقة شهادة أخرى تدعم شهاداته السابقة وتؤكدها، عندما «جرت بين تلاميذ يوحنا (المعمدان) وبعض اليهود مجادلة بشأن التطهير. فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له: «يا معلم، إن الذى كان معك فى عبر الأردن، ذلك الذى شهدت له، هوذا يعمد، والجميع يقبلون إليه». فأجاب يوحنا، وقال: «لا يستطيع الإنسان أن ينال شيئا ما لم يعطاه من السماء. أنتم أنفسكم تشهدون بأنى قلت إننى لست أنا المسيح، وإنما أنا مرسل أمامه. إن الذى له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، ففرحا يفرح لصوت العريس. ومن ثم فإن فرحى قد اكتمل. إنه ينبغى أن يزداد هو. أما أنا فأنقص. إن الذى يأتى من فوق هو فوق الجميع... الذى يأتى من السماء فهو فوق الجميع... وكل من قبل شهادته فقد أقر بأن الله حق... إن الآب يحب الابن، وقد جعل فى يده كل شئ. فمن يؤمن بالابن فله الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن بالابن فلن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله» (يوحنا ٣ : ٢٥ – ٣٦).

إن يوحنا المعمدان كان يفهم مهمته جيداً، ولم يسمح لأحد أن يثيره ليحوله عن فهم رسالته : إنه جاء ليهيئ الطريق أمام سيده المسيح، وسيده هو بعينه المسيا المنتظر الذى جاء من السماء، ليرفع خطيئة العالم، فهو الحمل وهو الفادى الذى شهدت عنه الأنبياء واشتهوا مجيئه وظهوره، ولقد تشرف يوحنا المعمدان بأن يكون هو السابق الجارى أمام الرب ليعد الطريق أمامه، معلناً أنه هو حمل الله، وأنه هو ابن الله، وأن من يؤمن به تكون له الحياة الأبدية، ومن لا يؤمن به لن يرى الحياة، وإنما يحل عليه غضب الله.

وهناك الدليل الحاسم على أن يوحنا المعمدان، إذ أرسل تلميذيه ليسأل المسيح : أأنت هو الآتى أم ننتظر آخر؟ لم تكن إرساليته للتلميذين عن شك من جانبه هو، وإنما كان لإعطاء فرصة للتلميذين حتى يتشجعا فيأتيا إلى المسيح ويسألاه باسم يوحنا المعمدان، ثم ينظرا المسيح ومعجزاته فيؤمنان به، وبهذا يفرح يوحنا ويُسَرُّ، لأنه ليس هو العريس بل صديق العريس. والدليل الحاسم هو دفاع المسيح عن يوحنا المعمدان ذلك الدفاع المجيد العظيم بعد أن مضى تلميذا يوحنا المعمدان إليه. فقد كان لابد أن تثير إرسالية يوحنا المعمدان إلى المسيح، دهشة عند جمهور الناس الذى سمعوا سؤال التلميذين وإجابة المسيح عليه. فأراد المسيح له المجد أن يطمئن الناس من جهة إيمان يوحنا به، وأنه لم يعتور إيمانه شك. قال الإنجيل «فلما ذهبا» (أى تلميذا يوحنا المعمدان) بدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا : «ماذا خرجتم إلى البرية لتروا؟ أقصبة تهزها الريح؟ بل ماذا خرجتم لتروا؟ أإنسانا يرتدى ثوباً ناعماً؟ ها هم أولاء الذين يرتدون الثياب الناعمة، فى بيوت الملوك. بل ماذا خرجتم لتروا؟ أنبيا؟ نعم أقول لكم وأكثر من نبى، فإن هذا هو الذى كتب عنه : هاأنذا أبعث أمام وجهك رسولى الذى يهيئ طريقك أمامك. الحق أقول لكم إنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان..» (متى ١١ : ٧ – ١١) ، (لوقا٧:٢٤ – ٢٨).

هذه الشهادة من فم المسيح له المجد، قاطعة فى أن يوحنا المعمدان لم يتزعزع إيمانه فى السيد المسيح، وهذا يتضح خصوصاً من قول رب المجد «ماذا خرجتم إلى البرية لتروا؟ أقصبة تهزها الريح؟» ما هذا إلا بيان واضح أن يوحنا المعمدان لم يكن بتاتاً متردداً أو شاكاً، أو مهزوزاً فى إيمانه، ولم يتغير موقفه من نحو المسيح، ولا اهتز فيه اعتقاده، بل ظل إيمانه راسخاً قوياً كما كان سابقاً. على أن هذه الشهادة من جانب فادينا، خصوصاً بعد أن انطلق تلميذا يوحنا، هى

خير دفاع عن يوحنا المعمدان، وشرح لموقفه، وأن تفسير إرساليته للتلميذين ليس كما هو ظاهر، ولا كما فهم بعض السطحيين الذى أخذوا كلام يوحنا الذى نقله التلميذان، على ظاهره. أما يسوع المسيح فهو يعرف جيدا حقيقة خادمه يوحنا، وأنه المخلص الأمين الوفى لسيده، وأنه ليس هو الذى يشك فى حقيقة المسيح. على العكس إن المسيح كشف عن حقيقة يوحنا وفضائله بما لا يعرف الناس عنه، فشهد عنه أنه الثابت الراسخ، والمؤمن به شديد الإيمان، وأنه الزاهد فى مظاهر الترف والنعيم، وأنه أكثر من نبى، وأنه الملاك المرسل من السماء ليهيئ الطريق أمام المسيح، وأنه لم ينحرف مطلقاً عن فهم رسالته ومهمته. لذلك فهو أكثر من نبى، وأنه لم يقم بين المولودين من الناس من هو أعظم منه، إلا الأصغر منه سنا فى الجسد، وهو مخلصنا وفادينا وربنا يسوع المسيح، إذ ولد بعد يوحنا المعمدان بستة شهور، وإن كان هو أسبق منه فى الوجود، كما قال يوحنا المعمدان عنه : «الذى ـ وإن أتى بعدى ـ كان قبلى» (يوحنا ١ : ٢٧).

٤٥ ـ المسيح صعد إلى السماء عينها واستوى على عرش العظمة فى الأعالى (١)

سؤال : من ى.س. أسيوط.

يقول : ما الفرق بين صعود السيد المسيح، وصعود كل من السيدة العذراء مريم وأخنوخ وإيليا؟ وأين ذهب كل منهم بعد الصعود ؟

الجواب :

أما صعود السيد المسيح له المجد، فكان فى يوم الأربعين لقيامته المجيدة، وقد صعد أمام تلاميذه والمؤمنين من فوق جبل الزيتون، إلى السماء عينها، أى إلى سماء السماوات، إلى الملكوت السماوى، وجلس على عرش العظمة فى السماوات، وجاءت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعوا أمامه ساجدين.

قال الإنجيل للقديس مرقس :

«وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله» (مرقس١٦ : ١٩).

وقال الإنجيل للقديس لوقا :

«ثم خرج بهم إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم **افترق عنهم وصعد إلى السماء**، فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم» (لوقا ٢٤ : ٥٠ – ٥٢).

ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول :

«فهذا الذى نزل هو نفسه الذى **صعد إلى ما فوق السماوات كلها ليملأ كل شئ**» (أفسس ٤ : ١٠).

«الذى وهو بهاء مجده، وصورة جوهره، وضابط الكون بكلمة قدرته، بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، استوى على يمين العظمة فى العُلى» (العبرانيين١ :٣).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد أول فبراير ـ شباط لسنة ١٩٧٨م – ٢٤ من طوبه لسنة ١٧٠٣ش.

«فإذ لنا رئيس كهنة عظيم، يسوع ابن الله، قد اجتاز السماوات، فلنتمسك باعترافنا به» (العبرانيين ٤ : ١٤).

«وخلاصة القول هى أن لنا رئيس كهنة هذه عظمته، **جلس عن يمين عرش الجلال فى السماوات» (العبرانيين ٨ : ١).**

«لأن المسيح لم يدخل إلى الأقداس التى صنعتها أيدى الناس رمزاً للأقداس الحقيقية، بل دخل إلى السماء عينها ليتراءى الآن فى حضرة الله من أجلنا» (العبرانيين٩ : ٢٤).

ويقول الوحى الإلهى على فم القديس بطرس الرسول :

«يسوع المسيح **الذى صعد إلى السماء، وهو عن يمين الله، تخضع له الملائكة والسلاطين والقوات»** (١. بطرس ٣ : ٢٢).

انظر واقرأ، (أعمال الرسل ١ : ٩، ٢) ، (٣ : ٢١) ، (رومية ١٠ : ٦) ، (أفسس ١ : ٢٠) ، (٤ : ٨) ، (كولوسى ٣ : ١) ، (١. تيموثيئوس ٣ : ١٦) ، (العبرانيين٧:٢٦)، (٩ : ١٢) ، (١٠:١٢) ، (١٢ : ٢) ، (سفر الأمثال ٣٠ : ٤).

* * *

وهنا الفرق بين المسيح له المجد وبين العذراء الطهور مريم. فالمسيح الإله قد صعد بجسده إلى السماء أمام أعين تلاميذه وسائر المؤمنين الحاضرين، على جبل الزيتون، وصعد بذاته وبقوة لاهوته، ولم ترفعه الملائكة. إنما الملائكة صحبته فى موكبه مهللة مسبحة، لأنه «دخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٦) وعاد إلى مقره السماوى الذى منه نزل» (يوحنا ٣ : ١٣) ، (٦ : ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١، ٥٨، ٦٢).

جاء فى سفر المزامير :

«**صعد الله بهتاف. الرب بصوت البوق.** رنموا لله رنموا. رنموا لملكنا رنموا. فإن الله هو ملك الأرض كلها. رنموا قصيدة. ملك الله على الأمم. الله استوى على عرش قدسه» (مزمور ٤٦ : ٥ – ٨).

أما العذراء القديسة الطاهرة مريم فقد ماتت ميتة طبيعية، أى أنها لفظت روحها، شأنها شأن كل إنسان. وقد أكرمها المسيح له المجد بأن نزل من السماء بذاته وتسلم بيده روحها الطاهرة، ثم سلم روحها إلى رئيس الملائكة ميخائيل فصعد بها إلى السماء. أما جسدها فقام الآباء الرسل بدفنه فى الجثمانية (بالقرب من بستان جثسيمانى) فى قبر لا يزال قائماً إلى اليوم، وقد ظل الآباء الرسل في الجثمانية يسمعون ترتيل الملائكة إلى اليوم الثالث لدفنها. وفى اليوم الثالث حمل الملائكة جسد العذراء مريم على أجنحتهم إلى السماء الثالثة، إلى الفردوس. (انظر السنكسار تحت اليوم السادس عشر من شهر مسرى - وكتاب ميامر وعجائب السيدة العذراء والدة الإله الكلمة على حسب ما وضعه آباء الكنيسة الأرثوذكسية، ومنها على الخصوص الميمر الحادى عشر - الخاص بصعود جسد السيدة العذراء الذى وضعه الأب القديس البابا كيرلس الأول بطريرك الأسكندرية الرابع والعشرون، نقلاً عن القديس يوحنا الحبيب الرسول).

* * *

أما **أخنوخ**، وهو السابع بعد آدم (رسالة القديس يهوذا : ١٤) وقد عاش ٣٦٥ سنة فالمعروف عنه أنه «سار مع الله، ولم يوجد **لأن الله أخذه**» (التكوين ٥ : ٢٢، ٢٤).

وقال عنه الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول :

«بالإيمان **نقل أخنوخ** لكى لا يرى الموت، ولم يوجد **لأن الله نقله** إذ قبل نقله شهد له بأنه قد أرضى الله» (العبرانيين ١١ : ٥).

وجاء عنه فى سفر يشوع بن سيراخ «أخنوخ أرضى الرب فنقل وَسَيَكُونُ آيةً لِلأَجيال إلى التوبة» (٤٤ : ١٦)، وأيضاً «لم يخلق على الأرض أحد مثل **أخنوخ الذى نقل عن الأرض**» (٤٩ : ١٦).

ويرد فى كتب الكنيسة ما يفيد أن **رئيس الملائكة ميخائيل هو الذى حمله إلى السماء، حمله بجسده على البكرات السمائية**. وهذا هو ما يعرف بالاختطاف بالجسد.

فأخنوخ لا يزال حياً فى جسده الطبيعى، وقد اختطفه رئيس الملائكة ميخائيل على نظير ما اختطف روح الرب فيلبس الشماس ونقله من (غزة) إلى (أشدود) (سفر أعمال الرسل ٨:٢٦-٤٠)، وعلى نظير ما حدث مع حبقوق النبى «فأخذ ملاك الرب بجمته وحمله بشعر رأسه

ووضعه فى بابل عند الجب، وحمل حبقوق النبى الطعام إلى دانيال النبى وهو فى جب الأسود «وقام دانيال وأكل. ورد ملاك الرب حبقوق من ساعته إلى موضعه (فى فلسطين، فى أرض يهوذا)» (دانيال ١٤ : ٣٤ – ٣٨).

* * *

وأما إيليا النبى فقد حملته إلى السماء «مركبة من نار وخيل من نار، فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء. وكان أليشع يرى وهو يصرخ : يا أبى يا أبى مركبة إسرائيل وفرسانها ولم يره بعد» (٢. الملوك ٢ : ١١ ، ١٢) . وقد ظهر إيليا على جبل التجلى مع النبى موسى، وكانا يتكلمان مع الرب يسوع المسيح، ورآهما التلاميذ الثلاثة : بطرس ويعقوب ويوحنا (متى ١٧ : ٣، ٤) ، (مرقس ٩ : ٤ ، ٥) ، (لوقا ٩ : ٣٠ – ٣٣) . وقد وعد الرب على فم ملاخى النبى بعودة إيليا النبى قبل المجئ الثانى للمسيح «هاءنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجئ يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف» (ملاخى ٤ : ٥) . ولذلك كان بعض اليهود يترك مقعداً خالياً على مائدة عيد الفصح لإيليا النبى.

ولما كان «قد وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة» (العبرانيين ٩ : ٢٧) ، (التكوين ٣ : ١٩) ، (الجامعة ٣ : ٢٠) و «أى إنسان يحيا ولا يرى الموت» (مزمور ٨٨ : ٤٨) ، فأخنوخ وإيليا ـ وهما الوحيدان اللذان لم يموتا بعد.. لابد أن يعودا مرة أخرى إلى الأرض. فهما قد اختطفا إلى موضع فى السماوات، وسيعودان لأداء رسالة قبل المجئ الثانى للمسيح رسالة خطيرة تنتظرهما. فهما الآن محتجزان إلى أن يأتى الوقت المعين لأداء هذه الرسالة. ولعلهما النبيان المشار إليهما فى سفر الرؤيا بأنهما «الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض» (الرؤيا ١١ : ٤) وسيقودان شعب الله فى زمن الدجال والوحش «الذى سيبيده الرب يسوع بنفخة فيه، ويمحقه بظهور مجيئه» (٢. تسالونيكى ٢ : ٨) .

٤٦ ـ هل صعد المسيح إلى السماء بجسده ؟ (١)

سؤال : من الآنسة/ آمال فهيم داود ـ أسيوط.

تقول : وهل صعد السيد المسيح إلى السماء بجسده الذى قام به من بين الأموات ؟

الجواب :

نعم، لأنه عندما قام المسيح له المجد من بين الأموات بسلطان لاهوته، قام بجسد حقيقى، هو بعينه الجسد الذى ذاق فيه الموت من أجل إتمام عمل الفداء لخلاص الإنسان.

١ ـ ولكى يؤكد على حقيقة قيامته بذات الجسد الذى سمر على الصليب، احتفظ فيه بآثار المسامير التى سمرت فيه بالصليب، وبأثر الطعنة التى طعنه بها الجندى الرومانى فى جنبه الأيمن. وقد اتخذ له المجد من هذه الآثار فى يديه ورجليه وجنبه وسيلة إيضاح يقنع بها تلاميذه، عندما ظهر لهم بعد قيامته، بحقيقة قيامته من الموت، وبأنه قام بجسد حقيقى هو بعينه ذات الجسد الذى سمر بالصليب ودفنوه فى القبر. فلما تجلى أمامهم فى العلية التى كان تلاميذه مجتمعين فيها، وكانت مغلقة بسبب خوفهم من اليهود، ظنوه للوهلة الأولى خيالاً أو شبحاً، أو روحاً فى شبح أو خيال.

قال الإنجيل المقدس «وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم، وقال لهم : «السلام لكم». ففزعوا وارتعبوا، وقد ظنوا أنهم يرون روحاً. فقال لهم : «ما بالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ **انظروا إلى يدىَّ وإلى قدمىَّ**. إنى أنا هو بنفسى. **جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى**» وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه. وإذ كانوا لايزالون غير مصدقين أنفسهم من فرط الفرح والدهشة قال لهم : «أعندكم هنا ما يؤكل؟» فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد العسل. **فأخذ وأكل أمامهم**» (لوقا ٢٤ : ٣٦ – ٤٣). انظر أيضاً (يوحنا ٢٠ : ١٩ – ٢٣).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ١٣ من أبريل ـ نيسان لسنة ١٩٨٠م – ٥ من برمودة لسنة ١٦٩٦ش.

ولعله لهذا التحقق بالرؤية واللمس قال الرسول القديس يوحنا فى رسالته التى كتبها بعد قيامة السيد المسيح، يقول عنه «ذاك الذى كان منذ البدء، ذاك الذى سمعناه، ذاك الذى رأيناه بعيوننا، ذاك الذى تأملناه، **ذاك الذى لمسته أيدينا**، من جهة كلمة الحياة» (١. يوحنا ١ : ١).

وبهذا برهن الرب يسوع المسيح على أنه قام **بجسد حقيقى من طبيعة جسدنا، من لحم وعظام**، وأنه جسد تنظره العين **وتلمسه اليد، وهو بذاته الجسد الذى سمروه بالصليب، بغير تغير**، كما جاء فى صلاة الحجاب للقداس الغريغورى قوله : «أنت الذى جاء إلينا **بجسده الغير المتغير**».

٢ - وجاء فى الإنجيل أيضاً أن مخلصنا يسوع المسيح ظهر لتلاميذه مرة أخرى فى اليوم الثامن لقيامته حيث كان توما الرسول حاضراً مع رفاقه التلاميذ، ولم يكن معهم فى المرة الأولى، فلما قال له زملاؤه التلاميذ : «إننا قد رأينا الرب»، لم يصدق وزاد على ذلك بقوله : «إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع فى موضع المسامير إصبعى، وأضع يدى فى جنبه **لا** أؤمن».

يقول الإنجيل «ثم بعد ثمانية أيام، كان التلاميذ مجتمعين فى الداخل أيضاً، وكان توما معهم. فدخل يسوع والأبواب مُغلَّقة، ووقف فى وسطهم، وقال لهم : «السلام لكم». ثم قال لتوما : «**هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى، وهات يدك، وضعها فى جنبى**، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمنا. فأجاب توما (بعد أن لمس بإصبعه أثر المسامير فى يدى المخلص وقدميه، ووضع يده فى جنبه الأيمن الذى طعنه الجندى الرومانى بالحربة) وقال له : «ربى وإلهى»! قال له يسوع : «لأنك رأيتنى يا توما آمنت. طوبى للذين لم يروا وآمنوا» (يوحنا ٢٠ : ٢٦ – ٢٩).

وبهذا الظهور الثانى للتلاميذ ومعهم توما الرسول قدم المسيح له المجد توكيداً جديداً لقيامته بذات الجسد الذى علقوه على الصليب وسمروه بالمسامير وطعنوه بالحربة فى جنبه اليمين، محتفظاً فيه بآثار المسامير فى يديه وقدميه، وأثر الطعنة فى جنبه. ولقد تقدم توما الرسول كأمر سيده **ولمس بإصبعه أثر المسامير فى يديه وقدميه ووضع يده فى جنبه**. فلما لمس بنفسه بعد أن رأى بعينيه صرخ بإيمان قائلاً : «ربى وإلهى»!

٣ - ويروى الإنجيل المقدس خبر ظهور الرب يسوع المسيح لتلاميذه، للمرة الثالثة، وكانوا فى هذه المرة سبعة من التلاميذ ذهبوا لصيد السمك فى بحر طبرية فى إقليم الجليل، ولم يصيبوا فى

تلك الليلة شيئاً من السمك، فظهر لهم مخلصنا على شاطئ البحيرة، وناداهم وهم على بعد منه في البحيرة قائلاً : «يا فتيان ألديكم شئ يؤكل» أجابوه : «لا». فقال لهم : «ألقوا الشبكة إلى الجانب الأيمن للسفينة، فتجدوا»، فألقوها، وعندئذ لم يستطيعوا أن يجذبوها إلى فوق من كثرة السمك. فقال التلميذ الذى كان يسوع يحبه لبطرس : «إنه الرب». فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه... وأما التلاميذ الآخرون، فجاءوا بالسفينة... ثم أخذوا يجرون شبكة السمك. فلما جاءوا إلى الأرض تطلعوا فرأوا جمراً وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً. وقال لهم يسوع : «قدموا من السمك الذى اصطدتم الآن... فقال لهم يسوع : «هلموا تناولوا الطعام» ولم يجسر أحد من تلاميذه على أن يسأله : «من أنت؟» لأنهم عرفوا أنه هو الرب. ثم تقدم يسوع، وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك. وكانت هى المرة الثالثة التى أظهر يسوع فيها نفسه لتلاميذه، بعد قيامته من بين الأموات» (يوحنا ٢١ : ١ – ١٤).

ولم يكن فادينا يسوع المسيح فى حاجة إلى طعام، ولكنه بهذا أراد أن يبرهن لتلاميذه على حقيقة قيامته، وعلى أنه قام بجسد حقيقى يمكنه أن يأكل وأن يشرب. وهذا هو الغرض الحقيقى من سؤاله لتلاميذه وهم فى البحيرة : «يا فتيان ألديكم شئ يؤكل؟» ثم إنهم عندما خرجوا إلى الشاطئ تطلعوا فرأوا جمراً، وسمكاً موضوعاً عليه وخبزاً وقال لهم يسوع : «قدموا من السمك... ثم تقدم يسوع، وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك». انظر أيضاً (مرقس ١٦ : ١٤).

٤ ـ إلى هذا وذاك يتضح أيضاً من الإنجيل المقدس أنه بعد أن أراهم نفسه حياً ببراهين كثيرة واضحة، وقد ظل أربعين يوماً يظهر لهم، ويكلمهم عن ملكوت الله (أعمال الرسل ١ : ٣)، أراد أن يودعهم قبيل انطلاقه إلى السماء وأن يمنحهم البركة، برفع يديه وبسطهما عليهم. قال الإنجيل «ثم خرج بهم إلى بيت عنيا ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم افترق عنهم وصعد إلى السماء، فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم» (لوقا ٢٤ : ٥٠ – ٥٢)، (مرقس١٦ :١٩)، (أعمال الرسل ١ : ٢).

٥ ـ وهذا معناه أن الناسوت لم يفارق اللاهوت، لا قبل القيامة ولا بعد القيامة. كما أنه بالناسوت أكل مع تلاميذه، وفى الناسوت ظهرت آثار المسامير وطعنة الحربة، وبالناسوت بسط الرب يسوع يديه وبارك تلاميذه، وبالناسوت ارتفع أمام عيونهم صاعدا إلى السماء، على مشهد منهم، وعلى مشهد من عدد كبير من المؤمنين بلغوا أكثر من خمسمائة أخ (١ .كورنثوس١٥ : ٦)

ومن عدد أكثر من ذلك ممن كانوا قد تجمعوا فوق جبل الصعود، وعلى سفح الجبل، وتحت ذلك الجبل المأهول بالسكان، وذلك توكيداً لا لحقيقة قيامته فقط بل ولحقيقة صعوده إلى السماء بذات الجسد الذى صلب فيه، وقام من الموت.

ولقد رآه الجميع رؤيا العيان صاعداً بجسده إلى السماء، وهو يرتفع أمامهم رويداً رويداً، وهم يشخصون إليه محملقين بعيونهم ويتابعونه بالنظر وهو يصعد أمامهم إلى السماء إلى أن ظهرت سحابة فحجبته عن أعينهم.

٦ ـ ويضيف سفر الأعمال أنه بينما كان التلاميذ والمؤمنون يشخصون إلى السماء والرب يسوع المسيح يصعد أمامهم إلى السماء إذاً بملاكين يظهران لهم فى شكل رجلين بلباس أبيض ويطمئناهم بعودة المسيح فى المجئ الثانى. يقول الكتاب المقدس : «وفيما كانوا شاخصين نحو السماء وهو منطلق، إذا برجلين بملابس بيضاء، قد ظهرا لهم. وقالا لهم : «أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تتطلعون إلى السماء. إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيجئ ثانية هكذا كما رأيتموه وهو منطلق إلى السماء» (أعمال الرسل ١ : ٩ – ١١). فكان هذا الحديث من الملاكين تثبيتاً وتوكيداً لوعد المسيح لهم بالمجئ الثانى عندما قال : «أنا ذاهب لأعد لكم مكاناً. ولئن ذهبت وأعددت لكم مكاناً، سأجئ ثانية وآخذكم إلىّ، حتى تكونوا أنتم معى حيث أكون أنا» (يوحنا ١٤ : ٢، ٣). وقال أيضاً «لن أترككم يتامى. وإنما سأجئ إليكم» (يوحنا١٤ : ١٨). وقال كذلك «قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجئ ثانية إليكم» (يوحنا١٤ :٢٨). انظر أيضاً (متى ١٦ : ٢٧)، (٢٤ : ٣٠)، (٢٥ : ٣١)، (٢٦ : ٦٤)، (مرقس ٨ : ٣٨)، (١٣ : ٢٦)، (لوقا ٩ : ٢٦)، (٢١ : ٢٧).

٧ ـ ثم إن الكتاب المقدس يبين أن المسيح له المجد بعد أن صعد إلى السماء جلس على العرش فى السماء، وسجدت له الملائكة ورؤساء الملائكة وجميع الطغمات السمائية إذ أنه «دخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٦).

والجلوس على العرش ينسب إلى المسيح لا من حيث لاهوته، فاللاهوت غير محصور وغير محدود (بعرش) أو كرسى، كذلك فعل (الجلوس) لا ينسب إلا لمن له جسد.

قال الإنجيل «وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦ : ١٩) ، (أعمال ٧ : ٥٥، ٥٦) . والجلوس عن يمين الله معناه الجلوس على عرش الله في الملكوت، لأن اللاهوت غير محدود فليس له يمين أو شمال.

وجاء في الرسائل «فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله» (كولوسى ٣ : ١)، «بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، استوى عن يمين العظمة فى العُلى» (العبرانيين ١ : ٣) «لنا رئيس كهنة هذه عظمته، جلس عن يمين عرش الجلال فى السماوات» (العبرانيين ٨ : ١) . «فبعدما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس عن يمين الله إلى الأبد» (العبرانيين ١٠ : ١٢) «احتمل الصليب مستهينا بالخزى، فجلس عن يمين عرش الله» (العبرانيين ١٢ : ٢) . «يسوع المسيح الذى صعد إلى السماء، وهو عن يمين الله، تخضع له الملائكة والسلاطين والقوات» (١ . بطرس ٣ : ٢٢) .

أنظر أيضاً (مزمور ١٠٩ : ١) ، (رومية ٨ : ٣٤) ، (أفسس ١ : ٢٠) ، (العبرانيين ١ : ١٣) .

وأما أن المسيح عرشه فى السماء، وقد جلس عليه بناسوته، وهو عرش الله ذاته لأن اللاهوت غير محصور فليس له عرش، فهذا ما يتضح من النصوص الآتية :

(العبرانيين ٨ : ١) ، (١٢ : ٢) ، (سفر الرؤيا ١ : ٤) ، (٤ : ٢، ٥، ١٠) ، (٥ : ٦) ، (٥:١٢) ، (١٤ : ٣) ، (١٦ : ١٧) ، (١٩ : ٤) ، (١ . الملوك ٢٢ : ١٩) ، (إشعياء ٦ : ١) ، (حزقيال ١ : ٢٦) ، (دانيال ٧ : ٩) .

٤٧ ـ واحد مع الآب فى الجوهر (١)

سؤال : من الابن عماد زكى حبيب الخادم بكنيسة القديس مرقس الرسول ـ بمدينة ملوى.

يسأل عن التعبير الوارد بقانون الإيمان عن ربنا يسوع المسيح من حيث لاهوته أنه (واحد مع الآب فى الجوهر) وهل هذا التعبير هو الأصح لاهوتيا فإن بعض الناس يقرأونه (مساوٍ للآب فى الجوهر) فأى التعبيرين أصح ؟

الجواب :

إن التعبيرين معناهما واحد، وكل منهما ترجمة للعبارة اليونانية

ὁμοούσιος τῷ Πατρί

على أن التعبير الدقيق الذى يعبر بأمانة ودقة عن الكلمة اليونانية هو (**واحد مع الآب فى الجوهر**) **HOMOOYSIOS**

وأعلم أيها الابن أن قانون الإيمان الذى قرره مجمع نيقية المسكونى فى عام ٣٢٥م وضع أصلاً باللغة اليونانية، لأن اللغة اليونانية كانت هى اللغة العالمية المستخدمة فى المجامع المسكونية، وبها كانت تجرى المساجلات اللاهوتية. وبعد ذلك ترجم النص إلى اللغات المحلية، فترجم إلى اللغة القبطية واللغات الأخرى التى تصلى بها كل كنيسة من كنائس المسكونة ففى النص القبطى يرد هكذا :

(HOMOOYSIOS PE NEM EPHIOT) *ⲟⲩⲟ̀ⲙⲟⲟⲩⲥⲓⲟⲥ ⲡⲉ ⲛⲉⲙ ⲫ̀ⲓⲱⲧ*

بيد أن الكلمة اليونانية التى تعبر عن وحدانية الذات الإلهية، وبالتالى وحدة الأقانيم الإلهية فى الذات الإلهية الواحدة ـ الكلمة اليونانية هى ὁμοούσιος (HOMOOYSIOS) والتى تعبر عن الوحدة الجوهرية القائمة بين الآب والابن والروح القدس فى الذات الإلهية الواحدة.

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ١١ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٨٧م – ٥ من أبيب لسنة ١٧٠٣ش.

وإذا تأملت الكلمة اليونانية ὁμοούσιος (HOMOOYSIOS) تجد أنها تتألف في تركيبها اللغوى من مقطعين - أولهما ὁμο (-HOMO) وثانيهما هو οὐσιος (-OYSIOS)

أما οὐσιος (-OYSIOS) فهى الصفة الفاعلية من كلمة οὐσία (OYSIA) ومعناها (جوهر).

أما المقطع الأول وهو ὁμο (HOMO) فهو يفيد حرفياً (مع) أو (معاً).

أى أن الآب والابن والروح القدس (معاً) جوهر واحد - أى ذات إلهية واحدة. وهذا التعبير مأخوذ من نص النطق الإلهى الذى نطق به السيد المسيح (أنا وأبى نحن معاً واحد) (يوحنا ١٠ : ٣٠) كما جاء فى الترجمة القبطية للنص المقدس

ⲁⲛⲟⲕ ⲛⲉⲙ ⲡ̀ⲁⲓⲱⲧ ⲁⲛⲟⲛ ⲟⲩⲁⲓ

(ANOK NEM PAIOT ANON OYAI)

ومن هذه الدراسة يتضح لك أن التعبير اليونانى والقبطى ليس فيه ما يبرر ترجمتها بلفظ (مساوٍ) للآب فى الجوهر، فضلاً عن أن تعبير (مساوٍ) فى الجوهر قد ينقل إلى الأذن العربية ما يفيد بالإثنينية فى داخل الذات الإلهية الواحدة، وهو الأمر الذى يجب أن نتحاشاه حتى لا يساء إلى وحدة الذات الإلهية.

علماً بأن الكلمة اللاتينية المقابلة للتعبير اليونانى ὁμοούσιος هى CON-SUBSTANTIALIS والتى نقلت إلى الإنجليزية والفرنسية من اللاتينية فصارت Consubstantial علماً بأن البادئة Cum أو con ليس فيها ما يقابل الكلمة العربية (مساوٍ) بل بالأحرى إن معناها (مع).

ومهما يكن من أمر فإن الترجمة الأكثر دقة، وهى أبلغ فى المعنى والتى تتمشى مع مقولة السيد المسيح (أنا وأبى نحن معاً واحداً) (يوحنا ١٠ : ٣٠) هى قولنا عن ربنا يسوع المسيح إنه «**واحد مع الآب فى الجوهر**» أى أنه «من نفس جوهر الآب ومن ذات طبيعته».

٤٨ ـ اتَّخذ المسيحُ وهو الإله إنسانية كاملة من روح ومن جسد (١)

سؤال : من الابن حنا بشرى اسكاروس ـ ملوى.

يقول : نحن نعلم أن السيد المسيح له المجد عندما تجسد من السيدة العذراء بحلول الروح القدس فى أحشائها، أخذ صورة إنسان كامل، جسداً وروحاً ونفساً، وعاش على الأرض إلى اللحظة التى قدم فيها نفسه فداءً غالياً عن جميع الناس على الصليب، عندما قال «يا أبتاه فى يديك أستودع روحى».. فهل تلك الروح التى ذكرها السيد المسيح هى الروح القدس أم هى روح إنسانية، شأنها شأن كل أرواح القديسين التى فارقت أجسادهم إلى الفردوس كما قال له المجد للص اليمين : «اليوم تكون معى فى الفردوس».

وإن كانت روحاً إنسانية فهل يعنى هذا أن للسيد المسيح روحين، وهما الروح القدس واهب الحياة وأحد الأقانيم الثلاثة، والروح الإنسانية التى فى الفردوس مثل أرواح القديسين ؟

الجواب :

اعلم أيها الابن أن السيد المسيح له المجد هو فى ذاته، الله الأزلى الأبدى، لكنه اتَّخذ له فى الزمان جسداً استتر فيه واحتجب به، حتى لا تحترق الأرض وسكانها من وهج لاهوته، «لأن إلهنا هو نار آكلة» (العبرانيين ١٢ : ٢٩) وجاء على لسان النبى إشعياء «من منا يسكن فى النار الآكلة ؟ ومن منا يسكن فى المواقد الأبدية ؟» (إشعياء ٣٣ : ١٤).

ولما كان مجئ المسيح له المجد إلى العالم وظهوره هو لخلاص الإنسان ولأداء مهمة الفداء التى لم يكن ممكناً لأحد آخر أن يقوم بها، لذلك اقتضت حكمة الله أن يتخذ الله صورة الإنسان. يقول الكتاب المقدس «المسيح يسوع الذى مع أنه فى صورة الله.. لكنه أخلى نفسه متخذاً صورة العبد، وصار شبيهاً بالبشر. وظهر بمظهر الإنسان ووضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (فيلبى ٢ : ٥ – ٨).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٦ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٨٧م – أول النسئ ـ ١٧٠٣ش.

وإذن فالسيد المسيح وهو «الله الكلمة» اتَّخذ صورة العبد، مثل الناس وظهر فى العالم على مثال البشر. فهو قد اتَّخذ لا جسداً فقط، بل اتخذ إنسانية كاملة، من روح وجسد...

هذه الروح هى روح إنسان، لأن الخلاص هو للإنسان، وليس للحيوان كما قال آباء الكنيسة فى الرد على أبوليناريوس APOLLINARIUS (٣٢٦ - ٣٩٢) م الذى زعم أن المسيح اتخذ جسداً فقط، وأن اللاهوت حل محل الروح الإنسانية. لذلك قرر آباء مجمع نيقية فى قانون الإيمان رداً على بدعة أبوليناريوس :

«نؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب فى الجوهر، الذى به كان كل شئ، هذا الذى من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء.

«**تأنس** وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى **وتألم**، وقبر وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماوات، وجلس عن يمين أبيه...»

وهنا يلاحظ أن آباء مجمع نيقية أرادوا أن يوضحوا حقيقة التجسد الإلهى وأن الله الكلمة لم يتخذ مجرد جسد بغير روح، لذلك قالوا فى قانون الإيمان (تأنس) أى **اتَّخذ إنسانية كاملة، من روح وجسد**. وهذه هى الروح التى أشار إليها المسيح له المجد. وهو على الصليب بقوله «يا أبتاه فى يديك أستودع روحى» (لوقا ٢٣ : ٤٦) «وإذ قال هذا أسلم **الروح**» (لوقا ٢٣ : ٤٦) ، (متى ٢٧ : ٥٠) ، (مرقس ١٥ : ٣٧) ، (يوحنا ١٩ : ٣٠) ، (١٠ : ١٨).

واعلم أيها الابن أننا بهذا المعنى نفهم ما جرى على الصليب من أجل خلاصنا، أن **الروح الإنسانية للمسيح قد فارقت الجسد**، ليتم عمل الموت فداء عن الإنسان مع فارق عظيم، هو أنه فى موت الإنسان تفارق الروح الجسد إلى مقر مؤقت تبقى فيه إلى يوم الدينونة والحساب. **أما بالنسبة للمسيح له المجد فإن المفارقة بين الروح والجسد كانت مفارقة لبضع ساعات، لأنه قام من بين الأموات فى اليوم الثالث لصلبه - ثم إن هذه المفارقة كانت فى محيط اللاهوت المتحد بكل من الجسد والروح الإنسانية وعلى ذلك كان المسيح على الصليب حياً بلاهوته على الرغم من**

مفارقة الروح الإنسانية للجسد، ولذلك فإن آباء مجمع نيقية كانوا حريصين على أن لا يقولوا عن المسيح فى قانون الإيمان إنه مات. ثم إن الإنجيل لم يقل عن المسيح صراحة إنه مات، وإنما قال «فتعجب بيلاطس من أنه مات سريعاً هكذا، واستدعى إليه قائد المائة وسأله عما إذا كان قد مات فعلاً وانتهى» (مرقس ١٥ : ٤٤) وقال : «وأما يسوع فلما جاءوا إليه وجدوه قد مات، فلم يكسروا ساقيه» (يوحنا ١٩ : ٣٣)، فالموت هنا تعبير عن مفارقة الروح الإنسانية للجسد، هذه المفارقة فهمها قائد المائة الذى أشرف على عملية الصلب، أنها موت على نظير ما يحدث للناس. ولذلك عبر الإنجيل للقديس يوحنا عن ذلك قائلاً : «وجدوه قد مات» فكأن الموت هنا هو كما (رآه) الذين عاينوا أنه أسلم الروح. أما هذه المفارقة بين الروح والجسد فى المسيح فكانت مفارقة فى نطاق الناسوت، ولكنها لم تهدم الإتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت. وكما جاء فى صلوات القداس «إن لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده».

ولهذا لم يرد فى قانون الإيمان صراحة أن المسيح مات، لئلا يفهم من هذا أنه مجرد إنسان، مع أنه هو الله الكلمة الذى اتّخذ صورة إنسان، وظهر فى هيئة إنسان، لكن الله حى لا يموت.

جاء فى قانون الإيمان «تأنس وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطى. تألم وقبر وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب» أى أنه لم يرد صراحة عن المسيح فى قانون الإيمان أنه (مات). فإنه بصفته (الإله) لا يموت.

ولذلك أيضاً نقول فى صلواتنا «قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت. يا من صلب عنا ارحمنا...».

وفى قطع صلوات الساعة التاسعة فى كتاب (الأجبية) يقول المصلى «يا من ذاق الموت بالجسد فى وقت الساعة التاسعة من أجلنا نحن الخطاة...» وهذا توكيد لاعتقادنا فى المسيح أنه هو الله الكلمة، والله لا يموت، لكنه «ذاق الموت بالجسد».

ولذلك أيضاً ترتل الكنيسة فى الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة، (جمعة الصلب) وهى الساعة التى دفن فيها جسد المسيح فى القبر قول المزمور «عرشك يا الله إلى دهر الدهور»

قضيب استقامة قضيب ملكك» (مزمور ٤٤ : ٦) ، (العبرانيين ١ : ٨) وذلك توكيداً لحقيقة لاهوت المسيح الفادى، **وأن لاهوته لم يفارق ناسوته حتى مع مفارقة الروح الإنسانية للجسد ونزول الجسد إلى القبر**، فإننا نعرف أنه **من القبر نزل المسيح إلى العالم السفلى واقتحمه بسلطان لاهوته، ونقل آدم وبنيه المنتظرين الفداء، إلى الفردوس**. إنه نزل أولاً إلى أعمق أعماق الأرض. وهذا الذى نزل هو نفسه الذى صعد إلى العلى، إلى ما فوق السماوات كلها (أفسس ٤ : ٨ – ١٠).

* * *

على أن الآباء الرسل قالوا فى رسائلهم بعد ذلك أن **المسيح مات**، ولكن بعد أن استقر الاعتقاد فى أن موت المسيح هو **بمعنى مفارقة الروح الإنسانية للجسد مع بقاء الاتحاد قائماً بين اللاهوت الذى لا يموت وبين الناسوت**، ولذلك فإنه على الرغم من هذه المفارقة فإنه وهو على الصليب وبعد تلك المفارقة خرج منه على الفور «دم وماء» (يوحنا١٩ : ٣٤) مما يدل على أنه وإن كان الناس «رأوه قد مات» إلا أنه كان **حياً بلاهوته**.

قلت إن الآباء الرسل قالوا عن المسيح إنه مات، **ولكنهم حرصوا على بيان أنه مات كإنسان من أجل الفداء، ولكنه لم يمت كإله فإن الله حى لا يموت.**

جاء فى الرسالة إلى رومية «من هو الذى يدين؟ **يسوع المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً** الذى هو أيضاً عن يمين الله» (رومية ٨ : ٣٤) وجاء أيضاً «وإذ كنا بعد ضعفاء **مات** المسيح فى الوقت المعين لأجل الفجار... الله بين محبته لنا لأننا ونحن بعد خطاة **مات المسيح لأجلنا**، فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب» (رومية ٥ : ٦ – ٩).

وقال المسيح له المجد فى الرؤيا للقديس يوحنا الرائى «لا تخف، أنا الأول والآخر. أنا الحى **وقد مت** وها أنا حى إلى أبد الدهور، آمين، وبيدى مفاتيح الموت والجحيم» (الرؤيا ١ : ١٧، ١٨).

* * *

والخلاصة أن الروح التى أسلمها المسيح له المجد على الصليب هى **روحه الإنسانية**، التى بدونها لا يكون المسيح اتّخذ إنسانية كاملة.

أما الروح القدس فهو الله ذاته لأن الله هو (الروح الأعظم). وعلى ذلك فالروح القدس هو أقنوم الحياة فى الله. فالله هو الحى الأعظم، والحى القيوم الذى هو أصل الحياة. وأما المسيح أو الابن فهو أقنوم العقل والحكمة فى الله، لأن الله هو (العقل الأعظم)، ولما تجسد صار يعرف بأنه (الكلمة) لأن العقل لا يُرى ولكنه يظهر متجلّياً فى (الكلمة)، لأن الكلمة تجسيد للعقل. ولذلك قال المسيح له المجد «**من رآنى فقد رأى الآب**» (يوحنا ١٤ : ٩). **فالله وهو فى ذاته الغير المنظور، صار منظوراً فى المسيح**. ومن هنا سمى المسيح (ابن الله). لأن الله لا يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، حاشا، إنما **لأن الله قد تجلى ظاهراً فى المسيح** (١ .تيموثيئوس٣:١٦) ، لذلك سمى المسيح ابن الله كما سمى «المسيح الذى هو **صورة الله الغير المنظور**» (كولوسى ١ : ١٥).

فالأقانيم الثلاثة هى صفات الله الذاتية. فالله هو الواحد الأحد، وأما الصفات التى تقوم بها وعليها ذاته العلية الواحدة فهى الأقانيم الثلاثة. وبهذا المعنى قال آباء الكنيسة «**الله أحَدِىُّ الذات، مثلث الأقانيم والصفات**» وقالوا أيضاً : **الله هو الكائن بذاته، الناطق بكلمته، الحى بروحه القدوس، فهو الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد**. آمين.

٤٩ ـ المسيح كلمة الله مُبدئ كل الخليقة (١)

سؤال: من الابن عياد حنين جرجس ـ حمامات ـ سيدى جابر ـ الأسكندرية.

يقول إنه يريد تفسير ما جاء في سفر الرؤيا عن السيد المسيح أنه «بداءة خليقة الله» (الرؤيا ٣: ١٤).

الجواب:

المقصود بكل وضوح أن المسيح له المجد هو البدء، قبل الخليقة، أى أنه به بدأ الوجود، وبه كان الخلق، فهو البدء الذى لا بداءة له، أى أنه الأزلى الذى لا بداءة له. وهذا ما يقرره الإنجيل للقديس يوحنا «فى البدء كان الكلمة وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل ... كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان. فيه كانت الحياة» (يوحنا ١: ١ – ٤).

ومعنى أن «كل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان» أنه هو الخالق للوجود، «والبدء» قبل الخليقة، وهو «الذى أنشأ العالمين» (العبرانيين ١: ٢). (١١: ٣)، «به خلق كل شئ مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، عروشاً كان أو سيادات أو رئاسات أو سلاطين. كل شئ خُلق به وله. كان قبل كل شئ وبه قِوامُ كل شئ» (كولوسى ١: ١٦، ١٧)، وهو «مبدئ الحياة» (أعمال ٣: ١٥)، (يوحنا ١٤: ٦)، (١١: ٢٥)، (٥: ٢٦) «من أجله كل شئ، وبه كل شئ» (العبرانيين ٢: ١٠) «فكل شئ هو منه وبه وإليه، فله المجد أبد الدهور» (رومية ١١: ٢٦) «يسوع المسيح، به كان كل شئ وبه نحن قائمون» (١ . كورنثوس ٨: ٦).

على أن العبارة اليونانية التى ترجمت «بداءة خليقة الله» هى:

ἡ ἀρχὴ τῆς κτίσεως τοῦ θεοῦ

He ARKHE TES KTI SEWS TOU THEOU

وكلمة ἀρχή ، ARKHE تفيد «بدء» أو «رأس» ، أو «رئيس» أو «مُبدئ» بضم الميم وجرّ الدال وفى قواميس اللغة العربية يقال «بَدأ اللهُ الخلقَ أو ابدأ اللهُ الخَلق أى برأهم، خلقهم من العدم، فهو تعالى **بادئ الوجود**، و«**مُبدِئ الخليقة**» بضم الميم وكسر الدال».

ويقابلها بالإنجليزية The Head of the Creation, The Beginning of the Creation

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٣ من سبتمبر ـ أيلول لسنة ١٩٩٠م ـ ١٣ من توت لسنة ١٧٠٧ش.

،رأس الخليقة، . ،بادئ الخليقة، .

وكـذلك باللغـة العـبـرانيـة ،ريشـيت Reshet ‏ראשית‏ أى ،رأس الخليـقـة، وبعض الترجمات الإنجليزية أعطت The Origin of God's Creation .

وعلى ذلك فإن المسيح له المجد هو مُبدِئُ الخليقة أى بارئها وموجدها من العدم وهو ،أصل، الخليقة أى ،مصدر، الخليقة.

وتوكيداً لهـذا المعنى يقول المسيح له المجـد ،أنا هو الألف والياء، البَدء والنهاية، (الرؤيا ١ : ٨)، (٢١ : ٦)، (٢٢ : ١٣).

وقال ،أنا هو الأول والآخر، (الجليان ـ الرؤيا ٢٢ : ١٣)، (١ : ١١، ١٧)، (٢ : ٨).

فالمسيح إذن هو ،البَدءُ، و ،البداءةُ، أى هو ،**الأول**، قبل الوجود، وهو ،**رأس**، الخليـقـة وهو ،**مُبدِئُ**، الخليقة، وهو ،**أصل الخليقة**، ومصدرها.

وهذا هو أيضاً معنى أنه ،صورة الله الغير المنظور، بكر كل الخلائق، (كولوسى ١ : ١٥) أى أنه ،قبل الخلائق كلها، وأعظم منها بأجمعها πρωτότοκος Prototokos أى السابق على كل الخلائق، ورأس كل الخلائق، و،الكائن السابق وجوده على جميع الخلائق، .

٥٠ ـ سلطان المسيح الشامل لشفاء جميع الأمراض وراثية أو ولادية، أو نفس جسمية، أو عصبية (١)

سؤال: من الابن الدكتور ألفونس ميخائيل سعد ـ رشيد.

يقول كان يُعتقد قديماً أن المرض من عمل الأرواح الشريرة، وكان السيد المسيح له المجد يشفى المرضى فى حالات كثيرة بإخراج الأرواح الشريرة. ولكن قد تمّ اكتشاف أن أسباب الأمراض هى الميكروبات والفيروسات والوراثة وخلافه ـ فهل كان الشفاء يتم على مستوى مفهوم الناس فى ذلك الوقت؟

الجواب:

ليست كل الأمراض من عمل الأرواح الشريرة.

فهناك أمراض وراثية.

وهناك أمراض ناجمة عن أخطاء الإنسان نفسه، بتعدّيه قوانين الطبيعة فى حفظ جسده وصيانته من كل ما يتلفه ويضره بما يأكله وما يشربه وما يهلكه ويدمّره، وهو ما ينهى عنه الوحى الإلهى بقوله «فما من أحد يبغض جسده بل يغذيه ويعتنى به» (أفسس ٥: ٢٩). ومن ذلك قوله: «**لا تكن بين شريبى الخمر، بين المتلفين أجسادهم**» (سفر الأمثال ٢٣: ٢٠). وقوله «اهربوا من الزنى، فكل خطيئة غير هذه يقترفها الإنسان هى خارجة عن جسده **أما من يزنى فقد أذنب إلى جسده**» (١. كورنثوس ٦: ١٨) وقوله «فإن هذه هى مشيئة الله، قداستكم، فتمتنعوا عن الزنى. وأن يعرف كل واحد منكم كيف يصون جسده بالقداسة والكرامة، فلا يدع الشهوة تستولى عليه كالوثنيين الذين لا يعرفون الله... **لأن الرب هو المنتقم عن هذه الأشياء كلها**» (١. تسالونيكى ٤: ٣ – ٦). وقوله «لا تكن شريراً كثيراً ولا تكن جاهلاً. لماذا تموت فى غير وقتك؟» (الجامعة ٧: ١٧).

وهناك أمراض جسدية تتسبب عن علل نفسية ومنها الهموم والأحزان ـ من ذلك قوله: «حياة الجسد هدوء القلب، والحسد نخر العظام» (سفر الأمثال ١٤: ٣٠) وقوله «الغم فى قلب الرجل يحنيه» (الأمثال ١٢: ٢٥) وقوله «ليست فى جسدى صحة من قبل غضبك. ولا لعظامى راحة، من قبل خطيئتى» «إن كليتىّ قد امتلأتا احتراقا وليست بجسدى صحة. خدِرتُ وانسحقت إلى الغاية كنت أئنّ من زفير قلبى» (مزمور ٣٧: ٣ – ٨).

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر بتاريخ ٧ من يوليو ـ تموز لسنة ١٩٩١م ـ ٣ من بؤونة لسنة ١٧٠٧ش.

على أن المسيح له المجد لم يكتف أثناء وجوده على الأرض بشفاء الأمراض المتسببة عن ضربات الأرواح الشريرة كما هو الحال في شفاء الولد المصروع بإخراج الروح الشرير الذى كان يسكنه (متى ١٧ : ١٤ – ١٨)، (مرقس ٩ : ١٤ – ٢٧)، أو كما هو الحال فى شفائه للمجنون الأعمى والأخرس بطرد الروح النجس منه، فتكلّم وأبصر وعاد عاقلاً (متى ١٢ : ٢٢)، أو كما شفى المرأة التى كانت منحنية لمدة ثمانية عشر عاماً ولم تكن تستطيع أن تنتصب البتّة، فلما أخرج الروح النجس منها انتصبت قائمة (لوقا ١٣ : ١١ – ١٣).

وإنما بسلطانه الإلهى شفى المسيح له المجد مرضى كثيرين بأمراض عضوية متنوعة. فقد كان «يشفى جميع المرضى. لكى يتم ما قيل بفم إشعياء النبى القائل: «إنه أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» (متى ٨ : ١٦، ١٧).

وقال الإنجيل «وتبعته جموع عظيمة فشفاهم جميعاً» (متى ١٢ : ١٥)، (متى ١٩ : ٢)، «فلما خرج يسوع ورأى جمعاً عظيماً تحنّن عليهم وشفى مرضاهم» (متى ١٤ : ١٤). «فأقبل عليه جمع عظيم، وقد جاءوا معهم بمُقعَدين وعُميان وصم وخرس وذوى عاهات وآخرين كثيرين وألقوا بهم عند قدمى يسوع، فشفاهم، حتى لقد دهش الجمع إذ رأوا **الخرس يتكلمون وذوى العاهات يبرأون والمقعدين يمشون والعميان يبصرون والصم يسمعون**، فمجّدوا إله إسرائيل» (متى ١٥ : ٣٠، ٣١) «وتقدم إليه فى الهيكل العمى والمقعدون فشفاهم» (متى ٢١ : ١٤) «فشفى كثيرين من المصابين بأمراض مختلفة» (مرقس ١ : ٣٤) «كان جميع الذين لديهم مرضى بعلل مختلفة قد جاءوا بهم إليه، فكان يضع يديه على كلّ منهم فيشفيهم» (لوقا ٤ : ٤٠) «**والمحتاجون منهم إلى الشفاء شفاهم**» (لوقا ٩ : ١١) «وكان يسوع يطوف فى الجليل كله، يعلّم فى مجامعهم وينادى ببشارة الملكوت، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب. فذاعت شهرته فى سوريا كلها، فكانوا يجيئون إليه بكل المعذبين بأمراض وأوجاع مختلفة ... والمصابين بالصرع والفالج، فكان يشفيهم» (متى ٤ : ٢٣ – ٢٥) «وكان يسوع يطوف بكل المدن والقرى، يعلّم فى مجامعهم، وينادى ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب» (متى ٩ : ٣٥) «وكان الجميع يتهافتون عليه ليلمسوه لأن قوةً كانت تخرج منه فتبرئهم جميعاً» (لوقا ٦ : ١٩).

وقال أيضاً المسيح له المجد لتلميذى يوحنا «العمى يبصرون، والمقعدون يمشون، والبرص يطهرون، والصم يسمعون، والموتى يقومون...» (لوقا ٧ : ٢٢)، (متى ١١ : ٥).

ليست إذن الأمراض التى شفاها المسيح له المجد بسلطان لاهوته، هى المتسببة فقط عن الأرواح الشريرة النجسة. وإنما شفى أيضاً الأمراض الأخرى المتسببة عن علل طبيعية، سواء منها الأمراض الوراثية، أو الأمراض الولادية Congenital أى التى يصاب بها الجنين أو الطفل أثناء الحمل أو أثناء الولادة بفعل المرأة نفسها أو أثناء عملية الولادة - ثم الأمراض الناجمة أثناء الرضاعة أو بسبب نقص التغذية فى فترة الطفولة وما بعدها أو بسبب المكيفات والعادات الضارة أو من مخلفات الحميات، أو الحوادث التى يتعرض لها الإنسان البالغ، والصدمات التى تصيبه خطأ أو جهلاً أو عمداً، منه أو من آخرين، كل تلك الأمراض العضوية والبدنية المختلفة كان المسيح له المجد يشفيها، بسلطان لاهوته، وليست فقط الأمراض المتسببة عن مس الشياطين والأرواح النجسة.

من ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر شفاء حماة سمعان من الحمى التى كانت مُصابة بها. «كانت حماة سمعان ترقد محمومة، فأخبروه على الفور بأمرها، فدنا منها وأمسك بيدها وأنهضها ففارقتها الحمى فى الحال، وراحت تخدمهم» (مرقس ١: ٣٠، ٣١) ولم تكن هذه الحمى بسبب الأرواح الشريرة.

كذلك المفلوج فى بركة بيت حسدا، وكان عليلاً لمدة ثمان وثلاثين سنة، لم تكن علته بسبب الأرواح الشريرة، وإنما بسبب خطيئته التى دمرت جهازه العصبى وصيرته مشلولاً شللاً كلياً (يوحنا ٥: ١ – ٨).

وكذلك المولود الأعمى الذى لم تكن له عينان، لأنه ولد من بطن أمه أعمى، قد خلق له المسيح عينين من الطين الذى طمس به مقلتيه الفارغتين، لم تكن علته بفعل الأرواح الشريرة، وإنما كانت مرضاً طبيعياً من طائفة الأمراض الولادية الخلقية وليست له علاقة بالأرواح الشريرة.

ومجمل القول إن الأمراض أنواع، وليس كل مرض ينجم من عمل الأرواح الشريرة التى تدخل أحياناً فى جسم الإنسان، فهناك الأمراض العضوية يمرض بها عضو من أعضاء البدن كالعين أو الأذن أو اليدين أو الرجلين أو البدن كله.. وهناك الأمراض البدنية المتسببة عن علل نفسية ومنها مرض السكر أو الضغط أو الربو أو السرطان. وهناك الأمراض العصبية بأنواعها. وهناك أيضاً الأمراض العقلية. ثم هناك الأمراض المتسببة عن ربط الشياطين والأرواح النجسة.

٥١ ـ المسيح يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً ـ هو الله وظهر فى هيئة إنسان (١)

سؤال : من الابن الأستاذ المحاسب عونى عبد اللاهوت بولس جرجس. المطرية.

إجابة على تساؤلكم فيما يختص بقول الرسول القديس بولس لأهل أفسس «ما أزال شاكراً الله لأجلكم وذاكراً إياكم فى صلواتى، لكى يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح حكمة يكشف لكم عنه لتعرفوه حق المعرفة وأن ينير بصائر قلوبكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى المجد الذى جعله لكم ميراثاً بين القديسين، وما هى عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين على حسب عمل شدة قوته التى أظهرها فى المسيح إذ أقامه من بين الأموات وأجلسه إلى يمينه فى السماويات، فوق كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة وكل سيادة، وفوق كل اسم يسمّى لا فى هذا الدهر فقط، بل فى الدهر الآتى أيضاً، وأخضع كل شئ تحت قدميه، وجعله فوق كل شئ رأساً للكنيسة، التى هى جسده، وملؤه، وهو الذى يملأ كل شئ فى كل شئ» (أفسس ١ : ١٦ - ٢٣).

وسؤالكم كيف، ونحن نؤمن أن المسيح هو الله وقد تجسد، يفرق الرسول بين الله وبين يسوع المسيح، فيقول «إله ربنا يسوع المسيح». ثم كيف ونحن نعتقد أن المسيح قام من بين الأموات بسلطان لاهوته يقول القديس بولس إن الله «أقامه من بين الأموات وأجلسه إلى يمينه فى السماويات فوق كل رئاسة» ؟

الجواب :

إن المسيح له المجد يجمع بين كونه إلهاً وإنساناً فى الوقت نفسه، فبصفته إلهاً أقام الأموات بأمره، وطرد الشياطين وأخرجهم من أجسام الناس بكلمة من فيه، وفى جميع المعجزات صنعها بقدرة لاهوته ولم يطلب قوة خارجاً عن ذاته لأن «قوة كانت تخرج منه» (لوقا ٦ : ١٩) «وبسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج» (لوقا ٤ : ٣٦). وفى بستان جثسيمانى وهو فى معاناته آلام الفداء، إذ وضع ذاته فداء عن الإنسان «ظهر له ملاك من السماء يقول له لك القوة» (لوقا ٢٢ : ٤٣). وعن الملاك أخذت الكنيسة المقدسة هذه التسبحة تتلوها فى يوم الجمعة

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٢٩ من ديسمبر ـ كانون لسنة ١٩٩١م ـ ١٩ من كيهك لسنة ١٧٠٨ش.

العظيمة، جمعة الصلب «لك القوة والمجد والعزة والتسبيح والسلطان يا عمانوئيل إلهنا وملكنا». وهى بعينها التسبحة التى تسبحه بها الملائكة فى السماء ويقولون «يا ربنا وإلهنا، لك يحق الحمد والمجد والحكمة والعزة والشكر والإكرام والقوة والقدرة والغنى إلى أبد الدهور» (الجليان - الرؤيا ٧ : ١٢)، (٤ : ١١)، (٥ : ١٢)، (١٩ : ١).

ولكن المسيح بصفته إنساناً «شارك البشر وشابههم فى كل شئ» (العبرانيين ٢ : ١٤، ١٧) فيما عدا الخطيئة، فقد تنازل بتجسده، فولد كإنسان، وحملته العذراء فى بطنها كإنسان، ونما جسده قليلاً قليلاً كإنسان (لوقا ٢ : ٥٢)، واعتمد أو تعمّد كإنسان، وصام كإنسان، وصلب كإنسان، ومات كإنسان، وتمم بذلك عمل الفداء والخلاص، ثم دفن فى القبر كإنسان، ولما كان هو «قائدنا إلى الخلاص» (العبرانيين ٢ : ١٠) بصفته إنساناً أيضاً، لذلك قال الرسول بولس إن الله «أقامه من بين الأموات وأجلسه إلى يمينه فى السماويات فوق كل رئاسة، وكل سلطان». نعم إن الرسول بولس يتكلم عن المسيح له المجد، هنا، بصفته إنساناً لأنه عندما صلب من أجل الفداء، صلب من حيث هو إنسان، نيابة عن الإنسان، ولفداء الإنسان. وبهذا المعنى قال الرسول بولس «لأن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، هو المسيح يسوع الإنسان، الذى بذل نفسه فدية لجميع الناس» (١ - تيموثيئوس ٢ : ٥، ٦) إذن المسيح عندما قام بعمل الفداء، قام به بصفته «المسيح يسوع الإنسان» لا بصفته إلهاً، فإنه كإله لا يكون وسيطاً، أو شفيعاً. إنما بصفته أقنوم الرحمة قَبِلَ أن يكون بديلاً أو بدلاً من الإنسان، واحتمل فى جسده الحكم الذى حكم به العدل الإلهى على الإنسان، وهو الموت، عندما قال الله لآدم «وأمّا شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت» (التكوين ٢ : ١٧) وأكل آدم وحواء فحق عليهما حكم الموت (رومية ٥ : ١٢)، (٦ : ٢٣)، (١ - كورنثوس ١٥ : ٢١)، (يعقوب ١ : ١٥) وبهذا المعنى صار يسوع المسيح بصفته إنساناً «وسيطاً لعهد أفضل» (العبرانيين ٨ : ٦) «وهو الوسيط لعهد جديد، ينال فيه المدعوون الميراث الأبدى الموعود لأنه مات كفارة للمعاصى المرتكبة فى العهد الأول» (العبرانيين ٩ : ١٥)، (٧ : ٢٢)، (١٢ : ٢٤).

فإذا قال الرسول بولس عن المسيح له المجد إن الله «أقامه من بين الأموات»، فهو يتكلم عن المسيح بصفته إنساناً قام بعمل الفداء كوسيط نائباً عن الإنسان، علماً بأن المسيح هو الله ذاته لابساً صورة إنسان **«الذى إذ هو صورة الله لم يحسب مساواته لله غنيمة له، لكنه تخلّى عن مجده واتّخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر، وظهر فى هيئة**

إنسان، وضع نفسه وأطاع حتى إلى الموت، الموت على الصليب. فلذلك رفعه الله جداً وأعطاه الاسم الذى يفوق كل اسم، لكى تجثو لاسم يسوع كل ركبة مما فى السماء ومما على الأرض وما تحت الأرض» (فيلبى ٢ : ٦ - ١٠) فكان حقاً وعدلاً أنه بعد أن قام بالفداء كإنسان، أن يصعد إلى السماء التى منها نزل (يوحنا ٣ : ١٣)، (يوحنا ٦ : ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٨) ويجلس على العرش بصفته الله وتتعبد له كل الكائنات ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، وهذا لا يجوز لغير الله وحده، إذ أن الله هو المعبود الذى يحق له وحده السجود من كل الكائنات ممن فى السماء وهم الملائكة، ومن على الأرض وهم البشر وغير البشر، ومن تحت الأرض ممن هم فى الجحيم من الشياطين، والبشر الأشرار.

والخلاصة أن مثل هذه التعبيرات على نظير قوله «أقامه الله.. رفعه الله.. وأجلسه» وأمثالها قيلت وتُقال عن المسيح له المجد من حيث هو إنسان، اتّخذ له جسداً مطابقاً لجسدنا، وفيه قَبِلَ الصلب والموت كإنسان، على أن الله الذى أقامه ليس آخر، وإنما هو بعينه اللاهوت المتحد بإنسانيته.

* * *

كذلك فى قول الرسول القديس بولس «من بولس عبد الله ورسول يسوع المسيح» (تيطس ١ : ١)، وقوله «من بولس رسول المسيح يسوع بأمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا» (١. تيموثيئوس ١ : ١) لا فرق بين الله وبين يسوع المسيح إلا من حيث أن يسوع المسيح هو الله ظاهراً فى الجسد، خصوصاً وأن الرسول بولس عندما صار رسولاً، تجلّى له المسيح له المجد وهو لابس الجسد الذى اتّخذه بتجسده، وإن كان فى «نور أبهى من شعاع الشمس» (أعمال الرسل ٢٦ : ١٣)، لأن جسد المسيح بعد أن صعد به المسيح إلى السماء، لم يعد يحجب بهاء اللاهوت كما كان يحجبه وهو على الأرض. لذلك قال إنه رسول المسيح يسوع، وقال إنه «رسول بأمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا». وواضح أنه ينسب إلى المسيح صراحة وبكل وضوح أنه «الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح» وغنى عن الكلام أن **الله مخلصنا هو يسوع المسيح، ويسوع المسيح هو الله مخلصنا وربنا له المجد إلى أبد الدهور.**

٥٢ ـ ما معنى كلمة «أبي أعظم مني» ؟ (١)

سؤال: من الابن الأناغنوستيس متياس رفائيل القس بطرس.

ما المقصود من كلام يسوع المسيح «لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ : ٢٨) وهل يوجد تناقض فى هذا القول وإيماننا بالقدوس الله، كلمة الله، روح الله. فالله واحد، والواحد فى ثلاثة أقانيم بما لا يمكن أن يكون أقوى أو أضعف، ولا سابق ولا لاحق، ولا أكبر ولا أصغر، بل مساواة تامة فى الاعتبار والتقديس والتقدير ثم لقد قال المسيح له المجد «أنا وأبى نحن معاً واحد».

الجواب:

لقد قال المسيح له المجد «أنا وأبى نحن معاً واحد» (يوحنا ١٠ : ٣٠) فالابن والآب جوهر واحد، وإله واحد، وذات إلهية واحدة. وهذا هو مبدأ التوحيد الذى يجاهر به المسيحيون فى قانون الإيمان الذى يتلونه فى صلواتهم الإنفرادية والعامة «بالحقيقة نؤمن بإله واحد».

وهذا هو معنى أن المسيح ابن الله، لا بمعنى أن الله يلد كما يلد الإنسان أو الحيوان، معاذ الله! لكنه ابن الله بمعنى أن الله الغير المنظور صار بالتجسد منظوراً فى المسيح. فالمسيح إذن هو الصورة المنظورة لله الغير المنظور، ولذلك قال المسيح له المجد «من رآنى فقد رأى الآب». (يوحنا ١٤ : ٩)، (١٤ : ٧)، (١٢ : ٤٥). وقال الكتاب المقدس أيضاً إن «المسيح هو صورة الله» (٢. كورنثوس ٤ : ٤) وقال كذلك إنه «صورة الله الذى لا يرى» (كولوسى ١ : ١٥).

أما قوله «أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ : ٢٨) فالإشارة هنا إلى الفرق فى عظمة **(الحال)**. فإن الابن تخلّى عن مجده و اتخذ صورة العبد وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان» (فيلبى ٢ : ٧) ففيما هو «صورة الله» الغير المنظور قد أخلى نفسه من «صورة الرب»، واتّخذ «صورة العبد» وصورة الرب أعظم من صورة العبد. ويلاحظ أن السيد المسيح قال إن «أبى أعظم منى» لأنه كان فى صدد تعزية تلاميذه عن مفارقته لهم بالجسد، عند مغادرته لهم بصعوده إلى السماء. فقال لهم: «قد سمعتم قولى إننى سأذهب ثم أجئ ثانية إليكم. فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بأنى أمضى إلى أبى، لأن أبى أعظم منى» (يوحنا ١٤ : ٢٨) فالآب ليس أعظم من الابن فى الجوهر، لأن الآب والابن جوهر واحد، وفى جوهر واحد، وواحد فى الجوهر. لكن الابن وهو على الأرض وقد اتّخذ «صورة العبد وصار فى شبه البشر» كان فى «حال» من الكرامة والبهاء والمجد أقل من «حال» الآب وهو فى كمال البهاء والمجد، فإذا عاد الابن إلى السماء استرد البهاء والمجد الذى كان له «من قبل كون العالم» (يوحنا ١٧ : ٥).

---

(١) نشر بجريدة (وطنى) فى عددها الصادر صباح الأحد ٣٠ من يناير ـ كانون ثان لسنة ١٩٩٤م ـ ٢٢ من طوبة لسنة ١٧١٠ش.

٥٣ ـ جلوس المسيح عن يمين الله (١)

سؤال: من أحد القراء :

قال الكتاب المقدس «وبعد أن كلمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله» (مرقس ١٦ : ١٩) فهل لله يمين حتى إن المسيح يجلس عن يمينه؟

الجواب:

ليس لله جسم، كما أنه ليس محدوداً فى المكان حتى تكون له يمين أو شمال. وحيث تكون ثمّت قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلى لكلمة (اليمين)، فلابد أن يكون اللفظ قد خرج عن معناه الحرفى إلى **معنى مجازى**. فهنا **استعارة مكنية**، شبّه الله فيها بإنسان، والإنسان له يمين ويسار، وكم من مرة ترد فى الكتب المقدسة أمثال هذه الاستعارات المكنية، والتشبيهات المجازية فيقال:

إن لله **وجهاً** : «**وجهك** يا رب ألتمس، لا تحجب **وجهك** عنى» (مزمور ٢٦ : ٨، ٩).

وإن لله **يداً** : «أمّا الله الذى **بيده** نسمتك.. فلم تمجده» (دانيال ٥ : ٢٣).

وإن لله **قدماً** «وقال لى يا ابن آدم هذا موضع عرشى وموضع **أخامص قدمىّ** حيث أسكن فى وسط بنى إسرائيل» (حزقيال ٤٣ : ٧).

وإن لله **عيناً** : «هوذا **عين** الرب على خائفيه الراجين رحمته» (مزمور ٣٢ : ١٨).

وإن لله **أذناً** : «والآن فإن عينىّ تكونان مفتوحتين، **وأذنىّ** تكونان مصغيتين إلى صلاة هذا المكان» (٢ ـ أخبار الأيام ٧ : ١٥).

والواقع أننا لا نستطيع لضيق المقام أن نسرد لك جميع الآيات التى تنسب لله يداً وعيناً وأذناً وفماً ووجهاً وقدماً، فهى أكثر من أن تحصى، ولعلّك تلتقى بها كثيراً لدى قراءتك للكتاب المقدس، ولكننا نكتفى بتلك على سبيل المثال، ونذكر لك أيضاً هذا النص «ها إن **يد** الرب لم تقصر عن أن تخلّص، ولم تثقل **أذنه** عن أن يسمع، بل آثامكم.. سترت **وجهه**..» (إشعياء ٥٩ : ١) حيث نرى ذكر **يد الله وأذنه ووجهه** فى نص واحد.

---

(١) مقال نشر بمجلة (مدارس الأحد) السنة الثالثة ـ العدد الخامس ـ أغسطس ـ آب لسنة ١٩٤٩م صفحتى ٣٧، ٣٨.

وليس قول الإنجيل للقديس مرقس (١٦ : ١٩) هو النص الوحيد الذى ورد فيه أن لله **يميناً**، لاحظ قوله مثلاً: «**يمينك** يا رب معتزة بالقدرة، **يمينك** يا رب تحطم العدو.. تمد **يمينك** فتبتلعهم الأرض» (الخروج ١٥ : ٦، ١٢) راجع (أيوب ٤٠ : ١٤)، (مزمور ٥ : ٥)، (٨٩: ٢٥)، (٩٧ : ١)، (مزمور ١٦ : ١).

وعلى ذلك فقول الكتاب عن السيد المسيح إنه جلس عن يمين الآب، لا يفهم على معناه الظاهرى طالما أن الله روح وليس له مكان ولا حدود، بل يجب أن يحمل على معناه المجازى والاستعارى ليشير به إلى **موضع الكرامة والمجد**. ومن الأمثلة على ذلك ما يذكره الكتاب عن الديان فى يوم الدين من أنه يقيم الخراف (الأبرار) عن **يمينه**، وأمّا الجداء (الأشرار) فعن يساره (متى ٢٥ : ٣٣)، وأما جلوس الابن (الأقنوم الثانى) عن يمين الآب (الأقنوم الأول)، **فهو يشير إلى المساواة فى الربوبية والسلطان والمجد وسائر الصفات والكمالات الإلهية.**

معنى جلوس الابن عن يمين الآب

على أن جلوس الابن عن يمين الآب قيل، لا فى الدينونة، بل قيل عنه فى صعوده إلى السماء. قال الإنجيل «وبعد أن كلّمهم الرب يسوع بهذا ارتفع إلى السماء، **وجلس عن يمين الله**» (مرقس ١٦ : ١٩) وقال المسيح له المجد عن ذاته أثناء محاكمته أمام رئيس الكهنة اليهودى وأمام مجمع السنهدريم «ولسوف ترون ابن الإنسان **جالساً عن يمين القدرة**» (مرقس ١٤ : ٦٢)، (متى ٢٦ : ٦٤) «**جالساً عن يمين قدرة الله**» (لوقا ٢٢ : ٦٩).

وجاء فى سفر أعمال الرسل عن القديس اسطفانوس أثناء رجمه «فرأى مجد الله ويسوع **قائماً عن يمين الله**، فقال: ها أنا أنظر السماوات مفتوحة، وابن الإنسان **قائماً عن يمين الله**» (أعمال الرسل ٧ : ٥٥، ٥٦).

وقال الوحى الإلهى بفم بولس الرسول «اطلبوا ما فوق حيث المسيح **جالس عن يمين الله**» (كولوسى ٣ : ١)، (رومية ٨ : ٣٤)، (أفسس ١ : ٢٠) وقال «فبعد ما قدّم (المسيح) عن الخطايا ذبيحة واحدة، **جلس إلى الأبد عن يمين الله**» (العبرانيين ١٠ : ١٢) «ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب .. **فجلس فى يمين عرش الله**» (العبرانيين ١٢ : ٢) «بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، جلس فى يمين العظمة فى الأعالى» (العبرانيين ١ : ٣) «إن لنا رئيس كهنة (**يسوع المسيح**) .. **قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السماوات**» (العبرانيين ٨ : ١) انظر أيضاً (مزمور ١٠٩ : ١)، (أعمال الرسل ٢ : ٣٣، ٣٤)، (العبرانيين ١ : ١٣)، (١ . بطرس ٣ : ٢٢).

ولما كان الله غير محدود، وبالتالى فإن لاهوت الله لا يحده يمين أو شمال، فيكون المعنى من قول الكتاب المقدس (**جلس عن يمين الله**) أو (**فى يمين الله**) أو (**فى يمين القدرة**) أو (**فى يمين قدرة الله**) أو (**فى يمين عرش الله**) أو (**فى يمين العظمة فى الأعالى**) أو (**فى يمين عرش العظمة فى السماوات**) **أن المسيح له المجد صعد بجسده، وجلس بجسده على عرش العظمة الإلهى فى السماء**. وليس (اليمين) فى هذا الصدد غير تعبير لغوى يدل فى لغة الناس على أسمى مكان وأعلى مكان فى السماء، أى أن **المسيح دخل إلى مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٦) واستوى على العرش السماوى.**

٥٤ - سؤال له جواب

العزيز الابن عزت ناجى إرمانيوس (١).

رداً على خطابكم بتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٧٩، نجيب بأننا إذا قلنا إنّ الله مثلث الأقانيم والصفات، فالمقصود بالصفات هنا هو الخاصيات التى تقوم عليها الذات الإلهية، ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود.

هذه الصفات أو الخاصيات هى الصفات الذاتية وهى غير الصفات النسبية. فالصفات النسبية كثيرة جداً لكن لا تقوم عليها الذات الإلهية. فإذا قلنا إن الله (جميل) أو لطيف فليس الجمال أو اللطف من الصفات الذاتية، لأنه يمكن أن نتصور الله من غيرها.

أما الصفات الذاتية فهى: الوجود، والعقل، والحياة. فالله كائن أزلى أبدى وهو العقل الأكبر وهو الحياة.

٥٥ ـ سؤال من أحد أبنائنا فى المهجر (١)

سؤال: من السيد / سامى لبيب شنوده ـ سيدنى ـ استراليا.

هنا باستراليا أثيرت نفس المشكلة التى قابلتنى بالقاهرة وظننت أنى فهمتها ولكن فهمى لها لم يكن كاملاً...

الموضوع هو أن الله موجود فى كل مكان. ولما حدث التجسد بحلول كلمة الله وهو الابن الكلمة فى بطن العذراء وفى الأرض. إذن أصبح يوجد الابن على الأرض والآب فى السماء، أفهل يعنى ذلك أنهما شخصان، أم أنهما شخص واحد موجود على الأرض وموجود فى السماء وفى كل مكان ومنتشر فى كل العالم؟ فما الحكمة إذن فى تقسيمهم إلى ثلاثة؟ وهل هم ثلاثة أقانيم فى أقنوم واحد ولكن هذا يقتضى التقسيم مع أننا نحن الأرثوذكسيين لا نؤمن بالتقسيم إطلاقاً.

ثم إننا نقول إن الله هو المسيح، ونقول أيضاً إن المسيح هو ابن الله فكيف يكون هذا هو فى وقت واحد؟

عندما سأل التلاميذ السيد المسيح قائلين: «أرنا الآب وكفانا» قال لهم «أنا فى أبى، وأبى فىّ ومن رآنى فقد رأى الآب» وفى إنجيل مرقس الأصحاح الأول عدد ١ «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» ولم يقل الله مباشرة..

الجواب:

اعلم يا ابنى أن الله واحد. وهذا ما نردده فى صلواتنا فيما يعرف بقانون الإيمان «بالحقيقة نؤمن بإله واحد». ويقول مار بولس الرسول «لأن الله واحد» (رومية ٣: ٣٠)، (غلاطية ٣: ٢٠). انظر أيضاً رسالة مار يعقوب (٢: ١٩). ويقول أيضاً «**لنا إله واحد**» (١. كورنثوس ٨: ٦) بل والسيد المسيح نفسه يقول لليهود موبخاً لهم «كيف يمكنكم أن تؤمنوا .. وأما المجد الذى **من الله الواحد وحده، فلا تبتغونه**» (يوحنا ٥: ٤٤).

وحينما ننطق بما يعرف بالبسملة نقول «باسم الآب والابن والروح القدس **الإله الواحد**»..

وإذن فالثالوث الذى نؤمن به هو **ثالوث أقانيم** وليس **ثالوث آلهة**. **والتثليث الذى نقول به لا يتعارض مع إيماننا بالتوحيد**، لأن التوحيد هو من جهة الجوهر الإلهى. وأما التثليث فمن جهة الأقانيم التى يقوم عليها الجوهر الإلهى الواحد. **ومع ذلك فالأقانيم ليست**

أجزاء أو أقساماً فى الجوهر الإلهى الواحد، لأن الله جوهر بسيط كامل لا يقبل التقسيم ولا يقبل التجزئة.

ولئن كان عدد من آباء الكنيسة أراد أن يشرح معنى الأقانيم فى الذات الإلهية، فقال إنها خاصيات للذات الإلهية أو صفات للذات الإلهية، وقال بعضهم إن الله أُحديّ الذات مثلث الصفات لكن الأقانيم - فى الواقع - ليست مجرد خاصيات أو صفات، لئلا نقع فى خطأ الخلط بين الصفات الذاتية (التى تقوم عليها الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية وجود) وبين سائر الصفات التى يتصف بها الله (وهى متعددة). لذلك رأت الكنيسة أن تستعير لفظاً سريانياً (وهو أقنوم وجمعه أقانيم) وصار يستعمل اصطلاحياً بمعنى خاص به فى دائرة العلوم اللاهوتية للدلالة على المفهوم الأحد الذى تتميز به الأقانيم فى الجوهر الإلهى.

ولقد استخدم آباء الكنيسة لفظاً آخر أخذوه من اليونانية ونقلوه إلى جميع لغات العالم بنطقه اليونانى للدلالة على الأقانيم وقيامها فى الجوهر الإلهى أو الذات الإلهية. هذا اللفظ اليونانى هو ὑπόστασις ونكتبه بالقبطية ϩⲩⲡⲟⲥⲧⲁⲥⲓⲥ ويكتب باللاتينية Hypostasis وهو كما ترى يتألف من مقطعين Hypo أى (تحت) ثم stasis أى (قيام) أو (كيان). واللفظ كله يعنى (ما تحت القيام أو الكيان) أو (ما يقوم به الكيان) وعلى ذلك **فالأقانيم** - بلغة اليونان التى كان يستخدمها العالم المسيحى كله فى العصور القديمة، خصوصاً أثناء المناقشات اللاهوتية والجدلية، هى **«ما يقوم عليها الكيان الإلهى» أى «ما يقوم به وعليه الجوهر الإلهى»**.

وهنا يجب التفريق فى ذات الله بين خاصيات وصفات يقوم بها وعليها الكيان الإلهى ذاته، بحيث لا يقوم لله وجود بغيرها، وبين صفات وخاصيات أخرى كثيرة تنسب إلى الله عادة ولكن لا يقوم عليها كيان الله ووجوده. ومن بين هذه الصفات الأخيرة أن الله لطيف جميل - حسن.. إلخ.

وعلى سبيل المثال للإيضاح والبيان لا على سبيل المطابقة الدقيقة يمكن مثلاً بالنسبة إلى الإنسان أن يفرق بين خاصيات وصفات للإنسان تقوم بها إنسانيته، وبين صفات أخرى يمكن أن يوصف بها ولكن لا يقوم عليها كيانه البشرى، فتقول فى تعريف الإنسان إنه «حيوان ناطق» (أى عاقل)، فهو أولاً كائن ذو وجود منظور ثم هو حى، ثم هو عاقل. هذه الخصائص الثلاثة تجمع كل ما يتصف به ذلك الكائن الذى نسميه «الإنسان» وبها تتميز «إنسانيته» ومن دون هذه

الخصائص الثلاثة لا يكون إنساناً. فإذا قلنا إنه «موجود» فصفة الوجود لا تقتصر عليه وحده. وإذا قلنا إنه «موجود حى» فالكائنات الحية منها النبات ومنها الحيوان ومنها الإنسان. وأما إذا قلنا إنه «حيوان ناطق» فقد عرفنا الإنسان تعريفاً جامعاً مانعاً، جامعاً يجمع كل خصائصه التى يتميز بها عن غيره من الكائنات المنظورة فى الوجود المادى، ومانعاً لأنه ينفرد بهذه الخصائص ولا يشاركه فيها غيره من الكائنات المنظورة فى الوجود المادى.

ومع ذلك فهناك صفات أخرى غير هذه يمكن أن يوصف بها إنسان ما، فيقال إنه صالح، طاهر، سليم، جميل، حسن، لطيف، ودود... إلى آخر هذه الصفات.. وهنا نتساءل هل هذه الصفات الأخيرة صفات ضرورية لكيان الإنسان؟ ألا يمكن أن يكون إنسان آخر شريراً أو نجساً أو مريضاً أو قبيح الصورة، أو قاسياً أو حقوداً... إلخ؟ أفهل وصفه بالشر والنجاسة والقبح والشراسة أخرجه من كونه إنساناً يُحسب بين الناس كواحد منهم؟ بالطبع لا.

وإذن فالصفات الذاتية للكائن، هى التى تقوم عليها ذاته، ومن دونها لا يكون لذاته قيام أو وجود.. أما الصفات الأخرى التى يمكن أن يتصف بها ولكن لا يؤثر وجودها أو عدمها على كيان الكائن ووجوده فتسمى بالصفات النسبية.

بهذا التحديد نفهم لماذا شرح بعض آباء الكنيسة الأقانيم الإلهية بأنها خاصيات وصفات ذاتية أى تقوم بها الذات الإلهية ومن دونها لا يكون للذات الإلهية كيان أو وجود.

ونحن نجد فى القداس الإلهى فى أكثر من موضع أن المسيح أو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس يوصف بأنه «الكلمة الذاتية» أو الكلمة الذاتى، أى الكلمة الكائن فى الذات الإلهية والواحد مع الآب فى الجوهر.

ففى صلاة تقدمة الخبز والكأس بالقداس يصلى الكاهن موجهاً الصلاة إلى الله الكلمة قائلاً: «أيها السيد الرب يسوع المسيح، الكائن فى الذات الإلهية، وكلمة الآب الطاهر، الواحد مع الآب فى الجوهر ومع الروح القدس».

وفى صلاة الحجاب للقداس الغريغورى يقول:

«ونسألك أيها الكلمة الكائن فى الذات الإلهية».

وجاء أيضاً فى صلاة القسمة التى تقال فى صوم الميلاد وعيد الميلاد «يسوع المسيح الكلمة الكائن فى الذات الإلهية».

* * *

ولسنا فى حاجة بعد ذلك إلى أن نؤكد أن القول بالتثليث أو الأقانيم الثلاثة لم يكن من اختراع آباء الكنيسة. فالمسئول الأول عن هذا التعليم هو الله نفسه. فالمسيح له المجد هو الذى نطق بالأقانيم الثلاثة فى موضع واحد عندما أمر تلاميذه القديسين «فاذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨ : ١٩) وهنالك نصوص أخرى كثيرة متفرقة فى العهد الجديد وفى العهد القديم تنطق صراحة أو تلميحاً بحقيقة التثليث مع التوحيد ليس هنا مجال سردها.

* * *

تقول كيف يكون المسيح هو الله وهو أيضاً ابن الله؟ كيف يكون ذلك فى وقت واحد؟

ونجيب، إن اسم المسيح لم يعرف به الابن إلا بعد أن تجسد ومُسح ناسوتياً بالروح القدس فى نهر الأردن. **فالمسيح هو الله نفسه متجسداً. وبعبارة أخرى إن الله وهو غير منظور، قد صار فى المسيح منظوراً. وليس فى لغة الناس تعبير يقرب العلاقة بين الله - وهو غير منظور من الناس - وبينه وقد صار منظوراً أعظم من تعبير الابن والآب، لأن الابن من الآب، أى من طبيعته ومن جوهره.**

ولكن يجب ألا نظن أن المسيح هو ابن الله كما يفهم من ولادة الإنسان من الإنسان أو الحيوان من الحيوان. ففى عالم الإنسان الوالد أكبر من الولد وأقدم منه. أما فى الله فلا يمكن أن نتصور أسبقية فى الزمن بين الأقانيم. إذن تلقيب المسيح بابن الله هو لا بمعنى الولادة الجسدانية، وحاشا لله أن يلد بهذا المعنى.

لكن الأقنوم الثانى نور من نور، من دون أن تمر لحظة من الزمن كان فيها الأقنوم الأول موجوداً من دون أن يكون الأقنوم الثانى والثالث كائنين معه فى نفس الوقت، أى أن الأقانيم الثلاثة قائمة معاً فى الذات الإلهية منذ الأزل وإلى الأبد، بغير افتراق وجودى أو زمانى.

وبهذا المعنى أوضح المسيح له المجد علاقته بالآب فى قوله «أنا وأبى نحن معاً واحد»

(يوحنا ١٠ : ٣٠) أى أن الأقانيم جوهر إلهى واحد، وكيان إلهى واحد، وذات إلهية واحدة، وقال «إنى أنا فى أبى وإن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ١٠)، (١٧ : ٢١) أى أن وحدة الجوهر هى بغير افتراق. وقال رداً على سؤال فيلبس أرنا الآب «أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يا فيلبس؟ من رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألا تؤمن بأنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ» (يوحنا ١٤ : ٨ – ١٠) مبيّناً بهذا على أنهما جوهر إلهى واحد، وأنه قد صار منظوراً فى الجسد ومرئياً من الناس لا فرق فى الجوهر الإلهى بينه وبين الآب إلا فى أن الآب غير منظور «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

* * *

وهنا ننتقل إلى القسم الثالث من السؤال الخاص بالتجسد.

إن الله بمحض رحمته، واستجابة لدعاء الأتقياء من بنى الناس، شاء أن يتجسد، آخذاً صورة الناس ليخلّص الإنسان من الحكم الواقع عليه بالموت، وذلك بأن يفديه، فيقبل فى الجسد الذى اتخذه، حكم الموت، وبذلك يقبل الموت كبديل عن الإنسان، فيصير به الفداء لجنس الإنسان، حتى يستحق الإنسان الحياة، ويعود إلى الفردوس الذى طرد منه بسبب خطيئته...

وإذا اتّخذ الله جسد إنسان فلا يفقد الله بالتجسد لاهوته أو ألوهيته، فالله اتّخذ جسداً، ومع ذلك لم يزل هو الله، أى أنه لم يتحول إلى إنسان، ولم يتغير فى جوهره وحقيقته، لكنه باتحاده بطبيعتنا الإنسانية لم يفقد هو جوهره الإلهى. وعلى ذلك فالمسيح جمع بين الله والإنسان. فهو الله الذى يملأ بلاهوته كل الوجود، منظوراً كان أو غير منظور، وهو فى نفس الوقت إنسان كامل له كل خصائص الإنسان وصفاته. وبهذا الجمع أو بالأحرى بهذا الاتحاد بين اللاهوت كاملاً والناسوت كاملاً، صار المسيح هو الله المتأنس، والله المتجسد. وبناسوته صار نائباً عنا وفادياً لنا، وبلاهوته غفر لنا ورحمنا وقبل ذبيحة جسده قربان رضى، فهو الغافر والمغفور له «الذى صار خطيئة لأجلنا» (٢. كورنثوس ٥ : ٢١) وهو القربان والمقرّب له. فيه «الرحمة والحق إلتقيا، والعدل والسلام تلاثما» (مزمور ٨٤: ١٠).

وحذار أن يفهم من هذا أن حلول الله الكلمة فى بطن العذراء مريم أو حلوله فى الأرض معناه أن السماء خلت من وجود الله. حاشا فتجسد الله الكلمة لم يغير من الجوهر الإلهى، ولم يصر بالتجسد محدوداً أو محصوراً فى بطن العذراء مريم، أو محصوراً فى الهيكل الإنسانى الذى

ظهر به. فإذا كان الله قد تكلم مع موسى من العليقة، فلم ينحصر وجوده فى العليقة دون كل الوجود. وكذلك عندما كان المسيح يحبو بناسوته على الأرض كان يدير السماوات والأرض. وعندما كان يرضع بجسده من العذراء مريم كان يُشبع الخليقة كلها من غنى خيراته. وعندما كان فى بستان جثسيمانى يصارع الخوف والحزن كإنسان، كان جالساً فى نفس الوقت على العرش فى السماء يتقبل تسبيح الملائكة والأربعة والعشرين كاهناً وهم يخرون له سُجّداً وقد طرحوا أكاليلهم أمامه قائلين: لك القدرة والمجد والبركة والسلطان (سفر الرؤيا ٤ : ١٠، ١١)، (٥ : ١١ - ١٤)، (٧ : ١١، ١٢). (١)

وهنا نقف لنصحح خطأ فى الفهم قد يقع فيه كل من يسمع تعبيراً مسيحياً يقول: إن الله نزل من السماء. لأن الله لا ينزل كما ينزل إنسان من طابق أعلى إلى طابق أسفل، إذ الإنسان عندما ينزل إلى الطابق الأسفل فقد أخلى الطابق الأعلى من وجوده، لأنه كائن محدود لا يمكن أن يوجد فى مكانين فى وقت واحد. أما إذا قلنا إن الله نزل من السماء وحل بيننا، فمعناه أنه مع وجوده فى السماء صار له كيان منظور على الأرض. وإذن فنزول الله وحلوله على الأرض هو تنازله ليكون له على أرضنا كيان جسدانى منظور من الناس، لا بمعنى أنه أخلى السماء من وجوده. وإذن فهو نزول إلى الأرض، بالنسبة إلى الإنسان الذى يعرف أن الله يسكن السماوات وليس له على الأرض وجود منظور ملموس.

* * *

على أنك تريد أن تعرف لماذا نُسب التجسد إلى الأقنوم الثانى، ولم ينسب إلى الأقانيم الثلاثة معاً؟

والجواب، إننا فى الواقع لا نستطيع أن نفصل بين الأقانيم فصلاً وجودياً أو كيانياً، كما لا نستطيع أن نفصل بينها فصلاً زمانياً.

فلا يمكن أن نقول إن الآب كان فى السماء فقط فى الوقت الذى كان فيه الابن على الأرض فقط، لأن الابن كائن مع الآب ومع الروح القدس فى الجوهر الواحد بغير افتراق وبغير انفصال.

---

(١) وهى ذات التسبحة التى نترنم بها فى أسبوع الآلام، لئلا نحسب المصلوب عنا مجرد إنسان ضعيف مسكين، ولئلا نظن أن الحداد وإشارات السواد التى نجلل بها كنائسنا هى علامات حزن على المسيح!!
قال الإنجيل «والكلمة اتخذ جسداً وحل بيننا» (يوحنا ١ : ١٤).

ولا يمكن أن نقول إنه فى الوقت الذى كان فيه الابن على الأرض لم يكن الآب معه فى ذات الزمن على الأرض وفى السماء.

وإذا كنا لا نفصل ولا نفرق بين الآب والابن فصلاً وجودياً أو كيانياً، ولا فصلاً زمانياً، لكننا نستطيع أن نميز بين عمل الآب، وعمل الابن، وعمل الروح القدس فى ذات الجوهر الواحد. وهذا هو سر التمايز بين أقانيم ثلاثة وإلا كانوا جميعاً أقنوماً واحداً.

ومع أنه من الصعب أن نجد تشبيهاً فى عالمنا يقرب لنا هذا التمايز بين الأقانيم، لكننا نسوق التشبيه التالى، ولو أن الله ليس له شبه أو مثال. إنما نسوق التشبيه كوسيلة إيضاح تساعد عقولنا القاصرة عن الفهم وعلى تقريب المعانى اللاهوتية العالية عن إدراكنا.

ألا يمكن أن نجد لشخص واحد من بنى البشر أكثر من صفة يتحدث بها أو يتصرف بها؟

فقد يتفق لوزير أن يشغل وزارتين، لكنه لابد أن يميز فى توقيعه على الأوراق بين الصفتين، فلا يوقع على أوراق إحدى الوزارتين إلا بصفته وزيراً لتلك الوزارة فقط.

وقد يتفق لملك أو لرئيس جمهورية بلد من البلاد، أن يجمع بين صفته كرئيس للدولة وبين صفة أو أكثر من الصفات الأخرى، كأن يكون فى نفس الوقت القائد الأعلى للقوات المسلحة، أو رئيساً للوزراء.. وقد يتفق له أيضاً أن تكون له صفة مهنية أخرى كأن يكون طبيباً أو مهندساً أو محامياً .. على أنه يجب دائماً عند توقيع أى قرار أن يوقع عليه بالصفة المعينة التى يتبعها هذا القرار.. وإذا شاء أن يضيف صفته العامة كرئيس الجمهورية، لكن لابد أن يعين الصفة الأخرى التى تبيح له إصدار القرار، ليكون من جهة الاختصاص المعنية.. فيقول مثلاً رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة.. إلخ.

ذاك مجرد تشبيه أو مثل نسوقه لإيضاح ما نحن بصدده من بيان أن **التجسد هو من عمل الأقنوم الثانى بصفته ممثلاً للرحمة الإلهية**. وبهذه الصفة قبل الفداء نائباً عن الإنسان أمام الآب بصفته ممثلاً للعدالة الإلهية.

ومهما يكن من أمر هذا التمايز بين عمل الأقانيم، لكنه تمايز فى العمل والصفة المميزة، ولكنه لا يُعبر بحال ما عن انقسام أو تجزئة بين الأقانيم. فالأقانيم ثلاثة فى إله واحد، بغير إنفصال أو افتراق أو تجزئة أو تقسيم، لأن الله فى كيانه الإلهى وجوهره الواحد وذاته العلية، لا يقبل تجزئة ولا إنقساماً. لأن الله واحد ولا يمكن أن يكون غير إله واحد.

٥٦ ـ عيد الغطاس المجيد. عيد الظهور الإلهى (١)
الله واحد، أحدىّ الذات مثلث الأقانيم والصفات

عيد الغطاس المجيد هو عيد العماد للسيد المسيح، وكان هو بدء خدمته العامة الجهرية، وكان فى سن الثلاثين لميلاده بالجسد، أو للتجسد الإلهى، وهى عند بنى إسرائيل، وغير بنى إسرائيل، سن اكتمال الرجولة النفسية والذهنية والجسدية، أو هى سن الإنسان الكامل.

وفى عيد الغطاس أو العماد أعلن الآب السماوى، بصوت واضح مسموع، أن يسوع الذى غطس وتعمد هو (ابن الله)، (صورة الله الغير المنظور)، بمعنى أن يسوع فى صورة الإنسان هو بذاته الصورة المنظورة لله الذى لا يرى. فيسوع هو (ابن مريم)، وفى نفس الوقت هو (ابن الله). وهو (ابن الله) لا بالمفهوم الجسداني المادى والحسّى كما فى عالم الإنسان والحيوان، ولكن بالمفهوم الروحانى (نور من نور). وشهد الآب السماوى قائلاً: «أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (مرقس ١ : ١١)، (لوقا ٣ : ٢٢)، «هذا هو ابنى حبيبى الذى به سررت» (متى ٣ : ١٧).

وقد كان هذا الصوت الإلهى من السماء واضحاً، وعلى مسمع من الجميع، وكان مصحوباً بظواهر حسّية مرئية ومسموعة من يوحنا المعمدان ومن جميع الناس، ومن الكائنات غير المنظورة من الملائكة و الشياطين... قال الإنجيل «وفى تلك الأيام جاء يسوع من الناصرة، بإقليم الجليل إلى يوحنا فى الأردن ليعتمد منه ولكن يوحنا اعترض قائلاً: أنا محتاج أن أنال المعمودية منك وأنت تأتى إلىّ؟! فأجاب يسوع قائلاً: اسمح بهذا الآن، لأنه هكذا يليق بنا أن نُتمّ كل بر، ومن ثمّ طاوعه، واعتمد من يوحنا فى الأردن، حتى إذا اعتمد يسوع صعد توا من الماء، وعلى الفور فيما كان صاعداً من الماء رأى السماوات تنشق، قد انفتحت له، ونزل عليه الروح القدس، روح الله، فى صورة جسم يشبه الحمامة ومقبلاً عليه، ويستقر على رأسه. وإذا صوت يجئ من السماء، قائلاً: «أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت..» (متى ٣ : ١٣ – ١٧)، (مرقس ١ : ٩ – ١١)، (لوقا ٣ : ٢١، ٢٢).

هذه الشهادة العلنية بصوت من السماء، بعد أن انشقت السماء وانفتحت ونزل منها الروح القدس، روح الله، بهيئة جسمية مثل حمامة، مقبلاً على يسوع المسيح وهو صاعد من الماء بعد عماده تواً، وصوت الآب السماوى «أنت هو ابنى حبيبى الذى به سررت..» أوضحت حقيقتين عظيمتين:

---

(١) نشر بجريدة وطنى فى عددها الصادر بتاريخ الأحد ٢٦ من يناير. كانون ثان لسنة ١٩٨٦م ـ ١٨ من طوبة لسنة ١٧٠٢ش.

الحقيقة الأولى: أن يسوع بن مريم هو (ابن الله) بمعنى أنه من طبيعة الله ومن جوهره، وأنه فيه يرى الناس «الله الذى لم يره أحد من الناس قط» (يوحنا ١ : ١٨) «ولا يستطيع أن يراه» (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦).

الحقيقة الثانية: أن الله الواحد فى طبيعته وجوهره وذاته العلية، ذو ثلاثة أقانيم. (فالآب) يشهد عن (الابن). و(الروح القدس) روح الله يظهر فى هيئة جسمية فى شبه حمامة، ويُقبل على الابن المتجسد ويستقر على رأسه.

ولهذا يسمى عيد الغطاس باسم آخر له دلالته، وهو «عيد الظهور الإلهى» (ثيئوفانيا THEOPHANIA) بمعنى أن الله الواحد الأحد أظهر ذاته فى ثلاثة أقانيم بغير انقسام. والأقانيم ليست أجزاء فى الله الواحد، لأن الله لا ينقسم ولا يتجزأ، ولكنه واحد ذو ثلاث خاصيات أو صفات ذاتية تقوم بها ذاته العليّة. وقال آباء الكنيسة (الله أحديّ الذات، مثلّث الأقانيم والصفات).

وصفات الله الذاتية أو أقانيمه هى غير صفاته النسبية.

إن لله صفات نسبية كثيرة، تعد بالعشرات أو المئات وربما أكثر.

إنما **صفاته** الذاتية التى تقوم بها ذاته العليّة **ثلاث:** فهو (**أصل**) الوجود (**الكائن**) بذاته، ولذلك فهو (**الآب**). و(**الآب**) لفظة سريانية تعنى (**الأصل**).

والله الواحد هو (**العقل**) الأعظم أبو جميع العقول. ولما كان الله قد تجسد فى المسيح. فالمسيح هو (**الله الكلمة**) لأن الكلمة تجسيد للعقل.. إذ العقل غير منظور، لكنه يظهر ويتجلّى ويتجسد فى الكلمة.. ومع أن الكلمة من العقل لكنها لا تنفصل منه، والعقل لا يسبق الكلمة فى الزمن، والكلمة لا تتخلف عن العقل فى الزمن، لأنه حيثما كان العقل ففيه الكلمة باطنة أو ظاهرة، **هى منه، ومعه، وفيه، ولا تنفصل عنه.**

ولما كان الله قد تجسّد فى المسيح، فالمسيح هو (**الابن**) فى الثالوث. لأنه من طبيعة الله (**الآب**) ومن جوهره. ولأن «من رآه فقد رأى الآب» (يوحنا ١ : ١٨)، (١٤ : ٩).

و(**الابن**) من (**الآب**) ولكنه لا ينفصل عنه.

مثله مثل أشعة الشمس إلى الشمس ذاتها، منها وفيها ولا تنفصل عنها ثم هى معها منذ وجودها، فحيثما كانت الشمس كانت أشعتها، منها وفيها ومعها بغير انفصال.

وبهذا المعنى قال (المسيح) إنه مرسل من (الآب)، والإرسال هنا ليس من خارج الذات الإلهية كإرسال الأنبياء والرسل، ولكنه كإرسال الشمس لأشعتها، إرسال من الذات وفى الذات. وبهذا المفهوم قال المسيح «الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذى فى حضن الآب (أى فى ذات الآب) هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨).

وأما (**الروح القدس**) فهو روح الله، لأن الله (**روح**) لا مادة. وعلى ذلك فالروح القدس ليس جزءاً من الله، لكنه **هو الله الحى بروحه**.

وإذن فالله الواحد هو (**الآب**) وهو (**الكائن بذاته**) وهو (**الآب**) لأنه (**الأصل**) الأول لكل الوجود.. وهو (**العقل**) الأعظم، والناطق (**بكلمته**) فهو (**العقل**) وهو (**الكلمة**) وهو (**الابن**).

والله هو الروح الأعظم وهو لذلك **الحى الأعظم، الحىّ القيوم** و(**الحى بروحه**).

فالتثليث المسيحى ليس تثليث ذوات، بل هو تثليث أقانيم. أما الله فواحد أحد. والمسيحيون يجهرون فى قانون الإيمان الذى يرددونه فى صلواتهم الخاصة والعامة بقولهم «**بالحقيقة نؤمن بإله واحد**». وإذ ينطقون البسملة يقولون «**باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد**». فالله (واحد) واسمه واحد. ولذلك يرددون القول (**باسم**) أى أن (الاسم) واحد بالمفرد وهو اسم الله **الواحد الأحدى الذات المثلث الأقانيم والصفات**.

والمسيحيون لا يجدون تعارضاً أو تناقضاً بين قولهم بالله الواحد وبين قولهم بثالوث الأقانيم. فالوحدانية هى من حيث الذات، وأما التثليث فهو من حيث الأقانيم أى الخاصيات والصفات الذاتية التى تقوم بها الذات الإلهية.

وعلى ذلك فالتثليث فى المسيحية يختلف إختلافاً جذرياً وأساسياً عن أى نوع آخر من التثليث قال به الوثنيون. فقد كان قدماء المصريين يقولون بثالوث هو (أزوريس، وايزيس وحوروس). لكن هذا التثليث المصرى القديم هو ثالوث آلهة لا تثليث أقانيم. فأزوريس إله، وإيزيس إلهة، وحوروس إله، فهم ثلاثة آلهة، لكل منهم كيانه وشخصيته مستقلاً عن الآخر. ثم إنّ التثليث المصرى القديم تثليث خلقه التزاوج بين ازوريس وإيزيس، وكان حوروس هو نتيجة التزاوج بين ازوريس وايزيس. فهو تثليث له نظائره فى كل أسرة وعائلة من بين الناس. فالرجل يتزوج بإمرأة، ومنهما يولد ولد هو ثمرة التزاوج بين الرجل والمرأة...

فما أبعد الفرق بين الثالوث القدوس الذى أعلن عن ذاته فى نهر الأردن بمناسبة عماد المسيح أو الغطاس، وبين الثالوث الذى قال به المصريون القدماء فى العهد الوثنى.

وكذلك قل عن أى تثليث آخر من نوع التثليث الذى عرفه المصريون القدماء، أو عند الهنود أو عند العرب فى الجاهلية.

إنه **تثليثنا المسيحى ليس كمثله** شئ.. إنه تثليث أقانيم أو خاصيات أو صفات ذاتية، وليس تثليث آلهة أو ذوات.

فالله واحد ولا يمكن إلا أن يكون واحداً.

قال الوحى الإلهى على فم القديس بولس الرسول «لا إله إلاّ واحد. وإن وجد ما يسمّى آلهة فى السماء كان أو على الأرض، ... وأما عندنا، الله واحد الآب الذى منه كان كل شئ ونحن أيضاً به» (١. كورنثوس ٨: ٤ – ٦).

«وثمت أعمال متنوعة، ولكن **الله واحد**، الذى يعمل الكل فى الكل» (١. كورنثوس ١٢: ٦).

«**واحد هو الله**، أبو الكل، الذى هو فوق الكل، وبالكل، وفى الكل» (أفسس ٤: ٦).

على أن التثليث المسيحى ليس من ابتكار المسيحيين، بل هو حقيقة أعلنها الله ذاته عن ذاته. وليس للمسيحيين فيها دور أكثر من أنهم قبلوها كإعلان إلهى وآمنوا بها بعد أن أعلنها الله ذاته، مثلها مثل جميع الحقائق الدينية المعلنة فى الكتب المقدسة.

فالإنجيل يتكلم عن **الله الواحد**، ويتكلم عن الآب والابن والروح القدس معلناً ومبيناً أن الآب والابن والروح القدس إله واحد، ويتكلم عن الله الآب، ويتكلم عن الله الابن، ويتكلم عن الله الروح القدس ـ ويقول عن الآب إنه الله، وعن الابن أو الكلمة أو المسيح إنه الله، وعن الروح القدس إنه الله. وليس هناك نص واحد يقول إن الآب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة، كما أنه ليس هناك نص واحد يدل على إنقسام فى الذات الإلهية أو انفصال بين الأقانيم أو تجزئة، أو أن هناك ثلاثة كيانات مستقلة أحدها عن الآخر. وإنما على العكس هناك عشرات النصوص التى تدل دلالة قاطعة على وحدانية الذات الإلهية. ولذلك فإن ترديد المسيح المستمر أنه مرسل من الآب هو لبيان أنه ليس إلهاً بذاته منفصلاً عن الآب، وذلك لكى يطمئن بنى إسرائيل وغير بنى إسرائيل على أنه وإن كان عمل أعمالاً لم يعملها أحد غيره (يوحنا ١٥: ٢٤)، وكان يجرى كل أنواع المعجزات بسلطانه المطلق، ومن دون أن يستمد قوة من خارج ذاته، لكنه مع ذلك كان

حريصاً على بيان أنه **واحد مع الآب** (يوحنا ١٠: ٣٠)، وأن كل ما يصنعه من معجزات **يعمله مع الآب**، وليس منفصلاً عن الآب. وهذا هو معنى قوله «الحق الحق أقول لكم: إن الابن لا يسعه أن يعمل من نفسه شيئاً» (يوحنا ٥: ١٩) أى أن جميع أعماله يعملها مع الآب لأنه على ما قال مراراً «إنى أنا فى أبى، وأبى فىّ» (يوحنا ١٤: ١٠، ١١، ٢٠)، (١٠: ٣٨)، (١٧: ٢١).

نعم، إن التثليث المسيحى ليس اختراعاً بشرياً، إنما هو حقيقة إلهية منزلة من السماء.

قال المسيح لتلاميذه وهو يوصيهم بعد قيامته بنشر دعوته «اذهبوا إذن وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨: ١٩).

ومن هنا كانت المعمودية المسيحية التى رسمها المسيح بعماده فى نهر الأردن وأمر بها تلاميذه، هى باسم الثالوث القدوس: الآب والابن والروح القدس، ولذلك جرت المعمودية حسب التعليم الإنجيلى والتقليد الرسولى بثلاث غطسات فى جرن المعمودية على اسم الثالوث القدّوس.. ومن ثم حرصت الكنيسة المسيحية على الالتزام بصيغة واحدة للعماد على اسم الثالوث القدوس. أعمّدك (يا فلان) باسم الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس.

وكذلك (البركة الرسولية) يمنحها الرسل، والأساقفة والكهنة من بعدهم، باسم الثالوث القدوس.

يقول الرسول القديس بولس لأهل كورنثوس فى ختام رسالته الثانية إليهم «**نعمة ربنا يسوع المسيح**، ومحبة الله **(الآب) وشركة الروح القدس، معكم جميعاً** آمين» (١٣: ١٤).

* * *

إن **عيد الغطاس هو عيد تأسيس المعمودية المسيحية** بعماد المسيح بالتغطيس فى نهر الأردن، راسماً بذاته الطريق والمدخل إلى ملكوت السماوات فى الأرض وفى السماء «الحق الحق أقول لك: إن الإنسان ما لم يولد ثانية من فوق لا يمكنه أن يرى ملكوت الله. الحق الحق أقول لك: إن الإنسان ما لم يولد من الماء والروح لا يمكنه أن يدخل ملكوت الله» (يوحنا ٣: ٣، ٥).

كما أنه هو عيد الظهور الإلهى، فيه أعلن الله بذاته عن ذاته، وأنه الواحد الأحد، وهو الآب والابن والروح القدس، معاً، ثالوث فى واحد، وواحد فى ثالوث، من غير انفصال فى الذات، ثالوث متمايز الصفات، أحدىّ الذات.

٥٧ ـ المسيح هو الله الكلمة

فى البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، وكان الكلمة هو الله. كان منذ الأزل لدى الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيئا مما كان. فيه كانت الحياة ... كان فى العالم، وكون العالم به ... والكلمة اتخذ جسداً، وحل بيننا. (الإنجيل للقديس يوحنا ١ : ١ – ١٤).

ذاك ما يقوله الإنجيل. لكن فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى يقول عن المسيح له المجد شيئاً آخر، كما جاء فى جريدة (الأخبار) فى عددها الصادر يوم الجمعة ٨ من مايو ١٩٩٢م، يقول فضيلته (سمى عيسى عليه السلام (كلمة) لأنه صدر عن كلمة هى: (كن) !!) مع لفت النظر إلى أن هناك علامتى تعجب!! كما سجلها محرر صفحة مقال الشيخ الشعراوى الذى يصفه المحرر بأنه (إمام الدعاة إلى الله)، وكأنه، كعادة الشيخ الشعراوى، يسخر ويهزأ بعقيدة المسيحيين والنصارى فى المسيح (كلمة الله).

أحقا ما تقول أيها الشيخ الشعراوى؟ إن المسيح (سمى(كلمة) لأنه صدر عن كلمة هى: (كن) !!).

أهذا يكون تفسيرك لما جاء فى القرآن (إنما المسيح عيس ابن مريم رسول الله **وكلمته** ألقاها إلى مريم وروح منه) (١٧١م النساء ٤) وقوله (إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك **بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم** وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين) (٤٥م آل عمران ٣) وقوله (والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها **من روحنا** وجعلناها وابنها آيه للعالمين) (٩١ك الأنبياء ٢١) وقوله (ومريم إبنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه **من روحنا**) (١٢م التحريم ٦٦).

لماذا لم يوصف (إبراهيم) أبو الأنبياء، أو اسحق، أو يعقوب، أو موسى الكليم، أو نوح أو داود.. بهذا الوصف المتميز؟

بل إن آدم نفسه وهو أبو الجنس البشرى كله، وهو أول من خلق الله، لم يصفه القرآن بأنه **(كلمة الله وروح منه)**.

لا أظن أن واحدا من الدعاة أو العلماء القدامى أو المحدثين يوافقكم على هذه المقولة، وهذا التفسير...

وإذا كان حقا ما تقول إن المسيح عيسى سمى كلمة لأنه صدر عن كلمة هى: (كن) !! فقد نَزَلتَ بالمسيح له المجد منزلة أى شىء آخر خلقه الله، نباتاً كان أو حيواناً... فإن الله تعالى خلق كل موجود من البهائم والحشرات والهوام حتى الميكروبات بقوله لها (كن).

أيها الشيخ الشعراوى، أتجعل المسيح له المجد مثله مثل الدبيب، وعشب الأرض فتزعم قائلا: (إن المسيح عيس سمى (كلمة) لأنه صدر عن كلمة (كن) !!)

كلا أيها الشيخ الشعراوى، إن المسيح عيسى ابن مريم هو (الله الكلمة بذاته)، لكنه اتّخذ جسداً، وهذا من منطلق حبه ورحمته من أجل الفداء لأنه هو وحده الفادى والمخلص (وليس بأحد غيره الخلاص) (الأعمال ٤ : ١٢)

المسيح، أيها الشيخ الشعراوى، هو الله تعالى بذاته، وقد احتجب فى جسد، واستتر فيه، لكنه هو بذاته الله، وقد سمى بالكلمة لأنه به تم الخلق لكل الوجود. (**فى البدء - كان الكلمة، والكلمة هو الله. به كان كل شىء، وبغيره لم يكن شىء مما كان... كان فى العالم، وكون العالم به**).

أيها الشيخ الشعراوى

المسيح لنا نحن المسيحيين والنصارى (هو الذى خلصنا من سلطان الظلمات، الذى نلنا فيه الفداء بدمه، أى غفران الخطايا. **هو صورة الله الذى لا يرى، هو الأول قبل الخلائق كلها. فإنه به خلق كل شىء مما فى السماوات ومما فى الأرض، مايرى وما لايرى، أأصحاب عرش كانوا أم سيادة أم رئاسة أم سلطان. كل شىء خلق به، وله. وهو كائن قبل كل شىء، وبه يقوم كل شىء، وهو رأس الجسد**، أى رأس الكنيسة. هو البدء، وبكر من قام من بين الأموات، **ليكون له المقام الأول فى كل شىء.** لأن فيه سر الله أن يحل بكل ملئه، وأن يصالح به الجميع مع نفسه، سواء ما فى الأرض أو ما فى السماوات، صانعاً به السلام بدم صليبه) (كولوسى ١ : ١٣– ٢٠).

جاء عنه فى الكتاب المقدس (**فإنه منه وبه وله كل شىء له المجد إلى الأبد.** آمين) (رومية ١١ : ٣٦)

«وأما عندنا نحن، فليس إلا إله واحد، هو الآب الذى منه كل شىء، ونحن أيضا له، وربنا واحد هو يسوع المسيح الذى به كل شىء. ونحن به كائنون» (١ - كورنثوس ٨ : ٦).

هو إذن (**الوارث لكل شيء، والذى خلق الكون كله**) (العبرانيين ١:٢) و(**الكون كله قد برز إلى الوجود بكلمة منه**) (العبرانيين ١١:٣).

وهذا هو السبب فى أنه سمى الكلمة، لأنه **هو الذى خلق الوجود بالكلمة**. والكلمة ليست لفظاً، **وإنما الكلمة هو الكلمة الفاعل أو الخالق**، لأنه بالكلمة خلق الله الوجود، فهو الخالق. ومن هنا فهو (**الكلمة**)، لذلك قال الإنجيل (**فى البدء كان الكلمة**)و(**كان**) فى هذا النص ليس هو (**كان**) الفعل الماضى الناقص فى لغة العرب، وإنما (**كان**) من فعل (**الكينونة**) ولذلك يقول (فى البدء (**كان**) **الكلمة**). والكلمة فى اللغة اليونانية التى كتب بها الإنجيل هو (اللوغوس). واللوغوس فى الفلسفة هو (**العقل الإلهى ظاهرا فى الكون**) ويكتبونها فى اللغات الحديثة بالحروف الكبيرة تمييزاً لها عن الكلمة الملفوظة، فيكتبونها بالإنجليزية (The Word) وأما بالفرنسية فيكتبونها Le Verbe (أى فى البدء كان الفعل) أى أن الكلمة فى هذا النص هو (**فعل الخلق لله الخالق**).

ولعلك تعلم أو لا تعلم، أيها الشيخ الشعراوى، أن زرادوشت ZOROASTER زعيم المجوسية ونبيهم الذى ظهر حوالى منتصف القرن السابع قبل الميلاد وتوفى حوالى سنة ٥٨٣ق. م، قد أخبر ذويه بظهور السيد المسيح، وأمرهم بأن يحملوا إليه قرابينهم عند ظهوره، وأنبأهم بأنه فى آخر الزمان يكون أن بكرا تحبل بجنين من غير أن يمسها رجل. (وعند ميلاده يظهر بالنهار كوكب تُرى فى وسطه صورة صبية عذراء. وأنتم ياأولادى ستحسون بظهوره قبل جميع الأمم. فإذا شاهدتم هذا الكوكب، فاذهبوا معه إلى حيث يقودكم، **واسجدوا لذلك المولود**، واحملوا إليه قرابينكم، من الذهب واللبان والمر، **فهو الكلمة مقيم السماء**) وهذا ما كتبه العلامة أبو الفرج مفريان الشرق الشهير بابن العبرى فى كتابه (تاريخ مختصر الدول).

وجاء عن المسيح الكلمة فى سفر الجليان ـ الرؤيا (ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبيض يسمى راكبه (الأمين والصادق) الذى يقضى ويحارب بالعدل، وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه أكاليل كثيرة، وقد كتب على جبهته اسم لا يعرفه أحد إلا هو وحده، وهو يرتدى ثوباً مغمساً بالدم (لأنه هو المخلص والفادى الذى قام بعمل الفداء بسفك دمه). **أما اسمه فهو (كلمة الله)** ... واسمه مكتوب على ثوبه وعلى فخده: (**ملك الملوك ورب الأرباب**)، (الجليان ـ الرؤيا ١٩: ١١ - ١٦).

وجاء فى الإنجيل أن أحد تلاميذ المسيح وهو فيلبس سأله قائلا: (ياري، أرنا الآب وكفانا) قال له يسوع: أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى بعد يافيلبس؟ **من رآنى فقد رأى الآب.** فكيف تقول أنت أرنا الآب؟ ألا تؤمن **بأنى أنا فى أبى وأن أبى فىّ... صدقونى أنى فى أبى وأن أبى فىّ...**

وقال أيضا لتلاميذه (لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا. ومنذ الآن تعرفونه، وقد **رأيتموه**) (يوحنا ١٤: ٧- ١١)

فكيف يقول المسيح لتلاميذه عن الآب السماوى (وقد رأيتموه) إلا أن يكون المقصود أنهم يرون الآب السماوى فى المسيح، أى أنه صورة الله الذى لايرى.

وهذا هو السبب فى أن المسيح له المجد سمى **(ابن الله)**، لابمعنى الولادة كماهى فى عالم الإنسان أو الحيوان، حاشا، وإنما لأن المسيح صورة الله الذى لايرى، وقد صار منظوراً فى الأرض بالجسد، ثم لأن كيانه الظاهر على الأرض لم يتخذه من أبٍ من بين الناس، فمن هو إذن أبوه بصفته ظاهرا بين الناس؟ إلا أن يكون **ابن الله** بمعنى أنه الذى نزل من السماء فهو إذن **(ابن الله)** لأنه لم يأت كيانه الجسدانى والإنسانى من أب من بين الناس.

(الذى وهو الكائن فى صورة الله لم يحسب مساواته لله خلسة أو غنيمة له، لكنه تخلى عن مجده، واتّخذ صورة العبد، وصار فى شبه البشر، وظهر بهيئة إنسان. وضع نفسه وأطاع حتى إلى الموت، الموت على الصليب) (**فيلبى** ٢ : ٦- ٨)

(مستحق أنت ياربنا وإلهنا المجد والإجلال والقدرة، **لأنك خلقت الأشياء كلها، وهى بإرادتك كائنة، وقد خلقت**) (الجليان ـ الرؤيا ٤: ١١)

وأيا كان قولك، أيها الشيخ الشعراوى، فإنك لا تستطيع بتفسيرك أن تهدم عقيدتنا نحن المسيحيين **فى المسيح وأنه هو الله بذاته** (وحقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد) (١. تيموثيوس ٣: ١٦)، وأنه استتر فى جسد إنسان، **وظهر بهيئة إنسان** من أجل الخلاص والفداء، وذلك من منطلق محبته للناس ورحمته بهم، ولكنه أيضا لن تكون رحمته على حساب عدالته وحكمه الذى أوقعه على آدم بالموت، فمات آدم وكل بنى آدم، لأنهم ورثوا منه وصمة الخطيئة بالتوالد (من أجل ذلك، كما أن الخطيئة دخلت فى العالم بإنسان واحد، وبالخطيئة دخل الموت، هكذا سرى الموت إلى جميع الناس، لأنهم جميعاً خطئوا فيه) (رومية ٥: ١٢).

ألا ليتك، أيها الشيخ الشعراوى، تقصر همك على شرح الإسلام للمسلمين، أما المسيحيون والنصارى فإذا كانوا فى نظرك أغبياء وكفاراً، لكنك (لست عليهم بمسيطر).

إن المتشددين، وأنت إمامهم، يحملون تعاليمك، ويلتزمون بها، ويزعمون لذواتهم الحق الإلهى فى أن يحكموا بالعنف والقتل من يخالفهم رأيهم.

إننا نسألك، أيها الشيخ الشعراوى، أن ترحم مصر والمصريين من نظرتك المتشددة التى خلقت وتخلق الفتنة الطائفية، والتى يعلم الله وحده ما أحدثته من شرخ فى وحدتنا الوطنية، ونتائجها البعيدة المدى فى حاضر مصر ومستقبلها.

٥٨ ـ دراسة بعض معجزات المسيح
مقدمة عامة

ماهى المعجزة.

هى فعل يستثير الإعجاب، لأنه فى غير مقدور الإنسان أن يصفه. وبعبارة أخرى، لأن البشر عموما يعجزون عن صنعه، فلذلك يسمى بالمعجزة.

وفيما يلى سترى أمثله من معجزات أجراها سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح وهى تدل على سلطانه المطلق وقدرته على كل شيء وهى دليل على لاهوته.

ونريد هنا أن نقرر بعض الحقائق الهامة التى يجب أن تتأملها وتعيها فى فكرك وقلبك.

أولا ـ أن المسيح له المجد لم يصنع معجزة واحدة لنفسه. أنه صنع معجزات جميعها للآخرين. أما هو فصنع ما له من قدرة لكنه أخضع نفسه لقوانين الطبيعة وأحكام الشريعة فى كل شيء، فعندما صام أربعين يوما وأربعين ليلة وجاع أخيراً، تقدم إليه إبليس المجرب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزا. (متى ٤: ٣) فلم يشأ سيدنا أن يصنع من الحجارة خبزا ليأكله.

وعندما أراد هيرودس الملك أن يقتل المسيح وهو طفل صغير، كان المسيح فى مقدوره أن يميت هيرودس ولكنه لم يفعل، وصنع ما يجب أن يصنعه من يهرب من الشر، فهرب ليلاً مع أمه ويوسف الصديق وأتى إلى أرض مصر، وتحمل متاعب كثيرة كان يمكنه أن يتجنبها بأعمال معجزية ولكنه لم يفعل.

وهكذا ضرب وأهين وصلب وعانى كل صنوف الآلام كاملة ولم يتدخل بسلطان لاهوته ليصنع معجزات يخفف بها آلامه، أو يوقف بها شر صالبيه والمتآمرين عليه.

ثانيا ـ أن المسيح له المجد صنع معجزاته جميعها للخير وإشفاقاً على البشر ورحمة بهم.

أنه لم يصنع معجزة ليستثير بها إعجاب الناس كما يفعل الحواة حتى ينال مدحا من الناس أو شكرا أو تهليلاً أو كسبا ماديا أو أدبيا أو منفعة من أى نوع. كل معجزاته هى أعمال رحمة وإشفاق بالإنسانية المعذبة. إنها أفعال خير للخير فى ذاته ومع ذلك فإن أمثال هذه المعجزات أفعال عجيبة تدل على سلطان فاعلها وقدرته وبرهان على ألوهيته.

ثالثا ـ هناك فرق كبير وحاسم بين معجزات السيد المسيح ومعجزات عبيده من الأنبياء والرسل.

لقد صنع الأنبياء معجزات وكذلك فعل رسل المسيح «شفوا مرضى، أخرجوا شياطين، أقاموا موتى لكنهم صنعوا ما صنعوا باسم المسيح، وصلوا لله يطلبون قوة، ويسألون معونة، فاستجاب الله صلواتهم».

أما المسيح له المجد فصنع المعجزات من دون أن يطلب قوة من خارج ذاته، كان يشفى المرضى ويخرج الشياطين ويقيم الموتى ويسيطر على الطبيعة بقدرته وسلطانه، وكانت منه تخرج القوة لصنع المعجزات، وهذا دليل على قدرة ذاتية فى شخصه المبارك وبرهان أيضا على أن فيه يحل كل ملء اللاهوت.

* * *

١ ـ معجزة تهدئة البحر وإسكات العاصفة:

هذه معجزة ذات دلالة كبيرة على سلطان المسيح له المجد على الطبيعة غير الناطقة. وقد ورد خبر هذه المعجزة فى (إنجيل متى ٨: ١٨، ٢٣)، (إنجيل مرقس ٤: ٢٥– ٤١)، (إنجيل لوقا ٨: ٢٢– ٢٥).

قال سيدنا لتلاميذه «وكان الوقت مساء لنعبر إلى عبر البحيرة ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه فأقلعوا وفيما هم سائرون نام. فنزل نوء ريح عظيمة فى البحيرة. وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر، فكانت الأمواج تضرب السفينة حتى غطتها وصارت تمتلىء ماء. وصاروا فى خطر. وكان هو فى المؤخرة على وسادة نائما. فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين ياسيد نجنا فإننا نهلك. يامعلم يامعلم، أما يهمك أننا نهلك.

فقال لهم ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان. ثم قام وانتهر الرياح والبحر وقال للبحر اسكت. ابكم. فسكتت الرياح وصار هدوء عظيم.

فخافوا خوفا عظيما، وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: من هو هذا؟ أى إنسان هذا، فأنه يأمر الرياح أيضا والماء، وهى جميعا تطيعه.

* * *

هذه هى المعجزة العظيمة. الطبيعة تثور، نوء عظيم يصير فى البحر والأمواج تضرب السفينة، وتدخل المياة السفينة حتى امتلأت السفينة بالماء فصار التلاميذ فى خطر محقق. والمسيح مع ذلك نائم على وسادة ليعطى التلاميذ فرصة يظهر فيها إيمانهم ساعة الضيق وهو بعيد عنهم ظاهريا. فلما يتحققون من خيبتهم وفشلهم يلجأون إليه يستغثون به وبقدرته، فينهض وينتهر الريح والبحر. بل ويكلم البحر بسلطان. ويقول للبحر اسكت. ابكم. فيطيعه الريح والبحر، فتسكن الريح ويصمت البحر، ويصير فى الحال هدوء عظيم.

وهنا نلاحظ أن المسيح لم يصلِ ولم يطلب قوة لإسكات العاصفة وتهدئة البحر ولكنه كلم البحر والريح كأشياء خاضعة لسلطانه فصدعت لأمره، حتى تعجب التلاميذ وكل الذين كانوا فى السفينة وقالوا من هو هذا، أى إنسان هذا. وهذه عبارات التعجب والذهول عند قوم يدركون أنه لم يحدث من قبل أن إنسانا يأمر البحر والريح فيطيعانه. لذلك خافوه كإله، وأيقنوا أن له سلطانا عجيبا على كل الطبيعة لا يمكن أن يتوافر لإنسان، وهذا برهان لاهوته ودليل على أنه الله الظاهر فى الجسد.

* * *

٢ ـ معجزة شفاء بارتيماوس الأعمى:

(إنجيل القديس مرقس ١٠: ٤٦– ٥٢)، (متى ٢٠: ٢٩– ٣٤)، (لوقا ١٨: ٣٥– ٤٣)

وكما أظهر مخلصنا سلطانه على الطبيعة، كذلك أظهر أيضا سلطانه على شفاء أمراض البشر جميعها، بما فيها العاهات المستعصية. فلقد رد البصر إلى العميان وفتح أذان الصم، وأنطق ألسنة الخرس، فضلا عن أنه طهر البرص، ومنح الشفاء للمشلولين، شللا جزئيا أو كليا، وكل هذا بسلطان عجيب وقدرة من ذاته لم يستمدها من قوة خارجة عنه.

ومن بين هذه المعجزات. معجزة شفائه لبارتيماوس الأعمى ابن تيماوس. كان الرب يسوع المسيح داخلا بلدة تسمى أريحا، وكان يصحبه كما هو فى الحال دائما ـ تلاميذه وجمع غفير. وكان الرجل بارتيماوس الأعمى جالسا كعادته على الطريق يمد يده ويطلب رحمة من كل من يمر بالطريق، فسمع ضجة الجموع الغفيرة من الناس سائرين حول مخلصنا فسأل ما هذا؟ فأخبروه بأن «يسوع الناصرى عابر»، ولا بد أنه سمع من إناس كثيرين عن سيدنا وقدراته العجيبة فائقة الطبيعة وكيف أنه شفى كثيرين من المرضى وأصحاب العاهات ففرح لأن الفرصة حانت له لينال هو أيضا الشفاء من عماه، فلما سمع بأنه يسوع الناصرى ابتدأ يصرخ ويقول «يايسوع ابن داود، ارحمنى، فزجره كثيرين ليسكت فازداد صراخا: يا ابن داود ارحمنى. فوقف يسوع وأمر أن يدعوه. فدعوا الأعمى قائلين له: ثق وانهض فإنه يدعوك. فطرح رداءه ونهض، وجاء إلى يسوع، ولما اقترب (الأعمى) سأله (يسوع) قائلا. ماذا تريد أن أصنع لك فقال له الأعمى ياسيدى أن أبصر «فتحنن يسوع ولمس عينيه، وقال له أبصر، إن إيمانك قد شفاك وفى الحال أبصر وتبعه فى الطريق وهو يمجد الله. وجميع الشعب الذين رأوه سبحوا الله»

وفى قصة هذه المعجزة نلاحظ.

أولا ـ أن بارتيماوس الأعمى عندما علم أن مخلص العالم عابر أراد أن ينتهز الفرصة المواتية ليطلب منه أن يشفيه من عماه. وبقدر ما كان الناس يزجرونه وينتهرونه ويأمرونه بالسكوت ازداد هو صراخا وهو يقول: يايسوع ابن داود ارحمنى وهذا معناه أن بارتيماوس كان يعرف سابقا عن ربنا يسوع المسيح وقدرته الفائقة على الشفاء ولابد أنه سمع قصصا كثيرة من هذا القبيل. ولولا ذلك لما كان يصرخ بإيمان ويطلب من المسيح أن يرحمه.

ثانيا ـ أن مخلصنا أصغى لصوت الأعمى وصراخه على الرغم من إلتفاف الجماهير من حوله وهذا يدل على إهتمامه بكل أحد. أنه لا ينسى الفرد فى زحمة الجموع، بل يصغى لكل صوت من كل أحد لأنه أبونا وراعينا الأكبر، ونحن شعبه وغنم رعيته. والراعى الصالح يعرف خاصته بأسمائها، ويهتم بها ويبذل نفسه عنها.

ثالثا ـ أن مخلصنا طلب أن يُقَدّم له الأعمى، ونهض الرجل فعلا عندما دعوه لمقابلة السيد. ومن فرحه ترك رداءه وقام مسرعا، فلما اقترب إلى المسيح سأله ماذا تريد أن أصنع لك ولا بد أن الرب يعلم مسألة الأعمى وطلبه ولكنه بهذا السؤال مهد له أن يفصح عن هذا الطلب، ويحدده، وهذا إمتحان للنفس في رغبتها التى تسألها. والله دائما يسر بنا أن نسأله إحتياجاتنا مع أنه يعلمها علما سابقا، لكنه يريدنا أن نفصح عن إحتياجاتنا أمامه حتى تكون لنا فرصة لفحص هذه الطلبات. فإذا نلناها عرفنا أيضا مسئوليتنا بإزاء ما طلبناه لأننا طلبناه بذواتنا ولم يقهرنا أحد على الطلب أو السؤال.

رابعا ـ أفصح الأعمى عن طلبه وقال: أريد، ياسيدى أن أبصر فتحنن يسوع ولمس عينيه وقال له أبصر. هذا الحنان يرينا أن المسيح رحيم وينظر إلينا كأب. ولكنه أعظم من الأب فى حنانه وأقوى من الأب فى قدرته.

خامسا ـ إن وسيله شفاء الأعمى كانت بسيطة ولكنها عجيبة. لمس عينيه وقال له: أبصر. كم من مره لمس الأعمى عينيه ولم يبصر، وكم من مره لمسه آخرون، ولم يبصر، لكن المسيح عندما لمس عينيه وقال له: أبصر. فأبصر فى الحال. وهذا يبين قدرة المسيح له المجد وسلطانه المطلق على الشفاء أنه لم يُصَلِ كما يصلى الأنبياء والرسل لكى يطلب قوة ومعونة. ولكنه لمس ثم أمر. فمنه خرجت قوة للشفاء. وهذا برهان لاهوته «وأنه هو فعلا الله الظاهر فى الجسد».

٣ ـ معجزة شفاء الأبرص:

(إنجيل القديس متى ٨: ٢- ٤)، (مرقس ١: ٤٠- ٤٥)، (لوقا ٥: ١٢- ١٦)

١- كان البرص من الأمراض المستحيلة الشفاء. ولما كان من الأمراض المعدية أيضا. فقد كانت الشريعة فى العهد القديم تمنع السليم أن يختلط بالأبرص أو حتى أن يقترب إليه أو يمسه. فإذا مسه صار نجسا مثله. لذلك كان يطلب من الأبرص إذا سار فى الطريق أن ينادى عن نفسه قائلا: (أنا) نجس، وذلك حتى لا يقترب إليه أحد ولا يمسه وإلا صار نجسا هو أيضا نظير الأبرص.

فإذا كان إنسان أبرص فلا يعينه أحد، لأنه لا يمكنه أن يقترب إليه أو يمسه حتى إمرأته وأولاده إذا كان متزوجا، أو حتى أبوه وأمه وإخوته لا يستطعون أن يقتربوا إليه أو يمسوه. ومعنى هذا أن الأبرص يظل بائسا يائسا مهملا من كل أحد.

٢- وقد أظهر مخلصنا يسوع المسيح قدرته على شفاء هذا المرض المستعصى على الشفاء وسلطانه على تطهير المصاب به منه، كما أظهر فى نفس الوقت حنانه على البُرص، بشفائهم منه. وقد طهر السيد المسيح برصا كثيرين وشفاهم بلمسة من يده وكلمة من فمه حتى قال الوحى المقدس فى وقت ظهور المسيح وصنعه للعجائب والمعجزات «أن العمى يبصرون والعرج يمشون، والبرص يطهرون» (متى ١١: ٥)، (لوقا ٧: ٢٢).

ومن بين معجزاته الكثيرة بالنسبة لمرضى البرص، المعجزة التالية:

«وإذا رجل مغطى بالبرص، فلما رأى يسوع خر على وجهه وسجد له وسأله قائلا ياربِ إن شئت فأنت قادر أن تطهرنى. فتحنن عليه يسوع. ومد يده، ولمسه، وقال له. قد شئت فاطهر. وفيما هو يكلمه للوقت ذهب عنه البرص وطهر، فانتهره وصرفه سريعا. وقال له: انظر لا تقل لأحد. ولكن امض فأرى نفسك للكاهن، وقدم عن تطهيرك القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم. إلا أنه لما خرج جعل ينادى كثيرا ويذيع الخبر فازداد خبره شيوعا حتى أنه لم يعد يستطيع أن يدخل مدينة علانية، فبقى فى الخارج فى مواضع مقفرة. وكان الناس يأتونه من كل جهة ليسمعوه ...».

٣- مع أن الرجل كان مغطى بالبرص أى كان جسمه مملوءا برصا، وكان من المستحيل شفاؤه بالوسائل الطبية الطبيعية لكن المسيح له المجد شفاه بلمسة من يده وكلمة من فمه وهذا

يدل على قدرة رب المجد وسلطانه على جميع الأمراض، لأنه إن كان يشفى البرص فهو يشفى أيضا سائر الأمراض الأخرى، إذ أن البرص من الأمراض المستعصية ولا سيما فى الأزمنة القديمة.

٤- أظهر الأبرص تعبدا وخضوعا وإيمانا بالمسيح، فلما رأى يسوع خر على وجهه وسجد له وسأله قائلا: يارب إن شئت تقدر أن تطهرنى، فهو مؤمن بقدرة المسيح على تطهيره وآمن بأن شفاءه موقوف على مشيئة المسيح. أما قدرته على الشفاء فلا شك فيها مطلقا ونظرا لهذا التعبد والخضوع والإيمان، منحه مخلصنا الشفاء مكافأة له وتقديرا لأدبه وخضوعه وإيمانه.

٥- عندما خر الأبرص على وجهه وسجد للمسيح الرب، وسأله بإيمانه قائلا «يارب، إن شئت فأنت قادر أن تطهرنى، تحنن عليه الرب وأشفق عليه كأب». وهذا يرينا مشاعر مخلصنا نحو المرضى والمتألمين والمبلوين والمتعبين روحيا أو نفسيا أو جسديا. ولكن لكى ينالوا الخلاص من متاعبهم يلزمهم أن يأتوا إلى المسيح الرب ويخروا بوجوههم أمامه ويسجدوا له ويعترفوا بألوهيته، ويقولوا له. يارب إن شئت تقدر أن تخلصنى.

٦- إن المسيح له المجد لمس الأبرص على الرغم من أن هذه اللمسة معدية وخطرة بالنسبة للإنسان العادى. أما المسيح فهو الطبيب الشافى. أنه لا يفزع من المرض ولا يخشاه، ولكن المرض هو الذى يفزع من المسيح ويخشاه، بل يهرب من أمامه.

٧- إن مخلصنا لم يُصَلِّ لكى يشفى المريض الأبرص كما يفعل الأنبياء ورجال الدين وإنما مد يده ولمس الأبرص ثم قال له قد شئت فأطهر. فالشفاء إذن قد تم له بالأمر، فلم يتوسل المسيح إلى قوة أخرى خارجا عنه، ذلك لأن فيه هو القوة وله القوة والمجد والسلطان إلى الأبد.

٨- شفى الرب الأبرص، ومع ذلك أمره أن يذهب ويرى نفسه للكاهن ويقدم القربان لله. ومعنى هذا إن صلة الإنسان بالله توجب عليه بأمر من الله أن يذهب إلى الكاهن ويعترف له بخطاياه، ويكاشفه بكل ما يحدث له. لأن الكاهن هو خادم الله ووكيل أسرار الله، المؤتمن على خدمة النفوس ورعايتها وتدبيرها. وعلى الخاطىء التائب أن يستشير الكاهن فى كل ما يلزم حتى تكون توبته مقبولة. وعليه أن يطيع الكاهن وينفذ بدقة وأمانة كل ما يأمر به الكاهن من صلوات وأصوام وأعمال صالحة.

٤ ـ معجزة شفاء الأعمى منذ ولادته:

(إنجيل القديس يوحنا ٩: ١ – ٤١)

وهذه أيضا معجزة أخرى من معجزات السيد المسيح الشفائية والتى تدل على سلطانه الإلهى المطلق على الشفاء.

هى أيضا معجزة شفاء أعمى لكنه أعمى منذ ولادته. ولقد شفى المسيح عميانا كثيرين، ومنهم بارتيماوس الأعمى، الذى كان يجلس على الطريق فى أريحا يستعطى. وأهمية المعجزة التى نتكلم عنها فى هذا الفصل هى فى أن الرجل الأعمى الذى شفاه المخلص كان أعمى منذ ولادته. ومعنى هذا أنه ليس كالعميان الذين أصيبوا بالعمى وهم كبار أو صغار بسبب مرض أصاب عيونهم بعد ولادتهم، بل أنه ولد فاقدا نهائيا لحاسة البصر. وكان له من العمر عندما شفاه المسيح نحو أربعين سنة وهذا يضاعف من إستحالة الشفاء بأية وسيلة طبيعية وفى نفس الوقت يظهر قيمة المعجزة. ويقول بعض العلماء والآباء أن هذا الرجل الأعمى لم تكن له عينان أصلا، وأن المسيح خلق له عينين خلقا.

وتظهر عظمة المعجزة أيضا فى الوسيلة التى تمت بها. لقد رأينا أن المسيح شفى بارتيماوس الأعمى بأن لمس عينيه ثم قال له. أبصر، فأبصر فى الحال. أما بالنسبة إلى المولود الأعمى فاتبع وسيلة أخرى جديدة. أنه تفل على التراب، وصنع من تفلته طينا، وطلى بالطين عينى الأعمى. وقال له: اذهب واغتسل فى بركة سلوام،... فمضى واغتسل وعاد بصيرا. وفى هذا يظهر المسيح له المجد على إنه خالق، خلق للأعمى عينين لأنه لم تكن له عينان. وقد صنع فى هذا الخلق ما صنعه الله فى بدء الخليقة يوم خلق آدم. فإن الرب الإله جبل الإنسان ترابا من الأرض، ونفخ فى أنفه نسمة حياة، (سفر التكوين ٢: ٧). ومن هنا نفهم أن المسيح له المجد شفى المولود الأعمى بهذه الوسيلة ليبرهن على أنه هو الله الخالق بعينه، وقد لبس جسدا وحل فيما بيننا.

وهنا نلاحظ أيضا أن المسيح الرب لم يُصَلِّ ليطلب قوة لهذه المعجزة، ولم يسأل أحدا آخر فى عمل هذه المعجزة كما يفعل الأنبياء والرسل. ولكنه صنع صنيع الخالق ذاته. تفل على التراب وصنع من تفلته طينا، وطلى بالطين عينى الأعمى، وقال له اذهب واغتسل فى بركة سلوام،... فمضى واغتسل وعاد بصيرا.

على أن هذه المعجزة أحدثت أثرا عجيبا لم يسبق إليه من قبل سواء فى نفس الأعمى الذى أبصر، أو فى نفوس الناس الذين رأوا الأعمى قبل أن يبصر ورأوه بعد أن أبصر.

أما الأعمى نفسه فكان منذهلا من هول المعجزة وغرابتها وقد قال لليهود الذين سألوه «لم يسمع منذ الدهر أن أحدا فتح عينى من ولد أعمى».

وأما اليهود الأخرون الذين رأوا الأعمى قبل أن يبصر ورأوه بعد أن أبصر، فكانت دهشتهم تفوق التصور، فلم يقرأوا من قبل ولا سمعوا بتاتا عن أحد ما كائنا من كان أنه فتح عينى إنسان ولد أعمى. إنها معجزة لم تصنع من قبل. ولذلك جاءوا يسألون الأعمى ليتحققوا منه خبر المعجزة وسألوه، كيف انفتحت عيناك؟ أجاب وقال: هذا الرجل الذى يقال له يسوع صنع طينا وطلى به عينى، وقال له اذهب إلى بركة سلوام واغتسل، فمضيت واغتسلت فأبصرت وسألوه مرة أخرى من شدة دهشتهم «كيف أبصر. فقال لهم جعل على عينى طينا ثم اغتسلت فأبصرت» ثم سألوه مرة ثالثة بعد ذلك «فقالوا له ماذا صنع بك، وكيف فتح عينيك؟ فأجابهم الرجل بما صنع الرب له».

ولقد ذاع صيت هذه المعجزة فى كل أنحاء البلاد حتى أنه لما مات لعازر قال بعضهم أما كان يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضا لا يموت (إنجيل القديس يوحنا ١١ : ٣٧) وهذا معناه أنهم أدركوا أن الذى يصنع هذه المعجزة العجيبة، معجزة شفاء أعمى منذ ولادته، يقدر أيضا أن يقيم لعازر من بين الأموات بعد موته ودفنه فى القبر بأربعة أيام وفى هذه المعجزة كما فى تلك يظهر واضحا سلطان سيدنا وقدرة لاهوته، ويبين أيضا أن كل شىء مستطاع لديه وأنه لا يعسر عليه أمر.

وأخيرا فإن الرجل الأعمى الذى أبصر مع أنه قال لليهود صراحة، لم يسمع منذ الدهر أن أحدا فتح عينى من ولد أعمى، لكنه عندما سألوه، ماذا تقول أنت عن الذى فتح عينيك فقال لهم: أنه نبى. لكن لم يحدث بتاتا فى كل التاريخ أن نبيا استطاع أن يفتح عينى مولود أعمى. لذلك أشفق مخلصنا على هذا الرجل وأراد أن يرفع إيمانه به ويعرفه بحقيقته: فلقيه وقال له أتؤمن أنت بابن الله. فأجاب وقال. ومن هو ياسيد لأومن به، فقال له يسوع: قد رأيته وهو الذى يكلمك. فقال له: قد آمنت يارب، وسجد له أى أن الرجل ارتقى إيمانه بالمسيح من كونه نبيا إلى كونه ابن الله بمعنى أنه من طبع الله ومن جوهره. وبناء على ذلك سجد له سجود العبادة كما يسجد لله. والمسيح له المجد لم يرفض سجود الرجل بل قبله منه لأنه جدير به كخالق وقادر على كل شىء.

٥ ـ معجزة شفاء المفلوج (أو المخلع) :

هل تعرف من هو المفلوج؟ أو هل سبق لك أن رأيت إنسانا مفلوجا؟

المفلوج هو المشلول، العاجز عن تحريك أعضاء جسده. وأحيانا يكون الشلل جزئيا، وأحيانا يكون كليا. أما الشلل الجزئى فهو شلل يصيب بعض الأعضاء كاليد أو الرجل أو الإثنين معا، وقد يصيب نصف الوجه أو إحدى العينين أو اللسان بحيث يكون العضو المصاب بالشلل يابسا وعاجزا عن الحركة. وأما الشلل الكلى فهو ما يصيب الجسم كله بحيث يمسى الإنسان عاجزا عجزا تاما عن تحريك كل أعضائه.

ولقد شفى سيدنا كثيرين من المصابين بالشلل الجزئى أو الشلل الكلى ممن عجز الأطباء عن معالجتهم، وممن ظلوا تحت وطأة المرض سنين كثيرة.

وفيما يلى نذكر معجزتين بارزتين عن شفاء إثنين من المصابين بالشلل الكلى أو الشلل التام لمدة طويلة. ولم يستطع الطب حيالهما شيئا.

أ ـ معجزة شفاء مفلوج كفر ناحوم:

(إنجيل القديس متى ٩: ١– ٨)، (مرقس ٣: ١– ١٢)، (لوقا ٥: ١٧– ٢٦)

أما المعجزة الأولى فوقعت فى بيت من بيوت مدينة كفر ناحوم بالأراضى المقدسة. وكان مخلصنا فى هذا البيت يعظ ويعلم. فللوقت اجتمع هناك كثيرون حتى لم يعد يسع البيت ولا ما حول الباب. فكان (يسوع) يخاطبهم بالكلمة. وإذا برجال أربعة يحملون على فراش إنسانا مخلعا وكانوا يحاولون أن يدخلوا به ويضعونه قدامه. ولما لم يجدوا من أين يدخلون به لسبب الجمع صعدوا به على السطح وكشفوا السقف حيث كان يسوع وبعد ما نقبوه دلوا السرير الذى كان عليه المخلع مضطجعا عليه فى الوسط قدام يسوع. فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمخلع. ثق يابنى مغفورة لك خطاياك وكان قوم من الكتبة والفريسيين جالسين هناك يفكرون فى قلوبهم قائلين. ما بال هذا يتكلم هكذا بتجاديف فمن يقدر أن يغفر خطايا إلا الله الواحد وحده. فللوقت علم يسوع بروحه أنهم يفكرون هكذا فى أنفسهم. فقال لهم: لماذا تفكرون بهذا الشر فى قلوبكم، أيما أيسر أن يقال للمخلع مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم واحمل سريرك وامشى. ولكن لكى تعلموا أن ابن الإنسان له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا. حينئذ قال للمخلع: أما أنت فلك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك ففى الحال قام قدامهم وحمل السرير الذى كان

مضطجعا عليه، وخرج أمام الجميع ومضى إلى بيته وهو يمجد الله. فلما رأى الجموع ذلك تعجبوا ومجدوا الله، وامتلأوا خوفا قائلين لم نر أحدا مثل هذا قط، إنا قد رأينا اليوم عجائب.

وهنا نلاحظ بالنسبة لهذه المعجزة الأولى.

أولا ـ أن المخلع كان مصابا بشلل كلى وكان مضطجعا على سرير ولم يكن قادرا على أن يمشى أو يتحرك، فحمله أربعة رجال بناء على طلبه. وقصدوا إلى البيت الذى كان فيه مخلص العالم يطلبون شفاء مريضهم. وهذا يعطينا صورة لهذا المرض الخبيث وما يصنعه فى المصاب به بحيث يمسى عاجزا تماما عن الحركة.

ثانيا ـ كان الرجال الأربعة ذوى مروءة لأنهم حملوا هذا المريض على سرير ولما وجدوا صعوبة فى الوصول إلى الرب يسوع بسبب ازدحام الناس فى البيت وما حوله لم يتراجعوا عن قصدهم الصالح، بل أن إهتمامهم بشفاء مريضهم أملى عليهم أن يلجأوا إلى وسيلة عجيبة تدل على شدة إلحاحهم على شفاء المريض وهى أنهم صعدوا إلى سطح المنزل، وكشفوا سقف الموضع الذى كان الرب يعلم فيه، ودلوا المريض بسريره وأنزلوه فى الوسط قدام السيد المسيح.

فبرهنوا بذلك على إهتمامهم بالمريض وشدة رغبتهم فى شفائه وعلى قوة عزيمتهم أمام الصعوبات كما برهنوا على عمق إيمانهم بمخلصنا وبقدرته على الشفاء.

ثالثا ـ إن إيمانهم كان موضع رضى سيدنا وتقديره. ولذلك فإنه شفى المريض نظرا لإيمانهم فكان إيمانهم هم شفيعا فى المريض لأنه بسببهم نال المريض الشفاء ولم يقل الكتاب فلما رأى يسوع إيمانه، وإنما قال: «فلما رأى يسوع إيمانهم». أى أن إيمان الرجال الأربعة كان شفيعا فى المريض سواء مع إيمان المريض أو بدونه وكم من مرة يصيبنا خير، أو ننجو من شر، بشفاعة بعض القديسين وبتوسلاتهم وبركاتهم.

رابعا ـ أن السيد شفى المخلع بكلمة الأمر وحدها. قال للمفلوج «أما أنت فلك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك». فلم يتوسل بالصلوات، بل أصدر أمره إلى المريض بسلطان واقتدار ففى الحال قام المريض المشلول شللا تاما كاملا، وقام أمام جميع الناس الحاضرين فى ذلك الوقت. ولم يقم فى ضعف أو تخاذل كما يقوم أى مريض بعد إيقاظه من مرضه بل قام قويا شديدا قادرا لاعلى حمل نفسه فقط وإنما أيضاً على حمل الأثقال فحمل سريره الذى جاء مضطجعا عليه، وخرج قدام جميع الناس ومضى إلى بيته وهو يمجد الله، إن أمر المسيح له

المجد للمشلول المخلع شبيه بأمر الله فى الخليقة الأولى كان يقول للشيء كن فيكون. وهذا دليل على لاهوت المسيح، واقتداره على كل شيء.

خامسا - إن هذه المعجزة صنعها المسيح له المجد ليس حنانا بالرجل فقط، وإنما إظهارا أيضا لسلطانه على مغفرة الخطايا. وهذا برهان آخر على لاهوت سيدنا، لأنه من يقدر أن يغفر الخطايا إلا الله الواحد وحده، وقد أكد الرب يسوع أن له هذا السلطان على مغفرة الخطايا فقال: إن ابن الإنسان له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا وأما ابن الإنسان فهو السيد المسيح لأنه هو كلمة الله تجسد ولبس صورة إنسان فصار بذلك ابن الإنسان ونحن نعلم أنه صار ابن مريم.

سادسا - إن الذين شاهدوا المعجزة تحيروا وتعجبوا وامتلأوا خوفا ومجدوا الله. وشهدوا بأنهم لم يروا أحدا مثل هذا قط من قبل. فالشفاء تم فى الحال. ثم كان شفاءً كاملا بصورة مذهلة، لأن الرجل لم يشف فقط بل أنه دخل وهو محمول وخرج وهو حامل السرير الذى كان مضطجعا عليه مشلولا شللا كاملا ثم أن الشفاء تم بكلمة من فم المسيح بكلمة الأمر الذى أصدره من فيه، وهذا كله لا يمكن أن يصنعه غير الله نفسه. فلم يسبق لهم أن رأوا أو سمعوا عن نبى يشفى بهذا السلطان ومن دون أن يطلب قوة من خارج ذاته.

إن هذه المعجزة تدل على رحمة الله بالمريض وتحننه عليه وعلى أمثاله كما تدل فى نفس الوقت على سلطانه فى غفران الخطايا وفى شفاء الأمراض المستعصية...

ب - معجزة شفاء مفلوج بركة بيت حسدا:

(إنجيل القديس يوحنا ٥: ١ - ١٥)

أما المعجزة البارزة الثانية بالنسبة إلى مرض الفالج أو الشلل فهى معجزة شفاء مفلوج بركة بيت حسدا الواردة فى الأصحاح الخامس من إنجيل القديس يوحنا.

كان مطروحا على هذه البركة بين أروقتها الخمسة عدد غفيرمن مرضى بأمراض مختلفة كالعمى والعرج ويبوسة الأعضاء. وكانوا جميعا ينتظرون تحريك الماء بفعل ملاك كان ينزل أحيانا فى البركة، فمن كان ينزل أولا بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه، وكان بينهم مريض بالشلل التام أزمن مرضه جدا لأنه كان له ثمانية وثلاثون عاما، هذا رآه يسوع مضطجعا، وعلم أنه قضى زمانا كثيرا. فقال له أتريد أن تبرأ. أجاب المريض ياسيد. ليس لى إنسان حتى إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة، فبينما أنا آت ينزل قدامى آخر قال له يسوع قم،

احمل سريرك وامش فللوقت برىء الإنسان وحمل سريره ومشى.

وهنا نلاحظ بالنسبة لهذه المعجزة الثانية.

أولا ـ أن المريض كان مشلولا شللا تاما وكليا بدليل أنه كان مطروحا على البركة ومع ذلك لم يكن قادرا على أن يتحرك فيلقى نفسه فى البركة، متى نزل الملاك وحرك الماء فى البركة، وهذا دليل شدة مرض الفالج.

ثانيا ـ أن المريض قضى ثمانية وثلاثين عاما يعانى مرض الفالج، ولم يتماثل إلى الشفاء بل كان فى أشد حالات العجز حتى عن أن يرمى بنفسه إلى البركة مع أنه كان مطروحا على حافتها وهذا دليل آخر على استفحال المرض، وعلى أنه بسبب طول المدة أمسى مريضا مستحيل الشفاء بالوسائل الطبية العادية.

ثالثا ـ أن الطبيب الحقيقى يسوع المسيح عندما تقدم ليشفى هذا المخلع لم يُصلِّ كما يفعل الأنبياء والرسل من بنى البشر وإنما بكل قوة وسلطان أصدر أمره إليه قائلا: «قم احمل سريرك وامشى» وهذا هو الأسلوب الذى اتبعه المخلص دائما فى كل معجزاته لأن له سلطاناً على كل أحد، وعلى كل شىء. ولأن قوة كانت تخرج منه للشفاء.

رابعا ـ لقد أطاع المرض أمر المسيح له المجد، فترك المرضُ المريض. فشفى المريض فى الحال دون إبطاء. وفضلا عن ذلك قام المشلول كزميله مفلوج كفر ناحوم فحمل سريره ومشى وهذا كله برهان قوة المعجزة، وأن الشفاء كان حقيقيا وشاملا وكاملا، وأن الرجل قد تحول من مشلول عاجز عن أيه حركة قليلة إلى رجل قوى قادر على حمل الأثقال لأنه حمل سريره مسافة طويلة من بركة بيت حسدا إلى بيته.

خامسا ـ أن سيدنا هو الذى تقدم نحو المريض المشلول ليشفيه ومع ذلك سأله. هل تريد أن تبرأ؟ وبهذا مهد له الطريق ليسأل الشفاء بلسانه، لأن الله لا يشاء أن يقهر أحدا على أمر لا يرضاه. فقال الرجل بمرارة ليس لى إنسان حتى إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة. فبينما أنا آت ينزل قدامى آخر. وهذا إعتراف مر لا يشرف الناس. وفى نفس الوقت نجد أن القصة ذاتها بينة على حنان المسيح ورأفته. وكما يقول النبى «أبى وأمى قد تركانى وأما الرب فقبلنى» فإذا رأيت مريضا وجب عليك أن تساعده وتخدمه وتعمل على راحته وأن تقربه إلى المسيح، أو على الأقل أن تصلى من أجله لكى يرحمه الرب ويشفيه ويغفر له خطاياه.

٥٩ ـ المسيح حسب الجسد هو رب داود
وهو الله بذاته وقد اتَّخذ جسداً

سؤال: من الابنة ماريانا اميل مترى ـ مصر الجديدة.

جاء فى الإنجيل «ثم أجاب يسوع وقال وهو يُعلِّم فى الهيكل، كيف يقول الكتبة إن المسيح ابن داود، لأن داود نفسه قال بالروح القدس قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك، فداود نفسه يدعوه رباً، فمن أين هو ابنه» (مرقس ١٢: ٣٥– ٣٧) فكيف يقول الله للمسيح، والله هو المسيح؟

الجواب:

إذا سأل المسيح له المجد سؤالاً، فلكى يثير من يسأله، حتى يفكر التفكير الذى يقوده إلى الجواب، وهو خير منهج للتعليم، وما أكثر المواقف التى نرى المسيح له المجد يثير السؤال، ليحمل المسئول فردا أو جماعة على أن يكتشفوا الجواب بأنفسهم فلا تكون الإجابة مفروضة عليهم.

قال الإنجيل «وفيما كان يسوع يُعلِّم فى الهيكل قال: كيف يقول الكتبة إن المسيح هو ابن داود». فى حين أن داود نفسه يقول بالروح القدس. قال «الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك. فداود نفسه يقول عنه إنه الرب، فكيف يكون ابنه؟» (مرقس ١٢: ٣٥– ٣٧)، (متى ٢٢: ٤١– ٤٥)، (لوقا ٢٠: ٤١– ٤٤).

وحقاً إن النبى داود قال فى المزمور «قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك تحت قدميك» (مزمور ١٠٩ (١١٠): ١).

أما أن المسيح هو ابن داود، فلأن المسيح وهو الله الظاهر فى الجسد اتَّخذ جسدا من مريم العذراء، ومريم تنتسب إلى بيت داود، وكذلك يوسف النجار خطيبها كان يوصف بأنه يوسف بن داود (متى ١: ٢٠).

لذلك دعى وسمى يسوع المسيح حسب الجسد بأنه (ابن داود) (متى ١: ١)، (٩: ٢٧)، (١٢: ٢٣)، (١٥: ٢٢)، (٢٠: ٣٠، ٣١)، (٢١: ٩، ١٥)، (٢٢: ٤٢)، (مرقس ١٠: ٤٧، ٤٨)، (لوقا ١٨: ٣٨، ٣٩).

أما من حيث **لاهوته فهو ابن الله** (متى ١٦ : ١٦)، (١٤ : ٣٣)، (مرقس ١ : ١)، (لوقا ٣ : ٣٨)، (يوحنا ١ : ٣٤)، (٩ : ٣٥).

وإذن فقول النبي داود في المزمور «قال الرب لربي: اجلس عن يميني» يشير إلى حقيقة عودة المسيح له المجد إلى السماء التي منها نزل، فبعد أن تمم عمل الفداء، صعد في اليوم الأربعين لقيامته المجيدة، وجلس على العرش.

(**فالرب**) في قول داود بروح النبوءة، «قال **الرب**» هو الله الآب السماوي، وأما (**ربي**) في قول داود «قال الرب لربي»، فهو الله ذاته وقد اتّخذ جسدا، وهو المسيح له المجد الذي سمي **(ابن داود حسب الجسد)**.

والنص كله هو لبيان دعوة المسيح إلى السماء في يوم صعوده في يوم الأربعين لقيامته المجيدة بعد أن تمم عمل الفداء، فعاد إلى السماء التي منها نزل، «ودخل إلى حيث مجده» (لوقا ٢٤ : ٢٦) ثم استوى على العرش في السماء، وجلس عن يمين الله (مرقس ١٦ : ١٩).

٦٠ ـ جسد المسيح محدود
أما بهاء اللاهوت المتحد به
فيملأ السماوات والأرض وكل الكون

الابن العزيز هانى زاهر سعيد ـ المنشية الجديدة ـ شبرا الخيمة.

سلام ونعمه وبركة من ربنا يسوع المسيح.

ردا على خطابكم، وفى الوقت نفسه، ماهو تعليقنا على إجابتكم لسؤال أحد الدارسين فى اجتماع إعداد الخدام بأن (جسد المسيح فادينا له المجد محدود، لكن إمكانيات جسد المسيح غير محدودة لأن طبيعة السيد المسيح المتجسد طبيعة غير محدودة، لأنه هو الله، الله المتجسد)

نقول إن إجابتكم صحيحة وسليمة.

ذلك أن جسد المسيح فادينا هو (محدود) **من حيث كيانه المادى، فى الطول والعرض، والقامة، ومحدود فى** (الزمان) **فقد تكوّن بحلول الروح القدس، على العذراء الطاهرة القديسة مريم، ليصوغ من دمها جسداً ليكون للاهوت ستاراً وحجاباً**، حتى لا تحترق العذراء مريم ولايحترق الناس جميعا بحلول اللاهوت فى كامل بهائه فى الأرض فإن (إلهنا نار آكلة) (العبرانيين ١٢ : ٢٩)، (من منا يسكن فى نار آكلة. من منا يسكن فى وقائد أبدية) (إشعياء ٣٣ : ١٤).

وهو ما أجاب به الملاك جبرائيل على سؤال العذراء الطاهرة مريم عندما أعلنها بالحمل الإلهى فى أحشائها (كيف يكون لى هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟) (لوقا ١ : ٣٤) فأجابها الملاك وقال لها: (إن روح القدس سيحل عليك وقوة العلى ستظللك، ولذلك فإن **القدوس** الذى سيولد منك يدعى ابن الله) (لوقا ١ : ٣٥).

وإذن (لما حان ملء الزمان)، و (تم الزمان) (غلاطية ٤ : ٤) للفداء والخلاص، اتّخذ الله الكلمة جسداً (يوحنا ١ : ١٤).

ولما كانت المرأة التى اتّخذ الله جسده منها، عذراء بكراً لم تعرف رجلاً، فكيف يتكون الجسد من غير زرع رجل؟، لذلك كان لابد من حلول للروح القدس على مريم وفيها، ليصوغ من دمها الجسد الذى يكون للاهوت عندما يحل فيها، ستاراً وحجاباً حتى لا تحترق العذراء مريم بنار اللاهوت.

وإذن كان لابد للجسد أن يتكون عند حلول الكلمة فى أحشاء مريم، وهذا ما أعلنه الوحى الإلهى بقوله بلسان الكلمة الأزلى (لذلك يقول المسيح **عند دخوله العالم..... أعددت لى جسداً**) (العبرانيين ١٠: ٥)، (٢: ١٤)، (٥: ٧)، (١. بطرس ٢: ٢٤).

فالجسد الذى أعده الروح القدس، هو الجسد الذى (ظهر) به المسيح (بهيئة إنسان) (فيلبى ٢: ٨)، (وحقاً عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد) (١. تيموثيئوس ٣: ١٦).

على أن هذا الجسد الذى اتّخذه الله الكلمة، ولئن كان محدودا فى الزمان والمكان، ومحدوداً فى الطول والعرض والقامة، لكنه بحلول الله الكلمة فيه، صار جسداً ملتهباً بالنور والنار، على أنه باتحاد اللاهوت به لم يفقد خصائصه وصفاته الجسدانية. مثله مثل الجمر فى المجمرة، الفحم متحد بالنار، وبهذا الاتحاد يجمع الجمر بين خصائص الفحم من حيث الكتلة والحجم والوزن والشكل، وخصائص النار من حيث الإضاءة والإحراق والتوهج، هو اتحاد بغير اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير.

على أن جسد المسيح كان مع ذلك يستر بهاء لاهوته المتحد به، وكان المسيح بقدرة لاهوته يتحكم فى قدر البهاء الذى يسمح بإظهاره وفقا لحكمته وتدبيره.

فلما صعد على جبل التجلى قبيل آلامه سمح بومضة من ومضات لاهوته أن تشرق منه، فأضاء وجهه كالشمس فى اشتدادها وصارت ثيابه متألقة بالنور، وبيضاء كالثلج (متى ١٧: ١ – ٣)، (مرقس ٩: ١ – ٣)، (لوقا ١٩: ٢٨ – ٣٠).

فلما صعد إلى السماء لم يعد فى حاجة إلى أن يستر بهاء لاهوته، فرآه شاول الذى هو بولس وكان ذلك فى منتصف النهار، ووجهه وكل جسده يشع بالنور بلمعان أكثر من الشمس وهى فى اشتدادها فغشيت عينا شاول أو بولس، وأمسى أعمى حتى أمسك به المرافقون له وقادوه بيده ليدخل إلى دمشق (أعمال ٩: ٣ – ٩)، (٢٢: ٦ – ١١)، (٢٦: ١٢، ١٣).

ولما ظهر المسيح له المجد للقديس يوحنا الرسول، وهو فى جزيرة بطمس، رآه فى بهاء عظيم، حتى سقط يوحنا عند رجلى المسيح له المجد كميت، مع أنه رآه على جبل التجلى، مما يدل على أن المسيح له المجد سمح أن يظهر فى جزيرة بطمس ببهاء أعظم مما ظهر به على جبل التجلى (الجليان ـ الرؤيا ١: ٩ – ١٨).

وقول القديس يوحنا عن المسيح له المجد (وقعت عند قدميه) (الرؤيا ١ :١٧) ثم (وضع يده اليمنى علىّ) (الرؤيا ١ : ١٧) يدل على أن المسيح صعد إلى السماء بذات جسده وهو الآن جالس بجسده على العرش، لكن هذا الجسد، على الرغم من أنه محدود فى طوله وعرضه وقامته، لكن البهاء يخترق جسده، ويخرج منه، كما يخترق نور الشمس زجاج النافذة وهى مغلقة، أو كما يخترق نور المصباح الكهربائى زجاج المصباح وينفذ منه إلى خارج المصباح وينتشر فى الوجود الخارجى كله.

والخلاصة إن جسد المسيح محدود فى تكونه عند التجسد، محدود فى المكان والزمان، وفى الطول والعرض والقامة، ولكن اتحاد اللاهوت به وحلوله فيه صير الجسد المحدود غير محدود فى إمكاناته وقدراته وامتدادات البهاء الإلهى الذى يملأ السماوات والأرض، والكون كله، وما وراء الكون، إذ هو الله الذى اتّخذ الجسد ستارا يحجب بهاء لاهوته حتى يتمم عمل الفداء والخلاص للإنسان.

٦١ ـ فى المسيح اتحد اللاهوت بالناسوت وناسوته من جسد وروح إنسانية (١)

سؤال: من الابن بطرس كامل.

يقول ـ لقد جاء فى الإنجيل عن السيد المسيح أنه على الصليب (أسلم الروح) (متى ٢٧ : ٥)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، فأين ذهبت روح السيد المسيح؟، وهل معنى ذلك أن اللاهوت فارق الناسوت؟

الجواب:

الروح التى أسلمها المسيح مخلصنا، وهو على الصليب، هى الروح الإنسانية فى المسيح.

فالمسيح له المجد إله وإنسان، وقد اتحد فيه اللاهوت والناسوت اتحاداً كاملاً بغير اختلاط ولا امتزاج ولاتغيير، فى طبيعة واحدة لها خصائص اللاهوت والناسوت معاً، مثله مثل الجمر فى المجمرة اتحد فيه الفحم بالنار، اتحادا بغير انفصال يجمع بين خصائص الفحم من حيث الحجم والكتلة والصلابة، وخصائص النار من حيث الإضاءة والتوهج.

ولما كان المسيح له المجد قد نزل من السماء من أجل عمل الفداء، فكان لابد من أن يحتمل حكم الموت بدلاً من الإنسان لكى يفدى الإنسان ويرفع بموته حكم الموت عن الإنسان.

ولما كان للمسيح له المجد إنسانية كاملة، وإنسانيته أو ناسوته يجمع نظير كل إنسان ـ بين روح وجسد. فالموت الذى اقتبله على الصليب من أجل مهمة الفداء والخلاص، كان طبيعيا أن يتم بمفارقة الروح للجسد، على أن الروح التى فارقت الجسد على الصليب هى الروح الإنسانية. أما اللاهوت فلم يفارق لا الجسد، ولا الروح لحظة واحدة أو طرفة عين.

مرة أخرى نريد أن نؤكد على أن المسيح له المجد كانت له روح إنسانية، مثلنا، والروح الإنسانية هى طبعا غير اللاهوت.

وهذا هو التعليم الأرثوذكسى الذى قرره المجمع المسكونى الثانى المنعقد فى القسطنطينية فى عام ٣٨١م ضداً لبدعة أبوليناريوس الذى أنكر أن تكون للمسيح روح إنسانية وزعم أن اللاهوت حل محل الروح، فحرمه المجمع المسكونى. وقال آباء المجمع إنه كان لابد أن يكون للمسيح الإله روح إنسانية لأن الفداء هو للإنسان كله، والإنسان روح وجسد معاً. ولذلك جاء فى القداس

---

(١) كتب فى ١٠ من فبراير لسنة ١٩٩٣م / ٣ من أمشير لسنة ١٧٠٩ ش.

الإلهى قوله (تجسد وتأنس) والتأنس معناه أن المسيح الإله اتّخذ طبيعة الإنسان كله من روح وجسد معاً، وليس مجرد جسد فقط.

لذلك فإن الروح التى أسلمها المسيح على الصليب هى روحه الإنسانية. أما اللاهوت فلم يفارق الروح أو الجسد.

ومثلنا فى ذلك مثل حبة ذات فلقتين فى داخل كوب ممتلىء بالماء. فإذا فصلنا بين الفلقتين فى داخل كوب الماء، فقد باعدنا بين الفلقتين شرقا وغربا أو شمالا وجنوبا، ولكن دون أن نرفع إحداهما عن الماء فى الكوب. هكذا فى موت المسيح فارقت الروح الجسد فى محيط اللاهوت المالىء السماوات والأرض، أى أن اللاهوت لم يفارق الجسد، ولم يفارق الروح الإنسانية، وإنما المفارقة تمت بين الروح الإنسانية والجسد، اللذين يتركب منهما الناسوت الذى لم يفارقه اللاهوت لحظة واحدة أو طرفة عين.

هذه المفارقة بين الروح الإنسانية فى المسيح وبين جسده كان لابد منها لتحقيق الموت، الذى كان لابد منه أيضا لتحقيق الفداء والخلاص للإنسان.

ومع ذلك، فإن هذه المفارقة بين الروح الإنسانية فى المسيح وبين جسده، كانت لوقت محدود عادت بعده الروح والجسد إلى الاتحاد معاً كما كان الحال قبل الموت الآنىّ، وهو ما يقرره نص القداس الإلهى كما جاء فيما يعرف بالقسمة السريانية.

(هكذا بالحقيقة تألم كلمة الله بالجسد، وذبح وانحنى بالصليب، **وانفصلت نفسه من جسده، إذ أن لاهوته لم ينفصل قط، لا من نفسه، ولا من جسده**)...

ثم **أتت نفسه واتحدت بجسده**... واحد هو عمانوئيل، وغير مفترق من بعد الاتحاد، وغير منقسم إلى طبيعتين.

لذلك عندما نزل المسيح له المجد من القبر إلى العالم السفلى واقتحم الجحيم، وأخرج آدم والقديسين الذين كانوا ينتظرون الخلاص نزل إلى العالم السفلى بلاهوته وكامل ناسوته روحا وجسدا، (إنه نزل أولا إلى أسافل الأرض، فهذا الذى نزل هو نفسه الذى صعد إلى ما فوق السماوات كلها، ليملأ كل شىء) (أفسس ٤ : ٩، ١٠).

لذلك جاء بالقداس الإلهى قوله (ونزل إلى الجحيم) أى أنه نزل إلى العالم السفلى، وأخرج المنتظرين الخلاص ودخل بهم إلى الفردوس الذى كان مغلقاً منذ أن سقط آدم وحواء فى الخطيئة الأولى، وفقا لوعده للص اليمين (إنك اليوم تكون معى فى الفردوس) (لوقا ٢٣ : ٤٣) وهو (سبت الفرح) (يوحنا ٨ : ٥٦).

٦٢ ـ للمسيح من حيث هو إنسان روح إنسانية

سؤال: من الابن مجدى عزيز ـ القاهرة.

يقول إن السيد المسيح له المجد أخذ صورة إنسان كامل، جسداً وروحاً ونفساً. وعندما قال يا أبتاه فى يديك استودع روحى، فهل تلك الروح التى ذكرها المسيح هى الروح القدس أم هى روح إنسانية شأنها شأن كل أرواح القديسين التى فارقت أجسادهم إلى الفردوس؟ وإن كانت روحاً إنسانية فهل معنى هذا أن للسيد المسيح روحين، الروح القدس والروح الإنسانية مثل أرواح القديسين؟

الجواب:

إن السيد المسيح اتّخذ إنسانية كاملة، والإنسانية تتألف من روح ومن جسد، هذه الروح الإنسانية هى التى قال عنها على الصليب «يا أبتاه فى يديك استودع روحى» (لوقا ٢٣: ٤٦)، ولما كان المسيح له المجد جاء لخلاص الإنسان فكان لابد أن يتخذ جسداً به روح ناطقة عاقلة، فالإنسانية بالروح والجسد معاً. واعلم أن أبوليناريوس APOLLINARIUS (٣١٠–٣٩٠) م قد وقع فى خطأ عندما ظن أن اللاهوت حل محل الروح الإنسانية فى المسيح، وقد رفض الآباء فى مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١م بدعة أبوليناريوس وأعلنوا أنه قد سقط فى بدعة أثيمة وهرطقة مرفوضة، ولذلك أعلنوا فى قانون الإيمان هذا التعبير (تجسد وتأنس) وذلك إيضاحاً لحقيقة كمال ناسوت المسيح **بالروح والجسد معاً**. ثم صار هذا التعبير منصوصاً عليه فى القداس (**تجسد وتأنس**).

هذه الروح الإنسانية فى المسيح هى فيه بصفته الإنسانية. أما الروح القدس فهو مع الآب والابن فى الوحدة الثالوثية منذ الأزل وإلى الأبد.

وقال آباء الكنيسة فى الرد على أبوليناريوس واستنكاراً لبدعته، مادام المسيح قد جاء لخلاص الإنسان. فكان لابد أن تكون معه روح إنسانية وإلا كانت إنسانية المسيح ناقصة. فالمسيح بتأنسه اتّخذ جسداً بروح ناطقة عاقلة.

هذه الروح الإنسانية فى المسيح هى غير الروح القدس الكائن معه منذ الأزل وإلى الأبد فى لاهوته.

هذه الروح الإنسانية فى المسيح هى التى ذكر عنها الإنجيل أن المسيح أسلمها على الصليب (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ : ٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦).

قال الإنجيل عن المسيح له المجد فى طفولته «وكان الطفل ينمو **ويتقوى بالروح** ممتلئاً حكمة» (لوقا ٢ : ٤).

وجاء عنه وهو على قبر لعازر عندما جاءت إليه مريم أخت لعازر باكية فلما رآها يسوع تبكى، ورأى اليهود الذين جاءوا معها أيضاً يبكون «**تألم بالروح واضطرب**» (يوحنا ١١ : ٣٣).

كذلك جاء عن المسيح له المجد بعد أن غسل أرجل تلاميذه فى ليلة آلامه أنه «**اضطرب بالروح** وصرخ قائلاً: الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيُسلمنى» (يوحنا ١٣ : ٢١).

انظر أيضاً (متى ٢٦ : ٣٨)، (مرقس ١٤ : ٣٤)، (يوحنا ١٢ : ٢٧).

٦٣ - لماذا نزل إلى الجحيم

سؤال: من أحد القراء.

يُذكر في القداس الإلهي «ونزل إلى الجحيم من قبل الصليب» فما المقصود من قوله «ونزل إلى الجحيم» وهل نزل السيد المسيح إلى الجحيم فعلاً؟

الجواب:

إن الذى ورد عن المسيح له المجد فى القداس الإلهى من أنه نزل إلى الجحيم، تعليم جاء فى الكتاب المقدس فى أكثر من موضع.

فقد ورد فى رسالة القديس بطرس الأولى قوله:

«فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكى يقربنا إلى الله، مماتاً فى الجسد، ولكن محيى فى الروح، الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن» (١ . بطرس ٣ : ١٨، ١٩) .

وواضح من هذا النص أن المسيح له المجد بعد أن صلب من أجل خطايانا، وتألم من أجل خلاصنا، ولكى يزيل العداوة بيننا وبين العدل الإلهى، مضى بعد موته على الصليب، وبشر الأرواح المحبوسة فى الجحيم، والتى كانت تنتظر العتق والخلاص من عبودية الجحيم، وهى أرواح القديسين من القدماء الذين انتقلوا إلى العالم السفلى ولم يستطيعوا أن يدخلوا إلى الفردوس، إذ كان الفردوس مغلقاً فى وجه جميع الناس بعد أن سقط آدم أبوهم فى الخطيئة، فطرده الرب من الفردوس ولم يقدر لا هو، ولا أحد من نسله أن يقترب إلى الفردوس (التكوين ٣ : ٢٣، ٢٤)، (حزقيال ٣١ : ١١) .

ومعنى قوله «مماتاً فى الجسد، ولكن محيى فى الروح» أن المسيح نزل إلى الجحيم ليبشر الموتى من القديسين، بالخلاص الذى حققه بموته على الصليب.

لقد نزل المسيح إلى الجحيم بعد موته. وموت المسيح معناه انفصال بين عنصرى ناسوته: الروح والجسد، مع استمرار اتحاد كل منهما باللاهوت. فاللاهوت لا يموت. ولذلك نردد دائماً فى القداس قولنا «قدوس الله قدوس القوى، قدوس (الحى) الذى لا يموت... يا من صلب عنا ارحمنا...» فالذى مات على الصليب ليس هو اللاهوت، وإنما موت المسيح معناه انفصال جسده

من روحه الإنسانية، وهو ما عبر عنه الإنجيل بقوله «وأسلم الروح» (متى ٢٧ : ٥٠)، (مرقس ١٥ :٣٧)، (لوقا ٢٣ : ٤٦)، (يوحنا ١٩ : ٣٠).

إذن قبل أن ينزل المسيح إلى الجحيم ليبشر الموتى من القديسين، كان قد مات بالمعنى الذى شرحناه، لكنه فيما كان ميتاً كان حياً أيضاً «محيى فى الروح» ذلك لأن روحه الإنسانية التى خرجت من جسده كانت فى نفس الوقت متحدة بلاهوته، ولم تنفصل عن اللاهوت، وهكذا مضت الروح متحده باللاهوت إلى عالم الأرواح لتبشرهم بالخلاص وبالعتق وبالفداء.

ولم يبشرهم المسيح بالخلاص فقط بل إنه نقلهم إلى الفردوس، نقل آدم وبنيه من القديسين إلى الفردوس الذى كان مغلقاً قبلاً فى وجوههم، ففتحه المسيح بصلبه وموته، وبعمل الفداء الذى تممه. ولهذا أصبح الصليب مفتاح الفردوس. وبهذا تحقق وعد المسيح على الصليب إلى ديماس اللص اليمين عندما قال له «الحق أقول لك أنك اليوم تكون معى فى الفردوس» (لوقا ٢٣ : ٤٣).

وجاء أيضاً فى رسالة القديس بطرس الرسول الأولى قوله:

«فإنه لأجل هذا بشر الموتى أيضاً، لكى يدانوا حسب الناس بالجسد، ليحيوا حسب الله بالروح» (١. بطرس ٤ : ٦).

فهنا فى هذا النص أيضاً، يؤيد الرسول القديس بطرس ما سبق أن قاله عن تبشير الموتى من سكان العالم السفلى. وهذه البشرى هى بشرى الخلاص الذى تممه المسيح على الصليب، فداء عنهم وعن جميع الناس. ولما كانوا فى الجحيم مغلقاً عليهم فيه، فكان نزول المسيح إليهم هو البشرى التى بشرهم بها، والتى ترتب عليها إنتقالهم من الجحيم إلى الفردوس الذى كانوا يترقبونه ولم يكن ممكناً لهم أن يدخلوا إليه، من غير المسيح الفادى.

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى كنيسة أفسس:

«لذلك يقول، إذ صعد إلى العلاء، سبى سبياً، وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السماوات، لكى يملأ الكل» (أفسس ٤ : ٨-١٠).

المسيح إذن نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى، إلى العالم السفلى بأقسامه ومستوياته متدرجة من سافلها إلى أسفلها، وذلك كان بعد موته على الصليب. وإذ نزل إلى هناك بشر الموتى من القديسين، ففرحوا به، وانضموا تحت لوائه، فصاروا مسبيين وتابعين له، فقد عتقهم من أسر

إبليس والجحيم، وإذ صعد إلى الفردوس، إلى السماء الثالثة (٢. كورنثوس ١٢: ٢، ٣) نقلهم معه، وأدخلهم إلى الفردوس. أما هو فبعد أن أدخلهم إلى الفردوس إلى السماء الثالثة، صعد بمفرده إلى سماء السماوات واستوى على العرش حيث لا يستطيع أحد من الناس أن يدخل قبل يوم الحساب العظيم.

«وسماء السماوات» هي عرش الله ذاته.

(التثنية ١٠: ١٤)، (١. الملوك ٨: ٢٧)، (نحميا ٩: ٦)، (مزمور ٦٧: ٣٣)، (١٤٧: ٤).

وهي أيضاً ما عبر عنه الكتاب المقدس بأنها «فوق جميع السماوات» (أفسس ٤: ١٠) (العبرانيين ٤: ١٤)، (٧: ٢٦).

وهي أيضاً دعاها بأنها «السماء بعينها» (العبرانيين ٩: ٢٣، ٢٤).

وبالإضافة إلى ما جاء بالقداس الباسيلي «نزل إلى الجحيم عن طريق الصليب» فقد جاء أيضاً في القداس الغريغوري قوله

«أعطيت إطلاقاً لمن قبض عليهم في الجحيم».

وجاء في قسمة القداس التي تتلى في عيد القيامة والخمسين قوله: «مخلصنا يسوع المسيح، الذي بواسطة صليبه، **نزل إلى الجحيم**، ورد آبانا آدم وبنيه إلى الفردوس».

ثم يقول:

«المسيح... بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية.

وجاء أيضاً في قسمة الابن التي تقال للقيامة «أيها المسيح إلهنا... هذا هو الذي **نزل إلى الجحيم**، وأبطل عزة الموت، وسبى سبياً، وأعطى الناس كرامات... ورفع قديسيه إلى العلى معه...».

وجاء في صلاة القسمة التي تقال في قداس سبت الفرح.

«يا يسوع المسيح ذا الاسم المخلِّص، الذي بكثرة رحمته، **نزل إلى الجحيم** وأبطل عزة الموت.

ويقول القديس أثناسيوس الرسولى:

«وأشرق نوره فى الجحيم بسرعة، ونزل ربنا الجحيم بروحه لا بجسده. فقلق الجحيم واضطرب من أساساته.

...بروحه نزل إلى الجحيم وشفى الذين هناك، وسبى الجحيم، وسبى كل الخليقة. وجسده أقام الموتى الذين على الأرض، **ونفسه حلت الأنفس التى فى الجحيم**. وتلك الساعة التى كان جسد الرب على الصليب فيها، انفتحت القبور وأبصره **بوابو الجحيم، فهربوا، وتحطمت الأبواب النحاس، وانكسرت المتاريس الحديد، وحملت نفسه المقدسة أنفس الأبرار التى فى الجحيم»** (عن كتاب اعترافات الآباء).

وجاء فى مديح القيامة الذى يرتل فى ليلة عيد القيامة «وسحقت قوة الموت أيها المخلِّص، وأقمت آدم معك، **وعتقته من الجحيم»**.

وجاء فى تذاكية الأحد التى تقال من عيد القيامة لغاية آخر شهر هاتور.

«**مضيت إلى الجحيم**، واصعدت إلى السبى من ذلك المكان».

وجاء فى ابصالية آدام للقيامة التى تقال على الهوس الأول:

«وأيضاً ذهب إلى أسافل الأرض، فى الجحيم، برحمته، وكسر تماما المتاريس الحديدية وأخرج مختاريه بغير خزى... حينئذ حملهم معه إلى العلو فى مواضع راحته بفرح وتهليل».

وجاء فى ابصالية آدام للقيامة، وتقال على الهوس الرابع «فليفرح الآن أبونا آدم وليفتخر ابراهيم... **أبواب الجحيم سحقها من أساساتها التى صنعها... وخلَّصت المسبيين من يد المغتصب المضاد»**.

وجاء فى ابصالية آدم للقيامة وتقال ثانى يوم للقيامة (أى يوم شم النسيم):

«المسيح إلهنا قام من بين الأموات لكى يخلِّص الراقدين. **كل الذين ماتوا ذهبوا إلى الجحيم، فخلصهم ونجاهم ابن الله.**

«جنس البشر والصديقون حملهم محب البشر إلى الفردوس. المسيح الرب قام من بين الأموات، **وخلص المسبيين الذين رقدوا...وأبواب الجحيم والمتاريس الحديد سحقها ابن الله** الذى رفع على السحاب».

... سمعوا صوته فدخل إليهم، وأبطل أنينهم وخلصهم... كل الأنفس التى كانت فى وسط الجحيم سنين عدة، **خلصها ابن الله**».

وجاء فى ابصالية واطس للقيامة التى تقال على الأحد الجديد لتوما.

«كل أعين الأنبياء كانت تراقبه مع الأبرار ورؤساء الآباء، لكى يحملهم إلى النعيم. «لأنه هو خلاصنا. **خلص الذين أرضوه من الجحيم المخيف**، وحملهم معه إلى العلا.

«**كل الأنفس المربوطة فى الجحيم السفلى فككتها بقوتك** أيها الإله الرؤوف».

٦٤ ـ نزل المسيح إلى العالم السفلى
ونقل الأبرار إلى الفردوس (١)

سؤال: من الابن ب. س. ب ـ القاهرة.

يقول: تعترف كنيستنا الأرثوذكسية بأن جميع الذين رقدوا قبل المسيح له المجد ذهبوا إلى الجحيم، أى مكان الانتظار، (لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة) ـ ولكن السيد المسيح ذكر فى مثل الغنى ولعازر كما جاء فى الإنجيل للقديس لوقا والأصحاح السادس عشر، أن الغنى كان معذباً فى اللهيب بينما أن لعازر كان فى حضن إبراهيم وبينهم هوة قد أثبتت فلا أحد يستطيع العبور من وإلى الآخر، فكيف ظهر موسى وإيليا معه على الجبل، كما أنه يرد فى القداس الإلهى عن المسيح له المجد أنه رد آدم وبنيه إلى الفردوس.

الجواب:

نعم، إن جميع الذين ماتوا قبل مجىء المسيح له المجد، نزلت أرواحهم إلى الجحيم أو إلى العالم السفلى. والجحيم هو غير جهنم. فجهنم هى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت (الرؤيا ١٩ : ٢٠)، (٢٠ : ١٠) والتى لم تفتح بعد، ولكنها ستفتح بعد يوم الدينونة والحساب، وإنما قال عنها المسيح له المجد إنها (النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته) (متى ٢٥ : ٤١).

أما الجحيم فهو مقر الأرواح غير السعيد تهبط إليه الأرواح فى باطن الأرض (متى ١٦ : ١٨)، (لوقا ١٦ : ٢٣)، (متى ١١ : ٢٣).

وقد هبطت إليه فى القديم أرواح جميع الناس بما فيهم قديسو العهد القديم قبل مجىء المسيح وقبل قيامه بعمل الفداء. ولقد ذكر الكتاب المقدس أن النبى العظيم صموئيل والذى وصف بأنه صموئيل الرائى، والذى مدحه الرب وحسبه من بين كبار القديسين (إرميا ١٥ : ١)، عندما ظهر بعد موته لشاول الملك، (قد صعدت روحه من باطن الأرض) (١. صموئيل ٢٨ : ١١، ١٥). ثم رجعت إلى باطن الأرض ثانية.

كذلك الحال مع النبىّ إبراهيم الخليل فإنه أيضاً بعد موته نزل إلى الهاوية، مقر الأرواح فى العالم السفلى، (التكوين ٢٥ : ٨) حيث نزل أيضاً إسحق (التكوين ٣٥ : ٢٩)، ويعقوب أبو الأسباط (التكوين ٣٧ : ٣٥)، (٤٢ : ٣٨)، (٤٤ : ٢٩، ٣١) وأيوب الصديق (ايوب ١٤ : ١٣)

---

(١) كتب فى ١٤ من يناير لسنة ١٩٨٧م.

(١٧ : ١٣، ١٦) وداود النبى والملك (مزمور ٦٨ : ١٥)، (٨٧ : ٣) وجميع الآباء بغير استثناء، فإن الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣ : ٢٣) (فى الإيمان مات أولئك جميعاً ولم يحصلوا على المواعد، بل رأوها وحيوها عن بعد) (العبرانيين ١١ : ١٣) وقد تحققت فى المسيح الذى نزل إليهم بعد أن تمم الفداء بموته، ومن القبر نزل واقتحم أبواب الجحيم والعالم السفلى (وبشر الأرواح التى فى السجن) (١. بطرس ٣ : ١٩) بالخلاص الذى حققه بموته على الصليب فداء عنهم، وكان يرجوه (إبراهيم الذى كان قد تهلل مشتهياً أن يراه، فرآه وفرح) (يوحنا ٨ : ٥٦). ولهذا السبب سُمي يوم السبت الكبير بـ (سبت الفرح) ثم نقل المسيح الرب آدم وبنيه من القديسين، ومعهم اللص اليمين، إلى الفردوس (لوقا ٢٣ : ٤٣)، (فذاك الذى نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى هو نفسه الذى صعد إلى ما فوق السماوات، صعد إلى العلى، سبى سبياً وأعطى الناس عطايا) (أفسس ٤ : ٨-١٠)، (ترنمى أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفى يا أسافل الأرض، اندفعى بالترنيم أيتها الجبال والغابات وكل شجر فيها لأن الرب قد افتدى يعقوب وتمجد بإسرائيل) (إشعياء ٤٤ : ٢٣) (فإنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون) (إشعياء ٥٥ : ١٢).

على أن العالم السفلى أو الجحيم وهو مقر الانتظار للأرواح، هو فى الواقع عالم كبير، ومن ثم ففيه مستويات مختلفة رأسية، وبينهما أيضاً فواصل أفقية، وهذا يتضح من قول الكتاب المقدس (أقسام الأرض السفلى) τὰ κατώτερα μέρη τῆς γῆς (أفسس ٤ : ٩)، (أسافل الأرض) (مزمور ٦٢ : ٩). والكلمة اليونانية المستخدمة هنا تفيد أن فى الجحيم مستويات رأسية (سافل والأسفل) κατώτερα كذلك قوله (أقسام) تفيد باليونانية μέρη بما يفيد أيضاً (أقسام أو جهات أو نواحى أفقية) تفصل بينها فواصل. هذا إلى أن للجحيم كما قال السيد المسيح، (أبواباً، أو بوابات) (متى ١٦ : ١٨) πύλαι أى أن له مداخل كثيرة، وهذا يدل على سعته وعلى مستوياته الأفقية.

إذا كان ذلك كذلك فيكون إبراهيم الخليل، على ما يروى الإنجيل للقديس لوقا، كان قبل إتمام عمل الفداء بموت المسيح، قائماً فى العالم السفلى وفى حضنه لعازر الفقير، فى مستوى من الجحيم أعلى من المستوى الذى كان فيه الغنى، بدليل أنه على ما يقول المسيح له المجد (وفى الجحيم رفع عينيه)... فرأى إبراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه، فنادى وقال: (يا أبى إبراهيم ارحمنى وأرسل لعازر ليغمس فى الماء طرف إصبعه ويبرد لسانى، لأننى اتعذب فى هذا اللهيب) (لوقا ١٦ : ٢٣، ٢٤) أى أن إبراهيم والغنى، كان الإثنان فى الجحيم، ولكن فى مستويين

مختلفين: إبراهيم ولعازر فى حضنه فى المستوى الأعلى ولم يكن يتعذب، وإن كان لم ينتقل إلى الفردوس بعدُ الذى طرد الله منه آدم وذريته بسبب سقوطه ومخالفته، ولم يفتحه إلا المسيح بعد أن تمم الخلاص، فنزل أولاً إلى الجحيم وبشر الأرواح التى فيه بالخلاص (وأشرق بنور عظيم على الجالسين فى أرض الموت وظلاله (متى ٤ : ١٦)، (إشعياء ٩ : ١، ٢) ثم نقل آدم وبنيه من القديسين إلى الفردوس (لوقا ٢٣ : ٤٣)، (أفسس ٤ : ٨).

أما الهوة العظيمة الراسخة التى أشار إليها المسيح له المجد فى قول إبراهيم للغنى، (إن بيننا وبينكم هوة عظيمة راسخة، بحيث إن الذين يريدون العبور من هنا إليكم لا يستطيعون، كما لا يستطيع ذلك الذين يريدون العبور من عندكم إلينا((لوقا ١٦ : ٢٦)، فهى الفاصل الرأسى بين المستوى العالى الذى كان يشغله إبراهيم ولعازر الفقير فى حضنه، وبين المستوى الواطىء الذى يشغله الغنى فى الجحيم. ومع ذلك كان المستويان فى عالم واحد وهو الجحيم. ولذلك أمكن أن يجرى الحوار بين الإثنين، وأمكن للغنى أن (ينادى) إبراهيم ويقول له: (يا أبى إبراهيم، ارحمنى وأرسل لعازر) وقد سمع إبراهيم من مستواه العالى صوت الغنى وأجابه (تذكر يا بنى أنك فى حياتك قد استوفيت مسراتك وأما لعازر فقد استوفى بلاياه، ومن ثم فهو الآن يتعزى وأنت تتعذب) (لوقا ١٦ : ٢٥). وعاد الغنى يرجو إبراهيم (فقال: أتوسل إليك إذن يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبى، حيث لى خمسة إخوة، حتى ينذرهم لئلا يجيئوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا) (لوقا ١٦ : ٢٧، ٢٨).

أما عن النبى موسى، وكيف ظهر على جبل التجلى (متى ١٧ : ٣، ٤) (مرقس ٩ : ٤، ٥)، (لوقا ٩ : ٣٠، ٢٣) فقد استدعى من العالم السفلى إلى جبل التجلّى، بأمر إلهى. وجبل التجلّى هو على الأرض وليس فى الفردوس.

وأما إيليا النبى، فلم يكن فى الجحيم أو فى العالم السفلى حينما استُدعى للقاء الرب يسوع المسيح على جبل التجلّى، لأن إيليا لم يمت بعد، وإنما اختطفته (مركبة من نار وخيل من نار... فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء) (٢ - الملوك ٢ : ١١). والسماء هنا هى إحدى السماوات، وليست (سماء السماوات) (١ - الملوك ٨ : ٢٧) وليست (السماء عينها) (العبرانيين ٩ : ٢٤) التى نزل منها المسيح له المجد (يوحنا ٣ : ١٣) ثم صعد إليها بعد أربعين يوما من قيامته المجيدة (مرقس ١٦ : ١٩)، (لوقا ٢٤ : ٥١).

٦٥ - المسيح جالساً على العرش

الابن الإكليريكي يسرى عبد المسيح القمص - سوهاج - الكشح.

رداً على سؤالك فى معنى أنّ (المسيح على العرش استوى)، هو أنّ المسيح له المجد عندما صَعد إلى السّماء فى يوم الأربعين لقيامته المجيدة من بين الأموات) جلس على عرش الله فى السمَّاء (أعمال الرسل ٢ : ٣٣، ٣٤)، (٧ : ٥٥، ٥٦) وهو الآن (الجالس على العرش فى الأعالى) (العبرانيين ١ : ٣)، لأنّ المسيح قد صَعِد إلى السّماءِ بجسده، على مرأى من تلاميذه وجميع المؤمنين، وعلى مشهد من كلّ الناس المقيمين على جبل الزيتون. وكيف يجلس على العرش إلاّ من له جسد ؟

ولقد رآه النبى إشعياء فى رؤياه فقال : (رأَيْتُ السيِّد جالساً على عرش عالٍ رفيع، وأذياله تملأ الهيكل) (إشعياء ٦ : ١)، ووصفه النبى حزقيال فى رؤياه بقوله : (وعلى شبه العرش، شبه كمنظر إنسان عليه من فوق) (حزقيال ١ : ٢٦)، (مزمور ١٠٩ : ١).

وما أكثر النصوص التى وردت فى العهد الجديد لبيان أنّ المسيح له المجد، بعد أن صَعِد إلى السّماء فى اليوم الأربعين لقيامته المجيدة (دخل إلى حيث مجده) (لوقا ٢٤ : ٢٦)، (دخل إلى السّماءِ بعينِها) (العبرانيين ٩ : ٢٤)، أى (إلى سماءِ السّماوات) (التثنية ١٠ : ١٤)، (١. الملوك ٨ : ٢٧)، (نحميا ٩ : ٦)، (مزمور ١٤٨ : ٤)، وجلس على عرش الجلال فى السماوات) (العبرانيين ١٢ : ٢)، (٨ : ١)، (وجلس إلى الأبد) (العبرانيين ١٠ : ١٢) (وأتت جميع الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعوا أمام عظمته ساجدين) (١. بطرس ٣ : ٢٢). انظر أيضاً واقرأ (رومية ٨ : ٣٤)، (أفسس ١ : ٢٠)، (كولوسى ٣ : ١).

وردا على سؤالك الثانى، كيف أَنّ السماء والأرض ستزولان (متى ٥ : ١٨)، (لوقا١٦ :١٧)، (٢. بطرس ٣ : ١٠)، (إشعياء ٥١ : ٦) بينما أنّ الدينونة ستكون على الأرض فى وادى يهوشافاط المجاور لجبل الجلجثة أو الجمجمة الذى من فوقه ارتفع المسيح مصلوبا كقول النّبىّ (لتنهض الأُمَمُ وتَصْعَدْ إلى وادِى يهوشافاط، فإنّى هُناكَ أَجْلِسُ لأَدين جميعَ الأُمم من كلّ ناحيةٍ) (يوئيل ٣ : ١٢، ٢) ؟

نقول، نعم، إنّ هذا صحيح، فقد وعدنا الله بأنه سيخلق (سماوات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر) (٢. بطرس ٣ : ١٣)، (إشعياء ٦٥ : ١٧).

٦٦ ـ المسيح وجسده المجيد (١)

سؤال : من السيدة غالية عجيب بخيت سمعان ـ بورسعيد.

أرجو التفضل بالإجابة على السؤال التالى :

ما معنى أن السيد المسيح له المجد قام من بين الأموات بجسد ممجّد. وهل هذا الجسد الممجّد يختلف عن جسده المقدس الذى اقتبل آلام الصليب ؟

الجواب :

إن معلوماتنا كما نستقيها من الإنجيل المقدس أن المسيح له المجد قام بذات الجسد الذى تسمر بالصليب، ودفن فى القبر، وأن جسد المسيح الذى اتّخذه من العذراء مريم لم، ولا، ولن يتغير. وكما جاء عنه فى القداس الإلهى (جسده غير المتغير) (صلاة الحجاب فى القداس الغريغورى).

والدليل الواضح من الإنجيل، هو أن المسيح له المجد دخل على تلاميذه وهم مجتمعين، وذلك بعد قيامته المجيدة، (وقف يسوع نفسه فى وسطهم، وقال لهم : (السلام لكم) ففزعوا وارتعبوا، وقد ظنوا أنهم يرون روحاً. فقال لهم : (مابالكم مضطربين، ولماذا تثور شكوك فى قلوبكم؟ انظروا إلى يَدَىَّ وإلى قَدَمَىَّ إنى أنا هو بنفسى، جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم ولا عظام كما ترون لى) . وفيما كان يقول هذا أراهم يديه وقدميه. وإذ كانوا لا يزالون غير مصدقين أنفسهم من فرط الفرح والدهشة قال لهم : (أعندكم هنا ما يؤكل؟) فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد العسل، فأخذ وأكل أمامهم) (لوقا٢٤ :٣٦-٤٣).

وهنا نلاحظ :

أولا ـ إن المسيح له المجد احتفظ فى جسد القيامة بالثقوب فى يديه وقدميه مؤكدا أنه قام بذات الجسد الذى صلب ودقت المسامير فى يديه وقدميه، وطعن فى جنبه بالحربة.

---

(١) كتب فى ٢٨ من سبتمبر ١٩٩١م ـ ١٧ من توت ١٧٠٨ش.

ثانياً - إنه له المجد **قام بجسد مادى يتألف من لحم وعظام**. قال لتلاميذه (وقد ظنوا أنهم يرون روحا) : (**انظروا إلى يدَىَّ وإلى قَدمَىَّ. إنى أنا هو بنفسى. جسونى وتحققوا، فإنه ليس للروح لحم، ولا عظام، كما ترون لى**) ثم أتبع هذا التصريح بأن (**أراهم يديه وقدميه**).

ثالثاً - إن جسد المسيح له المجد بعد قيامته من بين الأموات كان جسداً له ذات الأبعاد التى كانت له قبل الصليب، فى الطول والعرض والارتفاع ثم إنه جسد له أطراف.. **له يدان، وله قدمان**، وبالتالى له أيضا قامة، ورأس، ووجه، وعينان، وفم، ولسان، وأسنان، **وكل مركبات الجسم الكامل..**

رابعا - إن المسيح له المجد قام بجسد يأكل ويشرب. قال لتلاميذه ليؤكد لهم حقيقة جسده المادى (أعندكم هنا ما يؤكل؟) فقدموا له بعضاً من السمك المشوى وشهد العسل. **فأخذ وأكل أمامهم)** .

خامسا - وتوكيدا لهذه الحقيقة وإلحاحا عليها طلب من تلاميذه عندما أظهر نفسه لهم مرة أخرى على بحر طبرية (يافتيان ألديكم **شئ يؤكل؟**) (يوحنا ٢١ : ٥) قال الإنجيل (ثم تقدم يسوع، وأخذ الخبز وناولهم، وكذلك السمك) (يوحنا ٢ : ١٣) .

فما هى أهمية الأكل إلا لكى يؤكد هذه الحقيقة **أن جسد القيامة جسد مادى يأكل ويشرب، وله مركبات ومكونات الجسد قبل الموت، الفم واللسان والأسنان...**

سادسا - ثم إن المسيح له المجد (بعد ثمانية أيام) من قيامته المجيدة (وكان التلاميذ مجتمعين فى الداخل أيضا، وكان توما معهم، فدخل يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى وسطهم وقال لهم : (السلام لكم) ثم قال لتوما (**هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدى، وهات يدك وضعها فى جنبى**، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمنا) . فأجاب توما (بعد أن لمس بيده أثر المسامير فى يدى سيده وقدميه وجنبه) وقال له : (ربى وإلهى) . قال له يسوع (لأنك رأيتنى يا توما آمنت. طوبى للذين لم يروا وآمنوا) (يوحنا ٢٠ : ٢٦ - ٢٩) .

وهذا دليل آخر على **أن المسيح له المجد قام بجسده المثقوب فى جنبه ويديه وقدميه، مما يؤكد أنه الجسد بذاته الذى ثقبوه بالصليب فى يديه وقدميه، وأنه الجسد الذى طعنوه بالحربة وهو على الصليب ليتأكدوا من موته.**

وهو إصرار من جانب المسيح له المجد على أن الجسد الذى قام به المسيح هو ذاته الجسد المصلوب.

وإذا ظن بعض الناس أن فى دخول المسيح له المجد إلى تلاميذه وهم مجتمعين فى الداخل، والأبواب مغلَّقة ظاهرة جديدة يستنبطون منها أن جسد المسيح بعد القيامة اكتسب خاصية جديدة لم تكن له من قبل، نقول: **كلا، ليس فى الأمر جديد بالنسبة للسيد المسيح، فإنه بقدرة لاهوته، يمكنه أن يدخل إلى داخل والأبواب المغلقة، الأمر المستحيل بالنسبة لأى بشر. ألم يخرج من بطن العذراء، وختوم البكارة مصونة ؟ ألم يخرج من القبر، والقبر مغلق ؟**

إن هذه القدرة ينفرد بها المسيح له المجد وذلك بالنسبة لحقيقته الإلهية، والتى لا يشاركه فيها أحد من الناس.. إذ لا يمكن لإنسان له جسد من لحم وعظام، أن يدخل إلى مكان مغلق بغير نافذة أو باب. **إنما المسيح وحده هو الذى يمكنه ذلك بجسده، وذلك مرده إلى قدرة لاهوته مما لا يشاركه فيه بشر.**

جَسَدُ مَجْدِه :

أما (**جسد المجد**) بالنسبة للمسيح كما جاء فى قول الكتاب المقدس (الذى سيغير شكل جسدنا الفاسد، فيجعله على صورة **جسد مجده**) (فيلبى ٣ : ٤) فهو جسده ذاته ولكن فى صورة البهاء التى ظهر بها.

أولاً : لتلاميذه الثلاثة على جبل (تابور)، **عندما تجلى عليه قبيل صلبه. فقد** صعد على جبل تابور ومعه تلاميذه الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا، وإذ أراد أن يكشف لهم عن ومضة من ومضات لاهوته، بوصفه الإله الذى اتَّخذ له جسداً، فحتى يعرفوه على حقيقته، أماط اللثام، وأزاح الستار، وكشف القناع عن بهائه، وعندئذ (تغيرت هيئته متجليا أمامهم، **فأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه متألقة كالبرق، بيضاء كالنور ناصعة البياض كالثلج**) (متى ١٧ : ١، ٢)، (مرقس ٩ : ١، ٢)، (لوقا ٩ : ٢٨، ٢٩).

ثانيا : **وجسد المجد** هو بعينه جسده الذى ظهر به للقديس بولس الرسول، وهو فى طريقه إلى دمشق، وكان ذلك فى منتصف النهار (**فبغتة أبرق حوله نور عظيم من السماء**

فسقط على الأرض.. وكان هو نور المسيح له المجد. ولشدة بهاء ذلك النور أصيب بولس أو شاول بالعمى (**فنهض شاول عن الأرض وهو لا يبصر شيئاً مع أن عينيه كانتا منفتحتين**، فاقتادوه بيده.. **فلبث ثلاثة أيام مكفوف البصر** (أعمال الرسل٩:٣-٩) وشهد شاول أو بولس عن بهاء نور المسيح فقال (**على أنى عدت لا أبصر لشدة بهاء ذلك النور** فاقتادنى رفقائى باليد) (أعمال ٢٢ : ٦ – ١١)، ووصفه مرة أخرى للملك أغريباس (**وفى الطريق عند الظهر**، رأيت، أيها الملك، **نوراً من السماء أبهى من شعاع الشمس قد سطع حولى**) (أعمال ٢٦ : ١٣).

ثالثا : وهو بعينه **جسد المجد** الذى ظهر به السيد المسيح له المجد للقديس يوحنا الرائى فى جزيرة بطمس. (**ووجهه يضئ كالشمس فى أبهى شروقها**. فلما رأيته وقعت عند قدميه كالميت،.....) (الجليان - الرؤيا ١ : ١٦، ١٧).

جسد المجد هذا ليس جسداً آخر، هو بعينه **جسد المسيح الذى عاش به على الأرض، لكنه الآن ولاسيما بعد صعوده** إلى السماء، لم يعد يحجب بهاء لاهوته. فالمخلص عندما كان على الأرض كان يخفى بجسده بهاء لاهوته. فكان جسده حجابا يستر بهاء لاهوته. ولكنه كان وهو على الأرض يتحكم فى قدر البهاء الذى يسمح به على مقتضى الحال. فعندما صعد على جبل تابور كشف عن شئ من بهاء لاهوته، فلما نزل من فوق الجبل ستر بهاء لاهوته الذى أظهره وهو على الجبل فلم يعد وجهه مضيئا كالشمس، ولم تعد ملابسه متألقة بالنور.

وفى بستان جثسيمانى سمح ببعض بهائه الإلهى أن يظهر على الجند والخدام الذين جاءوا من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، فخرج يسوع إليهم وقال لهم (من تطلبون؟) أجابوه قائلين : (يسوع الناصرى) فقال لهم يسوع : (أنا هو) فلما قال لهم : **إنى أنا هو، ارتدوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض**) (يوحنا ١٨ : ٤ – ٦) فلقد رجعوا إلى الوراء مع أنهم عدد كبير، وسقطوا على الأرض، وذلك من تأثير بعض بهائه عليهم.

مرة أخرى نريد أن نؤكد على هذه **الحقيقة اللاهوتية العقائدية فيما يتصل بجسد المسيح له المجد أنه لم ولا ولن يتغير. أنه الآن فى السماء وهو جالس على العرش، هو بذات الجسد الذى كان يمشى به على الأرض أثناء رحلته فى مجيئه**

الأول. كل الفارق ليس فى الجسد نفسه من حيث طبيعته، ولكن فى قدر وكم البهاء الإلهى الذى أخفاه وهو على الأرض، أما الآن وهو فى المجد فبهاء مجده عظيم لأنه ليس هناك الآن ما يبرر إخفاء مجد لاهوته بعد أن أتم مهمة الفداء وصعد إلى السماء، إذ هو الله (**اللابس النور كثوب**) (مزمور ١٠٣ : ٢) نعم (إن الله نور) (١. يوحنا ١ : ٥) و (أبو الأنوار) (يعقوب ١ : ١٧) و (ساكناً فى نور لا يدنى منه) (١ .تيموثيئوس ٦ : ١٦) وقد رآه النبى دانيال فى رؤياه، قبل التجسد بقرون طويلة، ووصفه بما وصفه به القديس يوحنا الرائى فى سفر الجليان (**لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة**) (دانيال ٧ : ٩) ، (الجليان - الرؤيا ١ : ١٣ – ١٧) .

على صورة جسد مجده :

قلنا إن **جسد المسيح له المجد لم ولا ولن يتغير**. إنه بعد القيامة كما كان قبل القيامة، وهو جسد كامل وطاهر ولم ينله فساد، لا فساد روحى، ولا فساد مادى. أما الفساد الروحى فهو الخطيئة، والمسيح لم تعرف الخطيئة طريقها إليه. قال مخلصنا لليهود (من منكم يستطيع أن يثبت علىّ خطيئة) (يوحنا ٨ : ٤٦)، وقال عنه الكتاب المقدس (فليس لنا حبرٌ لا يستطيع أن يرثى لضعفاتنا، بل لقد جرب فى كل شئ مثلنا ماعدا الخطيئة) (العبرانيين ٤ : ١٥) (رئيس كهنة.. قدوس طاهر بلا شر متنزه عن الخطاة، وقد صار أعلى من السماوات) (العبرانيين٧ :٢٦) (ذاك الذى لم يعرف خطيئة) (٢. كورنثوس ٥ : ٢١) (إنه لم يرتكب خطيئة ولا عرف فمه المكر) (١. بطرس ٢ : ٢٢) (وهو الذى لا خطيئة فيه) (١. يوحنا ٣ : ٥) .

وأما الفساد المادى وهو التعفن فلم ينل من جسد المسيح على الرغم من الصلب، والدفن فى القبر.

جاء عن المسيح فى سفر أعمال الرسل : (وأما أنه أقامه من بين الأموات ولن يعود إلى الفساد...) ولذلك قال أيضا فى مزمور آخر لن تترك قدوسك ينال منه الفساد. لكن داود بعد ما خدم فى جيله بمشيئة الله، رقد ودفن بجوار آبائه فنال منه الفساد. وأما الذى أقامه الله (أى المسيح) فما نال منه الفساد) (أعمال الرسل ١٣ : ٣٤ – ٣٧) وداود (قد سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح قائلا إن روحه لن تترك فى الجحيم وأن جسده لن يناله الفساد) (أعمال ٢ : ٣١) .

هذا عن المسيح أنه لم ينل جسده الفساد، لا الفساد الروحى وهو الخطيئة، ولا الفساد المادى وهو التعفن الذى يصاحب عملية الموت.

أما بالنسبة للبشر، فجسد الإنسان ينال منه الفساد، وأما فى القيامة العامة، فستقوم الأجساد فى غير فساد..

يقول الكتاب المقدس (وهذه هى الحال فى قيامة الأموات. **يزرع (الجسم) بفساد ويقام بغير فساد. يزرع فى هوان ويقوم بمجد**، يزرع فى ضعف ويقوم بقوة) (١ .كورنثوس١٥ : ٤٢، ٤٣).

وهنا نأتى إلى المعنى من قول الكتاب المقدس (**الذى سيغير شكل جسدنا الفاسد، فيجعله على صورة جسد مجده**، بما له من قدرة يخضع بها كل شئ) (فيلبى ٣ : ٤) أى أن أجساد الناس دخلها الفساد بالخطيئة، وينالها الفساد بالموت والتعفن. ولذلك لابد فى القيامة العامة من أن تتغير هذه الأجساد، لتتطهر من فسادها، وتلبس عدم الفساد. وهذا هو التغير الموعود به بالنسبة لأجساد البشر (هوذا سر أقوله لكم : إننا سوف لا نرقد كلنا ولكننا **سنتغير** كلنا، فى لحظة، **فى طرفة عين، عند النفخ فى البوق الأخير، فإنه سينفخ فى البوق فيقوم الأموات غير فاسدين، ونحن نتغير، لأنه لابد لهذا الجسد الفاسد أن يلبس ما ليس بفاسد** ولهذا الجسد المائت أن يلبس ما لا يموت. **ومتى لبس هذا الجسد الفاسد ما ليس بفاسد**، ولبس هذا الجسد المائت ما لايموت، فحينئذ تتم الكلمة المكتوبة : (قد ابتلع الموت فى الغلبة). فأين غلبتك أيها الموت ؟ وأين يا موت شوكتك؟.... أما شوكة الموت فهى الخطيئة..) (١ . كورنثوس ١٥ : ٥١ – ٥٦).

ولكن يبقى السؤال إذا كان سيغير فى القيامة العامة شكل جسدنا الفاسد إلى عدم فساد، فما معنى قوله (**فيجعله على صورة جسد مجده**) (فيلبى ٣ : ٤) ؟

ما هى صورة جسد مجده ؟

هى صورة البهاء والمجد والجمال، أى كما أن المسيح على جبل التجلى (**أضاء وجهه كالشمس**) (متى ١٧ : ٢). وفى تجليه للقديس بولس الرسول فى طريقه إلى دمشق كان نوره (**أبهى من شعاع الشمس**) (أعمال ٢٦ : ١٣) وفى تجليه للقديس يوحنا فى

جزيرة بطمس (**وجهه يضئ كالشمس فى أبهى شروقها**) (الجليان ـ الرؤيا ١ : ١٦) ـ هكذا فى القيامة (**يضئ الأبرار مثل الشمس فى ملكوت أبيهم**) (متى ١٣ : ٤٣) (والفاهمون يضيئون كضياء الجلد. والذين ردوا كثيرين إلى البر **كالكواكب إلى أبد الدهور**) (دانيال ١٢ : ٣).

على أن نور الأبرار يختلف إختلافاً جوهرياً عن نور المسيح. فنور المسيح هو (**النور الحقيقى**) (يوحنا ١ : ٩) ، (١ . يوحنا ٢ : ٨) أما نور الأبرار فنور مستعار، كنور القمر ليس منه وإنما هو نور منعكس عليه من الشمس، إذ القمر هو فى ذاته جسم معتم، ولكننا نراه منيراً بفضل النور المنعكس عليه من الشمس ـ **كذلك نور الأبرار هو مفاض عليهم من النور الحقيقى الكامل، بفضل وجودهم فى حضرة المسيح النور الحقيقى، فيضيئون من فيض شخوصهم، وتأملهم فيه ووجودهم فى حضرته.**

وعلى سبيل المثال وللإيضاح، جاء عن النبى موسى، أنه صعد إلى جبل حوريب فى سيناء، ليتلقى الشريعة (فنزل الرب فى السحاب، فوقف عنده هناك.. فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب.. فأسرع موسى وخر على الأرض وسجد.. وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة... وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى... **أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار مشعاً من مخاطبة الرب له**. فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل إلى موسى **فإذا جلد وجهه مشع، فخافوا أن يدنوا منه.. ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً**. وكان موسى عند دخوله أمام الرب ليتكلم معه يرفع البرقع إلى أن يخرج، ثم يخرج ويكلم بنى إسرائيل بما يؤمر به. فكان بنو إسرائيل يرون وجه موسى أن جلده مشع فيرد البرقع على وجهه...) (سفر الخروج ٣٤ : ٥ – ٣٥).

ويقول الكتاب المقدس :

(فإذا كانت خدمة الموت المنقوشة حروفها فى ألواح من حجر قد أحيطت بالمجد، حتى إن بنى إسرائيل لم يستطيعوا أن يتفرسوا فى وجه موسى بسبب مجد طلعته، مع أنه مجد زائل، فكيف يكون بالأحرى مجد خدمة الروح؟ وإذا كانت خدمة ما أدّى إلى الحكم على البشر مجيدة، فكم تفوقها مجداً خدمة ما يؤدى إلى تبريرهم... **لأنه إذا كان للزائل مجد فكم**

بالأحرى يكون مجد الدائم. وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكى لا ينظر بنو إسرائيل مجد وجهه الزائل... **ونحن جميعا ننظر مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة، نتغير إلى تلك الصورة بعينها من مجد إلى مجد، وذلك بفضل روح الرب)** (٢. كورنثوس ٣ : ٧ – ١٨).

نعم إن وجود النبى موسى على جبل سيناء مع الرب لمدة أربعين يوما جعل جلد وجهه مشعاً بالنور (فنظر هرون وجميع بنى إسرائيل موسى فإذا جلد وجهه مشع، فخافوا أن يدنوا منه. مما اضطره إلى أن (جعل على وجهه برقعاً) مع أن الرب لم يظهر لموسى على جبل سيناء بكامل جلاله، **فكم يكون نصيب الأبرار فى القيامة العامة من النور الذى يسقط عليهم وهم فى حضرة الله وهو بكمال لاهوته فى السماء؟؟**

هكذا نفهم معنى قول الكتاب المقدس إنه (**سيغير جسدنا الفاسد فيجعله على صورة جسد مجده، بماله من قدرة يخضع بها كل شئ**) (فيلبى ٣ : ٤).

٦٧ ـ المسيح هو ابن الإنسان وهو الله وابن الله

سؤال : من الابن الدكتور الفونس ميخائيل سعد ـ رشيد ـ البحيرة.

يقول : إنى أتساءل لماذا سمى المسيح ابن الله وابن الانسان؟، رغم وجود اختلاف جوهرى بين البنوتين، فبنوة المسيح لله بنوة روحية جوهرية منزهة عن المادة، أما ابن الإنسان فهى تعنى بنوة مادية حسية، فيها والد وولد؟ أرجو التوضيح.

الجواب :

نعم إن السيد المسيح هو (ابن الله)، وهو أيضا فى الوقت نفسه (ابن الإنسان).

والمسيح هو (ابن الإنسان) من حيث ناسوته، وهو (ابن الله) من حيث لاهوته.

المسيح (ابن الإنسان) من حيث أنه «ظهر فى الهيئة كإنسان» (فيلبى ٢ : ٨).

وهو (ابن الإنسان) لأنه «ولد من مريم حسب الجسد».

(متى ١ : ١٦، ٢٠)، (لوقا ١ : ٣١، ٣٥)، (٢ : ٧)، (رومية ١ : ٣)، (٨ : ٣)، (غلاطية ٤ : ٤).

وما أكثر المواضع التى قال السيد المسيح عن ذاته إنه (ابن الإنسان). يقول الإنجيل وحين جاء يسوع إلى نواحى قيصرية فيلبس، سأل تلاميذه قائلا : «من تقول الناس إنى هو **أنا ابن الإنسان** ؟» (متى ١٦ : ١٣)، وقال «فإن من يخجل منى ومن كلامى فى هذا الجيل الفاسق الآثم، سيخجل منه **ابن الإنسان** متى جاء فى مجد أبيه مع ملائكته القديسين» (مرقس٨:٣٨).

انظر (متى ٨ : ٢٠)، (٩ : ٦)، (١٠ : ٢٣)، (١١ : ١٩)، (١٢ : ٨)، (١٣ : ٤١)، (١٦ : ٢٧، ٢٨)، (١٧ : ١٢، ٢٢)، (١٨ : ١١)، (١٩ : ٢٨)، (٢٠ : ١٨)، (٢٤ : ٢٧، ٣٧، ٣٩، ٤٤)، (٢٥ : ١٣، ٣١)، (٢٦ : ٢٤، ٦٤)، (مرقس ١٠ : ٤٥)، (١٣ : ٢٦)، (١٤: ٢١، ٦٢)، (لوقا ٥ : ٢٤)، (٧ : ٣٤)، (٩ : ٥٦)، (١٢ : ٨، ١٠)، (١٧ : ٢٤)، (٢١: ٢٧)، (يوحنا ٥ : ٢٧)، (٦ : ٦٢)، (٨ : ٢٨)، (أعمال الرسل ٧ : ٥٦).

ثم قال لهم «إن **ابن الإنسان** هو رب السبت (لوقا ٦ : ٥) وقال «ما من أحد صعد إلى السماء إلا ذلك الذى نزل من السماء، **ابن الإنسان** الذى هو فى السماء. وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يرفع **ابن الإنسان**، لكى لا يهلك كل من يؤمن به، وإنما ينال الحياة الأبدية» (يوحنا ٣ : ١٣، ١٤).

أما أن السيد المسيح هو (ابن الله) **فلأنه «هو صورة الله الذى لا يرى، الأول قبل الخلائق كلها، فإنه به خلق كل شئ مما فى السماوات ومما فى الأرض، ما يرى وما لا يرى**، أأصحاب عرش كانوا أم سيادة أم رئاسة أم سلطان. كل شئ خلق به وله، **وهو كائن قبل كل شئ، وبه يقوم كل شئ، وهو البدء، لأن فيه سر الآب أن يحل الملء كله**» (كولوسى ١ : ١٥ - ١٩).

وهو (ابن الله) لأنه «**هو الله الكلمة**»، الذى «**كان منذ الأزل**»، «**وكل شئ به كان، وبغيره لم يكن شئ مما كان وفيه كانت الحياة**»، وهو «**أصل الحياة**»، **ومبدئ الحياة**، «**اتخذ جسداً**» **فى الزمان** (يوحنا ١ : ١ - ١٤)، **وظهر فى الهيئة كإنسان** «**وحقاً عظيم هو سر التقوى : الله ظهر فى الجسد**» (١ .تيموثيئوس ٣ : ١٦).

وهو (ابن الله)، لأن الله لم يره أحد قط، وأما المسيح فهو الذى وهو فى حضن الآب، وكائن مع الآب، وكائن فى ذات الآب، وفى جوهره هو الذى فى ظهوره أخبر عن الآب (يوحنا١ :١٨).

وهو (ابن الله) **لأنه هو الله وقد اتخذ جسداً** (يوحنا ١ : ١٤) «وإذن لما كان الأبناء شركاء فى الدم واللحم، شاركهم يسوع كذلك فيهما، ليقضى بموته على ذاك الذى فى يده سلطان الموت أى إبليس» (العبرانيين ٢ : ١٤).

وهو (ابن الله) **لأنه وهو الكائن مع الآب**، و «**واحد معه فى الجوهر**» (يوحنا١٠ :٣٠) **صار فى شبه البشر، ورأينا مجده مجد الله الآب** (يوحنا ١ : ١٤)، (١٠ : ٣٠).

وهو (ابن الله) لأن فيه وبه رأى الناس (النور الحقيقى)، هو (النور الحقيقى) الذى احتجب فى الجسد» (يوحنا ١ : ٩)، (١. يوحنا ٢ : ٨) وهو (ابن الله) بمعنى أننا قد رأينا الله فيه.

وليست هذه البنوة بنوة جسدية مادية حسية كالبنوة فى عالم الحيوان أو الإنسان، وليست بنوة

زمانية تقتضى الأسبقية فى الزمان، إنها بنوة روحية حقيقية مثلها مثل بنوة النور من الشمس. فالنور من الشمس منذ أن كانت الشمس. النور منها وفيها ولا ينفصل عنها. وهذا هو معنى قول المسيح له المجد، إنى أنا فى أبى، وأن أبى فىّ، (يوحنا ١٠ : ٣٨) ، (١٤ : ١٠، ١١، ٢٠) ، (١٧ : ٢١، ٢٣).

وهذا أيضا معنى قول المسيح له المجد «الآب الكائن فىّ هو الذى يعمل أعماله» (يوحنا١٤ :١٠).

ومعنى قوله له المجد «من رآنى فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤ : ٩) ، (١٢ : ٤٥) وقوله «لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا ومنذ الآن تعرفونه، وقد رأيتموه» (يوحنا ١٤ : ٧).

المسيح إذن (ابن الله) بمعنى أنه هو الله بذاته وقد نزل إلى الأرض لابسا جسداً (يوحنا١ :١٤) ، (١ . تيموثيئوس ٣ : ١٦) ، (١ . يوحنا ٤ : ٢) ، (كولوسى ١ : ١٥ – ١٩).

هو (ابن الله) وهو «بهاء مجده وصورة جوهره، وضابط الكون بكلمة قدرته» (العبرانيين١ :٢، ٣).

٦٨ ـ هل فارق اللاهوت الناسوت ؟ (١)

سؤال : صرخ السيد المسيح وهو على الصليب قائلا «إلهى إلهى لماذا تركتنى» فكيف يخاطب الآب بقوله إلهى، وهل تدل هذه العبارة على مفارقة اللاهوت للناسوت» ؟!

الجواب :

لو رجعت إلى المزمور **الثانى والعشرين** من مزامير النبى داود، لألفيته يبدأ بهذه العبارة : «إلهى إلهى لماذا تركتنى» ثم يمضى النبى فيصور آلاماً تطابق آلام سيدنا على الصليب مطابقة تامة. من ذلك قوله «كل الذين يروننى يستهزئون بى، يفغرون الشفاه (أو يمصون الشفة) وينغضون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجه، لينقذه لأنه سر به» ومنه قوله : «أحاطت بى ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتنى، فغروا على أفواههم.. كالماء انسكبت، **انفصلت كل عظامى**، صار قلبى كالشمع.. يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى.. **جماعة من الأشرار اكتنفتنى، ثقبوا يدى ورجلى**، أحصى كل عظامى، وهم ينظرون ويتفرسون فىّ، **يقسمون ثيابى بينهم وعلى لُباسى يقترعون**..»

وجدير بالذكر أن شيئاً من ذلك لم يحصل للنبى داود فى حياته الخاصة، وإلا فمتى ثقبت يداه ورجلاه ؟ ومتى اقتسموا ثيابه واقترعوا على لُباسه إلى غيرها من التفاصيل التى ذكرها فى هذا المزمور. فليس من شك أنه نطق بما نطق، بروح النبوءة مشيراً إلى السيد المسيح فى أحداث الصليب. ولو تابعت بدقة ما ذكره البشيرون جميعاً، لاقتنعت بأن الروح القدس سبق فأعلم الأنبياء بما سيحدث للفادى وما سيعانيه من آلام.

فإذا قال السيد على الصليب : «إلهى إلهى لماذا تركتنى؟» **إنما هو يردد مطلع المزمور الثانى والعشرين لينبه اليهود، وهم حفظة الكتاب المقدس، إلى أنهم يتممون بأيديهم ما سبق وأشار إليه النبى داود من قبل**. فليس المسيح إذن مضلا أو مجدفا على الله كما كانوا يدعون، وإنما هو المسيا المنتظر، والذى تم فى شخصه كل ما ذكره الأنبياء عنه بوحى الروح القدس ولقد كان السيد المسيح حريصاً كل الحرص على أن يبين هذه الحقيقة دائماً لتلاميذه أثناء حياته المقدسة على الأرض قبل الصليب، بل وبعد قيامته كذلك «وقال لهم هذا هو الكلام الذى قلته لكم، إذ كنت معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة ٤ العدد ٥ مايو ١٩٥٠م.

موسى، والأنبياء. **والمزامير** حينئذ فتح قلوبهم ليفهموا الكتب. وقال لهم : إنه هكذا كتب (وهكذا ينبغى) أن يتألم المسيح ويقوم من بين الأموات فى اليوم الثالث...» (لو ٢٤ :٤٤-٤٦).

ومن قبل ذلك وبخ تلميذى عمواس على شكهما فى حقيقة شخصه «فقال لهما يا عديمى الفهم، وبطيئى القلب فى الإيمان **لكل ما نطقت به الأنبياء.. وبدأ من موسى، ومن جميع الأنبياء يفسر لهما ما فى جميع الكتب من أجله..»** (لو ٢٤ : ٢٥ - ٢٧).

ولقد ذهب بعض مفسرى الكنيسة إلى أن المخلص قد ردد سراً، فى الغالب، المزمور الثانى والعشرين كله من أوله إلى آخره، وأنه صرخ حينما تلا أول عبارة فيه، وصرخ كذلك حين ردد آخر عبارة فيه «قد أكمل» استنادا إلى أن عبارة «**قد فعل**» التى يختتم بها المزمور الثانى والعشرون يقابلها فى اللغة العبرانية «قد أكمل». وليس لدينا ما ينفى صحة هذا الرأى، وإنما تسنده إحتمالات منطقية، وروحية، ونقلية.

* * *

وإذا كان حقا أن المسيح له المجد أراد أن ينبه اليهود إلى ما قاله النبى داود بروح النبوة، لكن داود نفسه كان يصور حقيقة واقعة على الصليب. والعبارة نفسها تدل على أن **الترك حقيقة مؤكدة، فهى بلغة الماضى «لماذا تركتنى ؟»** فلابد من أن نعالج هذه المسألة كذلك.

لقد ظن بعض الهراطقة الذين كانوا ينكرون لاهوت المسيح أنها عبارة تفيد معنى الافتراق بين الابن والآب. ولكن المسيح نفسه ينفى هذا الفهم بقوله : «إن لم تؤمنوا بى، فآمنوا بالأعمال لتعلموا وتعرفوا (وتؤمنوا) **أنى أنا فى أبى وأبى فىّ**» (يو ١٠ : ٣٨).

وقال أيضاً لتلاميذه «لو كنتم عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومن الآن تعرفونه **وقد رأيتموه**. قال له فيلبس «ياربّ أرنا الآب وحسبنا. قال له يسوع أنا معكم كل هذا الزمان ولم تعرفنى يا فيلبس؟!. **من رآنى فقد رأى الآب**، فكيف تقول أنت : أرنا الآب؟ **ألست تؤمن أنى أنا فى أبى وأبى فىّ** ؟ الكلام الذى أكلمكم به لا أتكلم به من نفسى وحدى، **بل الآب الحال** فىّ هو الذى يعمل أعماله. **آمنوا بى أنى أنا فى أبى وأبى فىّ**» (يو ١٤ :٧-١١).

أرأيت إذن إلى حقيقة الاتحاد القائم بين أقنومى الآب والابن؟ وأن الآب قائم فى الابن والابن قائم فى الآب. ولعل هذا هو السبب الذى من أجله سمى الأقنوم الثانى باللوغوس (أى

الكلمة) . فاللوغوس فى الفلسفة اليونانية هو العقل الإلهى. ولا يمكن تصور إله بلا عقل، وإلا فكيف يكون العقل فى المعلول أو المخلوق ولا يكون فى العلة أو الخالق؟ ولا يمكن تصور الله أن يكون فى لحظة ما بلا عقل، لا فى الماضى. ولا فى الحاضر، ولا فى المستقبل. فالابن إذن قائم فى الآب قياما أزليا، وقياما أبديا لا انفكاك فيه ولا افتراق. ومن أجل هذا سمى الابن «بالكلمة» تصدر عن العقل، ومع ذلك فقد كانت فيه منذ وجوده : لأنه لا يمكن تصور عقل بلا فكر فى أية لحظة زمانية، كما أن الكلمة وقد صدرت من العقل، فهى لا تفترق عنه بل قائمة فيه بلا انفصال أو افتراق.

فليس كلام المسيح على الصليب «لماذا تركتنى» فيه معنى افتراق الابن عن الآب، لأنه معنى لا يتفق وطبيعة الله العاقلة.

* * *

كذلك رأى النساطرة والخلقيدونيون وأصحاب الطبيعتين أن قوله «لماذا تركتنى؟» يؤيد وجهة نظرهم فى أن المسيح طبيعتان، وأن الطبيعة اللاهوتية قد افترقت عن الطبيعة الناسوتية؟!.

ولكن لو صح هذا، أفهل كان يجرؤ أحد من المسيحيين على القول بأن ابن الله قد صلب؟ وهل يكون معناه أن الذى صلب عن العالم إنسان محض؟ وحينئذ هل كان يتم خلاص العالم؟! إن نظرية الفداء تقوم على أساس أن الفادى لا يمكن أن يكون مجرد بشر، وإلا لما كان ثمة داع لتجسد الأقنوم الثانى!!. ثم إن إنسانا لن يفدى غير نفسه وإن كان حقا أن مدينا لا يستطيع أن يفى عن مدين فكيف يمكن لإنسان أن يفى أو يكفر عن خطايا البشر جميعا؟! فلا ملاك ولا رئيس آباء ولا رئيس أحبار ولا نبى يمكنه أن يقوم بعمل الفداء. «فرأى أنه **ليس إنسان،** **وتحير من أنه ليس شفيع، فخلصت ذراعه لنفسه**،.. ويأتى الفادى إلى صهيون..» (إش ٥٩ : ١٦ – ٢٠).

وإذا كان اللاهوت قد فارق الناسوت على الصليب، فَلِمَ سال من جنب مخلصنا بعد أن أسلم روحه، دم وماء؟ ونحن نعلم أن الميت يسيل منه الماء، ولكن الدم لا يسيل من غير الأحياء. أليس حقا أنه أمر عجيب يدل على أن المصلوب جمع بين الموت والحياة. الموت فى ناسوته والحياة فى لاهوته؟ ألا حقا إن المصلوب لم يكن مجرد إنسان. وإنما كان الإله المتأنس ولعله بسبب هذا ولأسباب أخرى نطق يوسف ونيقوديموس بهذه التسبيحة التى ترتل بها لا كنيستنا بل

وسائر الكنائس الرسولية التقليدية فى الشرق والغرب «قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت.. الخ».

وإذا كان اللاهوت قد فارق الناسوت، فكيف يجرؤ الرسول على القول إلى مجمع الأساقفة فى أفسس «لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه» (أع ٢٠ : ٢٨) فالدم هو دم الله وليس دم إنسان!!

ويقول القديس بولس «قد صولحنا مع الله **بموت إبنه**» (رو ٥ : ١٠) «الذى لم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا» (رو ٨ : ٣٢)، «الذى لنا فيه **الفداء** (بدمه) غفران الخطايا، الذى هو صورة الله غير المنظور» (كو ١ : ١٤) الذى وهو **بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته** بعد ما صنع بنفسه **تطهيراً لخطايانا**» (عب ١ : ٣).

«هذا يقوله **الأول والآخر**، الذى كان ميتا فعاش» (رؤ ٢ : ٨) «لا تخف **أنا هو الأول والآخر**، والحى وكنت ميتا، وها أنا حى إلى أبد الآبدين، ولى مفاتيح الهاوية والموت» (رؤ ١ : ١٧، ١٨) (راجع أيضاً ١. بط ١ : ١٩) وهى جميعها، وغيرها كثير، ناطقة الدلالة فى أن المصلوب عنا لم يكن مجرد إنسان فارقه اللاهوت، بل إله متأنس، حسب كل ما وقع على ناسوته من ألم واقعاً أيضاً على لاهوته، غير أن اللاهوت لم يتألم ألما ماديا حاشا!!، وإنما هى آلام أدبية لا مادية تلك التى وقعت على اللاهوت، من حيث هو متحد بالناسوت إتحاداً كاملا بلا افتراق أو انفصال، وبغير هذا لا يمكن تعليل أو تأويل النصوص الرسولية الناطقة بأن المصلوب إنما هو الإله المتأنس وأنه الميت الحى، وأنه بذلك تم خلاص العالم.

* * *

وإذن لماذا صرخ المسيح هكذا؟.. لماذا تركتنى؟

إن المخلص وإن كان إلهاً متأنساً كما قلنا، وهو «**طبيعة واحدة للكلمة المتجسد**» (على حد تعبير القديس أثناسيوس الرسولى)، طبيعة من طبيعتين، وجوهر من جوهرين، باتحاد طبيعى، ذاتى، بلا اختلاط، ولا امتزاج، ولا تغيير، لكن حقيقة هذا الاتحاد احتفظت بصفات اللاهوت كاملة كما احتفظت بخصائص الناسوت كاملة، كما هو الحال فى اتحاد الروح بالجسم، واتحاد الفحم بالنار فى الجمر، أو اتحاد الحديد بالنار(وهى التشبيهات التى يسوقها القديس كيرلس الأول عمود الدين بطل مجمع أفسس الأول). فطبيعة المسيح الناسوتية قائمة كاملة لم يبطلها اللاهوت المتحد بها. وهو بهذه الصفة يقوم بعمل النيابة عنا.

وإذا كان المسيح الإله متروكا على الصليب ليحتمل صنوف الآلام النفسية والحسية فبوصفه نائباً عن البشرية يحتمل فى شخصه كل ما استحقه البشر قصاصاً على التمرد والعصيان. ولقد وقعت الآلام عليه كاملة لأنه ينوب عن الجبلة الآدمية وكان لابد أن يقع عليه كل ما يتطلبه العدل الإلهى من ألم ليكون فى آلامه : التغطية، والكفارة، والترضية. وصراخ المسيح على الصليب كان برهانا على أن الآلام وقعت عليه شديدة ومرة، وعلى أنها كانت آلاما حقيقية، وعلى أن الناسوت الذى اتحد به كان ناسوتا كاملا، وحقيقيا، وطبيعيا، وأنه أخذ صورة الإنسان حقاً، وأن الابن وحده هو الذى تألم دوناً عن الآب والروح القدس.

والمسيح لم يصرخ على الصليب كأنه يرجو خلاصاً من الألم، فقد جاء لأجل هذه الساعة (يو١٢ : ٢٧) وكان ينبئ تلاميذه بأنه «ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة، **ويقتل** وفى اليوم الثالث يقوم» (مت ١٦ : ٢١). وكان يقول : «الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها؟» (يو ١٨ : ١١) ويحدثنا الرسول بأن دم المسيح معروف سابقاً قبل تأسيس العالم (١. بط ١ : ٢٠).

ولم يصرخ المسيح عن ضعف، ولذلك يذكر عنه الكتاب أنه «صرخ بصوت عظيم» (مت٢٧: ٤٦) ليبرهن على أنه القوى الجبار الذى لم يقهره أو يجبره على الموت أحد. بإرادته ومسرته أسلم نفسه للموت «وليس أحد يأخذها منى **بل أضعها من ذاتى وحدى**، لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها» (يو ١٠ : ١٨).

فعبارة «لم تركتنى» لا تجرى مجرى الاستغاثة، ولا هى سؤال لطلب المعرفة أو سبب الترك، وإنما هى استفهام خرج عن معناه الطبيعى قصد منه إلى إعلان تخلى الرحمة الإلهية عن المصلوب، ليجد العدل فى آلامه ترضية وإيفاء لحقه على البشرية ممثلة فى شخص المسيح.

ويمكن أن نضيف إلى هذا كله سبباً آخر ذكره الآباء، وهو أن صراخ المسيح هكذا **ليعطى للشيطان فرصة ليجرؤ فيقترب منه**، كما كان يفعل مع كل بشر فى لحظة موته ليقبض على روحه ويمضى بها إلى الجحيم. وعن هذا يشير المخلص بقوله : «لست أكلمكم كلاما كثيرا

بعد فإن رئيس هذا العالم آت وليس له فى شئ» (يو ١٤ : ٣٠) ومن أجل هذا كانت ظلمة على الأرض كلها من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة (مت ٢٧ : ٤٥) وهى المدة التى بلغت فيها الظلمة ذروة سلطانها (لو ٢٢ : ٥٣)، ولكن المسيح لم يقل «قد أكمل» إلا بعد أن انقشعت الظلمة وانبلج النور رمزاً لانتصار المسيح على الشيطان، هذا الانتصار الذى أصبح بسببه يفزع الشيطان من ذكر الصليب وعلامة الصليب، حتى أن المسيحيين أصبحوا يتحصنون بالصليب ضد قوات الظلمة.

فالمسيح إذن صرخ قائلا : لم تركتنى، نيابة عنا، ومن أجلنا، لأنه أخذ طبيعتنا، واحتمل فيها عمل الفداء. وقد تخلت الرحمة عن الابن، ليذوق الآلام كاملة لننال فيه الفداء.

* * *

ويتبقى بعد ذلك إشكال صغير، كيف يصرخ المسيح للآب مناديا «**إلهى، إلهى**» ؟! فهلا يعد ذلك اعتراضاً على لاهوته ؟ والجواب أنه بذلك يظهر حقيقة ناسوته، فينتفى بذلك كل شك فى أن المسيح تجسد على الحقيقة، وأنه اتحد **بجسم ونفس مخلوقين**، وأن حقيقة الصليب لم تكن حلماً ولا خيالا ولا مظهراً من المظاهر الخيالية. وقد أكد المسيح له المجد هذا المعنى مرة أخرى بعد قيامته المجيدة. «إنى أصعد إلى أبى الذى هو أبوكم وإلهى الذى هو إلهكم» (يو٢٠ :١٧) ولعل هذه الآية وغيرها هى بعض أدلتنا فى إثبات ناسوتية المسيح التى أنكرها بعض الهراطقة فى زمان قديم.

ولا اختلاف بين رواية القديس مرقس «ألوى ألوى لما شبقتنى» (مر ١٥ : ٣٤) ورواية القديس متى «إيلى، إيلى لما شبقتنى» (مت ٢٧ : ٤٦).

فالعبارة الأولى باللغة السريانية، والعبارة الثانية باللغة العبرية ـ مشتقة من كلمة إيل بمعنى إله، ولذلك أوردتهما النسخة أو الترجمة القبطية بألفاظ واحدة.

٦٩ ـ هل اللاهوت إنفصل عن الناسوت (١)

كيف نقول إن المسيح قد تألم بالجسد فقط، هل فارق اللاهوت عند آلامه الناسوت ؟

ـ لنفرض أن الملك قد كتب أمراً وأرسله إلى شعبه فأمسك الناس بكتاب الملك ومزقوه، فإننا لا نقول إن الناس قد مزقوا «الحروف» المطبعية أو الكتابة الظاهرة فى الكتاب الملكى، وإنما نقول إنهم مزقوا «كلام» الملك. ومع ذلك فليس تمزيقهم لكلام الملك معناه إزالة كلام الملك من الوجود، فإن كلام الملك الذى أصدره لا زال موجوداً فى عقل الملك ومعروفاً عند الناس، وإنما تمزق الكلام من حيث هو «كلام مكتوب» بحروف.

هكذا لا نقول إن «جسد» المسيح قد مات، وإنما نقول إن المسيح الإله المتجسد قد مات. وفى ذلك يقول الرسول «ارعوا رعية الله التى اقتناها بدمه» **(أى بدم الله)**. غير أننا نقول إن المسيح قد مات بالجسد، أى أن الموت لم يلحق باللاهوت المالئ كل مكان والذى لا يعتريه موت أو تغيير، وإنما لحق بالجسد القابل للموت، تماماً كقولنا إن الناس قد مزقوا «كلام» الملك ولكن دون أن يتمزق الكلام إلا من حيث هو كلام مكتوب وبعد، فإن كل تشبيه ـ ولا سيما فى الأمور اللاهوتية ـ هو تشبيه غير منطبق كل الانطباق، ولكنه يقرب المعنى إلى الذهن بعض التقريب.

هل فى سر التناول نتناول اللاهوت مع الناسوت ؟ (٢)

يقول الكاهن فى نهاية القداس «.. أؤمن.. أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد.. من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم. وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير..» إذاً فالجسد الذى نتناوله هو المتحد بلاهوته ولذلك قال رب المجد «فمن يأكلنى فهو يحيا بى» (يو ٦ : ٥٧) غير أنه وإن كان كل ما يحدث للمسيح ينسب للاهوت والناسوت معا فليس معنى ذلك أنه يصيب اللاهوت. فنحن إن قلنا إن الرب قد مات على الصليب، فمع أن الذى مات ليس مجرد الناسوت بل الإله المتجسد فإن اللاهوت لم يمت، فعلى هذا القياس إن كنا نأكل جسد المسيح الذى جعله واحداً مع لاهوته فإن الأكل والمضغ والتمزيق والهضم لا يصيب اللاهوت.

---

(١) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الأولى العدد ١٢ فى ديسمبر ١٩٤٧م.

(٢) نشر بمجلة مدارس الأحد السنة الثانية العدد ٤ فى سبتمبر ١٩٤٨م.

٧٠ ـ تفسير «صار جسداً»

سؤال : قال معلمنا يوحنا (يو ١ : ١٤) : والكلمة صار جسداً. فكيف تجوز الصيرورة على كلمة الله الموجودة منذ الأزل وإلى الأبد لا تتغير، إذ لا يتحول ولا يصير إلا المخلوق. فما قصد الرسول؟

الجواب :

إن الله لا يتحول ولا يتبدل ولا يتغير، على ما تقول. ولكن الصيرورة هنا يجب أن تحمل على معنى ظاهرى لا حقيقى. لأن الكلمة هو الله ظاهراً فى الجسد. ولا شك أن هذا تحول ولكن لا فى الجوهر بل فى المظهر. وعلى ذلك فقوله «صار جسداً» معناه «اتّخذ جسداً» والكلمة القبطية تفيد هذا المعنى ⲁϥⲉⲣ ⲟⲩⲥⲁⲣⲝ (١) لأن المقابل الحرفى لها «عمل جسداً» أو «تجسد». وربما كانت الترجمة القبطية كما ترى أدق فى الدلالة على المعنى بصورة سليمة تنأى بالقارئ عن اللبس والإبهام.

ولا مراء فى أن الكلمة الإلهى لم يتخذ جسداً فقط، ولكنه اتخذ نفساً ناطقة متحدة بهذا الجسد. ولكن الرسول يوحنا أراد أن يتحدث عن مظهر التجسد البارز والذى يتمثل فى الجسد. ولعل السبب فى ذلك، على ما نعلم، أن الرسول كتب إنجيله يرد به على بدع وتعاليم ضالة روج له قوم مفسدون ضد التعليم الأرثوذكسى المستقيم، ومنها أن جسد المسيح لم يكن إلا خيالا وظهوراً فقط. ولما كانت مثل هذه البدعة خبيثة هدامة، تلغى عمل الفداء الذى قام به المخلص فى جسده الذى سمر بالصليب، وتفوت على البشر حكمة الله فى التجسد، فقد عبر الرسول عن ظهور الكلمة بعبارة يؤكد فيها حقيقة الجسد الذى اتّخذه المسيح واتحد به فصار مع لاهوته طبيعة واحدة.

على أن هذه «الصيرورة الظاهرية» لا تفيد اندماج اللاهوت فى الناسوت أو اختلاطه به على ما يذهب أوطاخى، بدليل قوله بعد ذلك مباشرة «وحل بيننا ورأينا مجده» وإنما هى عبارة قوية الدلالة على مبلغ الاتحاد التام بين اللاهوت والناسوت بحيث «أصبحا» «طبيعة واحدة بغير امتزاج ولا تداخل ولا اختلاط ودون انفصال أو افتراق أو انقسام.

ولعل هذه الآية وحدها كافية للبرهنة على خطأ ما يذهب إليه اخواننا الكاثوليك من القول بالفصل بين الطبيعتين فى المسيح، وصحة ما يُصر، على القول به، آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية : «طبيعة واحدة للكلمة المتجسد».

(١) راجع ترجمة الكلية الاكليريكية للبشائر الأربع.

٧١ ـ صلاة السيد المسيح

سؤال:

ظهر ملاك للرب وهو يصلى ليقويه كما جاء فى إنجيل لوقا فهل الرب يصلى باللاهوت أم الناسوت؟

الجواب:

طبعاً المسيح هنا يصلى كإنسان، لأنه فى بستان جثسيمانى، المسيح نائباً عن البشرية، وهذا هو الموضع الوحيد الذى فيه يصلى المسيح صلاة الطلب، ورد عن المسيح حوالى ٨ مرات أنه صلّى، إنما صلاة المسيح دائماً كإله كانت مناجاة، ولم تكن أبداً صلاة الطلب، مناجاة لبيان العلاقة بينه وبين الآب فى داخل الوحدة الثالوثية، مثل ما الإنسان أحياناً يناجى ذاته. يقول قلت لنفسى أو قلت فيما بينى وبين نفسى، كما لو كانت نفسه إثنين أى واحد يقول والثانى يسمع ما يقول، وكذلك.. أى نوع من التفكير، ما هو التفكير بالنسبة للإنسان؟ هو عبارة عن نوع من المناجاة الداخلية. فى داخل النفس البشرية. فالمسيح نسب إليه أنه صلى، لم تكن أبداً صلاته صلاة الطلب إلا فى بستان جثسيمانى، إنما فيما عدا بستان جثسيمانى كانت صلاته مناجاة بينه وبين الآب، لبيان الوحدة الثالوثية بينه وبين الآب، إنما فى بستان جثسيمانى هنا المعركة النهائية وهى معركة الفداء، فهو نائباً عن البشرية. يقول «وضع الرب عليه إثم جميعنا، الذى لم يعرف خطيئة صار خطيئة لأجلنا». المسيح صار خطيئة. نحن الخطاة، لكن هو فى وضع النائب عنا، ولذلك هو صلب فمات، فالحكم الصادر على الإنسان أخذه على نفسه فأصبح هو المدين، هو المديون، هو الخاطئ وهذا معنى الفداء. كلمة الفداء معناها الإبدال، فالمسيح صار بديلاً عن الناس، فهو صار الخاطئ، ولذلك يقول الذى لم يعرف خطيئة صار خطيئة لأجلنا. فهنا الموضع الوحيد الذى فيه المسيح صلى صلاة الطلب كنائب عن البشرية، المسيح صلى كإنسان، إنما كإله طبعاً لا يصلى، لذلك فى صنع المعجزات لم يحدث أبداً أن المسيح كان يصلى ليطلب معونة، ولكن يقول أيها الشاب لك أقول قم، يا صبية قومى .. إلخ.

٧٢ ـ كيف يسمح المسيح لتوما بأن يلمسه ويمنع مريم؟

سؤال:

يقول: عند قيامة السيد المسيح من بين الأموات وقفت مريم المجدلية على باب القبر، وعند ظهور السيد المسيح قال لها: لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى، ولكن عند اجتماع التلاميذ والأبواب مغلقة دخل فى وسطهم، وقال لتوما أن يلمسه فكيف أن توما يلمسه ومريم لاتلمسه؟

الجواب:

بكل بساطة أن مريم المجدلية لما رأت المسيح كان ذلك مباغتة لها، لأنها لم تكن تتوقع قيامته من بين الأموات، فهى أمسكت به بقوة خوفاً أن يتركها ويمضى، فالحقيقة كلمة «لا تلمسينى» إنما معناها «لا تتشبثى بى هكذا» فهو أراد أن يطمئنها أن وقت صعوده لم يأت بعد، إنه سيستمر معهم مدة أربعين يوماً، هذا هو السبب، والسؤال نفسه يقول أنه عندما دخل إلى العلية والأبواب مغلّقة، قال لتلاميذه تعالوا جسونى وانظرونى وتحققوا منى، فإن الروح أو الشبح ليس له عظام ولحم كما ترون لى. وقال لتوما تعال امسك وضع يدك ... إلخ. فالكلمة «لا تلمسينى» بمعنى لا تتشبثى بى هكذا.. لأنها أرادت أن تمسكه.

٧٣ - هل يصدر الشر من الله ؟

سؤال: من السيدة المحترمة قرينة الأستاذ المحاسب أنطون سيدهم.

لقد جاء فى سفر إشعياء قول الرب «أنا الرب وليس آخر. أنا مبدع النور وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق الشر. أنا الرب صانع هذه كلها» (إشعياء ٤٥ : ٦، ٧) فكيف يمكن أن يقول الرب عن نفسه أنه «خالق الشر» ؟

الجواب:

حقاً إنه لأمر غريب أن ينسب الله إلى ذاته أنه «خالق الشر». أما إذا عرفنا أن من الناس من كانوا يعتقدون فى أن الوجود يتقاسمه إلهان إثنان: إله للخير، وإله للشر، وأنهما يتنازعان، فعندما ينتصر إله الخير، فالخير يسود، وعندما ينتصر إله الشر، فالشر يسود. وعندهم أن هذا الاعتقاد يفسر وجود الخير والشر فى العالم، ويشرح الصراع القديم بين الخير والشر فى الوجود. وممن قالوا بهذا الاعتقاد أهل الفرس قديماً، وقد عرفت ديانتهم بديانة الشراكسة. وإله الخير هو (أورموزدا)Ormuzd هو صانع الخير وخالقه، وأما إله الشر فهو (أهريمان) Ahriman.

ولما كان الرب فى سفر إشعياء يوجه الخطاب إلى قورش (أو كورش) Cyrus مؤسس الإمبراطورية الفارسية (نحو ٥٦٠ – ٥٢٩)ق. م، وكان قد استولى على بلاد ماداى وآسيا الصغرى وبابل، وهو الذى منح الإذن لليهود بأن يعودوا من سبى (أو جلاء) بابل إلى فلسطين، فإن الرب يريد أن يعرف قورش ملك الفرس بذاته، ويعلن له أنه هو الإله الحق، ولا إله غيره، وأنه يدعوه باسمه قورش مع أن قورش نفسه لا يعرفه، وأنه سينصره ويوفقه وينجح طريقه، وأنه هو الذى ألهمه أن يأذن لشعبه بنى إسرائيل المسبيين أن يعودوا من أرض الجلاء إلى فلسطين.

يقول فى مطلع الفصل، الذى ورد فيه النص موضوع حديثنا:

«هكذا يقول الرب لمسيحه، لكورش، الذى أمسكت بيمينه لأخضع الأمم بين يديه، وأحل أحقاء الملوك، لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تغلق. أنا أسير قدامك، والهضاب أمهد. أكسر مصراعى النحاس، وأقصف مغاليق الحديد. وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ، لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك، إله إسرائيل. إنى لأجل عبدى يعقوب، وإسرائيل مختارى، دعوتك باسمك، لقبتك وأنت لا تعرفنى» (إشعياء ٤٥ : ١ – ٤).

ولما كان قورش (أو كورش)، كأهل الفرس القدماء، يعتقد بوجود إلهين، إله للخير وإله للشر، فإن الرب الإله يريد أن يعرف قورش وجميع الفرس، ومن يعتقد إعتقادهم، أنه لا يوجد غير إله واحد، وأن الخير يصدر منه، وأنه لا يوجد إله للشر يقف أمام الله الند للند كإله آخر يتقاسم معه الوجود، ويتنازع سلطانه. ولذلك نسب الله إلى ذاته أنه خالق الظلمة.. وأنه خالق الشر، وذلك لكى ينفى وجود إله آخر حتى لو كان وجوده تفسيراً معقولاً لوجود الشر فى الكون. وهذا كله توكيد وإلحاح على حقيقة وحدانية الله وتفرده، وأنه هو وحده أصل الوجود. وعليه فلنتأمل قوله تعالى فى هذا الصدد «أنا الرب وليس آخر. لا إله سواى.. لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها، إنه ليس غيرى. أنا الرب، وليس آخر. أنا مبدع النور، وخالق الظلمة، صانع السلام، وخالق الشر. أنا الرب صانع هذه كلها... أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها، يداى أنا نشرتا السماوات وأنا أمرت جميع جندها .. الله فيك، وليس آخر، ليس إله غيره... خالق السماوات هو الله، جابل الأرض وصانعها، هو الذى أقرها.. للسكن جبلها. إنى أنا الرب، وليس آخر.. أنا الرب ولا إله غيرى. إله عادل ومخلّص، ليس سواى. التفتوا إلىّ واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض، فإنى أنا الله وليس آخر. (إشعياء ٤٥: ٥ – ٢٢).

حقاً إن الله - وهو دائماً كلّى الجودة والخير - لا يمكن أن يكون علة أولى للشر. ولكن الشرّ موجود، ولابد من تفسير للشر فى الوجود.. على أن الشر يصدر من كائنات عاقلة تنكبت طريق الخير وانحرفت نحو الضلال. ولما كانت هذه الكائنات العاقلة مخلوقة، وخالقها هو الله، فإن الشر الذى يصدر عنها ومنها بصفة مباشرة يعتبر الله مسؤولاً عنه، من حيث أنه هو خالقها والأصل فى وجودها ... لذلك، ومن هذه الجهة، يعد الله خالق الشر، أى أنه خالق لمن يخلق الشر. وبهذا المعنى يكون الله خالقاً للشر..

ومهما يكن من أمر، فإن الله لا يمكن أن يكون المصدر الأول لخلق الشر.. فالمصدر الأول للشر هو الكائنات العاقلة المريدة، وأعنى بها الشيطان وجنوده وكذلك الأناس من الأشرار. وبلغة أخرى يمكن أن يقال أن الله هو العلة الأولى للخير، ولكنه العلة الثانية للشر.. أما العلة الأولى للشر فهم الشياطين والأشرار من بين الناس. جاء فى الكتاب المقدس «حاشا لله من الشر، وللقدير من الظلم، لأنه يجازى الإنسان على فعله، وينيل الرجل على حسب سبيله. فحقاً أن الله لا يفعل سوءاً» (أيوب ٣٤: ١٠ – ١٢).

وتوكيداً على وحدانية الله، وأنه لا يوجد غير إله واحد، يقول الله تعالى فى نفس سفر إشعياء «إنى أنا هو. لم يكون إله قبلى، ولا يكون بعدى. أنا أنا الرب ولا مخلص غيرى.. أنا هو، ولا منقذ من يدى. أفعل ومن يرد..» (إشعياء ٤٣: ١٠ – ١٣).

«هكذا يقول الرب... رب الجنود. أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله غيرى. ومن مثلى.. هل من إله غيرى.. هكذا يقول الرب فاديك، وجابلك من البطن. أنا الرب صانع كل شئ، ناشر السماوات وحدى، وباسط الأرض بنفسى. من معى. (إشعياء ٤٤: ٦ – ٢٤).

«أنا الله وليس آخر. أنا الله وليس مثلى» (إشعياء ٤٦: ٩).

«أنا هو. أنا الأول وأنا الآخر» (إشعياء ٤٨: ١٢).

وجاء أيضاً فى مواضع أخرى «الرب هو الإله. ليس إله سواه» (التثنية ٤: ٣٥).

«الرب هو الإله فى السماء من فوق، وعلى الأرض من أسفل. ليس سواه» (التثنية ٤: ٣٩).

«إننى أنا هو، ولا إله معى. أنا أميت وأحيى.. وليس من ينقذ من يدى» (التثنية ٣٢: ٣٩).

«لأنه ليس أحد سواه» (١. صموئيل ٢: ٢).

«لأنه من إله غير الرب» (٢. صموئيل ٢٢: ٣٢).

انظر أيضاً (مرقس ١٢: ٣٢)، (الرؤيا ١: ٨، ١١، ١٧)، (٢: ٨)، (٢١: ٦)، (٢٢: ١٣).

ثم لأن الله وهو سيّد الكون والوجود، هو صاحب الأمر والنهى، فيمكنه أن يلغى الشر ويبطله. فإذا لم يلغه ولم يبطله، فقد سمح به وأجازه. فمن هذه الوجهة أيضاً يعتبر الله مسؤولاً عن الشر، وبالتالى فهو أساسه وعلته، وإن كان فى الحق لا يمكن أن يكون الله علة الشر الأولى.

إن القليل من الناس يعرفون الفرق بين أن يريد الله الشر، وبين أن يسمح به.. فالله ـ وهو كلى الخير والجودة ـ لا يمكن أن (يريد) الشر، أنه يمقته ويكرهه: يقول سفر المزامير «لأنك لست إلهاً يسر بالشر.. سافك الدماء والماكر يمقته الرب» (مزمور ٥: ٤، ٦).. ومع ذلك فلأن الله خلق الكائنات العاقلة حرة. فهو لا يجبرها ولا يقهرها على عمل الخير. فإذا صنعت الشر، فتصنعه بإرادتها هى لا بإرادة الله، ولكن لأن الله كان يمكنه أن يمنعها، ولم يمنعها، لذلك فهو قد سمح لها بأن تصنع الشر.. ولأنه سمح لها بالشر الذى تختاره بحريتها ولم يمنعها، فهو المسؤول عن الشر الذى يصدر منها.. وبهذا المعنى يكون الله صانعاً للشر.

جاء فى الكتاب المقدس أيضاً «أم يكون فى المدينة شر، ولم يفعله الرب» (عاموس ٣: ٦).

هنا، فى هذا النص كما فى النص الوارد فى (إشعياء ٤٥: ٧) القائل: «أنا الرب وليس آخر، أنا مبدع النور وخالق الظلمة، صانع السلام وخالق الشر» المعنى المقصود هو الإلحاح على أن هناك إلهاً واحداً للكون، ولا يوجد غير إله واحد، وهو المسؤول عن الخير، كما هو المسؤول عن الشر باعتباره سيد الكون الأوحد، وليس غيره السيد والرب الواحد وحده الحقيقى. وهو صانع الخير والخيرات لأنه كلى الخير، وهو الذى خلق الكائنات التى تصنع الخير والكائنات التى تصنع الشر بإرادتها واختيارها. ولما كان هو خالقها جميعاً والمهيمن عليها فهو المسؤول عن أعمالها. ثم لأنه فى مقدوره أن يمنعها من أن تصنع شراً، ولكنه لا يمنعها لأنه خلقها حرّة، فهو أيضاً المسؤول عن الشر الذى تصنعه هذه الكائنات الحرة العاقلة المريدة، لأنه وإن كان لا يريد الشر، لكنه يسمح به ويأذن به، لحكمة عنده، ولامتحان إرادة مخلوقاته فى إختيارها الخير والشر، فإذا عاقبها فى يوم الحساب، فلا يكون قد ظلمها أو عاقبها على شر لم تكن هى حرّة فى إختياره وفى عمله.

وإذن فلا يوجد غير إله واحد، هو الآمر بالخير والناهى عن الشر، وهو أيضاً خالق الكائنات التى تصنع الشر بإرادتها، وبالتالى هو الخالق لكل ما يصدر عنها.. أى أنه الخالق لخالق الشر.. فليس إذن إلا إله واحد، وليس غيره إله.

حقاً إن الشيطان يسمّى «إله هذا الدهر» (٢. كورنثوس ٤: ٤) وقد أعمى بصائر غير المؤمنين لئلا تضئ لهم بشارة مجد المسيح بنورها. وهو صورة الله» كما وصفه المسيح له المجد بأنه «رئيس هذا العالم» (يوحنا ١٢: ٣١)، (١٤: ٣٠)، (١٦: ١١). انظر أيضاً (أفسس ٦: ١٢).

لكن الشيطان، مع كونه إله هذا الدهر وإله الشر، لكن الشيطان ذاته مخلوق من الله. فهو إذن إله بالنسبة لمن تسلط عليهم من الأشرار، لكنه على كل حال ليس إلهاً آخر على نظير الله تعالى، ولا يقف أمام الله على نحو ما صوره أهل الفرس قديماً بأنه إله يتقاسم مع إله الخير سلطان الوجود، بمثابة شقيق، له ما لله الحقيقى من قدرة وسلطان. يقول الكتاب المقدس عن الشيطان وجنوده أنهم أيضاً «يؤمنون بأن الله واحد، ويرتعدون» (يعقوب ٢: ١٩).

* * *

ثم أن هناك نوعاً من الشر غير الشر الأخلاقى، وهو ما يُسمّى بـ (الشر الطبيعى) . والشر الطبيعى هو الكوارث والنوازل والمصائب التى تنزل بالأفراد وبالشعوب ومن بينها:

الأوبئة والأمراض المعدية التى تنتشر بين الناس فيموت بسببها كثيرون من الخلق.

والزلازل التى تحل بأماكن فتدمر المدن والقرى فيهلك بسببها الإنسان والحيوان.

والبراكين التى تثور فتنزل منها الحمم فتقتل أعداداً غفيرة من المخلوقات من الناس والبهائم.

والفيضانات التى تغرق الأراضى، والمنازل، وتزهق بها الأرواح وتنفق بها الماشية.

والعواصف العاتية والأعاصير والرياح الصرصر التى تجرف فى طريقها الناس وسائر الخلائق الحية والجامدة.

ومنها كذلك البرد القارس والحرّ اللافح الذى يقتل الإنسان كما يقتل النبات فضلاً عن الحيوانات العجماوات.

وأخيراً وليس آخراً، الحشرات الفتاكة بالنبات وسائر الكائنات الحية وغير الحية ومنها الجراد والديدان والعقارب والحيات وما إليها من القوارض والمبيدات.

كل تلك شرور يبتلى بها الناس، يسمح بها الله لتأديب الناس عقاباً على خطاياهم وتعدياتهم.

جاء فى الكتاب المقدس: «إن لم تسمع لصوت الرب إلهك، لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه ورسومه.. تأتى عليك هذه اللعنات كلها وتدركك. فتكون ملعوناً فى المدينة وملعوناً فى الحقل، وتكون ملعونة سلتك ومعجنك. وتكون ملعونة ثمرة بطنك وثمرة أرضك ونتاج بقرك وإناث غنمك... يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر فى جميع ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعاً من أجل سوء أعمالك إذ تركتنى ويلصق بك الرب الوبأ إلى أن يستأصلك من الأرض.. يضربك الرب بالسلّ والحمّى والبرداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول، فتتبعك حتى تفنيك. وتكون سماؤك التى فوق رأسك نحاساً، والأرض التى تحتك حديداً. ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً ينزل عليك من السماء حتى تهلك. يجعلك الرب منهزماً أمام أعدائك.. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكمة حتى لا تستطيع الشفاء. ويضربك الرب بالجنون والعمى وحيرة القلب. فتتلمس فى الظهيرة كما يتلمس الأعمى فى الظلمة ولا تنجح فى طرقك، بل لا تكون إلاّ مظلوماً مغصوباً طول الأيام وليس لك منقذ.. وتدفع غنمك إلى أعدائك، وليس لك منقذ. وبنوك وبناتك يسلّمون إلى شعب آخر.. وثمر أرضك وجميع تعبك يأكله شعب لاتعرفه، فلا تكون إلاّ مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام. وتكون مجنوناً ..

يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أخمص قدمك إلى قمة رأسك .. تخرج بذاراً كثيراً إلى الحقل وقليلاً تجمع إذ يقضمه الجراد. وتغرس كروماً .. ولا تجنى بل يأكلها الدود. ويكون لك زيتون.. وبزيت لا تدهن لأن زيتونك ينتثر.. جميع أشجارك وأثمار أرضك يستولى عليه الصرصر.. وتأتى عليك جميع هذه اللعنات وتتبّعك وتدركك حتى تهلك، لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه ورسومه التى أوصاك بها.. يسوق الرب عليك أمة من بعيد.. أمة جافية الوجه.. فتأكل ثمر بهائمك وثمر أرضك حتى تهلك، ولا تبقى لك قمحاً ولا خمراً ولا زيتاً ولا نتاج بقرك ولا إناث غنمك حتى تفنيك.. ويرد عليك جميع أوبئة مصر.. وكل مرض وكل ضربة .. هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك.. » (سفر التثنية ٢٨ : ١٥ - ٦٥).

أنظر أيضاً (١ . الملوك ٨ : ٣٧)، (٢ . أخبار الأيام ٦ : ٢٨)، (٢٠ : ٩)، (يوئيل ٢ : ٢٥)، (عاموس ٤ : ٩)، (حجى ٢ : ١٧).

تلك عينات من (الشر الطبيعى) والتى يسمح الرب بها لتنزل بالناس، عقاباً وتأديباً على خطاياهم وشرهم (الأخلاقى).

ومن قبيل هذا ما قاله أيوب الصديق لزوجته بعد أن نزلت به نوازل فماتت بقره وغنمه وجماله ثم أولاده وبناته، وضربه الشيطان بقرح ردئ من باطن قدمه إلى هامته: «أنقبل الخير من عند الله ولا نقبل منه الشر؟» (أيوب ٢ : ١٠). وعندما رفع الرب عنه ضربة الشيطان «جاء إليه كل إخوته وكل أخواته وكل معارفه .. وعزوه عن كل الشر الذى أنزله الرب به..» (أيوب ٤٢ : ١١).

وعن هذا النوع من (الشر الطبيعى) نقرأ فى الكتاب المقدس، فى مواضع متفرقة، مثلاً (التكوين ١٩ : ١٩)، (٢ . أخبار الأيام ٣٤ : ٢٤)، (مزمور ٢٢ : ٤)، (٦٩ : ٢)، (٧٠ : ١٣، ٢٤)، (٨٩ : ١٥)، (٩٠ : ١٠)، (١٠٨ : ٥، ٢٠)، (الأمثال ١٢ : ٢١)، (الجامعة ٦ : ١)، (إشعياء ٤٧ : ١١)، (إرميا ٥ : ١٢)، (٦ : ١٩)، (١١ : ١١)، (٤٩ : ٣٧)، (دانيال ٩ : ١٢)، (عاموس ٩ : ٤)، (ميخا ٣ : ١١)، (صفنيا ٣ : ١٥).

وبهذا المعنى عن (الشر الطبيعى) يقول الكتاب المقدس «فندم الرب على الشر، وقال للملاك المهلك الشعب: كفى، فكفّ الآن يدك» (٢ . صموئيل ٢٤ : ١٦). والمقصود بالندم هو عدول الرب عن الاستمرار فى إنزال غضبه على الشعب ـ وذلك بوقف الوباء الذى نزل بالشعب. انظر (يوئيل ٢ : ١٣، ١٤)، (يونان ٣ : ٩).

٧٤ ـ معجزة تحويل الماء إلى خمر غير مسكرة

تعد هذه المعجزة أولى المعجزات التى صنعها رب المجد يسوع المسيح فى بدء خدمته الجهرية. يقول الإنجيل المقدس: «وقد كانت هذه هى المعجزة الأولى التى صنعها يسوع فى قانا الجليل، وأظهر مجده، فآمن به تلاميذه» (يوحنا ٢ : ١١).

وإذن فهذه المعجزة تُعد الأولى فى قانا الجليل وقد صنعها أمام تلاميذه فآمنوا به إذ رأوا مجده أى جلاله وسلطانه وقدرته.

ولكنها بالطبع ليست هى المعجزة الأولى منذ نزوله على الأرض، فلقد سبقتها معجزات كثيرة. فإنّ الحمل به فى بطن عذراء لم تعرف رجلاً، معجزة، وولادته منها مع احتفاظها ببكارتها، معجزة، ومجئ المجوس إليه من أرض بعيدة ليسجدوا له، معجزة، ومجيئه إلى مصر ونجاته من سيف هيرودس، معجزة، وتحطّم الأوثان فى مصر أمام جلاله (إشعياء ١٩ : ١) معجزة بل معجزات، وإقامته فى مصر قد صاحبها الكثير من المعجزات بما لا يعيه الحصر. ولابد أن العذراء مريم ويوسف النجار وأهل الناصرة التى تربى فيها (متى ٢ : ٢٣)، (لوقا ٤ : ١٦) قد رأوا فى حياته بينهم عشرات المعجزات...

ولقد رأت الكنيسة فى معجزة تحويل الماء إلى خمر فى عرس قانا الجليل عدة حقائق مهمة:

الحقيقة الأولى: هى قدرة المسيح اللاهوتية، وسلطانه على المادة بتحويلها من صورة إلى أخرى، من ماء إلى خمر حقيقى. وهذه القدرة ذاتية لم يستمدها من كائن خارج عن ذاته. فهو لم يتذرع بالصلاة والطلب كما يفعل الأنبياء والرسل، إذ يطلبون من الله فيستجيب الله لصلواتهم توكيداً لقدرته تعالى، وإثباتاً لإرساليتهم من الله. أما المسيح فعندما حوّل الماء إلى خمر لم يرفع صلاة، وإنما أصدر أمراً إلى الخادمين «املأوا القدور ماء، فملأوها إلى أعلاها. فقال لهم: اغترفوا الآن، وقدّموا إلى رئيس الوليمة، فقدموا. فلمّا ذاق رئيس الوليمة الماء الذى تحوّل إلى خمر.. دعا .. العريس» (يوحنا ٢ : ٧ – ٩).

ولقد انبهر رئيس الوليمة من المعجزة، وشهد بأن هذه الخمر هى أجود أنواع الخمور، وقال للعريس «كل إنسان يقدم للمدعوين الخمر الجيدة أولاً، حتى إذا سكروا قدم لهم ما هو دونها جودة. أما أنت فأبقيت الخمر الجيدة إلى الآن» (يوحنا ٢ : ١٠، ١١) كما انذهل للمعجزة المدعوون، ومن بينهم تلاميذ المسيح، فآمن به تلاميذه (٢ : ١١).

تلك (القوة) الذاتية التى منها ينبع سلطان المسيح الإلهى على صنع المعجزات، قد عبّر عنها له المجد صراحة عندما لمسته «إمرأة كانت مصابة بنزف دم منذ إثنى عشر عاماً، وقد عانت كثيراً من أطباء كثيرين وأنفقت كل ما تملك (على الأطباء)، فلم تجد أى فائدة، وإنما بالأحرى ازداد حالها سوءاً، فلما سمعت عن يسوع جاءت من خلفه فى الزحام (ولمست طرف ثوبه)، لأنها قالت فى نفسها: «لو أننى لمست فقط رداءه لشفيت». فجف معين نزفها فى الحال، وأحسّت فى جسمها بأنها قد برئت من ذلك الداء. **وعلى الفور علم يسوع فى نفسه بالقوة التى خرجت منه**. فأدار عينيه فى الجمع، وقال: «من لمس ثيابى؟» فأنكر الجميع وقال بطرس والذين معه: «يا معلم، إن الجمع يتزاحمون من حولك ويضغطون عليك، ثم تقول: من لمسنى؟ فقال يسوع: إن ثمة من لمسنى، لأننى عالم بالقوة التى خرجت منّى. فلما رأت المرأة أن أمرها لم يكن خافياً عليه جاءت مرتعدة، وارتمت على قدميه، ثم اعترفت أمام كل الشعب بالسبب الذى من أجله لمسته، وكيف أنها شُفيت على الفور. فقال لها: «تشجعى يا إبنتى، إن إيمانك قد خلصك» (مرقس ٥: ٢٥ – ٣٤)، (لوقا ٨: ٤٣ – ٤٨)، (متى ٩: ٢٠ – ٢٢).

٧٥ ـ طبيعته لا تمكنه أن يعاين ملكوت الله

سؤال:

نعتقد جميعاً ولا شك أن الله يريد خلاص البشرية بمعرفته ولكنه سمح مع ذلك بوجود عدة أديان غير المسيحية، ومما لا شك فيه أنه إذا نشأ إنسان على ديانة أو مبدأ معين فيكون ذلك شبه مستحيل أن يحيد عنه. فلماذا يحرم هؤلاء الناس من رؤية ملكوت السموات؟

الجواب:

أولاً لا نستطيع أن نقول أن الذى نشأ على مبدأ معين يستحيل أن يحيد عنه. صحيح أنه عادة يستمر الإنسان على ما نشأ عليه فى الصغر، لكن ليس مستحيل، إنه فعلاً الإنسان على مدى التاريخ يقدر أن يغير.

أما من جهة الحساب أو دخول ملكوت السموات، فهذا طبعاً مبدأ مقرر فى الكتاب المقدس إن الذين لا شريعة لهم أو لا ناموس لهم فهناك الناموس الطبيعى وهو ناموس الضمير، لأن كل إنسان فى الخليقة له ضمير به يميز بين الخير والشر، ويشعر بإلزام من الداخل أنه يجب أن يعمل الخير ويجب أن يتجنب الشر، ففى حالة إذا كان الفرد لا يعرف المسيح سيكون حسابه على أساس شريعة الضمير، إنما موضوع دخول ملكوت السموات فهذا إمتياز لأنه حصل شقوق للطبيعة البشرية ولا يمكن أبداً إصلاحه إلا بأن تتغير الطبيعة البشرية. فلو فرض أن عندنا لوح زجاج كُسر، لا يمكن أبداً أن يعود، من الممكن ترميمه ترميماً مؤقتاً، لكن لكى يرجع مرة أخرى مثل الأصل لا يمكن ـ فلا بد أن يتغير اللوح كله. وهذا ما قاله القديس أوغسطينوس، والمعروف طبعاً فى المسيحية، أن الطبيعة البشرية فسدت فساد لا يمكن إصلاحه إلا بالتغيير الكلى. ونحن كلنا ولدنا من آدم وأصبحنا فى حكم الطبيعة مثل المرض الوراثى، فإذا كان الأب وريث لمرض فطبيعى أولاده يكونون مصابين بهذه المرض الوراثى، هذا شئ طبيعى جداً، عندما يكون واحد فقير ابنه يكون فى ظروف أبوه فيكون فقيراً أيضاً مثله، إنما كونه فقير لأن أبوه فقير هذا ليس خطيئته، فلا يُحاسب على خطيئة أبوه إلا إذا كان هو نفسه يعمل خطيئة أبوه. فمن جهة العقاب، لا يُعاقب الإنسان الذى يكون من ديانة ثانية أو لم يعتمد إلا على خطيئته، لكن موضوع دخول ملكوت السموات هذا إمتياز آخر، هذا موضوع آخر فيه فرق، مثلاً عندما نسأل بالنسبة للأطفال الصغار غير المعمدين ما هو مصيرهم؟ الآباء قالوا لا يعذبون ولا يمجدون، لا يعذب لأنه لم

يصنع خطيئة فى هذا الوقت، لكن كونه يتمجد بمعنى أنه يرى ويعاين ملكوت الله لا.. فيكون مثل واحد عيونه ضعيفة أو ولد أعمى، فبطبيعة أنه أعمى لا يرى، لكن لا يوجد عذاب فعلى بالنسبة له، كل ما هناك لا يقدر أن يرى لأنه لا يوجد له الإمكانية. فالإنسان غير المعمد إذا لم يكن قد أخطأ خطيئة فعلية مثل الأطفال، ففى هذه الحالة لا يعذب، لكن لأنه مولود بالطبيعة فهذه الطبيعة لا تمكنه أنه يعاين ملكوت الله، لأن طبيعته لا تتحمل الوجود فى الحضرة الإلهية. على كل حال الله هو الحكم والله هو الديان، وطبعاً الله سيحاسب كل إنسان على حسب إمكانياته. الله لا يظلم أحد أبداً، فمن جهة العقاب الإنسان لا يعاقب إلا عن الشئ الذى صنعه فعلاً.

موضوع أننا نرث الخطيئة كلنا، يوجد كثير من الناس الغير مسيحيين لا يفهموها، نحن نرث من أبينا آدم ليس الخطيئة نفسها ولكن نرث الحالة، ولذلك لا يوجد عقوبة إلا على الخطيئة الفعلية التى صنعها الإنسان بنفسه، لكن باعتبار أننا نرث الحالة نفسها فلا نقدر أبداً أن نعاين ملكوت الله، لأن طبيعتنا لا تتحمل هذا الإمتياز إلا بعد المعمودية. المهم أن الله لا يظلم وأن الحساب دائماً على حسب إمكانيات الإنسان، إنما موضوع دخول ملكوت الله ومعاينة ملكوت الله هذا إمتياز يتصل بالطبيعة البشرية كلها.

٧٦ ـ يا أبتاه اغفر لهم......

سؤال:

هنا واحد يقول: السيد المسيح قال وهو على الصليب يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون أو ما هم فاعلونه. والسيد المسيح قبل الصليب كان يقول اذهب مغفورة لك خطاياك، ما الفرق بين القولين؟ فالأول يطلب من الآب والثاني بسلطان ذاته.

الجواب:

الفرق أنه وهو على الصليب يبدى إستعداداً أن يغفر، هذا في الوقت الذى فيه يضربوه ويجلدوه أبدى استعداداً أنه يغفر للذين أساءوا إليه، وهذا تطبيقاً للكلام الذى قاله: «باركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم» إنما هنا سؤال: هل غُفر لهؤلاء الناس؟ الناس الذين أخطأوا عن غير معرفة، ممكن أنهم وجدوا طريق الخلاص والمسيح أبدى استعداده أن يغفر لهم، فمثلاً عندما نتأمل الخطأ الذى وقع فيه بطرس الرسول، عندما يقول أنا لا أعرف ذلك الرجل، وحلف أنه ليس له علاقة به، ومع ذلك عندما بكى بكاءاً مراً غفر له. لو كان يهوذا لم ييأس كان من الممكن أن ربنا يغفر له لأنه ندم. وقال أخطأت إذ سلمت دماً بريئاً، فهنا أكيد أن ربنا بمحبته ممكن أن يغفر. ولكن يهوذا يئس وقطع رجاءه فذهب وخنق نفسه.

فهنا النص الأول يشير إلى استعداد الله أن يغفر، وطبعاً هذا الغفران بالذات متجه أكثر للذين أخطأوا عن غير معرفة، إنما الناس الذين يخطئون بمعرفة، هنا مسألة الغفران تتوقف على استعداد الشخص نفسه أن يعترف بخطاياه وأن يندم، لكن إذا لم يعترف وإذا لم يندم فلا يشمله الغفران وهذا ما قاله الكتاب «أنه لا مغفرة له لا في هذا الدهر ولا في الآتي».

فالنص الأول واضح جداً بالنسبة للأشخاص الذين يخطئون، إن من قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له بمعنى يغفر له إذا تاب وإذا اعتذر، فلابد أن يكون لديه استعداد أن يعتذر لكى يغفر له، أما إذا كان هو لا يريد فلا مغفرة له، فلابد دائماً من الإرادة وإلا فالخطيئة قائمة والعقاب قائم، فعندما قال للشاب مغفورة لك خطاياك، أدرك المسيح بمعرفته كإله، أن هذا الإنسان تاب وأنه ندم على خطئه، فأراد أن يطمئنه وقال له ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك، فلأنه صاحب السلطان أدرك قصد قلب هذا الإنسان أنه تاب. فكلمة اغفر لهم، هذا كلام مطلق عام، القصد منه إظهار استعداد الله أن يغفر للإنسان إذا رجع الإنسان تائباً وكان خطئه عن غير معرفة.

تكملة للسؤال: لماذا لم يقل مغفورة لكم خطاياكم؟

الجواب: كيف يكون ذلك؟ هذا موقف وهذا موقف، هذا رجل مفلوج ولكى يبين أنه قبل أن يشفيه من جسده يشفيه من روحه أولاً، وهذا نوع من أنواع إظهار وإبراز أن الخطيئة أصلاً مرض يصيب الروح، فلا شفاء للجسد قبل أن تشفى الروح أولاً، إنما كلام المسيح على الصليب إظهار إستعداده بأن يغفر لمن أساء إليه، بشرط أنه هو يتوب. لأن الذى حدث بالنسبة لليهود هناك إناس مثل اللص اليمين لما قال «اذكرنى يا رب»، وإن كان قد جدف أولاً وشتم على المسيح، فالمسيح غفر له وقال له اليوم تكون معى فى الفردوس، ومثلاً لونجينوس الذى طعنه بالحربة أيضاً غفر له. لونجينوس أصبح قديس، وأصبح فى يوم من الأيام من الخدام فى الكنيسة وله يوم نياحة، رغم أنه طعن المسيح فى جنبه طعنة شديدة ولكن استعداد المسيح أنه قابل الشر بالخير، إن الدم اندفق ووصل إلى عين لونجينوس فأحياها، وهذا ما دفع لونجينوس وقال حقاً هذا الإنسان كان ابن الله. لكن هناك آخرين لن يغفر لهم، اليهود الذين عانوا هذه المعاناة ألفين سنة، والمتاعب الشديدة التى لاقوها لأنهم رفضوا، فهناك عقاب يشملهم حتى اليوم، على كل حال الله يبدى استعداده أن يغفر وهذا نوع من أنواع الاتساع والحب، لكن لابد أن الواحد يعتذر أو يقول أنه أخطأ، لكن إذا كان الإنسان مصراً على أنه غير مخطئ فلا يوجد غفران.

٧٧ ـ علم الله السابق

سؤال:

واحد يسأل ما معنى أحب الرب يعقوب وأبغض عيسو هل عند الرب محاباة؟

الجواب:

أنت نفسك تقدر أن تجاوب على هذا السؤال، و هل من الأدب أن أقول عند الرب محاباة. لماذا المحاباة؟ لماذا؟ الإنسان عندما يحابى إنسان آخر يكون لمصلحة أو لغرض، لكن ربنا يحابى لماذا؟ احترسوا من التعبيرات التى من هذا القبيل، التى تكون فيها إهانة للجلالة، ببساطة تكتب وتقول هل عند الله محاباة؟ المفروض أنك أنت ترفض هذا الكلام إبتداءاً، الإنسان يحابى من أجل مصلحة؟ لكن ماذا يريد الله من الإنسان؟ إذن كلمة أحببت يعقوب وأبغضت عيسو، لأنه رأى مسبقاً أن يعقوب سيختار لنفسه الخير فأحبه من أجل هذا، وعيسو اختار لنفسه الشر فأبغضه من أجل هذا. ولأن الله يحيا فى غير زمان، فلا يوجد ما يسمى بالنسبة له الحاضر أو الماضى أو المستقبل، ولأن الله غير محدود فيمكن أن يرى الإنسان قبل أن يُخلق، ويعلم أنه سيكون خيّراً، ويعرف أن الإنسان الآخر سيكون شريراً، ويحب هذا قبل أن يولد، لكن ما هى مصلحة ربنا أن يجعل الواحد خيّراً والثانى شريراً. لا يوجد أى مصلحة إطلاقاً الإنسان هو الذى يختار لنفسه، وهذا ما قاله الله ها أنا جعلت أمامكم الحياة والموت تختاروا لأنفسكم الحياة لتحيوا.

٧٨ ـ تفسير: «ومتى أُخضع له الكل...»

سؤال:

هنا سؤال تفسيرى ورد فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس الأصحاح ١٥ عدد ٢٨ «ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذى أُخضع له الكل كى يكون الله الكل فى الكل» ما تفسير أخضع له الكل؟

الجواب:

المسيح له المجد عندما تمم عمل الخلاص، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السموات فى اليوم الأربعين لقيامته، ودخل إلى السماء بعينها أو إلى سماء السماوات، فهذا الدخول بهذا الشكل العلنى معناه أن المسيح دخل بذبيحة نفسه، إلى الأقداس فوجد فداءاً أبدياً، المسيح له المجد نائب عن البشرية ومعنى الفداء أنه هناك من ينوب عن الباقين فيفديهم، أى أن الموت كان محكوماً به على جنس البشر، فالمسيح له المجد أخذ وضع البشرية كلها، وصار هو الحمل الذى يحمل خطيئة العالم، ويقول الكتاب المقدس أن الرب وضع عليه إثم جميعنا، فصارت خطيئة البشرية كلها على المسيح، هذا هو معنى الفداء، وفى موضع آخر يقول الذى لم يعرف خطيئة صار خطيئة لأجلنا، وهو من أصعب التعبيرات فى الكتاب المقدس أن يقال عن المسيح أصبح خطيئة وهو تعبير أصعب من كلمة خاطئ، والمسيح ليس خاطئ فى ذاته لأنه قال من منكم يثبت علىّ خطيئة، لكن طبيعة الفداء وعملية الفداء معناها أنه تم نقل خطيئة البشرية كلها على المسيح، وعندما يموت المسيح فبموته ينفذ الحكم الإلهى، وبهذا يعفى البشر من هذه الخطيئة. أو يعفى البشر من الحكم المحكوم به على جنس البشر، فمعنى دخول المسيح بعد ٤٠ يوماً للصعود العلنى، والمسيح لم يصعد فى الخفاء إنما ظهر جهاراً على مرأى من جميع تلاميذه، ومن الرسل ومن كافة المؤمنين فى ذلك الوقت، بل وأيضاً على مرأى من جميع الذين كانوا على جبل الزيتون فى ذلك الوقت، لأن المسيح صعد من فوق جبل الزيتون. وجبل الزيتون جبل مأهول بالسكان، ليست كجبالنا جرداء، الذى يذهب إلى فلسطين يجد الجبل مأهول بالسكان، وعليه قرى وبلاد مثل جبل لبنان، ولبنان كله جبل، هذا الصعود الجهارى مقصود، ليس الآن مجال الكلام عن النواحى الأخرى من هذا الصعود الجهارى لأن صعود المسيح للسماء قضية لاهوتية كبيرة جداً، ولها معانى كثيرة، إنما أحد هذه المعانى أن المسيح كفادى للبشرية، صعد إلى السماء حاملاً ذبيحة نفسه، أى هو نفسه ذبيحة، وهذا فى مقابل ما كان يصنعه رئيس الكهنة قديماً، فكان

رئيس الكهنة فى العهد القديم يذبح الذبيحة ويحرق المحرقة أو يضعها على المذبح وتحرق بالنار، المهم الذى يحمل الذبيحة يأخذ من دم الذبيحة. ويضعه فى قسط من الذهب ويضعه على رأسه ويدخل إلى قدس الأقداس. وعادة الدخول إلى قدس الأقداس كان مرة فى السنة، ولاحظوا أن هذا الكلام له معنى. مرة فى السنة يحمل رئيس الكهنة دم الذبيحة عن نفسه وعن خطايا الشعب، يحملها على رأسه ويدخل بها إلى قدس الأقداس، وقدس الأقداس هنا يشير إلى السماء، وبهذا كان رمزاً لما سيصنعه المسيح بعد أن يتم عمل الفداء، يحمل ذبيحة نفسه ويدخل بها إلى قدس الأقداس وهو السماء وهذا معناه نجاح مهمة الفداء، دخل المسيح إلى السماء كفادى عن البشرية فوجد فداءاً أبدياً. هذا التعبير فى الكتاب المقدس وجد فداءاً أبدياً، ليس لنفسه ولكن لنا نحن أيضاً لأنه هو النائب عنا.

ثم جلس على العرش وحينئذ أتت الملائكة ورؤساء الملائكة وخضعت له، هنا تعبير الكتاب المقدس وخضعت له الملائكة ورؤساء الملائكة، ولكن يقول الكتاب المقدس فى رسالة العبرانيين، منتظراً إلى أن يخضع له جميع الأعداء، معنى هذا الكلام أن المسيح فى دخوله إلى السماء بعد أن تمم عملية الفداء، انتصر على أعدائه لكن ليس عليهم جميعاً. لازال للمسيح أعداء وآخر عدو هو المسيح الدجّال باعتباره أنه هو العدو النهائى. هذا معنى كلمة ومتى أُخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذى أخضع له الكل، لكن ما معنى أن المسيح يخضع؟ لمن يخضع؟ المسيح هنا هو الفادى، والذى يمثل صفة الرحمة وهو الابن، المسيح فى المجئ الأول جاء رحمة، ولذلك رفض أن يدين وقال لم آتى لأدين بل لأخلص العالم، ورفض أن يدين المرأة، ورفض أن يقضى وأن يحكم لرجل قال له قل لأخى أن يقاسمنى الميراث، لماذا؟ لأنه وضح أن المجئ الأول رحمة، المجئ الأول للخلاص، أما المجئ الثانى فللدينونة، فى المجئ الأول المسيح يمثل الرحمة الإلهية، لأنه قبل على نفسه أن يقوم بعمل الفداء نيابة عن البشر، وهذا هو منتهى الرحمة والحب، ليس حب أعظم من هذا أن يموت أحد لأجل أحبائه، أنتم أحبائى، فالمسيح يمثل الرحمة، يمثل صفة الرحمة فى الإله، بعد أن يكون المسيح قد أخضع له الكل، حينئذ الابن نفسه سيخضع للذى أخضع له الكل، هنا ينتهى عمل الرحمة ليبدأ عمل العدل. معنى خضوع الابن للآب هنا هو خضوع الرحمة للعدل، ليس بالمعنى اللاهوتى، من الخطأ أن يتصور البعض هذا، خضوع الابن يعنى إنتهاء عهد الرحمة ليبدأ العدل، ومع ذلك من الذى يقوم بعمل العدل؟ هو أيضاً المسيح. من الذى سيقوم بالدينونة؟ أيضاً المسيح، المسيح هو الذى قام بالرحمة وهو الذى

يقوم بالعدل، لكن الرحمة أولاً وبعد ذلك ينتهى عمل الرحمة ليبدأ عمل العدل فى الله الواحد، الله واحد فالابن يمثل صفة الرحمة فى الإله لكن لن تكون الرحمة للأبد! لابد أن الله يعاقب ولابد أن الله يدين، وليس هناك رحمة فى يوم الدين، لمن لم يعمل الرحمة. ثم يقول أنه سيجازى كل واحد على حسب أعماله فهناك عدل، اليوم الرحمة تأخذ وقتها، ولذلك الله ترك كل فرد يعمل ما يريد الخاطئ يخطئ، والظالم يظلم حتى يقول فى سفر الرؤيا «من يظلم فليظلم» الله أعطى الحرية ولا يتدخل إطلاقاً إلا فى أضيق النطاق أحياناً، لكن الظلم موجود ومستمر والشر موجود ومستمر، السرقة والخطيئة، والزنى والنجاسة، الله لا يستغل سلطانه لمنع الخطيئة، فكل شخص يود أن يعمل شئ فله الحرية، ولكن فى نهاية الأمر لابد أن يكون هناك وقت يقف فيه عمل الرحمة ليبدأ عمل العدل، هذا هو معنى خضوع الابن للآب معناه خضوع الرحمة للعدل، لكن مع هذا من الذى سيقوم بعمل العدل؟ هو المسيح ولذلك يقول فى متى ٥ « الآب لا يدين أحداً فلقد أعطى القضاء كله للابن»، إذن من هنا نفهم أن هذا الموضوع معناه خضوع الرحمة أو لإنتهاء عهد الرحمة، ليبدأ عهد العدل، ومع ذلك الابن نفسه هو الذى يمثل العدل وهو أيضاً يمثل الرحمة. يقول فى متى ٢٥ «متى جاء ابن الإنسان» وهنا الإصرار على كلمة ابن الإنسان، لم يقل المسيح أو أى لقب آخر، قال ابن الإنسان ومن الذى أخذ صورة الإنسان؟ هو المسيح، «حينئذ يجلس على عرش مجده، فيجتمع أمامه جميع الشعوب ويفصل بعضهم عن بعض، كما يفرز الراعى الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، ويقول الملك للذين عن يمينه «تعالوا أيها المباركون الآن رثوا الملكوت المعد لكم» هنا المسيح هو الذى يدين. فهذا تفسير هذه الآية «ومتى أخضع له الكل حينئذ الابن نفسه سيخضع للذى أخضع له الكل».

٧٩ ـ هل جسد السيد المسيح محدود؟

سؤال:

هل جسد السيد المسيح محدود أم غير محدود؟ وإذا كان محدوداً، فكيف يكون موجوداً على المذبح فى كافة الكنائس، وكيف يكون كل منا يأخذ سر التناول كاملاً، علماً بأن الأب الكاهن فى الاعتراف يشير إلى الجسد ويقول: أؤمن أن هذا هو الجسد الذى اتخذه سيدنا؟

الجواب:

طبعاً جسد السيد المسيح الفيزيقى محدود، هذا فى الأصل، فمثلاً إذا كان الفحم شكله أسود ومحدود، لكن عندما يتحد بالنار تصبح له قوة الإضاءة والإحراق إلى مدى بعيد. أقصد ضوء وحرارة النار تمتد أبعد من حجم قطعة الفحم، ولذا كنا نقول أن النور لا يُحجز فهو ينفذ من خارج الجسم الزجاجى للمصباح الكهربائى، هذا مجرد وسيلة إيضاح، كيف أنه باتحاد اللاهوت بالناسوت صار الناسوت نفسه متوهجاً، بالنار وبالنور، والله نوره غير نور لمبة الكهرباء المحدود، لأنه إذا كان الكاروبيم وهو أقرب الملائكة إلى العرش، وهم من نور ومن نار، مع ذلك يستروا وجوههم بجناحين ويغطون أرجلهم بجناحين لماذا؟ يستروها من ماذا؟ يستروها من الأعظم الذى لا يقاس نورهم بإزائه، هذا مثل يعطينا فكرة عن النور الإلهى، الله نور وساكن فى نور لا يدنى منه لا يستطيع أحد أن يقترب إليه، ويقول فى موضع آخر إلهنا نار آكلة ثم يقول «من يسكن فى وقائد أبدية» لا تنسى كيف أن بولس الرسول بمجرد ما رأى نور المسيح عمى ٣ أيام، وهو على هذا البعد البعيد، هذا يعطينا صورة عن العظمة والبهاء والجمال والنور ثم يوحنا الرسول فى الإصحاح الأول من سفر الرؤيا يقول «سقطت عند رجليه كميت»، مع العلم أنه رآه على جبل التجلى. إنما البهاء والنور الذى رآه فوق جبل التجلى لا يقاس إلى البهاء والنور الذى رآه فى الرؤيا، لأنه على جبل التجلى ظهر شيئاً من البهاء، لأن المسيح له المجد كان يتحكم فى قدر البهاء والنور الذى يسمح به، على قدر ما يقتضيه الموقف. فأراهم على جبل التجلى ومضة من ومضات لاهوته، ومع ذلك أيضاً سقطوا وبطرس الرسول طار عقله وأخذ يتحدث بكلام لا معنى له، لنصنع لك ثلاث مظال واحدة لموسى وواحدة لك وواحدة لإيليا. والكتاب المقدس يقول لأنه كان لا يدرى ما يقول. ماذا جعله أن لا يعى ما يقول؟ سقوط الإضاءة القوية على عينيه عملت تشتت فى الإنتباه وعدم قدرة على التركيز.

فنقول أن جسد المسيح باتحاد اللاهوت به، صارت له الإضاءة والإحراق وهذا هو السبب لماذا نتناول؟ سر التناول له فوائد كثيرة جداً وتكلمنا فى كتاب القيم الروحية لسر القربان عن ١٢ فائدة، إنما فى ناحية من النواحى أن اللاهوت المتحد بجسد المسيح (ناسوته) يصير به إضاءة، نور روحانى يضئ فى القلب، وأيضاً قوة إحراق للخطيئة الفعلية، لأننا فى سر المعمودية نغسل الخطيئة الأصلية كما قال حنانيا لشاول الذى هو بولس «قم واعتمد واغسل خطاياك، المعمودية هى غسل للخطيئة. الخطيئة الجدية والخطايا الفعلية السابقة على المعمودية، أما فيما يتصل بالخطايا اللاحقة بعد المعمودية فهذا هو عمل سر التناول. به تتم غفران الخطيئة الفعلية اليومية، وهذا هو السبب فى احتياجنا إلى التناول. لماذا نتناول باستمرار؟ نعتمد مرة واحدة، أما التناول فلماذا باستمرار؟ لأن بالتناول تتم عملية طهارة، عملية تطهير، «ودم يسوع المسيح إبنه يطهرنا من كل خطيئة»، وهذا هو السبب أن الكاهن بعد ما يسجد يقول «ربنا يسوع المسيح يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه» فنحن المطهر الدائم لنا كل يوم فى سر التناول، ولكن هناك خطيئة لشعبنا الذى يتحول عنده القداس إلى اسطوانة، يقول أنا سأذهب أحضر القداس، أسمع القداس. واليوم ممكن أن لا يذهب إلى الكنيسة من الكسل، ويسمع القداس فى الراديو أو فى التسجيل، وممكن يقول أن القداس فى التسجيل كان أحسن من الكنيسة. أو القداس فى الإذاعة يكون الصوت أحسن. ليس لهذا الغرض وجد سر التناول أو القداس، القداس ليس إسطوانة، القداس وليمة. ونحن مدعووين للوليمة فلازم نأكل، لو فرد دعاك لوليمة وذهبت ثم رفضت أن تأكل، تسأل لماذا؟ إما حضرتك لا يعجبك الأكل، أو أنت متعالى على الباقين، كان أولى أن لا تحضر، كيف تدعى للوليمة ولا تأكل منها؟ المفهوم الخاطئ الذى وصل إليه اليوم بعض من شعبنا يقول أنا تناولت يوم الزواج، أو تناولت يوم العماد، البعض الأحسن يقول أنه يتناول مرة فى السنة يوم سبت النور أو خميس العهد، وهذا الإنسان لا يدرى أنه بإرادته جذب نفسه وقطعها من شركة المسيح بدون حكم، أى بدون أن يصدر ضده قرار كنسى بالحرمان، هو جذب الحبل وقطع نفسه من جسم الكنيسة من شركة المسيح والكنيسة، لأن شركة المسيح والكنيسة هى سر التناول، من هنا نفهم خطأنا بالتأخير عن سر التناول. سر التناول لم يوجد لكى يكون اسطوانة، ونحكم على القسيس صوته حلو أو لأ.. والقداس اليوم تعزينا به، بماذا تعزى؟ تعزى من الصوت، من الجائز أن يكون هناك واحد صوته موهوب، ومن الجائز يكون ألحان الشمامسة أو الخوروس لطيفة جداً، موسيقى لكن ليس لهذا الغرض كان القداس، سر التناول

وليمة. ولذلك فى الخولاجى يقول ويتناول كل الشعب، الكهنة والشمامسة وكل الشعب. كلمة «كل» تجدها فى الخولاجى وتجدها فى قوانين الكنيسة «كل الشعب يتناول» القاعدة أن الكل يتناول، الاستثناء للناس المحرومين لسبب أو لآخر. أو الغير مستعدين أو الذين صدر ضدهم حكم من الكاهن أب الاعتراف منعه لسبب خطيئة مانعة، قد يكون ذلك مرة أو بضع مرات، لكن القاعدة أنى أتناول. وكل الشعب يتناول، هذه هى القاعدة، سيدنا له المجد ينزل على المذبح ليكون مأكلاً ونقول له لأ .. نحن نحتاج أن يتغير هذا المفهوم ونفهم بالضبط وظيفة القداس فى الكنيسة ووظيفة سر التناول.

فهنا صحيح أن المسيح جسده محدود من حيث أنه أخذه من مريم. تركب من دم مريم وهو طبعاً محدود من هذه الوجهة، لكن باتحاد اللاهوت به صارت له القدرة والفاعليات غير المحدودة، وذلك بطبيعة اللاهوت المتحد به تصير لهذا الجسد الفاعليات غير المحدودة.

٨٠ ـ نور من نور

سؤال :

عندما نقول نؤمن برب واحد، يسوع المسيح.. نور من نور، يتضح لنا. أن النور خرج من نور آخـر، هل المقصـود بأحـد النورين هو النور الذى كـان فى البـدء، والوارد فى بداية سفـر التكوين؟

الجواب :

لا.. النور الوارد فى سفر التكوين الذى منه الشمس والقمر، ومنه النجوم والذى يسمى النور الأول، ومنه خلقت الملائكة فى بدء الخلق، لكن المقصود بكلمة نور من نور أن الله نور. فيه نصوص فى الكتاب المقدس تقول أن الله نور، لأن طبيعة الله نور، ويسكن فى نور لا يقترب منه، أو لا يدنى منه، ولذلك الكاروبيم والساروفيم يسترون وجوههم، مع العلم بأنهم من نور، وفى سفر حزقيال النبى خصوصاً الأصحاح الأول والعاشر أن الملائكة الكاروبيم من نور ونور وهاج، بل كلمة الساروفيم نفسها تفيد التوهج، ولما ظهر الملاك ميخائيل عند قيامة السيد المسيح وفتح القبر يقول الإنجيل كان النور عظيماً، حتى أن الحراس من شدة البهاء والخوف، سقطوا على وجوههم كالأموات، يقول عن النساء كن منكسات بوجوههن إلى الأرض، لا يستطعن أن ينظرن فى نور الملاك، وفى سفـر الرؤيا أصحـاح ١٨ يقـول أن مـلاك نزل على الأرض فاستضاءت الأرض من بهائه. انظر الأرض عندما تكون لمبة فى حجرة يمكن أن تنيرها، لكن لمبة صغيرة فى بيداء أو صحراء غير ممكن، لكن كون الملاك عندما يظهر تستضئ الأرض من بهائه هذا معناه قوة إضاءة الملاك، أو قوة النور عظيمة جداً، وعندما ظهر الملاك فى ليلة الميلاد، يقول نور أضاء فى البادية، هذا لأن الملائكة من نور ونور قوى جداً. إذا كانت السيدة العذراء وهى إنسانة عندما كانت تظهر فى الزيتون، كان هناك نور يضئ فى القبة، فهنا كلمة نور من نور التى نقولها فى قانون الإيمان عن السيد المسيح، هذا النور غير نور الملائكة، نور الملائكة أقل جداً، لأنه إذا كان الكاروبيم يسترون وجوههم بجناحين، وبجناحين آخرين يسترون أرجلهم، يستروها من ماذا؟ يستروها من نور الله نفسه. لأن نور الإنسان أو نور الملاك لا يقاس بشئ إزاء النور الإلهى، فالله ذاته نور، لأن الله ليس له مادة وليس له جسد، طبعاً حدث أن المسيح اتخذ له جسداً، لكن الله ذاته فى طبيعته نور، كلمة نور من نور، يعنى أنه نور خالص، هذا مصطلح معناه نور خالص، لا يوجد به شئ من المادة، نور من نور، تعبير للدلالة على أنه

نور خالص أو نور دامس فى النورانية. وقد قال المسيح له المجد، «أنا منه» أى من الآب أى من طبيعة الآب، ومن جوهره، هذا هو معنى نور من نور، ونحن نشرح ذلك فنقول لو أنك أحضرت شمعتين وأنرت شمعة من الأخرى لا تستطيع أن تقول النور الذى فى هذه الشمعة متأخر فى الزمان عن النور الذى فى الشمعة الثانية.. أبداً. لأن هذا النور من هذا النور، وبدون أسبقية فى الزمن، النور فى ذاته الذى فى هذه الشمعة هو بعينه الذى فى الشمعة الثانية. لم يحدث أبداً فارق زمنى فى النور نفسه، إنما فيه فارق زمنى فى عملية الإنارة أنك أنت أخذت نور من هذه الشمعة إلى الشمعة الأخرى، لكن النور هو بعينه. فعملية التجسد تمت فى الزمان، لكن المسيح فى ذاته من نور ذات الآب، ومن جوهره، ومن طبيعته.

٨١ ـ الجسد الأثيرى

سؤال:

قلتم فى موضوع التجسد أن الجسد أثيرى، فكيف أكل مع إبراهيم وما نوع هذا التجسد؟

الجواب:

نوع التجسد، جسد يتكون، ثم يصرف بعد ذلك ونحن شرحنا هذا الكلام وقلنا أن الملاك يأخذ جسد، هذا الجسد يسحبه من الأثير ثم يصرفه مرة أخرى. أنا أذكر جيداً فى أيام ظهور السيدة العذراء فى الزيتون سنة ١٩٦٨، كان يوجد حمام يظهر، وهذا الحمام طبعاً ليس حمام عادى، لأن الحمام عادة لا يطير فى الليل، كان يظهر فجأة ويختفى فجأة، ثم أنه كان مشع بالضوء الأبيض، من فوق ومن تحت، ومن كل الاتجاهات، كل هذه قرائن على أنه ليس حمام عادى، ففى ليلة من الليالى، أنا كنت هناك حوالى الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، وكنت أستند على العصا، وكنت داخل فناء كنيسة الزيتون، فلما ظهر الحمام، كان هناك حمامتين ظهرا فى سماء الكنيسة لم يأتيا من بعيد. هناك فرق بين شئ يجئ من بعيد وشئ يظهر فجأة ثم أن الحمامتين يطيران معاً، بجوار بعضهما ويحتفظان بمسافة بينهما وظلا وهما طائران محتفظين بنفس المسافة حتى اختفيا، هناك حمامة منهما متقدمة والحمامة الثانية متأخرة، بشكل يشعر على أن الحمامة المتقدمة إما أن تكون هى العذراء «الحمامة الحسنة» أو تكون إحدى القديسات، لكن فى كرامة أكثر من الحمامة الأخرى، لأن الحمامة الأخرى متخلفة عنها قليلاً، ودائماً تعطيها الفرصة أنها تسبقها بنفس المسافة، وظلت الحمامتين محتفظين بنفس المسافة طول مدة الطيران، فأنا أردت أن أحملق لأن هذا المنظر شفناه أكثر من مرة. أنا أردت أتتبع بالضبط الحمامتين أين يذهبا وعندما يختفيا كيف يختفيا فظللت أتتبع، تتبعت الحمامتين وظللت أحدق بشدة بعينى، لكى أرى لحظة الاختفاء، فلاحظت أن الحمامتين دخلتا فى السماء، لكن قبل أن يدخلا فى السماء حدث تحلل. تحولا إلى قطع من السحاب أو قطع نور مبعثرة، أصبحا عدد من هذه القطع الصغيرة، ظلت تذوب مثل قطع ثلجية تدوب، حتى اختفيا فى السماء. بعد دقائق أنا أذكر هذا جيداً رجعت الحمامتين للإتجاه العكسى تماماً من نفس المنطقة التى اختفيا فيها، رجعا مرة ثانية حمامتين كاملتين، وهذا يدل على أن هذه ظاهرة روحية حقيقية، وأن هذا الجسد أو هذا الشكل الذى تأخذه الحمامة هو عبارة عن شئ تكونه، أى أن لها قدرة على أنها تمتص من الأثير أو من الهواء، وتتخذ لها شكل تتلبس به، وبمجرد ما تنتهى من مهمتها فى هذا الظهور،

تصرفه مرة ثانية فيرجع إلى مكوناته الأصلية. هذه ظاهرة أنا أذكرها شرحاً لهذا الكلام. الجسد الأثيرى يتكون بأنه يمتص أو يسحب من الهواء أو من الأثير ثم يتكون ثم ينصرف مرة أخرى، وأذكر أيضاً ليلة من الليالى فى كنيسة الزيتون كانت ليلة ٢٤ بشنس، وكان يوم سبت صابح الأحد، وكنا نلقى حديث عن رحلة العائلة المقدسة فى الكنيسة. وقبيل نهاية الحديث سمعت فى فناء الكنيسة هتافات فأدركت أن فيه ظهور للسيدة العذراء خارج الكنيسة، فأنهينا الكلمة وخرجنا، وجلست فى شارع خليل على كرسى مواجه للقبة البحرية الشرقية، فلاحظت الآتى: أن القبة تكون مظلمة لأنه ليس بها نور، القبة البحرية الشرقية لأنها مقفولة أيضاً من تحت، فهى قبة مغلقة، مظلمة جداً، فوجدت نور بسيط أبيض مشرب بشئ من الزرقة الخفيفة، يبدو صغيراً جداً جداً فى حجم بلية أو فى حجم بذرة، ثم يكبر ويكبر حتى يأخذ حجم كرة، بهذا الوضع الأول يكون كالبذرة ثم يكبر، وكل ما يكبر يزداد اللون الأبيض وضوحاً. فى الأول يكون لون أبيض خفيف مشرب بشئ من الزرقة الخفيفة، فمع عملية النمو يصل إلى حجم الكرة وتكون بيضاء جميلة وتأخذ الشكل الدائرى. ثم تتحرك الكرة لتكون قريبة إلى الخارج من الفتحات الموجودة بالقبة، وكلما تخرج أجد الكرة تتشكل وإذا بها العذراء نفسها مثل إنسانة تنظر من الشباك فى شكل نصفى أى النصف الأعلى من جسدها، الرأس كاملة واليدين تمدهما، والوجه والعيون تماماً، وأحياناً كانت تخرج خارج القبة، وعلى الحافة العليا لمبنى الكنيسة وتبقى واقفة، وتمد يديها. هنا فى هذه الحالة تكون الناس فى حالة روحية البعض يصلى والبعض يهتف وآخرين يرتلوا، ثم بعد دقائق قليلة ترجع مرة أخرى العذراء تدخل إلى الداخل، وكل ما تدخل إلى الداخل الشكل يختفى ويتحول لكرة ثم تصغر الكرة حتى تكون فى حجم البلية ثم تجد أنها انطفأت والمكان رجع ظلام حالك.

نضرب هنا مثل كيفية تكوين هذا الجسد، فالجسد الذى كانت تظهر به العذراء فى الزيتون ليس جسدها الطبيعى، لأن هذا الجسد صعد إلى السماء، وله وضع آخر، إنما الجسد الذى كانت تظهر به فى الزيتون لم يكن الجسد الفيزيقى أو الطبيعى مثل جسدنا أو الذى عاشت فيه، الروح لها قدرة على أن تكون هذا الجسد ، تسحبه وتسحب المكونات التى تتخذها لتظهر بها كشكل معين. فربنا عندما ظهر لإبراهيم بنفس المثل، ظهور الملائكة أو أرواح القديسين حتى اليوم يظهر بهذا الشكل.

٨٢ ـ تفسير قول يوحنا المعمدان «أنا لم أكن أعرفه..»

سؤال:

كيف يقول يوحنا المعمدان «وأنا الذى لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه يكون هو المسيح»؟

الجواب:

أنت تقول اقتباس من الكتاب المقدس، اذكر الآية كما جاءت فى الكتاب المقدس. لم يقل هو المسيح. ولكن تكملة الآية.. قال «الذى ترى الروح مستقراً ونازلاً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس» المفروض أن يراعى الدقة فى كل شئ، نحن مطلوب منا الدقة. الكتاب المقدس يقول «اسلكوا بتدقيق» فأين التدقيق؟ حتى آية الكتاب المقدس يذكرها محرفة، كان يستطيع أن يتعب نفسه بعض الشئ ويرجع للنص نفسه، ونراه يقول للسيد المسيح «أنا المحتاج أن أعتمد منك» وكيف عرف أنه هو المسيح قبل ظهور الروح عليه؟ يوحنا المعمدان يقول أنا لم أكن أعرفه، أى لا يوجد معرفة جسدية سابقة، لأن يوحنا المعمدان منذ أن كان طفلاً رضيعاً خطفه الملاك ومضى به إلى البرية، وعاش فى البرية إلى أن أصبح رجلاً. لأنه فى أيام قتل الأطفال بأمر الملك هيرودس، انتشر الجنود فى المنازل، يمسكوا الأطفال لكى يقتلوهم، وكان من بين الأطفال الذين ينطبق عليهم قرار هيرودس يوحنا المعمدان، لأنه كان من ابن سنتين فما أقل بحسب الزمن الذى تحققه من المجوس، فيوحنا المعمدان لأنه كان يسبق المسيح بستة شهور، كان من ضمن الأطفال الذين يصدق عليهم القرار، فعندما ذهب الجنود إلى منزل زكريا، وقد جاءه يوحنا المعمدان بعد زمن طويل مملوء بالصلاة والرجاء لله، رفض زكريا تسليم يوحنا للجنود وقال لهم «أنا أسلمه لكم من المكان الذى أخذته منه» فأمسك بالطفل وجرى به وذهب إلى الهيكل وصرخ لله وهو واقف على المذبح وقال له هذا هو الطفل الذى أمرتنى به بعد السن الكبير وهم يريدون قتله، فاختطفه ملاك الرب، فلما الجنود لم يجدوا الطفل قتلوا زكريا. ولذلك سيدنا قال «يأتى عليكم كل دم ذكى سفكتموه على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح» كان زكريا هذا هو أبو يوحنا المعمدان الذى قُتل وذهب شهيداً. فعندما خطف الملاك يوحنا المعمدان كان فى هذا الوقت سنه حوالى سنة أو سنة ونصف، وبتدبير إلهى عاش يوحنا كطفل رضع من لبن الغزلان حتى كبر، ولذلك فى الكتاب المقدس يقول خرجت إليه الجماهير. أى أن الناس هم الذين كانوا يذهبون إليه فى البرية. فكلمة أنا لم

أكن أعرفه أى لا توجد علاقة المعرفة الجسدانية لكن الذى أرسلنى قال لى وهذا يدل على أن يوحنا المعمدان فى البرية أخذ إرسالية، وهذه هى الكشوف الإلهية التى سمح الله بها ليوحنا نتيجة الروحانية التى أصبح عليها، كما أن هناك معنى آخر لهذه العبارة «أنا لم أكن أعرفه» أى لا يوجد تواطؤ بينى وبينه عندما شهدت له، لا يوجد اتفاق سابق كل ما أعرف أننى تلقيت رسالة قال الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه هو الذى يعمد ولكن السؤال كيف عرف أنه المسيح قبل أن يرى الروح نازلاً عليه؟ عرفه عندما طلب منه المسيح أن يعمده فقال له أنا المحتاج أن أعتمد منك وهذا لأن الناس الروحانيين يكون عندهم جلاء بصرى، فرأى علامات على وجه المسيح أحسّ معها بتواضع أمامه، لاشك أن فيه شئ من الإلهام، وهذا الإلهام ممكن أن يحدث خصوصاً لرجل قديس مثل يوحنا المعمدان.

٨٣ - لماذا لم تذكر الأناجيل طفولة السيد المسيح؟

سؤال:

لماذا لم يذكر الكتاب المقدس حياة ربنا يسوع المسيح فى مرحلة الطفولة؟ أو قبل الثلاثين من عمره هل لأنه لا يهمنا كثيراً أن نعرف عن هذه المرحلة أى شئ أم هذا كان مقصوداً؟

الجواب:

أولاً الاعتماد الأساسى فى الأناجيل أنها كتبت للتعريف بالمسيح، وفى الواقع مهمة الآباء الرسل كانت أولاً مهمة كرازة وتبشير، والإنتقال بأنفسهم إلى الأماكن المختلفة، ليعرفوا الناس بسيدهم وينقلوا إليهم بشرى الخلاص، ويدعوهم إلى الإيمان بالمسيح. فالاعتماد أصلاً فى الكرازة على عمل الرسل أنفسهم، وليس على الكتابة وهذا هو أساس التقليد المسيحى، المسيح لما أرسل الآباء الرسل لم يطلب منهم أن يكتبوا الأناجيل بل قال: اذهبوا واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم جميع ما أوصيتكم به. فالأصل فى الكرازة لا أن يكتب الآباء الرسل كتباً، إنما أن يذهبوا بأنفسهم وأن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، فكتابة الكتب فى عمل الكرازة لها القيمة الثانوية، إنما أساساً الكرازة تقوم على مبدأ النقل بأشخاصهم، والتعريف بالمسيح عن طريق ذهاب الرسل أنفسهم إلى الأماكن المتفرقة، وهذا فى الواقع يكشف عن مبدأ مهم جداً من مبادئ المسيحية، إن المسيحية أصلاً تعتمد على مبدأ التلمذة لا على كتابة الكتب، كتابة الكتب تأتى فى المرحلة الثانية، عندما يكون هناك عدم إمكانية للوصول إلى الناس الذين يكرز لهم، إنما أساساً المسيحية تقوم على مبدأ التلمذة. والتلمذة معناها أن الرسول أو المعلم يذهب بنفسه إلى الأماكن ويكرز شفاهة، ويعلم الناس وينقل إليهم كما قال المسيح جميع ما أوصيتكم به، وهذه الحقيقة فخر الكنائس التى تسمى رسولية، بمعنى أن الرسل ذهبوا إلى الأماكن وكرزوا وسلموا وديعة الإيمان، وتلمذوا كثيرين فمبدأ التلمذة رقم واحد ثم الكتابة بعد ذلك. أولاً التلمذة والتلمذة تقتضى سفر الرسول وانتقاله إلى الأماكن وأن يكَوّن تلاميذ. ومن هنا جاءت أهمية التقليد فى الكنيسة. التقليد الشفاهى والتقليد العملى، التقليد الشفاهى هو الكرازة بالتعليم والتلمذة، والتقليد العملى بالممارسة، ثم التقليد الكتابى بالتحرير، ولذلك كتب الرسول بولس مرة يقول لأهل كورنثوس «أمدحكم على أنكم تحفظون التقليدات كما سلمتها إليكم، سواء كان بالكلام، أم برسالتنا» فأولاً يحدد بالكلام ثم بالرسالة المكتوبة، بناء على ذلك لاحظنا أن الآباء الرسل الذين كتبوا الأناجيل، منهم إثنين فقط من

الإثنى عشر وإثنان من السبعين، فمتى ويوحنا من الـ ١٢ ولوقا ومرقس من الـ٧٢، إذن أين أناجيل الآباء الرسل الآخرين؟ وعندما نقرأ إنجيل مثل إنجيل مرقس ممكن أن تفرغ منه فى ساعتين لأنه ١٦ أصحاح، فليس من المعقول أن حياة المسيح كانت فقط فى هذه المعلومات البسيطة التى قدمها مرقس الرسول، فى هذه الكلمات القليلة وهذه الأوراق القليلة. أود أن أقول أن الاعتماد أصلاً كان على الكرازة وعلى التلمذة، ولذلك نحن محتاجين أن نأخذ صورة كاملة عن حياة المسيح على الأرض، نأخذ جزء منها من الأناجيل لأنها هى التقليد المكتوب، وأيضاً نضيف إليها التعليم الشفاهى والتقليد العملى الذى سلمه الآباء الرسل بأنفسهم، وهذا يقتضى عملية متابعة للآباء الرسل فى الأماكن التى ذهبوا إليها وما تركوه من تراث. الكنيسة لها تراث، هذا التراث يجمع من نواحى متفرقة منها الأناجيل، باعتبار أنها التقليد المكتوب وتعد وثائق مكتوبة، لكن هناك أيضاً وثائق أخرى وهى التقليد الشفاهى ثم التقليد العملى، مثلاً بولس الرسول يقول «أما الأمور الباقية فعندما أجئ أرتبها»، معنى ذلك أن هناك أمور لا يستطيع أن يوفيها بالكتابة فلابد أن يذهب بنفسه لكى يرتبها، فالكنيسة تسير على مبدأ التسليم وهذا هو ما يسمى بالتقليد، وهى الشئ الذى يسلم من يد إلى يد، ومن أب إلى ابن ومن سلف إلى خلف، فإذا أردنا أن نكوّن فكرة كاملة لابد أننا نحفظ التراث كله، وهذا التراث يتألف من الأناجيل والرسائل باعتبارها وثائق تحريرية، وأيضاً عن كرازة الرسل أنفسهم، وهذا هو الجزء الأهم وهذا طبعاً مودع فى الكنائس التى تسلمت من الرسل أنفسهم الكرازة المسيحية، لذلك الكنيسة المسيحية كنيسة إنجيلية تقليدية، الإنجيل فيها جزء من تراثنا والتقليد جزء آخر من التراث، بل يمكن دون مبالغة أن نقول أن الإنجيل نفسه تقليد، لأنه سلم إلينا، هذه الوثائق المكتوبة مسلمة، يجدها الطفل فى منزله ويكون صغير وهو لا يفهم شئ إنما يجد ما يعرف بالكتاب المقدس فى المنزل ويعرف أن هذا كتاب ربنا، الطفل لم يتحقق بنفسه من الكتاب المقدس ولم يدرسه بعد، ولم يقارنه بغيره من الكتب، إنما من السابقين عليه تسلم أن هذا هو الكتاب المقدس. فإذا أردنا أن نحفظ تراثنا، لابد أن نعترف أن تراثنا لا يتألف من الإنجيل فقط، وإنما من التراث الشفاهى والتراث العملى التقليدى، وحمداً لله أن التراث الشفاهى نفسه دُوّن فى كتب الكنيسة التى نعتمد عليها. وهى الكتب الكنسية وأيضاً كتب الآباء الأولين أما الكتب الكنسية هى التى تشرح كيفية مباشرة الأسرار المقدسة، كيف يتم التعميد كيف تتم مسحة المرضى وكيف تتم المسحة المقدسة وهى الميرون وكيف ينفذ سر التناول، وكيف يباشر القداس، لأن كل رسول من الرسل سلم فى المكان

الذى ذهب إليه طريقة الصلاة، وطريقة عمل القداس وعرف بقداس الرسل الإثنى عشر، وهكذا أيضاً فى موضوع طقس الزواج وصلواته وتدشين الكنائس والمذابح والأماكن المقدسة. وأيضاً الرسامات الكهنوتية فى الدرجات المختلفة، كل هذه أشياء كانت تباشر بالطريق الشفاهى والطريق العملى، ولكن بعد ذلك دونت أيضاً فأصبحت مدونة فى كتب الكنيسة، وأيضاً بالإضافة إلى هذه الكتب الكنسية هناك كتابات الآباء الأولين. وتشتمل أولاً على حياة الرسل وبالتالى على حياة المسيح، وأيضاً على الآباء الرسوليين الذين تسلموا من الرسل وعاشوا بعدهم، مثل بوليكاربوس وتيطس وتيموثاوس طبعاً عشرات وعشرات، وأغناطيوس النورانى أو المتوشح بالله... إلخ. هؤلاء الذين عاشوا مع الرسل وعاشوا بعدهم وهم الذين يسموا الآباء الرسوليين، وسلموا أيضاً لآخرين، لأن هؤلاء أخذوا من الآباء الرسل الذين أخذوا من المسيح، فتراث الكنيسة أصبح مدوناً، ولم يعد معتمد على التسليم الشفاهى، إنما بعد أن وصل هذا التعليم الشفاهى وأيضاً التقليد العملى دونت هذه فى كتب الكنيسة، ودونت فى كتابات الآباء الأولين، لا نستطيع أبداً أن نتجاهل كتابات بنتينوس أو يوستينوس هؤلاء الناس الذين دافعوا عن المسيحية ثم الآباء الذين جاءوا بعد ذلك مثل كيرلس الأورشليمى وكيرلس الأول عمود الإيمان وباسيليوس الكبير ويوحنا ذهبى الفم، كل هؤلاء الآباء المعتبرين أعمدة فى الكنيسة ومعلمين فى الكنيسة، لأنهم أيضاً استندوا فى تعليمهم ليس فقط على معلوماتهم من الكتب المقدسة، إنما على معلومات أخرى أخذوها من الآباء الرسل وسلمت إليهم، ونحن لا نستطيع أبداً أن ننكر أهمية التقليد فى الديانة.

فمثلاً موسى النبى هو أول من كتب الأسفار الخمسة، إنما الآباء من آدم إلى موسى، هذه الفترة الطويلة آلاف السنين، كيف كانوا يعيشون ويسلكون مع الله لم يكن هناك كلام مكتوب ولا شريعة مكتوبة إنما كان هناك تقليد، ومع ذلك هناك أمور أخرى حتى لم تدون فى نفس الأسفار التى كتبها موسى، فمثلاً بولس الرسول يشير إلى قول موسى «أنا مرتعب ومرتعد» عندما تبحث فى سفر الخروج أو الأسفار التى بعد ذلك لا نجد هذا التعبير. إذن من أين أتى بولس الرسول بهذا التعبير؟ بالتقليد وأيضاً فى موضع آخر يقول قال الرب يسوع: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» وعندما تبحث فى الأناجيل لا تجد هذا التعبير موجود، فمن أين أتى لبولس الرسول؟ ينسب إلى المسيح أنه قال «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» من أين أتى بهذا الكلام؟ وهو غير مدون فى الأناجيل، إذن فيه هناك أقوال أخرى وصلت إلى الأجيال بالتعليم الشفاهى مثل القداس، ومثل المسلمات الكنسية، وهذا هو الفرق بين الكنيسة الأرثوذكسية وبين مثلاً إخواننا

البروتستانت الذين لا يعتمدوا إلا على الإنجيل، الحقيقة هذه طريقة مبتورة، عندما تمسك الإنجيل لوحده أنت تبتر جزء مهم من التراث المسيحى، لأن الإنجيل أحد مصادرنا لكن ليس كل مصادرنا، أشياء كثيرة لم تدون، حتى فى الأناجيل يقول المسيح استمر مع الناس ثلاثة أيام، ثم قال للتلاميذ الجمع معى ثلاثة أيام ولم يأكلوا هذه الـ ٣ أيام لم يذكر الإنجيل شيئاً عنها إطلاقاً، ثم يذكر المعجزة التى عملها بعد ذلك وهى إشباع الخمسة آلاف من الخمسة خبزات، مرة ثانية، يقول فى مرقس أصحاح ٢ أنه كان يعلم فى بيت، وكان هناك جمع مزدحم إلى ما وراء الباب، ولم يذكر شيئاً من هذا التعليم إطلاقاً فى الإنجيل، إنما ذكر الذين أخذوا المفلوج وصعدوا إلى السقف ودلّوه أمام الرب يسوع، يذكر المعجزة ولكن ترك التعليم نفسه، لأنه كما قال يوحنا الرسول وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع لم تكتب فى هذا الكتاب، فإن كتبت واحدة واحدة لست أظن أن العالم كله يسع الكتب المكتوبة، إنما هذه قد كتبت لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله الحى، ولكى تكون لكم إذا آمنتم به الحياة الأبدية. فالهدف من الكتابة ليس سرد كل شئ، فالعالم كله لا يسع الكتب المكتوبة، إنما هذا القليل كتبناه لكى تؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، لأنه كان وقت يوحنا الرسول ظهر الغنوسيون والهراطقة ومن إليهم من الناس الذين أخطأوا فى فهم طبيعة المسيح، وهذا كان شئ طبيعى أن المسيح بإعتباره جاء مختفى فى الجسد، فكان مجال لأن يخطئ الناس فى فهم حقيقته، فكتب يوحنا الرسول الإنجيل لكى يعطى الصورة الحقيقية للمسيح، ولذلك الإنجيل لم يذكر شيئاً عن طفولة المسيح، ولم يذكر شيئاً عن الميلاد الذى تكلم عنه إنجيل متى أو إنجيل لوقا بالإختصار، إنما اهتم أولاً بأن المسيح له وجود قبل الزمان، «فى البدء كان الكلمة والكلمة..» ثم يقول فى الآخر والكلمة اتخذ جسداً، دون أن يشير إلى الميلاد من مريم العذراء. فإذن الأناجيل حتى وإن كتبت فهى لم تكتب كل شئ، ركزت على الهدف الأساسى من كتابة الأناجيل وهو حقيقة الإيمان بالمسيح أنه ابن الله، أى إظهار لاهوت المسيح. أما موضوع الطفولة فليس لأنه غير مهم، ولكن لأنه بالنسبة للهدف الكبير لم يكن له أهمية، فالمسيح فى طفولته كان يذهب إلى الكُتّاب والكُتّاب كان ملحق بالمعبد وفى المعابد يقرأوا فصول فى الكتاب المقدس، بعضها من التوراة وبعضها من الأنبياء، ثم كلمات الوعظ والتعليم، إنما لا يوجد ذبيحة ولا بخور ولا أى عمل من أعمال الكهنوت، لأن هذه لا تباح فى المعابد، إنما تكون مقصورة على الهيكل فقط، فكان ملحق بكل مجمع من هذه المجامع أو هذه المعابد كُتّاب لتعليم الأطفال الصغار، فالمسيح ذهب كواحد من بين الصغار، ولكن فى

نفس الوقت كان يعمل صبى نجار مع يوسف، إلى أن بلغ السيد المسيح سن ١٦ سنة، كان يوسف قد أصبح شيخاً وتعدى المائة من عمره ربما ١٢٠ سنة، مذكور فى السنكسار كان المسيح سنه فى الجسد فى هذا الوقت ١٦ سنة. طبعاً بعد أن مات يوسف أصبح على المسيح أن يقوم بعمله كنجار، حتى يقال أن المائدة التى جلس عليها ليلة العشاء الربانى كانت من صنع المسيح نفسه،وقالوا عنه هذا هو النجار ابن النجار. الأناجيل اكتفت أنها أشارت أنه نجار وعمل نجار، وطبعاً ذلك لكى يعول الأسرة وينفق عليها، نقول هذا الكلام أيضاً نفياً لبعض آراء الناس الذين ظنوا أن المسيح فى هذه الفترة اختفى، فنحن ننفى هذا لأن المسيح لم يخرج من فلسطين فى هذه الفترة إطلاقاً، ركز على بقائه فى فلسطين، وعندنا قصة عن ملك مدينة الرها التى هى أوديسا وهى اليوم على البحر الأسود، عندما أرسل إلى المسيح وقال له: أنا أعلم أن اليهود يريدون قتلك وأنا عندى هنا مدينة هادئة على البحر كما أنى محتاج لك أن تشفينى من مرضى لأنى مريض، فالمسيح اعتذر أو رفض أن يذهب وقال له لابد أن أتمم رسالتى فى فلسطين، ثم أرسل إليك أحد تلاميذى يهديك أنت وقومك إلى الإيمان. فالمسيح لم ينتقل من بلاد فلسطين فى فترة وجوده على الأرض، من يوم خروجه من أرض مصر ذهب إلى الناصرة وعاش هناك فى الناصرة كطفل، وكان يحضر المجمع ويحضر أيضاً الكُتّاب وبعد ذلك عمل كصبى نجار مع يوسف، وهذا معنى كلمة وكان خاضعاً لهما (ليوسف ومريم)، فكون المسيح يقبل أو يتنازل أن يشتغل تحت وصاية يوسف كنجار، ويعمل ما يطلبه منه من الأعمال، لاشك أن هذا معنى الخضوع لهما وبعد أن توفى يوسف أصبح هو المسئول وأصبح هو النجار الذى يعمل، ولا شك أنه هو أفاد ليس فقط فى إعالته لمريم، ولكن لابد أن أهل المدينة كلها استفادوا من أعمال النجارة، لأنه إلى جانب أعمال النجارة، كان لابد من كلمات للمسيح وتعاليم، شئ لابد منه وإن كانت الأناجيل لم تدونها، وإذا كنا نحن أطفالنا الصغار عندما يتكلموا نحافظ على كلامهم. فمن باب أولى فادينا ومخلصنا يسوع المسيح وهو الإله الظاهر فى الجسد. لابد أنه كان له كلمات وتعاليم وتصرفات كثيرة فى طفولته لم يدونها الإنجيل، لأن الإنجيل لم يكن مهيئ لأن يكتب كل شئ عن حياة المسيح له المجد.

٨٤ ـ من يقول الناس أنى أنا ؟

سؤال : يقول لماذا سأل السيد المسيح تلاميذه قائلاً : من يقول الناس إنى أنا ابن الإنسان؟ ألم يكن يعلم ما يقوله الناس عنه ؟

الجواب :

هذا نوع من السؤال الذى لايؤخذ على بسيط السؤال، سؤال من النوع الذى نسميه السؤال التوليدى، سؤال المعلم لتلاميذه لا لأنه يجهل الإجابة، ولكنه يجعل التلاميذ هم الذين يفكرون فى الإجابة على هذا السؤال. ولأنه يترتب عليه إجابة التلاميذ ما هو بعد هذه الإجابة من حقائق، ليس دائما كل سؤال يكون على بسيط الحال، وهذه طريقة سيدنا له المجد، كثيرا ما نجده أنه يُسأل سؤال فيجيب هو بسؤال، مرة جاء إليه شاب مؤدب جدا، وهو غنى ورئيس، وجثا على ركبتيه بأدب، وقال له أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لكى أرث الحياة الأبدية؟ فكانت إجابة سيدنا بسؤال : قال له لماذا تدعونى الصالح؟ وهنا لا أنسى أن اللغة القبطية كانت أجمل ما ترونه من ترجمات أخرى، لماذا تدعونى الصالح وليس لماذا تدعونى صالحا! لماذا تدعونى الصالح؟ وليس أحد هو الصالح إلا واحد هو الله. القبطى أصر على آداب التعبير «الصالح» (Ⲡⲓⲁⲅⲁⲑⲟⲥ) وهذه لها معنى كبير، تعمل فرق لأنه ممكن أن يقال عن أى إنسان أنه صالح، تقول فلان صالح لكذا، وناس كثيرين صالحين فى مقابل الأشرار والطالحين، إنما الصالح هو واحد بمعنى الصالح صلاحا مطلقا، هو الصالح بالألف واللام، وهو وحده كلى الصلاح. المهم أن المسيح أجاب على السؤال الموجه إليه، ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فبدلا من أن يجاوبه على سؤاله، سأله سؤال يقول له لماذا تدعونى الصالح؟ ليس أحدا الصالح إلا واحد هو الله، يعنى واحدة من إثنين، إما أنك تسألنى هذا السؤال وأنت تعلم أنى الصالح، وهذه صفة من صفات الله لا يتصف بها إلا الله وحده، وفى هذه الحالة تكون أنت من نفس كلامك، ومن نفس منطق لسانك، تعترف أنى أنا هو الله الذى يتصف بصفات لا يتصف بها إلا الله وحده، أم أن قولك هذا نفاق، ثم رجع مرة ثانية يجاوب على السؤال الأساسى، وقال له ماذا تقرأ؟ إلى آخر هذه الإجابة.

مرة أخرى اليهود سألوه، قالوا له بأى سلطان تفعل هذا ؟ قال لهم وأنا أيضاً أسألكم معمودية يوحنا أمن الناس كانت، أم من الله؟ فهذه كانت طريقة سيدنا له المجد، وهذه أعظم طريقة تربوية وهو أن المعلم يسأل التلاميذ، يجعل التلميذ يخرج الإجابة من عنده، فيعتز بها التلميذ

ويتمسك بها. كما أن هذا السؤال يثير التلميذ على التفكير، وهذا يعد أعظم منهج علمي تربوى، وهو طريقة الإجابة على سؤال بسؤال.

فهنا سيدنا يسأل التلاميذ من يقول الناس عنى، أنا ابن الإنسان؟ هل ليس لأنه لا يعرف الإجابة، لا.. ولكن لكى يدفعهم أن يفكروا ويسمع منهم، ولذلك قالوا له هناك أناس يقولوا أنك أنت إرميا، وآخرين يقولوا أنك أنت يوحنا المعمدان قمت من بين الأموات، والبعض الأخر يقولوا أنك أحد الأنبياء. قال لهم وأنتم من تقولون ؟ هنا السؤال المباشر وأنتم ما رأيكم فىّ؟ من تقولون أنى أنا؟ فأجابه سمعان بطرس وقد كان أكبرهم سنا، ومن الآداب فى ذلك الوقت أن الكبير إذا تكلم يصمت الباقون خاصة إذا كان الكبير يتكلم نيابة عن الباقين، فقال له «أنت المسيح ابن الله الحى» وهنا مرة أخرى نشير إلى قيمة النص القبطى، فإنه فى إنجيل لوقا يقول «أنت المسيح الله». فى متى «ابن الله الحى» يبقى هو أنت المسيح الله ابن الله الحى. الحقيقة أننا كنا لا نعرف قدر النص القبطى. النص القبطى الحقيقة هو نص فى غاية الأهمية، وعلماء العالم فى الخارج تنبهوا إلى أهمية النص القبطى، لدرجة أن بعضهم يقول اليوم أن النص القبطى يعد شقيق للنص اليونانى الحاضر وليس ابن له. ولذلك بعض اليونانيين يقولوا إذا فقد النص اليونانى، لا نستطيع أن نعتمد إلا على النص القبطى. النص القبطى فى غاية الأهمية، ونحن نعمل فى الترجمة نكتشف دقة هذا النص وجماله، واللفتات البسيطة جدا جدا التى تدل على أن الأقباط الذين قاموا بترجمة الكتاب المقدس، وهم علماء مدرسة الأسكندرية اللاهوتية، كانوا يعرفون اللغتين اليونانية والقبطية بدرجة واحدة، ولذلك لا تعد الترجمة القبطية ترجمة فى مستوى أى ترجمة أخرى، إنما كانت عبارة عن فهم دقيق للنص الأصلى، ولذلك الحقيقة من يوم إلى آخر يزداد إحساسنا بقيمة هذا النص القبطى، لأن الإنسان عندما يشكل عليه فى فهم آيه وترجع للنص القبطى، نجد النص القبطى يغنينا عن التفسير. مثلا الآية فى يوحنا ١٠ عدد ٣٠، «أنا والآب واحد» النص القبطى يقول (أنا وأبى نحن معا واحد) وهذا جميل جميل جميل، يعنى لا يعلوه جمال، وضح كيف أن الابن مع الآب من جوهر واحد. من جوهر واحد، أو واحد معه فى الجوهر، «أنا وأبى نحن معا واحد» هذا هو النص القبطى. فى العربى الحاضر الذى نقرأه «أنا والآب واحد» إنما القبطى كان أجمل وأجمل وأجمل وأدق وأحسن «أنا وأبى نحن معا واحد». لذلك عندما نقول «واحد مع الآب فى الجوهر» يكون هذا الكلام مطابق فعلا لما قاله المسيح له المجد كما جاء فى النص القبطى، نرجع للسؤال من يقول الناس أنى أنا ابن الإنسان؟ ليس معنى هذا أن المسيح كان

يجهل، إنما هذا نوع من السؤال المثير لكى يثير التلاميذ، ويفكروا فى هذه الإجابة، ولأن المسألة لا تنتهى بمجرد الإجابة، لأنه يحركهم أن يفكروا، ثم رجع مرة أخرى يقول لهم وأنتم من تقولون إنى أنا ابن الإنسان؟ ثم سمعان بطرس قال له أنت المسيح الله ابن الله الحى. وبذلك رتب المسيح على هذا الكلام أهميته، قال له على هذه الصخرة، على صخرة الإيمان، والاعتقاد بهذا اللاهوت، أبنى كنيستى وبوابات الجحيم، أنا أميل أن ننطقها بوابات وليس أبواب، ولو أن الكلمة واحد، لكن الباب دائما باب صغير، إنما النص اليونانى والقبطى يترجم «بوابات»، وهى البوابات الكبيرة التى نجدها فى المعابد المصرية القديمة، فهناك فرق بين الباب الصغير مثل أبواب الحجرات والشقق. نرى فى أديرتنا العظيمة مثل دير المحارب أو بعض الأديرة الأخرى، الباب الكبير وهو الواسع جدا والعالى جدا، وشبيه ببوابات المعابد المصرية القديمة، هذا نسميه بوابة، فالمسيح يقول بوابات وليس أبواب صغيرة، لأن الجحيم عالم، وعالم كبير ومن غير المعقول أن المداخل الخاصه به تكون عبارة عن أبواب صغيرة، إنما هى بوابات، بوابات الجحيم لن تقوى عليها.

٨٥ ـ الله يظهر لآدم وحواء فى الجنة

وعلى الرغم من أن الإنسان سقط بإرادته وعصى أمر الله إستجابة لشهوته، واستحق الحكم الإلهى عليه بالموت، فإن الله تعالى بحنانه الأبوى أقبل عليه فى الجنة، يتفقده فيها وقبل أن يطرده منها، لعله يفتح له بذلك سبيل الاستغفار..

ولعل هذه هى **أول صورة من صور الظهور**. قال الكتاب المقدس عن آدم وحواء بعد أن أكلا من الشجرة المنهى عنها وعلما أنهما عريانان فخاطا من ورق التين وصنعا لهما منه مآزر «**فسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار**، فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة. وإذن ظهر الرب الإله لآدم وحواء وهما لايزالان فى الجنة، وسمعا صوته وهو متمشٍ فى الجنة عند نسيم النهار، فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب» (التكوين ٣ : ٨).

وهنا يعطينا الكتاب المقدس أول صورة من صور الظهور. **الإله يمشى أو يتمشى فى الجنة، ولمشيته صوت سمعه آدم وحواء**. ثم، إذ سمع آدم وإمرأته صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة، اختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فى وسط الجنة، ومن هذا الوصف يتضح أن الرب الإله اتخذ صورة إنسان يمشى ولمشيته صوت، وبسبب ذلك اختبأ آدم وإمرأته فى وسط الجنة. فكيف لرجل وإمرأته أن يختبئا، فى وسط الجنة، إلا لأنهما فعلاً سمعا صوت الرب الإله وقد أخذ صورة إنسان يمشى ولمشيته صوت، «فاختبأ آدم وإمرأته من وجه الرب الإله فيما بين شجر الجنة» (التكوين ٣ : ٨).

وبعد ذلك حدث الحوار الآتى، وبصوت مسموع سمعه آدم وإمرأته حواء. «فنادى الرب الإله آدم، وقال له : أين أنت؟ فقال (آدم) : إنى سمعت صوتك فى الجنة، فخشيت لأنى عريان فاختبأت. فقال (الرب) : فمن أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى نهيتك عن أن تأكل منها؟ فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذى فعلت؟ فقالت المرأة : الحية أغوتنى فأكلت. فقال الرب الإله للحية : إذ صنعتِ هذا فأنت ملعونة من بين جميع البهائم وجميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وترابا تأكلين كل أيام حياتك. وأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها، هو يسحق رأسك، وأنت ترصدين عقبه. وقال للمرأة : لأكثرن مشقات حملك، بالألم تلدين أولاداً، وإلى رجلك تنقاد أشواقك، وهو يسود عليك. وقال لآدم لأنك سمعت لقول إمرأتك، فأكلت من الشجرة التى نهيتك

قائلاً : لا تأكل منها، فملعونة الأرض بسببك، بمشقة تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الصحراء. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها، لأنك تراب وإلى تراب تعود. وصنع الرب الإله لآدم وإمرأته أقمصة من جلد وكساهما، (التكوين ٣ : ٩ – ٢١).

٨٦ ـ ظهور الله لإبراهيم الخليل

جاء فى الكتاب المقدس :

وظهر (وتجلى) له **الرب** عند بلوطات ممرا، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار. فرفع (إبراهيم) عينيه ونظر، فإذا ثلاثة رجال واقفون أمامه. فلما رآهم ركض لاستقبالهم من باب الخيمة، وسجد إلى الأرض. وقال **ياسيدى** إن نلت حظوة **فى عينيك** فلا تجز عن **عبدك**. فيقدم لكم قليل ماء فتغسلون أرجلكم، وتتكئون تحت الشجرة. وأقدم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم، ثم تمضون بعد ذلك، فإنكم لذلك قد مررتم على عبدكم. فقالوا : اصنع كما قلت.

فأسرع إبراهيم إلى الخيمة، إلى سارة، وقال : أسرعى بثلاث كيلات من دقيق سميذ، فاعجنيها واصنعى خبز ملة. ثم ركض إبراهيم إلى البقر، فأخذ عجلاً رخصاً وجيداً، ودفعه إلى الغلام، فأسرع ليعمله. ثم أخذ زبداً ولبنا والعجل الذى أصلحه، ووضعها قدامهم، وهو واقف أمامهم تحت الشجرة، فأكلوا.

وقالوا له أين سارة إمرأتك، فقال : ها هى فى الخيمة. **فقال : إنى سأرجع إليك** فى مثل هذا الوقت من قابل، ويكون لسارة إمرأتك ابن. وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة، وهى وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين طاعنين فى السن. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة فى باطنها قائلة : أبعد فنائى يكون لى تنعم، وسيدى قد شاخ. **فقال الرب لإبراهيم** : لماذا ضحكت سارة قائلة : أفبالحقيقة ألد، وأنا قد شخت. **هل يستحيل على الرب شئ**. فى مثل هذا الوقت من قابل، **أعود إليك**، ويكون لسارة ابن، فأنكرت سارة قائلة : لم أضحك، لأنها خافت. فقال : لا، بل ضحكتِ.

ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم. وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم. **فقال الرب : هل أخفى عن إبراهيم ما أنا صانعه** ؟ وإبراهيم سيكون أمةً كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الأرض. **وقد علمت** أنه سيوصى بنيه وأهله من بعده، بأن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً حتى ينجز الرب لإبراهيم ما وعده به. **وقال الرب** : إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر، وخطيئتهم قد عظمت جداً. **أنزل وأرى** هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلىّ **وإلاّ فأعلم**. وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم، **وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً واقفا أمام الرب**.

فتقدم إبراهيم وقال : **أفتهلك البار مع الأثيم** ؟ عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة، **أفتهلك** المكان **ولا تصفح عنه** من أجل الخمسين باراً الذين فيه؟ **حاشا لك أن تصنع مثل هذا، أن تهلك البار مع الأثيم**، فيكون البار كالأثيم **حاشا لك! أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟ فقال الرب إن وجدت** فى سدوم خمسين باراً فى المدينة **فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم**. فأجاب إبراهيم وقال : إنى قد شرعت **أكلم المولى**، وأنا تراب ورماد : إن نقص الخمسون باراً خمسة. **أفتهلك** جميع المدينة بالخمسة؟ **فقال : لا أهلكها إن وجدت هناك خمسة وأربعين**. فعاد يكلمه أيضا وقال : عسى أن يوجد هناك أربعون. فقال : **لا أفعل من أجل الأربعين**. فقال : **لا يسخط المولى** فأتكلم : عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال : **لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين**. فقال : إنى قد شرعت **أكلم المولى** : عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال : **لا أهلكهم من أجل العشرين. فقال : لا يسخط المولى** فأتكلم هذه المرة فقط. عسى أن يوجد هناك عشرة. فقال. **لا أهلكهم من أجل العشرة. ومضى الرب** عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى موضعه (سفر التكوين ١٨ : ١ - ٣٣).

فالنص واضح لبيان أن الرب هو الذى ظهر وتجلى لإبراهيم.

(١) فالوحى الإلهى يقول صراحة «**وظهر (أو تجلى) له الرب** عند بلوطات ممرا» (التكوين ١٨ : ١).

(٢) ومع أن إبراهيم نظر (وإذا ثلاثة رجال واقفون أمامه وركض لاستقبالهم لكنه تبين أن واحداً من الثلاثة هو الرب، حتى **أنه سجد** ثم خاطبه بالمفرد قائلا : **(يا سيدى، إن نلت حظوة فى عينيك، فلا تجز عن عبدك)**.

(٣) وبعد أن أكلوا قال الرب «**إنى سأرجع إليك** فى مثل هذا الوقت من قابل ويكون لسارة إمرأتك ابن» ولما ضحكت سارة، قال الرب «لماذا ضحكت سارة، هل يستحيل على الرب شئ. فى مثل هذا الوقت من قابل، **أعود إليك** ويكون لسارة ابن» ولما أنكرت سارة وقالت : لم أضحك، **(قال الرب : لا، بل ضحكت)**.

(٤) ثم لما قام الرجال وتطلعوا نحو سدوم، «**قال الرب : هل أخفى عن إبراهيم ما أنا صانعه**، وإبراهيم سيكون أمة كبيرة.. **وقد علمت** أنه سيوصى بنيه.

(٥) ثم قال الرب : إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر... أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام حسب صراخهم الآتي إليّ، وإلاّ فاعلم.

(٦) ثم يقول الوحى الإلهى وأما إبراهيم فكان لم يزل واقفاً أمام الرب. فتقدم إبراهيم وقال : أفتهلك البار مع الأثيم، عسى أن يكون خمسون باراً فى المدينة، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه.. حاشا لك أن تصنع مثل هذا، أن تهلك البار مع الأثيم.. حاشا لك.. أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟. فقال الرب : إن وجدت فى سدوم خمسين بارا فى المدينة فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم.

(٧) ثم يعود إبراهيم ويلح قائلاً للرب «إنى قد شرعت أكلم المولى، وأنا تراب ورماد.. لا يسخط المولى فأتكلم... رانى قد شرعت أكلم المولى لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط.. وفى كل مرة يتكلم الرب بصفته صاحب الحق فى الصفح قائلا : إن وجدت فى سدوم خمسين بارا... فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم... لا أهلك المدينة إن وجدت هناك خمسة وأربعين... لا أفعل من أجل الأربعين... لا أفعل أن وجدت هناك ثلاثين... لا أهلكهم من أجل العشرين... لا أهلكهم من أجل العشرة... فالمتكلم هو (الرب) وهو (المولى) وهو (الديان) وهو صاحب الحق فى (الصفح) ... وأخيرا يقول النص الإلهى صراحة «ومضى الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى موضعه»... وكلها بينات ناطقة على أن الرب بذاته هو الذى ظهر وتجلى لإبراهيم عند بلوطات ممرا.

ويضيف الكتاب المقدس بعد ذلك فى الأصحاح التالى : «فجاء الملاكان إلى سدوم» (التكوين١٩ : ١) وكان قد قال قبل ذلك «ومضى الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم» (التكوين ١٨ : ٣٣) مما يتبين معه أن الرب كان هو الأوسط بين الثلاثة، وأما الملاكان المصاحبان للرب، فقد ذهبا إلى سدوم، وهما كما يقول آباء الكنيسة، هما الملاك ميخائيل والملاك جبرائيل.

جاء فى الكتاب (الدفنار) تحت اليوم الواحد والعشرين من هاتور :

«ثلاثة رجال أتوا إلى أبينا إبراهيم وقت الظهيرة، وهو فى الخباء : ميخائيل العظيم رئيس الملائكة، وغبريال (جبرائيل)، والرب فى وسطهما»

جاء فى الباركس الذى يقال فى العاشر من شهر بشنس، على لحن الثلاثة الفتية القديسين: «ثلاثة رجال مُكرّمين جاءوا لضيافة إبراهيم، أى ميخائيل وغبريال، وكان مُخلّصنا فى الوسط بينهما» (عن كتاب التماجيد المقدّسة).

وفى موضع آخر من نفس كتاب (التماجيد المقدّسة): (ميخائيل رئيس الملائكة الطاهر قائم عن يمين الله...).

وجاء أيضا فى موضع آخر من مصادرنا الكنسية عن رئيس الملائكة ميخائيل (هو- مع غبريال (جبرائيل) .. هو الذى استضافه أبو الآباء إبراهيم الخليل، لما تجلى له البارى عند بلوطات ممرا وهو جالس عند باب خبائه).

٨٧ ـ ظهور الله ليعقوب أبى الأسباط فى المغارة

بعد عشرين سنة من تغرب يعقوب عند خاله لابان، هرباً من وجه أخيه عيسو الذى اعتزم أن يقتله حقداً عليه، وحسداً له، من أجل البكورية والبركة التى حصل عليها يعقوب... (سفر التكوين ٢٧ : ٤١ – ٤٥).

«قال الرب ليعقوب: ارجع إلى أرض آبائك وعشيرتك، وأنا أكون معك (التكوين ٣١ : ٣)، (١٥:٢٨).

«وأرسل يعقوب رسلا قدامه إلى عيسو أخيه، إلى أرض سعير، بلاد أدوم، وأمرهم قائلا: هكذا قولوا لسيدى عيسو: «هكذا قال عبدك يعقوب: «إنى تغربت عند لابان ولبثت إلى الآن، وقد صار لى بقر وحمير وغنم وعبيد وإماء، وأرسلت لأخبر سيدى لأنال حظوة فى عينيك». فرجع الرسل إلى يعقوب قائلين: أتينا إلى أخيك، إلى عيسو وهو أيضا قادم للقائك، ومعه أربع مئة رجل. **فخاف يعقوب جداً، وضاق به الأمر**، فقسم القوم الذين معه والغنم والبقر والجمال إلى جيشين... وقال إن جاء عيسو إلى الجيش الواحد وضربه يكون الجيش الباقى ناجيا. ثم قال يعقوب: يا إله أبى إبراهيم، وإله أبى اسحق، الرب الذى قال لى: ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك، وأنا أحسن إليك. صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التى صنعت. فإنى بعصاى عبرت هذا الأردن، والآن قد صرت جيشين. **نجنى من يد أخى عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين**. وأنت قد قلت إنى أحسن إليك، وأجعل نسلك كرمل البحر الذى لايحصى لكثرته..».

«فبقى يعقوب وحده. **فصارعه إنسان حتى مطلع الفجر**. ولما رأى أنه لايقدر عليه ضرب حق فخذه. فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه. وقال: «أطلقنى لأنه قد طلع الفجر. فقال: «**لاأطلقك إن لم تباركنى**». فقال له: ما اسمك؟» فقال: يعقوب: فقال: «**لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت**». وسأله يعقوب، وقال: «**أخبرنى، ما اسمك؟**» فقال: «**لماذا تسأل عن اسمى، وباركه هناك**. فدعا يعقوب اسم المكان **فنيئيل** قائلاً: **لأنى رأيت الله وجها لوجه ونجيت نفسى**. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه. ولذلك لايأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذى على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا» (سفر التكوين ٣٢ : ٣ – ٣٢).

فمن كان هذا الإنسان الذى ظهر ليعقوب؟ ثم صارعه، وفى مصارعته له أظهر نفسه ضعيفا أمام يعقوب، حتى غلبه يعقوب، ومع ذلك ضرب يعقوب على حق فخذه، فانخلع حق فخذه، فصار يعقوب يخمع أى يعرج كل أيام حياته، مما يدل على قوة هذه الضربة، وهو ما جعل يعقوب يتنبه إلى قدرة هذا المصارع وعظمته، لذلك سأل يعقوب هذا الإنسان المصارع له أن يباركه، مما يقطع فى الدلالة على أن هذا المصارع ليس مجرد إنسان عادى حتى إن يعقوب طلب منه بركته.

وإذن لقد أدرك يعقوب أنه هو ذاته أصغر من هذا المصارع له لأن «الأصغر هو الذى يُبارَك من الأكبر» (العبرانيين ٧ : ٧) فلما سأله المصارع أن يطلقه قال له يعقوب: «لا أطلقك إن لم تباركنى «فإذا به يجيب على يعقوب قائلا: «لايدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل». ومعنى إسرائيل «يجاهد الله» فمن يكون هذا الكائن المصارع. إلا أن يكون هو الله ذاته، وهو الذى أعطاه اسم (إسرائيل) وفسر له سبب هذه التسمية؟ «لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت»؟. وأخيراً، يسأله يعقوب عن اسمه، فلا يجيبه «أخبرنى باسمك» فيجيبه بقوله: «لماذا تسأل عن اسمى؟» ويضيف الوحى الإلهى قائلاً «وباركه هناك» مما جعل يعقوب يدرك أن هذا المصارع الذى صارعه فى صورة إنسان هو **الله ذاته**، الذى أشفق عليه لأنه كان فى اكتئاب وخوف شديد بعد أن عرف أن أخاه عيسو قادم إليه ومعه أربع مئة رجل، فاعتقد أنه قادم إليه ليقتله هو وإمرأته وأولاده، لذلك ظهر له الله استجابة لاستغاثته بالله، إذ صلى قائلا: «نجنى من يد أخى، من يد عيسو، لأنى خائف منه أن يأتى ويضربنى الأم مع البنين» واستجابة لإستغاثته وصلاته ظهر الله له فى صورة إنسان يصارعه ثم يظهر نفسه ضعيفا أمام يعقوب ليعطى ليعقوب فرصة حتى يغلبه، وبهذا يجد يعقوب إجابة على إستغاثته بأسلوب واقعى تصويرى، فيعرف أن الله سينصره على أخيه، وبهذا ترتفع معنوياته بعد أن أصابه وهن وضعف وإنهيار وخوف شديد... وقد تبين يعقوب بهذه الصورة أن ظهور هذا الكائن والإنسان هو إستجابة لصلاته، وأن الله من فيض إشفاقه عليه جاء إليه بذاته، فى صورة إنسان يصارعه وينهزم أمامه ليطمئنه على أنه سيؤازره ويعينه على أخيه عيسو- ولقد أدرك يعقوب بهذه الوسيلة التوضيحية معنى هذه الوسيلة الإيضاحية، لذلك طلب من هذا الكائن العظيم أن يباركه، وهذا من منطلق إحساسه بعظمة هذا الكائن الذى ظهر فى شكل إنسان لكنه أقوى منه بما لا يقاس، حتى إنه خوفاً على يعقوب من أن ينخدع فى نفسه ويظن نفسه أنه حقاً أقوى من هذا المصارع له، فضربه على حق فخذه، فانخلع

حق فخذ يعقوب، وصار لذلك يعقوب يخمع ويعرج كل أيام حياته، فكان ذلك ليعقوب درساً قاسيا، لازمه كل أيام حياته حتى لا ينسى هذا الدرس من ذاكرته... وهو أيضا ما جعل يعقوب يلح فى طلب معرفة اسم هذا الكائن العظيم الذى ظهر له فى شكل إنسان يصارعه. والغريب، أن هذا الكائن لم يشأ أن يجيبه على سؤاله، ولم يشأ أن يكشف له عن اسمه، غير أن يعقوب استطاع أن يدرك روحيا حقيقة هذا الكائن العظيم، لذلك دعى المكان أو الموضع الذى ظهر له فيه (فنيئيل) ومعناه «الله ظهر»، وإذن فقد عرف يعقوب أخيراً، أن هذا الإنسان المصارع هو فى حقيقته الله ظهر له فى شكل إنسان ليطمئنه على إنتصاره على أخيه عيسو.

٨٨ ـ ظهور الله لموسى النبى فى العليقة فى سينا

جاء فى الكتاب المقدس :

«وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. فساق الغنم إلى ماوراء البرية. وجاء إلى جبل الله حوريب. **فتجلى له ملاك الرب فى لهيب نار من وسط عليقة**. فنظر فإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى : «أميل الآن، لأنظر هذا المنظر العظيم، لماذا لا تحترق العليقة». فلما رأى الرب أنه قد مال لينظر، فناداه الله من وسط العليقة، وقال : «موسى، موسى». فقال : «هآءنذا». فقال : «لا تقترب إلى ههنا. اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة. ثم قال : «أنا إله أبيك، إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب». **فغطى موسى وجهه، لأنه خاف أن ينظر إلى الله**. فقال الرب «إنى قد نظرت إلى مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم من قبل مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم، **فنزلت لأنقذهم** من أيدى المصريين، وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة، إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً، إلى موضع الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين، والحويين، واليبوسيين. والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد بلغ إلىّ، ورأيت أيضا الضيقة التى يضايقهم بها المصريون. فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر...»

فقال موسى لله : «ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم : إله آبائكم أرسلنى إليكم. فإذا قالوا لى : ما اسمه، فماذا أقول لهم؟» فقال الله لموسى : **أنا هو الكائن أهيه الذى أهيه**. وقال : «هكذا تقول لبنى إسرائيل : **الكائن أهيه أرسلنى إليكم**». وقال الله لموسى ثانية : «هكذا تقول لبنى إسرائيل **يهوه إله آبائكم**، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد، وهذا ذكرى إلى جيل فجيل. اذهب واجمع شيوخ إسرائيل وقل لهم : الرب إله آبائكم، إله إبراهيم وإسحق ويعقوب **تجلى لى قائلا** : إنى افتقدتكم وما صنع بكم فى مصر، فقلت إنى أخرجكم من مذلة المصريين إلى أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين، والفرزيين والحويين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبنا وعسلاً...» (سفر الخروج ٣ : ١ – ٢١).

والآن، أليست هذه صورة من صور الظهور الإلهى؟ الله يتجلى فوق عليقة فى أرض سينا فى لهيب نار، بما وصف أنه (**ملاك الرب**) ، وتكلم مع موسى بصوت مسموع، وكان ظهوره فى شكل منظور حتى إن موسى غطى وجهه **لأنه خاف أن ينظر إلى الله**. وناداه الله من

وسط العليقة وأمره : «موسى، موسى، لا تقترب إلى ههنا. اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه، وواقف عليه، أرض مقدسة». وقد صارت الأرض مقدسة بحلول الله فيها وتجليه من فوقها وظهوره بشكل منظور ومحسوس، ويقول الله تعالى، وهو الساكن فى الأعالى : «**إنى قد نظرت إلى** مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم، إنى علمت أوجاعهم، **فنزلت لأنقذهم**» وهذا تعبير واضح وصريح عن **نزوله تعالى إلى الأرض**، وقد تجلى فوق العليقة. ولئن وصف المتجلى أنه ملاك الرب فى لهيب نار من وسط العليقة، لكن الله كشف بكل الوضوح أنه هو الله ذاته، «**أنا هو الكائن، أهيه الذى أهيه**»، وقال لموسى «هكذا تقول لبنى إسرائيل **الكائن أهيه أرسلنى إليكم، يهوه إله آبائكم** إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد، وهذا ذكرى إلى جيل فجيل». فالمتكلم إذن، والذى تجلى فى العليقة لموسى، ليس كائناً آخر، **غير الله ذاته فى بهاء وشكل منظور، فهو الله ذاته متجسدا فى شكل منظور، هو (يهوه) الكائن الأزلى** الذى لابداءة له، والأبدى الذى لا نهاية له، هو الله السرمد والسرمدى، الساكن فى الأعالى، **وقد نزل على العليقة فى شكل منظور**، ويقول صراحة له المجد وبكل الوضوح وبغير لبس «إنى قد نظرت إلى مذلة شعبى الذى فى مصر، وسمعت صراخهم، وعلمت أوجاعهم **فنزلت لأنقذهم**»...

ومعنى النزول : أنه وهو الساكن فى الأعالى، صار له كيان منظور على الأرض، وهذا إرهاص **ونذير بالنزول العظيم الذى تحقق بالتجسد من مريم العذراء، فى المسيح الذى نزل من السماء لمهمة الفداء والخلاص. وإذن فنزوله فى سيناء على العليقة هو صورة من صور التجلى.**

٨٩ ـ الله يظهر فى صورة رئيس جند الرب

جاء فى الكتاب المقدس :

«وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر فإذا رجل واقف قبالته وسيفه فى يده مسلولاً. فسار يشوع إليه وقال له : «ألنا أنت أم لأعدائنا؟» فقال : «كلا، بل أنا **رئيس جند الرب. الآن جئت**». فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض، وسجد، وقال : «**بماذا تأمر عبدك يارب**». فقال رئيس جند الرب ليشوع : «**اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه مقدس**». **ففعل يشوع كذلك**.

«**فقال الرب ليشوع** : انظر : إنى قد دفعت أريحا وملكها إلى يدك مع جبابرة البأس. تدورون حول المدينة، جميع رجال الحرب، كل يوم مرة واحدة، هكذا تفعلون ستة أيام. ويحمل سبعة كهنة سبعة أبواق الهتاف أمام التابوت. وفى اليوم السابع تطوفون حول المدينة سبع مرات، وينفخ الكهنة فى الأبواق. ويكون إذا امتد صوت قرن الهتاف إذا سمعتم صوت البوق أن جميع الشعب يهتفون هتافاً شديداً، فيسقط سور المدينة فى موضعه، فيصعد الشعب كل واحد على وجهه». فدعا يشوع بن نون الكهنة، وقال لهم : «احملوا تابوت العهد. وليحمل سبعة كهنة سبعة أبواق هتاف قدام تابوت الرب». وقالوا للشعب : «اجتازوا وطوفوا حول المدينة، وليسر كل متجرد أمام تابوت الرب». فكان كما قال يشوع للشعب. اجتاز السبعة الكهنة حاملين سبعة أبواق الهتاف أمام الرب، ونفخوا فى الأبواق، وتابوت عهد الرب سائر وراءهم، وكل متجرد سائر قدام الكهنة النافخين فى الأبواق، ولفيف الساقة سائرون وراء التابوت، كانوا يمشون وينفخون فى الأبواق. وأمر يشوع الشعب قائلا : «لا تهتفوا ولا تسمعوا أصواتكم، ولا تخرج من أفواهكم كلمة حتى يوم أقول لكم اهتفوا، فحينئذ تهتفون». فطاف تابوت الرب حول المدينة مرة واحدة، ثم عادوا إلى المحلة، وباتوا فى المحلة.

«ثم بكر يشوع فى الغداه، وحمل الكهنة تابوت الرب. والسبعة الكهنة حاملو سبعة أبواق الهتاف قدام تابوت الرب، يسيرون وينفخون فى الأبواق، والمتجردون سائرون أمامهم، ولفيف الساقة سائرون وراء تابوت الرب، يمشون وينفخون فى الأبواق. فى اليوم الثانى طافوا حول المدينة مرة واحدة ثم رجعوا إلى المحلة. وهكذا فعلوا ستة أيام. ولما كان اليوم السابع بكروا عند مطلع الفجر، وطافوا حول المدينة على هذا المنوال سبع مرات. فى ذلك اليوم فقط طافوا حول المدينة سبع مرات. فلما كانت المره السابعة نفخ الكهنة فى الأبواق، فقال يشوع للشعب : «اهتفوا

فقد أسلم الرب إليكم المدينة. ولتكن المدينة بكل مافيها مُبسَلة (محرماً) للرب...» فهتف الشعب، ونفخوا فى الأبواق، فكان حين سمع الشعب صوت البوق، أن الشعب هتفوا هتافا عظيماً، فسقط السور فى مكانه. فصعد الشعب إلى المدينة، كل واحد على وجهه، وأخذوا المدينة...» (سفر يشوع بن نون ٥ : ١٣ – ١٥) ، (٦ : ١ – ٢٠).

وبنظرة سريعة، قيل إن هذا الذى ظهر ليشوع بن نون عند أريحا هو رئيس الملائكة ميخائيل لأنه هو (رئيس جند الرب).

فقد ورد فى الكتاب المقدس عن الملاك ميخائيل أنه رئيس جند الرب. ففى رسالة القديس يهوذا الرسول جاء عنه صراحة (ميخائيل رئيس الملائكة) (يهوذا : ٩). وكذلك جاء عنه بهذه الصفة فى سفر نبوءة دانيال، وعلى فم الملاك جبرائيل (دانيال ١٠ : ١٣) ، (١٠ : ٢١)، كما وصفه الملاك جبرائيل بأنه (**ميخائيل الرئيس العظيم**) (دانيال ١٢ : ١). وكذلك جاء عنه فى سفر الجليان ـ الرؤيا (١٢ : ٧).

على أنه يستوقفنا عن المضى فى هذا التفسير هو قول الوحى الإلهى (فسقط يشوع على وجهه على الأرض، وقال : «بماذا تأمر عبدك يارب». فقال رئيس جند الرب ليشوع : «اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه هو مقدس». فصنع يشوع كذلك).

نقول إنه لو كان حقا الذى ظهر ليشوع هو رئيس الملائكة ميخائيل بعينه، لما كان يأمر يشوع بقوله «اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه هو مقدس».

فهو ذات الأمر الذى خاطب به الرب نفسه موسى عندما ظهر له فى جبل الله حوريب (فناداه الله من وسط العليقة وقال : «موسى، موسى». قال «هأءنذا». قال «لا تقترب إلى هنا. **اخلع نعليك من رجليك، فإن الموضع الذى أنت قائم فيه أرض مقدسة**». ثم قال : «**أنا إله أبيك، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب**». **فستر موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله**) (سفر الخروج ٣ : ٤ – ٦).

حقا إنه من المستبعد أن يطلب الملاك ميخائيل من يشوع بن نون أن يخلع نعليه من رجليه، ولم يخلع يشوع نعليه من رجليه فقط، ولكنه سقط على وجهه على الأرض، وقال : «بماذا تأمر عبدك يارب». بينما أننا نقرأ فى سفر الجليان ـ الرؤيا عن القديس يوحنا الرسول الرائى أنه ظن بالملاك الذى قال له : اكتب طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الحمل.. ظن أنه المسيح له المجد

فسجد له سجود العبادة فمنعه الملاك من ذلك. جاء فى سفر الجليان - الرؤيا : «فخررت أمام قدميه لأسجد له». فقال لى : «انظر، **لا تفعل. أنا عبد معك** ومع إخوتك الذين معهم شهادة يسوع. اسجد لله» (الجليان - الرؤيا ١٩ : ١٠).

ومرة أخرى جاء فى سفر الجليان - الرؤيا قول القديس يوحنا الرائى : «وأنا يوحنا الذى سمع هذه ورآها، وبعد أن سمعت ورأيت خررت لأسجد أمام قدمى الملاك الذى أرانى هذه : فقال لى: **«انظر، لا تفعل. لأنى عبد معك** ومع إخوتك الأنبياء الذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. **فاسجد لله**» (الجليان - الرؤيا ٢٢ : ٨، ٩).

وأضاف الكتاب المقدس ما يؤكد حقيقة الذى ظهر ليشوع بن نون بقوله (فقال **الرب** ليشوع : «انظر : **إنى قد دفعت أريحا وملكها إلى يدك** مع جبابرة البأس» ثم أمر الرب قائلا : «تطوفون حول المدينة جميع رجال الحرب كل يوم مرة واحدة هكذا تفعلون ستة أيام... وفى اليوم السابع تطوفون حول المدينة سبع مرات...) (يشوع ٦ : ١ – ٥) وصنع يشوع كذلك كأمر الرب.

من هذه البينات نخلص إلى **هذه الحقيقة** أن الذى ظهر ليشوع بن نون هو فى حقيقته **الرب نفسه**، ولكن **فى هيئة رئيس جند الرب**. وهى واحدة من ظهورات (الرب) فى العهد القديم «بأنواع وطرق كثيرة» (**العبرانيين** ١ : ١).

لذلك فإننا نرى فى **ظهور الكائن الذى رآه** يشوع بن نون فى هيئة رجل وسيفه فى يده مسلولاً أنه **هو (الرب) نفسه فى هيئة (رئيس جند الرب)**.

٩٠ ـ الله يظهر لموسى النبى
فى صورة مجسمة، وله يد ووجه وظهر

عندما شاء الله أن يعطى الشريعة، تجلى على جبل سيناء. «وقال الرب لموسى : اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغداً وليغسلوا ثيابهم. ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، فإنه فى اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء (الخروج ١٩ : ١٠، ١١).

«وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً، فارتعد جميع الشعب الذى فى المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله، فوقفوا فى أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب **نزل عليه بالنار**، وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جداً» (الخروج ١٩ : ١٦ – ١٨).

«**ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل** ودعا الله موسى إلى رأس الجبل، فصعد موسى» (الخروج ١٩ : ٢٠).

«وكان جميع الشعب يشاهدون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن. ولما رأى الشعب ذلك ارتعدوا ووقفوا من بعيد... أما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله» (الخروج ٢٠ : ١٨ – ٢١).

على أن شعب بنى إسرائيل **لم ير صورة الله**، إنما شاهد فقط الرعود والبروق والسحاب الكثيف، بما جعله يرتعب ويرتعد.

وهذا ما صرح به الكتاب المقدس على فم النبى موسى إلى شعب بنى إسرائيل «فتقدمتم ووقفتم فى أسفل الجبل والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب، فكلمكم الرب من وسط النار، وأنتم سامعون صوت كلام **ولكن لم تروا صورة** بل صوتا فقط... فاحتفظوا جدا لأنفسكم. **فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار**، لئلا تفسدوا وتعملوا لأنفسكم تمثالاً منحوتا على شكل صورة ما» (التثنية ٤ : ١١، ١٢، ١٥، ١٦).

أما موسى النبى فقط ظهر الرب له فى **صورة مجسّمة**.

جاء فى سفر الخروج أيضا «ويكلم الرب موسى **وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه**» (الخروج ٣٣ : ١١)، (سفر التثنية ٥ : ٤)، (٣٤ : ١٠).

وفى سفر العدد قال الرب «وأما عبدى موسى... **فما إلى فم وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز، وشِبه الرب يعاين**» (العدد ١٢ : ٧، ٨).

وجاء فى سفر الخروج أيضا إن موسى النبى سأل الرب «فقال أرنى مجدك. فقال أنا أجيز كل جودتى قدامك. وأُنادى باسم الرب قدامك.. وقال أما وجهى فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش. وقال الرب هوذا عندى مكان، قف على الصخرة ويكون متى مر مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة **وأسترك بيدى حتى أجتاز ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى**» (الخروج ٣٣ : ١٨ – ٢٣).

من ذلك يتضح أن ظهور الرب الإله على جبل سيناء كان رهيبا فى رعود وبروق وسحاب كثيف.

أما بالنسبة لموسى النبى، **فكان فى صورة مجسمة** بدليل أن موسى عندما سأل الرب قائلا «أرنى مجدك»، فقال له الرب «أنا أجيز كل جودتى قدامك»، «وأنادى باسم الرب قدامك» معلنا أنه الرب. ثم يقول الرب «**أما وجهى فلا تستطيع أن تراه، لأنه لا يرانى إنسان ويعيش**» ـ ثم يضيف الرب قائلا : هوذا عندى مكان. قف على الصخرة، ويكون متى مر مجدى، أنى أضعك فى نقرة من الصخرة، **وأسترك بيدى** حتى أجتاز **ثم أرفع يدى فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى** وهنا ينسب الرب إلى ذاته صراحة «وجه» ثم (يد) ويقول لموسى» «إنى أضعك فى نقرة من الصخرة» وذلك حتى لا يرى موسى بعينيه إلا شيئا من بهاء الرب وجودته ثم يقول «**وأسترك بيدى**» ناسبا الله إلى ذاته أن له «**يداً**» يستر بها موسى ويظلله «ثم بعد أن يمر ويجتاز الرب بمجده، يقول «**ثم أرفع يدى، فتنظر ورائى. وأما وجهى فلا يرى**».

وهكذا يتضح أن الرب أكرم موسى بأن ظهر له فى صورة مجسمة، **وله وجه، ويد، وظهر** ـ على أن **وجه الرب** من عظمة بهائه ومجده لا يستطيع إنسان يراه ويعيش، وهذا ما قاله المسيح له المجد «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو الذى أخبر عنه» (يوحنا ١ : ١٨). وقال له المجد أيضا «**لا أحد قد رأى الآب إلا الذى هو من الله. فهذا هو الذى قد رأى الآب**» (يوحنا ٦ : ٤٦)، وهو المسيح له المجد، لأنه هو الله ذاته وقد لبس جسداً. انظر أيضاً (يوحنا ٧ : ٢٩)، (٨ : ١٩)، (متى ١١ : ٢٧)، (لوقا ١٠ : ٢٢)، (١ . تيموثيئوس ١ : ١٧)، (العبرانيين ١١ : ٢٧).

وجاء فى رسالة القديس بولس الرسول إلى القديس تيموثيئوس «الذى هو وحده لا يموت، ويسكن فى نور لا يقترب منه **وهو الذى لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه**، الذى له الإكرام والقدرة الأبدية» (١ . تيموثيئوس ٦ : ١٦).

وفى الرسالة الأولى للقديس يوحنا «ما من أحد رأى الله» (١ . يوحنا ٤ : ١٢)، (٤ : ٢٠).

« حياة أنبا غريغوريوس تتلخص فى كلمتين « التكريس والعلم »..

كانت الإكليريكية هى جزء من حياته ، وكان العلم يشغل كل وقته..

كان الأنبا غريغوريوس يتميز بالشمولية فى العلم ....

كان أنبا غريغوريوس عالماً ، إذا كتب يستفيض في الكتابة حتى لاتعرف كم من المعلومات يقول ... كان كثير القراءة إلى حد بعيد ، وكان عميق الدراسة إلى حد بعيد.. له مئات من الآباء الكهنة كانوا أبناءه واستقوا العلم على يديه ، والذى لم يستق العلم على يديه استقاه من كتبه ومؤلفاته ، وله عشرات من الكتب فى كل فنون العلوم الكنسية ، .. كان أيضاً إنساناً وطنياً يحب بلاده ويحب مصر .

له معلومات كثيرة وكتب كثيرة فى الوطنية .. وعن سير القديسين ... هو موسوعة من المعلومات .

الأنبا غريغوريوس على الرغم من علمه الكبير جداً ، كان إنساناً بسيطاً يجمع بين البساطة فى النفسية والعمق فى العقلية .. هو مثل من الأمثلة التى لا تتكرر كثيراً فى العلم الكبير.. »

قداسة البابا شنوده الثالث